وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة
الجزائر

انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي
من الفتح إلى استقرار بني هلال
(بين القرن 1- 6 هـ / 7- 12م)

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب :
لعريبي بلال

إشراف الدكتورة :
بوعمامة فاطمة

السنة الجامعية : 1438/ 1439 هـ - 2017 / 2018م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة
الجزائر

انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي
من الفتح إلى استقرار بني هلال
(بين القرن 1- 6 هـ / 7- 12م)

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب :
لعريبي بلال

إشراف الدكتورة :
بوعمامة فاطمة

أعضاء اللجنة المناقشة :

- أ . د/ شهبي عبد العزيز ....رئيسا
- د/ بوعمامة فاطمة ....مقررا
- أ . د/ خالد كبير علال ....عضوا مناقشا
- د/ توفيق مزاري عبد الصمد .... عضوا مناقشا
- د/ هيصام موسى .... عضوا مناقشا
- د/ بوخاوش مريم .... عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1438/ 1439 هـ - 2017 / 2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الحمد لله الذي شرفنا باللسان العربي المبين و حفظه بالقران الكريم من تناكر أو زوال ، و جعلنا من أمة سيّد و لد ادم محمد النّبي الأمّي ، و على اله المتسنّمين من الفضل صهوة المنصب العلي قدوة العرب و العجم مالك فضيلتي السيف و القلم و معلم اليمن و الشام و الديار المشرقية و المغربية ما ولي الأرض بعد وسم الوسمى سلطان الولي و نم بأسرار الرياض نسيم شذاها الزكي وصلاة و سلاما على خير من نطق بالضاد و على اله و صحابته الأمجاد ، ثم بعد :

و في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"يا أيّها النّاس إنّ الرب واحد و إن الدين واحد وليست العربية بأحدكم من أب أو أم و إنّما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي".

حبا و اعترافا أهدي هذا العمل المتواضع إلى :

جميع العائلة و لكل الأساتذة الباحثين بالمدرسة العليا للأساتذة بقسم التاريخ والجغرافيا بالأخص : الدكتور شهبي عبد العزيز ، خالد الكبير علال ، أبو القاسم سعد الله رحمه الله ، عبد القادر تومي ، بوطارن ، بوكنة ، بشار قويدر، متيجة بشير ، مولود عويمر ، رحماني ، لعرج ، عبد الشكور، محمد أمين بلغيث ، موسى هصام ، مزاري توفيق ، بوعقاد ، مقدم سهام ، حميدي مليكة ، خوشي رضا ، الطيب بوسعد و سيدي موسى محمد الشريف و باقي الدكاترة و إلى رفقاء الدرب و العلم بالسنة الأولى ماجستير: صاري أمينة

و كل عمال مكتبة السليمانية و مساعدتهم لي بعد الاطلاع على نسخة كتاب المقدمة كتبها المؤرخ ابن خلدون بخط يده .

شكر و عرفان

الحمد لله الذي جعل الحمد فاتحة الأبواب و أول كلام الخلق يوم الحساب ، و أخر دعوى أهل الثواب ، جعل للعرب جمالا اللسان ، تتهافت عليه سائر الأمم ، و خصهم من كثرة القبائل بما طلع لهم به في كل أفق نجم ، و رفع بكل قطر علم ، و صلى الله على سيدنا محمد المصطفى المختار من لباب اللّباب الألباب.

و نحمده على توفيقه إيانا لإتمام هذا العمل ، عز ذكره و تعالى اسمه لقوله : " و ما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت و إليه أنيب " سورة هود : الآية 88 .

و نتقدم بجزيل الشكر و التقدير إلى من لم تبخل علينا بنصائحها و إرشاداتها و توجيهاتها القيمة ، المشرفة الدكتورة : بوعمامة فاطمة فان الحق حق سلطان و نشكرها على كل صبر في تحمّلها على المتابعة بالجد و التيسير.

راجيا لها من المولى عزوجل أن يقدرني على رد الجميل و أن يثقل ميزان حسناتها و يعزّها بالعلم لقوله تعالى : " ياأيّها الّذين أمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فأفسحوا يفسح الله لكم و إذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات و الله بما تعملون خبير " سورة المجادلة : الآية 11 .

والله أسأل الأجر و القبول في الدنيا و يوم الحساب ووعد من شكره بالمزيد

المقدمة

مـقــــدمــة

كان لانتشار اللغة العربية بين الأمصار ، أول الأمر يسير مع الدعوة الإسلامية ، مترسم خطاها و متتبع أثارها ، ويعد نشر اللغة العربية من بين أهم حوادث الفتح الإسلامي ، وجوهر حملة العلم الأوائل في سبيل إعلاء راية الجهاد و الشهادة في سبيل الله بالسيف و القلم ، بالخصوص بعد إسلام البربر و تعريبهم هذه الأمة العظيمة القوية التي لولا استماتتها على أسنّة السيوف بالمغرب و الأندلس لأجل الفتح و الشهادة ، لكانت بلاد المغرب كلها أمصار معادية و مناوئة للإسلام ، و لأن نبوغ غير العرب في اللغة العربية القحة هو أمر غير بدع ، و تأكد ذلك عند استعراب البربر المغاربة الذين تأثروا و أثروا بنشر الإسلام و اللسان العربي المبين الخيّر الذي هو ترجمان وحي الله و لغة كتابه ، و معجزة رسوله وخلدا ذلك القران الكريم بخلوده الإسلامي واختصوا باللسان العربي ، و اصطبروا عليها ككتلة واحدة هم و العرب ، بل إنّ البربر في المواقف الخطيرة هم أقرب إلى العرب من العرب أنفسهم أو بعضهم إلى بعض ، وقد انتشرت العربية أحيانا بسرعة أسرع من الإسلام ، نظرا للتسامح مع أهل الكتاب الذين تعربوا ، ولكنهم حافظوا على نصرانيتهم أو يهوديتهم.

و لما كانت بلاد العرب مهد الأدب العربي و عموده الفقري ، و أرض نشأته التي طبعته بطابع قوي بعيد الأثر و التي فتقت اللسان الذبيح باللغة العربية البينة باللسان الفصيح و استل من سلالته عدنان و أبناء كنعان واشتق من دوحته بني قحطان و أحياءه ، منذ أن بعث أفصح النّاس لسانا و أقومهم خلقا و خلقا سيدنا محمد (ص) سيّد الفصحاء ، و إمام البلغاء الذي علم الأدباء كيف يتأدبون ، و ترك الناس مناهل من كمالات الإنسانية منها يغترفون وعنها يصدرون و نهجوا منهجهم ، و نسجوا على منوالهم فكانوا خير خلف لخير سلف ، و أحيوا دين الله بنشر كتابه و ليس هناك من الأمم أو الأمصار ، ما أوتيت من العارضة و البيان واتساعا خدمة لغته العربية من الأمة المحمدية ، **قال الله تعالى :** **{ وَ هَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا و َبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ }** (سورة الأحقاف – الاية : 12) و هناك من يؤكد أن بدايات انتشار اللغة العربية أول ما بدأ نشاط هذه الحركة، وأشهرهم بعد عقبة بالمغرب كان في أيام حسّان بن النعمان الغسّاني أحد ولاة افريقية ، من قبل عبد الملك بن مروان ثم موسى بن نصير و عبيد الله ابن الحبحاب ، وقد تميز عهد هؤلاء بأعمال جليلة في توطيد الإسلام بين السكان ، و في دعم الإستقرار بالإصلاحات المختلفة ، فحسان هو أول من عرب الدواوين ، وجعل اللغة العربية لغة رسمية في بلاد المغرب ومن الممهدين إلى السبيل لتقدم الثقافة العربية ، و استقرار الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب ، فدوّن الدواوين

ورسّم اللغة العربية أي جعلها لسان الدولة الرسمية فحسان هو من عرب الدواوين ، وجعل اللغة العربية لغة رسمية قولا وفعلا ببلاد المغرب ، وهو الذي جلب الإقباط من مصر لبناء السفن ، وإنشاء الموانئ ذلك لحماية السواحل من الغارات المفاجئة ، ولتيسير المواصلات و المعاملات البحرية .

و أما عن موسى بن نصير ففي عهده فتحت الأندلس ، التي يعد فتحها أول عمل عسكرى عظيم حققه المغاربة تحت راية الإسلام ، و إلى عبيد الله بن الحبحاب ينسب تأسيس و بناء جامع الزيتونة الذي أصبح فيما بعد مركزا عظيما للثقافة و اللغة العربية طيلة قرون عديدة ، و أنجب عباقرة كثيرين أمثال ابن خلدون و ابن عرفة فأوجب بذلك تعلمّها على السكان المسلمين و غير المسلمين ثم بعد ذلك أنزل عمر بن عبد العزيز بافريقية و المغرب 10 من الفقهاء يعلمون الناس القران و يفقهونهم في الدين ، كذلك فعل بن نصير فرتب عدد من الفقهاء و القراء للغرض نفسه ، و هذه كلها محاولات كان لها نتيجتها الطيّبة ، و أثرها المحمود في سرعة استعراب المغاربة ، و طبعهم بالطابع العربي الصميم ، كما شوهد ذلك يوم فتح الأندلس حيث خطب طارق بن زياد ، و هو مولى مغربيّ لموسى بن نصير خطبته المشهورة في جيشه الذي أناف على اثني عشر ألف جندي ، فيهم ثلاثمائة فقط على أكثر تقدير من العرب ، ففهمها الجيش كله و أثرت فيه أيّام التأثير البليغ المشهود في اندفاعه إلى حومة الوغى ، و تهافتته على الموت بإيمان و حماس .

فكيف يفسّر هذا بغير سرعة انتشار اللغة العربية ،كالسرعة التي انتشر بها الإسلام ؟

1 – تعريف الموضوع : نحاول إبراز و تقصي طريقة و كيفية انتشار اللغة العربية ، و دورها في تحقيق التواصل بين المشرق و المغرب ، منذ كتابة الرسائل و تدوين الدواوين مابين القرنين (1- 6 هـ/7-12م) أي من الفتح الإسلامي إلى استقرار بني هلال ، و من أجل ذلك اخترنا عنوان موضوع الرسالة كالتالي :

انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي من الفتح إلى استقرار بني هلال

(بين القرنين 1 – 6 هـ / 7 – 12 م)

لا شيء أحب للإنسان من الاطلاع على أصل لغته ، و كيفية نشأتها و مما لا شك فيه أن إثارة موضوع اللغة العربية و انتشارها في المغرب و الأندلس بين هذه الأمصار من الفتح الإسلامي إلى استقرار بني هلال خلال القرنين (1- 6 هـ / 7- 12 م) ذي الطابع التاريخي الأدبي الحضاري ، الذي يهتم بالتواصل بين الأمصار الإسلامية في المشرق و المغرب بتتبع و اقتفاء خط مسار انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي كجزء من سير حركة التاريخ ، وحرص الفاتحين المسلمين على تعليم اللسان العربي للبربر وغير العرب و استعراب بربر المغاربة و الأندلسيين دون النظر لأصولهم وانتمائهم ، فقد تجلى في نشر لغة التخاطب العربية بين القبائل البربرية ، و احتكاكهم لبعض قبائل زناتة الصحراء وصراعهم مع بني زيري و إعراضهم

عن بني سليم و بالتالي كان عاملا فعالا على تعريبها تعريبا تاما ، و إن تطلب ذلك تحالف مع قبائل أخرى و استمر الاستعراب يعمل عمله طيلة القرون اللاحقة حتى لم تبق البربرية أداة تخاطب إلا بين قبائل جرجرة و قبائل أوراس ، و أما أدبهم فهو غزير و راقي جدا من أسمار و قصص و شعر ملحون ، فانتشر في أدبياتهم ومعاملتهم خلال التأليف و التعليم ، و مؤلفات قصائدهم في أدبهم ذلك كثير و بالتالي دخول عناصر أو التركيبة الجديدة البدوية ، في هيكل المجتمع المغربي بحيث كان لهذه العناصر خصائصها العقلية و الخلقية ، من حب الشجاعة و الحرب و الكرامة و النبوغ الأدبي المغربي و النظم النطق المتميز وكره للنظام ، و الحكومة المركزية و الضرائب و أساليب الحضارة المتمدنة ، و هذا ما يبرره و يؤكده مدى قول العلامة ابن خلدون (732، 808 هـ / 1332 ، 1406م) ".. أن الأرض التي يقع أو ينزل بها العرب أسرع إليها الخراب و يحل بها الدمار و التخلف .. " ، و لذا تعتبر مقدمته المشهورة ، فتحا جديدا في هذا الميدان لم يسبق إليه ، و لم ينسج على منواله أحد من بعده في العربية .

و ما أهمية اللغة العربية إلا إذا كان انحطاط الأدب العربي ، مظهر من مظاهر ضعف الأمصار ، كما كان بعثها ونهضتها بعثا للأدب و نهوضا و ارتقاء لها ، فلعمري إن مثل هذه الرسائل والدراسات لجديرة بالبحث و الاهتمام الجاد ، فإن تاريخ الحياة الفكرية الأدبية عامة ، بمثابة الحجر الأساسي للبناء التعليمي و مناهجه ، وتتبع دراسة التراث العلمي والفكري ما هو إلا خاطرا بعون الله على تنمية شرعية اللسان العربي ، و الميل إلى البحث العلمي ، و الاستزادة من مفاهيم العلم و المعرفة في العطاء الحضاري الإنساني ، فمما لايشوبه ريب ولا يخامره شك أن ما بلغه اللسان العربي من تقدم يرسخ ضرورة تطوير اللغة العربية ، و أن عالمنا الحاضر يتجه بسرعة إلى الجانب تعلّم و تعليم اللسانيات ، فقد اختلطت اللغة العربية– زمن الفتوح الإسلامية – بلغات أخرى في بلاد فارس و الهند و الشام ومصر وجنوب إفريقيا و الأندلس ، لكنها احتفظت دائماً بفصاحتها ووحدتها وكيانها ، ولم تكتف بذلك بل أزاحت جلّ اللغات السائدة في تلك الأمصار ، و حلت محلها أو نفخت فيها من روحها ، وطريقة تفكيرها ممثلة عنوان وجودنا الإنساني ووسيلته الخلاقة للتعبير و الاتصال بين كينونة البشر مع الكون و الحياة ، حتى لا تكون اللغة العربية علم منا بأسبقية غيرنا ، فتنافسوا في حلبتها ، و بلغوا الشأو الأعلى **قال عزّ وجلّ:** **{إِنَّا أَنْزَلْنَاه قُرْءَانا عَرَبِيّا لّعَلّكُمْ تعْقِلُونَ }** (**يوسف–2**) .

فاللغة العربية مهمة في معرفة الامصار، مسجلة ماضيها ومصورة حاضرها ، وراسمة شخصيتها و بفضلها مازلنا في حاجة ملحة لمعرفة تاريخنا ، ففي مصر حلت اللغة العربية مكان اليونانية و القبطية وفي زمن وجيز بعد الفتح العربي ، هو انتشار اللغة العربية لتصبح لغة الدواوين في الأقطار ، التي فتحها العرب المسلمون عهد الخلافة الراشدة و ما تلاها ، و العجيب أن تساير هذه اللغة حركة الفتوح الإسلامية مداً وجزراً ، و أن تستوعب مختلف أوعية الحضارات و الثقافات ، **قال تعالى: { فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَ تُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا }** (**مريم – 97**) .

فمنذ صدور أطروحة جورج مارسي G . Marcais " تاريخ العرب في بلاد البربر من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر (1913 م)" ، التي ما زالت بجد صالحة إلى الآن على نحو جدير بالملاحظة ، و بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، كان علينا أن ننتظر أطروحة روبار برنشيفيك " بلاد البربر الشرقية في عهد بني حفص (1940 - 1947م) " لنظفر بأوّل دراسة تأليفيّة موفقة ، حول إحدى فترات تاريخ العرب في العصر الوسيط ، فتعلم اللغة ليس حكراً على المناهج اللغوية ، وليس تعليم العربية حكراً على أساتذتها ، بل يدعونا الوعي اللغوي إلى أن نجعل كل ما يُملى و يُكتب بلغتنا وسيلة من وسائل تعلّمها ، فاللغة و عاء العلم و حاضنة التراث و أداة التواصل ، ووسيلة التعبير .

2 – أهمية الموضوع : تعتبر اللغة العربية في كل عصر ، و في كل بيئة صورة للمجتمع البشري فهي من أهم المظاهر الحضارية و الفكرية ، و لعلّ من الأهمية بمكان بل ليس بالأمر السهل أو الهين ، معرفة ملامح انتشار اللغة العربية ، أو التعريب في المغرب الإسلامي من الفتح إلى استقرار بني هلال خلال القرنين (1-6 هـ/ 7-12م) هذا الانقلاب الحاصل في لسان المجتمع المغربي الأبّي ، و النقلة النوعية اللغوية و التبليغ في المغرب الإسلامي ، على مستوى حياته السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية في لسان حال تخاطبه لهو واجب ، و لزاما يعنينا حقا الكشف على تصوّر أثاره ونتائجه ، و البحث فيه منذ الفتوحات الإسلامية الأولى التي عربت أصلاب المغاربة على هذا الامتداد الشاسع للزحف العربي لبني هلال وبني سليم ، من المشرق قبل اعتناقهم الإسلام إلى ارتدادهم ثم إسلامهم ، أي منذ ترك مواطنها ببوادي الحجاز و في عهد الراشدين (11 ، 32هـ/ 632 ، 653 م) وتأسيس القيروان (50 ، 55 هـ/ 670 ،

675 م) التي مثلت النشأة الأولى في التربية و التعليم للبناء الثقافي التعليمي ، فكانت عربية خالصة لحما و دما وكذروة روح العلم والمعرفة ، و لبنة التعليم العربي كقناة هامة من قنوات النشاط الأدبي ، بعد فتح الأندلس (92 هـ/ 711) و ظهور دويلات في المغرب الإسلامي مثل دولة المرابطين

(دولة الفقهاء اللغة) و الموحدين ، و ما لها من تأثير على نشر اللسان العربي ودور الفاطميين سنة (362 هـ/ 982م) من قهر و إجبار للقبائل الهلالية و السليمية ، و استقرارها في الأمصار الجديدة بافريقية (442 هـ/ 1033م) بإرسالهم لثغور الأندلس ، و نحن في دراستنا انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى استقرار بني هلال ما بين القرنين (1– 6 هـ/7– 12م) ، و يتوقف توسع اللسان العربي على سرعة و بطء عملية الفتح بدليل أن المغرب الإسلامي ، قد استعرب قبل استعراب بلاد الأندلس ، ، بحكم ارتباطه بسير عملية الفاتحين المسلمين حملة العلم العشرة الأوائل ، و تدل على عمق الاتصال و التفاعل بين العرب المسلمين في المشرق و المغرب الإسلاميين .

و تكمن مدى أهمية موضوع انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي ، من الفتح الإسلامي إلى استقرار بني هلال بين القرنين (1– 6 هـ /7 – 12م) ، بدليل أن المصادر قد تبخل علينا بكثير من المعلومات بهذا الخصوص نظرا لاحتدام الصراع القبلي ، وصعوبة تقبله مع سرعة تداول اللسان العربي بين اللغات ، ومزاحمته للغة البربرية و الفينيقية معا وتفوقه عليهما ، و حمل العلوم و الثقافة الإسلامية ، و نشرها إلى السّوادين وامتزاج الأدبين عربي وبربري ، فقد أمرنا ديننا الإسلامي الحنيف بالعلم ، بكافة أنواع العلوم العامة و بعلم العربية : لغة القران و البيان خاصة .

و لما كانت اللغة العربية هي أهم السبل ، نستشف بها شخصية الأمصار و ذاتها وخصائصها العلمية و الفكرية ، لمعرفة ماضينا البعيد وربطه بالقريب و التقاء الأعراق اللاحقة ، بالسابقة الذاهبة و امتزاج الآراء ، فنتيجة طبيعية أن يستعرب المغاربة بعد إسلامهم ، و يتعلموا لغة التنزيل الذي هو دستور الإسلام و أقنومه ، و المصدر لجميع أحكامه و تعاليمه ، فإنما بالعربية تفهم الأصول وفروعه بنحوها و صرفها و اشتقاقها و شتى فنونها البلاغية ، و العروضية لا دليل ما بلغه العرب ، من رقي عقلي و نضوج فكري ، و تقرر شرائعه وأحكامه على أن هذه الفصحى لغة البيان و الشعر تمتلك برقتها القلوب ، و تستلب العقول لهذا الفتح الجديد ، و بعث روح التعليم العربي ، فاللغة العربية جزء مهم ، و ضروري من حقيقة سير التاريخ و الإسلام .

3– إشكالية الموضوع : جاء بناء دراستنا بطرح مجموعة من التساؤلات الفرعية و المتمثلة فيما يلي :

- ✓ كيف انتشرت اللغة العربية بالمغرب الإسلامي ؟ وما هو دور الفاتحين وحملة العلم الأوائل في ذلك ؟
- ✓ كيف ساهم العرب الهلاليين وبني سليم في نشر اللغة العربية وتداولها بين الألسنة ؟ ما عوامل ووسائل انتشار اللسان العربي بالمغرب الإسلامي ؟

و بالنسبة لإشكالية الرئيسية للبحث فقد رأينا أن تكون على النحو التالي :

كيف يفسّر هذا بغير سرعة انتشار اللغة العربية ، كالسرعة التي انتشر بها الإسلام ؟

- ✓ متى بدأ ظهور اللسان العربي في هذه الأمصار؟ وكيف انتشر؟
- ✓ و ما هي التغييرات التي حصلت بعد التعريب في المغرب الأوسط انوذجا ؟

4 – منهج البحث : أما فيما يخص المنهج الذي اعتمدناه في إنجاز هذه الدراسة :

- الاقتباس من المصادر التاريخية الأدبية : بالأخص المصادر المتنوعة التاريخية والأدبية في العصر الإسلامي التي ترعرعت ونشأت فيها اللغة العربية وتعميم اللسان العربي بين المشرق و المغرب و المصادر المغربية التي احتوت على مادة مهمة في الدراسة والاستدلال بالموضوع وذكرتها بعض الدواوين و الموشحات والأزجال الشعرية الأدبية والنوبات و الأسمار والأمثال الشعبية المتنوعة المغربية منها والأندلسية .
- المنهج الاستقصائي و الوصفي : هو أهم منهج لتطور تاريخ انتشار اللسان العربي و ما يميز اللسانيات التي تستخدم هذا المنهج العلمي .
- المنهج الاستنتاجي: من خلال قراءة متباينة بين المصادر الأدبية المشرقية و المغربية التي تناولت طريقة نشر الأدب العربي و تواصله الحضاري و أساليبه اللغوية المتنوعة و إعجازه و إبداعه بالأخص الفنون الأدبية المختلفة بالمغرب الإسلامي وكذا تتبع التطور التاريخي لانتشار اللسان العربي .

كان التكلم باللغة العربية قبل الفتح الإسلامي لا يتجاوز سكان الجزيرة العربية ، فضلا عن أجزاء يسيرة من العراق و الشام ، و لكن ما أن امتد الفتح الإسلامي ، و اتسع مداه حتى حلت اللغة العربية محل اللغات السائدة آنئذ ، فلقد حلت محل الفارسية في العراق و بلاد فارس ، و الرومية بالشام و القبطية بمصر ، و الفينيقية و اللاتينية البيزنطية بالشمالي الأفريقي ، يقول المستشرف رنان في كتابه (تاريخ اللغات السامية) : ".. إن انتشار اللغة العربية ليعتبر من أغرب ما وقع ، في تاريخ البشر كما يعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلها ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء ، فبدت فجأة على غاية الكمال سلسلة أية

سلاسة غنية أي غني كاملة ، بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العهد إلى يومنا ، أدنى تعديل فليس لها طفولة و لا شيخوخة ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة ، و لا ادري هل وقع مثل ذلك للغة من لغات الأرض قبل أن تدخل في أدوار مختلفة ..".

5 – خطة البحث : قد قسمت البحث إلى مقدمة و سبعة فصول و خاتمة بجعل :

الفصل التمهيدي : بمثابة مدخل عام للدراسة ، تطرقت فيه إلى **الأوضاع اللغوية في المغرب قبل الفتح الإسلامي** ، و دراسة أهم اللهجات المحلية ، ثم تتبع مختلف مجالات استعمال اللغة اللاتينية ، و استخداماتها في الشؤون الإدارية ، و على مستوى المعابد و تعاملاتها العامة السياسية ، و تنظيمات الجيش و الأسماء المنتشرة إلى جانب الكتابات المستخدمة في المقابر ، فقد نطق باللغة البربرية اللوبيون المعاصرون للفراعنة منذ 35 قرنا و تحدث بها أهل برقة القدماء الذين عرفهم اليونان بقريني ، و هي لغة الجيتوليين و النوميديين و الدوريطانيين الذين امتزجوا بالقرطاجيين من القرن التاسع إلى الثاني قبل الميلاد و قد اصطدم بهم الرومان أكثر من اصطدامهم بالقرطاجيين أنفسهم بفرض هؤلاء الرومان لغتهم اللاتينية على البربر بواسطة المدرسة و الإدارة و الكنيسة و دام سلطان الرومان ثمانية قرون فلما اضمحل ،كانت البربرية قائمة ، و عرف الرومان هذه اللغة البربرية و ميزوا بينها و بين البونيقية بل عرفوا أنها تنقسم منذ ذلك العهد إلى عدة لهجات ، و حدثونا عما كانوا يلاقونه من مصاعب شائكة في تعلمها و نفورهم من تعاطي دراستها ، فقال الكاتب الروماني فلينوس القديم متحدثا عن البربر "... يتعذر على حناجر البربر أن تستطيع النطق بأسماء قبائلهم و مدنهم ..." ، فنطق عناصر المجتمع المغربي: العربية ، ووقف البربر محافظين على القران بالعربية و فسروه فيما بينهم بالبربرية أولا ثم بالعربية ، و استمر بعد ذلك خصوصا بإسلام قبيلة أوربة البربرية ،كعامل اتخاذ البربر اللسان العربي بالغرب الإسلامي .

الفصل الأول : تناولت فيه **عوامل انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي** و إبراز العوامل السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية ، فان اللغة الفينيقية غزت المغرب ، و تمركزت فيه و قدر أن تعيش بعد سقوط قرطاجة ما يزيد على 06 قرون، فلم يذهب أثرها حتى جاءت العربية ، ويرجع الفضل للعرب غرس الإسلام في نفوس المغاربة غرسا لا يزول بزوال ملكهم ، و تمدنهم أجمع فان ما عثر عليه الباحثون اليوم ، من أثار لا يتجاوز بعض النقوش و الرسوم .

لاشك أن قدماء البربر قد قالوا الأغاني ، وخطبوا في مختلف الظروف كالولائم و الحروب و لم يسجلوا شيئا من ذلك لقلّة حظّ الكتابة عندهم و اختلاف اللهجات لم يعينا أدبهم على الانتشار ، و الوصول إلينا حتى نحكم له أو عليه ، فالأدب الذي لا يعتمد إلا على الحفظ و لا تتسع دائرته حظ الزوال حتما .

كما أن الشعب البربري ، ينحدر من السلالة البيضاء ذو لغة حامية سامية و حضارة أصيلة ، لا يستهان بها منعها الاستعمار الروماني ، و غيره من انتشارها مثلما كان الفينيقيون أمة سامية ، ينسبها المؤرخون إلى الشعب الكنعاني و اثروا في بعض الممالك و بلسانها ، فتعلم القرطاجيون من علومهم و مدارس تعلّم الفينيقية ففشت هذه اللغة في جميع البلاد ، حتى صار أهل سيرتا عاصمة نوميديا لا يتكلمون بغير الفينيقية ، و أصبحت هي اللغة الرسمية بدواوين الحكومة ، و لغة الأكثرية البربرية لا يجهلها عظيم تخلّق بالأخلاق الرومانية و لا أحد من البداة من البربر ، بحيث أن الرومان كانوا يحتاجون إلى مترجم عارف بالفينيقية ، عندما يضطرون إلى مخاطبتهم ، والقديس أوغسطين كان الأخر يحتاج ، عندما كان على رأس أسقفية بونة إلى أساقفة يحسنون هذه اللغة لبثّ التعاليم الدينية بها ، وقد عثر على نقود ووجدت كتابات بقالمة و قسنطينة و ميلة على أضرحة بهذه اللغة ، ويوجد بجهات سطيف وجبل أوراس و سور الغزلان كتابات بحروف لاتينية لأعلام فينيقية ولم تبق هذه الأخيرة ما كانت عليه أيام القرطاجيين و لابد من تغيرها و امتزاجها " بتمازيغت "و عندما استولى الرومان على قرطاجة وجدوا مكتبات كثيرة ، ودفعوا ما تحويه من الكتب إلى رؤساء النومديين مكافأة لهم بعد مساعدتهم لمحاربة القرطاجيين ، وبالتالي لم ينفر البربر من القرطاجيين و تأثر القرطاجيون بعقائد البربر .

إلى جانب دراسة عناصر المجتمع المغربي: من عرب وبربر ، فقد وقف البربر محافظين على القران بالعربية و فسروه فيما بينهم بالبربرية أولا ثم بالعربية ، ماعدا منطقة جليقية بالأندلس ثم أبرزت العوامل المساعدة على نشر الإسلام بالمغرب ، و دراسة سلسلة الهجرات العربية الهلالية للمغرب ، و مشاركتهم لعملية الفتح الإسلامي ، وبعد التغريبة الهلالية في برقة وكيفية تطورها في بلاد المغرب ، و استعراب المغاربة و أحوال تداولهم اللغة العربية أو أهم محطات انتشارها ، وفوائدها وأثار انتشارها ودراسة علوم الدين و الفقه و النوازل بالعربية ، و الصراع بين العرب و ألسنة المغاربة بالتواصل العربي المغربي ، في العلوم الأدبية كالتاريخ و السير ، الحساب الطب ، الفلك وما يتعلق بالعلوم الفكرية و اللغوية من بلاغة و تبليغ و الاتصال البشري ، و الدافع الديني والعلمية والثقافي ، فقد تعددت مظاهر الازدهار الحضاري ، لبلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي و من بينها اندماج و امتزاج البربر و الأمازيغ ، في الأمصار الإسلامية المتواصل و إثراء الحضارة الإنسانية

بعدد هام من العلماء و المفكرين ، و المبدعين فضلا عن تطور الفنون كالعمارة و الزخرفة ، وتأثير اللسان العربي الهلالي و بني سليم ذلك على التكوين القبلي و فكره بالمغرب ، فكان المجال الأدبي ضعيف ضئيل في أول الأمر لحداثة اللسان العربي.

كما يبين الأديب أحمد أمين علاقة ذلك بقوله : "...ربما كان الأدب على العموم أكثر الأشياء ، تأثرا بالبيئة ..." و لكنّ علماء الآثار والتاريخ و اللغات ، و من إليهم ، قد أهملوا المغرب ، لندوة المصادر في تقصياتهم عن أصول الحضارة البكر ، و ما تعلق بتاريخ نشأة أصول اللغات ، و تفرع و تزاحم لسانياتها .

الفصل الثاني :انتشار اللغة العربية أثناء الفتح وعصر الولاة دراسة العلاقة بين الفاتحين و السكان المحليين ، حيث فتح العرب المغرب (27 هـ/267 م) وجدوا اللغة البربرية منتشرة في الصحاري والجبال ، و الجزر و في المدن و القرى تزاحمها في الساحل الشرقي اللغة البونيقية ، أي الفينيقية المتأثرة باللهجات ، والنطوق البربرية وبقيت هذه اللغة بعد الإسلام وبعد إسلام البربر الذي حسن منذ القرن (1هـ /7م) و عدلت في الغالب عن الخط اللوبي القديم ، وكتبت بالحرف العربي و كتبت به تصانيفها الدينية الإسلامية ، وشعرها وحكاياتها ونوادرها وطرائفها ، ودرس المسلمون هذه اللغة العجيبة ، و صنفوا كتبا في المقارنة بينها وبين العربية و العبرانية واعتنى أصحاب المعاجم النباتية ، من الغافقي إلى ابن الجزار إلى ابن بيطار بإيراد التسميات البربرية للنباتات التي يصنفونها ، وبقيت هذه اللغة لفظ البلاط في الأسرة المالكة البربرية من صنهاجيين وحماديين و زناتيين و مرابطين وموحدين ، وضاع صيت اللسان العربي أرجاء الأمصار بدون عصبية أو تعصب .

عند دخول العرب افريقية سنة (50هـ / 670 م) عهد خلافة معاوية بن أبي سفيان بقيادة عقبة بن نافع الذي أسس مدينة القيروان سنة (51هـ /671م) ، و انتشروا في البلاد فأسلم أهلها ، وكانت لعقبة جولة ثانية بافريقية الشمالية ، و أسر أثناءها الزعيم البربري كسيلة ، فبعدما كان راجعا إلى القيروان أمر

الجيش الإسلامي أن يسبقه وأبقى معه حوالي 300 من أصحابه ، ولم يتفطن عقبة لفرار كسيلة من

معسكره ، وقد أساء معاملته ، فلم يحتمل كسيلة هذا الموقف ، وأخذ يجمع ما استطاع من الرجال و العتاد حتى كون قوة لا بأس بها و اعترض بها عقبة ، و جرت معركة أبلى فيها عقبة ، و أصحابه بلاء حسنا حتى استشهدوا جميعا سنة (63هـ /683 م) ، ولم يقتنع كسيلة بالقضاء على عقبة ، فتوجه إلى القيروان

و اخرج منها زهير بن قيس البلوي الذي تراجع إلى برقة ، حتى جاءه المدد من الخليفة عبد الملك بن مروان

عام (69هـ /688 م) ، و قصد القيروان ففر منها كسيلة فتبعه زهير ، و اشتبك معه في معركة انتهت بمقتله

فقل الخطر حينئذ على الجيش العربي ، وكانت ببلاد الأوراس امرأة تدعى دهيا من قبيلة جراوة تعرف بالكاهنة– أميرة الأوراس– وكانت تظن أن العرب يهدفون من وراء غزواتهم إلى الحصول على الغنائم و الأموال ، فراحت تحرق و تخرب و تتلف المزارع حتى لا يسعى العرب مرة أخرى إلى العودة إلى افريقية ، لما رأى الناس ما قامت به من التخريب ، و الإتلاف سخطوا عليها سخطا كان أهم أسباب انهزامها أمام جيش حسان بن النّعمان (81 هـ /700م) ، و تمكّن بعد ذلك حسان من قتلها في معركة أخرى (82هـ /701م) فأمن على أصحابها و أدخلهم في قوته العسكرية ، وعيّن أكبر أبنائها حاكما على قومها ، و في عهد الوليد بن عبد الملك سنة (85هـ /704م) عهد بولاية افريقية إلى موسى بن نصير ، فكان على يده الفتح الحقيقي لبلاد أمازيغ ثم فتح الأندلس وكان ذلك سنة (92 هـ/711م) إذ عبر طارق بن زياد مع جنوده المضيق بحماس و روح الاستشهاد في سبيل الله ، و نشر دعوته لاستكمال الفتح الإسلامي .

فأخذ العرب يفدون إلى المغرب الأقصى والأندلس ، فكثر مرورهم و اختلاطهم بين العرب و أهلها ، و اندمجوا بالعنصر العربي ولم يصعب ذلك ، و في عروق البربر يجري من الدم العربي ما يبث روح التآنس و التعايش ، أضف إلى ذلك أن لغتهم حامية سامية و العربية سامية و الإسلام قد سوى بين العنصرين العربي و البربري كأخوة ، أما الذين سبقوا العرب إلى هذه الأرض فكانت غايتهم استغلال الأهالي ، و استعبادهم ليس إلا ، فلا بدع إذا أن نجح العرب في تعريب البربر و إدخالهم الإسلام ، و أن خفق غيرهم في تكييفهم ، فمنذ وطئت رجل العرب ارض افريقية أخذ أهلها بالتمازج ، و التخاطب بتلابيب اللغة العربية بين بربر و أمازيغ و أعراق و أصول أخرى ، فأصبحت ثقافة افريقية مغربية عربية و لن يتم أو يكون إلاّ بلسان عربي مبين كما تطرقنا للجيش العربي و دوره في نشر اللغة العربية و الدواوين ، و استعمال اللغة العربية و المساجد و التعليم و الحياة الدينية على وجه الخصوص .

الفصل الثالث : تطرقت إلى دراسة **انتشار اللغة العربية في عصر بني رستم و الادارسة و الاغالبة**

لقد أثر العرب في الأندلس يرتبط بفتوح المغرب ، أي بحركة الفتوح الإسلامية ارتباطاً مباشراً ، فكانت وسيلة من وسائل نشر الإسلام ، و لقيت الدعوة الإسلامية قبولاً لدى أهل البلاد ، التي قام المسلمون بفتحها و من ثم قاموا بحمل لواء الدعوة لدى غيرهم من الشعوب الأخرى و تحمسوا لها ، و تأثروا بها بصورة كبير و قد تناول البحث حركة الفتوح الإسلامية لبلاد المغرب ، و أوردت فيه معلومات عن جغرافية بلاد المغرب من الموطن و التضاريس ، المناخ ، من عناصر السكان ببلاد المغرب قبل الإسلام ، و أحوال غرب البحر المتوسط

قبل الفتوح الإسلامية ، وبلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي ، كما تناول طبيعة الفتوح الإسلامية و أهدافها و مرحلتها الاستكشافية ، ودور عمرو بن العاص والي مصر في فتوح الجبهة الأفريقية بموقعة سبيطلة ، و فتح سوسة و جلولاء و مرحلة الفتح في الفترة (49 ، 55 هـ/ 669 ، 675 م) وولاية عقبة بن نافع الفهري و معركة تهودة ، و اكتمال الفتح في بلاد المغرب و محاولة زهير بن قيس البلوي لاستعادة النفوذ الإسلامي وولاية حسان بن النعمان الغساني في أفريقية ، و معركة قرطاجة و نتائجها ، و إخضاع المغرب الأقصى في ولاية موسى بن نصير ثم شخصية المغرب الإسلامية في خلافة عمر بن عبد العزيز ،كما أشرت سابقا و أبرزت آثار كل ذلك على بلاد المغرب و التي تمثلت في انتشار الإسلام واللغة العربية ثم تطرقت لأهم نتائج الفتوح الإسلامية لبلاد المغرب ، و لما انتقلت الخلافة إلى بني العباس (132هـ / 750م) ، و انتقل مركزها إلى بغداد بدأت حركات انفصالية في بلاد المغرب ، وكان قادة هذه الحركات في الأغلب من العلويين المطالبين بالخلافة ، و أول دولة أقامها الانفصاليون هي دولة الأدارسة التي أسسها بالمغرب الأقصى إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن على بن أبي طالب (169هـ/786م) وبويع بالخلافة (172هـ /789م) واستمرت دولة الأدارسة (375هـ /985م) حين أزالها الفاطميون و عندها تولى الأغالبة أمر البلاد (184 ، 296 هـ /800 ، 909م) فساروا خطوات أوسع و أعمق ، في نشر التعاليم الدينية واللغة العربية كما وجهوا في الحقل الإجتماعى عناية خاصة لتحضير البدو حتى ينتشلوهم مما يتعرضون له باستمرار من أسباب الفتن و الفوضى ، و لهم سياسة رشيدة حقا بعيدة النظر وقد استمرت دولتهم إلى أن أزالها الفاطميون في سنة (296 هـ / 909م) بزعامة أبي عبد الله محمد عبيد الله المهدي المغرب الأقصى و ما لبثت أن بسطت سيطرتها على كامل بلاد المغرب ، و اتخذت مدينة المهدية عاصمة وأسسها (300هـ/ 913 م) المهدي ، ودام بناؤها خمس سنوات و لما قوى نفوذ الفاطميين زحفوا على الشرق (358هـ/ 969م) فاستولوا على مصر و الشام و اليمن والحجاز، وأخذوا البيعة بالخلافة من هذه الأقطار ، وباستيلائهم على الشام هددوا الخلافة .

و لم يمض وقت طويل على استقرار الفاطميين في مصر ،و تأسيسهم مدينة القاهرة و الجامع الأزهر و جعلها عاصمة لهم حتى بدأ نفوذهم في المغرب يضعف، و يتلاشى ووجد عمالهم الصنهاجيون الفرصة سانحة ، فأعلنوا الانفصال عن الفاطميين(435 هـ /1043م) و تمكن يوسف بن بلكين من بسط سلطانه، وقد أشتهر من ملوك هذه الدولة الصنهاجية (و هي بربرية) باديس بن يوسف ، و ابنه المعز الذي حمل الناس بإفريقية على مذهب مالك ، وكان أكثرهم من قبل على مذهب أبي حنيفة أو شيعة ، وجاء بعد المعز

كابنه تميم الذي كان شاعرا كبيرا كما كان أبوه شاعرا أيضا ،و في عهد تميم ظهرت الانقسامات الخطيرة في البلاد ،و أصبحت كالأندلس تحت رحمة ملوك الطوائف ،وكان هذا الانقسام بعد زحف الهلاليين وبني سليم المشهور في التاريخ ،وبفعل هذين العاملين دخلت البلاد في عهد تدهور و انحلال طويلين .

و لهذا تعد بلاد الأندلس ،و صقلية من حيث تراثها الثقافي بلادا مغربية ، ثم انتشرت بعد ذلك شيئا فشيئا بواسطة المعلمين المبعوثين من طرف الخلافة الأموية في الشرق لتعليم العربية ،و الدين والقرآن للبربر وكما نوهت هنا أن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد أرسل بعثة مكونة من10 فقهاء حلوا بالقيروان في مطلع القرن (2 هـ / 8م) وقد ذكرنا سابقا ما قام به هؤلاء وغيرهم ،من دور عظيم لنشر العربية والدين الإسلامي التي ما زالت في بدايتها وكان عدد من الأمراء الأغالبة أنفسهم شعراء العربية كإبراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة الأغلبية ،و حفيده الأمير أبو العباس بن الأغلب .

ومن مشاهير شعراء العصر الأغلبي بكر بن حماد الزناتي في (3هـ / 8 م) ، و قد نحى في شعره منحى الزهد و التأمل ،وكان قد أرتحل إلى الشرق ،و التقى بأبي تمام ودعبل الخزاعي ثم عاد إلى القيروان .

أما القرن (4 هـ/10 م) الذي كان الحكم فيه بأيدي الفاطميين ،فقد اتسعت فيه النهضة الأدبية و بلغت شأوا بعيدا سواء في كثرة الأدباء أو مدى ما و صلوا إليه من تفوق ، و براعة في فن القول شعره و نثره على السواء .

الفصل الرابع : تناولت فيه **مظاهر العلمية و المذهبية في عهد الفاطميين و الزيريين** و مثلما رأينا العصر الأغلبي ، يبدأ بمؤسسه إبراهيم بن الأغلب نرى العصر الفاطمي ، يبدأ أيضا بمؤسسه عبيد الله المهدي (ت 322 هـ / 934م) ، و من الشعراء الكبار الذين يباهى بهم الشعر المغربي في الدولة العبيدية الشاعر المشهور ابن هانئ الأندلسي ، وقد لقبا بالأندلسي ، لأنه أقام بعض الوقت في هذه البلاد أما أبوه فمن المهدية ، و قد لازم المعز لدين الله الفاطمي ، و أخلص له الود و المدح ، و كانت مكانته عنده كما كانت مكانة المتنبي عند سيف الدولة وخلد وقائعه العظيمة في أشعار هو أشاد بأسطوله العظيم وسنجد تفصيل ذلك في ترجمة حياته أما ما يهم أن نذكره هنا ، فهو أن ابن هانئ قد غطى على جميع الشعراء المغاربة في عصره ، و بزهم في بلاط المعز ،و ما أكثر ازدحامهم يومئذ على هذا البلاط ، كما غطى المتنبي و بزّ كل الشعراء في بلاط سيف الدولة و من علماء اللغة العربية في هذا العصر نذكر أبا عبد الله محمد بن جعفر القيرواني ،و هو شيخ ابن رشيق ،و قد نقل عنه ابن رشيق في كتابه العمدة كثيرا من دروسه و محاضراته في اللغة و الأدب و من هؤلاء أيضا أبو عبد الله الخشنى الضرير ،و هو أيضا من شيوخ ابن رشيق وقد قال عنه : " .. أنه كان مشهورا بالنحو و اللغة مفتقرا إليه فيهما بصيرا بغيرهما من العلوم ، كما

كان شاعرا مطبوعا .." ، لم تكن حركة الشعر قد نضجت ، وحدها في المغرب بل قد ظهر و نضج إلى جانبها – وهذا من مستلزمات النهضات الأدبية – حركة نقد أدبي قوية بدأت أول أمرها نتفا لا قواعد لها في القرن الثاني ،ونضجت في القرن الثالث و بلغت أوج ازدهارها في القرن الرابع ،و منتصف الخامس و ليس ابن رشيق هو الوحيد من بين أدباء المغرب الذين اهتموا بهذه الناحية الهامة في أدب اللغة العربية ونعنى بها النقد الأدبي ،بل كان هناك أيضا زميله ابن شرف الذي يعد من أدباء المغرب الكبار ،قد ألف رسائل الانتقاد ، و هو عبارة عن مقامات يتحدث فيها بطلها عن الشعراء من المتقدمين و المحدثين ،فيصف أحدهم في قول قصير و يبين مزاياه ،وعيوبه في إيجاز و لكن ابن شرف فضلا عن أسلوبه، الذي هو دون أسلوب ابن رشيق لم يصل إلى منزلة ابن رشيق في النقد .

لعل من وسائل و عوامل انتشار اللغة العربية بالمغرب و الأندلس ، هو الوجود الهلالي و السليمي بالمغرب الإسلامي النهائي ، و استقرارهم الكلي أو الرسمي بما في ذلك الحروب و المعارك الدائرة بينهم ثم التحالف الزيري الهلالي و التحالف الحمادي السليمي و القضاء الموحدين على الهلاليين و تشتيت قبائل شملهم و أسباب انتشار اللغة العربية بافريقية و لأهمية الفتح الإسلامي الذي كان له أثر كبير على بلاد المغرب و أهلها في مختلف مناحي الحياة و التي تجلت في انتشار الإسلام و اللغة العربية فازدهرت علوم اللغة و الأدب فعرف أهل تلك البلاد فن الغناء ، و فن الموشحات و علم التاريخ و الجغرافيا و الفلسفة و العلوم الدينية ، فقد كانت لغة قدماء المغرب بسيطة ثم تطورت مع الأيام و تأثرت بلغات الأمم التي جاورت البربر أو استوطنت بلادهم ، و هي ذات لهجات كما يشاهد بين سكان الأمصار ، فهناك لهجة خاصة بزواوة تختلف في بعض مظاهرها عن لغة الشاوية و بني مزاب و التوارق ، و يطلق على هذه اللغة اسم تمازيغت ، و كان لها كتابة ، و من واضح الأدلة على و جودها حينئذ ذلك الخط الذي

عثر عليه في مختلف الجهات الشديدة الشبه بخط التوارق و كانت حروف اللغة البربرية تمثل رسوما ،

و كان الخط البربري يتركب من 10 حروف يسمونها " تيفناغ " أي الحروف المنزلة من عند الله

و أما الأشكال فهيّ 05 يسمونها " تيسد باكير " أي الدليل على العمل و التوسع

و هي بخلاف تيفناغ من وضع البشر و هذا الخط على قول المؤرخ " فوكولد " يستحيل تدوين الكتب به، و لم يبق له أثر في افريقية الشمالية سوى بالصحراء عند التوارق ويذهب بعض المؤرخين إلى أن الخط البربري حديث العهد يرجع اختراعه إلى مسنيسا في القرن الثالث قبل الميلاد ،وضعه على نمط الحروف

الهجائية الفينيقية ،ويؤيد ذلك أن مسنيسا عمل لئلا تكون دولته متخلفة بالنسبة إلى قرطاجة و روما و غيرهما من البلدان ، و يحدثنا عنه التاريخ انه حرص على تنمية شخصية رعيته و تدعيم استقلالها اجتماعيا

و ثقافيا و اقتصاديا بحيث أعالج أهمية اللغة العربية الأدبية ، و دورها في الحياة الفكرية و العلمية من الخط العربي، و اللهجة العربية و قبائلها العربية التابعة لها و أثرها ،و مظاهر الأدب العربي المغربي من القران و النثر و الشعر و القصص و الخطابة و الحياة الأدبية و العلوم العقلية و علوم اللغة و الفلسفة و دور الترجمة و التأليف نشاط و مظاهر انتشار اللغة العربية بالمغرب الإسلامي المذهب المالكي،ودوره في نشر اللغة العربية بحكم أن الجيوش التي غزت المغرب و الأندلس ، وكانت معظمها من الحجازين في طالعة عقبة بن نافع و موسى بن نصير بحيث أن الأندلس ،كانت مستقلة عن الدولة العباسية التي كان مذهبها الرسمي هو المذهب الحنفي ، ولهذا من الطبيعي أن يكون انتشار المذهب المالكي في الأندلس ،راجعا لتحقيق هذه النزعة الاستقلالية ،كما تمذهب القضاة في المغرب و الأندلس يدين بالمذهب المالكي ، ما يبين لنا أن دول الغرب الإسلامي تمسّكت بسياسة مذهب الواجب وهو المذهب المالكي ، قصد تجنيب هذه الدول الإسلامية شرور الفتن و الخلافات المذهبية وحفظت وحدتها الروحية ، وكانت أهمية الركب الحجيجي بالغة الأهمية من الأسباب التي ترجع إلى التواصل و انتقال النحاة و اللغويين ،و دورا محوريا في حمل العلوم العربية و نشاط و عناية المغاربة باللغة العربية ،و دور الكتاتيب في التربية و التعليم و نشر اللسان العربي في المغرب الإسلامي .

فإذا وصلنا للدولة الصنهاجية ،فقد وصلنا إلى ذروة الازدهار الذي بلغته الحضارة ،و الثقافة العربية و قد وصف أحمد أمين عصر الصنهاجيين بقوله :".. وفي الدول الصنهاجية كان العمران قد استحكم و الصلة بين المغرب و بين الأندلس و مصر ازدهرت .." أما ابن خلدون الذي كان أقرب لهذا العصر من المرحوم أحمد أمين فقد وصف عصر الصنهاجيين و ملكهم بقوله : "... كان ملكهم أضخم ملك عرف للبربر بإفريقية و أترفه و أبذخه .." .

و في عهد الفاطميين أنتشر مذهب الشيعة عن طريق الدعاية و التبشير ،و أحيانا عن طريق السيف والقوة ، و قد ازدهرت الحياة الأدبية والعلمية و الاقتصادية في عهدهم ،و اتسعت جوانب النهضة والحضارة التي أسسها الأغالبة من قبلهم

الفصل الخامس : مظاهر العلمية في عهد بني حماد و المرابطين فقد شهد المغرب الإسلامي نهضة علمية ،تبرز معالمها من خلال تعدد مراكز العلم ، بمعسكر القرن بالقيروان و جامع الزيتونة بتونس و جامع القرويين بفاس و جامع قرطبة بالأندلس ،و قد اشتهر الولاة و الأمراء بحذقهم للعلوم و اللغات و الفنون و الآداب مثل إبراهيم بن الأغلب الذي أجاد الشعر و البلاغة ، و المعز لدين الله الفاطمي الذي تكلم عدة لغات كالبربرية و الرومية و السودانية ،و برز في إفريقية العديد من العلماء المتخرجين من جامعة القيروان فاشتهر في اللغة و الأدب ابن الطرماح و أحمد اللؤلؤي و محمد بن جعفر القزاز و في الفلسفة أبو بكر

القمودي و سعيد بن الحداد ، كما تأسست بالقيروان مدرسة للطب و اشتهر فيها عدد من الأطباء مثل إسحاق بن عمران و محمد بن الجزار و خاصة أحمد بن الجزار صاحب كتاب زاد المسافر كما تطور علم الجغرافيا و استغل في أغراض تطبيقية كالتجارة و علم التاريخ و الأنساب و قد اشتهر فيه ابن حيان و ابن حزم القرطبي و القاضي النعمان و ابن منظور القفصى (630 ، 711هـ /1232 ،1311 م) له معجم لسان العرب الذي يعتبر أكبر موسوعة في مادة اللغة العربية و ابن رشيق (385 ، 456 هـ /995 ، 1064) صاحب العمدة التي تعتبر أول محاولة في العربية وضعت أسس النقد الأدبي الصحيح و ابن طفيل (592هـ /1185 م) صاحب قصة حي بن يقظان ،التي تعد أول قصة فلسفية كتبت بالعربية و من هؤلاء الأعلام العباقرة نذكر الحصرى صاحب زهر الآداب ،و يعد من أضخم المصادر لتاريخ الأدب العربي و ابن ظفر هو أول من ألف في أدب الأطفال .

كما أفرزت الحضارة الإسلامية ببلاد المغرب ،عالما اشتهر بمؤلفاته الجغرافية رغم أنه كتب في علم النبات و الأدوية ، و هو الإدريسي الذي ولد بمدينة سبتة في المغرب الأقصى أواخر القرن (5 هـ/11م) و تنسب عائلته إلى الأشراف الأدارسة العلويين ، ودرس في قرطبة ثم تنقل في عدة بلدان ،و ألّف عدة كتب من أهمها " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " و" الأدوية المفردة " وأسس الإدريسي جغرافيته على مفاهيم

علمية صحيحة أهمها كروية الأرض ،ووجود خط الاستواء وتجاوز الإشعاع العلمي لبلاد المغرب حدود المنطقة الإفريقية ، حيث انتقل الإدريسي إلى جزيرة صقلية ،و عاش في قصر ملكها روجار الثاني الذي كلفه بتأليف كتاب مهم و شامل في وصف مملكته و البلدان المعروفة في ذلك العهد ، و قد أشار ابن خلدون إلى تلك العلاقة حينما كتب " ... و نحاذي بذلك ما وقع في كتاب نزهة المشتاق الذي ألفه العلوي الإدريسي الحمودي لملك صقلية الإفرنج ، وهو روجار بن روجار عندما كان نازلا عليه بصقلية ...." وكان تأليفه للكتاب في منتصف المائة السادسة وجمع له كتبا جمّة للمسعودي و ابن خرداذبة و الحوقلي و ابن إسحاق المنجّم و بطليموس والعذري و غيرهم ..." ، ابن خلدون ، المقدمة ، (ص 68) ثم التطرق إلى أصول اللغة العربية و أنواعها ، و الخط العربي الشامي المنتشر و تنوع اللهجة العربية و المغربية و مظاهر أخرى للأدب العربي من فقه و تفسير و أحكام للقران و ألوان النثر ،و قوافي الشعر و القصص و الخطابة و شتى فنون الإبداع اللغوي في اللسانيات الراقية و البلاغة اللغوية .

الفصل السادس : تطرقت لدراسة **هجرة بني هلال و انتشار اللغة العربية** بقيام العرب بالفتوحات ، أسسوا دولا واسعة الأطراف شرقا ، ثم فتحوا غربا

مصر ، ثم بلاد الأمازيع فالأندلس ، و لكن فتحهم يخالف فتوحات غيرهم ، فهو فتح ثقافي اذا جاءوا بكتاب و غايتهم تلقين ما في القران من دين وأخلاق ، و تطبيق ما فيه من سياسة وثقافة و لغة هذا الكتاب العربية التي انتشرت بسرعة مدهشة ولا غرو في هذا الانتشار السريع ، فله أسبابه ، فهي قبل كل شيء لغة راقية لغة دين و علم و فن ، ثم أن شقيقتها الفينيقية التي سبقتها إلى هذه الديار مهدت لها السبيل و لا ننس أن الأمازيغ من سلالة عربية لم ينفروا البتة من اللغة الداخلة ، بل وجدوها أرفع من لغتهم تؤدي ما يطلب منها أكثر من لغتهم و هي علاوة على ذلك ، لغة دينهم الجديد الإسلام وقد تطرقت بالتحديد إلى الوجود الهلالي و السليمي بالمغرب الأوسط و التحالف الزيري الهلالي و التحالف الحمادي و السليمي ثم الصراع المحتدم بينهما الزيري الحمادي ثم قضاء الموحدين على الهلاليين و تشتيت قبائل شملهم .

بالرغم أن بني هلال و بني سليم شكلوا أكبر القبائل المهاجرة إلا أنها ضمت قبائل هوازنية أخرى كشجم و سلول ودهمان و المنتفق و ربيعة وخفاجة و سعد وكعب و سواءة وكلاب و قبائل قيسية كفزارة و اشجع و عبس و عدوان و فهم و قبائل مضرية كهذيل و قريش و تميم و عنزة بل و قحطانية و قد كان بنو هلال و بنو سليم ، و من جاء معهم من القبائل يقيمون في المنطقة الممتدة بين الطائف و مكة و بين المدينة و نجد ، و شاركوا في الفتوحات العربية الإسلامية ، إلا أنهم احتفظوا بثقلهم و طابعهم البدوي في الجزيرة العربية حتى تاريخ هجرتهم (440 هـ/1033 م) و استقرت هذه القبائل في افريقية ، و شاركت هذه القبائل في الحروب و الصراعات السياسية و العسكرية التي قامت في المنطقة و في حوض المتوسط وكان لها الأثر الحاسم في تعريب شمال أفريقيا ، فيما يصفها ابن خلدون "... بانتقال العرب إلى أفريقيا ..." ، أي زحف بني هلال و بني سليم على افريقية سنة (442 هـ /1031م) أي دراسة عامة للهلاليين في المغرب الإسلامي أولا بالمغرب الأدنى و المغرب الأوسط و المغرب الأقصى ،ثم في عصر الفاطميين (296 ، 365هـ / 909 ، 976 م) كانت بلاد المغرب التي قامت على أكتافها الدولة الفاطمية الشيعية في حالات مد و جزر لإعلان استقلالها و تمكن أخيرا المعز بن باديس الصنهاجي (440 هـ /1048م) بإعلان الانفصال و التبعية للخلافة العباسية ، و اتبع هذا الإعلان قطع الخطبة للخليفة المستنصر الفاطمي ،و حرق بنوده الخضراء ، و الدعوة على منابر إفريقيا و عصر الزيري إلى غاية عصر الصنهاجيين و التقارب الهلالي الصنهاجي ثم عصر الحماديين (398هـ/ 1007م) و التقارب الهلالي الحمادي و عصر المرابطين (441 ، 541هـ /1032 ، 1146 م) و الموحدين (541 ، 667 هـ /1269 ، 1147م) وقد ساهم الغرب الإسلامي مساهمة فعالة في إثراء الحضارة الإسلامية خاصة المجال الأدبي ،فبرز العديد من اللغويين و يذكر ابن خلدون : " .. ما زلنا و نحن بالمغرب نسمع أنه

ظهر بمصر عالم بالعربية ،يقال له ابن هشام الأنصاري أنحى من سيبويه (ت 170 هـ/ 787م) .. " وما أهمية اللغة العربية بعدما استهجنت بالعجمية ،و اختلطت و تبلبلت و يذكر قول علي كرم الله وجهه لأبي أسود الدؤلي ، لما رأه يتقن النحو، و معجبا به بتمكنه من ناصية النحو : "..على هذا النحو انحوا... " فسمي بالنحو و اهتم المفكرين باللغة مثل ابن رشد (530هـ /1126 م) الفقيه القاضي الفيلسوف و الطبيب الذي ولد بقرطبة ،و عاصر الفيلسوف ابن طفيل الطبيب ابن زهر ، و عاش ابن رشد بين الأندلس و المغرب الأقصى ،و ألف العديد من الكتب أهمها : تهافت التهافت و فصل المقال فيما بين الشريعة و الحكمة من الاتصال و الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة والكليات في الطب ،و صنّف فيه ابن رشد الأدوية حسب فعالياتها و آثارها كما شرح ابن رشد فلسفة أرسطو .

الفصل السابع " آثار انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي " نتطرق فيه إلى نتائج انتشار اللغة العربية على المغرب الأدنى و المغرب الأوسط و المغرب الأقصى و إبراز لأهم النتائج و المظاهر التغير و التخاطب و الاتصال ، فالبحث في الأصول اللغة العربية و الأعراق اللغوية ،و ألسنتها لهو خطاب حربي و أطروحة الهوية ليس لنا الجزم بها في العلم من تأكيدها بتعدد اللسانيات ،و اشتباكها بحكم ماله من امتزاج ، ما بين اللغة العربية و سائر اللغات و اختلاط فيما بينها ولهجاتها منذ قرون طويلة ،و ختاما للدراسة في الفصل السابع حاولت الإلمام ببعض حيثيات "آثار انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي " سياسية – اقتصادية – اجتماعية – ثقافية ...فقد كان زحف بني هلال على" افريقية " المغرب الإسلامي ذا تأثير عظيم على الحياة الاجتماعية و الثقافية و السياسية .

ما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها ، فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية ،و ليست منزلتها الروحية هي وحدها ،التي تسمو على ما أودع الله في سائر اللغات الأخرى من قوة و بيان ، أما السعة فالأمر فيها واضح ،و من يتتبع جميع اللغات لا يجد فيها على ما هو معروف ،لغة تضاهي اللغة العربية ويضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات ،و تزّين الدقة و وجازة التعبير لغة العرب .

أما الخاتمة : فكانت حوصلة من نتائج ، ما أفرزه البحث و من ثم لابد من الإشارة إلى أهم المصادر و المراجع التي استقى منها البحث مادته و يمكن إدراجها باختصار :

المصادر و المراجع : اعتمدنا في البحث على مجموعة من المصادر و المراجع و أهمها :

أولا – المصادر: أعلى درجة البلاغة و البيان :" **القران الكريم** " و لعل من أبرز المصادر العربية " **بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لإبن عذارى المرّاكشيّ (ت 706 هـ / 1306 ، 1307 م)** تناول فيه تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي وفتح عمرو بن العاص و في فتح مدينة سبرت (صبراتة) و القيروان و قد أفادنا المصدر في تحديد أصول بعض قبائل البربر ، كما تناول دور الدعوة الشيعية و نجاحها في بلاد المغرب ، و تحدث عن حال تاهرت بعد سقوط الدولة الرستمية، وعن الانتفاضات الإباضية في إقليم طرابلس وعن العلاقات الزيرية الفاطمية وما ترتب عنها من قطع المعز بن باديس للخطبة للفاطمين في بلاد المغرب وبعضهم يرى أنه قد كتب في القرن (4 هـ/10م) وقام بترجمته المؤرخ الإسباني لا فونتي القنطرة (La Fount) سنة (1285 هـ /1867م) و على العموم هذا المصدر قد ساعدنا كثيرا في إثراء الجانب الأدبي و اللغوي خاصة الجزء الثاني و الثالث و كتاب" **نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب" لمؤلفه المقري التلمساني (ت1041 هـ /1632م)** هذا المصدر الذي أفادنا كثيرا تاريخيا أدبيا ،كما اعتمدنا على المصدر كتاب "**المعجب في تلخيص أخبار المغرب " لعبد الواحد المرّاكشيّ** إذ يلخص تاريخ المغرب و الأندلس خاصة تطور اللغة و " **تاريخ افتتاح الأندلس**" لإبن القوطية (ت367هـ /977م) الذي قام بتحقيقه الدكتور إسماعيل العربي ،كما اعتمدنا على مصدر لأبي عبد الله البكري (**ت 486 هـ / 1094م**) " **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** " و **عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم (187 ،207 هـ /803 ،871م**)، " **فتوح إفريقية و الأندلس**" و يعتبر هذا المصدر من أقدم المصادر العربية التي أرخت للفتح العربي في بلاد المغرب.

– كتب التراجم: منها كتاب" **الصلة** " لإبن باشكوال و هذا الأخير قام بترجمة للحكام و الأئمة ، كما اعتمدنا على كتاب ابن الآبار (595، 658 هـ /1199، 1260م)" **الحلة السّيراء** "ومن السّير نجد إبن حزم الأندلسي **الأخلاق والسيّر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** و قد ذكر العديد من و كتاب "**بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**" لمؤلف الضبي وكتاب" **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**"للمؤلف الحميدي (ت488 هـ/1095م) **و** محمد لسان الدين بن الخطيب " **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** " و إضافة إلى مصادر متخصصة في ترجمة القضاة من بينها " **قضاة قرطبة** " للخشني وله أيضا " **طبقات علماء افريقية** " عند ذكر بعض التراجم المختلفة وكذلك الكتاب الخاص بالقضاء " **تاريخ قضاة الأندلس** " للنباهي .

و كذا ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي " **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب** " و " **تاريخ مدينة فاس** " و ابن أبي أصيبعة " **عيون الإنباء من طبقات الأطباء** " تحقيق نزار رضا و " **تاريخ علماء الأندلس** " لابن الفرضي (351 ،403هـ/ 962 ، 1013م) حققه إبراهيم الأبياري و "

أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمراءها رحمهم الله و الحروب الواقعة بهم لمؤلف مجهول " و قد حوى هذا المصدر على معلومات هامة دقيقة (350 هـ/951م) و ابن دينار أبي عبد الله بن محمد القيرواني في كتابه " **المؤنس في أخبار إفريقية و تونس** " .

– **كتب التاريخ العام** : و تأتي في مقدمتها "**الكامل في التاريخ** "لابن كثير (ت630 هـ/1232م) خاصة المجلد السادس والسابع بالإضافة إلى " **مقدمة** " ابن خلدون (ت808هـ /1405م) وكتابه " **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر** " خاصة المجلد الرابع ، و ذكر بالمقدمة فصل في أن الخط و الكتابة من عداد الصنائع الإنسانية "... البدو أميين لايكتبون و لا يقرؤون .." و مصطفى الصادق الرافعي في " **تاريخ آداب العرب** " .

– **كتب الأدب** : و تأتي في مقدمتها كتاب الجاحظ (159، 255 هـ/ 775، 868م) "**البيان و التبيين** "و كتاب " **الأمالي** " لأبي علي القالي و " **العقد الفريد** " لابن عبد ربّه في الجزء الثاني و عبد الله كنون " **النبوغ المغربي في الأدب العربي** " و بحكم الدراسة أنها تهتم بنشر اللغة اللغة العربية في المغرب و الأندلس من حيث جانب التاريخ السوسيولسانية و مرونتها و عقلانيتها و فصاحتها و أسباب خلودها و جلال الدين عبد الرحمان السيوطي (ت911 هـ/1505 م) في **شرح عقود الجمان في علم المعاني و البيان** و بهامشه : " **حلية اللب المصون على الجوهر المكنون** " للشيخ أحمد الدمنهوري .

– **كتب الجغرافيا** : منها " **صورة الأرض** " لابن حوقل و كتاب" **الجغرافيا** " لإبن سعيد المغربي و **تقويم البلدان** لأبي الفدا و محمد بن عبد الله بن بطوطة (ت 779هـ/1377م) في كتابه الرحلة الشهيرة رحلة ابن بطوطة المسماة " **تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**"و إلى جانب ذلك المسعودي (ت 346 هـ/957 م) في مؤلفه "**مروج الذهب و معادن الجوهر**" الجزء الثاني و أيضا " **التنبيه والأشراف** ".

ثانيا– المراجع :

1– المراجع باللغة العربية : فنجد أهمها موسى لقبال رحمه الله " **المغرب الإسلامي** " و أحمد عثمان كعاك في كتابه " **البربر**" و المستشرق الاسباني أنخيل جنثالث بالنثيا صاحب كتاب " **الفكر الأندلسي** " و إحسان عباس صاحب كتاب " **تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف و المرابطين** " وجورجي زيدان في " **تاريخ آداب اللغة العربية** " و عبد العزيز سالم في **تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس** " و كتابه الثاني بعنوان" **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس** " و يصور فيه الغزوة تاريخ الدولة العربية .

و أيضا " **دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة** " و منتغمري وات في كتابه " **تاريخ إسبانيا المسلمة** " وستانلي بول " **قصة العرب في إسبانيا** " وألبير حبيب مطلق " **الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف** " و محمد عبد الله عنان " **دولة الإسلام في الأندلس و الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال دراسة تاريخية أثرية** " إلى جانب هذا المؤلف سعد بن عبد الله البشري صاحب كتاب"**الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس** (**422** ، **488**ه/**1030** ، **1095**م)" و في إبراز النشاط العلمي و الفكري وويل ديورانت " **قصة الحضارة** "وكتاب " **الحضارة و الثغر الأندلسي في عصر المرابطين و سقوط سرقسطة في يد النصارة سنة** (**512**ه / **1118**م) " وكذلك كتاب لصّعيدي عبد الفتاح " **الإفصاح في فقه اللغة** " .

و نجد علي حسين الشطشاط" **تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة** " وليفي بروفنسال " **الإسلام في المغرب و الأندلس** " قام بترجمته : عبد العزيز سالم و محمد صلاح حلمي و عبد الفتاح الفضل في مؤلفه المهم جدا اذ يوضح لنا ارتباط الخط العربي بلغته عنونه " **انتشار الخط العربي في العالم الشرقي و العالم الغربي** " وهو كتاب علمي تاريخي اجتماعي مزين بخطوط و الرسوم يبحث في تاريخ الخط العربي قبل الإسلام و أسباب الانتشار و علاقة الأدب بمحافظة الأمم على الخطوط وما ورثه الخط العربي ، و المؤرخ إسرائيل لفنتوف في كتابه "**تاريخ اللغات السامية** " و جلّها ساهمت في توضيح و إعطاء صورة عن النشاط ، و مظاهر انتشار اللغة العربية و آثار و تأثير حركة التعريب العلمية و الفكرية لأهل المغرب .

2- المراجع باللغة الأجنبية :

1 - Salem chaker. manuel de linguistikue berbere. syntaxe et diachronie. Enag- editions . alger.1996
2 - Marc bloch . la france sous les derniers capetiers capetiens 1223 – 1328 . Paris .1958 .
3 - Rachid bourouiba . ibn tumart . alger . 1974 .
4 - Rachid bourouiba . Abd al - mu'min . alger . 1982 .
5 - G . b . bury. the cambridge medieval history . volume 5 .edited by g.r. tanner. cabridge . 1968 .
6 - Henri pirenne . les vi lles du moyen age . maurice la mertin. Editeur . coudenberg .1927.

7 - Henri pirenne . les villes et les institutions urbaines . tome 2 . imp. G. michels – broeders. Tongres novlvelle societe d'editions . bruxelles . paris. 1939 .
8 - Gustav lebon. La civilisation des A rabes.
9 - Heider Bammate te .visages de I 'islam .
10 - Toufik Fahd. la divination arabe.
11 - Murad wilfried hoemann. Journal d'un musulman Allemand
Moncef chelli .la paraole arabe.

ثالثا – المعاجم : أما عن المعاجم فتم استخدامها في التعريف بما ذكرناه من الأعلام و المناطق منها : خير الدين الزركلي في معجمه الأعلام وشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت626 هـ/ 1229م) "**معجم البلدان** " وتحديد العديد من المواقع و البلدان والتعريف بها سواء كان ذلك جغرافيا أم تاريخيا و" **قاموس المحيط** " لفيروز أبادي و "**لسان العرب** " لابن منظور و كتاب " **العين** " للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ/ 792م) هو أول معجم عربي يؤلف في اللغة العربية في هيكل الكتاب و تقسيماته .

كما أن هذه المعجم لم يؤلف لغرض تسجيل لغة البداوة ولكنه ألف لغرض تسجيل لغة البداوة و لكنه ألف ليسجل التطور الحاصل في اللغة بالاختلاط الاجتماعي ، و تبدل البيئة و ظهور المستجدات التي اقتضت ظهور ألفاظ جديدة بالاشتقاق أو الافتراض ولذلك فمن الواجب اهتمام بلغة الأمصار ، إضافة إلى ملاحظة القراءات المختلفة لبعض الآيات كما وردت في مصاحف الصحابة و سجلات و الرسائل و على جدران الكعبة الشريفة .

رابعا – الموسوعات و الأطالس: في الغالب استخدمناها للتراجم و السير من الصحابة والفاتحين و البلغاء و اللغويين و الفقهاء اللغة و الأولياء و معرفة أهم البواطن القبلية و المناطق الجغرافية ، و بعض الأعلام مثل الفلاسفة و الأطباء ولعل أبرزها: محمد شفيق غربال بعنوان **الموسوعة العربية الميسرة** وكذلك محمد حمدي زقزوق في موسوعته الدينية الشاملة **الموسوعة الإسلامية العامة** وحسين مؤنس **أطلس تاريخ الإسلام**.

الرسائل الجامعية و المقالات: من بين أهم هذه المقالات نجد مقال ثري جدا لنور الدين مداح **علم أصول الفقه بالأندلس من الفتح الإسلامي إلى القرن الثامن الهجري** المنشور في مجلة رسالة المسجد في عددها الثاني (1430هـ/ 2009م) والدكتور ناصر الدين سعيد وني في مقاله مدرسة بجاية بالمغرب **الأندلس قرون من التقلبات و العطاءات** ، وهذا المرجع يبين المظاهر والآثار الحضارية للغة العربية ، و نقلها بنظيرتها بحواضر العدوة بالمغرب الإسلامي .

أما عن الصعوبات فلا أريد أن أتكلم عن عوائق المهمة بحكم عدم تمكني من ناصية البلاغة اللغوية الأدبية و النحوية بحكم أن الدراسة من باب تاريخي وتستحق التعمق في الاختصاص الأدبي و فقهه ,تتطلب عناء و مشاكل ذاتية قد تصادف كل من يلج في البحث و الارتياد ميدان التاريخ الإسلامي ، لكن لا يمنع أن أتعرض لمشكلة أساسية إلى جانب ضيق الوقت و نأسف للتعسف الإداري للنظام التقليدي السائد للمكتبات .

في الأخير نتمنى أنا كنّا موفقّين بما تناولته أيدينا و أفهامنا من بعض المصادر و المراجع اليسيرة بالدرس و التحليل ، لا نزعم فيه الإلمام بجميع الحيثيات بل نتوخى فيه المساهمة بما أمكننا الله أن نسهم به في التعريب بالمغرب الإسلامي و هوية المغرب الإسلامي اللغة العربية و محاولة منا رفع الردم عن كثير من كنوز و سحر البيان اللسان العربي و إثراء الدراسات التاريخية وخدمتها للأدب العربي ومواكبتها للدراسات اللغوية.

الفصل التمهيدي : الأوضاع اللغوية في المغرب قبل الفتح الإسلامي .

أولا : اللهجات المحلية

ثانيا : مجالات استعمال اللغة اللاتينية

1- الإدارة

2- المعابد

3- التعامل العام

4- المقابر

5- الجيش

الأوضاع اللغوية قبل الفتح الإسلامي

أولا : اللهجات المحلية

كانت اللغة العربية محصورة قبل الإسلام في شبه جزيرة العرب[1] ذلك أن جزيرة العرب منبع اللغة العربية [2] و لم يتسع نطاقها إلا منذ ظهوره فلما انتشر الإسلام انتشرت معه لأنها لغة الرسول صلى الله عليه وسلم و أصحابه ، لغة القران الشريف الذي كان لها قاموسا إلهيّا لا تبدل كلماته و لا تنسخ آياته ، لغة الحديث وسائر كتب الدين ، فهي على العموم لغة الإسلام يجب أحياؤها لإحيائه ، فجعلها المسلمون الأولون لغة الدين و الدولة فانتشرت في البلاد التي ساد فيها العرب أو دخلها الإسلام و أخذت في الانتشار إلى أن ملأت الخافقين فتغلبت على ألسن تلك البلاد الأصلية و أخذت تغالب لغاتها حتى أماتتها و قامت على أرماسها فتعربت .. فصاروا لا يستخدمون في الإنشاء و التأليف غيرها و أقبل العلماء من غير العرب عليها أيما إقبال فبرعوا فيها حتى فاق كثير منهم العرب أنفسهم ، ولا غرو فقد ابتدأت وحدة الدين تستدعي اللسان فلذلك أصبحت العربية هي لغة المسلمين ، لغة العلم عندهم و الدين ، فلا يبرّز في علومه من لم يتعلمها ، ولا يفهم الكتاب و السنة من لم يحكم بيانها ، فكانوا على اختلاف لغاتهم يتفاهمون جميع العلوم الإسلامية و الآداب الدينية بها ، و لذلك كثرت الألفاظ و التراكيب العربية في لغاتهم جميعا و خصوصا الفارسية و التركية و الهندية منها ، فقد اقتبست هذه اللغات من آدابها شيئا كثيرا ينم على ما

---

[1] شبه جزيرة العرب : أفضل البلاد المعمورة من شق الأرض الشمالي إلى الجزيرة ، وهي الجزيرة التي يسميها بطليموس (ماروي) تقع على أربعة أقاليم ، من عمران الشمال إلى الخامس ، فجنوبيها : اليمن ، وشماليها : الشام ، وغربيها : شرم أيلة وما طردته من السواحل إلى القزم و فسطاط مصر وشرقيها : عمان و البحرين و كاظمة و البصرة ، و موسطها : الحجاز و أرض نجد و العّروض , و تسمى جزيرة العرب ، لان اللسان العربي في كلها شائع و أن تفاضل و مبتدأ عرضها – على ما يقول الحسّاب – على ساحل عدن اثنتا عشرة درجة ، و ظل رأس الحمل في هذه المواضع : أصبعان و نصف عشر أصبع ، وما يشرع منها بالشام على عرض اثنين و ثلاثين جزء و سبع أصابع ونصف من الظل : بيت المقدس ، وما يشرع منها على عرض ثلاثة و ثلاثين جزءا وثماني أصابع إلا خمسا من الظل : الرّملة من فلسطين وسلّميّة و بعلبك – معربة باعل بك –و قيساريّة و صيداء و الأنبار و بغداد من ناحية العراق ، وما شرع منها عرض أربع و ثلاثين و ثماني أصابع و شر من الظل : حمص وعانات و صور و سّر من رأى من ناحية بابل ، وما شرع على عرض خمس وثلاثين وثماني أصابع و خميس من الظل : منبج و حلب و أذنة و أنطاكية و قنّسرين ومما يصالي المشرق بابل بخت نصر ، وأما أول أطوالها من المشرق ، فعلى البصرة و ما أخذ أخذها جنوبا ، وهو مئة درجة و سبع درجات ، تطلع عليها الشمس بعد طلوعها على خط الاستواء الطولي ، أنظر : لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي ، ط ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، (1410 هـ/ 1990م) ، ص 39- 40 ، أنظر : شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، ط24 ، دار المعرفة ، 2003م ، ص 17-18 ، كذلك : مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ج12، طبع في لبنان ، بيروت – لبنان ، 1998م ، ص 66.

[2] أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج1 ، ط7 ، مذرمة الطبع و النشر ، القاهرة ، (1351 هـ/ 1933م) ، ص 289.

لآداب اللغة العربية [1] فلغات الأمم الإسلامية على العموم قد تأثرت تأثيرا محسوسا بذلك اللسان العربي المبين فيما استعارته من الألفاظ [2] على أن تأثير اللغة العربية فيها كبير جدا [3] .

الجزيرة العربية بمعزل عن بلدان العمران ، هل تأثر العرب بحضارة الأمم السامية الأخرى ؟ [4]

إن تاريخ شبه الجزيرة العربية القديمة كتاريخ البلاد العامة بصفة شاملة محكوم بوجودها الجغرافي المشترك [5] و هي تلكم الأرض المباركة ، التي اكتسبت شرف الإضافة إلى سكّانها ، المحفوفة حواشيها بثلاثة أبحر ، صيانة لها عن تكاثر الدّخلاء عليها ، كما في حمدلة أعرابيّ ذكرها الجاحظ في " البيان و التّبيّن " : " الحمد لله الذي جعل جزيرة العرب في حاشية ، وإلاّ ، لدهمت هذه العجمان خضراءهم " .

و (الجزيرة) : ما جزر عن البحر ، قال ابن دريد : " سمّيت جزيرة ، لانقطاعها عن معظم الأرض " [6] و هي جزيرة العرب التي صارت في قسم من انطق الله تعالى باللسان العربي حين تبلبلت الألسن [7]

في بيان ما يقع اسم العرب و ذكر أنواعهم وما ينخرط في سلك ذلك ، أما من يقع عليه اسم العرب فقد قال الجوهري في صحاحه : العرب جيل من الناس ، وهم أهل الأمصار ، والأعراب سكان البادية ، والنسبة إلى الاعراب أعرابي ، والذي عليه العرف العام إطلاق لفظة العرب على الجميع ، وقد ذكر صاحب " العبر " أن لفظة العرب مشتقة من الأعراب .. بل أهل المغرب إلى الآن يطلقون لفظ العجم على الروم و الفرنج و من في معناهم ، أما الأعجم فانه الذي لا يفصح في الكلام و إن كان عربيا [8]

كيف نشأت علوم اللغة العربية ؟ [9]

(1) عبد الفتاح عباده ، انتشار الخط العربي في العالم المشرقي و العالم العربي (دط) ، مطبعة هندية بالموسيتكي ، مصر ، 1915م ، ص 96 - 97 .

(2) عبد الفتاح عباده ، المرجع السابق ، 98 ، محمّد سهيل طقّوش ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار النفائس ، ط ، لبنان ، 2009م ، ص108.

(3) إسرائيل ولفنسوف ، تاريخ اللغات السامية ، ط 1، مطبعة الاعتماد ، مصر ، (1348ه / 1929م) ، ص 159.

(4) عرفنا من قبل أن حروف اللسان العربي ، تتكون من تسعة و عشرين حرفا ، رتبها علماء اللغة السابقين (نصر بن عاصم الليثي) على أساس التجانس و التشابه بين الحروف وبعضها ، أنظر : فخري محمد صالح ، اللغة العربية أداء و نطقا و أملاء و كتابة ، (دط) ، مطابع الوفاء ، المنصورة ، 1986م،ص 25 ، انظر: محمود عرفه محمود ، العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم، ط ، مطابع دار روتابرينت ، القاهرة، 1995م،ص 13،أنظر: جلال الدين السيوطي ، الأخبار المروية في سبب وضع العربية ، تحقيق : عبد الحكيم الأنيس،ط، دبي ،2011م ،ص28.

(5) اغناطيوس غويدي ، ترجمة : إبراهيم السامرائي ، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام ، ط ، دار الحداثة للطباعة والنشر و التوزيع ، لبنان ، 1986م، ص 16 ، أنظر : عبّاس علي السّوسوة ، فقه اللغة و الثقافة العربية ، دار غريب ، القاهرة ، 2009م ، ص105.

(6) بكر بن عبد الله أبو زيد ، خصائص جزيرة العرب ، ط 3 ، مطابع أضواء البيان ، الرياض ، (1421ه / 2000م) ، ص 13.

(7) اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، القسم 1 ، (دط) ، القاهرة ، 1963م ، ص 53.

(8) أبي العباس أحمد القلقشندي (756-861ه / 1345- 1445 م) ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، (1400ه / 1980 م) ، ص 11.

(9) سالم علوي ، شجاعة اللغة العربية (أبحاث و دروس في فقه اللغة) ، (دط) ، دار الأفاق ، (دس ط) ، ص 14.

بقيت اللغة البربرية هي السائدة في العصور الوسيط في الجبال و الوديان و عند الفلاحين الوطنيين المقيمين و الرحل ، ومع ذلك إذا كانت لغة المنتصرين لم تبعد اللهجات القديمة للسكان فقد وجهت الضربة القاضية إلى اللغة اللاتينية و حلت محلها ، جاءت اللغة العربية ووجدت أمامها اللغة البربرية و اللغة اللاتينية ، بالنسبة للبربرية لم تكن لغة حضارة بل كانت لغة تكتب قديما كالألغاز و طريقتها بدائية و غير صالحة و كانت لا تصلح إلا لأدب شفهي فقير و أصبحت على مر العصور لغة كلام تكفي للمتطلبات المحدودة للريفيين الغير متطورين ، أما اللاتينية فكانت تبدو كأداة عظيمة لأدب بديع و منتشر عالميا ، فهي لغة الصفوة في المدن الإفريقية ، لغة الدواوين و الكنيسة ، فهذا الدور بالذات كان سببا لإهمالها ، لم يكن هذا الإهمال مباشرا و من المرجح أن المنتصرون قد استعانوا أولا في أفريقية [1]

في حين أن العربية في القرن السادس الميلادي لم تكد تبتعد في بعض أقسامها المهمة نوعا ما [2] ولنبادر بالقول إلى أننا نعرف لهجة عربية يمكننا أن نصفها " بدائية أولية " (erchipue) إلى جانب أشعار ما قبل الإسلام ، إن في " حوران " في الجنوب الشرقي من دمشق و إلى الحجاز قد اكتشف منذ بداية النصف الثاني للقرن التاسع عشر كتابات اعتبرت بدائية .. وتشهد بضع نصب تذكارية نقشية قليلة أنه قد كتبت العربية قبل نشوء خط عربي [3] و أن الثموديين كانوا يؤلفون جماعة الجيوش العربية التي استخدمها الرومان باسم: (epuites saracenithamudeni)[4] و لكننا نعتقد أن أن اللغة العربية نشأت و نمت[5] أي تميزت فيها الأسماء ، والأفعال ، و الحروف ، وتكونت فيها معظم الاشتقاقات ، و المزيدات ، و هي لا تزال في حجر أمها ، أي قبل انفصالها عن إخوانها الكلدانية ، و العبرانية ، و الفينيقية ، وغيرها من اللغات السامية ، بعبارة أخرى أن أم هذه اللغات ، و يسمونها اللغة

---

(1) جورج مارسيه ، جورج مارسيه ، بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، (د ط) ، مطبعة الانتصار ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، الطباعة الأوفست ، الإسكندرية ، 1999 م ، ص 45- 46.

(2) اغناطيوس غويدي ، المرجع السابق ، ص 16 .

(3) فولفديتريش فيشر ، دراسات في العربية أصولها – مراحلها التّاريخية – بنيتها – لهجاتها – علاقاتها بأخواتها الساميات ، تحقيق : سعيد حسن بحيري ، ط ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، (1426هـ / 2005م) ، ص 96 .

(4) جاء في كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام و كأنه اجتهاد المؤلف ، و هو : أن " آل " قبل اسم القبيلة في كثير من الكتابات الصفوية يشير إلى أن لغة هذه القبائل الشمالية عربية شمالية هي " لغة القران " وهو يشير إلى القرابة و يستدل بما ورد من الأعلام ومنها " قصير " وهو " قصي " و " قصير بن كلب" و هو قصي بن كلاب ، و يرى جماعة من أهل العلم بالكتابات السامية القديمة الصفوية أن الصفويين جاءوا من شبه جزيرة العرب وقطنوا في الشمال في منطقة الصفاة و مصطلح الصفويين مما أطلقه " هاليفي " وهو يبحث في الكتابات و النقوش الشمالية في اللجاة و حوران ، انظر : اغناطيوس غويدي ، المرجع نفسه ، ص 20- 21 .

(5) يقولون أن العرب اختاروا قصائد من الشعر الجاهلي و كتبوها بماء الذهب في نسيج من صنع أقباط مصر و علقوها بأستار الكعبة ، وكان ذلك تعظيما منهم لتلك القصائد ، وإكبارا لها ، وابن عبد ربه صاحب العقد الفريد هو أول من ذكر تلك القضية ، وتبعه في إيرادها ابن رشيق صاحب كتاب العمدة في صناعة الشعر و نقده ، وابن خلدون في مقدمته ، انظر : طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، مكة المكرمة ، (1425هـ /2004م) ، ص 37 ، أيضا : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج2 ، بيروت ، 1927م ، ص 92.

السامية أو الآرامية تم نموّها ، فتكونت أفعالها ، و أسمائها و حروفها ، و اشتقاقاتها ، و مزيداتها قبل تشتت أهلها ، أو نزحوا إلى فينيقية .. فتولدت منها اللغات السامية المعروفة فالساميون الذين نزلوا جزيرة العرب ، تنوعت لغتهم.. فتميزت عن أخواتها بأمور خاصة ، هي خصائص اللغة العربية .. و هي اللغة العربية التي وصلت إلينا ، لقد كانت قبل تدوينها – أي قبل الإسلام – لغات عديدة تعرف بلغات القبائل و بينها اختلاف في اللفظ و التركيب [1] في الحق أن اللغة العربية أرقى اللغات السامية [2].

إن اللغويين القدامى قد أشاروا إلى صيغ خاصة ببعض القبائل كالكشكشة و الكسكسة و التلتلة و نماذج أخرى .. لقد وجدت الحضارة البيزنطية بما كان فيها من مظاهر التأنق سبيلها إلى شبه الجزيرة العربية ، كما كان هذا بالنسبة إلى حضارة الفرس ، و لنا على ذلك دليل غير مباشر و لكنه مصدر ثقة ، وهو جمهرة الكلم الذي استعاره العرب من هاتين الحضارتين ، إن من البديهي أن العرب أدخلوا المسمّيات مع أسمائها .

لقد احتقر العرب ، و لا سيما البدو في جاهليتهم ، الزراعة ، فقد قال شعراؤهم : إن المجد يتحصّل بالسنان و ليس بزراعة الحقول [3] و هناك روايات كثيرة تقول بأن أبا الأسود الدؤلي (المتوفي 69هـ/ 688م) قد قام بوضع أول علامات تدل على الحركات و التنوين ، و تم هذا بتكليف من زياد بن أبيه المتوفي (53هـ /673م) و هناك رواية أخرى تنسب ذلك إلى أحد تلاميذ أبي الأسود الدؤلي و هو ناصر بن عاصم المتوفي (89هـ/708م) [4] أخذت لغة كل قبيلة تتنوع بالنمو و التجدد على مقتضيات أحوالها ، فتولدت منها لغات..أشهرها العربية [5].

كما جاء في قوله تعالى : { **قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون** } [6] بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة و البيان[7] ليس لدينا من الوثائق ما يطلعنا على أحوال العرب قبل الإسلام الإسلام اطلاعا وافيا ، و جلّ اعتمادنا في ذلك على ما جاء في روايات الرّواة الإسلاميّين ، وما ورد في

---

(1) جرجي زيدان ، اللغة العربيّة كائن حي ، ط 2 ، دار الجيل ، لبنان ، 1988م ، ص 12- 13.

(2) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 289.

(3) اغناطيوس غويدي ، المرجع السابق ، ص 65.

(4) فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي في علوم القران و الحديث ، المجلد 1 ، ج1 ، (د ط) ، المملكة العربية السعودية ، (1411هـ/1991م) ، ص 20–21 ، فاضل صالح السامرائي ، الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري ، مطبعة الارشاد، دار النذير ،بغداد،(1390هـ/1971م)،ص30، أيضا : الحسين أسكان ، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1- 9 هـ/7 – 15 م) ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 2004م .ص 13.

(5) جورج زيدان ، المرجع السابق ، ص 26 .

(6) سورة آل عمران ، الآية 154.

(7) شوقي ضيف ، البلاغة تطوّر و تاريخ ، ط9 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995م ، ص 9 .

أشعار الجاهليّين ، وفي التوراة و القران ، ثم عند بعض الكتّاب الأقدمين ، من رومان و يونانيّين ، وأخيرا على ما اكتشفه العلماء الأثريّون [1]

بالإضافة إلى كون أيّام العرب مصدرا أساسيا من مصادر التاريخ [2]

بعد الزحف المظفر للإسلام برزت اللغة العربية في القرن الثامن الميلادي إلى جوار اليونانية و اللاتينية باعتبار أنها لغة الثقافة الثالثة الكبرى للمشرق و المغرب المستوعبة لحضارة العصور الوسطى التي أعقبت العصور اليونانية – الرومانية ، لغة استقرت على طرف العالم المتحضر آنذاك لا يشهد على وجودها في القرون التي سبقت ظهور الإسلام إلا بضع نقوش قليلة ، صارت بمرور ليس أكثر من مائة عام إلا بقليل وسيط مواد الثقافة الدينية ، و الأدبية ، و العلمية [3] ففي القران الكريم نفسه ذكر انه كتاب أنزل إلى جانب كتب الوحي القديمة بلسان عربي مبين ، أنّ أوّل من وضع علم العربية ، و أسس قواعده ، و حدّ حدوده ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، و أخذ عنه [4] و هو منسوب إلى الدّؤليّ بن بكر بكر بن كنانة ، و الدّؤليّ ، على " فعل " اسم دويبّة ، تسمّى الرّجل بها ، قال سيبويه : و ليس في كلام العرب اسم على وزن " فعل " غيره ، و أنشد :

جاءوا بجيش لو قيس معرسه ما كان إلا كمعرس الدّئل [5]

وسبب وضع علي رضي الله عنه لهذا العلم ، ما روى أبو الأسود ، قال : دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فوجدت في يده رقعة ، فقلت : ما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إنيّ تأمّلت كلام النّاس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء – يعني الأعاجم – فأردت أن أضع لهم شيئا يرجعون إليه ، و يعتمدون عليه ، ثمّ ألقى إليّ الرقعة ، وفيها مكتوب :" الكلام كلّه اسم ، وفعل ، وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمّى ، والفعل ما أنبئ به ، و الحرف ما جاء لمعنى " ، وقال لي :" انح هذا النّحو .. فلذلك سمّي النّحو نحوا [6] وروى أيضا أن زياد بن أبيه بعث إلى أبي الأسود ، و قال له : يا أبا الأسود ، إن هذه الحمراء قد كثرت و أفسدت من ألسن العرب ، فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم [7]

---

(1) حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ط ، دار الجيل ، بيروت ، 1986م ، ص 73 ، أيضا : حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، ط ، للطباعة تين واه – سنغافورة ، القاهرة ، مصر ، 1987م ، ص 101.

(2) إبراهيم شمس الدّين ، مجموع أيّام العرب في الجاهلية و الإسلام ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (1422هـ / 2002م) ، ص 4 .

(3) فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 11 .

(4) أبي البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (دط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (1998 م / 1418هـ) ، ص 14 .

(5) أبي البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد الأنباري ، المصدر السابق ، ص 14.

(6) أبي البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد الأنبا ري ، المصدر السابق ، ص 14 – 15.

(7) أبي البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد الأنبا ري ، المصدر نفسه ، ص 18.

ففي كل مكان زحف إليه الإسلام منتصرا ، تقهقرت بسرعة لغات الثقافة التي كانت سائدة [1] فقد انفتحت هذه اللغة الوليدة على اللغات الحامية الإفريقية [2] يعتبر ظهور العرب في التاريخ متصلا بشكل مباشر باستخدام الجمل [3] يظهر العرب في النصوص السبئية المتأخرة ، منذ نهاية القرن الرابع بعد الميلاد في في الألقاب الملكية الرسمية [4] كان الحفاظ على العربية صحيحة ، سليمة من أي فساد يعد بالنسبة لعلماء لعلماء اللغة العرب [5] و هكذا فمن الواضح أن قسما كبيرا من الأدب العربي في العصور الوسطى له لغة [6].

ثانيا : مجالات استعمال اللغة اللاتينية :

1- **الإدارة** : لقد لاحظ علماء اللغات أن صفات مشتركة تطبع هذه الشعوب بطابعها ، في تشترك في كثير من نظمها السياسية و تقاليدها الاجتماعية و خصائصها اللغوية ، و أوجه الشبه ظاهرة بين اللغات التي يتكلم بها أفرادها ، وهي اللغات العربية و العبرية و السريانية و الأشورية و البابلية و الكنعانية و الفينيقية و الآرامية و الحبشية و النبطية و لهجات اليمن الجنوبية ، فذهبوا إلى أن هذه اللغات تؤلف أسرة واحدة باعتبار أنها تشترك أو تتقارب في جذور الأفعال وتصاريفها .. مثال ذلك في اللغة العربية [7]و لاسيما من تشابه الشعوب التي تتكلم هذه اللغات في عاداتها و تقاليدها الاجتماعية [8] هي أسمى اللغات السامية ومعرفتها ضرورية لإتقان أخواتها[9] مبينا أن البشر .. تفرقت الألسن بتفرق أنسال هؤلاء الأبناء على مختلف المناطق ((من هؤلاء تفرقت جزائر الأمم بأراضيهم ، كل إنسان كلسانه ، حسب قبائلهم بأممهم)) [10]

---

[1] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 15 .

[2] أحمد علي الناصري ، دور مصر التاريخي بين شبه الجزيرة العربية و إفريقيا في عصور ما قبل الإسلام ، (دط) ، دار النهضة العربية ، مطبعة جامعة القاهرة ، 1990م ، ص28.

[3] كيس فرستيغ ، اللغة العربية تاريخها و مستوياتها و تأثيرها ، ترجمة : محمد الشرقاوي ، ط ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2003م ، ص 5.

[4] فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 29 .

[5] فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 120 .

[6] فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 121 .

[7] توفيق برو ، تاريخ العرب القديم (تاريخ العرب قبل الإسلام) ، (د ط) ، دار الوعي ، (1433هـ/ 2012 م) ، ص 38 .

[8] اللغة : ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، انظر : أحمد الاسكندري – مصطفى عناني ، الوسيط في الأدب العربي و تاريخه ، ط16 ، دار المعارف ، مصر ، (1335هـ/ 1916م) ، ص 3.

[9] توفيق برو ، المرجع السابق ، ص 39 ،كذلك : منذر عيّاشي ، قضايا لسانية و حضارية ، دمشق ، ط ، 1991 م ، ص63 .

[10] توفيق برو ، المرجع نفسه ، ص 39- 40.

إن لغة العرب توقيف ودليل ذلك قوله جل ثناؤه " و علّم ادم الأسماء كلّها [1]

واكتسبت اللغة العربية اسمها [2] من الاعراب أو العروبة أو العبرية أي الفصاحة و الوضوح و التبيان ، من من اجل ذلك سمى العرب أنفسهم عربا وسمّوا سائر الأمم عجما (أي لا يفهم عنهم ما يقولون) [3] يبدو يبدو أن اللغة العربية انفصلت مع أخواتها الشماليات من اللغة السامية الأم منذ زمن بعيد جدا ، ثم عادت فانفصلت من المجموعة الشمالية أيضا منذ زمن بعيد و إذا نحن اعتبرنا اللغة العربية وجدناها أكثر أخواتها الساميات مفردات و أتمها صيغا و أكملها صرفا و نحوا و أرقاها بيانا و بلاغة و أحسنها أسلوبا ، من اجل ذلك لا نستبعد أن تكون اللغة العربية هي اللغة السامية الأم الفصحى[4] العربية و السامية ، مفهومان ينضويان على دلالات كثيرة ، ربط كل منهما بالأخر من جهة الصلات التاريخية اللغوية [5] و قد كانت العلاقة الداخلية بين اللغات التي تحدث بها نسل سام ، و بخاصة بين العبرية و العربية و الصور المختلفة للآرامية ، معروفة من قبل على الأقل منذ العصور الوسطى [6] و يقدر ما يجيز الوجود المفترض من قبل السامية الأولى من تقلبات لهجية هيأت من خلالها التطور في كل لغة من اللغات السامية المتأخرة ، في ارتباط مسبب بالتعاقب التاريخي [7]وفق الانتشار الجغرافي [8]

2- **المعابد** : قد نشر الفينيقيون لغتهم ، عن طريق مستعمراتهم في أهم بلاد شاطيء البحر المتوسط ، غير أنها لم تربح أرضا ثابتة في الواقع إلا في شمال أفريقية ، في قرطاجة و ضواحيها و تسمى هناك اللغة البونية و نحن نعرف هذه اللغة كذلك من عدة نقوش [9]

3- **التعامل العام** : حين يقول المرء باختصار " العربية " وهو تعبير يعكس بالإضافة إلى ذلك أيضا خصوصية المفهوم في هذه اللغة التي يصنفها مستخدموها أنفسهم بالعربية [1]ذوو حضارة عالية ، و اندمجوا فيهم و أجبروهم على استخدام لغتهم [2]

---

(1) أحمد بن فارس ، الصاحبيّ في فقه اللغة و سنن العرب في كلامنا ، (د ط) ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ، (1328هـ/ 1910م) ، ص 6 .

(2) قال ابن منظور في "اللسان " – نقلا عن الازهرّي – : "و اللغة من الأسماء الناقصة ، وأصلها لغوة من لغا ، اذا تكلّم " ، وقال الزمخشرّي في "الاساس ": ولغوت بكذا : لفظت به ، و تكلّمت " ، وقال ابن جنّيّ في "الخصائص " فاللغة ظاهرة اجتماعية من ظواهر المجتمعات البشرية ، انظر : محمد بن عبد الكريم الجزائري ، لغة كل امة روح ثقافتها ، (د ط) ، دار الشهاب للطباعة و النشر ، الجزائر ، 1989م ، ص 5- 6 .

(3) عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ج 1 ، ط4 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1981م ، ص 35 .

(4) عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 36 .

(5) فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 21 .

(6) فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 21 – 22 ، أنظر : علي القاسمي ، المعجم و القاموس ، مجلة اللسان ، (د ط) ، (د س ط) ، ص 8 .

(7) فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 23- 24 .

(8) فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 24 .

(9) فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 50 .

4 – المقابر: و إذا كان تأريخ النقوش العربية الجنوبية القديمة أيضا مما لا خلاف عليه ، فانه يسود إجماع بقدر ما يمكن أن يوصل النصوص المبكرة جدا على الأقل إلى بداية القرن الخامس قبل الميلاد ، ويبدو إن النقوش العربية الشمالية الأقدم لثمود و لحيان ست إلا أقدم قليلا ، وعلى النقيض من ذلك ، وبالمقارنة باللغات السامية الكبرى الأخرى أيضا لم تظهر العربية الفصحى إلا في وقت متأخر نسبيا [(3)] بالنسبة لتطور العربية [(4)] فاللغة أداة اجتماعية يوجدها المجتمع للرمز إلى عناصر معيشته وطرق سلوكه ولذا يحدد طرق هذه اللغة و استعمالاتها ويضعها موضع الظاهرة الاجتماعية [(5)] التعامل بمصطلح اللسان العربي على اللغة العربية [(6)] تفرّعت عنهما سائر اللهجات العربيّة [(7)] وكانت لغة اليمن القحطانيّة [(8)] تختلف عن لغة الحجاز العدنانيّة في الأوضاع و التصاريف و أحوال الاشتقاق حتى قال عمرو ابن العلاء (770هـ / 1358م) : " ليست لغة حمير بلغتنا و لا عربيّتهم بعربيّتنا " [(9)] .

استقرت تعبيرات شعبية لتمييز طريقة نطق بعض القبائل ، تلك التي نقلت أيضا في مؤلفات العلماء ، ففي كتاب الكامل للمبرد (ت 285هـ / 898م) [(10)] توجد نوادر مشهورة ، تعنى أن العربية الفضلى لا بد أن تخلو من فراتية العراق و كشكشكة تميم و كسكسة بكر و جمجمة قضاعة و طمطمانية حمير و

---

(1) أصحاب اللسان العبري حيث تتشابه حروف اللغتين العبرية و العربية ، و تزيد العربية على العبرية ببعض الحروف ، و تتميز العربية على جميع لغات البشر بحرف (الضاد) و لذا سميت العربية (لغة الضاد) ، أنظر : فخري محمد صالح ، المرجع السابق ، ص 26 .

(2) فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 51- 52 .

(3) فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 27.

(4) فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 31 .

(5) تمام حسان ، اللّغة العربية معناها و مبناها ، (د ط) ، دار الثقافة ، دار البيضاء – المغرب ، 1994م ، ص 28.

(6) عمار ساسي ، اللسان العربي و قضايا العصر (رؤية علمية في الفهم – المنهج – الخصائص – التعليم – التحليل) ، (د ط) ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2007م ، ص 13- 14، أيضا: غانم قدوري الحمد ، أبحاث العربية الفصحى ، دار عمار ، ط ، عمان ، (1426هـ/2005م) ، ص 8.

(7) لغة حمير إبدال لام أل ميما ، و قد تكلم النبي (ص) بلغتهم ، إذ قال :" ليس من امبرّ امصيام في امسفر " و عليه قول الشاعر :

ذاك خليلي و ذو يواصلني يرمي ورائي بامسهم و امسلمة ، أنظر : أبي عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (708- 761 هـ / 1308- 1389م) ، شرح قطر النّدى و بلّ الصّدى ، تحقيق : محمد خير طعمة حلبي ، (د ط) ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ص 90 .

(8) القحطانية عرب منذ خلقهم الله فطروا على العربية فهم العاربة ، وعلى أن العدنانية قد اكتسبوا العربية اكتسابا كانوا يتكلمون لغة أخرى هي العبرانية أو الكلدانية ، أنظر : طه حسين ، في الشعر الجاهلي ، (د ط) ، دار الندوة الالكترونية ، القاهرة ، 1926م ، ص15.

(9) حنا الفاخوري ، المرجع السابق، ص 51 ، أيضا : عبد الوهاب عزام ، الصلات بين العرب و الفرس و آدابهما في الجاهلية والإسلام ، القاهرة ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، 2012م ، ص22.

(10) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثّماليّ المعروف بالمبرّد و الثّماليّ منسوب إلى ثمالة بن مسلم بن كعب بن الحارث بن كعب – فكان شيخ أهل النّحو والعربيّة ، واليه انتهى علمها بعد طبقة أبي عمر الجرميّ ، وأبي عثمان المازنيّ ، وكان من أهل البصرة ، و أخذ عن أبي عمر الجرمي ، و أبي عثمان المازني ، وأبي حاتم السجستانيّ ، و غيرهم من أهل العربية ، أنظر : أبي العباس أحمد القلقشندي (756-861هـ / 1345- 1445 م) ، المصدر السابق ، ص 193 .

في المصادر المتأخرة و سعت أكثر قائمة تلك الخواص اللغوية و النطقية من خلال العنعنة و التلتلة و اللخلخانية و غيرها أيضا [1] أن اللغة العربيّة اقرب من أخواتها إلى الأصل الساميّ..و هي لغة الحجازيين ، و هي اللغة القويمة ، و بها جاء التنزيل [2]جاءت بعد اللغة الفصحى بالنسبة لفترة القرون الوسطى وفي تاريخ متقدم ، يرجع إلى القرن (الرابع الهجري / العاشر الميلادي) و قد كتب العالم اللغوي الزبيدي الإشبيلي رسالة عن أخطاء الكلام التي يقع فيها العامة بالأندلس [3].

و أسباب تكوين اللغة الأدبيّة : أسباب تكوين اللغة الأدبيّة الفصحى كثيرة نذكر منها ما يلي :

1- الأسواق : و هي أمكنة في شتّى أنحاء الجزيرة كان العرب يختلفون إليها في أوقات معيّنة[4].

2- الحضارات المتاخمة : لم ينحصر العرب في جزيرتهم بمعزل عن تأثيرات الحضارات المتاخمة ، بل كانوا أبدا في احتكاك مع جاورهم .. فكانت اللغة تواصل تطوّرها مكمّلة ما ينقصها [5] لا نعرف تاريخ وصول البدو الأوائل إلى شبه الجزيرة العربية ، ولا نعرف أيضا أي لغة كان هؤلاء البدو يتكلمون [6] و قد اختلف العلماء اختلافا شديدا في زمن وضع النحو و في من وضعه ، ، و ذهب الكثيرون إلى أنّ أبا الأسود الدّؤلي (69هـ/688م) هو واضع علم النحو [7] مرّ بنا كيف كانت حال البلاد العربيّة قبل الإسلام وكيف أثّرت أحوالها الطبيعيّة [8] الذين كانوا يسكنون النصف الشمالي [9] يتضح مما تقدم أن اللغة العربية في عصر الاحتجاج حتى منتصف القرن الثاني الهجري للقبائل الحضرية ومنتصف القرن الرابع للقبائل البدوية [10] أما أنواع العرب: فقد اتفقوا على تنويعهم إلى نوعين : عاربة و مستعربة : فالعاربة : هم العرب الأولى الذين فهمهم الله اللغة العربية ابتداء فتكلموا بها ، فقيل لهم عاربة ، أما بمعنى الراسخة في

---

[1] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 115 .

[2] أبي عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (708- 761 هـ / 1308- 1389 م) ، المصدر السابق ، ص 115.

[3] كولان . ج . س ، الأندلس ، ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، تحقيق : إبراهيم خورشيد و آخرون ، ط ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، لبنان ، 1980م ، ص 184 .

[4] حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 51 – 52 ، أيضا : أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ، ط6، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، (1420هـ/2000م) ، ص 17.

[5] حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 51.

[6] محمد شفيع الدين ، اللهجات العربية و علاقتها باللغة العربية الفصحى : (دراسة لغوية) ، المجلد 4 ، (دط) ، شيتاغونغ ، 2007م ، ص 37.

[7] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 506- 507.

[8] حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 298 .

[9] عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 36 ، عبد الرحمان بن عطية ، تاريخ العربية لسان العالمين ، دار هومة ، الجزائر ،2007م ، ص 18- 19.

[10] محمد شفيع الدين ، المرجع السابق ، ص 80.

العروبية [1] أول من تكلم بها ، قال الجوهري ، وقد قيل فيهم العرب العرباء [2] و المستعربة : : بنو قحطان و بنو إسماعيل ، و ذهب آخرون إلى أن العاربة : بنو قحطان الذين تكلموا يعْرُب بن قحطان و المستعربة : بنو إسماعيل الذين تكلموا بلسان إسماعيل عليه السلام [3] الذي رجحه صاحب العبر ، الرأي الأول محتجا بأنه لم يكن في بني قحطان من زمن نوح عليه السلام إلى عابر من تكلم بالعربية [4] قال الماوردي : إذا تباعدت الأنساب [5] وأرقاها قريش في مكة [6] قال الأصمعي[7] و يقول ابن خلدون " كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية و و أفصحها لبعدها عن بلاد العجم [8] كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق [9] فقال ابن فارس : (أجمع علماؤنا بكلام العرب ، و الرواة لأشعارهم و العلماء بلغاتهم و أيامهم و محالهم ، إن قريشا أفصح العرب ألسنة و أصفاها لغة) [10] منها قبائل أشهرها : هوازن [11] سُلَيْم [12] وقامت بنو سليم في الأراضي الممتدة بين وادي القرى و إلى شرقي المدينة المنوّرة [13] ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا و إلا عربيتهم

---

[1] أبي العباس أحمد القلقشندي (756-861هـ / 1345 - 1445 م) ، المصدر السابق ، ص 11 .

[2] أبي العباس أحمد القلقشندي (756-861هـ / 1345 - 1445 م) ، المصدر نفسه ، ص 11 .

[3] عبد الله بن عبد الرحمان بن سعد العياف ، اللهجات العربيّة في كتاب سيبويه دراسة نحوية تحليلية ، رسالة الدكتوراه ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، (1423هـ/ 2002م) ،ص7- 8 ، أنظر:جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج1، (دط) ، (د س ط) ، ص5.

[4] أبي العباس أحمد القلقشندي (756-861هـ / 1345 - 1445 م) ، المصدر نفسه ، ص 11 .

[5] أبي العباس أحمد القلقشندي (756-861هـ / 1345 - 1445 م) ، المصدر نفسه ، ص 20 .

[6] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 50 .

[7] الأصمعي : أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك المعروف بالأصمعي كان صاحب لغة و نحو وإماما في الأخبار و النوادر و الملح و الغرائب ، انظر : البغدادي ، تراجم الأدباء ، تحقيق : مزاحم علي عشيش البعاج ، ج1، ط ، (1426هـ/2006م)، ص 21. ايضا : الأصمعي ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : ش . تورّي ، (د ط) ، دار الكتاب الجديد ، بيروت – لبنان ، (1400هـ/1980م) ، ص 18.

[8] شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص133.

[9] أحمد مختار عبد الحميد عمر ، البحث اللغوي عند العرب ، ج 1 ، ط 8 ، 2003م ، ص 51.

[10] محمد كريم الكوّاز ، الفصاحة في العربية المفاهيم و الأصول ، ط ، الانتشار العربي ، بيروت – لبنان ، 2006م ، ص 23.

[11] جرمانوس فرحات ، بحث المطالب في علم العربيّة ، ط 2 ، معجم و دراسة في النحو العربي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، 1995م ، ص 11.

[12] بنو سليم : بضم السين : قبيلة عظيمة من قيس عيلان ، و النسبة إليهم سلمى ، و هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ، وقيس ، يأتي نسبه عند ذكره في حرف القاف ، قال الحمداني : و هم أكثر قبائل قيس ، وكان لسليم من الولد : بهثة ، ومنه جميع أولاده ، قال في العبر : وكانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر ، قال : ومنازلهم حرة سليم ، وحرة النار ، ووادي القرى ، و تيماء ، قال : وليس لهم الآن عدد ولا بقية في بلادهم ، ثم قال : وبافريقية منهم حي عظيم ، انظر : أبي العباس أحمد القلقشندي (756-861هـ / 1345 - 1445 م) ، المصدر السابق ، ص 294 ، انظر : شوقي حمادة ، معجم عجائب اللغة ، دار صادر ، بيروت ،2000م ، ص 7- 8.

[13] حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السّياسي و الدّيني و الثقافي و الاجتماعي - الدولة العربية في الشرق و مصر و المغرب و الأندلس (131-132هـ/ 622-749م) ، ج 1 ، ط14، دار الجيل ، بيروت ، (1416هـ/ 1996م) ، ص 21 .

بعربيتنا" [1] والفينيقية القديمة وعدد من الألسن المرتبطة بها تضم بعضها إلى بعض بوصف كونها مشتقة من تلك اللغة الأولية الثانية التي يسمونها السامية [2] صاغ الوحي القرآني في لغة عربية ، المكانة التي اكتسبها العربية بوصفها وسيطا إلهيا في عيون أغلب العرب والمسلمين و العربية [3]

4 – الجيش : جاء الرسول العربيّ ، و جمع شتيت القبائل تحت لواء الإسلام ، ووجّه العرب شطر الفتح و الامتداد في الأفاق ، و ترك لهم القران مثالا أعلى للفصاحة و البلاغة ، و إذا البلاد غير البلاد ، والعباد غير العباد ، و إذا على كلّ طريق جيوش و قوّاد ، و إذا الشّعب العربيّ في مصر و سوريا و العراق و فارس و شماليّ أفريقية و أطراف الهند و غيرها من الأقطار العربيّة شيئا فشيئا لغة حوض البحر الأبيض المتوسط ، ينطق بها الأصيل و الدّخيل ، و يكتب بها العربيّ و الأعجميّ [4] .

أما أقدم عرض نحوي فهو ببساطة معالجة الفارسي سيبويه [5] المتوفي (177هـ / 793م) المسماه الكتاب ، فهي تقدم في (574) فصلا مجموعة ضخمة من كل الظواهر اللغوية العربية (Arabiya) .. و من ثم بداية تأليف معجمي منظم للعربية إلى الخليل بن أحمد (100هـ/ 718م حتى 170هـ / 786م) [6]استقرت في البلاد المفتوحة افتخرت بذلك و اعتبرت انتماءاتهم ألقاب شرف[7] قال أبو جعفر : وكان أوّل من وضع التأريخ و كتبه [8] حتى استقر الأمر لعبد الملك بن مروان (65- 86هـ /685- 705م) فبدأ يهتم بإنشاء وتعريب الدواوين في الأمصار [9]ولغتهم على الألسنة ، فتعربت هذه هذه الأمم المختلفة [10] اختص بعلم اللغة و النحو من الأمويين [11] وكانت لغة الدواوين في الولايات

---

[1] شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 120 .

[2] هـ.ج . ولز ، معالم تاريخ الإنسانية ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، المجلد الأول ، (د ط) ، القاهرة ، 1967م ، ص 179 .

[3] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 143 .

[4] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص36 – 37.

[5] أما سيبويه ، فهو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، و يقال : كنيته أبو الحسن ، و أبو بشر أشهر ، وكان مولى بني الحارث بن كعب ، و قال المرزباني : كان مولى أل الربيع بن زياد الحارثي ، و سيبويه لقب له ، و معناه بالفارسية " رائحة التفاح " ، و يقال : أن أمه كانت ترقّصه و هو صغير بذلك ، و كان من أهل فارس ، من البيضاء ، و منشؤه بالبصرة ، وكان يطلب الآثار و الفقه ، أنظر : أبي العباس أحمد القلقشندي (756 – 861هـ / 1345 – 1445 م) ، المصدر السابق ، ص 60.

[6] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 107 .

[7] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 23- 24 .

[8] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224 – 310هـ / 839 – 922م) ، تاريخ الطّبريّ تاريخ الرسل و الملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ج4 ، (دط) ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1970م ، ص 209 .

[9] يوسف أحمد الشيراوي ، الاتصالات و المواصلات في الحضارة الإسلامية ، ط ، لندن – قبرص ، 1992م ، ص 48.

[10] أحمد حسن الزيات ، المرجع السابق ، ص 154.

[11] كمال السيد أبو مصطفى ، دراسات أندلسية في التاريخ و الحضارة ، (د ط) ، مركز الإسكندرية للكتاب ، 1997م ، ص 37 .

المختلفة بلغاتها ، إلى أن عرّبت الدواوين في جميع البلاد الإسلامية ، وصارت اللغة العربية هي لغة جميعها في شتى الأقاليم [1] وأخذت تنتشر اللغة العربية رويدا رويدا و ظلت صبغتها العربية تتكامل [2]وعبد الله بن عبد الملك الذي وليها عام (86هـ/705م) ، و قد أصدر عام (86هـ/705م) أمرا باستعمال اللغة العربية في المعاملات الرسمية ، وبذلك أخذ أهل مصر يقبلون على تعلّم العربية [3] أما مصر فكانت اللغتان اليونانية و العربية مستعملة في دواوين الحكومة ، الأولى على أنها اللغتان الرسمية التي كانت تدون بها الأعمال في تلك الدواوين.. فسار إلى سياسة أبيه في تعريب الدواوين فحوّل ديوان خراجها إلى العربية ، و قام بتنفيذ هذه السياسة واليه على مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان (86 – 90هـ / 704 – 708م) .. الذي صبغ الإدارة المالية بالصبغة العربية ، وبتحويل الدواوين إلى العربية [4] نعرض لقضية الأدب و البيئة ولا سيما و قد قيل : " الأدب ابن بيئته " [5] أثمرت فيه الفنون الإسلامية ، وزهت الآداب العربية [6] في مصر و حلب و الأندلس و المغرب مقرّ الإمارات و الممالك [7] قلنا أن تدوين الكتب ابتدأ ابتدأ في عصر معاوية [8] في أمور الحرب و الفتح و الإدارة [9] طوروا إلى المنهج الذي يجب اتّباعه في فنّ فنّ من الفنون أو عمل من الأعمال ، فقالوا: " أدب الكاتب " و" أدب المجالسة "و" أدب الكسب " [10] وجود اللغة العربية [11] و كيف نشأت ، و ساد عند العرب قديما رأي يقول بأن نشوء اللغة كان تواضعا و اصطلاحا [12]فلعلماء العرب تعريفات أهمها تعريفات لابن جنّي (ت 392هـ/ 997م) و لابن خلدون (ت 808هـ / 1405م) ، فأما تعريف ابن جني فهو : " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "

---

(1) عبد المنعم خفاجي – عبد العزيز شرف ، معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي ، ط 2 ، الدار المصرية اللبنانية ، (1412هـ/1992م) ، ص 18.

(2) عبد المنعم خفاجي – عبد العزيز شرف ، المرجع السابق ، ص 12.

(3) عبد المنعم خفاجي – عبد العزيز شرف ، المرجع نفسه ، ص 37.

(4) محمّد أسعد طلس ، المرجع السابق ، المجلد الأول ، ج 4 ، ص 194- 195 .

(5) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 25.

(6) أحمد حسن الزيات ، المرجع نفسه ، ص 153.

(7) حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 37.

(8) محمّد أسعد طلس ، المرجع نفسه ، المجلد الأول ، ج 4 ، ص 223- 224 .

(9) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 39.

(10) حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 13.

(11) ظلت نشأة اللغة أمرا حيّر أهل اللغة منذ القدم ، و قد أسهم علماء العربية الأول بالبحث في هذا الموضوع ، فذكر أبو عالي الفاسي أن اللغة من عند الله علّمها ادم عليه السلام , و استشهد **بقوله تعالى** : {**وعلّم ادم الأسماء كلها** }، سورة البقرة : الآية 31 ، انظر : عبد الرحمان أحمد البوريني ، اللغة العربية أصل اللغات كلها ، ط ، دار الحسن ، الأردن ، (1419هـ/1998م) ، ص 8 ، أيضا : احمد حسن الزيات ، المرجع السابق ، ص 15، أيضا : هدسون ، علم اللغة الاجتماعي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط2 ، 1990م ، ص52.

(12) عبد الرحمان أحمد البوريني ، المرجع السابق ، ص 23 .

ووافقه على ذلك بعض علماء اللغة العرب و قيل:" هي ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " [1] اللغة عبارة عمّا يتواضع القوم عليه من الكلام [2] يذكر ابن خلدون في مقدمته تعريفا للغة: " في المتعرف هي عبارة المتكلم عن مقصوده[3] وسواء استقر الأمر على الأخذ بتعريف العرب أو غيرهم [4] و تلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات التي اصطلح على تسميتها باللغة [5]

[1] حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 15.

[2] الخفاجي (ت 466هـ/ 1044 م) ، سرّ الفصاحة ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (1402م/1982م) ، ص 48 .

[3] عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق : حامد أحمد طاهر ، ط1 ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، 2004 م ، ص 700.

[4] عروبة اللغة الأمازيغية – البربرية : هي لهجة عروبية تفرعت عن اللغة العربية الامّ قبل آلاف السنين ، مثل الاكدية ، و الآرامية ، و الكنعانية ، و الحميرية ، و العدنانية ، وغيرها يقر المؤرخ و ليان لانغر أن اللغة البربرية و اللغة العربية و اللغات السامية تنحدر جميعا من أصل واحد ، يقول : " و تتصل اللغة المصرية القديمة باللغات السامية و لغات البربر بأصل واحد ، أنظر : عثمان سعدي ، الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى 1954 ومن خلاله تاريخ المغرب العربي حتى الخلافة العثمانية ، (د ط) ، دار الأمة ، الجزائر ، 2012م ، ص 25.

[5] عبد الله بن عبد الرحمان بن سعد العياف ، المرجع السابق ، ص 4 ، أيضا : علي فهمي خشيم ، البرهان على عروبة اللغة المصرية القديمة ، مجمع اللغة العربية ، ط ، مركز الحضارة العربية للإعلام و النشر و الدراسات ، القاهرة ، 2007م ، ص 9-10.

الفصل الأول: عوامل انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي

أولا : السياسية

ثانيا : الاقتصادية

ثالثا : الاجتماعية و الدينية

رابعا : العلمية و الثقافية

عوامل انتشار اللغة العربية في المغرب الاسلامي

أولا : السياسية : كان انتشار الإسلام بلا شك عاملا من عوامل إحلال اللغة العربية [1] اتساع و سرعة انتشار اللغة العربية ، فصارت تمثل العديد من الثقافات [2] منذ وصول القبائل الهلالية الأولى عن طريق طرابلس ، رأت إفريقيا الشمالية خيامهم السمراء مرفوعة ، ودوابهم منتشرة في جميع أجزاءها ، ما عدا الجبال و بعض السهول الساحلية ، ولقد انتشر عرب بني هلال[3] و بني سليم حتى سواحل البحر الأطلسي باحتلال الأراضي بالقوة ، بعد دحر أو استعباد سكانها ، وبالتسلسل من الشرق للغرب ، عبر الأراضي الشاغرة على الجوانب الصحراوية ، وبالانتقال الاتفاقي لجماعتهم لخدمة الحكام البربر ، سواء عانى حكام البلاد من تعديهم ، أو تمنوا حضورهم ، فقد كان يجب على الجميع مراعاة وجودهم ، كما كان على الجميع قبول ما نسميه " سياسة عربية " ، ولقد كان هذا منذ اليوم الأول كما رأينا ، فالمعز الزيري الذي واجه الصدمة الأولى لهذا الغزو ، منح ثقته لبني رياح ، لأنه كان يأمل في الحصول على معاونتهم المفيدة [4] أما في الإسلام فنحن نسميه فكرا عربيا على نوع من التجوز ، وهو في الواقع فكر أمم مختلفة اتخذت اللغة العربية أداة لتفكيرها [5] .

---

[1] مها محمد فوزي معاذ ، الانثروبولوجيا اللغوية ، دار المعرفة الجامعية ، (1430هـ/2009م) ، ص 196.

[2] مها محمد فوزي معاذ ، المرجع السابق ، ص 196.

[3] بنو هلال : بطن من النخع (من القحطانية) : و هم بنو هلال بن جشم بن مالك بن بكر بن عوف بن النخع ، و النخع ، قد تقدم نسبة في حرف الألف ، فيما يقال فيه : بنو فلان ، في الألف و اللام مع النون ، منهم العدنان بن الهيثم بن الأسود ، بنو هلال : بطن من عامر بن صعصعة ، من هوازن ، من العدنانية ، وهم بنو هلال بن عامر بن صعصعة منهم : ميمونة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال أبو عبيد : و هي في بني عبد الله بن هلال ، و فيهم الشرف في بني هلال ، ومنهم أيضا : زينب بنت خزيمة ، زوج النبي ، هلكت في حياته ، و هي التي يقال لها ، أم المساكين ، لأنها كانت تحبهم ، قال في العبر : و كان لهلال خمسة أولاد : شعبة ، و ناشرة ، ونهيك ، و عبد المناف ، و عبد الله ، قال و بطونهم ترجع إلى هؤلاء للخمسة ، قال ابن سعيد : و جيل بني هلال بالشام معروف ، وقد صار عربه حرائر ، و منه قلعة هلال المشهورة ، و قال الحمداني : ولهم بلاد أسوان من صعيد مصر ، قال : وكانوا أهل بلاد الصعيد كلها إلى عيذاب ، أنظر : أبي العباس أحمد القلقشندي (756-861هـ / 1345 - 1445 م) ، المصدر السابق ، ص 443 ، أيضا : ابن سلام أبو عبيدة القاسم (ت 224هـ/838م) ، كتاب النسب ، تحقيق : مريم محمد خير الدرع ، (د ط) ، بيروت ، دار الفكر ، (1410هـ/1989م) ، ص 263 ، كذلك : الحازمي أبو بكر بن أبي عثمان الهمذاني المتوفي سنة (584هـ/1188م) ، عجالة المبتدى و فضالة المنتهى في النسب ، تحقيق : عبد الله كنون ، ط ، القاهرة ، دار الأفاق العربية ، (1422هـ/2002م) ، ص172، أيضا : رضوان محمد حسين النجار ، الصحابي الشاعر حميد بن ثور الهلالي حياته و شعره ، ط ، (1405هـ/1985م) ، ص 27- 28.

[4] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 323 ، أنظر : حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، (د ط) ، دار الرشاد ، 2004م ، ص166، أيضا : محمد ضيف الله ، نوافذ على تاريخ نفزاوة ، تونس ، 2008 م ، ص 18.

[5] أحمد أمين ، المرجع السابق ، ص 5 ، انظر : رضوان محمد حسين النجار ، المرجع السابق ، ص 26.

ترجع فكرة إطلاق جحافل العرب البدو المستوطنين في شرق النيل ، ضد افريقية المتمردة إلى اليازوري[1] وزير الخليفة الفاطمي" المستنصر" [2] إن الترحال الاعتباطي للسكان المستقرين أو الرحل لشيء مألوف في الممالك الإسلامية ، ولكن لم يكن وصول بني هلال وبني سليم إلى مصر ، من محض إرادتهم ، بل كان نتيجة ثورة القرامطة التي شاركوا فيها ، لقد قامت هذه الحركة في النصف الثاني للقرن العاشر الميلادي على أساس ديني زائف ، وكانت تمردا على العباسيين ، ومهدت لنجاح الفاطميين في مصر ، وأصبح خطرها على الفاطميين أنفسهم أكثر من نفعها ، فطردوا إلى الجنوب الشرقي للجزيرة العربية ، وأرسل بحلفائهم إلى شرق مصر ، وأصبحوا ممقوتين بسبب عصيانهم و سلبهم ، إلى أن اقتنع الوزير اليازوري ، الخليفة الفاطمي بنقلهم إلى افريقية [3] و من الواضح أن الآراء حول أي قبيلة ، و أي من التجمعات الكثيرة التي ظهرت على طرف الصحراء و الهلال الخصيب يمكن أن يتبع حقيقة الأسرة العربية الكبرى ، قد خضعت حقا في العصر المبكر لظهورهم بوجه خاص لتقلبات مؤكدة [4] كانت الخدمات التي تطلب من العرب ، محصورة فيما يمكن أن تقدمه قوة مقاتلة ، مرابطة في البلاد ومستنفرة للسخرة ، و رئيسها كان مستعدا لتجنيد الفرسان ، كان في وقت السلم مكلفا بجباية الضرائب ، أو مساندة الأمير ، أو الموظف المكلف بالجباية ، وفي وقت الحرب يقدم القوات التي تضاف إلى قوات السلطان ، والمشكلة من القبائل الخاصة ، والمرتزقة المسيحيين ، أو الأتراك ، والقبائل الخليفة ، والمعروف أن الموحدين نقلوا عرب افريقية إلى المغرب ، لاستخدامهم في الجهاد المقدس ، ولقد ظهروا حقا في المكان المناسب ، ضمن القوات التي عبرت المضيق ، وبعضهم كانوا يعملون في الحراسة ، وفي سنة (612هـ/1224م)كان عدد فرسانهم في حصون الأندلس خمسة ألاف عدا المشاة ، وفي بلاد البربر ، كانوا يشاركون في جميع المنازعات الهامة ، لان كل خصم كان يستعين بقوات من جنسه [5] وعندما قهر المعز لدين الله الفاطمي و العزيز بالله القرامطة و احتل بلاد الشام ، انسحب هؤلاء إلى البحرين ، فقرر العزيز بالله نقل قبائل بني هلال و بني سليم إلى مصر ليجنب بلاد الشام غاراتهم ، أما في مصر فإنهم يكونون تحت رقابته المباشرة ، وقرر إنزالهم في الحدود الشرقية من النيل ، وكانت قبائل بني هلال تضم عشائر أو أحياء من جشم ، والاثبج ، وزغبة ، ورياح ، وربيعة ، و عدي ، إلا أن هذه العشائر دخلت في حروب فيما بينها

---

[1] اليازوري هو الذي كان وراء الهجرة الهلالية إلى افريقية ، انظر : ممدوح حسين ، الحروب الصليبية في شمال افريقية وأثرها الحضاري سنة (668-792هـ/1270- 1390م) ، ط ، دار عمار ، الأردن ، (1419هـ/1998م) ، ص 117 .

[2] عبد الهادي التازي ، جامع القرويين (المسجد و الجامعة بمدينة فاس) ، المجلد 1 ، (د ط) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1973م ، ص 45 – 46 ، أيضا : عمر أبو النّصر ، تغريبة بني هلال ورحلتهم إلى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة ،ط، بيروت – لبنان ،1981م ، ص 165.

[3] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 222 ، أنظر: رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، (دط)، الطباعة الشعبية ، الجزائر ، 2007م ، ص 47 ، أيضا : عبد الفتاح رجب حمد بولبيض، تاريخ برقة الإسلامي ، ط ، دار الكتب الوطنية بنغازي ، ليبيا ، 2009م، ص 43.

[4] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 27 .

[5] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 323 – 324 .

عندما نزلت مصر ، و تسببت في قلائل بالبلاد تحولت إلى مشاكل للدولة الفاطمية في عهد المستنصر بالله [1]
امتزج العرب بالحضارات السابقة ، فاحتاجوا إلى مصطلحات ، تعصم معارفهم من التداخل ، فكان مصدر المصطلحات القران الذي هزّ الأفكار العربية ، وجعلها تتفاعل مع القيم الجديدة بمصطلحات جديدة لم تكن معهودة من قبل لديهم [2] منذ دخول الكنعانيين الفينيقيين العروبيين المغرب في النصف الأخير للألف الثانية قبل الميلاد ، تبلورت لغة الثقافة و العبادة و الدواوين وهي اللغة العروبية الكنعانية ، التي صارت هي اللغة الفصحى بالمغرب ، محاطة بلهجات شفوية قحطانية هي اللهجات الامازيغية البربرية ، وخير من وضّح هذا هو المستشرق الفرنسي هنري باسيه عندما قال : " إن اللغة البونيقية لم تختف من المغرب إلا بعد دخول العرب ، ومعنى هذا أن هذه اللغة بقيت قائمة ، هذه المدة بالمغرب ، سبعة عشر قرنا ، وهو أمر عظيم [3]

فاستعمل الامازيغ اللغة الكنعانية كلغة حضارة و ثقافة مكتوبة بالحضر ، في الثقافة ، والعبادات و دواوين دولهم ، واستمروا على ذلك إلى أن جاء العرب المسلمون باللغة العدنانية فحدث الربط بين اللغة الكنعانية العروبية ، واللغة العدنانية العربية ، وهذا هو الذي يفسر لماذا تعريب المغرب في وقت قصير و قياسي ، هذا بالإضافة إلى أن الامازيغية هي لغة عروبية قحطانية عاربة [4]

إن العرب قوة مهولة في افريقية ، ولكنهم يشكلون في المغرب الأوسط خطرا مميت.. تبين هذه الشهادة أثر الدور الذي قام به الغزو الهلالي في النظام السياسي ، و دوره ككارثة موقوتة ، كما تبين أيضا الوضع المخالف لممالك القرن الرابع عشر ، عن ممالك القرن التاسع ، وتبين عشرون شهادة أخرى خاصة بالجغرافيين ، مدى الخراب الذي نشروه ، والدمار الذي أصابوا به الحياة الاقتصادية ، وزراعة السهول ، و البستنة على مشارف المدن ، ورغم ذلك فقد لعبوا دورا ايجابيا في تطور التجارة ببلاد المغرب إلى حد ما ، لقد رأينا الخطر الذي ساد في الداخل البلاد منذ و صولهم إليها ، و غلق طرق المشرق الداخلية البرية مما حول نشاط بربر صنهاجة نحو البحر [5]

---

[1] عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 270 .

[2] سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 78 .

[3] عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 23.

[4] ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : محمد هارون ، ط5، دار المعارف ، مصر ، ص 495, أيضا : ابن زيدان ، تحقق : علي عمر ، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس ، ج1، ط ، الرباط ، 1929م، ص62 ، عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 23 ، أيضا : نهاد الموسى ، اللغة العربية وأبناؤها، (دط) ، دار المسيرة ، الأردن ، (د س ط) ، ص 90 ،انظر : مصطفى أعشى ، أحاديث هيروودت عن الليبيين (الامازيغ) ، (دط) ، المعهد الملكي للثقافة الامازيغية ، 2008م ، ص 23 ، أيضا : محمد ضيف الله ،المرجع السابق ، ص 67.

[5] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 328 – 329 .

كما كان تطور التجارة البحرية في بلاد البربر الشرقية ، نتيجة غير مباشرة للغزو الهلالي ، كذلك يرجع إليهم الفضل في ظهور حركة الاتصال السهل و المستمر بين بلاد البربر الغربية وواحات افريقية السوداء ، لان التنقلات الدورية للبدو الهلالية خلقت اتصالات و سهلت تبادل المواد الغذائية ، أنهم يستغلون بدون شك سكان القصور (الواحات) الصحراوية و لكنهم يزودونهم بالقمح الذي ينقلونه من التل ، وفي أسواق الشمال ، يبيعون البلح ، وإنتاج قطيعتهم ، أما النشاط الاقتصادي الذي شهدناه في القرن التاسع في مدينة تاهرت نتيجة جهود بدو زناتة [1] و كما حدث في القرن (3هـ/9م) ، أشرقت الحياة في بلاد البربر في نهاية العصور الوسطى ، من هذه المدن الثلاث المعروفة بدورها الاقتصادي ، ولكن لم تكن تونس أو تلمسان مركزا دينيا ، كما كانت القيروان و تاهرت في الماضي ، لكن مدينة فاس هي التي كانت تستحق هذا الدور ، ونحن نعتقد انه بجانب النشاط السياسي للمدينة و الرغبة في الاقتراب من مساجد الادارسة المقدسة ، والانتفاع بسمعتهم الحسنة ، كل ذلك حدث بني مرين على تفضيل العاصمة الإسلامية الأولى (فاس) في المغرب ، على مراكش ، ركز الإمبراطوريتين السالفتين [2].

كان الحماس الديني في المغرب قويا ، كما كان عليه في افريقية في عهد علماء القيروان ، و لكن طرأ على الإسلام المغربي تغيرات ملموسة ، و يتضح ذلك في مدارس تونس و فاس و تلمسان التي تميزت بالجمال ، الذي قد يغضب أي معاصر للفقيه سحنون ، كما اختلفت الأهداف من تأسيس هذه الدور العلمية الفخمة و كذلك دوافع كل من المشتغلين بالتدريس بها و الدارسين الذين دفعهم حب المعرفة النزيه لدروس الأساتذة القدامى [3].

نشأت المدرسة في المشرق ، مثل كل المؤسسات التي أثمرت في بلاد البربر ، كانت قد ظهرت في بلاد فارس خلال القرن (5هـ/11م) [4] ومنها امتدت إلى سوريا ومصر و المغرب ، ويحدثنا العمري عن مدرسة في مراكش – عاصمة الموحدين – خلط بينها و بين مدرسة من المدارس التي عرفها في مصر ، فهي مدرسة للحديث حيث يدرس فيها مذهب المهدي ، ولقد تبنت سياسة بناء المدارس للتعليم [5] .

لقد انفتحت المغرب تلقائيا للصوفية مع التطور الإسلامي الذي أدى إلى ظهور المدرسة ، و تصدر الدولة للتعليم الديني ، فالصوفية استيراد مشرقي أيضا ، و لمها استغرقت طويلا لتقصد بلاد المغرب ، لم تعرف بلاد

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 329.
[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 330 .
[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 331.
[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 331.
[5] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 332.

البربر[1] شيء من الازدهار المبهر ، لزهاد القرن (2-3هـ / 8- 9م) من صوفية عهد خلفاء بغداد و لم تعرف الصوفية إلا في القرن (5- 6 هـ /11-12م) ، ربما نتيجة للتخمر الديني الذي نتج عن حركات المرابطين و الموحدين ، وبالتأكيد نتيجة غير متوقعة و لا مأمولة لأحاب هذه الحركات ، بالاظافة إلى تأثير سلطان الغزالي ، الذي قام الفقهاء المرابطون بإحراق كتبه ، و قد اشرنا من قبل إلى ما أخذه عنه المذهب الموحدي ، فانتشار كتاب" إحياء علوم الدين " في المغرب و الأندلس ، هو بدون منازع واحد من أعظم الأحداث في تاريخ الإسلام المغربي ، لقد بين الغزالي في كتابه ، إن الابتعاد عن متاع الدنيا و حب الله ، انفع من الناحية الروحية من الطرق الجدلية العقيمة ، وعلى غرار و طبقا للمنهج الذي أعده الصوفيون المشرقيون ، وبالتقشف و الصلاة و التأمل الدائم ، حاول كثير من الرجال الأتقياء الابتعاد عن الدنيا و الخروج من الجسد ، والاقتراب من الله على مراحل متتابعة و التفاني فيه ، ولقد توصل البعض إلى ذلك و أسعدتهم فرحة النشوة ، بل و الإتيان بالمعجزات ، فوهبهم الضمير الشعبي هالة الأولياء .

و ممثل هؤلاء الصوفية أحباء الله في بلاد المغرب هو " سيدي بومدين "، أندلسي من مقاطعة أشبيلية ، أتى إلى افريقية ، وتلقى المبادئ من زاهد بربري ومات و دفن سنة (593هـ/1197م) في قرية مجاورة لتلمسان ، كانت هذه القرية المعروفة " بالعباد " مخصصة للرجال الأتقياء و مركزا للتدريب الصوفي خلال حياة سيدي بومدين و سوف تستمر بعد ذلك [2].

واستقروا على شواطئ افريقية محدودا ، أصبح الشمال الإفريقي غير مستقر ، لا للمهاجرين العرب و لا لأبناء الوطن من البربر ، بل ولا للغازين من المسيحيين ، إذ كان احتلالهم للساحل غير مستقرا كذاك ، فلم تبق تونس أسبانية ، إلا لمدة تسعة و ثلاثين عام ، و بجاية ستة و أربعين عام ، أما و هران فقد بقيت اسبانية لمدة ثلاثة قرون و لم تعد للإسلام [3] سندرك السمات الثابتة منذ الآن لبلاد البربر الإسلامي و التي كونتها عدة قرون ، فمنذ التقلبات التي توالت بعد الغزو الهلالي في القرن (5هـ/11م) ، ومنذ غزو النورمان للسواحل و ظهور المرابطين في المغرب الأقصى ، اتخذ هذا البلد الكبير و ضعه القتالي ، و أصبح يمثل الإسلام المناضل ، و سيكون [4] و بذلك تختصّ كل لغة بمميّزات ذاتيّة في نظامها الصوتيّ و الافراديّ و التركيبي و

---

[1] أفضل تسمية هي : بلاد البربر إذ أن سكانها يكاد يكون جميعهم من البربر دون سواهم ، و إن وجد بربر خارج حدودها ، ولم يطلق البربر على أنفسهم هذا الاسم ، بل أخذوه من دون أن يرموا استعماله عن الرومان الذين كانوا يعتبرونهم أجانب عن حضارتهم و ينعتونهم بالهمج **barba r i** ومنه استعمال العرب كلمة برابرة و برابرة (مفرد بربري) ، انظر : شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس ، الجزائر ، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م) ، (د ط) ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، 2011 م ، ص7، انظر : سعدون عبّاس نصر الله ، دولة الأدارسة في المغرب ، العصر الذهبي (176- 788هـ/ 663- 835م) ، ط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (1408هـ/ 1987م) ، ص 10 .

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص333 ، انظر: عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، ج1، ط ، الرباط ، 1968م ، ص292 .

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 334- 335.

[4] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 335.

الدلاليّ ، وما العربية إلا لغة من لغات من بين اللغات البشرية ، التي انعم الله بها على العرب خصّيصا ، و على من اختارها لسانا و تأليفا [1]

وكانت العلاقة بين هذه القبائل تتحد حسب ما تمليه الظروف و المصالح.. لعدم استقرارهم بهذه المناطق ، وسكنت قبيلة بني هلال و استقرت أيضا في أماكن متفرقة من نجد[2]

كما سكنت قبيلة بني هلال في منطقة البرك ، برك الغماد على ساحل البحر الأحمر ، و انتشروا في حرّة سميت باسمهم [3] وفي الحقيقة ، إن الدراسات التاريخية القديمة أثبتت أن بني ليم ، كانوا أكثر من الهلاليين عددا ، تحولوا جميعا إلى مصر و بلاد المغرب فيما بعد ، و لبثوا كثيرا من الزمن ، و انضم إليهم جماعات شتى من القيسية و السبئية ، مثل فزارة من القيسية ، و المعقل من اليمنية ، وبطون أخرى من القيسية ، وصار اسم بني هلال علما على هذه الجماعات المتنوعة المتحالفة ، و لعل السبب في هذه التسمية ما كان لبني هلال في ذلك الحين من نصيب في زعامة هذه الجماعات ، و ربما كان لسهولة الاسم و دورانه على الألسن دخل في ذلك ، فذكر هلال أكثر من بني سليم [4] .

لم يكن العرب قبل الإسلام يعرفون من اللغة سوى ما يتخاطبون به في معاملاتهم ، أو ما يتساجلون به في أشعارهم ،ليعبروا عن أحاسيسهم ومشاعرهم ، أو ما يخاطبون به في محافلهم في الفرح و الترح [5] بل راح احدهم – وهو " لويس رين " الفرنسي ..وزعم أن عرب " بني هلال " أصلهم " طورانيون " و " اريون " أيضا [6] ووجد الأستاذ عبد المنعم ماجد في مخطوط اسماعيلي اكتشف في الهند أن الخليفة الفاطمي عين الأمير الدولة و حسن ابن علي بن ملهم على رأس قبيلتين إلا وهما : قبيلة رياح و قبيلة زغبة [7] وأصل مواطن قبائل عرب بني هلال وسليم [8] ولقد اجتهد ابن خلدون في التعريف بزعامة الهلالية و قتئذ ، مقتفيا أثر ابن الأثير ، وصنفهم حسب الشرف ، وتبعا لأصالة العروق مع المقابلة بين قبائلهم على أيامه في القرن (8هـ/14م) ، وتلك القبائل تشمل الهلالية و غيرهم من القبائل [9]ويمكن القول أن ثلاثة من بين

---

(1) سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 5.

(2) عبد الحميد خالدي ، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر ، (د ط) ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2003م ، ص 7 ، أيضا : ابن سلام ، المصدر السابق ، ص 253 ،كذلك : الحازمي ، المصدر السابق ، ص109.

(3) عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 7.

(4) عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 75.

(5) سالم علوي ، المرجع نفسه ، ص 93 .

(6) محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 62.

(7) رشيد بوروبية ، المرجع السابق ، ص 48.

(8) سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي (الفاطميون ، بنو زيري ، الصنهاجيون ، إلى قيام المرابطين) ، ج3 ، (د ط) ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1990م ، ص 417 .

(9) سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 285 .

هؤلاء السادة المشايخ ، زعماء الهلالية ، لهم ذكر يفوق غيرهم ، لفضل خصالهم التي صارت مغاني لشعراء قبائلهم ، وهم : حسن بن سرحان أولهم ، ومؤنس بن يحي سابعهم ثم زياد بن عامر ، أخرهم ، والذي تقول فيه رواية ابن خلدون انه كان رائدهم في دخول افريقية [1] ومع أن العرب الذين دخلوا مصر و استقروا فيها كانت غالبيتهم من بني سليم ، فان اسم بني هلال غلب عليهم جميعا ، لأنهم كانوا أوغل في البداوة و أعنف من بني سليم في معاملة الناس وإنزال الضرر بهم ، فأصبح الكل ينسبون إلى هلال بن عامر بن صعصعة ويسموا هلاليين ، أو هلالية ، وهكذا انتقل بنو هلال هؤلاء ، بجموعهم إلى الغرب واتجهوا نحو برقة ، وكان الخليفة الفاطمي قد أقطعهم أفريقية و المغرب و أعطاهم ما سماه "ملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الأبق فلا تفتقروا بعد ذلك " [2] قال تعالى : { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } [3] و هناك من ادعى الاختلاف في نسب هته القبيلة ، فمنهم من أقر انتسابهم لبني هلال ابن عامر من من منطلق (الناس مأمونون على أنسابهم) و هذا يتفق مع مثل بدوي يقول (ما طق إلاّ من حق) ، أي أن لكل شيء أصلا نشأ منه ، بمعنى أن ادعاء بني هلال أنهم من بني هلال بن عامر لابد أن يكون له مستند يعتمد عليه ، ليس مجرد تشابه في الأسماء ، لاسيما و إن ديار القوم لم تكن مرتبطة بديار بني هلال ابن عامر ، بل مرتبطة بديار بني كنانة ، ووفقا لما ذهب إليه و اعتبرهم من بني كنانة ، لان ديارهم عنده هي ديار بني كنانة قديما [4] و هناك من توقف في نسب القوم لعدم توفر أي أدلة تثبت نسبهم أو قرائن تنسبهم لقبيلة أخرى غير بني هلال بنو عامر ، ذلك أن أمر الأنساب شائك لا يكفي اعتماد المرويات الشعبية القبلية للفصل فيه [5]

أثبت نسبة بني هلال ، لهلال بن عامر خلفا عن سلف .. و مجرد الجزم بخلو الجزيرة من الهلاليين أمر توعزه الدقة .. تجد الانتساب إليها كثير و يستغرب بعض المثقفين وجود هلاليين في الجزيرة العربية نظرا لنزوحهم منها إلى المغرب [6] الفتح العربي الثاني أو الغزو الهلالي [7] .

---

[1] سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع نفسه ، ج3 ، ص 419.

[2] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص168.

[3] سورة النحل ، الآية : 82 .

[4] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 13 ، أيضا : عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ج1، ص301.

[5] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 14.

[6] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 14- 15 .

[7] لمعرفة تفاصيل هذا الغزو وآثاره على المغرب أنظر :

ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، (د ط) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1968م ، ص 27- 174 .

و الموطن الأصلي لبني هلال بن عامر بن صعصعة هو تربة أكد ذلك (ريكمنز) الذي ذكر أن أبرهة عندما وجه حملته إلى بني عامر كان موطنهم تربة ، ومما يؤكد ذلك أيضا أن مصادرنا العربية لا تذكر لهم مكان أخر غيره في هذه الفترة ، ولكن نحن نعرف أن من عادة القبائل لا تعرف الاستقرار و لا تحديد مكان الإقامة نظرا لظروف العصر و حركة التنقل و الارتحال ، ولهذا لم تستقر قبيلة بني هلال في مكان واحد فقط ، بل تنقلت و سكنت في مواضع عديدة ذكرها الإخباريون و الجغرافيون نتيجة الحروب و لظروف الحياة الصحراوية التي تدفعهم دوما إلى البحث عن موطن الكلاء و الماء ، فاستقرت قبيلة بني هلال في منطقة "البردان " وهو مكان ماء بنجد ، وأيضا "رينه " و هو واد يصب من سرات تهامة حتى أرض نجد ،كما استقر بنو هلال في منطقة "مران " الشاسعة [1] .

قام بالفتوحات الإسلامية الأولى عرب الجزيرة من البدو الرحل وغيرهم ، فكانت هذه هي القوة العسكرية الأولى للإسلام .. فتح جيش الإسلام صفوفه للمجندين من أبناء البلاد المفتوحة ، وهذه العناصر المحلية ستوسع نطاق حركة الفتح الأصلية ، وكذلك اتجه الإيرانيون إلى فتح آسيا الوسطى ، بينما اتجهت العناصر السورية المصرية إلى فتح افريقية الشمالية ليقوم البربر بدورهم (في مرحلة تالية) بفتح الأندلس و جزيرة صقلية [2] على قول ابن خلدون كان بنو هلال وبنو سليم قبيلتين بدويتين تجولان في صحراء الحجاز : بنو سليم بنواحي المدينة و بنو هلال قرب الطائف " وربما كانوا يطوفون رحلة الصيف و الشتاء أطراف العراق و الشام ، يغيرون على الضواحي و يفسدون السابلة ويقطعون على الرفاق وربما أغار بنو سليم على الحاج أيام الموسم بمكة و أيام الزيارة بالمدينة " [3] هناك من دافع دافع عنهم من المستشرقين ووضح مناقبهم ، منهم الرحالة (ماكس فون أوبنهايم) ، حيث يقول هذا الرحالة الأوروبي في كتابه " البدو" : " الجزيرة العربية هي مهد البدو ، ومنها انطلقت حركات التجول إلى الشمال و إلى الشمال الشرقي حتى داخل بلاد فارس ، و لكن هناك في الشمال الإفريقي كله حتى مراكش بدو ينحدرون في المقام الأول عن قبيلتين هما بنو هلال و بنو سليم ، خرجتا من الجزيرة العربية في القرن (5هـ/11م) متجهين إلى مصر ، ثم غربا إلى ليبيا "[4]

---

(1) عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 15.

(2) موريس لومبار ، الإسلام في مجده الأول من القرن (2 / 8م) إلى القرن (5هـ / 11م) ، ترجمة : إسماعيل العربي ، ط3 ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، المغرب ، (1411هـ/1990م) ، ص 10 .

(3) رشيد بوروبية ، المرجع السابق ، ص 46.

(4) عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 109-110.

ومن بطون بني هلال الذين توجهوا نحو افريقية نذكر الاثبج و رياح و زغبة و جشم و عدي و ربيعة [1] و قد هاجرت بطون كلبية أخرى مع موجات و جحافل بني هلال و بني سليم ، وقد عرفت عند العامة (بتغريبة بني هلال) ، وقد أشار الى ذلك صاحب كتاب قبائل المغرب في قوله:" غلب اسم بني هلال على جميع العرب الذين دخلوا بلاد المغرب (شمال افريقية) في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي حتى ليظن الظان انه لم يدخله شعب من العرب سواهم ، و الحقيقة أن شعوبا عربية أخرى دخلت مع بني هلال أو في إثرهم [2]

تعتبر الديانة عنصرا مهما في حياة القبيلة العربية قبل الإسلام ، إذ هي رابطة روحية كثيرا ما تمسك بها العربي و دافع عنها إيمانا راسخا و اعتقادا ثابتا ، ومن اعتقادات العرب جميعا اعتقادهم بوجود الله و إيمانهم به إلها إلا أن العرب قبل الإسلام اشتركوا بالله إذ جعلوا لله أندادا [3] .

إن بني هلال كغيرهم من العرب قبل الإسلام كانوا يعبدون الله و يشركون معه آلهة ، وأصناما ، ولم نجد في المصادر إشارة واضحة لإله أو صنم خاص ببني هلال ، كما كان عند بعض القبائل العربية ، اللهم إلا كون بعض الأشخاص من بني هلال سدنة لبعض الآلهة ، فمن ذكرهم صاحب المحبر كبني العجلان الذين كانوا للسعيد ، وكان موضعها بجبل احد ، وذو الخصلة كان سدنته بنو هلال بن عامر ، و كان موضعها بين مكة واليمن ، ولا شك أن هذه الآلهة التي كان بنو هلال سدنة لها ، كانوا من أحرص العرب في عبادتها كما كانت هوزان تعبد جهارا بعكاظ ، ولا نظن أن بني هلال اقتصروا على هذه الإلهة في عبادتهم بل لقد عبدوا أيضا آلهة مشهورة كاللات و العزى التي ورد ذكرها في القران الكريم ، ويتضح ذلك من قول الرسول صلى الله عليه وسلم لشيخ من بني هلال سأل الرسول (ص) في بداية الدعوة : لما تدعو ؟ فأجاب الرسول (ص) " أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن تخلع الأنداد ، و تكفر باللات و العزى ..." وهكذا يكون هذان الصنمان أو الإلهان من الآلهة التي عبدها بنو هلال مع غيرهم من القبائل ، وهو ما يفهم من قول الرسول (ص) للهلالي[4] : " ...تكفر باللات و العزى " ، فلا يعقل أن يوجه الرسول صلى الله عليه وسلم كلامه مباشرة لهذا الشيخ الهلالي و يأمر بالكفر باللات و العزى لو لم يكن فعلا مؤمنا بهما ، هو قبيلته على

[1] رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 48.

[2] محمد سليمان الطيب ، موسوعة القبائل العربية ، المجلد 2 ، ج2 ، ط2 ، دار الفكر العربي ، (1417هـ / 1996م) ، ص48.

[3] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 18.

[4] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 18- 19.

أقل تقدير ، وقد قال ابن الكلبي بأن قريشا و جميع العرب تعبد و تعظم اللات ، وكان زعماء بني هلال متحمسين لدينهم ، متشددين فيه ، إذ دخلوا مع قريش و غيرهم بفكرة الحمس ، و هي كما

هناك صعوبة في التحري المنهجي للنظام السياسي لقبيلة بني هلال ، وذلك راجع إلى صمت المصادر العربية عن هذا الموضوع ولعل عدم تماسك بني عامر فيما بينهم ، وتوحدهم ، وافتقارهم إلى قيادة تجمعهم ، من أسباب ضعفهم و طمع القبائل المجاورة فيهم .

[1] وهكذا يتضح لنا جليا موقف هذا الزعيم في عدم الإصرار على رأيه بالرغم من كبر سنه عندما رأى رأيا أفضل من رأيه حيث رأى الفتى الذي يعبر فعلا عن خطة عسكرية محكمة ، وبفضل رئاسة الاحوص و طاعة قبيلته له و المشورة التي اتبعت ، انتصرت القبيلة على مجموعة من القبائل المتحالفة ضدها و هذا يعد جزء من التنظيم القبلي لدى القبيلة [2] و هكذا نرى أن جميع زعماء بني عامر الذين منهم بني هلال الذين ذكرهم ابن حبيب ، كانوا من القبيلة لا من غيرها من القبائل ، وهكذا تكون قبيلة بني عامر قد رفضت أن تولى زعامتها رجل من غيرها [3]

لم يقتصر دور بني هلال على مشاركتهم في النواحي السياسية و الإدارية و العسكرية ، بل تعدّاه إلى النواحي الأدبية أيضا ، فظهر بينهم عدد كبير من الشعراء البارزين الذين تميزوا بقدرة شعرية فذة ، وابلوا بلاءا حسنا في إبراز دور قبيلتهم في جميع المجالات ، والتغني ببطولاتها و أمجادها ، سواء كان ذلك قبل الإسلام أم بعده [4]

و هذا يعني أن بني عامر الذين منهم بني هلال ، كانوا مولعين بالحرية و هذه صفة العرب ، ويرفضون أن يتزعمهم شخصا من خارج القبيلة ، ومجمل القول في هذا المجال : أن قبيلة بني عامر الذين منهم بني هلال كانوا في بداية أمرهم مشتتين بلا رئيس يقودهم ، وهذا الوضع جعلهم تابعين لقبائل قوية ، وما إن وحدوا كلمتهم و انتخبوا رئيسا لهم من بني جعفر بن كلاب حتى بدأ نجمهم في التألق ، وتنظيمهم يتضح ، واستمرت الرئاسة في ذلك البطن من بطون بني عامر ، ليس فقط على هذه القبيلة و إنما على هوازن كلها ، واستمر معها حتى ظهور الإسلام [5] .

و في بيتين من الشعر يفتخر شاعر بربري بانتساب قبائل الطوارق إلى قبائل حمير اليمنية فيقول :

قوم لهم شرف العلى من حمير   وإذا دعوا لمتونة فهم هم

[1] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 23 .

[2] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 23.

[3] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 24.

[4] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 50.

[5] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 25.

لّما حووا علياء كل فضيلة   غلب الحياء عليهم فتلثّموا [1]

و لعل ما يظهر مكانة هذه القبيلة و دورها الفعال ، هو مصاهراتها و علاقات نسبها مع القبائل الأخرى ، و يتضح ذلك في كون الرسول (ص) قد شرفها بزواجه منها بأكثر من واحدة [2] تنتمي هذه القبائل إلى مضر ، بقيت على طبيعتها البدوية ولم يتسرب لها التحضر [3]

ثانيا : الاقتصادية : و في خلافة عمر بن عبد العزيز تعاظمت حركة إسلام البربر و تعريبهم إذ بعث إلى المغرب واليه إسماعيل بن عبيد الله ، وجهل برفقته عشرة من كبار الفقهاء لتبصير المغاربة بأصول الإسلام وفروعه وتعليمهم اللغة العربية و استجاب البربر لتعاليم الفقهاء و أقبلوا على الإسلام حتى " غلب على المغرب " ولم يبق يومئذ من البربر احد إلا اسلم ، باستثناء جماعات طفيفة العدد متناثرة من المسيحيين الذين ظلوا على دينهم ، وهكذا جرى إسلام البربر و تعريبهم " في سرعة و عمق و شمول علة عكس دعاوى بعض المستشرقين الذين ذهبوا إلى حركة التعريب لم تساير انتشار الإسلام في المغرب ، وان البربر لم يتعلموا العربية إلا في وقت متأخر [4]

و يمكن تفسير تأخر إسلام قبيلة بني عامر الذين منهم بني هلال ، ربما يكون دخولهم مع قريش بفكرة الحمس ، وعدم اشتراك بني عامر وبطونها إلا القليل من بني هلال في غزوة حنين ، التي اجتمعت هوازن ثقيف كلها ونصر و جشم و سعد بن بكر ، وكان نتيجتها اندحار هوازن في هذه المعركة و إسلامها فيما بعد ، ونرى أفرادا من بني عامر قد أسلموا في زمن مبكر من الدعوة الإسلامية مثل إسلام ضياعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة التي أسلمت فيمن اسلم بمكة ، حين كانت في زيارة لأهلها عندما جاء الرسول (ص) يدعو بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ [5] هنا يجدر التأكيد على على أن قبيلة بني عامر قبيلة كبيرة حتى أن بطونها من الكثرة في عدد أفرادها ، بحيث أطلق على كل منها اسم قبيلة مثل بني هلال و هي بطن رئيسي لبني عامر فأصبحت تدعى قبيلة بني هلال [6]

---

[1] عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 21 ، كذلك : الخليل النحوي ، بلاد شنقيط (عرض للحياة العلمية و الإشعاع الثقافي و الجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة) ، (د ط) ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة ، تونس ،1987م ، ص 19 .

[2] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 37.

[3] عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 269 .

[4] محمود إسماعيل عبد الرازق ، الخوارج في بلاد حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، ط2 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1985م ، 39- 40.

[5] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص30.

[6] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 30.

و انتشر الهلاليون في أماكن مختلفة من الجزيرة العربية لكثرتهم من جهة ، و للبحث عن الماء و الكلاء من جهة أخرى ، ولهذا نرى في عام الوفود ، بحيث جاء الرسول (ص) الكثير من بني هلال [1]

تذكر المصادر العربية أنه من الصعوبة تتبع سير تنقل و انتشار القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية و خارجها ، وذلك راجع إلى تداخل القبائل في بعضها البعض ، وقبيلة عامر بن صعصعة جمجمة عظيمة و بطونها كثيرة ، أهمها بنو هلال الذين لعبوا دور فعال في حركة الردّة عكس القبائل الأخرى ، وبعد إخمادها ، ساهم بنو هلال في صفوف الجيوش العربية التي فتحت بلاد الشام و العراق ومصر و فارس وشمال إفريقيا [2]
و يقول ابن الرفيق : انه في عام (400هـ / 999م) عبر ثلاثة شعوب من العرب إلى إفريقيا بأسرهم بإذن من خليفة القيروان بالقاهرة ، ذلك أن خلفاء افريقيا منعوهم من العبور إلى ذلك التاريخ ، وكذلك خلفاء مصر ، منذ أن زالت سلطة خلفاء دمشق و بغداد ، كما سنذكر ذلك في محله ، وكان من جملة هذه الشعوب الثلاثة شعبان من صحراء الجزيرة هما بنو هلال و بنو سليم ، والثالث الذي اسمه معقل من اليمن ، وكانوا جميعا يكونون نحو خمسين ألف محارب انتشروا في كل مكان بشرق بلاد البربر ، ثم صاروا يملكون عدة أقاليم من افريقيا مع مرور الزمان ، ومنهم تناسل الاعراب الذين يعيشون في البادية تحت الخيام ، ويطلق الأفارقة ثلاثة أسماء مختلفة على العرب ..ويقولون إنهم عرب أصليون ، والذين ينتمون إلى إسماعيل يسمونهم عربا مستعربة ، ومعناه العرب الذين تعربوا ، لأنهم اتخذوا اللغة العربية ولم يولدوا عربا ، ويسمون الصنف الثالث الذين أتو إلى إفريقيا عربا مستعجمة أي العرب الذين اختلطوا بشعوب بلاد البربر [3] فقام اليازوري على الفور متصلا بمشايخ بني هلال و بني سليم عارضا عليهم و مغريا إياهم بالزحف على المغرب و قد أصلح فيما بينهم بعد أن كانوا يتقاتلون و يتنازعون ، بل استجابوا له في الحال..

والهلاليين انتقلوا بعائلاتهم وممتلكاتهم ، ثم كتب اليازوري إلى المعز بن باديس مهددا ومتوعدا ومخبرا إياه بما أرسله من رجال حرب أشداء قائلا:" أما بعد ، فقد أنفذنا إليكم خيولا فحولا ، وأرسلنا عليها رجالا " [4]
وكانت هجرة السليميين و الهلاليين بقيادة مؤنس بن يحي المرداسي الذي سبقهم بالمجيء إلى المغرب بمدة على ما يبدو لأنه كانت تربطه صلات قوية بالمعز زمن المقربين إليه ، وربما كان سبقه بسبب القحط والمجاعة التي تعرضت لها مصر في سنة (444هـ/ 1046م) أثناء خلافة المستنصر ووزارة أبي محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمان اليازوري [5]

[1] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 31.
[2] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 47.
[3] مارمول كربخال ، إفريقيا ، ج1 ، (د ط) ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1984م ، ص 99.
[4] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 63 – 64 .
[5] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 64.

واختلف المؤرخون في تحديد و ضبط سنة دخول بني هلال و هجراتهم إلى بلاد المغرب مابين (442 / 1045م) و(446/ 1048م) [1] و ثمة ملاحظة ثانية على هذه الهجرة هي تحديد الزمن الذي وصل فيه الهلالية إلى افريقية ، فقد ذكر لأبو الفدا أن ذلك كان في سنة (442هـ/ 1050م) في حين يرى ابن عذارى ، وابن خلدون ، أن ذلك تم في سنة (443هـ/ 1051م) ، ومع أنني أرى القولين الأخيرين هما الأصح لان اليازوري تولى منصب الوزارة سنة (442هـ/ 1050م) كما سبق أن ذكرناه ، إلا أن علاقة العرب الهلالية بافريقية تعود إلى ما قبل هذا التاريخ بكثير ، فقد كان قسم منهم موجودا في برقة منذ أواخر القرن الرابع [2] حيث امتزج العنصر العربي بالعنصر البربري [3] و لا تفوت الإشارة هنا إلى تيار هذه الهجرات إلى بلاد المغرب العربي إبان القرن الخامس الهجري ، كقبيلة بني هلال وبني سليم وبني كلب و أقوام أخرى قد غلب عليها فيما بعد اسم الهجرة الهلالية ، وقد أورد الكاتب عبد الوهاب بن منصور في كتاب قبائل المغرب ص 412 ، ج 1 هذا النص : " غلب اسم بني هلال على جميع العرب الذين دخلوا المغرب في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي ، حتى ليظن الظان انه لم يدخله شعب من العرب سواهم ، والحقيقة أن شعوبا عربية أخرى دخلت مع بني هلال و بعدهم ، وأن بني هلال أنفسهم لم يكونوا يرجعون إلى أرومة واحدة بل كانت معهم قبائل و بطون كثيرة أضيفت إليهم و هي لا تجتمع معهم في نسب "[4]

وتناول المؤرخون هجرة السليميين و الهلاليين بالنقد المرّ ، و اتهموهم بالتخريب و الهدم للمباني و قطع الأشجار و تخريب الآبار إلى حد التشنيع ، ووصفوهم بالجراد المهلك [5] لقد " كان اتصال مستمر – وان كان عدائيا في بعض الأحيان – بين القبائل المحلية و الفاتحين العرب ، وكان مناطق الاتصال الأولى في عملية نشر الإسلام ، تلك المدن التي تمركزت بها تجريدات الفاتحين العرب ، والتي أصبحت اللغة العربية تدريجيا هي اللغة المتداولة فيها وسيلة الاتصال مع الحاميات المتواجدة بها ولقد لعبت العنصر العددي ، أي عدد العرب الذين قدموا إلى المنطقة دوراكبيرا في هذه العملية ، لكن و دون أن نغوص في حسابات تقديرية عن عدد العرب الوافدين [6]

---

[1] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 65.

[2] ممدوح حسين ، المرجع السابق ، ص 120.

[3] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 112.

[4] محمد سليمان الطيب ، المرجع السابق ، ص 78-79.

[5] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 66.

[6] عبد العزيز غوردو ، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب (جدلية التمدين و السلطة) ، دار ناشري للنشر الالكتروني ، ط 2، وحدة المملكة المغربية ، 1432هـ/ 2011م ، ص 69.

ولا شك إن انتقال القبائل الهلالية ، وعملية استقرارها ، وما نتج عن ذلك تفاعل (حروب – مصادمات) أظهر دورها المفسد لاقتصاديات بلاد المغرب [1] .

إن دور العرب – بافريقية و المغرب – مرتبط و نتيجة كذلك للظروف السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي كانت سائدة قبل مجيئهم ، وفي أثناء تواجدهم أيضا ، وما يؤسف له حقا أن بعض المؤرخين العرب يستعملون عبارات لا علاقة لها بالعلمية والنزاهة التاريخية ، كقول حسن حسني عبد الوهاب عن هجرة بنو هلال إلى المغرب :" .. فانتشروا إلى برقة كالجراد همجيا ، لا يخاف الخالق و لا يحترم المخلوق " [2]
.

ثالثا : الاجتماعية والدينية : اجتاز العرب المسلمون افريقية عام (32هـ / 653م) .. بقيادة عقبة بن نافع .. بنى مدينة القيروان التي يسمونها تحريفا قروان ، على ثلاثين فرسخا من تونس نحو الشرق ، يقول المؤلفون الأفارقة أن معظم هؤلاء العرب عادوا إلى الجزيرة العربية محملين بالغنائم ، بعد أن نهبوا البلاد كلها ، وان الذين استقروا في بلاد البربر شيدوا فيها مدنا و قصورا أخرى غير القيروان ليتحصنوا فيها ، وعبروا من حين لآخر إلى بعض الأماكن الإفريقية فاختلطوا بصنهاجة و برغواطة و السنغال ، الذين يطلق عليهم عادة اسم شعوب بلاد البربر الذين كانوا يتكلمون لغة لاتينية فاسدة بعد أن حكمهم الرومان مدة طولية حتى نسوا لغتهم الأصلية بحكم طول مخاطبتهم لهؤلاء الحكام [3]

منذ أن اشتركت في الفتوحات الإسلامية و ترك موطنها الأصلي في شبه الجزيرة العربية و استقرارها في الأمصار الجديدة ، وذلك لان المصادر تبخل علينا بكثير من المعلومات بهذا الخصوص ، كما أن قبيلة بني هلال لم تسر في هجرتها حسب خطة موضوعة ، و إنما ارتبط تحركها واستقرارها بالفتوحات الإسلامية ، وفي الجيش الإسلامي لم يكن هناك انتماء للقبيلة بل دفاع عن الإسلام و تبليغ رسالته ، ضف إلى ذلك أن الجيش الإسلامي كان يقاتل في أكثر من جبهة [4] و لقد كان لقدوم العرب الهلاليين إلى المغرب ..تغريبتهم آثار فكرية و لغوية و إستراتيجية [5] و كأن انحياز اللغويين غالى لغة قريش و استحسانهم لها متأت أيضا من قول الرسول الكريم :" أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش " والذي وقفنا عليه في نصوص العربية أن " بيد " معناه "غير " ، وإذا كان لها هذه الدلالة كما في النصوص يتوجّه شرح الحديث

---

(1) عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 203.

(2) عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 202.

(3) مارمول كربخال ، إفريقيا ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 97.

(4) عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 47 – 48 .

(5) عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 146.

[1] إلى ما ذهبنا إليه من أن لغة قريش ليست أفصح اللغات ، وانه – صلوات الله عليه – قد أدرك هذا فأراد في قوله :" أنا أفصح من نطق بالعربية وان كنت من قريش ، ولغتها كيت و كيت [2]

بعد انتشار الإسلام في الجزيرة العربية كانت للهلاليين هجرات إلى خارج الجزيرة [3] و يقول ابن خلدون عن قبائل صعصعة "..وانتقلوا كلهم في الإسلام إلى الجزيرة الفراتية مسلك نهر حران و نواحيها ، وأقام بنو هلال بالشام غالى أن ارتحلوا إلى المغرب و بقي منهم بقية بجبل بني هلال المشهور بهم..وأشار اليازوري وزير الخليفة المستنصر بإعداد العدة لترحيل قبائل بني هلال و زغبة و سليم و رياح و عدي وربيعة إلى المغرب ، وتولية مشايخهم أعمال افريقية فقبلت مشورته وأرسل بهم إلى المغرب في سنة (441هـ/1050م) وسار العرب إلى برقة وفتحوا أمصارها ..وأقام بنو سليم ببرقة وسرت ، وقبائل دياب وزغب وجميع بطون هلال في افريقية [4]

و يفتخر هنا ابن خميس بانتسابه إلى حمير ، القبائل اليمانية التي تعود اليها أصول البربر و بخاصة قبائل صنهاجة ، ويذكر في قصيدة أخرى حمير فيقول :

إذا انتسبت فإنني من دوحة   يتفيّأ الإنسان برد ظلالها

من حمير من ذي رعين من ذوي   حجر من العظماء من أقيالها [5]

دخل البدو الهلاليون افريقية (441هـ/1050م) وهم يحملون عقود إقطاع منحهم إياها الخليفة الفاطمي وكانوا أقوياء بفضل عصبيتهم القبلية وحنكتهم في الحرب [6] و ادخل الهلاليون أو نشروا في افريقية التي غزوها النظام القبلي – الحربي وفي نفس الوقت حياة البدو الرحل القائمة على تربية الحيوانات فتقلصت الحياة الحضرية وانكمشت بصورة عامة حياة الاستقرار [7]

1– **برقة** : وصل بنو هلال إلى برقة سنة (442هـ/1051م) [8] فوجدوها خالية [9]، لان لان المعز قد أضعف أهلها و شتت شملهم ، فاستوطن الهلاليون برقة ، ولكن المعز ارتاب في شأنهم [10] و

---

[1] إبراهيم السّمرائي ، العربية تاريخ و تطور ، ط ، مكتبة المعارف ، بيروت ، (1413هـ/ 1993م) ، ص 290.

[2] إبراهيم السّمرائي ، المرجع السابق ، ص 290.

[3] رضوان محمد حسين النجار ، المرجع السابق ، ص 26.

[4] رضوان محمد حسين النجار ، المرجع نفسه ، ص 26 ، انظر : عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 270 .

[5] عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 360 .

[6] محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ، ط3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993م ، ص 41.

[7] محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص 41.

[8] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 168 .

[9] عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 271.

[10] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 186.

لذا نرى أن قبيلة بني هلال اندفعت صوب العراق و الشام [1] و كان لها شرف المشاركة في الفتوحات الإسلامية ، و بعد الفتح و التحرير ، استقر أفراد من بني هلال في العراق و خاصة في الكوفة ، واستقرت أيضا مجموعة من بني هلال في بلاد الشام [2] و لما أجاز الفاطميون لبني هلال عبور النيل غربا نحو إفريقيا ، عبر بنو هلال و بنو سليم النيل ، وتوجهوا نحو برقة ، ونزلوا بها و افتتحوا أمصارها ، وكانوا قد وجدوها خالية ، إذ كان المعز قد أباد معظم سكانها من زناتة ، وكانت برقة قد أعجبت الهلاليين ، فكتبوا لإخوانهم الذين بقوا شرقي النيل يرغبونهم في البلاد [3] فقد حارب المعز قبائل زناتة التي كانت تقيم بها و شتت شملها ، ثم أرسلوا إلى من بقي من بطونهم في مصر يحثونهم على اللحاق بهم ، فتوجهوا إلى افريقية فوصلوها عام (443هـ / 1051م) وتصدى المعز للهلاليين بجيش قوامه ثلاثون ألف جندي و فارس و اشتبك مع عشائر رياح و زغبة و عدي قرب قابس [4]

و زناتة التي يتحدث عنها ابن خلدون بمناسبة قيام دولة الثلاثة الكبرى في المغرب — و هي دولة بني مرين و بني وطاس و بني عبد الواد — ليست زناتة القديمة التي عرفها العرب لأول دخولهم المغرب متمثلة في قبائل هواة و لواتة و نفوسة و جراوة (قبيلة الكاهنة) و برغواطة قوم ميسرة و خالد بن حميد الزناتي ومن إليهما من كبار زعماء الخارجية أيام الفتنة الخارجية الأولى ، فزناتة الأولى بربرية صرفة أسلمت المستعربة التي تأثرت تأثرا عميقا بالغزوة الهلالية ، قال في ذلك ابن خلدون :" فاعلم أن جيل زناتة في المغرب جيل قديم معروف العين و الأثر ، وهم لهذا العهد آخذون من شعار العرب في سكنى الخيام ، و اتخاذ الإبل و ركوب الخيل ، والتقلب في الأرض ، و إيلاف الرحلتين ، وتخطف الناس من العمران و الإبانة عن الانقياد إلى النّصفية ، وشعارهم من بين البربر اللغة التي يتواطنون بها ، وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر ، و موطنهم في سائر مواطن البربر بافريقية و المغرب ، فهم على ذلك زناتيون متعربون في أسلوب الحياة و التفكير ، فقط تعلموا من العرب الهلالية سكنى الخيام و اتخاذ الإبل وما إلى ذلك مما ذكره ابن خلدون ، وتعلموا منهم كذلك تخطف الناس من العمران و الاباية من الانقياد

وهي ليست من خصال العرب الأول و لكنها من خصال عرب الجيل الرابع ، الذين يسميهم ابن خلدون بالعرب المستعجمة ، لما كان من استعجام ألسنتهم و فقدانهم اللغة العربية السليمة ، ومن هؤلاء عرب بني هلال بن عامر ابن صعصعة ، وبني سليم بن منصور أصحاب الغزوة الشهيرة أو التغريبة [5]

---

[1] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 48 .

[2] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 48 .

[3] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 48 .

[4] عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 360 .

[5] ابن أحمر ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تحقيق : هاني سلامة ، ط ، مكتبة الثقافة الدينية ، (1421هـ / 2001م) ، ص 4 - 5.

و منذ استقرار هؤلاء في برقة لأخذوا يغيرون على أطراف افريقية الشرقية كلما واتتهم الفرصة فيعيثون فيها الفساد [1] و نستخلص مما ذكره المؤرخون ، أن هذه الهجرة قد تمت على دفعتين ، كانت الأولى –كما رأينا – بإغراء الفاطميين ، وكانت الثانية هجرة طوعية ، أقدم عليها بنو هلال و بنو سليم ليشاركوا إخوانهم و أبناء عمومتهم في الاستقرار [2] وحققت الرحلة بالنسبة للهلالية نجاحا كبيرا ، إذ سرعان ما وصلوا إلى برقة ، التي استوطنها اعتبارا من سنة (442هـ/1050م) حيث وجدوا بلادا طيبة كثيرة المرعى خالية من الأهل ، بسبب هجرة الزناتية منها أمام ضغط صنهاجة و المهم أن ذلك النجاح الذي حققه الهلالية في برقة – بمساعدة إخوانهم من بقايا عرب الفتوح الذين كانوا هناك – حمسهم ، فكتبوا إلى إخوانهم شرقي النيل يرغبونهم في البلاد ، وكانت فرصة استغلتها السلطات الفاطمية هناك ، فبعد أن كانوا يدفعون لكل وجل يعبر النيل إلى الغرب دينار ، صاروا يأخذون منهم ضريبة مقدارها دينارين ، فاستعادوا ما كان أخذ منهم أضعافا ، كما تقول رواية ابن خلدون[3]ومع زيادة أعداد المهاجرين مع مرور الوقت ، كان من الطبيعي أن تزداد أعمال الإفساد و التخريب ، وفي ذلك تقول الرواية : أنهم خربوا المدينة (أي برقة : المرج حاليا) و اجدابية و سرت ، حيث أقامت قبائل لهب من سليم و أحلافها من رواحة و ناصرة و عمرة ، والظاهر أن فكرة الشر و الفساد التي غلبت على الكتاب بالنسبة لأعمال الهلالية في بلاد القيروان ، هي التي أملت فكرة أنهم لم يدخلوا البلاد حسب خطة موضوعة بل نتيجة للقرعة التي جعلت من نصيب قبائل سليم : القسم الشرقي من البلاد ، ولهلال القسم الغربي منها ، بينما الصحيح أن الهلالية كانوا الطرف الأقوى في حلف القبائل العربية ، ولهذا كان لهم فضل التقدم نحو الغرب يتبعهم الآخرون ممن ساروا في أثرهم من سليم وغيرهم ، وهم الذين كان القسم الشرقي من البلاد من نصيبهم ، و هكذا وصفت الرواية قبائل هلال التي اندفعت غربا مكتسحة برقة و طرابلس قبل افريقية التي وصلتها سنة (443هـ/1051م) وهي : دياب و عوف وزغبة ، وكأنها الجراد المنتشر [4]

كانت جموع بني هلال ببرقة ، وكان المعز لا يتوقع منهم شرا على ملكه ، وفي هذه الأثناء كانت القبائل في طريقها نحو المغرب الأدنى ، بعدما دخلوا المدينة الحمراء و أجدابية و سرت ، و على قول ابن خلدون فان العرب الهلاليين دخلوا إفريقيا ، وكان و صولهم إليها سنة (444هـ/1053م)..

---

[1] ممدوح حسين ، المرجع السابق ، ص 120.

[2] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 115.

[3] سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 423 .

[4] سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 423 .

فألّح عليه المعز ، فقبل و استدعى بني رياح [1] و أراد الأعراب الوصول إلى القيروان [2] فأجاز بنو هلال و بنو سليم النيل و توجهوا نحو برقة و "نزلوا بها و افتتحوا أمصارها و استباحوها و كتبوا لإخوانهم بشرقي النيل يرغبونهم في البلاد ، فأجازوا إليهم بعد أن أعطوا لكل رأس دينارين " ، ثم تقارع بنو هلال و بنو سليم على البلاد ، فحصل لسليم الشرق و لهلال الغرب[3]

أخطر فترة في تاريخ اللغة العربية في مصر ، هي التي تبدأ مع الفتح العربي(20هـ/640م) حين[4] بدأت المراحل المبكرة لتعريب مصر عقب الفتح العربي مباشرة.. وانتشرت اللغة العربية من مصر الجنوب بمحاذاة النيل فدخلت السودان و تشاد ، وفي منتصف القرن الثالث الهجري هاجرت قبائل ربيعة و جهينة من صعيد مصر باتجاه الجنوب فغزت أراضي قبائل النوبة و البجة ولذلك تجد البدو الذين يتكلمون العربية في السودان حاليا يدعون أن أصلهم يرجع لقبيلة جهينة ، بينما يسمى بجعل ، ولكنهم في أغلب الظن من النوبيين الذين تعربوا في مرحلة مبكرة ، أي بعد الفتح العربي لمصر مباشرة وقبل الهجرات البدوية [5]

هاجر مع بني هلال من مصر إلى بلاد المغرب ، عرب بني سليم [6]

المهم أن قبائل الهلالية هذه عاشت في صحراء الصعيد الشرقية تحت رقابة الدولة ، فهذا ما يفهم من النص الذي يقول انه كان " لا يسمح لها بالرحيل و لا بإجازة النيل ، وهنا تثور المشكلة خاصة بشخصية الوزير الذي دبر عبورهم النيل و توجيههم نحو المغرب ، فرغم ما هو دارج من أن الذي فعل ذلك هو الوزير اليازوري (أبو محمد الحسن بن علي) الفلسطيني أصلا ، والذي أراد يجدد شباب الوزارة الفاطمية ، و بالتالي هيبتها ، بالنسبة لنواب الخلافة سواء في الشام أو في المغرب و افريقية فانتهى الأمر إلى عكس ما أراد [7]

إذن – حدثت بعض الهجرات ، انطلاقا منها نحو مصر أولا ثم ينتقل أصحابها بعد ذلك كمرحلة تالية إلى بلاد المغرب [8]

---

[1] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 116.

[2] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 116.

[3] رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 47.

[4] أحمد مختار عمر ، تاريخ اللغة العربية في مصر ، المكتبة العربية ، (د ط) ، القاهرة ، (1390هـ/1970م) ، ص 7.

[5] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 187.

[6] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 188.

[7] سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 420.

[8] بوزياني الدراجي ، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها ، ج 1، (د ط) ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007م ، ص 35 .

أهم مشاركة لبني هلال في الفتوحات الإسلامية [1] وكإجراء أمني وقائي للحد من نشاطهم المناهض ، قام الخليفة الفاطمي بنقل السليميين و الهلاليين إلى الصعيد المصري ، وكان ذلك في القرن (الرابع الهجري / العاشر الميلادي) ، وقد نزحوا إلى أرض المغرب مع إخوانهم بني هلال في القرن (الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) ، ومعظم فروع بني سليم [2] وبعد تأكد تقهقر المعز بن باديس ، لم يسمح اليازوري لبقية السليميين و الهلاليين بتخطي نهر النيل و الاتجاه غربا للحاق ، إلا بعد أن يدفع كل فرد دينارين ، وبهذه العملية الماكرة و المحبوكة استرد اليازوري و المنتصر ضعف ما دفعاه لسابقيهم من مال الخزينة ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على جشع نفوس أولائك الحكام وفسادها ، إذ لم يكفيهما استرداد إمارة إفريقيا مؤقتا الذي تم لهما بدون تعب أو خسارة ، فما دفعوه من الخزينة استرجعوه وابعدوا البدو عن ساحة الخلافة ، وقضوا على المعز الصنهاجي ، وتم لهم كل ذلك بحيلة محكمة التدبير ، كانت نتائجها وفق أمالهم و تطلعاتهم دون يخسروا شيئا ، أو يتجشموا أية صعاب ، في سبيل الوصول إلى ذلك [3] وتناول المؤرخون هجرة السليميين و الهلاليين بالنقد المرّ ، واتهموهم بالتخريب و الهدم للمباني وقطع الأشجار و تخريب الآبار إلى حد التشنيع ، ووصفوهم بالجراد المهلك ، وعلى رأس المؤرخين عبد الرحمان بن خلدون حين تناول هجرة الهلاليين و السليميين ، ولكن نستطيع أن نقول :

1- السليميون و الهلاليون بدو محبون للتنقل و الترحال من مكان إلى مكان ، ولذا كانت هجرتهم تشبه الفرار من سجن غير مباشر بصعيد مصر حيث حددت إقامتهم منذ تنقلهم من الشام .

2- جاءوا إلى المغرب بممتلكاتهم و عائلاتهم وليسوا كجيش مقاتل مرسل في مهمة مؤقتة لإخماد ثورة أو عزل حاكم وتنصيب آخر ، بل كانوا ينوون الإقامة والاستيطان الدائم وعدم العودة من جديد إلى صعيد مصر حيث كانوا .

3- ما دامت نواياهم هذه ، فكيف يخربون ويدمرون المباني ويقطعون الأشجار ويخربون الآبار

4- إن هجرة بني هلال و بني سليم بعائلاتهم و ممتلكاتهم إلى بلاد المغرب ، يتضح لنا على انه توجد هناك صلة ربط تجمع بينهم وبين سكان المغرب ، فكيف يعقل أن يهاجروا بعائلاتهم وممتلكاتهم وهم يجهلون ردّ الفعل لسكان المغرب ؟ كما نعرف أن أفرادا من بني هلال و بني سليم كانوا من المساهمين

[1] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 48 .

[2] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 59.

[3] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص65.

في الفتح الإسلامي للمغرب الذي هو عبارة عن فتح قلوب قبل أن يكون فتح مناطق [1] و بهذا يمكن تفسير ظاهرة التسابق نحو إثبات الذات ، التي عرفتها قبائل المغرب الإسلامي ؟ [2] .

رابعا:العلمية و الثقافية: توجه بنو هلال نحو افريقية و دخلوها ، على قول ابن خلدون " كالجراد المنتشر " [3] و الحقيقة أنه كان لهذه الهجرة آثار سلبية و أخرى ايجابية ، أما بالنسبة لسلبياتها فإنها و إن كانت عديدة إلا أن مسؤوليتها لا تقع على كاهل الهلالية وحدهم ، فالفوضى السياسية و الاجتماعية و التدهور الاقتصادي كانت كلها موجودة في افريقية قبل دخول الهلالية إليها [4] و أما الخراب و الدمار الذي حل بافريقية كم جراء الهجرة الهلالية إليها فلا يتحمل وزره هؤلاء وحدهم ، وإنما يقاسمهم في ذلك جل قواد الدولة الزيرية بل و بعض أمرائها أنفسهم [5]

وأما ايجابيات هذه الهجرة فتتمثل في عدة وجوه أهمها أنها أمدت افريقية بدماء فتية و محاربين كانوا لا يزالون يحتفظون بشجاعة و خشونة البادية و كانت في حاجة ماسة إليها في صراعها المقبل مع الحركة الصليبية بهم أسهم في حفظ النظام في افريقية في تلك الفترة الحرجة من تاريخها ..وأخيرا وليس آخرا دورها في استكمال تعريب المغرب العربي [6]

إن دراسة البيئة الجغرافية للمغرب ضرورة حتمية في فترة العصور الوسطى ، لان البيئة الجغرافية تؤثر في الحياة القبلية تأثيرا عظيما ، و معلوم أن الحياة القبلية هي عصب تاريخ المغرب الإسلامي ، حيث ظفرت القبائل المغربية بالمساواة المطلقة بالفاتحين بعد دخولها في الإسلام ، واستطاعت منذ القرن (الثاني الهجري / الثامن الميلادي) ، أن تؤسس دولا لعبت في تاريخ المغرب الإسلامي دورا عظيما [7]

---

[1] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 66.

[2] بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 26-27 .

[3] رشيد بوروبية ، المرجع السابق ، ص 48.

[4] ممدوح حسين ، المرجع السابق ، ص 122.

[5] ممدوح حسين ، المرجع نفسه ، ص 124.

[6] ممدوح حسين ، المرجع السابق ، ص 127.

[7] عبد الحميد حسين حمّودة ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي و حتى قيام الدّولة الفاطمية ، ط ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، (1428هـ/2007م) ، ص 11.

إن تاريخ البربر في المغرب [1] نال من كل المؤرخين العرب القدامى عناية واهتماما ، ومنهم من أورده بشكل بعيد عن الواقع ولكنهم جميعا لم يوضحوا فكرة و حقيقة أصول المغاربة القدامى بل جلهم تحدث عن المغرب و كأن البربر هم أول من وجد له ، وانهم كما سبق أبدوا رأيا شبيها بما استعرضنا خاليا من الذكر البربر تلك الصفة ، فالبلاذري في فتوح البلدان ، والبكري في المسالك ، والطبري في الصلة ، وابن الأثير في الكامل والمسعودي في المروج ، وابن كثير في البداية ، وابن حزم في الجمهرة ، وابن عبد الحكم في الرياض ، بل وحتى الواقع في الخلط الكثير ابن زرع في روضه ، وابن عذارى في البيان ، والمراكشي في المعجب أصل سكان المغرب هم البربر ، وان البربر أصلا من ال عمون سكان جنوب فلسطين ، لكن من أين لهم هذا الإجماع ، انه حسب المعطيات التاريخية لاشك كان من مصدر واحد تسرب لجميعهم و المصدر الأول العربي الذي بين أيدينا هو البلاذري في كتابه فتوح البلدان و هو المتوفي (279هـ/892م) ففيه نجد النص على أن البربر من الجبارين ..في حين أن الاستنتاج يؤكد أن قوله هذا لا يعني المغاربة القدامى ، ولا يثبت أن البربر هم أول من سكن المغرب ، كما أشار ابن خلدون إلى أن موجة الهجرة كانت بعد الحرب بين داود وجالوت و أنها وجدت المغرب قد امتلأ بالقبائل و البطون و الأفخاذ وهكذا لا نجد في مثل هذا ما يعطينا فكرة عن أصول المغاربة قبل البربر ، ولربما سيظهر من تراث المغرب المخطوط و الذي لم يكشف بعدما يكون أكثر شمولا مما عرفنا من تاريخ العرب و غير العرب حول المغاربة القدامى وهكذا ليس ببعيد ما دمنا قد وقفنا على النادر من التراث في المغرب [2]

ثانيا : منهم من نظر إلى التركيب البشري ، فالمغرب عند هذا الفريق ما كان في القديم ديار البربر ومواطنهم ، ووفق هذه النظرة فالمغرب يمتد من غرب مصر إلى المحيط الأطلسي و يخرج الأندلس منه .

ثالثا : منهم من جعل الأوضاع الإدارية و الظروف السياسية محور لتعريفه عن وعي أو دون وعي ، فالاصطخري الذي كتب كتابا في وقت تبلور غيه استقلال الأندلس عن الخلافة العباسية و أصبح الشمال الإفريقي موطن نزاع بين أموي الأندلس و فاطمي افريقية [3] .

إن ندرة المعلومات المتعلقة بالوضعية الاجتماعية للمغاربة ، أواخر العهد الجمهوري وبداية العهد الإمبراطوري الروماني ، تجعل البحث في هذا الموضوع من الأمور الصعبة التي تستبعد معها الخطأ ، ذلك أن الهياكل التشريعية و الإدارية و الرومانية في بلاد المغرب ، لم تبرز بوضوح إلا خلال القرن الثاني الميلادي ، وهو زمن متأخر عن فترة البحث الذي نعالجه ، ثم إن كتابات المؤرخين اعتادت أن تركز على فترة الازدهار الروماني

---

[1] نظرية ابن خلدون في أصل البربر بصفة عامة و قبائل زناتة بصفة خاصة ، انظر : محمد بن أحمد ابن شقرون ، مظاهر الثقافة المغربية دراسات في الأدب المغربي في العصر المريني ، (د ط) ، دار الثقافة ، الدار البيضاء – المغرب ، (1406هـ/ 1985م) ، ص 18.

[2] عبد الكريم الفيلالي ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ج1 ، ط ، شركة تاس للطباعة ، القاهرة ، 2006م ، ص 143- 144.

[3] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 77- 78.

في المنطقة ، حيث تتوفر النصوص القديمة ، والشواهد التاريخية التي يستقي منها الباحثون مادة الكتابة العلمية ، يضاف إلى ذلك أن أوضاع إفريقيا الرومانية كانت متقلبة في آخر عهد الجمهوري ، لان هذا الحكم يم يكن يهمه من أمر الولايات الإفريقية ، وباقي المنطقة المغربية ، إلا ما كانت تزود به روما من منتوجات فلاحية [1] من مستويات تعريب و إسلام بلاد المغرب ، و إلا كيف أصبحت البلاد على ما هي عليه لاحقا ؟ إن لفظ المغرب الذي أصبح يعوض الأسماء الرومانية القديمة ، يوحي هو أيضا أن تعريبا ما قد حصل علينا أن نكشف مستوياته بدل أن ننكر وجوده [2]

يقسم المغرب إلى مغربين ، إفريقي و أندلسي ، وفي القرن (الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي) ، ظل المغرب يمثل منطقة نزاع بين قوتين ، ونجد صدى ذلك في تعريف البكري الذي يسمي الشمال الإفريقي ب " افريقية " ، وتمتد من برقة بالجماهيرية العظمى إلى الرمال المتصلة بأرض السودان ، ومما يوضح أثر الظروف السياسية في تعريف لفظ " المغرب " أن التعريفات التيس استندت إلى مرتكزات طبيعية جغرافية أو إلى نظرة عرقية لم تكن بعيدة عن الأوضاع السياسية [3] أما تضاريس شبه الجزيرة فتشبه إلى حد كبير تضاريس المغرب[4] و أما ابن خلدون فقد ذكر في تعريفه أن هذا هو العرف الجاري في زمانه ، وفي عصر ابن خلدون لم يبق من المغرب في جناحه الأندلسي سوى قطعة أرض صغيرة هي مملكة غرناطة ، و بمعنى أخر لم يبق من المغرب إلا موطن البربر القديم تقريبا ، هذه الخلفية السياسية في تعريف المغرب ربما عللت لما يخرج بعض الأندلس عن تعريفه للمغرب ، أو لما ظهر تقسيم الشمال الإفريقي إلى أقاليم ثلاثة ابتداء من القرن (الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) ، مع الاختلاف في الحدود الفاصلة بينها ، إذ شارك في القرن الخامس هجري تقاسم المغرب ثلاثة دول ساهم فيها الفاطميون في التقسيم ، وشارك فيه بعض الأحيان القبائل الهلالية ، وفي القرن السادس الهجري و حّد الموحدون المغرب ، ثم انقسم مجددا بانحلال الموحدين [5] إننا نجد اختلافات كبيرة في النصوص التابعة لتلك الفترة حول بداية و نهاية افريقية ، وهناك صعوبة أخرى لضبط حدود تلك البلاد راجعة إلى كون مفاهيم السيادة و الحدود بالنسبة إلى ذلك العصر [6]

---

[1] محمد البشير الشنيتي ، سياسة الرّومنة في بلاد المغرب من سقوط الدّولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا 146ق.م – 40 ، (دط) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982م ، ص 85 ، أحمد توفيق المدني ، قرطاجنة في أربعة عصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1986م ،ص 9.

[2] عبد العزيز غوردو ، المرجع السابق ، ص 68.

[3] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 77- 78.

[4] هي سلسلة جبال نفادا ، و عرفت في العصر الإسلامي بجبال الثلج أو جبل شولير لأن الثلج لا يفارق قممها صيفا ولا شتاءا ، انظر : السيد عبد العزيز سالم ، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، (د ط) ، مؤسسات شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1985م ، ص7.

[5] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 79.

[6] روبار برنشفيك ، تاريخ افريقيّة في العهد الحفصيّ من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م ، ج 1 ، ط ، مطابع الشروق ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، 1988م ، ص 313.

إن المنطقة التي تطلق عليها المصادر العربية في العصر الوسيط اسم " افريقيّة [1] " و نسمّيها أحيانا في الوقت الحاضر "بلاد البربر الشرقيّة " ، تطابق ، بوجه عامّ ، البلاد التونسية الحالية ، بإضافة البلاد الطرابلسية في الجنوب الشرقي و منطقة قسنطينة في الجهة الغربية ، و في عبارة " افريقيّة " نكتشف بدون عسر صيغة متولّدة عن اللفظ اللاتيني "أفريكا " فهذه العبارة الموروثة عن العصور القديمة اللاتينية [2] لها مدلول أبلغ من الاشتقاقات الاعتباطية التي قام بها المؤلفون المسلمون : إذ أن إفريقيا البروقنصلية و نوميديا ، وهما المقاطعتان الإفريقيتان (العتيقة – الجديدة) اللتان أحدثهما قيصر ، ستواصلان مصيرهما المشترك بتسمية مشتركة ، على أن نطاق اتّساع افريقيّة ستدخل عليه عبر القرون تغييرات ذات بال ، وكذلك الشأن بالنسبة لجميع العبارات نصف الجغرافية ونصف السياسية التي تشير إلى بلد معيّن ، فان التاريخ يسجّلها و كأنها مرتبطة بالتقلّبات الحدوديّة ، وذلك مهما كان مدلولها الأصلّي ، و أنّ منطقة "افريقيّة " خلال القرون الأخيرة من العصر الوسيط التي ستكون موضوع اهتمامنا [3] ويبدو أن هذه الخلفية السياسية لتعريف المغرب هي سبب اضطراب عبد الواحد المراكشي في محاولته تعريف " المغرب " ، فجاء متناقضا في ثلاثة مواضع من معجمه ، لاسيما و أنه صنف في وقت كانت الكلمة تستعمل استعمالا اصطلاحيا إداريا خاصا ، إذا كان المرابطون ثم الموحدون قد أطلقوا كلمة بلاد المغرب على المنطقة الممتدة من برقة بالجماهيرية إلى مدينة فاس في تنظيماتهم الإدارية مع العلم أن المرابطين و الموحدين لم تكن لهم سلطة فعلية سياسية على برقة و طرابلس و فزان أي على الجماهيرية في تلك الفترة [4].

وأول بلاد المغرب على ما حكاه صاحب جغرافيا جبال برقة و جبال ءاوتان في المشرق ، وهذه الجبال آخر عمل مصر ، وأول عمل القيروان ، وينقسم المغرب على ثلاثة أصقاع :

الصقع الأول هو موضع افريقية من جبال برقة و ءاوتان إلى جبال نفوسة ، والصقع الثاني المغرب المتوسط و أوله تاهرت إلى سبتة إلى جبل درن ، والصقع الثالث السوس الاقصا ، وحدّه في الغرب البحر الأعظم من ماسّة إلى صحراء المرابطين ، وهذا الإقليم الرابع هو الأوسط من الأقاليم السبعة التي رسمها

[1] أما افريقية فقصبتها القيروان ، انظر : شمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط2 ، مطبعة بريل ، دار صادر ، بيروت ، 1906 م ، ص 216 ، أيضا : سعدون عباس ، المرجع السابق ، ق1 ، ص 10.

[2] روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 29 .

[3] روبار برنشفيك ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 29 .

[4] علي الجزنائي ، جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس ، تحقيق : عبد الوهاب ابن منصور ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، (1411هـ/ 1991م) ، ص 6- 7، انظر أيضا : محمد حسين الفرح ، عروبة البربر تاريخ ودلائل انتقال البربر من اليمن إلى بلاد المغرب و الجذور العربية اليمنية لقبائل البربر ، (د ط) ، دار الكتب صنعاء ، الجمهورية اليمنية ، (1431هـ/ 2010م) ، ص 21-22- 23.

حكماء الهند ، وهو أعمرها ، وفيه أرض بابل ، وجزيرة العرب ، وبقية بلاد البربر[1] في أقصا الغرب ، وبعض مدن جزيرة الأندلس كاشبيلية و قرطبة و غرناطة ، والمرية و مرسية ، وفيه بغداد ، فلاعتداله اعتدلت أبدان أهله ، فسلموا من شقرة الروم ، وسواد الحبش ، وغلظ الترك ، وجفاء أهل الجبال ، و تمامة أهل الصين ، وكما اعتدلوا في الخلقة اعتدلوا في الفطنة و الذكاء و العلم ، ذكر ذلك صاحب (المدهش) و غيره .. و أما حكم أرض المغرب فقال أبو الحسن ابن القابسي في شرح موطأ مالك رحمه الله من كتاب الجهاد : اختلف الناس في أرض المغرب هل افتتحت عنوة أو صلحا أو مختلطة على ثلاثة أقوال : الأول الذي يظهر من رواية ابن القاسم عن مالك أنها فتحت بالسيف عنوة ، لأنه جعل في المعادن النظر الإمام [2]، ولو صحّ ذلك لم يجز لأحد بيع شيء منها كأرض مصر و طنجة لأنها افتتحت بالسيف [3]، الثاني قيل صلحا صالحوا عليها أهلها ، فان كان كذلك جاز بيع بعضهم من بعض ، الثالث قيل أنها مختلطة هرب بعضهم عن بعض فتركوها ، فمن بقى بيده شيء كان له ، وهو الصحيح ، والله أعلم ، وقال الداودي في كتاب الأموال له بعد بسط كلام في ذلك أن الذي يوجبه النظر فيها ان تجري على ما توالت عليه القرون الماضية في أمرها ، وتقر بأيدي مالكيها إلا ما تواترت فيه الأخبار أنه اغتصب أو جلا عنه أهله ، و قال التادلي الحافظ : إن أرض المغرب اسلم عليها أهلها [4] و تسمية هذه المنطقة باسم المغرب ، تسمية محدثة لم تعرف إلا في القرن الأول الهجري أطلقها عليه الفاتحون من المسلمين لأنه يعتبر من الجهة الغربية بالنسبة للمراكز التي توجهت منها الجيوش لفتح هذه البلاد [5]

إن العربية التي وصلت لمصر و المغرب لم تعد هي " عربية " جزيرة العرب ، إنها قد امتزجت بقبطية مصر في الحالة الأولى و بأمازيغية المغرب في الحالة الثانية ن ولهذا السبب هناك لهجات مختلفة في اللغة الفصحى ، لو حصرنا نقاشنا في بلاد المغرب و أثرنا الإشكال المنهجي التالي : من أين جاءت اللهجة العامية على اختلافها الجهوية التي يتحدث بها المغاربة حاليا ؟ بديهي أنها قد مرت بمرحلة تاريخية طويلة ومركبة لكن الأكيد أنها " لهجة عربية " صحيح أنها ليست فصيحة ، لكنها عربية على كل حال (بغض

---

(1) قال ابن خلدون هؤلاء البربر جيل كبير عظيم ، ولهم شعوب وقبائل أكثر من أن تحصى ، وتفرع من البربر الولى البتر ، و المصامدة ، والبرانس ، و صنهاجة ، وكتامة ، و أوربة ، و لواتة ، و زناتة ، انظر : أبو القاسم الزياني (1147، 1249هـ/ 1734 ،1833م) ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا و بحرا ، تحقيق : عبد الكريم الفيلالي ، (د ط) ، دار النشر للمعرفة ، الرباط ، (1412هـ /1991م) ، ص 69.

(2) علي الجزنائي ، المصدر السابق ، ص 6- 7.

(3) علي الجزنائي ، المصدر نفسه ، ص 6- 7.

(4) علي الجزنائي ، المصدر السابق ، ص 6- 7.

(5) عبد الله محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش ، (د ط) ، دار الثقافة ، القاهرة ، (1411هـ/1991م) ، ص 11.

النظر عما تحتويه من مفردات غير عربية) ، لكن بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي [1] أن لهجتها كانت هي الامازيغية (بغض النظر هنا أيضا عما كانت تحتويه من مفردات غير أمازيغية) و هي تتكلم لهجة عربية ، فمتى حدثت الطفرة الانتقالية التي وضعت أولى لبنات هذا التحول أو التغيير ؟ [2]

ليست مسألة تعريب بلاد المغرب مسألة غزو عسكري أو ديني ..لأنها كل هذه العناصر مجتمعة ، ويحصل الانجاز الكبير في المجتمع عندما يقتنع أفراده بأن قيمهم متجاورة ويعتنقون قيم الغزاة وكل شيء لديهم ، ويصبحون بالتالي ينظرون إليهم كأعضاء منهم وليس بوصفهم غزاة ، أما القيم الجديدة فغالبا :" ما تحمل بدلالات جديدة أو يتغير هدفها عندما تنتقل إلى وضعيات و بنيات اجتماعية تختلف عن تلك التي نشأت و تطورت فيها في الأصل ، فتشكيل المجتمع الإسلامي المغربي[3]

فهذا ابن سلام الجمحيّ يقول :" ولكنّ العربية التي عني محمّد بن علي ، اللسان الذي نزل به القران ، و ما تكلمت به العرب على عهد النبي (ص) ، وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا " وهذا اعتراف واضح بأن العربية و غيرها من اللغات تتطور[4]

فمفهوم المغرب [5] السياسي يختلف من عصر إلى أخر ، رغم أن العامل الجغرافي [6] يدخل في الشمولية الشمولية عندما نتطرق إلى تحديد المغرب ، إن قبائل بني هلال و بني سليم ساهموا في رسم الخريطة

---

[1] عبد العزيز شهبي ، تاريخ المغرب الإسلامي ، ط ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، (1434هـ / 2013م) ، ص 4..8، أيضا : بوزريان الدراجي ، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية ، مؤسسة بوزيان للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013م ، ص 13-14.

[2] عبد العزيز غوردو ، المرجع السابق ، ص 72.

[3] عبد العزيز غوردو ، المرجع نفسه ، ص 72.

[4] سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 63.

[5] أما المغرب فيقسّي القلب ، و يوحش الطبع ، و يطيش اللّب ويذهب بالرحمة ، و يكسب الشجاعة ، و يقشع الضراعة ، وفي أهله غدر ، ولهم خبث و مكر ، ديارهم مختلفة ، وهممهم غير مؤتلفة ، ولديارهم في آخر الزمان نبأ عظيم ، وخطب جسيم ، من أمر يظهر ، وأحوال تبهر ، انظر : أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعوديّ (ت 346هـ/ 957م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج2 ، ط1 ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، (1425هـ/2005م) ، ص 49 ،كذلك : محمد القبلي ، مراجعات حول المجتمع و الثقافة بالمغرب الوسيط ، ط ، دار توبقال ، دار البيضاء – المغرب ، 1974م ، ص9 – 10، انظر: الصّديق بن العربي ،كتاب المغرب ، ط 3 ، دار الغرب الإسلامي ، (1404هـ/1984م) ، ص15- 16.

[6] عرفت بلاد المغرب منذ أقدم العصور بأسماء مختلفة ، فكان الإغريق يسمون القسم الشمالي منها الذي كان يسكنه العنصر الأبيض باسم ليبو أو ليبيا ، بينما يطلقون على الصحراء اسم بلاد الأحباش السود ، أما لفظة افريقية ، فقد أطلقه الرومان على الإقليم الذي يقابل الجزء الشمالي الشرقي من الجمهورية التونسية ، ويشتمل على قرطاجنة وما حولها حتى نوميديا غربا ، وكان يعرف باسم ولاية افريقية القنصلية ، وأطلقه العرب على كل ما يلي : طرابلس غربا ، ثم تحدد مدلول أفريقية.. بحسب قربها أو بعدها أو بعدها عن مركز الخلافة في المشرق وهي :

1- المغرب الأدنى ويسمى أيضا أفريقية و شمل تونس و بعض الأجزاء الشرقية من الجزائر وعاصمته القيروان أيام الأغالبة ، و المهدية أيام الفاطميين ، ثم مدينة تونس فيما بعد و حتى اليوم .
2- المغرب الأوسط ويشمل بلاد الجزائر ، و يمتد من تاهرت حتى وادي ملوية و جبال تازة غربا ، وقاعدته تلمسان
3- المغرب الأقصى : وعاصمته المغرب ترددت بين مدينة فاس و مراكش ، فالأدارسة العلويون أسسوا مدينة فاس سنة (191هـ/ 804 م) ، واتخذوها عاصمة لهم ثم جاء المرابطون و بنوا مدينة مراكش سنة 463م واتخذوها عاصمة ، والمغرب الأقصى يشمل المملكة المغربية اليوم التي عاصمتها

الجغرافية لبلاد المغرب ، فدخلوهم إلى المغرب عن طريق برقة و مكوثهم بالقيروان ، كان له استعداد سياسي لهم في المغرب الأوسط ، في الفترة الحمادية التي عاصرت هجرة بني هلال و بني سليم [1] ذكر المدني القبائل العربية و أكثرها من بني هلال (هوازن العدنانية) من بطن زغبة و بعضها من الأشراف (قريش) و قليل منها لا ينسب إلى الهلالية و هي كالتالي : قبيلة الثعالبة ، المعقل في سهول متيجة ، أولاد ماضي ، رباح ، بنو منصور ، حشنة ، موسى ، جواب ، مريع ، يزيد ، سليمان ، كلها قبائل قرب مدينة سور الغزلان ، و البراز ، عطاف ، جندل كلها قبائل جنوب مليانة و في سهول شلف ، و نزليوة ، عمزاوة ، عبيد ، كلها قبائل حول بلاد الجرجرة البربرية ، و أولاد نايل الصحاري ، بنو زيان قبائل نواحي الصحراء و أولاد سعيد المحارمة ، أولاد جلال ، قاسي عامر ، كلها قبائل في الهضاب العليا و الصحراء و بنو عامر ، الدوائر ، الرمول و هي قبائل بين وهران و تلمسان القرابة قبيلة في نواحي و هران [2] و لكن في نفس الوقت الذي قطعت فيه افريقيّة صلتها بالمشرق ستتلقى ، من باب الانتقام ، مددا عرقيّا ، ربّما يعتبر أكبر مدد وصل خلال العهد الإسلامي ، و هو يتمثّل في الغزوة التي ستعمل على استكمال تعريب أكبر جزء من البلاد ، كما ستقضي لمدّة طويلة على توازنها السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي [3]دخول الكنعانيين إلى المغرب قبل الفتح الإسلامي و دخول العرب من اليمن إلى إفريقيا على يد افريقش [4] سهولة إسلام البربر و تعريبهم بصفة سريعة [5]

الرباط ، ولفظ افريقية مشتقة من كلمة التي أطلقها الفينيقيون على سكان أوتيكا و قرطاجنة ، ثم عممه اليونانيون بعد ذلك ، فأطلقوه على سكان المغرب ، أنظر : عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، تاريخ المغرب و الأندلس ، المطبعة التجارية الحديثة ، القاهرة ، 1990م ، ص 11– 12 ، أيضا : حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص22 - 23 - 24 ، أيضا : سعدون عبّاس نصر الله ، دولة الأدارسة في المغرب ، العصر الذهبي (176- 788ه/ 663- 835م) ، المرجع السابق ، ص 14- 15، كذلك : محمد عيسى الحريري ، الدولة الرستميّة بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس (160- 696ه / 775- 1287م ، ط3 ، دار القلم ، الكويت ، (1408ه/ 1987م) ، ص 12 - 13- 14 ، أيضا : عبد الله محمد جمال الدين ، المرجع السابق ، ص 11 ، أنظر : عبد القادر بوحسون ، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس خلال العهد الزياني (633 - 962ه/1235- 1554م) ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر، (1428-1429ه/ 2007- 2008م) ، ص 2- 3 ، أيضا: يوسف بن أحمد حوالة ، الحياة العلمية في افريقية "المغرب الأدنى"منذ إتمام الفتح و حتى منتصف القرن الخامس الهجري (90ه- 450ه/ 709- 1058م) ،ج 1، ط، مكة المكرمة ،(1421ه/2000م) ،ص 48 ، عبد الكريم الفيلالي، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ج1، ط، القاهرة ، 2006، ص 141.

[1] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 79 – 80 .

[2] محمد سليمان الطيب ، موسوعة القبائل العربية ، المجلد 1 ، ج 1 ، ط 2 ، دار الفكر العربي ، (1418ه / 1997م) ، ص 471.

[3] روبار برنشفيك ، المرجع السابق ،ج 1، ص 31 ، بوقريقة يوسف،أبحاث في دين الامازيغ ، ط ، مطبعة النجاح الجديدة ، 2012م ، ص10.

[4] محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 18.

[5] محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع نفسه ، ص 20 ،أنظر: عز الدين عمر احمد موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي(12/6م) ، رسالة الدكتوراه في التاريخ بالجامعة الأميركية في بيروت ، لبنان ، 1975م ، ص 44-45.

فالخلاصة التي نصل إليها بعد هذا العرض ، هي أن مصطلح المغرب الأوسط تأخر ظهوره إلى غاية القرن الخامس الهجري ، وأول من أشاع استعماله في المصنفات الجغرافية هو البكري الأندلسي ، تعبيرا عن كيان قبلي مركز ثقله قبيلة زناتة البربرية [1]، أما مدلوله في المصنفات الجغرافية الأخرى ، فهو كيان سياسي لم يعرف حدودا رسمية ، إذاكان محل صراعات و أطماع توسعية لمختلف القوى السياسية التي تعاقبت على حكمه ..فإذا كانت إشكاليتي مصطلح و حدود " المغرب الأوسط " لهذه الصورة الضبابية المضطربة في مدونات الجغرافيا الوصفية ، فما هي دلالتهما في الأسطوغرافيا التاريخية ؟

و هذا الواقع يدفعنا إلى الوقوف عند مفهوم الحدود لدى مغاربة العصر الوسيط نظرا للالتباسات التي تكتنف هذه النقطة بالذات [2]

إن المصادر التاريخية التي تناولت ماضي المغرب الإسلامي لم تعتن بجغرافية البلاد بنظرة واعية ، فباستثناء ما ذكره ابن خلدون لم ترد إلا إشارات محتشمة عند بقية المؤرخين ، فبعد الواحد المراكشي (ت 647هـ/ 1248م) لم يستعمل مصطلح المغرب الأوسط في تاريخه ، حين قسم بلاد المغرب إلى قسمين : افريقية والمغرب ، وحد افريقية من جهة الغرب هي مدينة قسنطينة ، وأول بلاد المغرب صغيرة تسمى ميلة فمن المعلوم أن هذا المؤرخ قد عاش في فترة السيطرة الموحدية على فضاء المغرب الإسلامي لأنه يعبر بوضوح عن تلك الحالة السياسية ، أما عبد الرحمان بن خلدون فيذكر أن قاعدة المغرب الأوسط هي تلمسان ، ثم يعدد لنا بعض مدنه الساحلية كهنين و الجزائر و بجاية وبونة اخرها ، ومن مدن الجنوب أشير (قرب عين بوسيف من نواحي المدية حاليا) [3] و المسيلة و الزاب و قاعدته بسكرة ، وجبل أوراس و تبسة ، فهو لم يستند في تحديده للمجال المغرب الأوسط على الحالة السياسية ، التي كان يعيشها المغرب الإسلامي فترة القرن الثامن الهجري ، بل اعتمد على تجمعات القبائل البربرية داخل الكيان الجغرافي ، فقبيلة زناتة كانت مستقرة في المنطقة الممتدة مابين وادي ملوية غربا ، إلى واد الشلف و الزاب شرقا ، ومن ساحل شرشال ووهران شمالا ، إلى إقليم تيهرت جنوبا ، أما صنهاجة فهي تقطن الأقاليم الممتدة من الجزائر غرب إلى بجاية شرقا ، وكتامة و عجيسة و هوارة مضاربها منطقة جيجل وبونة و قسنطينة و الأوراس وما وراء حدود افريقية إلى طرابلس [4] .

[1] لفظة بربر لا تعني وجود عرق أو سلالة أنظر : محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع نفسه ، ص 18.

[2] محمد القبلي ، المرجع السابق ، ص 10.

[3] الإدريسي بن عبد الله ، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، تحقيق : محمد حاج صادق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983م ، ص 113، أيضا : مزدور سمية ، المجاعات و الأوبئة في المغرب الأوسط (588- 927هـ / 1192- 1520 م) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، (1429- 1430 هـ/ 2008- 2009م) ، ص 29 .

[4] مزدور سمية ، المرجع السابق ، ص 29 ، أيضا : إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ،ج1،دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ،2000 م ، ص 18.

إن الطرح الخلدوني القائم على المعيار القبلي هو طرح منطقي إلى أبعد الحدود ، و هذا بالنسبة لمرحلة ما قبل القرن الخامس الهجري ، إذ عرف المغرب في النصف الثاني من هذا القرن تغريبة بني هلال وبني سليم الذي استعملهم المستنصر الفاطمي (327- 487هـ/1035-1094م) ، كرأس حربة في جسم الدولتين الزيرية و الحمادية ، بعد خروجهما عن طاعته ، فهذه الهجرة غيرت من تراتبية الهرم الديمغرافي للمغرب الأوسط ، باعتبارها اثنيا جديدا زاحم بعض القبائل البربرية في مناطق استقرارهم ، غير أن ابن خلدون لم يهمل ذلك أيضا ، بل وضح لنا مواطن انتشار القبائل العربية في المغرب الأوسط [1]في فترة القرن (6هـ/12م) في المنطقة الممتدة من بونة شرقا إلى ما وراء تلمسان غربا إلى الصحراء جنوبا ، ولا باس أن نتوقف مليا مع مصطلح المغرب الأوسط وحدوده في التراث التاريخي عند ابن خلدون ، باعتباره الأكثر وضوحا من المصادر التاريخية الأخرى ، فإلى أي حد استطاع ابن خلدون أن يضع حدودا واضحة للمغرب الأوسط من جهة الشرق و الغرب و الجنوب ، بعد أن بين لنا مناطق انتشار القبائل البربرية [2]و العربية داخل هذا المجال ؟ [3]

قال تعالى : { قال ربّ اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي } [4]

انّ الوجود العربي في إفريقيا سابق لانتشار الإسلام بها [5] فقد رافقت العربية مجيء الفتح الإسلامي لنشر الهداية وإقامة العدل ، و دخل أبناء الامازيغ في الإسلام واستجابوا لتعاليمه ، وانكبوا على تعلم اللغة العربية طائعين وامتزجوا بالعرب الفاتحين ونافسوهم في مجالس العلم و شاركوهم في شتى الميادين المدنية والعسكرية وفي تشييد صرح الحضارة الإسلامية رافعين لواء لغة الضاد وأصبحوا شعبا واحدا متحد المصير و اللسان و امتزجت [6] علاقات العرب بالشعوب الإفريقية قديمة قدم التاريخ ، وتعود هذه العلاقات إلى أكثر من ألفي سنة ، وربما كانت العلاقة التي ربطت بين إفريقيا وسكان الجزيرة العربية أقدم من ذلك بكثير مما يعزّز هذا

---

(1) مزدور سمية ، المرجع نفسه ، ص 29- 30 ،أيضا : زينب الخضيري ، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ، دار الثقافة ، القاهرة ، (1409هـ/1989م) ، ص 32 ، أيضا : محمد القبلي ، تاريخ المغرب تحيين و تركيب ، ط1، المعهد الملكي ، الرباط ، 2011 م ، ص 15.

(2) البربر ، فيهم خلاف يرجع إلى أنهم : هل هم من العرب أو من غيرهم ، انظر : أبي العباس أحمد القلقشندي (756 - 861هـ / 1345 - 1445 م) ، المصدر السابق ،ص 29 ، أيضا : مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ، تحقيق : عبد القادر بوباية ، ط ، دار أبي الرقاق ، 2005م ، ص 185، أيضا : لخضر عبدلي ، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان ، ديوان المطبوعات الجهوية ، وهران ، 2007م ، ص15.

(3) مزدور سمية ، المرجع السابق ، ص 29- 30 ، أيضا: محمد علي دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ،(د ط)، القاهرة ، (1384هـ/1964م)، ص 297.

(4) سور طه ، الآية : 25 .. 28 .

(5) محمد أحمد بلولة ، الهجرات و القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى و أثرها في نشر الإسلام و الحضارة ، مجلة الدراسات الدعوية ، العدد 9 ، (د ط) ، 2005م،ص 65، أنظر: إبراهيم حركات ، المغرب عبر التّاريخ ، ج1، دار الرشاد الحديثة، 1420/2000م ، دار البيضاء ، ص 72، فهد بن سليمان السعيد ، الدعوة الإسلامية في شمال إفريقيا خلال القرنين الأول و الثاني ، مذكرة الماجستير ،كلية الدعوة و الإعلام ، السعودية ، ص 9.

(6) مجموعة من الباحثين ، اللغة العربية من محنة الكولونيالية إلى اشراقة الثورة التحريرية (د ط) ، دار الأمة ، الجزائر ، 2007م ، ص23.

الاعتقاد انّ إفريقيا ومنطقة شبه الجزيرة العربية كانتا تمثّلان رقعة أرضية واحدة حتى انشطرت الأرض كجزء من الاخود الإفريقي العظيم ، و أصبح البحر الأحمر يفصل بين المنطقتين ، و رغم قيام هذا الحاجز إلا انه لم يحل دون الاتصال البشري ، إلى جانب ذلك المنفذ تمّ التواصل بين المنطقتين ..وقد أدى التشابه اللغوي و الثقافي و العرقي بين السّكان الناطقين باللغات الحاميّة أو الكوشية ورصفائهم من الناطقين للغات السّامية إلى أن يرجح بعض الباحثين أنّ شعوب هاتين المجموعتين قد عاشت في مكان واحد ، بل ربّما تنتمي في أصولها الاثنية البعيدة إلى شعب واحد ، إن هذه العلاقات القديمة توثقت و تطورت مع ظهور الإسلام وذلك ابتداء من القرن السّابع الميلادي و قد حمل البربر لواء نشر الإسلام ، فمن شمال إفريقيا تمّ فتح اسبانيا سنة (92 هـ/ 711م) بقيادة طارق بن زياد و هو من البربر ،كما نشره جنوبا ، حيث بدأ الإسلام يدخل بين قبائل البربر والعرب الصنهاجة في الصحراء الكبرى [1]

لقد مدّ الإسلام العرب بسياج عقائدي كما صارت اللغة العربية الوعاء الثقافي للدين الجديد وأدّى ظهور الإسلام إلى دفع العلاقات بين العرب و الشعوب الإفريقية إلى أفاق أرحب فإلى جانب الصّلات التّجارية و الهجرات البشريّة المتتالية و السّابقة لإسلام العرب بدوره نشط في نشر الإسلام في ربوع إفريقيا [2] ولا شك أن اللغة العربية أيضا قد انتشرت تدريجيا بين البربر مع انتشار الإسلام بينهم ، وذلك لكي يتمكنوا من قراءة القران و تأدية الصلاة وفهم تعاليم الإسلام ، فالبربر إذن تعربوا ، واكتسبوا ما تفيده تلك اللغة من تفكير وتعبير ، فصارت لهم العقلية العربية [3] ومما تجدر الإشارة إليه أن اللغة الامازيغية لم يقض عليها الفتح الإسلامي كما يتصور البعض [4]

نجد اللساني الفرنسي رينان يبدي إعجابه و دهشته لهذه الظاهرة قائلا :" إن أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره ، انتشار اللغة العربية [5] لقد احتكت اللغة العربيّة في انتشارها بلغات متعددة أثرت فيها و

[1] حورية توفيق مجاهد ، تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا (الأبعاد والوسائل) ، مجلة قراءات افريقية ، العدد السادس ، المنتدى الإسلامي ، المملكة العربية السعودية – الرياض ، (1432هـ/2010م) ، ص 19 ، أيضا : أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق : المهدي البوعبدلي ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، ط ، الجزائر ، 2013م ، ص 453.

[2] محمد أحمد بلولة ، المرجع السابق ، ص 64 ، أيضا: صلاح طهبوب ، موسوعة العصر الأموي ، دار لأسامة ، عمان ، 2009م ، ص 21-22.

[3] أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي و الأندلسي ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976م ، ص 257.

[4] محمد أرزقي فراد ، الأمازيغية آراء .. و أمثال تيبازة نموذجا ، (د ط) ، مطبعة دار هومة ، الجزائر ، 2004م ، ص 10- 11.

[5] كريم زكي حسام الدين ، العربيّة تطوّر و تاريخ دراسة تاريخية لنشأة العربية و الخط وانتشارها ، (د ط) ، (د س ط) ، ص 7- 8 .

تأثرت بها [1] الاّ انّه بعدما أكّد في كتاب العبر ، أنّ البربر ليسوا من أصل عربي ، استثنى منهم الصنهاجيّين والكتاميّين الذين ينحدرون من أصل عربي، حسب علماء الأنسات العرب [2]

[1] كريم زكي حسام الدين ، المرجع السابق ، ص 7- 8 .

[2] الهادي روجي ادريس ، دّولة الصّنهاجيّة تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن (4هـ /10م) إلى القرن (6هـ / 12م) ، ترجمة : حمّادي السّاحلي ، ج1 ، ط ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، 1992م ، ص32 ، انظر : محمّد الأمين محمّد – محمّد علي الرحماني ، المفيد في تاريخ المغرب ، (د ط) ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، (د س ط) ، ص 14،كذلك : يسرى عبد الرزاق الجوهري ، شمال افريقية ، دراسة في الجغرافية التاريخية ، دار الجامعات المصرية ، مطبعة خميس عثمان ، (د ط) ، إسكندرية ، (د س ط) ، ص 26.

الفصل الثاني : انتشار اللغة العربية و عصر أثناء الفتح الولاة

أولا :العلاقة بين الفاتحين السكان المحليين

ثانيا : الجيش العربي و نشر اللغة العربية

ثالثا : الدواوين و استعمال اللغة العربية

رابعا : المساجد و التعليم و الحياة الدينية

انتشار اللغة العربية أثناء الفتح و عصر الولاة

أولا : العلاقة بين الفاتحين السكان المحليين : معلوماتنا عن المغرب قبيل الفتح الإسلامي تقاصر عن أقاليم برقة و طرابلس وأفريقية [1] قبيل الفتح العربي كان يحكم افريقية بطريق يسمى جريجوريوس الذي يسميه العرب جرجير ، وكان هذا الرجل قد اختلف مع الروم و حاول الاستقلال عنهم ، ونشبت خصومه كبيرة بين الجانبين بينما كان العرب قد أتموا فتح مصر فعلا ، ولم يكن يخطر على باله أن قوة من الجيوش العربية

الإسلامية كان يمكن أن تأتي من ناحية الشرق ، ولهذا كان ظنه انه سينشئ دولة لنفسه في هذه الناحية ، ولهذا ولكي يحتمي في بليدة داخلية كان لها حصن منيع تسمى سبيطلة إلى جنوبي القيروان الحالية ، وفي سبيطلة اطمأن ذلك الرجل ، ولكنه اطمئنانه لم يدم ، لأنه فوجئ بطلائع العرب تدخل إقليم برقة ، أما بقية المغرب فلا نعرف عنها إلا القليل في ذلك الحين و هذا القليل يتعلق بالسواحل حيث كانت مراكز الجاليات الرومية أو اللاتينية [2] وقد اختلف الباحثون في تعليل حركات الفتوحات العربية الإسلامية و تفسير دوافعها ، وذهبوا في هذا التفسير مذاهب شتى ، فبعضعهم يرجع ظاهرة الفتوحات إلى أسباب اقتصادية ، وجمهور آخر يرى أنها تمت بدافع الجهاد ، وفريق ثالث يرجع العامل القومي[3]

شاهدت القرون السابقة للفتح الإسلامي تقهقر المدن أمام زحف البدو الرحل ، وهذا التدهور لم يتأثر بإعادة فتح بيزنطة لافريقية الشمالية في عهد الإمبراطور أجوستينيان ، فان الاستعمار البيزنطي الذي لم يكن يمتد إلا ما يقرب من قرن (12هـ - 13هـ / 533 - 647 م) لشمال افريقية و الذي لم يشمل سوى رقعة ضيقة ، لم يكن من شأنه أن يوقف الاختناق المتزايد مع مرور الزمن لحياة المدن [4] و عملية التخلص من النفوذ الروماني التي بدأت منذ وقت بعيد ، لم يتمكن الغزو البيزنطي من وقفها ، فان عددا متزايدا من البربر يتخلون عن اللغة اللاتينية وعن اللغة الفينيقية ، وخصوصا لغة المدن المكتوبة — ليعودوا إلى اللغة البربرية و اللغة الليبية القديمة ، التي تحتفظ بنقوش قديمة منها و التي لا صلة لها باللغات السامية و اللغات الهندية الأوروبية ، واللغة الليبية القديمة لغة شفهية و ليس لديها أدب مكتوب ، وفي الوقت الذي استرجع فيه البربر لغتهم ، استعادوا أيضا عاداتهم و تقاليدهم القديمة (القانون) وهياكلهم الاجتماعية : الإطار القبلي ، الميل إلى الديمقراطية و المساواة ، وقد أدت روح الاستقلال و

---

[1] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 31 ، أيضا : مرمول كربخال ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 133 .

[2] حسين مؤنس ، المرجع نفسه ، ص 33.

[3] السيّد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية دراسات في تاريخ العرب ، (دط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، (د س ط) ، ص 183.

[4] موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 80 ، أيضا : عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص 9 – 10 .

التمسك بالتقاليد و الاعتزاز المفرط بالفردية في البربري ، إلى تمزيق البلاد و انقسامها إلى جمهوريات جبلية صغيرة محافظة أو إلى قبائل من الرحل ، ولكن سكان المدن ، استمروا مع ذلك ، على استعمال اللغة اللاتينية و اللغة الفينيقية ، وقد تمكنت اللغة الفينيقية من الاحتفاظ بمكانتها في بعض المناطق افريقية ، وهذا من العوامل التي ربما فسرت انتصار العرب السريع في المدن الشرقية ، وأما اللاتينية فقد ظلت وقتا طويلا لغة المدن ، فان آخر النقوش التي عثر عليها في فولوبيليس ، يرجع عهدها إلى القرن السابع الميلادي ، والمؤرخ اليعقوبي (القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) يتحدث عن الأفارقة الذين يتحدثون اللسان "الإفريقي " ..ولكن المدن استقبلت الفاتحين العرب بدون مقاومة تذكر ، و المقاومة في افريقية سيواجهها العرب في الهضاب و الجبال و الصحاري ، وبعد الفتح الإسلامي ، ستعتمد المدن و مناطق المواصلات بين كتل الجبال اللغة العربية ، بينما تستمر جبال البربر و قبائل الصحراء على التحدث باللغة البربرية [1]

كيف كان الوضع في المغرب الأوسط حين بلغ جنود العرب و المسلمين شواطئ إفريقيا الشمالية ؟ للوهلة الأولى نلاحظ أن سقوط الإمبراطورية الرومانية لم يغير الوضع بصورة واضحة في بلاد المغرب ، فبعد الاحتلال الروماني جاء احتلال الوندال 429-533 ثم احتلال البيزنطيين 533-649 ، لكن المناطق التي سيطر عليها المحتلون الجدد كانت تتضاءل بشكل غريب بسبب ازدياد عدد السكان البربر و المنطقة الوحيدة التي استطاع الوندال و البيزنطيون السيطرة عليها تماما هي شمال شرق المغرب ، و مملكة الوندال كإفريقيا البيزنطية مركزها قرطاجة ، وكل توسع نحو الغرب كانت توقفه اتحادات القبائل المقيمة في "الأوراس " أما بقية بلاد المغرب فقد كانت حرة ما عدا بعض المدن الساحلية و الحصون [2]

و إذا كنا لم نقبل مل من الدافعين الاقتصادي و الديني فإننا لا ننكر أثرهما العميق في سير الفتوح الإسلامية ، ومع ذلك فهناك عامل قومي أخذ به فريق من الباحثين لا يمكننا أن نتجاهله ، إذ هو اعتقادنا العامل الرئيسي و الدافع الأول للفتوحات الإسلامية [3] تظافرت مجموعة من الأسباب والدوافع التي ساعدت المسلمين على الفتح و هي :

كان العرب آنذاك في أوج فتوحاتهم ومجدهم ، فقد وصلت جيوشهم إلى أقصى بلاد الشرق وبلاد المغرب ، وبهذا فكروا بعد وصولهم إلى المضيق الفاصل بين إفريقيا وأوربا ،أن يجتازوا ذلك المضيق وينشروا

---

(1) موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 82.

(2) عبد القادر جغلول ، مقدّمات في تاريخ المغرب العربي القديم و الوسيط ، ترجمة : فضيلة الحكيم ، ط ، دار الحداثة ، بيروت – لبنان ، 1982م ، ص 32- 33 ، انظر : محمد أرزقي فراد ، المرجع السابق ، ص 54-55.

(3) السيّد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 192.

الإسلام في تلك الربوع [1] منهم العربي القح الذي نزح من الشام أو غيرها منذ الفتح الإسلامي و حافظ على قيمه و مثله الأخلاقية و الاجتماعية عبر العصور [2] خاصة بعدما أن تفهموا غاية الإسلام ومبادئه ، كما تأثروا بعدل "المسلمين " في البلاد المفتوحة ، و تسامحهم مع أهلها ، فأيقنوا بان رسالة الإسلام تختلف هن أهداف " البيزنطيين " المتسلطين [3] .

و مع هذا لابد من التذكير بأن الخلاف – في وجهات النظر بينهم – لم ينحصر إلا في تحديد مصدر الهجرة لا غير .. و يبدو أن أسباب هذا الخلاف تكمن خلفه التأثيرات المنبعثة عن العصبية القبلية التي جلت في قطبيها.. كما أن الصراعات الدامية بين الأمازيغ و العرب في بلاد المغرب و الأندلس [4] و يبدو أن كلمة أمازيغ لم تنتشر بشكل و اسع في الزمن الأول للفتح ، إذ تغلبت عليها كلمة بربر ، التي وجدها المسلمون متداولة بين الناس عندما فتحوا البلاد ، فبادروا إلى منح هذه الكلمة مدلولا أكثر طهارة و نقاء مما كانت عليه قبل مجيئهم ، وذلك تبعا لما نصت عليه التعاليم الإسلامية السمحة [5] ما أصل البربر ومن أين قدموا ؟ [6] فلنوضح بادئ ذي بدء عبارتي "عرب " و "بربر " اللتين استعملناهما أثناء عرضنا السابق ، فما هي قيمتهما العرقيّة ؟ ومع أيّ واقع جغرافي ينبغي مطابقتهما ؟

فممّا لا شكّ فيه أن ذلك التمييز الذي ما زال راسخا إلى يومنا هذا ، لعتبر في نظر أهالي شمال إفريقية ناتجا عن أصل عرقيّ مزدوج ، وأنّه يعبّر عن اختلاف جنسي ظلّ محسوسا عبر تقاليد عريقة ، ولكن من المؤكد أيضا ، كما أقيم الدليل على ذلك منذ عهد بعيد ، أن ذلك التقسيم المزعوم لسكان الشمال الإفريقي إلى " عرب " و "بربر " لا يرتكز في أغلب الأحيان ، في العصر الحديث ، على أيّ أساس تاريخي متين ، ولئن أمكن التأكيد على أنّ السكّان هم أساس من أصل بربريّ ، باعتبار أن تلك العبارة تعني أعقاب السكان الأهليّن في العصر القديم ، فانه أصبح ، بالعكس من ذلك ، من الأمور الوهميّة اعتبار العرب كأعقاب العائلات القادمة من الجزيرة العربية خلال قرون العصر الوسيط ، ذلك أنّ الأفواج الأولى من المهاجرين ، لاسيما من الحاضرين و العسكريين ، كانت قليلة العدد ، بحيث لا تستطيع أن تكوّن في البلاد مجموعات عرقيّة هامّة يمكن تمييزها على الدّوام —كما أنّ غزوة بني هلال و بني سليم الكبرى من

---

[1] علي حسين الشطشاط ، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة ، (دط) ، دار قباء للطبع والنشر ، القاهرة ، 2001 م ، ص24 ، أيضا : محمد حسين الفرح ، المرجع السابق ، ص 21-22- 23.

[2] محمد بن احمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 33.

[3] عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص 9 .

[4] بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 27 ، انظر : محمد أرزقي فراد ، المرجع السابق ، ص 10.

[5] بوزياني الدراجي ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 16، أيضا : محمد أرزقي فراد ، المرجع نفسه ، ص 11.

[6] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، (د ط) ، (د س ط) ، ص 5.

القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي إلى القرن السابع الهجري) الثالث عشر التي غيّرت المظهر الاجتماعي و السياسي لبلاد المغرب [1] لم تترك لنا ، الاّ ما قلّ وندر ، قبائل ذات نسب عربي خالص ، رغم الظّواهر المتمثلة في بعض التسميات التي بقيت ثابتة ، فخلال القرون المتعاقبة ، بفضل الاتصالات المتينة التي حصلت بين الفروع "العربية " و "البربرية " ، حتى عندما كانت تطغى اللغة العربية و يبقى الاسم العربي للمجموعة رائجا ، اختلط الدّم العربي بالدم الأهلي اختلاطا تامّا وإذا ما أضفنا إلى عنصر الالتباس هذا ، الطبيعي و القويّ ، ادعاء النسب العربي الذي يعتبر نسبا أسمى ، ذلك الادعاء الذي كثيرا ما شوّه حتى الأنساب التقليديّة ، نستنتج أنه من العبث ، بالنسبة إلى الأغلبية الساحقة من المتمثلة في اللغة والدين ، إذ نميّز بين الناطقين بالعربية و الناطقين بالبربرية وبين السنّيين و الخوارج ، ولا شكّ إننا نستطيع التبسّط حول الأصول العرقية لتلك الفوارق الدائمة ، ولكنّنا نلاحظ بكلّ وضوح أنها لا تتطابق أبدا مع الحدود العنصرية و أن خريطة اللهجات أو الفرق الدينيّة لا يمكن أن تكون موضوع تأويل عرقي [2]

فقد نجم عن الفتح الإسلامي ، من الناحية الاقتصادية اتحاد أراضي مختلفة في تكتل اقتصادي كبير على أن انتهاء الفتوحات كان إيذانا بتقلص العنصر العربي و اندماجه [3]لهذا لا نعجب أن تتجه الفتوح الإسلامية هاتين الوجهتين دون أن يكون في الأمر ما يشير قط إلى تخطيط مدبر للنزول في المناطق الخصبة [4]

كانت افريقية مركز عمراني رومي أي بيزنطي ، وكانت إقليما عامرا أي فيه مدن كثيرة و أرض مزروعة و موان على الساحل و البلاد عامرة بالحركة ، وكانت المسيحية منتشرة بين الأفارقة و الجاليات الرومية طبعا ، أما البربر فلم تدخل المسيحية بينهم بصورة واضحة ، فكانوا على الوثنية ، ولا توجد علاقات ظاهرة أو عميقة بين الروم والبربر ، ولهذا سنجد أن العرب عندما يصلون إلى افريقية سيكون تعاملهم مع الروم أولا ، فلما تغبوا على مقاومتهم وخلصوا البلاد منهم دخلوا في علاقات مع البربر [5] وسوء الأوضاع الأوضاع التي كانت عليها بلاد "المغرب تحت الاحتلال "البيزنطي " و ضعف الحكم "البيزنطي " في بلاد " المغرب " بسبب الثورات والاضطرابات ، مما جعل الجيش البيزنطي عاجزا عن مواجهة الفتح الإسلامي [6] أما سكان المغرب فيمكن تقسيمهم إلى ما يأتي :

---

(1) روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 356 .

(2) روبار برنشفيك ، المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 356- 357 ، أيضا : محمد حسين الفرح ، المرجع السابق ، ص 21-22.

(3) موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 11.

(4) السيّد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 188.

(5) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 33 .

(6) عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص 9 .

1-الروم وهم البيزنطيون

2-الأفارقة ، وهم بقايا شعب قرطاجنة و أخلاط من المستعمرين اللاتيني ، و الوطنيين الذين تأثروا بالحضارة الرومانية والبيزنطية وكانوا يدينون بالطاعة لسادتهم البيزنطيين

3-البربر وهم سواد سكان المغرب [1] فقد علل البهلول كراهة انتسابه إلى البربر بما ورد من أحاديث نبوية في ذمهم ، و لعل هذه الأحاديث ليست صحيحة ، بل هي موضوعة و مكذوبة عليهم ، قد جاءت بها حزازات واحن ، ما انزل الله بها من سلطان ، و قد تبلورت كلها في هجاء من هجاهم ، و أخرجهم من سلالة البشر ، حيث انشد فيهم :

رأيت ادم في نومي فقلت له : أبا البريّة انّ النّاس قد حكموا

انّ البرابر نسل منك قال: إذن حواء طالقة إن كان ما زعموا [2]

يعتقد أشهر المؤرخين العرب أن الأفارقة لم يكونوا يستعملون سوى الحروف اللاتينية عندما فتح المسلمون بلاد البربر التي كانت ومازلت موطن نبلاء إفريقيا ، إلا أنهم لا يمارون في أنهم لا يمارون في أنهم كانوا يتكلمون لغة أخرى غير اللاتينية ولو أن هذه كانت أكثر تداولا ، لذلك فان جميع كتب التاريخ التي تركها لهم الآريون مترجمة عن اللاتينية و مقتصرة على أسماء النبلاء و الأمراء ، وتتعلق بعهود ملوك فارس ، و أشور ، وإسرائيل ، أو بالتقويم القيصري ، لكنه ينبغي الاعتراف بأنهم لم يتوفروا منها إلا على القليل النادر ، لان الخلفاء الخوارج أمروا عندما كانوا يحكمون إفريقيا بإحراق جميع الكتب التاريخية و العلمية حتى لا تقرأ سوى مؤلفات نحلتهم ، ويقول بعضهم أن الأفارقة كانت لهم حروف غير اللاتينية ، لكن اليونانيين و الرومانيين و القوط أرغموهم على تركها ، مثلما فعل العرب بالفرس حيث أمر الخلفاء بإحراق كتبهم ظانين أنهم لن يكونوا أبدا مسلمين مخلصين مادام بين أيديهم وسائل إذكاء وثنيتهم ، بالإضافة إلى أنهم منعوهم من دراسة العلوم ، وكذا في إفريقيا لذلك فان جميع الآثار المكتوبة الموجودة قديما عبر إفريقيا كلها قبل مجيء العرب لاتينية أو قوطية ، والحديثة منها عربية ، يقول ابن الرقيق : أن الرومان طمسوا العناوين و الحروف القديمة التي وجدوها في إفريقيا عندما احتلوها ، ووضعوا مكانها عناوينهم و حروفهم حتى يخلدوا وحدهم ، الأمر الذي هو معهود عند الفاتحين ، ومن ثم لم يبق أي أثر للحرف الايفريقي [3] و السؤال الذي يبقى يبحث عن جواب مقنع هو:

لأي جنس أو سلالة ينتمي سكان المغرب الحاليين ؟

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 13، كذلك : محمد أرزقي فراد ، المرجع السابق ، ص 13.

[2] محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ،ص 58 ، مصطفى غطيس، المغرب والأندلس دراسات وترجمات ، ط، المغرب ،2010م، ص25.

[3] مارمول كربخال ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 117 - 118.

من هنا لابد من الاعتراف بوجود سكان قدماء جدا في هذه الديار ، ولكنهم امتزجوا بأجناس عديدة ، أتت على البلاد في موجات بشرية مختلفة منذ حقب موغلة في القدم [1] ، لان الحروب و الجفاف و الكوارث الطبيعية كانت – عبر الأحقاب التاريخية – أهم العوامل المتسببة في انتقال الموجات البشرية من منطقة إلى أخرى ، وهذا ما كان يحدث في المعمورة كلها [2] و من الناحية اللغوية ، أدى الفتح إلى اتساع انتشار اللغة العربية [3]

وقد كانت اللغات الرسمية السائدة قبل الفتح الإسلامي في المنطقة هي : اللغة البيزنطية في سوريا ، واللغة الفهلوية في منطقة ما بين النهرين الخاضعة للساسانيين ، ولكن الآرامية كانت لغة حية و يتحدثها الجميع ، و للغة الآرامية لهجتان : اللهجة الآرامية السائدة في المناطق الغربية الواقعة تحت بيزنطة ، وهي لغة الحديث والكتابة ، وبها كتب التلمود في فلسطين خلال الفترة التي تمتد بين القرن الرابع و القرن السادس الميلادي ، واللهجة الآرامية السائدة في المناطق الشرقية في مملكة الساسانيين ، وهي تشتمل على لهجتين فرعيتين : اللهجة البابلونية ، وهي لغة الحديث و الكتابة ، وكان يستعملها اليهود ، و بها كتب تلمود بابل خلال الفترة بين القرن الخامس و القرن السادس الميلادي ، و اللهجة السريانية الأديسية التي كانت لغة الكتابة و ستصبح لغة الآداب الدينية لجميع الكنائس المسيحية ، اليعقوبية و النسطورية ، من فلسطين حتى ما بين النهرين و الفرس ، وقد كانت فترة ازدهار اللغة السريانية ، هي التي تمتد بين القرن الرابع و القرن الرابع عشر الميلادي ، وفي عهد الغزو العربي ، كانت الوضعية اللغوية كما يلي : فان لهجات المدينة و مكة التي كان يستعملها الفاتحون ، قد أصبحت هي لغة القران و اللغة العربية المكتوبة [4] بقصد تثبيت النصوص المقدسة في اللغة العبرية ، في مركز الدراسات اللغوية في طبرية الذي كان يأوي علماء النحو و الصرف و أحبار اليهود [5] و يرى فريق آخر من الباحثين ، أن حركة الفتوحات كان وراءها باعث عسكري ديني هو الجهاد ، فقد خرجت جيوش المسلمين وراء تيار إسلامي عربي [6] ولذلك حرص العرب الفاتحون على ترك أهل البلاد المفتوحة على دينهم ، ولم يرغموا أحدا على اعتناق الإسلام [7] سرعة انتشار اللغة العربية في

---

[1] هناك من رأى أنه إنما سمي اليمن يمنا لأن الناس حين تفرقت لغاتهم ببابل تيامن بعضهم يمين الشمس وهو اليمن ، وبعضهم تشاءم فوسم له هذا الاسم وسنذكر تفرق هذه القبائل من أرض بابل بعد هذا الموضع ، و بعض ما قالوه في ذلك من الشعر ، عند مسيرهم في الأرض و اختيارهم البقاع ، انظر : المسعوديّ ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 49 ، أيضا : أيضا : محمد حسين الفرح ، المرجع السابق ، ص 9.

[2] بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 34.

[3] موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 9 .

[4] موريس لومبار ، المرجع نفسه ، ص 137-138.

[5] موريس لومبار ، المرجع نفسه ، ص 138.

[6] السيّد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 187.

[7] محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 54.

البربرة بمجرد امتزاجهم بالعرب الفاتحين لبلادهم ، وقد نبغ منهم في أوائل الفتح وحال ، قد ضربوا بسهم وافر في ميدان البلاغة و الفصاحة [1] يقول ابن خلدون في تعريف اللغة : " اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام ، فلا بد أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعل لها ،وهو اللسان ، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتها ، ولعل العرب تعريفاتهم ، أهمها :

1- تعريف اللغة عند ادوارد سابير ، يقول :" اللغة وسيلة لا غريزية خاصة بالإنسان يستعملها لإيصال الأفكار و المشاعر و الرغبات عبر رموز يؤديها بصورة اختيارية و قصدية " .

2-تعريف اللغة عند نوام تشومسكي ، يقول : " اللغة ملكة فطرية عند المتكلمين بلغة ما لتكوين و فهم جمل نحوية " [2]

البربر[3] في المغرب : أطلق الرومان اسم البربر على سكان بلاد المغرب لأنهم كانوا يعتبرونهم أعاجم على حضارتهم [4] يتكلمون لهجات ليبية من المحتمل أن يكون أصلها البعيد هو أصل اللغات السامية ، واللغة كانت ولا تزال عندهم أداة مشافهة وقد قال باسي " ولا نعلم البتة أن البربر أقاموا مدينة تعتمد على الكتابة أداتها لغتهم " غير أنهم كانوا يحذقون كتابة بقي أصلها مجهولا وربما كانت فينيقية احتفظ علم الخطوط بآثارها واكتشفت حتى الآن 1125 كتابة و تؤكد حروف شبيهة بحروف خط الطوارق الحالي (

---

(1) السيّد عبد العزيز سالم ، المرجع نفسه ، ص 188.

(2) عبد الله بن عبد الرحمان بن سعد العياف ، المرجع السابق ، ص 3 .

(3) البربر: ببائين موحدتين بينهما راء مهملة و راء ثانية في الأخر : جيل عظيم من الناس ببلاد المغرب ، وبعضهم بمصر ، و قد اختلف في نسبهم اختلافا كثيرا ، فذهب طائفة من النسابين إلى أنهم من العرب ، ثم اختلف في ذلك فقيل : أوزاع من اليمن ، وقيل : كم غسان و غيرهم ، تفرقوا عند سيل العرم ، قاله المسعودي ، وقيل : خلفهم أبرهة ذو المنار ، أحد تبابعة اليمن ، بعث سرية من بنيه إلى المغرب ليعمروه ، فنزلوه وتناسلوا فيه ، و قيل : من لخم ، وجذام ، كانوا نازلين بفلسطين من الشام إلى أن أخرجهم منها ملوك فارس فلجئوا إلى مصر ، ومنهم ملوكا من نزولها فذهبوا الى المغرب فنزلوه ، و ذهب قوم إلى أنهم من ولد لقشان بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، وذكر الحمداني أنهم من ولد بربر بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ، وانه كان قد ارتكب معصية فطرده أبوه و قال له : البر ، البر ، اذهب يا بر ، فما أنت بر ، وقيل : هم من ولد بربر بن تميلا بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل : من ولد بربر بن كسلاجيم بن حام بن نوح ، وقيل : من ولد تميلا بن ماراب بن عمر و بن عمق بن لاوذ بن ارم بن سام ابن نوح ، وقيل : من ولد قبط بن حام بن نوح وقيل : أخلاط من كنعان و العماليق ، وقيل : من حمير ، ومصر ، والقبط ، وقيل : من ولد جالوت ملك بني إسرائيل ، وانه لما قتل داود عليه السلام جالوت تفرقوا في البلاد ، فلما غزا افريقش المغرب نقلهم من سواحل الشام فصاروا إلى المغرب ، وهم قبائل كثيرة و شعوب جمة و طوائف متفرقة ، وهما : البرانس ، وهم بنو برنس بن بربر ، والبتر ، و هم بنو مادغيش الأبتر بن بربر ، قال : وبعضهم يقول : أنهم يرجعون إلى سبعة أصول متفرقة ، وهي اردواحة ، و مصمودة ، وأوربة ، وعجيبة ، وكتامة ، وصنهاجة ، وأوريغة ، ثم قال : وزاد بعضهم : لمطة ، و هكسورة ، وكزولة ، أنظر : أبي العباس أحمد القلقشندي (756-861 هـ / 1345 - 1445 م) ، المصدر السابق ، ص 118- 119 ، أيضا : عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط2 ، دار الصحوة ، القاهرة ، (1411هـ/ 1991م) ، ص 17 ، كذلك: سعدون عباس ، المرجع السابق ، ق1، ص 10، أيضا : محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 48 – 49 ، أيضا: أ ، ف . غوتييه ، ماضي شمال أفريقيا ، (د ط) ، تاوالت الثقافية ، 2010م ، ص 19، أيضا: محمد حسين الفرح ، المرجع السابق ، ص 21.

(4) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 14 .

التيفيناغ) قرابة بين حروف اللغتين ، غير انه تعذر إلى حد الآن قراءة الخطوط الليبية بالرغم من انه يوجد لدينا ما يماثل عشرين منها في البونيقية و اللاتينية ، وكتابة الوحيدة المؤرخة جاءت في لغتين وتوجد في توقة (دقة في العهد الروماني) وتوافق السنة العاشرة من حكم ميسبسا (139 قبل المسيح) ولا يمكن الجزم بأنه توجد شواهد أقدم للكتابة البربرية [1] بل أن اللغة البربرية قد تعربت كما تعرب البربر أنفسهم ، فتألف نحو ثلث البربرية التي يتكلم بها سكان منطقة القبائل الكبرى من كلمات عربية [2] إن اللغة البربرية هي لغة شعوب افريقية الشمالية بالأصالة والوراثة ، وما دون ذلك من سائر اللغات الأخرى فهو طارئ ودخيل ، يجب أن يزول ويمحى ، وعلى هذا الأساس فكل من العرق و الأرومة يجبرنا على العودة إلى لغتنا البربرية ، والاجتهاد في البحث عن رموزها و حروفها القديمة ، فنستعملها وسيلة للقراءة و الكتابة ، مثلما يستعملها أجدادنا قديما ..ولعل كتابة اللغة البربرية بالحروف اللاتينية أنسب شكلا ، و أفضل نطقا [3] الذي يؤكد عروبة البربر هو أن كلمات اللغة البربرية عربية يكاد لا توجد كلمة بها إلا و تعود في أصولها إلى اللغة العربية ، كل كلماتها لا زالت مستعملة في العربية الحديثة التي جاء بها الإسلام ، وبعضها الأخر بطل استعمالها في العربية الحديثة لكنها موجودة في المعاجم العربية القديمة [4].

إن علماء التاريخ لم يثبتوا لنا لغة البربر هي أول لغة تكلم بها سكان الشمال الإفريقي ، و إنما أقصى ما أثبتوه لنا أن هذه المنطقة قد سكنتها عدة أجناس بشرية ، من بين هذه الأجناس قبائل البربر ، الذين تقدمهم العنصر الزنجي ، النازح من وسط الصحراء ، كما أشار إلى ذلك المؤرخ اليوناني الكبير ، المعروف بهيرودوتس ، وقد أنهى أحد الباحثين الفرنسيين هذه الأجناس ، التي مرت بالشمال الإفريقي قديما و حديثا إلى اثني و عشرين جنسا ، ويقول الأستاذ إبراهيم حركات : " ومهما يكن من شيء فان البربر ليسوا – هم – سكان المغرب الأولين ، فان ظواهر الحياة البشرية تمثلت في هذه البلاد منذ مئات الآلاف من السنين[5] كتب كثير في هذا الباب ، وملخص ما كتب ان المؤرخين العرب كادوا يجزمون في العصر الوسيط أن البربر من أصل يماني أي من العرب العاربة [6]

---

(1) شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص 66.

(2) عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 24، أيضا : احمد المنصوري ، كباء العنبر من عظماء زيان و أطلس البربر ، مطبعة الكرامة ، ط ، الرباط ، (1425هـ/2004م) ، ص78.

(3) محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 44 – 45 .

(4) عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 30 .

(5) محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 45 ، أيضا : عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر ،ط، دار ريحانة ،الجزائر، 2002م، ص 9.

(6) محمد شفيق ، ثلاثة وثلاثين من تاريخ الامازيغيين ، (د ط) ، الرباط ، (1409هـ / 1988م) ، ص 19.

لقد كانت هناك بعض المحاولات الأولية في بداية القرن العشرين و قبلها في نهايات القرن التاسع عشر للتعامل مع موضوع ما إذ كانت العربية الفصحى لغة حديث عرب ما قبل الفتوحات الإسلامية ، وعلامات الإعراب [1] فعلى ضوء ما تقدم يتضح لنا أن اللغة البربرية ليست هي أول لغة تكلم بها سكان الشمال الإفريقي ، وإنما هي لغة من بين شتى اللغات التي مرت بهذه المنطقة ، و كلنا نعلم أن اللغات تختلف نطقا ، باختلاف الأجناس و العصور و الأماكن ، من جراء تأثير الطبيعة و المجتمعات في أفكار الإنسان ومشاعره ، هذا بالنسبة إلى تفنيد زعم من زعم أن اللغة البربرية هي لغة سكان الشمال الإفريقي بالأصالة ، أما بالنسبة إلى تفنيد زعم من زعم أن سكان الشمال الإفريقي هم بربر بالأصالة ، فيتمثل في ثلاثة عناصر : عنصر لغوي ، و عنصر تاريخي ، و عنصر الحكم ..العنصر اللغوي يبدو لنا أن لفظة " بربر " – عند البربر – مشتقة من لفظة " بربرة " التي هي في لسانهم – تدل على الصياح ، و الثرثرة ، والهذيان ، والتخليط في الكلام مع غضب و نفور ، جاء في لسان العرب[2] :" و البربرة كثرة الكلام ، و الجلبة باللسان ..و قال ابن خلدون :"و البربرة – بلسان العرب – هي اختلاط الأصوات غير المفهومة ، ومنه يقال : بربرة الأسد ، إذا زأر بأصوات غير مفهومة " فمن خلال هذه الفقرات يتضح لنا – جليا – إن مدلول لفظة "بربر " عند العرب له وجه الشبه عند اليونان مبنى و معنى [3] و في إمكاننا أن نأتي ببعض البراهين ، لعلها تكون خير مرشد لمن ضل السبيل في بحثه عن عروبة سكان الشمال الإفريقي لغة وجنسا

البرهان الأول : ثلث مفردات اللغة البربرية عربي النوعية .

البرهان الثاني : عدم وجود ما يقابل المفردات العربية ، أن أريد حذفها و تعويضها باللغة البربرية ، وبهذه المناسبة أسوق قصة طريفة و مقنعة في آن واحد .. وكان أحدهما متعصبا للبربرية ، والآخر للعربية ، فقال الأول : إن اللغة البربرية هي لغة سكان الجزائر بالأصالة ، إذن فلماذا لا تكون البربرية هي لغتنا الرسمية بدل العربية الطارئة علينا ؟ فأجابه صاحب العربية : إن البربرية – يا أخي ؟ لضيقة الصدر جدا ، و إنّها لعاجزة عن أداء المعاني و تصورات الأفكار ، فرد صاحب البربرية – بحماس - : لا ، لا ، هذا غير صحيح ، أليست لغة البربر مثل لغات سائر الأجناس و الشعوب ؟ ؟ فأجابه معاكسه – بهدوء - : هوّن عليك ، يا أخي ؟ إني سائلك عن شيء بسيط جدا ، افتجيبني عنه بصراحة ؟ فقال المسئول : هات سؤالك ؟ هيا عجل به ؟ فقال السائل ، أرجوك – يا سيدي – أن تسرد علينا أيام الأسبوع بالبربرية ن فبهت المسئول ، ولم يجد جوابا يرد به ، لان أيام الأسبوع في اللغة البربرية عربية في مبناها ومعناها ، ثم سكت السائل هنيئة ،

---

[1] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 5.

[2] محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع نفسه ، ص 47.

[3] محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع نفسه ، ص 47 ، أيضا : عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 17- 18 .

وطلب من معاكسة – مرة أخرى – أن يسرد عليه أسماء الأعداد ، فأخذ في سردها بقوله : "يوّن " ، سين " ، ثم توقف ، لان ما فوق ذلك من سائر الأعداد – في اللغة البربرية – كله باللغة العربية مبنى ومعنى ، و ليس لهذه و لا لتلك ما يقابلها من الألفاظ في اللغة البربرية ، و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على عروبة البربر بالأصالة ، إذ لا يمكن لأي جنس من البشر أن يستبدل لغة أجنبية بلغته الأصلية دون أن يبقي ما يقابل المستبدل في المستبدل به لفظا ومعنى ..ومما يؤكد هذا البرهان قول الأستاذ إبراهيم حركات :" أصبح من المؤكد لدى العلماء إن اللهجات البربرية تعود في أصلها إلى لهجة واحدة ، كما أثبت علماء أصول اللغات الصلة الوثيقة بين البربرية و اللغات السامية و الحامية [1] وجد حروف في اللغة البربرية ، لا وجود لها سوى في اللغة العربية ، ثم لا نكاد نجد حرفا في هذه يعسر النطق به في تلك ، مثل حرف " الضاد " و " العين" و " الغين " و " الطاء " ، و جميع الحروف التي تفردت بها " لغة الضاد " إذا وضعنا غزو شمال إفريقيا في الإطار التاريخي للتوسع الإسلامي لظهر هذا الغزو على انه المشروع الأكثر مثابرة و الأكثر تبعا الذي قام الإسلام بتحقيقه ، ليس هناك بلدا كلف الإسلام جهدا أكثر لترويضه مثل شمال إفريقيا.. و طارق البربري أخضع اسبانيا و سيأتي موسى بن نصير على عجل ليجنى ثمار النصر ، ولكن الوضع يختلف قي بلاد البربر[2] فضم البلاد الذي بدأ في (27هـ/647م) لم يتحقق إلا حوالي (92هـ/710م) لقد لزم حوالي 53عاما للحصول على نتيجة غير أكيدة ، لان كثير من الصعوبات و المشاكل بدأت تظهر بعد ذلك و لن تنتهي هذه الصعوبات إلى بداية القرن (3هـ/9م) بعد أكثر من 150 عام من القتال أو الصراع الخفي ، قرن ونصف قاسى فيها الغزو العربي كثير من الفشل ليطرح من جديد مستقبل الإسلام في الغرب .

لقد استرجع البربر[3] البلاد بأكملها مرتان الأولى في أواخر القرن السابع و المرة الثانية في منتصف القرن (2هـ/ 8م) وقد فرض على العرب إعادة كل شيء في المرتين .

كيف نعلل شرح هذا التأخير ؟ ونوضح الصعوبات التي كانت سهلة في بلاد أخرى ؟ هل اصطدم العرب هنا بقوة أكثر انتظاما واجهة الغزاة ؟ إطلاقا .

---

(1) محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 47 ، عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 18 .

(2) البربرة : كثرة الكلام ، و به سمّي هذا الجبل البربر ، كان افريقس أبو يلقمة التي تسمّى بلقيس افتتحها فقال : ما أكثر بربرتهم فسمّوا بذلك ، وأقام بالبربر بطنان من حمير : صنهاجة و كتامة ، فهم على نسبهم ، زعموا ، إلى اليوم ، و بافريقس سمّيت افريقيّة ، أنظر : أبي محمّد بن الحسن بن دريد (ت 361هـ / 972م) ، كتاب جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، ج1 ، ط1 ، دار العلم للملايين ، 1987م ، ص 174.

(3) قد تنازع الناس في بدء أنساب البربر ، فمنهم من رأى أنهم من غسان وغيرهم من اليمن ، و أنهم تفرقوا حول تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مأرب عندما كان من سيل العرم ، ومنهم من رأى أنهم من قيس عيلان ، و منهم من رأى غير ذلك ، أنظر : المسعوديّ ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 112 ، أنظر : عثمان كعاك ، البربر ، (د ط) ، تامغناست ، جبل المنار ، (1375هـ / 1955م) ، ص 7 - 15.

فليس لدى ولاية إفريقيا ما يماثل الجهاز الحربي للساسانيين بفيالقه التي يرأسها خمسة من القواد المشهورين وأفياله الخمس و الثلاثين حاملة الأبراج المملوءة بالنبال لمقاومة الغزاة ، ولم تعتمد المغرب مثل سوريا على الامتدادات التي وصلتها بسهولة من القسطنطينية ولم يكن هناك أماكن حصينة تصمد للحصار و لا حواجز طبيعية مثل الأنهار و الجبال و تحول بينهم وبين العبور .

ولتبرير هذه المدة الغير طبيعية في زمن الفتوحات نستذيع الاستناد على عدة أسباب :

- أولا : بعد المسافة – الذي لا يلعب دور بالنسبة لاسبانيا الأكثر بعدا – و لكنه الوضع الشاذ للمغرب الذي كان يخيف الخليفة عمر ، من الواضح الحكم المركزي تنقطع علاقاته أحيانا بهذه الولاية التي تعتبر تابعة لمصر و امتلاكها لا يساوي التضحيات المقدمة لفتحا [1] ومن المعروف أنه كان البربر إسهام فعال في الحضارة العربية الإسلامية ، و كان لهم دور واضح مع إخوانهم العرب في فتح الأندلس سنة (92هـ/ 710م) بقيادة طارق بن زياد ، كما قامت لهم دول معروفة ، من أشهرها دولتا المرابطين و الموحدين [2]

و أخيرا فضم شمال إفريقيا يتميز عن الغزوات [3] الأخرى بتعدد الخصوم وشدة مقاومتهم ، فليس على الغزاة هزيمة جيش أو عدة جيوش أو عدة جيوش منتظمة فحسب و أن الانتصار على البيزنطيين و الاستيلاء على قرطاج عاصمة إفريقيا و اكبر مدن عالم البحر الأبيض المتوسط لم يسبب انهيار البربر : و لكن يبقى ترويض هذا الشعب فهو في خصومة مستمرة ولكنه حريص على استقلاله ، لذلك تضامن أمام الخطر المشترك [4] فمقاومة البربر تجد الحصون و الزعماء من الجنوب التونسي حتى البحر الأطلسي ، بدت حركة هؤلاء الزعماء أكثر فاعلية من حركة قواد الجيوش البيزنطيين لذلك نعتبرهم كما اعتبرهم المشارقة شخصيات أسطورية ومن الرائع أن احد الخصوم الأكثر تشددا ضد الانتشار العربي في بلاد البربر كانت امرأة ذات شخصية أسطورية ، ووفاتها في السنوات الأولى من القرن (2هـ/8م) جعل من الممكن للإسلام أن يتقدم تقدما ملحوظا ، فموتها يعد علامة لبداية مرحلة حاسمة .

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 31-32 ، أيضا : عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 22 .

[2] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 98.

[3] أقبل البربر على تعلم اللغة الرومانية محادثة و كتابة و التبحر في الخطابة و البلاغة و الآداب اللاتينية بفضل ما وجد في البلاد المغربية ، أنظر : عثمان كعاك ، المرجع السابق ، ص 32.

[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 31 - 32.

حدث هذا التدهور المؤقت للمقاومة البربرية بعد أربعين عاما من ظهور العرب في إفريقيا ، ففي (27هـ/647م) قام عبد الله بن سعد حاكم مصر بغزو ولاية افريقية وكان الحاكم العسكري البيزنطي جرجير الذي كان يحكم هذه الولاية البيزنطية قد تحرر من سلطة سيده قسطنطين الثاني لخلاف ديني وعين نفسه إمبراطور بموافقة البابا ، بدأ أول غزو للجيش الإسلامي – سبقته استطلاعات صغيرة – بدأ و كأنه غارة و عملية سلب لأنه لم تتبعه إقامة قواعد للاستقرار وقد هزم جرجير ومات الحاكم العسكري الذي تصدى لهذا الغزو بالقرب من مقر إقامته في سبيطلة ، انه انتصار هائل للعرب و نجد صداه في اخباراتية من (Fredegaine) : انقطع الدفاع البيزنطي و انفتحت ثغرة في الصف الأول للقلاع التي تحمى الولاية ، ولكن الإستراتيجية البدائية للمنتصرين أو عدم وجود قوات كافية أو الأوامر الآتية من المشرق لم تسمح باستغلال هذا النصر [1] أما الحملة التي تقدمت بقوات ذات قيمة و أحدثت نتائج ملحوظة هي حملة (45هـ/660م) لان بين الحملة الأولى و الثانية تغير حكام الإسلام لأنهم كانوا في صراعات دامية كادت تقضى على وحدة قوة الدين [2] ومن المجابهة التي وقعت بين اللغتين ، خرجت اللغة العربية منتصرة بفضل الفتوحات الإسلامية [3] نحن نعتقد أن هذه هي أسباب غياب العرب عن المغرب رغم المؤرخين لا يهتمون بالبحث عن الأسباب ، كذلك نحن نفترض أسباب العودة للغزو ، بعد خروج العرب من افريقية استولى اليوناني جيناديوس على ميراث المغتصب جرجير المتوفي و ذلك بمناصرة البربر ، فأراد الإمبراطور قسطنطين الثاني المتمركز في سرقوسة استعادة سلطانه في افريقية [4] لقد رأينا على مر العشرين عاما الأولى لهذا القرن (2هـ/8م) توطيد واتساع السيطرة الإسلامية بدون إثارة ردود فعل جادة ورأينا أيضا تحقيق الغزو الروحي للبربر ، وبوصول يزيد بن أبي مسلم لحكم افريقية في (102هـ / 720م) تم وضع نهاية لهذا الهدوء ، و بدأت المشكلات التي دامت 80 عاما ، فبلاد البربر في ذهن الحكام المشرقيين هي دائما ارض غنيمة ، و هذا البلد البعيد المشهور بالثراء كلف الغزاة تضحيات ضخمة ، وسكانه همج طالما أنهم ليسوا بمسلمين ، لذلك فهو أرض غنيمة لإثراء المنتصرين و لكنه أصبح الآن أرض إسلامية ، وقد شرع بنجاح رجال ذوي عقيدة راسخة في كسب النفوس [5] سوف تتغير السياسة تجاه البربر بتغيير الحكام ، هؤلاء من كفار

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 33.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 33- 34

[3] موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 142.

[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 34.

[5] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 48 - 49 .

الموظفين بالطبع و قد قاموا بمهام مماثلة في عديد من ولايات الإمبراطورية لا يستقرون طويلا في مكان واحد وعشرين حاكما : سبعة حكام يمثلون الأمويين و الأربعة عشر الآخرين ينتمون للعباسيين باستثناء عبد الرحمان بن حبيب الذي استولى على الحكم بالقوة واحتفظ به لمدة عشر سنوات (127هـ / 745م – 755/138م) و يزيد بن حاتم (154هـ/ 771م – 172هـ/ 788م) الذي قضى17عاما من الحكم الحازم و كانت ولايته بمثابة بداية مملكة حقيقية ، و أما بقية الولاة فبعد عام أو عامين بل وعدة شهور أما يستدعون من الخليفة أو يفقدون حظوتهم عنده بسبب الوشاية أو يقتلون من الثوار ، ولذلك كان عدم استقرار القيادة الناتج عن ذلك سببا لضعف سلطة المشرقيين ، ويزداد هذا الضعف نتيجة للخصومة التي تفرق المجتمع العربي و هي خصومة غامضة و قديمة جدا ولكنها في الوقت نفسه حادة [1] هذه الخصومات الضارة بمكانة المشرقيين عقدت على وجه الخصوص مهمة الحكام أنفسهم فهي خلقت الفوضى و إثارة غضب جنود الحاميات التي تحمي البلاد فهؤلاء الممثلون للطبقة الحربية ، بدلا من معاونة السلطة المحلية ، خلفت الورطات ، ولذلك فنتيجة الانتفاضات البربرية و الهزات التي خلقها العرب ، و إرسال الجيوش المكلفة التي تتطلبها الظروف بدا ضم بلاد البربر [2] فقد باشر يزيد بن أبي مسلم ، حاكم افريقية ، وظيفته في (102هـ/ 720م) وكان ينتمي إلى عشيرة قيس : فهو مولى الحجاج و خدم لديه كأمين سر و تدرب على الطرق الإدارية خلال مرافقته الحجاج خادم الأمويين العزيز عليهم وذا الشخصية القاسية ، فالحجاج لم يأبه بالشرعية بل كان يفرض على مزارعي العراق الذين اعتنقوا الإسلام دفع الجزية و الخراج (ضريبة الأرض) و حتى لا يتهربون من دفع الخراج كان يمنعهم من الهجرة إلى المدينة و يعيدهم إلى قراهم ، وعندما تولى يزيد الحكم في افريقية أراد تطبيق هذه الطريقة المتهورة وسلك مسلكا مماثلا تجاه سكان شمال إفريقيا الذين أصبحوا مسلمين و قرار آخر اختص به البربر [3] الذين يكونون حرسه الخاص ، فقد الآتية " حرس يزيد " على اليد اليسرى مثلما كان يفعل الملوك المسيحيون مع خدمهم ، لم يتحمل البربر ذلك فقتلوه و عملهم هذا لم يكن إلا فورة غضب يرجع سببها إلى حاكم مستبد و أرعن : يقول النويري " وكتبوا إلى

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 48- 49 .

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 49 – 50 ، عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 18.

[3] أغلب الظن أن قبائل البربر – أسبق الفصائل العربية التي هاجرت إلى شمال أفريقيا وقبل الفينيقيين بكثير –كانت همزة الوصل بين القرطاجيين و الإفريقيين السود ، فقد كانت بعض قبائل البربر قد هاجرت من شمال أفريقيا إلى أفريقيا جنوب الصحراء وتاجروا مع القبائل الافريقية من الزنوج ، فقد أدرك البربر مدى حاجة الزنوج الأفارقة إلى ملح الطعام باعتباره مادة هامة في حفظ الطعام وتخزينها ، ولهذا تولى البربر إقامة الملاحات في شمال الصحراء الوسطى ، أنظر : أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص14.

يزيد بن عبد الملك : إنا لم نخلع أيدينا من طاعة ، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضاه الله و المسلمون فقتلناه و أعدنا عاملك ، فكتب إليهم : انه لم يرض بما صنع و أقر محمد بن يزيد على عمله " ورغم أن هذا العمل كان ينذر بالعواصف فقد أعقبته ثلاث عشرة عاما من الهدوء ، و في سنة (116هـ/ 734م) عيّن عبيد الله بن الحبحاب حاكما بواسطة الخليفة هشام ، كان هذا الحاكم من عشيرة قيس مثل يزيد و يبدو أنه كان مثله مستعدا لفرض ضرائب لا حد لها ، وكان قد قام من قبل بهذه التجربة في مصر بزيادة الخراج الذي يدفعه الأقباط بنسبة (20/1) فكانت هذه الزيادة سببا لانتفاضة قام بها هؤلاء الناس المسالمون بطبيعتهم ، وقد فعل الأعوان الذين اختارهم عبيد الله في البربر أكثر من ذلك ، فقامت حملة على السوس و بلاد السود بقيادة قائد من سلالة سيدي عقبة و عادت هذه الحملة بعدد كبير من الأسرى ، و في الشمال الأقصى للمغرب قرر حاكم طنجة استقطاع خمس (5/1) المخصص للخزينة العامة من البربر المسلمين [1] و هذا الابتزاز كانت له نتائجه ، فاغتيل حاكم طنجة في (122هـ / 740م) واندلعت ببلاد المغرب فقد التف عدد كبير من القبائل حول سقلاء يدعي ميسرة و انتهزوا فرصة إرسال عبيد الله الحملة العربية إلى صقلية فزحفوا نحو طنجة و استولوا عليها و اجتازوا بعد ذلك السوس [2] تقدم الثوار المغاربة نحو المشرق ووصلوا حتى ضفاف نهر شلف و هناك تصادموا مع جيش مكون فقط من العرب الأصليين ، فكانت معركة الأشراف و فيها انتصر الثوار ، وقال ابن خلدون " و انتفضت افريقية على ابن الحباب و بلغ الخبر إلى الأندلس " هذه الخصومة بين المهاجرين و السكان ذات المظهر العنصري جديرة بالانتباه ، ولكن الأكثر من ذلك الطابع الديني الذي كان يكسوه للمرة الأولى رد الفعل البربري ، فميسرة ليس مشاغبا عاديا يحث إخوانه المضطهدين على الثورة و لكنه ينتمي للمذهب الخارجي و كان يدعو البربر للانضمام إليه [3] نحن نجهل حقا ظروف انتشار المذاهب المستوردة من المشرق ، يقول ابن الأثير " و ظهر في ذلك الوقت جماعة بافريقية فاظهروا مقالة الخوارج " و يروي ابن خلدون أيضا " ولقنوها من العرب الناقلة ممن سمعها بالعراق – مهبط الخوارج – وتعدد طوائفهم ، فافريقية كانت بدون شك المرحلة الأولى من بلاد البربر لاستقرار الخوارج المطاردين ، ونسجل هنا أن ميسرة كان سقاء في القيروان ، ومع ذلك اجتاحت الدعاية بسرعة المغرب الأقصى ، و انضمت لحركة الخوارج المناطق شاسعة للسهول الشبه

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 51 ، أيضا : عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 22 .

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 52 ، أنظر : عبد الحليم عويس ، المرجع نفسه ، ص 23 .

[3] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 52.

أطلسية المسماة برغواطة وذلك قبل أن يتزعمها ميسرة ، كانت الخوارج الصفرية تخضع لرئيس يدعى " عبد الأعلى بن حديج الإفريقي " وهو من أصل مسيحي واعتنق الإسلام على يد العرب ، من كان هذا الرجل ليحدثنا عنه ابن خلدون ؟ ما هو الرأي فيما يقوله لنا ابن خلدون عن انتشار هذه الحركة " بين بربر الطبقة السفلى " نحن نعتقد أن الفصاحة السياسية المذهبية التي اشتهر بها أساتذة الحركة لم يستوعبها الفلاحون البربر تماما كما كان موقف أجدادهم من المناقشات التي زعزعت الكنيسة الإفريقية ، لكن مذهب الخوارج يرتكز على بنود أساسية سهلة المنال للعامة و هي التي اشرنا إليها ، فالنزعة المنبثقة منها كانت تلبية لأمال الشعوب المفتوحة إلي أحبطها المسلمون ، فالسلطة العليا توكل للأكثر تقوى و صلاحا و علما من أي جنس حتى و لو كان عبدا زنجيا ، وأي تفوق في الأجناس لا يعطى للعرب حتى حكم المسلمين الآخرين ، هذا المذهب المشرقي النابت من الإسلام قدم إسلام صارما في عدالته وكان محققا لمطالب الكادحين (البروليتاريا) في شمال إفريقيا ، فانضمت له هذه الطبقة بحماسها وتدينها الساذج وعدائها الطبيعي ، وانتشر هذا المذهب عبر بلاد البربر بأكملها كرمز لتحرره و أصبح الشكل الخاص بالإسلام في بلاد البربر[1] لم تضع معركة الأشراف حدا لانتصارات الثوار ولذلك اضطر الخليفة الأموي إلى إرسال 12 ألف من الجند الشامي و عزز الجيش في مصر و طرابلس ، ولكن قضى عليه بالقرب من وادي سبو و لجأت بقايا هذا الجيش إلى اسبانيا (127هـ/741م) و في العام التالي وصل إلى افريقية حنظلة بن صفوان الذي علم أن الخوارج البربر يتقدمون نحو القيروان منقسمين إلى مجموعتين : المجموعة الأولى بقيادة بربري من قبيلة هوارة الإفريقية ، و المجموعة الثانية التي تتمثل فيها كل القبائل الإفريقية يرأسها عكاشة الفزارى ، وهو عربي كان يرأس فرقة الاستطلاع الشامية في المعركة السابقة .. بدأت الخلافة الأموية في الانهيار و في نفس الوقت بدأت بلاد البربر تنظم شئونها بعيدا عنهم [2] بذلك أصبح الحكم في افريقية مجال لمشاحنات عائلية بدا فيها الخليفة غير مهتم أو غير قادر على التدخل فيها ، ولكن ما يسترعى الانتباه خاصة ، هو الدور الذي يلعبه البربر في هذه الخصومات و المزايا التي يحصلون عليها من وراء ذلك ، اضطر واحد من الأخوين الهرب من القيروان و لجأ هو و أعوانه إلى قبيلة ورفجومة في الجنوب التونسي و هي قبيلة بربرية مرموقة ، هذه القبيلة تعتنق المذهب الخارجي الصفري مثل الضيف الذي نزل بها ، فاتجهت نحو القيروان و استولت عليها ، وارتكبوا

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 54 ، أيضا : حسن قرني ، المجتمع الريفي في الاندلس في عصر بني امية 138-422هـ/756-1031م ، المجلس الاعلى للثقافة ، المطابع الاميرية ، القاهرة ، 2012م ، ص 185.

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 54-55 .

فيها أسوأ التجاوزات وقاموا بذبح القرشيين ، وهم من أهل الرسول ، ووضعوا جيادهم في الجامع الكبير و من الغريب أن الذين يعاقبون هذا الجرم و هذا التدنيس ليسوا ، كما حدث سلفا ، عربا مرسلين من المشرق بل بربر خوارج على مذهب الاباضية يستولون على القيروان و يبقون فيها من صيف (140هـ / 758م) إلى صيف (144 هـ / 761م) ألا يبدو وجود هؤلاء البربر الثائرين في مدينة سيدي عقبة و لمدة ثلاث سنوات هو عودة إلى عهد كسيلة الذي استولى هو أيضا عليها لمدة ثلاث سنوات [1] في مواجهة الحماس الحربي عند البربر و حب التحرير ، الذي يعززه التعصب الديني ، كل ذلك جعل مهمة الولاة المشرقيين صعبة ، كما أن هؤلاء الولاة هم من كبار الموظفين الذين لا يرتبطون بالأرض و لم تكن مهمتهم إلا مهمة عابرة [2] و على كل لم تكف افريقية عن جلب المتاعب لحكامها المشرقيين ، فالبلاد لم تكن في مأمن من هجومات بيزنطة أو على الأقل نزول مغامرين من صقلية أو ايطاليا ، ففي عام (180هـ/796م) شرع الحاكم هرثمة بن أعين في بناء السور البحري لطرابلس و سور رباط المنستير و هو أشهر و أضخم القلاع الحصينة التي تحمي الشاطيء التونسي ، وهكذا حينما كادت ثورة الخوارج أن تهدأ في بداية القرن التاسع الميلادي ، دخل إبراهيم بن الأغلب مع البربر في حروب يطول ذكرها ، ولكن الذي كان يجلب المتاعب للولاة المغرب [3] هم العرب أنفسهم فمشاغبات رؤساء الجند يتصدى لها الولاة إما بالمداراة أو بصلابة حسب الحالة ، و آخر الولاة المهلبيين " استخف بالجند ، وسار بهم سيرة قبيحة " تسبب في ثورة خطيرة جدا استشهد فيها ، فقام ابن الجارود رئيس الجند الثائر بمساعدة زملائه في حامية تونس بالثورة التي انتشرت في افريقية بأكملها و أصبح سيدا على القيروان لمدة سبعة أشهر و لم يغلبه إلا هرثمة بن اعين ، وجد هارون الرشيد أن هرثمة هو أصلح من يعيد الهدوء للبلاد لما يتمتع به ، من سماحة تجاه جند خراسان ، ولكن ابن الرفيق يروي " قلما رأى هرثمة بن اعين ما رأى من الخلاف بافريقية ، و سوء طاعة أهلها ، طلب الاستعفاء [4]يوضح الكثير مما عليه بلاد البربر في القرن الثامن أو على الأقل الجزء الخاضع لسيطرة المشرقيين ، ففتح البلاد كان شاقا و الحكومة متبعة ، ولكن القرن التاسع سوف يبدل ذلك و تتعرض افريقية الخاضعة لوصاية المشرق لنهضة عصر ذهبي [5] ففي كل من مملكتي تاهرت و الأدارسة ترجع حظوة الأسرة الحاكمة لما

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 56 .

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 56 ، أيضا : سعد الغامدي ، ينابيع اللغة الاولى ، ط ، أبو ظبي ،1430هـ / 2009م ، ص 272.

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 56 .

[4] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 56 .

[5] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 60 .

تمتعت به كل منهما من تأييد شعبي لمذهبيهما الديني ، وأما مملكة الأغالبة فرغم افتقارها لهذه الحظوة ، إلا أنها عملت على التقرب إلى الفقهاء و العلماء و رجال الدين ، وهكذا قامت الممالك الثلاث كل على انفراد بالعمل على نشر الإسلام و ترسيخه ببلاد البربر ، و منذ ذلك الوقت أخذ المذهب السني في شمال إفريقيا الشكل الذي احتفظ به حتى يومنا هذا ، و أخيرا نلاحظ أن نهضة هذه القوى الثلاث في القرن (3هـ /9م) انطلقت من ثلاث مدن : فالقيروان تصل ذروتها ، وتتسع تاهرت في منطقة محرومة من مراكز مدنية ولكن سمعتها تصل حتى أسيا ، وتنشأ مدينة فاس و تستمر على مر العصور ، فتطور هذه المدن و مدن أخرى هو الحدث الأكثر بروزا و الأكثر تميزا لنهضة حضارية ، كما تعود البربر على العادات الأقل خشونة و على تقبل الثقافة نتيجة لظروف تأسيس هذه العواصم و قوة الجذب الذي أحدثته و التبادل الذي قامت به و التعاليم التي تفرغت لها [1] انه من الصعب وضع خريطة لبلاد البربر في القرن (3هـ/9م) وخصوصا للمغرب الأوسط الذي يفصل مملكة الأغالبة عن مملكة الأدارسة ، وموقع المدن التي ذكرها الرحالة اليعقوبي ليست مجهولة بالنسبة لنا فحسب بل وكذلك توزيع القبائل التي ذكرها تبدو أكثر غموضا من التوزيع الذي ذكره ابن خلدون بعد خمس قرون ، فتوزيع ابن خلدون يسمح لنا بوضع خريطة غاية في الدقة ، فمن مميزات وصف اليعقوبي و المعاصرين له تفتيت المجموعات القديمة التي تعود إلى أصل مشترك و انتشارهم عبر بلاد البربر ، و هذه نتيجة محتملة للهجرة التي سببها الغزو الإسلامي وردع ثورات قرن بأكمله ، فمثلا قبيلة لواتة الكبيرة لها ممثلين في جنوب قابس و في جبال أوراس و شماله و بالقرب من مناداس في منطقة تاهرت ، وكذلك قبيلة هوارة المنتشرة في ثلاث أماكن مختلفة ، هناك بحث من الصعب تناوله بالتفصيل هنا يربط هذا التفتيت بتقهقر المذهب الخارجي ولقد أصبح مجال هذا المذهب الذي كان يغطي الجزء الأكبر لشمال إفريقيا [2] لا يشغل إلا جزء صغير ممتد إلى ما ، من منطقة الزاب و هي الممر الغربي للملكة الأغلبية فانه يواجه أول هذه الجزر و هي بقلعة بني بزال في منطقة المسيلة و يشرح أدق نقول أن البلد المحكوم بأمراء القيروان محاط تقريبا بمجتمعات خوارج أو على الأقل محاط بعناصر غير مطيعة ، ففي جبال القبائل الصغرى توجد قبيلة كتامة الكبرى و هم مناصرون للشيعة في المستقبل و كانوا يعرفون بميولهم للمعتقدات الدينية القديمة للبربر ، والتي استفاد منها الداعية الشيعي ، ويقول لنا البيان ، " أشهر رؤسائها كان يميل في مذهبه إلى

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 64 ، انظر أيضا : شهبي عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 15- 16.

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 118، أنظر سليمان مصطفى ، دور عبد المؤمن بن علي الكومي بنشر دعوة ابن تومرت واقامة دولة الموحدين في المغرب الاسلامي"المغرب و الأندلس " (510هـ- 558هـ / 1116- 1163م) ، رسالة دكتوراه ،كلية الدراسات العليا ، جامعة الاردن، 1993م ، ص 97-98.

مذهب الاباضية النكارة " و في جنوب هضاب قسنطينة توجد جبال الأوراس التي لا تزال متمردة وكانت بجانب هوارة واحدة من حصون الخوارج ، وكان هذا المذهب أكثر قوة و جهادا في جبل نفوسة ، و يقول اليعقوبي أن أهل نفوسة " لا يؤدون خراجا إلى السلطان و لا يعطون طاعة إلا رئيس لهم بتاهرت "، وعندما يترك اليعقوبي بني برزال متجها نحو الغرب يقابل بعدة مراحل أقارب لبني برزال وهم أولاد بني دمر [1] وشمال غرب تاهرت على مسافة عشرة أميال أو أكثر من العاصمة توجد مجموعة من الاباضية المنفصلة و تخضع لابن مصالة و هو من هوارة و يستقر في كدال بالقرب من قلعة بني راشد المستقبلية ، إذا اتجهنا محو الغرب نترك مجال الخوارج و نجد مدينة تلمسان التي كانت محكومة من (174هـ/790م) بفرد من أفراد عائلة الادارسة وقد لعبت دورا رئيسيا في الصراع الحربي للخوارج في عهد بني قرة من بني يفرن فإدريس و سلالته قد أصابوا المغرب الأقصى بالتشيع لأل البيت الذي بقي قويا هناك ، وفي جنوب المغرب الأقصى نجد المذهب الخارجي أيضا في منطقة تافيلالت و سلجماسة عاصمة منطقة الواحات أسست في منتصف القرن بواسطة بربر مكناسة الخوارج الصفريين و قد عرفت مع أسرة بني مدرار ازدهارا حقيقيا ، و عند أقصى الرمال تمتد منطقة تافللت على الطرف الأخر لبلاد البربر [2] و كأنها امتداد لخوارج نفوسة ، وعلى كل فالمذهب ثبت أقدامه حتى في قلب الصحراء ، كما انضم للمذهب أيضا قبيلة سدراتة المستقرين بمنطقة وارجلة و سيكون لهؤلاء الفضل في استقبال أئمة الرستميين الهاربين بعد انهيار مملكتهم .

إذا كانت مناطق نفوذ البربر الخارجي في القرن (3هـ/9م) تبدو لنا و كأنها مكونة من عناصر مفككة و مختلفة فان لها دورا في تطور الحضارة الإسلامية بفضل تاهرت و حكامها ، فهذه المدينة أسست سنة (144هـ/761م) بواسطة عبد الرحمان بن رستم[3] الذي طرده ابن الأشعث من القيروان [4] نتجت عن ثورات الخوارج التي دامت سنين عديدة إمارات صفرية أهمها : دولة بني مدرار بسجلماسة سنة (140هـ/756م) على يد مدرار بن سكون في جنوب المغرب الأقصى، إضافة إلى إمارات إباضية و أهمها : دولة بني رستم بتيهرت سنة (124 هـ/740م) على يد عبد الرحمن بن رستم في المغرب الأوسط

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 118 .

(2) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 118 .

(3) عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 147 ، أنظر : الدرجيني ، طبقات مشائخ بالمغرب ، تحقيق إبراهيم طلاي ، ج1 ، (د ط) ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، (د س ط) ، ص 19.

(4) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 119 .

[1] وفي القرن الرابع الهجري كانت أنساب البربر قد دونت بالعربية و اشتهر عدد من النسابة البربر واتخذوا شجرة الأنساب العربية أنموذجا فقسموا قبائل البربر إلى برنس و بتر [2] تعتبر تاهرت الوريثة الشرعية لتلمسان أبي قرة ، فهي تنشر ازدهارها على كل المجتمعات الخارجية لبلاد البربر من ذلك [3] ويقول ابن الصغير " وكان المغرب كله مفتونا بهذا الرجل حتى إن من كان من الاباضية بسجلماسة يبعثون إليه بزكاتهم يصرفها حيث يشاء " [4] وكان كثير من أفراد العائلة الرستمية من بين كبار موظفي الإمارة الأندلسية ، ومن البديهي أن المكانة الدينية للائمة لم تكن موضع جدال بقرطبة التي عملت على الاستفادة منهم على الصعيد السياسي ، فالرستميون و البربر المنحازون لهم و اصة الزناتيون كانوا يمثلون بالنسبة للأمويين أتباعا لدعم مصالحهم في شمال إفريقيا ضد الأغالبة أتباع بغداد [5] إن تاهرت العاصمة المتواضعة لوسط بلاد البربر و جدت مكانتها في تاريخ المغرب الإسلامي بذا الدور السياسي العرضي و الذي يعتبر من وجهة نظرنا تخميني ، و في نفس الوقت ساعدت بدورها الديني و بأصل و مكانة أئمتها و بحياتها الاقتصادية أيضا تطور و توجيه شمال إفريقيا [6]

التعريب تطبيقا للآية الكريمة ، **قال تعالى : { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }** [7] إن التعريب ضروري لأسباب تربوية و مهنية ، فمن الناحية التربوية ، تأكد أن المتعلم باللغة الأم أقدر على الفهم و تمثّل المعرفة ، أما الجانب المهني ، فيتّضح في قدرة العالم المعرب على التواصل مع مجتمعه ..وان كان يقرّ بأن التدريس باللغة العربية أيسر عليه ، ينصرف همّه إلى مشكلة العمل أو مواصلة الدراسة في البلاد الأجنبية بمادته المعرّبة والى انعدام أو قلّة المراجع بالعربية [8]فعمل الأدارسة على نشر اللغة العربية في دولتهم لقراءة القران و تفسيره و التفقه في العلوم الدينية إذ لا يفهم الإسلام على حقيقته إلا من خلال اللغة العربية فكان التعريب نواة النهضة الفكرية و الدينية التي عمت المغرب فيما بعد [9] استقر أيضا في واد غرب المدينة أفراد من قبيلة هوارة وكانوا يأتون (نازحين) أيضا من البربر الشرقي ربما من عداء الحكام

---

[1] محمد الفاسي ، التعريف بالمغرب (مقدمة لتاريخ الأدب العربي بالمغرب الأقصى) ، (د ط) ، جامعة الدول العربية ، قسم الدراسات الأدبية و اللغوية ، 1961 م ، ص 39 .

[2] سعدون عبّاس نصر الله ، المرجع السابق ، ص 25 .

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 119 .

[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 119 .

[5] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 120 .

[6] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 121 .

[7] سورة الزخرف ، الآية : 03 .

[8] محمد الديداوي ، إشكالية وضع المصطلح المتخصص وتوحيده و توصيله و تفهيمه و حوسبته ، (د ط) ، مكتب الأمم المتحدة في جنيف ، ص 2 .

[9] سعدون عبّاس نصر الله ، المرجع السابق ، ص 170 .

السنيين في افريقية ، هذه القبائل و أخرى مثل لواتة و مطماطة وزواغة وكذلك أفراد من المجموعتين المتنافستين صنهاجة [1] وزناتة و معظمهم من الخوارج كانوا يمثلون في تاهرت سكان المدينة ، لكن كان المهاجرين المشرقيين إلى المدينة مكانة هامة سواء من ناحية عدد الأفراد أو الدور الاقتصادي لكثير منهم ، بالإضافة إلى العنصر العربي و معظمهم جاؤوا من افريقية و كانوا من الجند الذين انفصلوا عن الأمراء الأغالبة ووجدوا هنا نفس وظائفهم – و هي الوظائف التي تلائمهم – في جيش الأئمة ، و نلاقي أيضا الفرس الذين جاؤوا من بلاد الشرقية أو مباشرة من العراق انجذب هؤلاء الفرس " للسلوك الطيب للإمام " و هم أهل وطنه ويتبعون مذهبه و في الوقت نفسه بهرتهم " الوفرة التي تسود تاهرت " و الظروف المواتية للثراء ، فاستقروا في هذه المدينة التي سموها " عراق المغرب " فشيدوا مساكنهم و فتحوا متاجرهم وكانوا يتجمعون مع أهل وطنهم [2] لذلك فالأئمة الذين جاؤوا من بلاد فارس و الذين أوجدوا أو نموا الازدهار الاقتصادي لمنطقة مهمة في بلاد البربر قد شاركوا مثل منافسيهم أمراء عرب افريقية في نهضة القرن (3هـ/9م) حيث يتجاوز التراث المغربي مع معطيات المشرق [3] في سنة (296هـ/908 م)عندما استولى جيش بربر كتامة على العاصمة الرستمية بقيادة الداعية الشيعي أبو عبد الله تمكن الجوارج الذين فروا من المذبحة الشيعية من التوغل في الصحراء و لجأوا وسط المجموعات الاباضية في و احة يمتلكها بدو سدراتة الضيوف الموسميون لتاهرت و كان هذا بالقرب من وارجلة و مدينة سدراتة الصحراوية كانت في القرن (4هـ/10م) عاصمة للخوارج الاباضيين انتظار لنقل المستعمرة إلى ميزاب وهي لا تزال موجودة حتى الآن ،

---

(1) بنو صنهاجة : بطن من البرانس ، من البربر ، مساكنهم بلاد المغرب ،وهم : بنو صنهاجة بن برنس بن بربر ، ويقال : بنو صنهاجة بن أوريغ بن برنس بن بربر ، ويقال : و يقال : أنهم من حمير ، من عرب اليمن وليسوا من البربر ، قاله الطبري ، و المسعودي ، و عبد العزيز الجرجاني ، و ابن الكلبي ، و البهيقي ، و حكى ابن حزم ، أن صنهاج إنما هو ابن امرأ ة اسمها أداس ، و ليس له أب معروف ، و إنما تزوجت بأوريغ و هو معها ، فولدت له هوارة ، فكان صنهاجة أخا هوارة لأمه ، أنظر : بنو سليم : بضم السين : قبيلة عظيمة من قيس عيلان ، و النسبة إليهم سلمى ، و هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ، وقيس ، يأتي نسبه عند ذكره في حرف القاف ، قال الحمداني : و هم أكثر قبائل قيس ، وكان لسليم من الولد : بهثة ، ومنه جميع أولاده ، قال في العبر : وكانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر ، قال : ومنازلهم حرة سليم ، وحرة النار ، ووادي القرى ، وتيماء ، قال : وليس لهم الآن عدد ولا بقية في بلادهم ، ثم قال : وبافريقية منهم حي عظيم ، وقال الحمداني : مساكنهم ببرقة مما يلي المغرب و مما يلي مصر ، قال : و فيهم الأبطال الأنجاد ، والخيل الجياد ، قال في العبر ، و قد استولوا على برقة ، و هي إقليم طويل متسع الأطراف ، قد خربوا مدنه و لم يتركوا بها و لاية و لا إمرة إلا لمشايخهم ، قال في مسالك الأبصار : و الإمرة فيهم في بني عزاز ، قلت : و قد آلت الإمرة عليهم في زماننا إلى عريف بن عمرو ، و كان عبدا صالحا ، ثم خلفه في ذلك ابنه عمرو ، و هو مستمر إلى الآن ، و بنو سليم أيضا : بطن من جذام ، ذكرهم الجوهري و لم يصل نسبهم و جذام ، تقدم نسبه عند ذكره في حرف الجيم ، بنو سليم أيضا : بطن من شنوءة ، من الأزد ، من القحطانية و هم : بنو سليم بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران ابن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن نصر و نصر هو ، شنوءة ، وشنوءة ، يأتي نسبه عند ذكره في حرف الشين المعجمة ، منهم : الطفيل بن عمرو ، و فد على النبي صلى الله عليه و سلم و قتل يوم اليمامة ، انظر : أبي العباس أحمد القلقشندي (756- 861هـ / 1345-1445م) ، المصدر السابق ، ص 317

(2) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 129 .

(3) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 134.

وقد ظهر من تحت رمال سدراتة جزء من مسجد و أماكن خاصة و اسعة ، ونحن نخمن أن الهندسة المعمارية لهذه المباني و زخرفتها المنحوتة تمثل التراث الفني لتاهرت ذلك التراث الذي تجمد نتيجة لوجوده في بلاد نائية [1] إن مملكة الأدارسة في فاس ما هي إلا الجزء الثالث من اللوحة الثلاثية في شمال إفريقيا (مملكة الأغالبة في القيروان ، ومملكة تاهرت في الوسط ، ومملكة الأدارسة في قاس) ، وهذه المملكة توازن بانسجام هذا التكوين ، ولكنها تتميز عن المملكتين الأخيرتين بأكثر من ميزة أهلها شخصية مؤسسها لان إدريس ينتمي لسلالة الرسول ، لقرابته " لعلي " ابن عم الرسول وزوج ابنته فاطمة ، لقد وصل " علي " إلى الخلافة بدون مشقة ولكن الأمويين عارضوا خلافته و لم يكف أفراد عائلته عن التمسك بما يعتبرونه حقهم الوراثي للسلطة العليا [2] ولم يمض قرن من الزمان على قيام الدولة إلا وكانت أعداد غفيرة من العلماء أتقنت اللغة العربية و انطلقت للعمل في أرجاء المغرب في ميادين الثقافة ، وكذلك بناء مدينة فاس ، فقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء و الصلحاء و الأدباء و الشعراء فكانت دار علم وفقه و حديث بالعربية منذ تأسيسها ، وكان فقهاؤها يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب ، وقد أورد إسماعيل بن الأحمر في كتابه بيوتات فاس الكبرى أسماء كثير من العلماء والأدباء الذين أنجبتهم مدينة فاس ، وقد جاء في دعاء الإمام إدريس الثاني عند البدء ببناء مدينة فاس"اللهم اجعلها دار علم و فقه"وهكذا قررت دولة الأدارسة مصير المغرب ديانة و ثقافة [3]

هناك عدة ملحوظات تسمح لنا بإيضاح بعض جوانبه ، أولا : إن إدريس ليس المشرقي الوحيد الذي ظهرت له بلاد المغرب الأقصى كأرض الميعاد ، فكثير من المنفيين قبله و بعده جاءوا إلى المغرب " ليجربون حظهم " ففي القرن السابق لإدريس هرب الأموي عبد الرحمان من الشام فارا من حقد العباسيين و مر ببرقة و تاهرت و جاء يطلب ضيافة بربر نفرة أقارب أمه و في فترة الخمس سنوات التي سبقت مروره لاسبانيا كان ينتقل من قبيلة إلى أخرى على أمل الاستيلاء على بعض أملاك خلفاء دمشق في بلاد المغرب ، وبعد قرن تكررت مغامرة مشابهة و هي مغامرة المهدي الفاطمي الذي هرب من الشام إلى العراق و منها إلى مصر ثم بلاد البربر حيث لجأ إلى إمارة سجلماسة حيث يقبض عليه أميرها الخارجي ، هناك تشابه بين المغامرتين حيث إن المهدي ادعى مثل إدريس انه من سلالة النبي و أن الاثنان من العلويين و أن الوراثة التي تجعل منهما شخصيات شبه مقدمة تعطي لمهمتهم الدعائية فرص كبيرة للنجاح خصوصا في بلاد البربر [4] إن طائفة برغواطة التي تجمع بعض قبائل مصمودة معروفة لدينا بما نشره عنها البكري ، أنها مذهب غريب بطابعها المغربي و بعلاقاتها مع الحركات المذهبية الأخرى و بالإسلام نفسه ، و بإصرارها على البقاء رغم

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 133- 134 .

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 135 .

[3] سعدون عبّاس نصر الله ، المرجع السابق ، ص 131- 132 .

[4] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 136 .

الهجمات المتوالية عليها ، لقد ولدت في القرن (2هـ/8م) و سوف تبقى حتى منتصف القرن (6هـ/12م) وقد جارها بالتتابع كل من الادارسة و صنهاجة وزناتة [1] بني يفرن و المرابطين و لكنهم لم يستطيعوا هزيمتها و لم يتغلب عليها إلا الموحدون [2] نحو (227هـ/841م) و هي فترة عهد الأدارسة و لكن ضعف و انقسام الدولة الادريسية في ذلك الوقت يعلل عدم تصدي أمير فاس الإدريسي أو أحد أقاربه بتامسنا لهذه الحركة [3] ونفترض أيضا إن الادارسة قد ساعدوا في نشر الدين الذي يتمسكون به و ثبتوا أقدامه ، و لكن إذا كانوا عاملا لنشر الإسلام ، فقد كانوا بالتأكيد عاملا للتعريب ، فمؤسسة كمدينة فاس جعلت اللغة العربية المستعملة في أسواقها و مدارسها و بيوتها و عادات سكانها جعلتها تشرق على كل البلاد ، فهذه المدينة تضغط على المغرب الأقصى و تحدد مصير " مثل القيروان بالنسبة لافريقية ، وعلى كل لم تكن فاس المركز الوحيد لتوزيع الحضارة الحضرية فمنذ عهد إدريس الأول و إدريس الثاني تسك النقود في البصرة ، و مطغرة ووجدة و تحديد هذه المدن غير معروف لنا لاسيما البصرة ولكننا نفترض أنا كانت ذات أهمية ، أن تقسيم (213هـ/828م) الذي لا نستطيع إنكار نتائجه السياسية الوخيمة على وحدة الأسرة الادريسية ، كان له أيضا الأثر الحميد في نشر التأثير الحضاري الذي انبعث من فاس وغرس في الأجزاء المختلفة للمملكة ، وبدون شك لم يكن التعريب تاما و لن يكون أبدا ، فالمغرب الأقصى يشمل مناطق صعب الوصول إليها و لم تغيره المؤثرات المشرقية إلا جزئيا و بطريق غير مباشر ، فهو بلد شاذ و لا يمكنه استقبالها مباشرة و باستمرار ، إن التيارات التي تصله كانت متقطعة ووصلت على فترات ، فكل ما هو جديد في بغداد يصل إلى فاس عن طريق القيروان و لن يبقى الحال على ذلك ، فمنذ القرن (5هـ/11م) نرى أن ثقافة قرطبة تسود المغرب ، ولكن بالنسبة للفترة التي ندرسها و الفترة التي تليها

---

[1] بنو زناتة : ويقال لهم : زناتة ، باسم أبيهم ، وهم : بطن من البربر ببلاد المغرب ، قال في العبر : واسم زناتة جانا " بالجيم – ويقال : شانا بالشين – بن يحي بن صولات بن ورساك بن ضرى بن زحيك بن مادغيش بن بربر ...ونقل ابن حزم عن بعضهم أن ضرى ، ابن شفعو بن تبدواد بن ثملان مادغش بن هوك بن برسق بن كداد بن مازيغ بن هراك بن هريك بن بديان ابن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل : جانا بن يحي بن ضريس بن جالوت بن هريك بن جديلات ابن جالود بن رديلات بن عضى بن بادين بن رحيك بن مادغش الأبتر بن قيس عيلان ، وحينئذ تكون من العرب العدنانية ، وقيل : جالود بن ديال بن قحطان بن فارس ، فيكونون من القحطانية ، قال في العبر : ونسابة زناتة تزعم الآن انهم من حمير ، من التبابعة ، فتكون من الفرس ، وبعضهم يقول ، إنهم من العنالقة ، وان جالوت من العمالقة ، وهذه المقالات الأخيرة صريحة في أن زناتة من صميم العرب ، وبنو زناتة أيضا – ويقال لهم زناتة ، باسم أبيهم – : بطن من لواتة ، من البتر بن البربر ، وهم : بنو وناتة بن زبيد بن لواتة الأصغر بن لواتة الأكبر ، ولواتة ، يأتي ذكره في حرف الميم ، وقد ذكر الحمداني أن زناتة هذا ، هو أخو مزانة ، الآتي ذكره في حرف الميم ، و قد ذكر الحمداني أن زناتة من ولد بر بن قيدار بن إسماعيل ، و هذه المقالة صريحة في انتساب زناتة في العرب ، ثم أكثر زناتة ببلاد المغرب ، و بعضهم بالحيرة من الديار المصرية قال في مسالك الأبصار : مساكنهم فيما بين الإسكندرية و العقبة الكبير ببرقة ، أنظر: أبي العباس أحمد القلقشندي (756-861هـ /1345- 1445م) ، المصدر السابق ، ص 273 - 274.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 146 .

[3] جورج مارسيه ، المرجع السابق، ص 146 - 147 .

مباشرة فافريقية هي التي كانت تقوم بدور المعلم رغم الخصوصيات السياسية ، و القليل الذي نعرفه عن الحضارة المغربية في القرن (3هـ/9م) و (4هـ/10م) يفرض علينا هذا الاعتقاد ، فالنقود الادريسية لها الطابع الأغلبي بدلا من الطابع الأموي و تتميز أقدم مساجد فاس بالمآذن التي تعلوها القباب مثل التي نجدها في القيروان و سوسة ، وفي نهاية القرن (4هـ/10م) نجد زخرفة المنبر المحفوظ في مسجد حي الأندلسيين من الطراز المشرقي المنقول بواسطة افريقية ، لذلك رغم الثورة التي شكلها الدخول في الإسلام فولاية افريقية [1] وكان الادارسة أنفسهم يذكرون هذه الحركة المباركة بتأييدهم ، إذ لهم الفضل في نشر اللغة العربية في البلاد وإحلالها محل لغة البربر [2] أدت مرة أخرى دورها في تاريخ الحضارة ، فهي التي قدمت لبلاد البربر التي أصبحت مسلمة عناصر حضارتها [3].

ثانيا : الجيش العربي و نشر اللغة العربية

مرّت على المغرب فترة من الزمن طويلة بعد دخول العرب إليه وهو في حال سيّئة من الوجهة السياسيّة و العلميّة والأدبيّة ، وذلك لتعدّد الفتن ، ولأنّ المغرب كان على جانب عظيم من الانحطاط و الجهل [4] ظل الوضع السابق سائدا طوال القرن الأول من الهجرة ، و شطرا كبيرا من القرن الثاني ، ثم بدت ملامح التغيير بعد ضعف اللسان العربي لدى الأجيال الناشئة ، و بعد أن اعتنق الإسلام أعداد ضخمة من غير العرب ، ليس بوسعهم أن يفهموا لغة القران ، و أن يفقهوا معاني آياته على وجهها الصحيح ، و بعد أن وفدت على المجتمع الإسلامي تيارات فكرية أجنبية ، في وقت كان يموج فيه بأفكار أخرى من داخله ، بتأثير احتدام الخلاف و الجدل بين الفرق الإسلامية المختلفة و كان من أهم هذه الأفكار الإعجاز ، و هكذا تعددت مناحي التفكير ، وتفتحت جوانب جديدة لم تطرق من قبل ، و حظي القران الكريم بقسط وافر منها [5] تكونت إمبراطوريات بربرية بحتة أسسها زعماء وطنيون من البربر على حساب البونيقيين و الرومان في الآن الواحد ، واعتنى هؤلاء الملوك بتصنيف الأنساب البربر و تدوين تواريخهم واثبات مفاخرهم ، وكتبوا هذه التصانيف باللغة البونيقية التي كانت لغة العلم يومئذ ، وصنفوا بعضها باللغة اللوبية التي هي البربرية

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 149 .

(2) حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، (د ط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د س ط) ، ص 70.

(3) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 149.

(4) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 994.

(5) شفيع السيد ، البحث البلاغي عند العرب تأصيل و تقييم ، (د ط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (1408هـ/ 1987م) ، ص 15 .

القديمة المعروفة لذلك العهد [1] كان ابن خلدون يحذق شيئا من البربرية ، ولاسيما البربرية الهنتاتية التي كان لغة البلاط عند الحفصيين ، و قد لاقى مختلف للهجات البربرية في رحلاته المتعاقبة خلال بلاد البربر والأندلس وكان يعرف شيئا قليلا من الاسبانية و خصوصا اللهجة البلنسية التي كانت أيضا لغة البلاط الحفصي ، إلا أن معرفته البربرية ليست بالمقدار الذي يسمح له بالاطلاع على كتب البربر في لغتها الأصلية ومعرفته شيئا من الأعجمية الأندلسية مما سمح له بالاطلاع على الكتب التي ألفت في اللاتينية عن البربر وإنما اتصل ابن خلدون بهذه الكتب عن طريق الترجمة ، فمصادره ثلاثة عربية و لاتينية و بربرية ..ألف العرب في نسب البربر منذ أول عهدهم بالتصنيف التاريخي أي في القرن الثاني للهجرة و أقدم من قام بذلك على ما يظهر النسابة ابن الكلبي ثم تعاقبوا بعد ذلك إلى عصر ابن خلدون وأهم النسابين : ابن الكلبي : هو هشام بن محمد بن ابن نصر بن السائب الكلبي النسابة المؤرخ توفي سنة (206هـ/ 822 م) وله كتاب الأنساب و بيوتات اليمن وقد اعتمده ابن خلدون عبد الله ابن قتيبة (213- 276هـ/ 828- 889م) كاتب عربي شهير له كتاب الإمامة و السياسة و كتاب المعارف و فيهما كثير من أخبار افريقية و المغرب وهو من أقدم من طرق موضوع البربر من مؤرخي العرب [2] و في عهد ابن قتيبة بلغت الحركة العلمية شأوها ، وانتهت إلى غايتها في أجمل صورة ، فالاتصال الخصب المثمر مع الثقافات الأمم غير الإسلامية ، وحركة التعريب الواسعة في الطب و الحساب و الهندسة و الفلك و الفلسفة [3] أبو جرير الطبري (224- 310هـ /839-922م) المؤرخ و المفسر له كتاب أخبار الرسل والملوك و قد تحدث فيه عن البربر و اعتمده ابن خلدون في تاريخه .

أبو الحسن المسعودي المتوفي سنة (345هـ / 967م) له كتاب مروج الذهب وهو من أقدم من كتب عن البربر اعتمده ابن الصغير في كتابه سيرة الملوك الرستميين و الشماخي في طبقاته من علماء البربر أبو يوسف الوراق : مؤرخ و جغرافي تونسي ألف أطول كتاب في تاريخ المغرب و جغرافيته ، فهو كان يعيش في القرن الرابع الهجري و قد اعتمده ابن حزم ثم ابن خلدون علي ابن حزم (384-456 هـ/ 994-1064م) له كتاب جمهرة الأنساب و في آخره انساب البربر و قد اعتمده ابن خلدون إلى جانب إبراهيم الرقيق القيرواني توفي سنة (483هـ / 1090م) أول من خص البربر بكتاب في أنسابهم له كتاب انساب البربر و كتاب أخبار القيروان وافريقية ، وقد اعتمده ابن خلدون كثيرا واعتمده الشماخي أيضا [4]

---

[1] عثمان كعاك ، المرجع السابق ، ص 42.

[2] عثمان كعاك ، المرجع السابق ، ص 42.

[3] ابن قتيبة (213- 276هـ/ 828- 889م) ، عيون الأخبار ، تحقيق : منذر محمد سعيد أبو شعر، ج1 ، ط ، المكتب الإسلامي ، (1429هـ/2008م) ، ص 15- 16.

[4] عثمان كعاك ، المرجع السابق ، ص 42 – 43 .

ففي مجال الترجمة عرف حنين بن إسحاق المتوفي سنة (264هـ / 878م) وكان طبيبا نسطوريا من جنديسابور بخوزستان ، وقد أجاد اليونانية و السريانية و الفارسية [1] تركت السيطرة الأجنبية بصماتها في حياة " البربر " ، و علاقاتهم " بالبيزنطيين" ، ولعل هذا ما يفسر مدى مقاومة " المغاربة " " للمسلمين " وجهلهم للمرامي السامية لرسالة الإسلام [2]

ثالثا : الدواوين و استعمال اللغة العربية

تثير إسلامية البربر موضوعا تاريخيا لا نأمل في حله و لكن من المهم ذكر معطياته ، كانت بلاد المغرب أرض من الأراضي المختارة للمسيحية ، فقد دخل الدين المسيحي وانتشر بالمدن الداخلية عن طريق قرطاج و المدن الساحلية ، و قد قال المسيحي الإفريقي ترتوليانوس (Terullien) في نهاية القرن الثاني " نحن نمثل الأغلبية في كل مدينة " وكانت الكنيسة الإفريقية تشمل عدد كبير من الشهداء و مع الاضطهاد كانت تفتخر بالقديس (cyprien) و في عظمتها كانت تفتخر بأن صوت القديس أوغسطين (ougustinn) يرن في أذن المسيحية عامة ، وعلى كل فالدين المسيحي لم يجند مناصريه من المدن فقط مثل (djemila) أو تبسة ، حيث الأحياء المسيحية المأهولة بالسكان تحيط بالكنائس الكبيرة ذات الطراز المعماري الموحد ، و العدد المؤهل للكنائس المتواضعة التي نجد أطلالها مبعثرة في ريف الزائر يوضح انتشار الإنجيل عند فلاحي البربر و حماس الناس البسطاء في القرى و الكفور له [3] انتشر الإسلام بين البربر بعد أن توطدت العلاقات بينهم و بين العرب و أرسلت الخلافة فقهاء و علماء ساهموا مساهمة كبيرة في نشر الإسلام ، وكانت الديانات الرئسية في بلاد المغرب ثلاثة ، المسيحية على الساحل و اليهودية بين البربر البتر ، و الوثنية و المسيحية بين البربر البرانس [4] لا يمكن إنكار الدور البارز الذي لعبته افريقية في تاريخ الكنيسة و لا يمكن إنكار أن مدن و قرى كثيرة بربرية كانت مرتبطة بالعقيدة المسيحية ، و مع ذلك يبدو أنه كانت هناك مناطق لم يدخلها التبشير ، فقصيدة (La Johannide) للشاعر (Corippus) توحي لنا أنه في منتصف القرن السادس الميلادي كانت لا تزال هناك قبائل بربرية و ثنية أو ارتدت إلى وثنية ، و يذكر ابن خلدون أن صنهاجة سوس (لم يدينوا بالنصرانية) نحن نعتقد أن هؤلاء الرحل احتفظوا بالمعتقدات الحياتية المماثلة

---

(1) ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 16.

(2) عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص 10.

(3) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 40 .

(4) عصام الجين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 28 .

لمعتقدات الزنوج [1] فالمجال المسيحي مهما كان اتساعه لم يكن يغطي بلاد البربر بأكمله [2] و قد أشرنا إلى إقبال البربر على الإسلام [3] فالقبائل البربرية التي لن تمن لا مسيحية و لا يهودية لم يكن لها الحق في أية مراعاة ، وقد رأينا المداهمات الضخمة للغزوات الأولى في الريف الأعزل وما حققته من مكافآت ، إذن الوسيلة الوحيدة للوقاية من النهب و الاستعباد هي اعتناق الجماعات البربرية الإسلام و إن عادوا لممارسات أجدادهم بمجرد اختفاء الفرسان العرب وان عادوا مرة ثانية فما على هذه الجماعات إلا اعتناق الإسلام مرة أخرى ليأمنوا من متطلباتهم ، هناك نص يوضح لنا أن بعض القبائل ارتدت أكثر من اثني عشر مرة ، لذلك قام سيدي عقبة بتأسيس مدينة القيروان خصيصا لتجنب هذا الارتداد الدوري فكانت القيروان مأوى مرحلي ومعسكر دائم وكان لها في خيال مؤسسها دور ديني أكثر منه حربي ، و لكنها ليست بعد المركز الكبير للدراسات الإسلامية الذي ستكون عليه مستقبلا ، فقد كانت في هذا الوقت نقطة انطلاق ، لناشري الإسلام و فيها ترك عقبة بعض زملائه لتعليم البربر [4] مبادئ العقيدة و العبادة ، و بعد عشرين عاما و سع موسى بن نصير هذا العمل إلى الأقصى ويبدو أن موسى عمل بمهارة على الغزو الروحاني للوطنين — فالأسرى بالنسبة له ليست غنائم بل رهائن وهؤلاء الرهائن بتضامنهم مع المنتصرين سيؤلفون أعظم القوات لغزو اسبانيا ، وقد قام موسى بتحويل الكنائس إلى مساجد وقام ببناء مساجد جديدة كما فعل في أغمات حيث ترك سبعة عشر عربي متفقه لتعليم قبائل مصمودة الأطلس القران ومبادئ الإسلام ، ولكن لن تتابع بانتظام إسلامية شمال افريقية إلا في عهد عمر بن عبد العزيز ، فقد حصل في عهده القصير (99-101هـ / 717 – 720م) على مكانة بين رعيته لم يطمح إليها فرد من أفراد أسرته " فقد هدف إلى توسيع الدخول الإسلام " باختيار حاكما لافريقية و هو إسماعيل بن عبد الله علاوة على عشرة من العلماء الأتقياء اختارهم من بين خلفاء أتباع الرسول (ص) فتفرغوا تماما للعمل الحميد داعين للإسلام الذين لم يعتنقوه بعد و مصححين للممارسات الخاطئة للذين اعتنقوه ، وأبو العرب يعطينا أسمائهم ويضيف أنهم عرفوا البربر تحريم الخمر الذي كان مسموح به حتى الآن لم يبق الحاكم إسماعيل إلا عامين إلا أن مجهوده بقي من بعده ، فصاحبت الديانة الإسلامية دعاية لم يكن الخليفة الورع يتوقعها أو يأملها [5]

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 41 .

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 41 .

[3] جودت عبد الكريم يوسف ، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، (د ط) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م ، ص 123.

[4] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 45 .

[5] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 45 .

اعتناق الكثير للإسلام ولكن في هذه المرة أيضا لم يحدث أي استقرار للمنتصرين العرب [1] فكثرة الأسقفيات التي كانت تفخر بها أفريقية في القرن الرابع فتت السلطة وأضربت بمكانتها وبالحفاظ على النظام [2] هذا التطور الذي ضم بالفعل شمال إفريقيا للمجال الإسلامي غير نظرة المشرق له .. فالمغرب – بلاد البربر و اسبانيا – التي كانت أرض استشهاد و أرض غنيمة فيما مضى أضحت بفضل انضمامها للإسلام و بعدها عن المشرق ارض غنيمة بالآمال و مأوى للطوائف التي هزت المشرق ، وسف نحلل هذا الدور الذي سوف تقوم به بلاد البربر [3] إن الأمثال المهيمنة عن البربر و الأحاديث المزيفة التي استعرناها من مؤرخي العلماء القيراونيين نجد عكسها في تأريخ أبي زكريا و نقرأ له إن الرسول سأل الروح الأمين جبريل عن الدور المخصص للبربر فرد عليه جبريل " قوم يحيون دين الله بعد أن يموت و يجددونه بعد أن يبلى ، هناك أحاديث قوية تتكلم عن عقيدتهم القوية " فان الله سيفتح للإسلام بابا من المغرب بقوم يعز الله بهم الإسلام و يذل بهم الكفر " [4] من المسلم به إن الغزو الذي وسع من حدود المجال الإسلامي ووسع أيضا نفوذ الحكام المشرقيين ، جدد بعمق حياة المغرب نفسه ، ومن المفيد الآن ذكر ما يمثله المشرق بالنسبة للمغرب وما أخذه المغرب من المشرق و سندرس بإيجاز هذه الأحداث الثلاث المرتبطة و هي : الخضوع الإجباري للبربر ، اعتناق الإسلام و التعريب [5] و أوضح أسباب انتشار الإسلام من أول الفتح بين الأمة البربرية ، وذكر من هذه الأسباب التي أوجبت إقبال البربر على هذا الدين زرافات ووحدانا ، ونبذهم ما عداه ، ما لا يقدر العدو الألدّ و الخصم الأعند أن يكابر فيه أو يتعامى عنه ، وذكر الخلفاء الذين في أيامهم ازداد انتشار الإسلام بين البربر مثل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، الذي أرسل إليهم طائفة من الفقهاء يعلمونهم القران و أصول الدين..وروى المؤرخون انه لما كثر إسلام القبط في مصر و ارتفعت الجزية عمن اسلم منهم ...إذن كان جديرا بهذا الخليفة الورع أن يهتمّ بالاستقصاء في إسلام البربر ، والإمعان في تأديبهم بآداب القران حتى غرس فيهم هذه النّجابة المعروفة ، وأوقد في قلوبهم هذه الحميّة الإسلامية التي لم تفارقهم من ذلك اليوم ، وذكر مآثر موسى بن نصير رحمه الله في هذا الباب حتى لم يمض إلا قليل فظهر الطابع العربي على البربر

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 35.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 41 .

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 29.

[4] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 121 .

[5] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 30.

، ونبغ فيهم العلماء و الخطباء بالعربية الفصحى ، وحسبك شاهدا طارق بن زياد الذي خطب قبل الموقعة التي هزم فيها لذريق ملك الأندلس [1]

رابعا : المساجد و التعليم و الحياة الدينية

اعتنق سكان المغرب الإسلام ، وقد دعاهم ذلك إلى تعلّم لغة القران ، ولما كان عهد حسّان بن النّعمان الغسّانيّ ، والي افريقية من قبل عبد الملك بن مروان أصبحت اللغة العربية لغة البلاد الرسميّة ، زد على أنّ عمر بن عبد العزيز أنفذ إلى افريقية عشرة فقهاء يعلمون الناس القران و الدّين ، وكذلك انتدب موسى ابن نصير عددا يذكر من الفقهاء و القرّاء للغرض نفسه ، وهكذا انتشرت اللغة العربية انتشارا واسعا فيما بين شعوب البربر حتى انّ طارق بن زياد استطاع أن يلقي فيها ، عند فتح الأندلس ، خطابا بليغ الكلام ، متين التركيب ، وهكذا تقلّص ظل اللغة البربريّة شيئا فشيئا وكانت السّيادة للعربيّة [2] و فيما يتعلق باللغة البربرية ، فكانت لغة الحديث في المناطق الخلفية التي تمتد من وادي النيل و برقة حتى لأقصى المغرب ، من جهة والى ساحل النيجر (السودان) من جهة أخرى ، فان اللغة العربية في هذه المنطقة إنما توغلت أولا و قبل كل شيء في المدن ، وهذه اللغة التي هي لغة الدين و الحضارة المدنية ستتقدم بخطي بطيئة في الجبال و الهضاب البربرية ، وبالتالي ، فان اللغة العربية إنما تغطي المناطق التي كانت تابعة لقرطجنة والفيلسوف البربري ، سانت أجستين بل وبروكوب (procope) أيضا في القرن الرابع الميلادي ، يخبرنا بأن اللغة الفينيقية كانت لا تزال شائعة في المناطق المجاورة للمراكز التي كانت تابعة لقرطجنة ثم وقعت تحت سيطرة الرومان ، و هذا قد يكون من العوامل التي تفسر لنا سرعة انتشار اللغة العربية [3] في المدن الرومانية في افريقية الشمالية : هذا ، على الأقل ، هو الفرض الذي اقترحه جزيل (s.Gsell) و مهما يكن من شيء ، فان التغيير السريع الذي وقع من اللاتينية إلى العربية ، يمكن تعليله بحاجة المراكز المدنية إلى الاعتماد على لغة حقيقية للكتابة ، وهي لغة الإدارة و التبادل التجاري التي لا يمكن مقارنتها باللغة البربرية غير المكتوبة ، ومن جهة أخرى ، فقد لوحظ توغل اللغة العربية في جبال بلاد القبائل الصغرى (بلاد كتامة) في غضون الفترة التي تمتد بين القرن التاسع و القرن الحادي عشر الميلادي ، ذلك التوغل الذي لا بد من ربطه بحركة الفاطميين و نشاطهم في تلك المنطقة ، وكذلك أدى غزو بني هلال في القرن الحادي عشر للمغرب إلى انتشار اللغة العربية في

[1] عبد الله كنّون ، النّبوغ المغربي في الأدب العربي ، ج1 ، ط2 ، طنجة ، 1960م ، ص 22 .
[2] يوحنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 994.
[3] يوحنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 994.

افريقية ، ثم في الهضاب العليا المرتفعة في الجزائر ، في غضون الفترة التي تمتد بين القرن الرابع عشر و القرن الخامس عشر [1]

طلب عمر بن عبد العزيز من واليه الجديد أن يبذل كل جهده في سبيل نشر الإسلام بين البربر ، وقد وصف الدباغ هذا الوالي بأنه " كان فقيها ، صالحا ، فاضلا ، زاهدا " وكان عمر بن عبد العزيز قد أرسل إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ومعه عشرة من التابعين ، وهؤلاء التابعون هم : أبو عبد الرحمان بن يزيد المعافري الإفريقي ، و أبو مسعود سعيد بن مسعود التجيبي و إسماعيل بن عبيد الأنصاري ، و أبو الجهم عبد الرحمان بن رافع التنوخي و أبو سعيد حعثل بن هاعان بن عمير الرعيني و إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي ، وحيان بن أبي جبلة القرشي ، وعبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني ، و موهب بن حبى المعافري و طلق بن جابان الفارسي .

بدأ هؤلاء التابعون في تعليم البربر و أولادهم أصول و قواعد و تعاليم الدين الجديد ، و يبدو أن أهل افريقية أقبلوا على الإسلام بنفس راضية لما وجدوا فيه من سماحة و مساواة و عدالة ، وتركوا ما يخالف عقيدة الإسلام ، وقال لبن عذارى " وكانت الخمر بافريقية حلال حتى وصل هؤلاء التابعين كانوا يقيمون في القيروان و لذلك كثر بناء المساجد التي كانوا يعلمون فيها الناس قواعد الإسلام ، وكان البربر يفدون على هذه المساجد فيستمعون الى الدروس التي كانت تلّقى فيها ، و على أيدي هؤلاء التابعين بنيت عدة مساجد نذكر منها مسجد الرباطي الذي بناه أبوا عبد الرحمان الحبلى عبد الله بن يزيد المعافري الإفريقي ، وجامع الزيتونة الذي بناه إسماعيل بن عبيد الله الذي اشتهر بلقب تاجر الله [2] ويعتقد الكثير من الكتاب المعاصرين إن الفتح الحقيقي للمغرب ، تم في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز " على يد البعثة التي أرسلها برئاسة إسماعيل بن أبي المهاجر الذي كان عهد و لايته خيرا و بركة بكل ما تحمله الكلمة من معان " بحيث اهتم بدعاء البربر إلى الإسلام و استجاب البربر جميعا لدعوته فلم يبق يومئذ في ولايته من البربر احد إلا اسلم " و يرجع الفضل فيما تحقق في هذا الميدان إلى الخليفة نفسه إذ ينسب إليه الكتاب أنه بعث إلى المغرب عشرة فقهاء التابعين من أهل العلم و الفضل ..وبفضل جهود هؤلاء التابعين تعلم المغاربة أصول الإسلام فقرءوا القران و عرفوا اللغة العربية وقبل خلافة عمر بن عبد العزيز " لم يكن أهل افريقية يعرفون الحلال و الحرام وكانت الخمر بافريقية حلالا حتى وصل التابعون فبينوا تحريمها ، إلا أن هذه السياسة الرشيدة التي استخدمها عمر بن عبد العزيز في المغرب لن تعرف الاستمرارية " بحث ضرب بها عرض الحائط

[1] موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 145.

[2] الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 22 - 23 .

بعد موت عمر وعادت الخلافة الأموية إلى سيرتها الأولى [1] الشيء الملفت للنظر في تلك الفترة أن العرب لما نزلوا افريقية كانوا شديدي الاهتمام و الحرص على أن يتخذوا لأبنائهم الكتاتيب الصغيرة الملحقة بالمساجد ليدرسوا فيها القران و الحديث و الدين و اللغة العربية [2]

ويقول الأستاذ الكبير حسن حسني عبد الوهاب في تعليقه على هذه الظاهرة : " أنهم عندما أناحوا بمعسكرهم و خطوا قيروانهم ، أنشأوا الدور و المساجد ، ثم التفوا إلى تعليم صبيانهم ، فاتخذوا لهم محلا – كتّابا – بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة كتاب الله العزيز [3] و بفضل هؤلاء التابعين وضعت أول بزور العلم و الفقه الإسلامي حيث تتلمذ على أيديهم الطبقة الأولى من علماء افريقية أمثال أبي كريب المعافري و عبد الله بن عبد الحكم البلوي و أبي خالد عبد الرحمان بن زياد بن أنعم المعافري و أبي محمد خالد بن عمران التجيبي و سعيد بن لبيد المعافري و أبي زكريا يحي بن سلام و غيرهم ، وكان هؤلاء المتعلمون من أهل افريقية يقضون بعض الوقت للدراسة في القيروان ثم يعودون إلى قبائلهم و نواحيهم فيتقلدون وظائف القضاء و الدين و يعلمون الناس أصول و مبادئ الإسلام [4]

لما خشي أهل العربية من ضياعها ، بعد أن اختلطوا بالأعاجم ، دوّنوها في المعاجم (القواميس) و أصّلوا لها أصولا تحفظها من الخطأ ، وتسمى هذه الأصول " العلوم العربية " [5] و اللغة العربية هي الكلمات التي يعبر بها العرب عن أغراضهم ، وقد وصلت إلينا من طريق النقل ، وحفظها لنا القران الكريم و الأحاديث الشريفة ، وما رواه الثّقات من منثور العرب ومنظومهم [6]

لهذه المزايا قرر ابن فارس أن ترجمة القران أمر جد عسير إذ لا يمكن أن تحمل ألفاظ اللغات الأخرى المعاني التي تتضمنها التعبيرات القرآنية ذات المعاني الجامعة ، فيقرر أنه لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقل القران إلى شيء من الألسنة كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية و الرومية و ترجمت التوراة و الزبور وسائر كتب الله – عز وجل – بالعربية لان العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب ، و " لا وجه لمن يجيز قراءة القران في صلاته بالفارسية ، لان الفارسية ترجمة غير معجزة ، إنما أمر الله – جل ثناؤه – بقراءة القران العربي المعجز " و هذه شهادة من أحمد بن فارس الذي لم يكن شعوبيا في دعوته بل جهر

---

[1] أحمد الزاهد ، الغزو العربي لشمال إفريقيا بين نبالة النص و دناءة الممارسة ، (د ط) ، تامغناست ، (د س ط), ص 40- 41 .

[2] الرقيق القيرواني ، المصدر نفسه ، ص 24 .

[3] الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 25 .

[4] الرقيق القيرواني ، المصدر نفسه ، ص 20 .

[5] مصطفى الغلاييني ، جامع الدّروس العربيّة ، ج1 ، ط 28 ، دار النموذجية ، المطبعة العصرية ، صيدا - بيروت ، (1414هـ/1993م) ، ص 7.

[6] مصطفى الغلاييني ، المرجع السابق ، ص 7.

بالحقيقة التي تقول : إن مزايا العربية تجعل ترجمة نص القران غير صحيحة لأنها تفوت كثيرا من المعاني التي لا يمكن أن يعبر عنها اللفظ غير العربي وهذا يدحض فرية الدكتور لويس في نقله إجازة ترجمة القران فهو بهذا يفتح مجالا فاسدا من مجالات دعاواه الباطلة [1]

إن الباحث في أصول اللغة العربية ، يعوزه العثور على الأطوار الأولى لنشأتها ، و المراحل التي مرت بها حتى اكتملت أسسها ، وتلاحمت مبانيها مع دلالاتها التي نجدها في هذا التراث الشعري المنسوب إلى العصر الجاهلي المتكامل في لغته و أوزانه و معانيه و أغراضه المتنوعة : من مدح و هجاء ، ونسيب و رثاء ، وشجاعة و افتخار ، ووصف للطبيعة و الآثار ، ومع هذا قيل :" ما انتهى إليكم مما قالت العرب الاّ أقلّة ، و لو جاءكم وافرا لجاءكم علم و شعر كثير " و ذلك لأن العرب قبل نزول القران كانوا يعتمدون الحفظ حكما لهم ، فلم يتركوا لنا مدونا معلوما ، لا يرتقي الشّك و الرّيب إليه ، لكن الذي ثبت لدى المتعاملين مع تاريخ آداب العربية أن هؤلاء العرب يملكون سليقة خطيرة بلغت مبلغا عظيما ، وجبلّة ترسّخت فيهم ، و تمكنت في نفوسهم بدليل ان القران لما تحدّاهم أن يأتوا بمثله أو سورة منه ، تلقوه بألسنة حداد ، سجل هذا القران[2] **قال تعالى :" فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين و تنذر به قوما لدّا**"[3] و لو لم يكن بالإمكان أن يأتوا بمثله ما تحداهم ، ولكنهم عجزوا و اعترفوا ببيانه وانه فوق طاقة البشر ، رغم أنّهم يملكون من الزاد الفكري و اللغوي ما يؤهلهم للتصدي له ، فهذا ابن جني يعزو للعرب كل فضيلة ، و أنهم كانوا في منتهى النضج و الإدراك ، و إنما دخل الشك في معارفهم " لأنهم ليست لهم أصول يراجعها ولا قوانين يعتصمون بها و إنما تهجم بهم طباع على ما ينطقون به "[4] "[4]

من الغريب أننا لا نعرف شيئا عن الطرق التي ادخل بها الجمل في شمالي غرب افريقية و الصحراء ، ويظهر الجمل في المؤلفات لأول مرة في كتاب " الإفريقي الجميل (D e bell Africa ne) لقيصر عام 46 ق.م إذ أن 22 جملا كانت ضمن الغنيمة التي غنمت من الملك جوبا ، بيد أن جوبا كان رجلا واسع المعرفة في علوم جمة ، وخاصة الجغرافيا وكان جامعا للمعلومات .. ويبدو انه استورد هذا الأنعام ليختبر مدى الانتفاع بها في شمال افريقية ، و لعل برقة هي الإقليم الوحيد الذي ربي فيه الجمل بأعداد كبيرة في هذا العهد ، فهو يظهر على عملات سكّها لوليوس و هو قائد من قواد برقة في عهد

(1) عبد الغفار حامد هلال ، المرجع السابق ، ص 98- 99 .
(2) سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 14 .
(3) سورة مريم ، الآية : 97.
(4) سالم علوي ، المرجع نفسه ، ص 14- 15 .

بومبي ، ونجد بعد ذلك ثغرة ، ففي جبانة هدرومتوم سوسة ، بلاد تونس " ، عثر على تمثال صغير لراكب الجمل ونقش بارز يصور ميدان سباق بين العجلات حربية تجرها جمال ، وهذا التمثال وذلك النقش من القرن الثاني أو ربما من القرن الثالث ، ومهما يكن من أمر فان الإشارة الثانية للجمل في الكتب ترجع إلى عام 363م وهي تقول أن الحاكم الروماني لولاية افريقية يطلب أربعة آلاف جمل من الجمال التي تستخدم في النقل من سكان لبتيس ماجنا على خليج سرت و هناك خبر من لسينيوس يرجع تاريخه إلى عام 400م تقريبا يقول ان قطعانا من الجمال في شمالي افريقية وبخاصة في المناطق الواقعة حول خليج سرت ، وقد استخلص معظم الكتاب وبخاصة قوتييه و جزيل (s.Gsell) وغيرهما من هذه المصادر الشحيحة نوعا ما أن الجمل ادخل أخيرا في شمالي افريقية عبر المتوسط ، على أننا إذ تأملنا وضع البلميس في صعيد مصر في القرن الثالث الميلادي نجد أن سلسلة الواحات غربي مصر كانت أيضا فيما يبدو طريقا محتملا لدخول الجمل..وربما يسّر لنا البحث اللغوي و أعمال التنقيب في المستقبل ما يعيننا على حل هذه المسائل .. و هناك تسمية شائعة للجمل في لغة البربر و تشمل لغة الطوارق ، وهي ألغم أو ألم ، وليس من شك في أن الاسم قومي بلغة الهوسا و الاسم ركوم بلغة النوبة مشتقان من ألغم ، و ليست كل الأسماء ، فيما يبدو ، مشتقة من أسماء عربية ، وان كانت أخرى تدل على وجود مثل هذا الاشتقاق [1] يمكن القول بأن المفهوم الميتافيزيقي الذي يرجع ظاهرة " البركة" إلى قوى علوية أو المفهوم الاجتماعي – الوظيفي الذي يعتبرها قوة لها وظيفة اجتماعية في تحديد الصلة القائمة بين الإنسان والطبيعة ..فالرجال الصالحون و الأولياء و الأنبياء هم وحدهم الذين وهبهم الله "البركة "[2] ومما تجدر الإشارة إليه أن "البركة " التي كان يتمتع بها الملوك من التقاليد المألوفة عند البربر في شمال إفريقيا سواء كان في موريتانيا أو في نوميديا – التي تمنحها الآلهة إلى حكامهم المحليين ، كما توجد عدد من الناس الذين عرفوا بالبركة و لم تكن أنسابهم متصلة بالأشراف فقد يمنحها لهم أولياء قدامى ، إذ توجد طرق متعددة للحصول على البركة ..ليس الإرث و الانتقال هما الوسيلتان الوحيدتان اللتان نستطيع بهما الحصول على البركة ، إذ نجد على طول الساحل المغربي أضرحة وقبور عدد كبير من المجاهدين الأبطال الذين ضحوا بأنفسهم في نشر كلمة الله و إعلاء شأن الإسلام ، والذين ارتفعوا إلى مصاف الأولياء الذين استشهدوا مدافعين عن بيضة الإسلام [3]

مع ذلك فان العرب لم يضعوا أي سياسة لنشر العربية ، بل كان القران الكريم هو دافع الناس الأكبر إلى تعلمها ، ثم تكفلت اللغة العربية ببقية التحويل اللغوي بفضل ما امتازت به من فضائل داخلة في صلبها و

[1] مونكومري وات ، البدو ، ترجمة : عبد الحميد يونس وآخرون ، ط ، دائرة المعارف الإسلامية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1981 م ، ص 113- 114 - 115 .

[2] عبد الجليل الطاهر ، المجتمع الليبي دراسات اجتماعية و أنتروبولوجية ، (د ط) ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، 1969م ، ص 147.

[3] عبد الجليل الطاهر ، المرجع السابق ، ص 148- 149 .

تركيبها وقد ذكرناها ، أي أن الغزو الثقافي هنا كان في الحقيقة عملية انتشار ثقافي : ديني ممثل في الإسلام و القران ، و لغوي فكري متمثل في انتشار اللغة العربية و كتابتها و آدابها شعرا ونثرا [1] و مع كل ذلك فان اللغة العربية لم تستطع أن تنتصر على اللغة التركية رغم إسلام الأتراك و حماستهم الشديدة له ، وكل ما عمله الأتراك انتحلوا الخط العربي بحيث لا تجد تركيا على شيء من التعليم لا يستطيع أن يفهم لغة القران في سهولة وهنا لابد أن نأتي إلى تلك النتيجة ، وهي أن انتشار الإسلام قد أدى إلى انتشار اللغة العربية ، ولكنه لم يؤد بالضرورة إلى التعريب [2] و قد كان القران الكريم عاملا دينيا دعا إلى الحفاظ على اللغة العربية و أصواتها بطابعها القديم [3] فقد قامت الدعوة له على أساس القران ، والقران مكتوب بلسان عربي مبين ، فانتشر الإسلام وانتشرت اللغة العربية معه ، والإسلام عقيدة شاملة جامعة لأمور الدين والدنيا [4].

يرى فريق ممن كتبوا في قضية التعريب أنه ساعد على تعريب البلاد المفتوحة أن العرب الذين نزحوا إلى الأرض الجديدة استقر معظمهم فيها ، ولم يستمروا طويلا في حالة عزلة ، وإنما اخذوا يندمجون تدريجيا مع الأهالي الأصليين [5] اتفق معظم الذين كتبوا في قضية التعريب أن اللغة العربية كانت هي لغة الغالبين الفاتحين ، سادة البلاد وحكامها الجدد ، فالمفروض أن ثمة علاقات متبادلة بين الحاكم و المحكوم تتطلب قدرا من التفاهم المشترك الذي لا يتحقق إلا داخل إطار لغة متفق عليها بين الطرفين ، ولما كان الحكام الجدد لا يعرفون لغة إلا العربية ، فل يبق أمام الشعوب التي خضعت لهم سوى تعلم العربية ، هذا فضلا عما يقال من أن ثمة عقدة نفسية عند البشر تجعل الضعيف شغوفا بمحاكاة القوى و المغلوب مولعا دائما أبدا بتقليد الغالب [6] لكن هذا القول مردود عليه بأن ثمة أمثلة عديدة في التاريخ – قبل حركة الفتوح الإسلامية و بعدها – تثبت أن تحول الشعوب بأكملها إلى لغة الحكام الفاتحين ، ونبذها إلى لغة الآباء ، والأجداد ليست القاعدة الغالبة في التاريخ [7] فالذي نؤمن به أن التطور ، قد عمل عمله ، في اللغة العربية العربية حتى تهذبت ، واكتمل نموها ، في لغة عامة ، نزل بها القران الكريم [8]من الفتح الإسلامي دخلت المغرب فاستوطنته عناصر عربية ، سكنت هنا و هناك حسب اعتبارات مادية و أخرى معنوية فاعلة متفاعلة مع العناصر الأخرى التي جاورتها في نفس الإطار ، إلا أن الهجرة الكبرى حسب مصادر التاريخ ،

---

(1) حسين مؤنس ، الحضارة دراسة في أصول و عوامل قيامها و تطورها ، ط2 ، الكويت ، 1978م ، ص 55.

(2) محمد عادل عبد العزيز ، التفسير العلمي لحركة الفتوح الإسلامية والتعريب ، (د ط) ، دار غريب ، القاهرة ، 2006م ، ص 151.

(3) عبد الغفار حامد هلال ، المرجع السابق ، ص 152 .

(4) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 53.

(5) محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 151.

(6) محمد عادل عبد العزيز ، المرجع نفسه ، ص 159.

(7) محمد عادل عبد العزيز ، المرجع نفسه ، ص 159.

(8) عبد الغفار حامد هلال ، المرجع نفسه ، ص 206 .

كانت على يد الفاطميين يوم غادروا المغرب إلى الشرق تاركين وراءهم خلفائهم الذين ما لبثوا إن انفصلوا عنهم وشقوا عصا الطاعة معلنين استقلالهم و قيام دويلات .. وكرد فعل ضد هؤلاء العصاة المغاربة بعث الفاطميون إلى افريقية قبائل "لا تحصى عددها " من بني هلال ثم من بني سليم احتلت المغرب احتلالا وانتشرت في مختلف نواحيه "كالجراد المنتشر " عابثة بأنظمته ، و عاثية فسادا في أراضيه و مدنه و قراه ، هؤلاء العرب بل هؤلاء الأعراب قوم بدو أتو المغرب و لهم لغتهم الخاصة و عاداتهم و تقاليدهم المرعية و سلوك في حياتهم يختلف عن سلوك الآخرين ، إلا يحتاج اندماجهم في البيئة الجديدة إلى عملية تكييف نفسية و اجتماعية قد تكون صعبة كما قد تطول أو تقصر حسب الظروف و الملابسات [1]

إن الغزو الهلالي قد جدد كلية (تماما) ظروف الحياة في شمال إفريقيا و هو ما نحاول شرحه هنا ، و مع ذلك فقبل أن نبدأ في الرسم التخطيطي لهذا التطور المتعدد ، سنحاول معرفة من هم المحتلون الجدد ، و لتكوين فكرة عن ذلك لا نستطيع إلا اللجوء إلى المشابهات التخمينية ، يختلف عرب القرن الحادي عشر اختلافا بسيطا عن الذين يعيشون الآن في اليمن أو في نجد فهم من البدو الرعاة ، وهذا ليس إلا احتمالا ، ونأمل إيجاد عناصر عرقية محتفظة بالملامح الجسمانية الأصيلة للمهاجرين في شعب البربر الحالي ، ومن المحتمل وجود سلالات أصيلة و قليلة التخليط من بني هلال وبني سليم في الجنوب التونسي والجنوب الجزائري ، ولكن لم تكن الصفات الجسدية لأبناء شبه الجزيرة العربية موضع ملاحظة دقيقة حتى نستطيع تحديد النموذج العربي و الاستدلال عنه في قبيلة ما في الشمال الإفريقي[2]

إن دراسة اللهجات لجديرة بمدنا بمفاهيم أكثر فائدة ، نحن لا نشك في أن الغزو الهلالي قد ساعد في انتشار استخدام اللغة العربية في الريف البربري ، و كلن هذا الانتشار مستقلا و مختلفا عن الانتشار الذي كان منذ الفتح الإسلامي ، حيث المدن و الحاميات و أماكن التبادل التجاري و مراكز الثقافة الإسلامية ، هناك مجال لم يفكر فيه احد و يجب الشروع فيه إلا و هو : تحريات عن الجغرافية اللغوية التي تحدد مساحات انتشار بعض الكلمات و بعض الصيغ الفعلية المميزة ، ومقارنة لهجات البدو مع لهجات بدو شبه الجزيرة العربية ، دراسة الأشعار التي تخص الشعراء الهلاليين القدامى .. كل هذا يعطينا إرشادات قيمة ، يجب أن تمتد دراسات من نفس النوع في المجالات المختلفة لدراسة السلالات وفنية و أدوات الحياة اليومية ، كما يجب دراسة الخلاف بين أسلوب و أدوات البدو المستخدمة في بلاد البربر و التي جلبها العرب وبين مثيلاتها عند البدو البربر ، و يجب الفصل بين ما هو خاص بالمغاربة و ما هو

---

[1] محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 29 ، أيضا : راضي دغفوس، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط ، ط ، دار الغرب الإسلامي ، مطبعة الصراط ، بيروت – لبنان ، (1425هـ/ 2005 م) ، ص 31-32.

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 235.

خاص بالمشرقيين وما أضافه المشرقيون فوق ذلك [1] لقد ادخل العرب في بلاد البربر أسلوب حياة غير مألوف لديهم ، إن الانتقال الموسمي للرعاة و قطيعهم من الصحراء إلى المناطق القريبة من الساحل و الأكثر خصوبة كان مطبقا في شمال افريقية منذ القدم ، يلاحظ استرابو (Strabon) – الجغرافي اليوناني الذي عاش في القرن الأول الميلادي – عند وصفه لعادات البربر القدامى في جنوب موريتانيا ونوميديا ومقاطعة إفريقيا ، أنهم يشبهون البدو العرب ، وهناك المؤرخ اللاتيني سالوست (Salluste) الذي كان حاكما على نوميديا في النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد.

لقد ذكر الاثنان كذلك البداوة عند البربر ، كان للبدو مساكن متحركة يمكن نقلها على عربات ، ولكن ظهور و تعدد الإبل غير من ظروف حياة الرعاة و سمح لهم بالتقدم نحو الجنوب و جعل من الذهاب و الإياب الموسمي شبه ضرورة ، وتوسع استعمال الإبل في افريقية في القرن الثالث في عهد سلالة سيفير (Severes) وزاد عدد الجمال و خصوصا وحيدي الصنم في القرن الرابع ، ويقول لنا ابن حوقل أن البربر في القرن الرابع ، ويقول لنا ابن حوقل أن البربر في القرن (4هـ/10م) كانوا يمتلكون من الإبل أكثر مما يمتلكه البدو العرب ، وكانت قبائل زناتة يمتلكون منهم الكثير ، لأنهم كانوا يعيشون في الصحاري (الصحراء الكبرى) ، أما قبائل صنهاجة فلا شك في استخدامها للإبل لأنها كانت تنتقل في الصحراء ، ويكفينا ذكر جموع البدو الصحراويين (المرابطين) وهم نموذج تقليدي للبدو الجماليين الذين برزوا في التاريخ في عهد العرب الهلالية [2] كذلك قام الخليفة عبد الملك في أوائل القرن الثامن الميلادي بإبعاد قبائل بني هلال و بني سليم إلى منطقة قناة السويس (سيناء) حيث كانوا يرافقون القوافل و يعيشون حياة البدو على السلب و النهب ، وأحفاد هؤلاء القوم هم الذين سيطقلهم الفاطميون في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي لتخريب افريقية [3] نحن نفترض أن العرب المهاجرين كانوا يمتلكون مثل البربر الماشية ، وهي خراف وماعز و أيضا الخيل المستخدمة في الحروب ، و الخيام هي سكن الهلالية و البربر ، وكانت النساء هي التي تقيم في الخيام و ترفعها حسب مقتضيات الحياة البدوية ، و قد لاحظ البكري عشية الغزو الهلالي إن الخيام الواصلية و الزناتية الخوارج في منطقة تاهرت كانت تشبه خيام العرب ن مما يجعلنا نفترض أن خيام الوطنيين في المناطق الأخرى تختلف عنها ، و لكننا نجهل هذا الاختلاف ، كما أننا لا نعرف إذا كانت الخيام التي تأوي رعاة الشمال الإفريقي ، كانت مماثلة للطراز القديم المستخدم في البلاد ، أو تماثل الطراز المستورد بواسطة الغزاة منذ القرن الحادي عشر ، وبمقارنة

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 235.

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 236.

[3] موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 28.

الخيام التي لا تزال نراها في صحراء الجزائر و تونس ، وخيام القبائل الصحراوية في الشام ، والتي تتكون من قطع القماش الضيق المتلاصق ومدعم بالأوتاد ، نجد أن هناك تشابه ، وفي الوقت نفسه اختلاف بين يجب تحديده ، ومن ناحية أخرى يبدو أن عرب المشرق كانوا يجهلون الخيام الجلدية التي يستعملها الطوارق ، فهل هي من أصل بربري ؟ أم اغنها ميراث من المهاجرين ؟ (1)

إذا كان العرب لم يدربوا أهل البربر على الحياة البدوية ، وعلى الأرجح لم يغيروا إلا قليلا حياتهم البدوية التي كانوا يعيشونها ، فعلى الأقل رفعوا عدد البدو بنسب من المستحيل تحديدها ، وربما إن الحياة الرعوية تتطلب أراض شاسعة لذلك اضطر الرعاة الوطنيون إفساح المجال للغرباء ، فقبيلة زناتة هم الذين كانوا يمثلون هذا العنصر البدوي البربري ، ونحن نعرف من قبل هذه المجموعات العرقية في بلاد البربر ، ورأينا دورهم في انتشار و إبقاء البدعة الخارجية ، بمساعدة أموي قرطبة ، وخصومتهم الطويلة مع صنهاجة الذين كانوا دعامة الفاطميين ، فزناتة كانوا أعداء تقليديين لصنهاجة ، ويبدو أنهم يتميزون عنهم باللغة (يرمز اسم " زناتية " إلى مجموعة لهجات بربرية) ، وبطريقة الحياة ، لان صنهاجة كانت مستقرة ، بينما زناتة يتنقلون بعائلاتهم وقطيعهم في مملكتهم ، التي كانت تشمل نطاق واسع في جنوب وغرب افريقية و المغرب الأوسط من الجريد حتى سهول ولاية و هران .

لقد شبت الحرب بينهم و بين البدو العرب عند أول اتصال ، ولكن بدو زناتة الذين يفتقرون لروح التضامن والتي عضدها عوامل من البلاد أضعفت جبهتهم ، إلا أن بني حماد رغم أنهم من صنهاجة فقد صمموا على تكوين تحالف أكثر جدية ، و كان على رأس هذا التحالف أمير زناتي من تلمسان يدعى "بختي" فقدم لهم القوات و على رأسها وزيره أبو سعده من قبيلة زناتة بني يفرن ، دام الصراع عدة سنوات تخللها وقفات (هدنة) عندما كان الرحيل الموسمي للصحراء يفصل المحاربين ، لكن بموت أبي سعده قطع هذا التحالف و أفسح الطريق للغزاة (2).

إن ابن خلدون هو الوحيد الذي يعطينا بعض المعلومات عن أحداث غفل عنها مؤرخو هذه الفترات ، و مع ذلك فالخلافات الغامضة للقبائل التي يرجع سببها إلى السيطرة على الطرق التجارية و مياه الآبار تركت بصمتها في أساطير العرب أنفسهم ، فملحمة بني هلال تحكى لنا قصة نزحهم من نجد حيث المجاعة و أسباب هجرتهم ، كما أنها توضح أن عاهلا البلاد التي غزوها ليس (3) المعز الزيري عاهل القيروان ، بل خليفة الزناتي ملك تونس الذي نعرفه بالزناتي أبي سعده ، أما غرامياته مع الجميلة الهلالية

(1) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 237.

(2) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 237.

(3) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 239.

جازية فهي فصل خيالي لإثراء النص البطولي ، كما أن وفاة الزناتي سمح للعرب الهلالية بدخول بلاد السبع ممالك و الأربع عشر قصر حيث سيكونوا دائما في مأمن من البؤس .

إن اكتساب النصر ، نتيجة لوفاة الزناتي ، كان جوهريا أكثر منه وهما فزناتة الذين دحروا نحو الغرب لم يعد لهم اتصال بسهولة قسنطينة و الزاب حيث استقر العرب كأصحاب ارض ، وكانت الحدود بينهما هي جبل عمور و الزاب [1] ولقد ظهرت في هذا المجال الكارثة العربية أكثر و حشية ، والصورة المعهودة للخراب نتيجة هجوم الجراد ببلاد المغرب يصور لنا بدقة نتائج الغزو في جزء هام من الريف البربري ، فإطلاق القطيع وسط المحاصيل ، وتخريب الحدائق و إساءة معاملة سكان الريف و سلب القرى ، تلك كانت بدون شك الحلقات الطبيعية للمرحلة الأولى للغزو الهلالي ، واستنادا لحكم ابن خلدون و الذي أشرنا اله و الذي يوضح فيه التناقض بين حضارة الحضر و الحياة البدوية كما زاولها العرب " فالحجر مثلا إنما حاجتهم إليه لنصبه أثافي القدر فينقلونه من المباني و يخربونها عليه و يعدونه لذلك ، و الخشب أيضا إنما حاجتهم اله ليعمدوا به خيامهم و يتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه .. فطبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس [2] وان رزقهم من خلال رماحهم وليس عندهم في اخذ أموال الناس حد ينتهون إليه بل كلما امتدت أعينهم إلى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه " ثم يضيف بعد ذلك :" و انظر إلى ما ملكوه و تغلبوا عليه من الأوطان من لدن الخليقة كيف تقوض عمرانه و أقفر ساكنه وبدلت الأرض فيه غير الأرض فاليمن قرارهم خراب إلا قليلا من الأمصار و عراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس أجمع و الشام لهذا العهد كذلك و افريقية و المغرب " و الأذى كان اكبر في بلاد البربر و خصوصا البربر الشرقي فبعد التدهور الطويل الذي يرجع في الفترة الأخيرة للاحتلال الروماني و تفاقمه باحتلال الوندال و البيزنطيين ، ثم الفتح الإسلامي و حركة الخوارج فبعد كل هذا عاد الرخاء الذي دللت عليه شهادات كثيرة ، وقد تطرف هذا الرخاء المفقود بالتقهقر إلى الماضي ، و سيؤكد المراكشي بعد مائة و خمسين عام إن قبل الغزو الهلالي " كانت العمارة متصلة من مدينة الإسكندرية إلى مدين القيروان تمشي فيها القوافل ليلا و نهارا " كما أن صاحب " الاستبصار " المجهول يضيف إلى هذه اللوحة تفاصيل طريفة " وكانت القوافل إذا خطرت بين هذه القصور (بين قفصة و القيروان) تظم إبلها و دوابها لئلا ترعى ورق الشجر لكثرته على ذلك الطريق ، و هي اليوم خربة لا انس بها من وقت " دخلت العرب بلاد افريقية " و جدير بالذكر انه في زمن المراكشي و جامع وثائق " الاستبصار " اجتيحت افريقية من جديد بواسطة مغامرين شجعان إلا و هم " بني غانية " الذين وجدوا في العرب أنشط المساعدين ، و

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 239.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 240.

هكذا أعاد هؤلاء البدو الأقوياء دائمي التعطش للسلب [1] القلائل و ساعدوا على استفحال التدهور الاقتصادي ، و بذلك استمرت عواقب الغزو ، ففي المقاطعة الرومانية القديمة (افريقية) حول البدو الحقول الخضراء إلى صحاري التي لا تزال نراها حتى اليوم ، لقد قال ابن خلدون " و بدلت الأرض فيه غير الأرض "... والجغرافي الإدريسي يقدم لنا الوسيلة لذلك ، فعند و صفه لبلاد البربر في القرن الثاني عشر قدم لنا إيضاحات عن توسع المد الهلالي و الظروف المختلفة للحياة الحضرية للسكان البربر في المنطقة التي يغمرها هذا المد [2] .

فالعرب يحتلون أيضا الجزء الأكبر من محافظة قسنطينة ، أنهم يحتلون فقط السهول و لا يتطلعون إلى الجبال .. فهي فقيرة و ذات منافذ صعبة لدوابهم ، وكانت تستخدم دائما كحصون للوطنيين المبعدين من البلاد [3] ، و بذلك توسعوا في حوض هدنة بأكمله في الجنوب الشرقي للجزائر العاصمة ، ثم وصلت حدودهم إلى وادي ساحل جنوب منطقة القبائل الكبرى ، التي بقيت خارج نطاقهم و التي تحتفظ بثبات مدهش بسكانها البربر من العصور الوسطى حتى يومنا هذا ، وبقيت مدينة بجاية –كما نعرف – في مأمن من غزوهم ، و لم يدخلوا منطقة القبائل الصغرى لكنهم سيطروا على طريق قسطنطينة – القل ، و قد اجتاحوا أيضا السهل البحري لمدينة بونة و ضواحي ميناء طبرقة [4] .

كانت القيروان أكثر المدن تأثرا بهذه الأحداث ، وبدون شك أكثرها انهيارا ، فقد ماتت فيها التجارة ، وهرب منها سكانها الذين اختنقوا من متطلبات عرب السهل ، أما المهدية – العاصمة الجديدة للزيرين – فقد كانت في وضع أحسن مثل جميع مدن الساحل الشرقي : صفاقس و المنستير و سوسة ولكن بساتين ضاحيتها اختفت تماما ، و الخصوبة المشهورة لسهل " باجة " جذبت إليها أطماع البدو ، فهم أسياد المنطقة و أصبح البربر يزرعون لهم الأرض التي يمتلكونها و كذلك الواحات ، ومدينة باجة التي كانت مزدهرة في الماضي أصبحت بائسة تعيش في فزع ، ففي أواخر القرن الثالث عشر يروي لنا أحد المسافرين " أن أهلها لا يفارقون السور خوفا من العربان ، و أنهم يستعدون لدفن الجنائز كما يستعدون ليوم الضراب و الطعان " ، وبالرغم من قيام علاقات بين سكان طبرقة و جيرانهم العرب و هي علاقات سلمية و عادلة ، ولكنها لم تحقق الأمان المنشود لان هؤلاء العرب بؤساء بطبيعتهم و لا يحترمون معاهداتهم ، وكان الوضع كذلك بالنسبة لخطوط البريد ، فهناك محطات محصنة و أماكن للأسواق على طول الطريق بين قلعة بني حماد و

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 240.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 242.

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 242.

[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 242.

بجاية وخاصة في الجزء الذي تسلط عليه العرب ، وخضعت هذه الطرق لتقاليد الهدنة ، فإذا قام شجار بين القبائل ودوريات حراسة البريد مطلوبة فالدية مطلوبة إذا كانت الضحية من البدو ، أما إذا كانت الضحية رجل من حامية الموقع فلا يجرؤ احد على المطالبة بالدية ، ومن البديهي أن الابتعاد عن المدينة يعرض الإنسان للخطر ، وفي " بادس " و هي القلعة الرومانية القديمة على السفح الجنوبي لجبل أوراس ، حيث كان العرب يسيطرون على حقول هذه المنطقة " فلا يتركون أحدا يخرج من هذه المنطقة إلا في حراسة رجل من القبيلة " ، أن الأسوار الضخمة هي بدون شك الحماية الفعالة و لكن لا تستطيع المدينة الحصول على التموين و الحياة إلا بموافقة العرب [1] ، و في باغاية وهي مدينة رومانية بيزنطية محصنة و تقع في شمال الاوراس فسكانها " زبائن بطرقة ما عند العرب " الذين فرضوا عليهم حماية باهظة ، هناك بعض المدن التي حققت هدوءا نسبيا بدفع إتاوة ، وقد رأينا من قبل عدة أمثلة على ذلك بعد الغزو ، بالإضافة لما يرويه الإدريسي عن مرجانة [2] و مع مرور الأيام ، عرف الغزاة إن في إمكان سكان المدن تقديم خدمات أخرى دفع الرسوم الاستبدادية ، فكانت بعض المدن الصحراوية تستخدم كمخازن للمواد الغذائية التي يجمعها البدو في انتظار رحيلهم بها ، و يعرفنا الإدريسي إن مدينة مجانة لعبت هذا الدور .

وكانت بعض المدن تتمتع بمقومات مؤقتة للتعامل مع العرب ، و يرجع ذلك إلى موقعها و قدرة جهازها الدفاعي و براعة حكامها .. كل ذلك مكنها من عقد علاقات حسن الجوار مع العرب [3] بذلك بعد قرن من ظهور بني هلال أصبح التعاون بين البدو و المستقرين هو انعكاس (تعويض) طبيعي لخصومتهم الفطرية ، وقد كان استدراكا للأذى الذي سببه الغزو [4] خدمة أخرى قدمها العرب مقابل تعويض باهظ إلا و هي السهر على امن المسافرين ، وكان وجودهم في المنطقة هو سبب هذه الحاجة ، و بدون إشراف القبيلة أصبح التنقل من مدينة إلى أخرى مهمة خطيرة ، وعلى كل فالأسباب قليلة للتنقل بين المدن ، فقد أصبح نادرا إن لم يكن معدوما بين المراكز الخربة أو التي تعيش على مواردها الخاصة وفي هذه النقطة أيضا يجب تحديد المناطق .

كانت بلاد البربر تحتفظ قبل الغزو بشبكة طرق موروثة من العهد الروماني و البيزنطي ، وكان وجودها استراتيجي أكثر منه تجاري ، مع الفارق الوحيد أن مراحل السفر الإسلامية كانت تبدأ من القيروان بدلا من قرطاج ، والبكري يعدد المراحل التي كانت تسمح بالسفر لمدة أربعين يوم من

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 243 .

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 243 .

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 244 .

[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 243 .

القيروان إلى فاس عن طريق سبيبة و مجانة أو تبسة ، و باغاية ، و يلزمه ومنها يمكن الانعطاف نحو طبنة و الوصول إلى تافيلالت أو السير مباشرة نحو المسيلة و قلعة بني حماد و الاتجاه نحو تاهرت و تلمسان عن طريق السهول العليا التي تسلط عليها بدو زناتة و لكن ليس هناك الآن ما يجعل التجار يستخدمون هذه المراحل و نقرأ في الاستبصار أن " على الطريق من القيروان إلى قلعة أبي طويل و هي قلعة حماد..مدن كثيرة خربتها العرب عند دخولهم بلاد افريقية " ، وكانت سبيبة هي المرحلة الأولى و كانت مدينة قديمة و مركزا لقرى مزدهرة لا نجد الآن فيها إلا عدة مساكن بائسة ، و المدن التي لم يهجرها سكانها [1] والقالة أو قسطنطينة اقتنعت بظروف حياتها الجديدة التي خلفها العرب ، فهذه المدن تقع على الساحل أو في منطقة التل الجبلية ، إن ميلاد مملكة تونس و انتقال نشاط القلعة إلى بجاية ليست إلا الحلقات الأكثر بروزا لتطور عام وهو: انتقال النشاط الاقتصادي لبلاد البربر من الداخل نحو الشمال (البحر)[2]ويتحول الطريق التجاري و كذا انتقال القوات الحربية منذ تلك المرحلة فصاعدا عبر وادي مجردة متجها نحو المغرب دون الابتعاد عن الشاطئ .

ولقد أدى ذلك إلى تطور ، تجاوز الفائدة الاقتصادية و الإطار المرسوم لتاريخ بلاد البربر الإسلامية ، إذ أن شكل الحياة الداخلية للبلاد ، و اضطرار حكام بلاد المغرب و عدد كبير من رعاياهم الأغنياء و العاملين إلى الاحتماء بسواحل البلاد بعيدا عن أيدي العرب .. أدى إلى أبراز دور الغزو الهلالي بتوجيه هؤلاء نحو البحر [3]

قام الخليفة الفاطمي بنقلهم إلى افريقية و تحقيق هدفين في نفس الوقت ، الأول تخليص البلاد منهم ، والثاني إطلاقهم على افريقية للقضاء على الدولة الصنهاجية و إنشاء دولة عربية تابعة عوضا عنها و ينسب ابن خلدون الحديث التالي إلى الوزير اليازوري : " فان صدقت المخيلة في ظفرهم بالمعز و صنهاجة ، كانوا أولياء للدعوة و عمالا بتلك القاصية ، وارتفع عدوانهم من ساحة الخلافة ، وان كانت الأخرى فلها ما بعدها ، و أمر العرب البادية أسهل من أمر صنهاجة الملوك " .

نحن نجهل صحة هذا الحديث ، و نجهل أيضا ما كان الوزير يعتقد فعلا في إمكانية تكوين دولة عربية تابعة ، و يبدو مؤكدا أنه أعطيت وثائق بتولية المدن و الريف بأسماء شيوخ القبائل و لكنها تقليدية ، اصطحب الأمراء العرب فرسانهم و عائلاتهم و قطيعتهم ، و كانوا مزودين بهذه الوثائق ، و يحمل كل منهم مبالغ مالية وزيا مشرقيا ، عبروا نهر النيل و اتجهوا نحو المغرب ، أما بالنسبة لعددهم فنحن نجهله ، و قد

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 245 .

(2) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 245 - 246.

(3) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 246 .

قدر معاصر العدد بخمسين ألف مقاتل و الرقم الإجمالي بمليون مقاتل ، انه تقدير مبالغ فيه بكل تأكيد ، أنها أول وموجة للهجرة و قد تبعتها موجات أخرى ، جلبها هذا السراب نحو افريقية الرومانية ذات الأرض الخصبة ، وكانت مدفونة بأمل الابتعاد عن المجاعة [1] إذا كان الخليفة قد توهم غزو افريقية بإرسال تابعين بدو ، فالسلطان المعز تصور أخطر من ذلك ، عندما علم بقدومهم على حدود مملكته ، واعتقد انه من الممكن الانتفاع بهم لخدمته ، كان جيشه يتكون من السودان الأوفياء و صنهاجة و عشرات المتمردين وزناتة الغر موثوق فيهم ، و العرب الذين يمكن الاستفادة بهم كحرس ، وقد اعتقد المعز في ذلك ، وتمت معاهدة بينه وبين قائدهم " مؤنس " من قبيلة بني رياح ، ولم يرض البدو بهذا الاتفاق وهم يحملون بالسلب و الإغارة و الحصول على ثروات الأرض الموعودة ، وعندما وصلوا إلى أول قرية اعتقدوا أنها القيروان فأنزلوا بها الخراب و الدمار أراد المعز معاقبة " انتهاك العهد " ، ولم تصل محاولة الوفاق إلى شيء وبقي الصراع قائما ، ففي سنة (444هـ/1053م) جمع السلطان قواته وزحف ضد الغزاة [2] وتقابل معهم في حيدران في منطقة قابس ، لكن العدو فاجأ جيش القيروان و هو ينصب خيامه فتشتت الجيش وسلب العدو المعسكر ، ولم يقاوم إلا الحرس الأسود الذين أبيد وهو يحمي السلطان المعز ، الذي هرب وعاد إلى قصره في حالة يؤسف لها ، وعاشت القيروان أياما من الذعر بعد أن كانت تحتفل بالأمس بعيد الشهداء في جو من الطمأنينة و البهجة ، ولم يلبث أن ظهر الفرسان العرب من جديد ، فاستعدت مدينة القيروان للدفاع و جلا السكان عن صبرة (المنصورية) التي سلبت وجردت تماما من كل ما تعتز به ، قضي البدو على القيروانيين الذين كانوا في السهول ، وفي فصل الأمطار رحلوا نحو الجنوب مما أعطى بعض الراحة و الأمل للحاضرين ، و في بداية الربيع بدأ العرب في التوجه نحو الشمال مرة أخرى ، فحاول المعز صدهم من جديد ، ولكنه تكبد كارثة جديدة ، و لكنه تكبد كارثة جديدة ، وعسكر الغزاة في سهل القيروان ، حاول المعز إعادة العلاقات مع القواد العرب حتى يبعد هذا الخناق ، واستطاع البدو دخول المدينة للحصول على التموين ، لكن قام شجار قطع هذا الوفاق مرة ثانية و خشي الجميع من حرب ضروس مما أجبر السلطان على إحاطة القيروان بسور متين كانت تفتقده من مائتي وثلاثين عام .

احتل العرب المدن المفتوحة مثل أوبة ولريس و باجة ، واستطاعت القيروان المحصنة بمقاومة هجماتهم لكن الحياة فيها أصبحت صعبة جدا و بات من المستحيل زراعة الأراضي المحيطة بها و تموين الأسواق [3]

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 222- 223 .

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 223 - 224.

[3] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 224.

بدأ المعز يستعد للهجرة بعد أن تحمل لمدة خمس سنوات هذه الحالة التي لا تطاق ، وكان زوج ثلاث من بناته لثلاث من زعماء جحافل بني رياح ، فنقل أمواله إلى المهدية و خرج سرا في حراسة أصهار نحو مدينة الشاطئ ، وفي اليوم التالي أعلن ابنه أهل القيروان بأنه سيرحل بدوره مع الحرس الأسود ، فكانت الفوضى و ترك المدينة ، ثم هجوم العرب و الاستيلاء [1] على الفريسة التي وعد بها خليفة مصر ، هذه الفريسة هي القيروان ، فكان تخريب القصور وسلبها و كانت الكارثة الكبرى التي لا نهوض بعدها .

بدأت مدن افريقية تتخذ حكاما مثل المدن و المقاطعات الاسبانية في اسبانيا ، ففي مدينة قابس وهي حالة نادرة ، كان سلطان المهدية قد أقال بعض قواد صنهاجة فاتصلوا بزعيم قبيلة رياح الذي كلفهم بحكم قابس ، فأعانوا البيعة له ، هذا الاعتراف بالعاهل الذي ولاهم يجعل سيادته شرعية ، ويقول ابن خلدون في هذا الصدد كانت قابس " أول تملك العرب " في افريقية و لن عادت المدينة مرة أخرى للسلطان الزيري ، ثم انفصلت بعد ذلك و اتخذ سكانها حاكما عربيا من عائلة رياح من قبيلة بني جامع الذي أسس فيها أسرة ذات تأثير ، أما أمراء المعلقة الذين استولوا على مبنى من مباني قرطاج – ربما المدرج – و تحصنوا فيه ، كانوا من عرب رياح ، و سوف يعاونون سلطان المهدية في محاولة استعادة ملكه ، و يتدخل العرب أيضا في صفلقس ولكن بطريقة غير مباشرة ، فالحاكم الذي كان يحكم المدينة باسم السلطان الزيري ، أعلن استقلاله معتمدا على التحالف مع القبائل المهاجرة المعسكرين في المنطقة ، و لكنه يقتل على يد فرد من أبناء عمومته الذي حل محله ، فيثور عليه حلفاء الضحية من العرب و يطالبون بالدية .. فيكون صداقات من البدو حتى من السيطرة على المدينة [2]

ويحدث في قفصة مثلما حدث في صفاقس ، يقوم الوالي الزيري ابن الرند بقطع علاقاته مع سيده ، ويتفق مع العرب على أن يعم بلاد الجريد السلام ، و ذلك مقابل دفع إتاوة لهم ، فيقوي سلطانه ويزداد ملكه و يتكون لديه بلاط يستقبل فيه الشعراء ، و يجد رجال الدين الاحترام اللائق بهم ، و عند موته (465هـ/1072م) يترك مملكة صغيرة مستقلة يستولي عليها ابنه من بعد و يقوم بتوسيع أرجائها [3].

وبجانب هؤلاء كبار الموظفين ، الذين استقلوا عن السلالة المخلوعة ، كما ظهر في افريقية مغامرون و عصابات نصبوا أنفسهم مدافعين عن الحضريين ضد السلاب العرب ، مقابل إتاوة وحدث هذا في بنزرت و لريس و الكاف ، و بجانب المستفيدين من تمزق المملكة الزيرية ، كان البعض غرباء عن البلاد ، ففي قلعة ورغة التي اندثرت في شمال مجردة استعان أهله ا بقائد قطع علاقته مع رؤساءه من بني حماد [4] .

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 224 .

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 225 – 226 .

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 226.

[4] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 226 - 227.

بعد أن تزعزع سلطان حكومة بني زيري ، كان من الطبيعي اللجوء إلى بني عمومتهم بني حماد ، وكانت مملكتهم مسالمة ، واستفادوا و لو لفترة من دمار المملكة المنافسة ، ولكنهم أحسوا بأن الخطر الذي أصاب القيروان سوق يصل القلعة عن قريب ، كما أن تصرفهم المتردد كشف عن هذا التخوف ، فنحن نتذكر أن في سنة (405هـ/1014 م) تحلل حماد من طاعة ابن أخيه باديس ، و بالتالي نبذ الولاء للخليفة الفاطمي ، طالما أن باديس كان ممثلا له ، ثم أعلن حماد البيعة للخليفة العباسي ، و بعد ثلاثين عام انفصل المعز بن باديس عن خليفة القاهرة قام أمير القلعة " القائد بن حماد " بمبايعة الخليفة الفاطمي و حصل من القاهرة على لقب " شرف الدولة " أنها لعبة التوازن و تغيير المعسكرات طبقا لتغير الخصوم ولكن أيضا الاستفادة من وضع خسره الخصم ، وتجنب عقاب محتمل وقوعه ، ولا يمكن التنبؤ بخطورته .

إن الإحساس الغامض بخطر مشترك أو و اجب التضامن العائلي جعل " القائد " يرد على نداء ابن عمه المعز أثناء الغزو الهلالي و يرسل له ألف فارس ولكنهم تخاذلوا في معركة حيدران ، ومهما كانت دوافع سياستهم ، فمن المؤكد أن أسياد القلعة استفادوا من العاصفة التي اجتاحت المملكة المجاورة و الهروب الذي أخلى القيروان و المدن الزيرية ، جعل الحضريين الأغنياء و التجار و الصناع يفرون إلى عاصمتهم ، و عرفت القلعة ازدهارا اقتصاديا كان مستبعدا بحكم وضعها الجغرافي ، و يقول البكري " و هي اليوم مقصد التجار و بها تحل الرحال من العراق و الحجاز و مصر و الشام و ساير بلاد المغرب " كانت تتسلق شعاب الجبال للوصول إليها [1] .

إن ظهور العرب على أراضي بني حماد ثم يأخذ مظهر الكارثة ، بل العكس ، لقد اعتقدوا كما اعتقد من قبلهم ، إن الاتفاق ممكن و التعاون مفيدا ، ويقع الحدث المتميز في تاريخ هذه العلاقات في سنة (453هـ/1064م) ، ففي المهدية كان المعز قد مات من عامين وبدا ابنه تميم في محاولة استعادة مملكته ، وطلب وفد من عرب الاثبج الهلالية مقابلة الناصر الذي يحكم قلعة بين حماد ، لمساندتهم ضد عرب رياح ، الذين يحتلون الجزء الأكبر من المملكة الزيرية ، فتلقى سعيهم هذا بحرارة ، لان الحرب مع عرب رياح يعطيه فرصة التدخل في شئون مملكة المهدية ، وضم مدن أصبحت بدون حكام ، وربما محاربة ابن عمه في عقر داره لتصفية الحساب القديم ، فعبأ المحاربين من صنهاجة [2]وطلب من ملك فاس أن يرسل له إمدادات من زناتة ، وسار بنفسه على رأس هذا الجيش الهائل لحسم النزاع بين قبيلتين عربيتين ، استولى في أول الأمر على لريس ثم اتجه نحو الجنوب و تقابل مع الخصم في سبيبة بالقرب من سوفس (sufes) المدينة الرومانية القديمة ، و تشتت زناتة في بداية المعركة مما سبب اندحار صنهاجة ، و بقى 24000 رجل من

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 227 – 228 .
[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 227 – 228 .

جيش بني حماد مجندلين في ساحة القتال ، ولم ينج الناصر إلا بتضحية أخيه الذي اخذ منه عمامته وروايته محاولا جمع القوات ، وعاد الأمير الهارب إلى القلعة بمصاحبة مائتي فارس تتعقبه عرب بني رياح ، الذين بدأوا في سلب جوانب القلعة و المدن الأخرى كما كانت عادتهم ، رغم هذه النهاية المأساوية لهذه التجربة ، إلا الناصر أعادها عدة مرات بدون نفع يذكر ، والأسوأ من ذلك هو التدخل المتزايد من جانب العرب في حياة مملكة بني حماد ، لقد أصبح الجانب الهلالي حليفا غير مجدي ، وجارا غير محتمل و خطير في معظم الأحيان ، ففي كل صيف يستقر عرب بني هلال حول القلعة ، ويصبح من المستحيل المرور في الطرق أو الزراعة ، وللتقليل من أضرارهم تعهد المنصور بن الناصر بتسليم نصف محصول ضيعته الخاصة من البلح والحبوب لهم ، وساءت الحالة تدريجيا و بدا وجود القلعة وزوارها شاقا ، لدرجة أن المنصور قرر ترك المدينة التي شاهدت عظمة أجداده ووصلت إلى الذروة [1] ولقد مهد أبوه لهذه الهجرة ، إذا كان الناصر قد ضم المنطقة الساحلية لبلاد القبائل ، وكذلك الخليج الجيل المسمى في الحضارات القديمة بميناء صلداء و أسس مدينة هامة سميت بالناصرية ، ولكنها احتفظت باسمها القديم بجاية ، وسيد فيها قصر اللؤلؤ الفخم حيث استقر فيه مؤقتا ، و أقام فيه المنصور من بعده ، ومع ذلك لم يترك القلعة نهائيا ، ففي عهده كان لدولة بني حماد عاصمتان يربطهما طريق نشأت على جانبيه الاستراحات الخاصة به ، وانتهت هذه الثنائية مع باديس بن المنصور ففي سنة (498هـ/1104م) كانت القلعة قد فقدت تماما حظوتها كمقر ملكي.. و يقول ابن خلدون في مقدمته : "..و سمعنا من شيوخنا في مجالس التّعليم ، أنّ أصول هذا الفنّ و أركانه أربعة دواوين و هي : أدب الكتّاب لابن قتيبة و كتاب الكامل للمبرّد ، و كتاب البيان و التبيين للجاحظ وكتاب النّوادر لأبي عليّ القالي ، و ما سوى هذه الأربعة فتبع لها و فروع عنها.." [2]

لقد حدد التركيب الاجتماعي و الأوضاع السياسية و الدينية الوضع اللغوي و الأدبي في الأندلس ، فمنذ أن تم فتح الأندلس و القبائل العربية تتدفق عليها ، حاملة معها اللغة العربية الفصيحة و التي أصبحت اللغة الرسمية لبلاد الأندلس ، و أصبحت اللغة العربية لغة الإدارة في البلاد و لغة الدين و الدولة و لغة الثقافة و العلم ، و هذا طبعا لتغلب عنصر المسلمين على السكان الأصليين لأن بني أمية ذوي عصبية عربية ، كما أن النصارى و اليهود جرفهم تيار اللغة العربية ، بالرغم من قلة العلم وو جود بعض التحريفات [3] واللغة العربية كانت دائما هي لغة العلم[4] يرى كل من كتبوا في التعريب أنه كان على

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 227 – 228- 229.

[2] أبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276هـ / 889م) ، أدب الكاتب ، تحقيق : محمّد الدّالي ، ط2 ، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، (1405هـ/ 1980م) ، ص 1 .

[3] حسن جاد حسن ، محمد عبد المنعم خفاجة ، الأدب العربي في الأندلس ، ط ، المطبعة المحمدية ، الأزهر ، (د س ط) ، ص 24 .

[4] موريس لومبار المرجع السابق ، ص 76 .

رأس التعريب هؤلاء الرسل الذين بادر الرسول (ص) في السنة السادسة للهجرة بإرسالهم إلى الملوك و الأمراء يحملون كتبا يدعونهم فيها إلى الدخول في الإسلام ، وقد تفاوتت ردود الملوك و الأمراء ..أنهم لم يقبلوا الدعوة و أن كسرى و هرقل و المقوقس بوجه خاص رفضوا الإسلام ديننا ، وجاءت خطورة هذا الرفض في أن هؤلاء الحكام لم يبلغوا الدعوة لأباهم ، و إنما وقفوا حاجزا في طريق وصول دعوة الإسلام [1]

تعربت شمال أفريقية ، هذه الولاية الرومانية التي ضمت للمشرق ، الذي جعل من هذا الجزء من عالم البحر المتوسط بلدا شرقيا برغم جغرافيته ، لم يكن بمعنى الكلمة تطور موازي لاعتناق الديانة الإسلامية بل كان نتيجة و تتويجا لها ، فالتعريب يرتكز ليس فقط على هجرة أفراد أو جماعات كثيفة من العرب لتغيير التكوين السكاني لهذه المنطقة الشاسعة بل يرتكز على تبني المواطنين البربر لحضارة تشبههم بالمهاجرين ، و من جميع عناصر هذه الحضارة فاللغة هي العنصر المميز الأكثر عمقا و الأكثر وضوحا .

فانتشار اللغة العربية في شمال أفريقية و خصوصا النصوص المكتوبة باللغة العربية هي التي تتيح لنا معرفة تاريخ هذه البلاد ، كل هذا يبشر حقا عهد جديد .

كيف حدث هذا الانتشار ؟ فالوقائع التي نلاحظها تسمح لنا بتخمين ذلك .

نلاحظ أولا أن اللغة العربية لم تلغي اللغة البربرية ، وهي الوريثة المرجحة للغة النوميدية و الليبية فهذه اللغة لا تزال باقية حتى يومنا هذا في المناطق الشاسعة أو صعبة الاختراق مثل جنوب طرابلس و الأوراس و القبائل و الجزء الأكبر لجبال المغرب ، محيط هذه المناطق يقل أمام أعيننا الآن ، ومن المؤكد أن اللغة العربية وجدتها في ذاك الوقت ممتدة و متلاحمة مكونة مناطق واسعة متصلة [2] بموظفين من البلاد لتدوين العقود و الحسابات باللاتينية " تحت أيدينا نقود مسكوكة في أفريقية ، على الأرجح في قرطاج ، مسطر باللاتينية و ذلك حتى نهاية القرن (1هـ/7م) ، و البعض يحمل اسم الأمير موسى بن نصير بالحروف اللاتينية " وقطع أخرى مدون عليها صبغة لاتينية تترجم تماما الدعوة " لا اله إلا الله " ، هذه البقية من اللاتينية التي توافق بصدق فترة الانتقال سوف تنتهي في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، سبق أن حاول الخليفة عبد الملك (66هـ – 86هـ / 685- 705م) تعريب الإدارة و فرض اللغة العربية في جميع المكاتبات الرسمية لكن عمر الورع (99هـ- 101هـ / 720م - 717م) أعطى هذا الإصلاح حماس عقيدته و كانت حركته فعالة [3].

---

[1] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 146.

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 45 .

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 47 .

فمن المعلوم حقا أن التطور الديني هو الذي قضي على اللاتينية لأن التعريب ملازم للتحول للإسلام ، كما أن اللغة اللاتينية و المسيحية كانتا مترابطتين في هذه الكنيسة الأفريقية " الأكثر لاتينية من الغرب نفسه " وكما أنها كانت ظافرة في الأعمال اللاهوتية و في صلوات الشهداء و المراسم و الطقوس ، فاللغة العربية كانت مرتبطة بمصير الإسلام ، فهي لغة الكتاب المنزل ، لغة القران و ترجمته لأي لغة أخرى كانت تبدو انتهاكا لقدسيته كما أن فهمه استوجب تعلم اللغة العربية ، إذا كان اكتساب البربر للغة المسلمين ضروريا للصلاة ومعرفة العقيدة الجديدة فهو يمدهم أيضا بمزايا أخرى لأنه يشبههم بحكامهم الجدد ويرفعهم إلى مكانة المنتصرين .

فاللغة العربية أبرزت مدن مثل القيروان و تونس عن الريف المحيط بها بسبب رجال الدين و جند الحاميات التي تحكم البلاد ، كما أن التبادل الدوري للأسواق أجبر سكان الضواحي على تكلم اللغة العربية محتفظين في الوقت نفسه باللغة البربرية لمعاملاتهم الخاصة ، أما بالنسبة للغة اللاتينية فلم تحظى بنفس المصير الذي حدث للغة البربرية بل كان محكوم عليها بالزوال مثل نخبة المثقفين البالية التي كانت تفخر بها ، [1] ومع ذلك فقد بقت لعدد من القرون في بعض الأماكن لاستعمالات خاصة ، كلغة للكنيسة الأفريقية ، عند بعض الطوائف المسيحية التي استخدمها في الطقوس و الصلوات الجنائزية[2]

و في المغرب لم تساير اللغة العربية التي انتشر بها الإسلام هناك و احتاج التعريب اللغوي إلى فترة طويلة ، لتغيير اللغة و الجنس بمعنى أن تسود اللغة العربية في كل المعاملات و كذا التعريب الجنسي من خلال المصاهرات ، و أن البربر لم يتقنوا اللغة العربية إلا في وقت متأخر [3] ومهما يكن من أمر فأن انتشار الإسلام بتلك السرعة و السهولة اللتين تم بهما جاء ظاهرة فريدة من نوعها في التاريخ ..وهكذا يرى كل من كتبوا في قضية التعريب أنه كان لابد أن يأتي انتشار الإسلام مصحوبا بالتعريب ، لان معتنقيه كانوا مطالبين بأداء فروضه ، و من الواضح أن النطق بالشهادتين يتطلب نطق بعض الألفاظ العربية وفهم معناها فضلا عن أداء شعائر الصلاة يتطلب معرفة فاتحة الكتاب و حفظ بعض قصار السور من القران الكريم [4] ثم إن الإسلام يطلب من المسلم الإنصات للقران الكريم إذا قرىء على مسمع منه و ترتيله ، وتدبر ما فيه من آيات بينات ، وهذه كلها أمور ترتبط بمعرفة اللغة العربية و فهمها ، وطبيعي أن يكون من المتعذر على اللغة المحلية أن تستمر في صمودها ، فأخذت تتقلص تدريجيا ، وتنكمش دائرة استعمالها لتفسح المجال أمام العربية ، ولها اعتبر كل من تعرض لقضية التعريب أن انتشار الإسلام على رأس أسباب التعريب ، ولكن

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 47 .

(2) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 47 - 48 .

(3) عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 178.

(4) محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 148- 149 .

هذا القول مردود عليه بأن هناك ثلاث حالات ترتبط ببلاد فتحها المسلمون ومع ذلك لم تعرب أي منهم [1]

أما الكلمات العربية التي امتزجت بها فيظهر إنها جاءت إليها بوساطة اللغة الفارسية و التركية ومن اجل ذلك نراها محرفة تحريفا بينا ، كذلك يوجد في تلك الجهات عدد كبير من اليهود يشاركنهم في هذه اللغة إذا كانوا من نسل آل يعقوب في تلك البلاد .

قبل أن نمضي قدما في التعريب اللغوي لبلاد المغرب ، ينبغي علينا أن نتعرف على اللغات السائدة أثناء الفتح العربي للمغرب و موقف اللغة العربية من كل منها على حدة ، كانت اللغة اليونانية الرسمية لسكان الشريط الساحلي من البيزنطيين و كانت لغة الإدارة و السياسة و الطبقات العليا في مجتمع افريقية .
و لم تصمد طويلا أمام اللغة العربية لأن اليونانية قد هجرها أصحابها عندما فروا أمام الزحف الإسلامي إلى اسبانيا و صقلية و البلدان الأخرى التابعة للإمبراطورية البيزنطية بعد أن تمكن حسان بن النّعمان وموسى بن نصير من ترسيخ أقدام المسلمين في بلاد المغرب ، ولم تجد اللغة اليونانية ملجأ لها في الدواوين و إدارة الحكومة كما هو الحال في مصر و الشام ، أما عن اللغة البربرية فهي اللغة المحلية الأم لسكان المغرب ، وكانت من أكبر اللغات مقاومة للغة العربية بفضل انتشارها في مساحة شاسعة من الأراضي التي كانت تعيش عليها ، و توغلت اللغة العربية إلى مناطقها و إن كانت لم تقض عليها تماما حيث أصبحت لغة العامة ، أضف إلى ذلك أن الإهمال قد تطرق إلى اللغة البربرية لفقرها فلم يظهر للغة البربرية أي أثر أدبي طريف حرروه بلغتهم و لا يتعدى أثارهم في هذا المجال الأغاني و الحكايات الشعبية ، وانتشرت اللغة العربية بين صفوف البربر حيث ظهر في القرن (2هـ/8م) العديد من العلماء و المحدثين ، وكانت اللغة العبرية لغة لطائفة اليهود المبعثرة في أنحاء متفرقة من المغرب ولم تصمد أمام اللغة العربية التي طغت على العبرية و أصبحت اللغة العربية هي المألوف بينهم في النصف الأول من القرن (الرابع الهجري / العاشر الميلادي) ، كما رحل علماء اليهود إلى بغداد لتلقى العلم فها هو دوناش بن لبراط اليهودي من علماء القرن (الرابع الهجري / العاشر الميلادي) الفاسي المولد يرحل إلى بغداد ليتلقى العلم فيها على يد بعض أساتذة النحو العربي .

وكان اليهود يستعملون اللغة العربية [2] في كتاباتهم و تأليفهم و يعد كتاب سيبويه أساس تجديد النحو العربي في فاس في (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) [3] و كانت لغة الأفارقة لغة سكان

---

[1] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع نفسه ، ص 148 .

[2] عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 179.

[3] عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع نفسه ، ص 179.

المدن هي مزيجا من كل لغات الشعوب التي تعاقبت على الساحل ، وتمكنت اللغة العربية من التغلب عليها بفضل هجرات العرب و استقرارهم في المدن فضلا عن انتشار الإسلام بينهم و تعلم اللغة العربية [1]

اللغة العربية هي لغة الدين الذي أمنوا به و القران الكريم الذي يرددون بعض سوره و آياته في عبادتهم وبذل العرب نشاطا ملموسا في تعليم اللغة العربية و فتح الكتاتيب قبل إتمام الفتح الإسلامي وفي هذا الصدد يقول أحد الباحثين :" أن الفاتحين حملوا معهم اللغة و الدين ممثلين في القران الكريم الذي هو قوام دين و دستور سياسة و بحر أخلاق و قاموس لغة و ديوان ثقافة ..." و كان من الضروري أن يحرص البربر الذين شرح الله قلبهم إلى الإسلام على تعلم اللغة العربية ، لدراسة ما جاء في القران الكريم من آيات بينات ، وكان المغرب بمثابة حقل بكر لا تطغى عليه أية ديانة سماوية تعتز بكتاب مقدس الأمر الذي سهل دخول عدد كبير في الإسلام منذ الحملات الأولى للفتح و أصبح المغرب دار إسلام بكل معنى الكلمة و بدون منازع [2] وترجع جذور حركة التعريب إلى عصر الراشدين ، و دب الخليفة عبد الملك بن مروان و أبنه الوليد النشاط في تلك الحركة ، حين جعلا اللغة العربية الرسمية في دواوين الدولة و مراسلاتها ، فما لبث أن اكتسحت لغات الشعوب المفتوحة من فارسية ، وورومية ، و قبطية ، و بربرية و يونانية ، و سريانية ، وعبرية ، و أصبحت وحدها شائعة في دار الإسلام لأنها لغة الفاتح و لغة الدين ، و أثرت حركة الفتح الإسلامي للعراق و فارس و الشام ومصر و بلاد المغرب تأثيرا كبيرا في حياة المجتمع الإسلامي ، لان التوسع الإسلامي بمظاهره الكبرى العسكرية و البشرية و الفكرية أحدث توسعا ثقافيا و حركة علمية نابعة من الإسلام و هدفها الدعوة إلى العقيدة الإسلامية فأقبل سكان البلاد المفتوحة على تعلم العربية و آدابها و على دراسة المصادر الإسلامية للقران و الحديث و الفقه ، وكان هدف عبد الملك بن مروان من تعريب العملة أن يصبغ الدولة بصبغة عربية نتيجة لسياسة رسمها بدقة و مهارة و قام بتنفيذها في جميع الميادين الإدارية و الاقتصادية ، و لذا كان تعريب النقود جزءا من سياسة عبد الملك بن مروان التي استهدفت تعريب مؤسسات الدولة وكان من أهدافه إرضاء الشعور الديني و السياسي للشعوب العربية و الإسلامية و يعني ذلك تحويل عبارات التوحيد و البسملة ، و أراد عبد الملك بن مروان ضبط و مراقبة شئون الدواوين ، و على الأخص بيت المال لمنع أي غش أو تزوير [3] فما إن تم الفتح ، حتى أخذت العربية تنتشر [4] ولم

---

[1] عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع نفسه ، ص 180.

[2] عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع نفسه ، ص180.

[3] عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق، ص 177- 178 .

[4] زكي النّقاش ، العلاقات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية بين العرب و الإفرنج خلال الحروب الصليبية ، (د ط) ، دار الكتاب اللبناني ، (1365هـ/1946م) ، ص 88 - 89.

يمض القرن الأول ، حتى أصبحت اللغة العامة في القطر كله تقريبا [1] و قد علّل ابن خلدون انتشار اللغة العربية بقوله :" لما كان لسان الدولة عربيا ، أقبل الناس عليه يتعلمونه لأنّ الناس تبع للسلطان ، فصار استعماله من طاعة العرب ، وصار اللسان العربي لسانهم ، ، حتى رسخ ذلك ، لغة في البلاد ، وصارت الألسنة الأعجمية ، دخيلة فيها وغريبة "، ويرى الأستاذ العلامة فليب حتي " أن هذا الغزو اللغوي كان أعسر عمليات الغزو الأخرى لدى العرب [2] و تحسن الملاحظة في أنّ العربية كلغة تدوين و تأليف ، قد سبقت اللسان في التخاطب [3] على الصعيد الديني ، الإسلام في المغرب معروف بطهريته ، ومظهر القاسي و المتقشف ، وقد اعتنق المغاربة أولا المفاهيم الأكثر قساوة في الإسلام كالخوارج و الشيعة ثم ، بعد اتصاله بالسنة ، أصبحت المالكية ، أكثر المذاهب صلابة ، مذهب الغالبية المغربية ، وهناك ميزة أخرى للإسلام في المغرب هي أهمية و إجلال الأولياء المحليين : المرابطون [4]

إن اللسان العربي ظلّ منبعا صافيا يتدفّق عطاء ، يغرف منه الفقهاء و القرّاء والنحاة والأصوليون ما يحتاجون اليه ، إذ كل واحد يأخذ ما يسدّ به غرضه ، ومن هنا كانت علوم العربية في أصل نشأتها متكاملة فيما بينها ، فلا غرابة أن يكون علماء الأصول سبّاقين إلى القياس أكثر من غيرهم لاحتياجهم إليه في أقيسة الأحكام بعضها من بعض ، و قد برع في هذا الاتجاه محمد بن ادريس الشافعي (150- 204هـ / 767- 819م) في كتابيه " الرسالة " ، وكتاب " الأم " لاهتمامه بعلم اللسان العربي ، ، واعتباره الأساس المركزي للدراسات الفقهية و اللغوية ، وغيرهما من العلوم الإسلامية ، فقال :" و إنما بدأت بما وصف من أن القران نزل بلسان العرب دون غيره ، لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب ، وكثرة وجوهه ، وجماع معانيه و تفرّقها ،ومن علمه انتفت عنه الشّبه التي دخلت على من جهل لسانها " ، يلاحظ على الشافعي بصفة عامّة أن يوظّف مصطلح " اللسان " بدل اللغة اقتداء بالنصوص القرآنية التي لم يرد فيها لفظ " اللغة " قطّ صفة العالم اللساني المؤسس لعلم اللسان العربي [5] منذ استولى على شؤون المسلمين حكام جهلة ليس لهم صلة بالحضارة الإسلامية واللغة العربية ولا بأمور الدين [6]

---

[1] زكي النّقاش ، المرجع السابق ، ص 88 - 89.

[2] زكي النّقاش ، المرجع نفسه ، ص 89.

[3] زكي النّقاش ، المرجع نفسه ، ص 89.

[4] عبد القادر جغلول ، المرجع السابق ، ص 42 .

[5] سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 33- 34.

[6] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري 16-20م ، ج 1 ، (د ط) ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ص 394.

و يمكن أن يكون مصطلح (عروبة اللسان) مرادفا تماما لمصطلح (استقامة اللسان) الذي عكسه (انحراف اللسان) المسمى عجمة ، والذي ينتج عنه الإشكال أو التباس الفهم أو نقص البيان ، فالكلام الإنساني بهذا الاعتبار قسمان : كلام واضح تقوم به عروبة اللسان و ينطق به اللسان العربي المبين ، وكلام ناقص الوضوح قاصر البيان تنوء به العجمة و يجهد به اللسان الأعجمي [1] خرج العرب الفاتحون من الجزيرة و لغتهم الفصحى [2] ووجد البربر في اللغة العربية أداة تمكنهم من التفاهم فيما بينهم إذ تعددت لهجاتهم و عن طريق اللغة العربية يستطيعون تسجيل تراثهم ، واهتم حسان بن النّعمان بتعليم البربر اللغة العربية فجعلها لسان الحكومة الرسمي تحرر بها الرسائل للعمال و يكتب بها الدواوين و يخطب في الجمع و الأعياد ، فأقبل البربر على اللغة العربية التي هي مفتاح دينهم و لغة نبيهم فانتشرت العربية في البربر [3] وإذا كان البربر في شمال أفريقيا قد تأثروا بالفاتحين العرب و تعلموا منهم اللغة العربية و أصول الدين خاصة فان كثيرين من مهاجري العرب إلى الأندلس كانوا من أعرق القبائل بالدين و اللغة ، كان لهم أثر بالغ على المسيحيين و اليهود في الأندلس نفسها وبدأ هذا التأثير يظهر بمرور الوقت على النصارى و اليهود ، وقد عرف النصارى باسم "المعاهدين " نسبة إلى العهود التي أخذوها من الحكام العرب كما عرفوا أيضا باسم "المستعربين " لان النصارى الأندلسيين اختلطوا بالمسلمين ، فتعلموا لغتهم و أسلوبهم في الحياة ، وكان كثير منهم يجيدون اللغة العربية إجادة تامة وكان المسلمون و المستعربون (النصارى) يعيشون جنبا إلى جنب عيشة حرة [4]لقد أسهمت في ذلك الهجرات المتتالية الفردية و الجماعية مع الفتوحات و استقرار العرب الذي أدى إلى الاحتكاك بين العرب و البربر وما ترتب عليه من الاندماج من خلال المصاهرات التي تمت منذ وقت مبكر ، وشكل السبي و الرقيق لونا من الهجرة من بلاد المغرب إلى البلاد العربية الأخرى ..وذيل المؤرخون حديثهم عن الحملات الإسلامية المتتالية على المغرب بذكر السبي المرسل إلى الشرق بعد المعارك الطاحنة التي دارت بين المسلمين و بين الروم و البربر و نستهل حديثنا عن السبي بعد لقاء سبيطلة بين عبد الله بن سعد و جرجير القائد البيزنطي فقد أشار ابن خلدون إلى السبي بعد هذا اللقاء بقوله :"واستبيحت أموالهم و سبيت نساؤهم و بناتهم " وأفاض المؤرخون العرب في وصف سبي المغرب و جمالهن في ولاية عقبة بن نافع الثانية على افريقية (60-63هـ/679-682م) حيث جنى من بلاد السوس سبيا كثيرا :"

[1] عبد الرحمان أحمد البوريني ، المرجع السابق ، ص 35.

[2] عبد الرحمان أحمد البوريني ، المرجع نفسه ، ص 83.

[3] عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 181.

[4] منى حسن محمود ، المسلمون في الأندلس و علاقتهم بالفرجة ، (د ط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1986م ، ص 19- 20 .

أصاب منهم نساء لم يرى الناس في الدنيا مثلهن ، قيل أن الجارية منهن كانت تبلغ بالمشرق ألف دينار أو نحوها "ولما عاد حسان بن النّعمان من المغرب متوجها إلى دمشق رصدت لنا المصادر عدد سبي حسان بنحو خمسة و ثلاثين ألف رأس من البربر وصفاء ووظائف على قدر كبير من الجمال ، أما سبي موسى بن نصير فقد فاق غيره من الفاتحين فقد قال عنه الليث بن سعد:" لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الإسلام" (1) وفي ولاية عبيد الله بن الحبحاب تدفق السبي إلى دار الخلافة بدمشق:" وكان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب ، ويبعثون فيها إلى عامل افريقية ، فيبعثون لهم البربريات..ومن الثابت أن عملية التعريب للسبي قد اقتصرت على البربريات الوافدة للشرق ولا يؤثر في تعريب البربر المقيمين في البلاد لان هؤلاء السبايا لا يعدن ثانية حتى يؤثرن في حركة التعريب الجنسي في افريقية (2)واشتغلوا بالزراعة واختلطوا بالسكان وعملوا على نشر الإسلام و اللغة العربية (3)

هل كانت لغة الدواوين هي العربية في فترتها الأولى بافريقية ؟

استنتجت بأن ديوان افريقية بدأ باللاتينية فيما يخص ديوان استيفاء الخراج ، في الحقيقة أن أقدم أوراق البردي تبين استخدام اللغة العربية في جميع الدواوين بما فيها ديوان الخراج إلى جانب اللغات المحلية السابقة ، لدينا مثال عن ذلك تبينه أقدم ورقة عربية في العالم المحفوظة حاليا بالمكتبة الوطنية بفيينا تحت رقم (G 39/126) ومؤرخة في جمادي الأولى سنة (22هـ / 643م) كتبها ابن حديد بالعربية (4)

فهل من غير الممكن أن تكون العربية حاضرة في ديوان خراج افريقية ابتداء من سنة(74هـ/ 693م) ، ترى نريمان عبد الكريم أنه من الأسباب الرئيسية لفتح افريقية كانت محاولة السيطرة على الطرق التجارية في مكة ، تاريخيا ، هذه الفرضية تبدوا ضعيفة الأدلة لان النصوص التاريخية تبين أن العرب كانوا جاهلين بأحوال افريقية البيزنطية ، وتبين هذه المقولة المنسوبة للخليفة عمر بن الخطاب :" لا أغزيت افريقية أحدا من المسلمين أبدا ما حملت الماء ، فكانت بداية التعرف على أحوال افريقية مع ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي كتب إلى عثمان بن عفان " يستأذنه في غزو افريقية و يخبره في كتابه بكثرة أموالها و ضعف رجالها "(5) وفي بدايات مراحل الفتح انتشرت اللغة العربية أساسا من المدن ، سواء كانت مدنا

(1) عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 181.

(2) عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع نفسه ، ص 182.

(3) منى حسن محمود ، المرجع السابق ، ص 33 .

(4) علاوة عمارة ، عرض كتاب : نريمان عبد الكريم أحمد ، مجتمع افريقية في عصر الولاة ، (د ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،2000م ، سلسلة تاريخ المصريين ، ص 383 ، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ، العدد الرابع ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، 1425هـ/ 2004م ، ص 305- 306.

(5) علاوة عمارة ، المرجع السابق ، ص 305- 306.

قائمة فعلا مثل دمشق أو معسكرات تحولت لمدن كما هي الحال في عموم الإمبراطورية العربية الإسلامية ، وقد كانت تلك المعسكرات مكان معظم الاتصالات التي جرت بين العرب و السكان الأصليين للبلاد المفتوحة (1)، ولكن المصدر اللغوي الوحيد الذي بين أيدينا عن كلام مع غير العرب هو القصص الكثيرة الموجودة في الكتب عن لغة الموالي ، السيناريو الاساسي لأمثال تلك القصص هو أن احد الموالي يدخل على الخليفة فيحاول أن يتكلم بعربية سليمة (2)

[1] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 106 .

(2) كيس فرستيغ ، المرجع نفسه ، ص 106 .

الفصل الثالث : انتشار اللغة العربية .. في عصر بني رستم والأدارسة والأغالبة

أولا : استعمال اللغة العربية في الإمارة و عند الأمراء

ثانيا : الدواوين و العمال .

ثالثا : القضاء و الولاة

رابعا : الحياة العلمية و التعليم

خامسا : المساجد و الحياة الدينية

انتشار اللغة العربية في عصر بني رستم و الادارسة و الاغالبة

أولا : استعمال اللغة العربية في الإمارة و عند الأمراء

سوف نهتم في هذا الفصل بتبعات الفتح العربي و عملية التعريب فيما يخص بنية اللغة العربية ، سوف نهتم أولا بالوضع اللغوي في البلاد المفتوحة ثم سوف نناقش التغييرات اللغوية التي تلت الفتح ، وسوف نهتم بعد ذلك بالتفسيرات المختلفة التي قدمها العلماء لتلك التغيرات [1].

إن المغاربة لم يعاودوا الإسلام في أول الأمر ، ولم يقاوموه تلك المقاومة العنيفة ، إلا لجهلهم بحقيقته ، وعدم إحاطة علمهم بمحاسنه و مزاياه ، و قد فطن لذلك الولاة العرب بعد حين ، فرتبّوا لهم الفقهاء و القرّاء يلقنّونهم العربية و يبصّرونهم بالدين ، فلما اكتنهوا كنهه ، وعرفوا حقيقته ، وتمرّسوا بتعاليمه السامية و آدابه العالية ، أصبحوا من اكبر دعاته و أحمى أنصاره ، فجاهدوا في سبيله الجهاد الأكبر ، وبذلوا النفس و النفيس لإبلاغ دعوته إلى أقاصي البلاد ، فهم الذين فتحوا الأندلس وسهّلوا طريقها للعرب ، ومازالوا بعد ذلك حاميتها و ذادتها إلى آخر العهد بها ، وهم الذين اقتحموا مجاهل افريقية ، و حملوا الهداية الإسلامية و الثقافة العربية إلى السّوادين كما هو معلوم [2] دخلت في الإسلام حرص كثير من أبنائها على تعلم لغة الفاتحين ، واتخاذها أداة التفكير و التعبير تزلفا للعرب .. من ذلك نشأ اللحن ، نشأ من العرب أنفسهم ، و نشأ من الموالى الذين يقيمون بين العرب وذلك هو سر وضع النحو ، ومبعث الإقبال على تعلمه من العرب و الموالي معا أراد العرب منه أن يصون ألسنتهم من الزلل و اللحن المعيب ، أرادوا منه دفع مضار واتقاء مزالق : وقصد به الموالى وضع أصول تحلل لهم تراكيب اللغة ، وتربي فيهم ملكة الإبانة ، وتهوّن عليهم ضبط أواخر الكلمات [3] نتيجة طبيعية أن يستعرب المغاربة بعد إسلامهم ، و يتعلموا لغة التنزيل الذي هو دستور الإسلام و أقنومه ، والمصدر الأول لجميع أحكامه و تعاليمه ، فإنما بالعربية نفهم أصوله و فروعه ، وتقرّر شرائعه وأحكامه ، على انه إذا كان الإسلام ، دين الفطرة و الخلق القويم ، مستعدّا بذاته للانتشار ، فكذلك هذه الفصحى ، لغة البيان و الشعر ، تمتلك برقّتها القلوب ، وتستلب العقول ، وأحر بالشعب الذي دخلاه معا ن فرحّب بهما و أحسن اقتبالهما ، أن يشهد التطور العتيد ، والفتح الجديد في مزاجه و عقليّته وحياته العامة .

ولقد سارت العربية في المغرب أول الأمر بسير الإسلام ، مترسمة خطاه متتبعة أثاره ، حتى أنها لو كانت بقيت من ذلك الوقت تنمو و تثمر ، لكانت الآداب العربية قد أتت أكلها من ذلك الوقت أيضا ، ولكن عوائق كثيرة حالت دون سيرها المطّرد ، وتقدّمها المستمر ، فتأخرت بذلك النهضة الأدبية في المغرب ، وتقدمت في الأندلس ، التي فتحت بعده ، حيث لم تجد في طريقها شيئا من تلك العراقيل .

---

[1] كيس فرستيغ ، المرجع السابق، ص 101، انظر: جورج مارسي هو أحسن مثال على ذلك عندما جاء بمقولته المشهورة " أن الأسلمة كانت أسرع من التعريب" علاوة عمارة ، مغرب أوسطيات دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط، ط،الجزائر، 2013م ، ص 9- 10.

[2] عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 41.

[3] طه أحمد إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 67 .

و أول ما بدأ نشاط هذه الحركة ، في أيام حسّان بن النعمان الغسّانيّ ، أحد ولاة افريقية من قبل عبد الملك بن مروان ، فانه كان من الممهدين السبيل لتقدم الثقافة العربية و استقرار الحضارة الإسلامية بالمغرب ، فدوّن الدواوين ، ورسّم اللغة العربية ، أي جعلها لغة الدولة الرسمية ، فأوجب بذلك تعلّمها على السكان ، المسلمين و غير المسلمين ، ثم بعد ذلك أنزل عمر بن عبد العزيز بافريقية و المغرب عشرة من الفقهاء يعلمون الناس القران و يفقّهونهم في الدين ، كذلك فعل موسى بن نصير ، فرتّب عددا من الفقهاء والقراء للغرض نفسه ، وهذه كلها محاولات كان لها نتيجتها الطيّبة و أثرها المحمود في سرعة استعراب المغاربة ، وطبعهم بالطابع العربي الصميم ، كما شوهد ذلك يوم فتح الأندلس ، حيث خطب طارق بن زياد وهو مولّى مغربيّ لموسى بن نصير ، خطبته المشهورة في جيشه الذي أناف على اثني عشر ألف جندي ، فيهم ثلاثمائة فقط على أكثر تقدير من العرب ، ففهمها الجيش كله ، وأثرت فيه تأثيرها البليغ المشهود في اندفاعه إلى حومة الوغى ، وتهافته على الموت بإيمان و حماس ، فكيف يفسّر هذا بغير سرعة انتشار العربية ، كالسرعة التي انتشر بها الإسلام ؟ أما و الأمر هكذا ، فما الذي قضى عليها بعد ذلك ، وأوقف سيرها الأمد بعيد جدا ؟ هنا مظلّة الإفهام ، و مزلة الأقلام [1]

كيف نعلل تلك السهولة و السرعة التي تمت بها الفتوحات الإسلامية الأولى على يد صغير من الفاتحين ؟ [2]

ثانيا : الدواوين و العمال

هذا النظام الجديد يذكرنا إلى حد ما بالتنظيم في العهد الروماني وهو تقسيم البلاد إلى ثلاث مناطق كبيرة ، ولاية افريقية و (Numidie) ثم المغرب الأوسط (موريتانيا القيصرية) ثم المغرب الأقصى (موريتانيا الطنجية) هذا التوزيع كان يسبق توزيع القرن (8/7هـ، 14/13م) وهو توزيع شمال إفريقيا بين ملك تونس و ملك تلمسان وملك فاس ، والى حد ما ، منطقة شمال إفريقيا الفرنسي ، و بتعبير أدق كانت الدولتان الحديثتان الموجودتان في طرفي البلاد محددة ومتماسكة وهما مملكة الأغالبة التي تشمل تونس الحالية والجزء الأكبر من ولاية قسطنطينية و المملكة الادريسية التي تشمل المغرب من المحيط الأطلسي حتى وادي ملوية ، أما المنطقة التي تمتد بينهما فكانت مفتتة ، كانت تشبه الفسيفساء ذات العناصر المتشابكة و الغير محددة المعالم لنا ، كانت تتكون من قبائل مستقلة أو خاضعة لرؤساء محليين ينتمون للمذهب السني أو الخارجي ، و أهم بلاد المغرب الأوسط تعد مملكة تاهرت الممتدة وسط بلاد البربر و كانت ذات طابع واضح و ازدهار و اسع ، هذه الممالك الثلاث كانت تكون لوحة ثلاثية للقوى الإسلامية ببلاد المغرب ، برغم الخصومة و التنافس بين هذه الممالك الثلاث إلا أنها تتشابه ، فبينها عدة ملامح مشتركة تسمح لها بمزاولة أحداث متقاربة في شمال إفريقيا [3]

---

[1] عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص42 ، أيضا : عبد العزيز الدوري- غيداء خزنة كاتبي ، الفتح و الأرض في الأندلس ، (د ط) ، الأردن ، (د س ط)، ص 40، أيضا: هشام جعيط ، تأسيس الغرب الإسلامي (1-2/7- 8م)، ط2، دار الطليعة ، بيروت ، 2008م، ص 12- 13.

[2] موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 12، أيضا : محمد أرزقي فراد ، المرجع السابق ، ص 31- 32.

[3] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 63 .

و مهما تكن النزعات الاديولوجية أو الاتجاهات السياسية في الإسلام فقد انتشر هذا الدين و انتصر في بلاد المغرب في القرن الثامن و اكتسب الفتح العربي دواما و تواصلا ميزاه عن الغزو البونيقي أو الغزو الروماني الذين سبقاه ، و بدأت تقوم شيئا فشيئا حضارة جديدة لغتها العربية و منطلقها الدين في افريقية [1] و جد العرب – المسلمون – أيام الفتح جماعات من يهود في افريقية [2]

ثالثا : القضاء و الولاة

إن الفتح الإسلامي "للمغرب " تعطل عدة مرات ، وطالت مدته ، وصعبت مهمة الفاتحين " للمسلمين" حيث مكثوا سبعين سنة في محاولات دائبة ، ومستمرة للفتح من (20هـ/641م إلى 90هـ/711م) [3].

شرع "المسلمون " في فتح بلاد "المغرب " منذ سنة (20هـ /641م) ، في ولاية " عمر بن العاص " على مصر , وذلك استكمالا لفتحها ، لأنه فتح " برقة " و" طرابلس " ، تأمين لحدود مصر الغربية ، التي تبقى مهددة من هذين الإقليمين ، اللذين كانتا تحت النفوذ البيزنطي ، من جهة ومتابعة لسياسة الفتح ، ونشر الدعوة الإسلامية نحو الغرب ، من جهة أخرى .. و قد كان عمر ابن العاص راغبا في مواصلة الفتح نحو افريقية ، ولما لاحظ صعوبة فتحها ، بسبب إجراءات حاكمها الدفاعية ، كتب إلى الخليفة " عمر بن الخطاب " يستأذنه في الفتح ، وطالبا في الوقت نفسه الإمدادات العسكرية لذلك الغرض ، ولكن الخليفة الذي كان على علم بالأحوال السياسية السائدة في بلاد المغرب ، وما يكتنفها من فوضى و اضطرابات ، اثر أن يقف المسلمون عند ذلك الحد من الفتوحات ، فاضطر ابن العاص عندئذ للرجوع إلى مصر ، بعد إن أقام قائده عقبة مرابطا في البلاد المفتوحة ، يدعو للإسلام ، وحيث نجح في كسب الكثير من أهالي " لواتة " و" نفوسة" و" نفزاوة "، فدخلوا الإسلام [4]

تمّ فتح العرب للمغرب في عهد يزيد بن معاوية سنة(62هـ/681م) على يد عقبة ابن نافع ، ففتحت طنجة أوّلا ثم سارت الجيوش العربية في بلاد البربر من بلد إلى بلد حتى بلغت المحيط الأطلنطّي، فانتشر الإسلام في جميع الأصقاع المغربيّة ، ولما توفي عقبة بن نافع انتشرت الفوضى البلاد ، وعمّت الفتن إلى أن كان عهد الوليد بن عبد الملك ،فقدم موسى بن نصير سنة(87هـ / 705م) واليا على أفريقية ، وقبض على

---

[1] محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس ، ط 3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993م ، ص 41 .

[2] جميل حمداوي ، الديانة عند الامازيغيين ، (د ط) ، (د س ط) ، ص 7. انظر : www. al uacah . net .

[3] عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص 9 ، أيضا : فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي ، التفسير الفقهي في القيروان حتى القرن الخامس الهجري ، ط ، الرياض ، (1415هـ / 1997م) ، ص13- 14.

[4] عبد العزيز شهبي ، المرجع نفسه ، ص 13 .

يد الأمور بيد من حديد ورفع لواء النظام ، ولما استتبّ له الأمر فكّر في فتح الأندلس[1] ولكن المؤسس الحقيقي للحكم العربي في افريقية الشمالية هو عقبة بن نافع ، ابن خالة عمرو فاتح مصر [2] .

ربما يكون ما ذكرناه من الأسباب حدثت قريبا من زمن الفتح ،فظن البعض أنها هي التي حملت المسلمين على فتح الأندلس، لكن الحقيقة أن الفتح كان أمرا طبيعيا يتماشى مع حقيقة الدعوة الإسلامية ،والذي لا شك أن العرب جاءوا إلى إسبانيا بنية الفتح لا بنية إمداد غيرهم ، ولعل أصدق مثال على ذلك تلك الحملة البحرية التي أرسلها "أبوا المهاجر دينار" سنة(56هـ/675م) لغزوة شواطئ إسبانيا، لكن تصدى لها القوط[3].

ستجد بدون شك عند الطلائع العسكرية الأولى الإخلاص في انتصار الإيمان إن لم يكن التعطش للاستشهاد ، فشخصية عقبة – المحاطة بهالة من الأساطير – ستبقى على الدوام أهم ممثل للإسلام [4] .

إن نوائب المغرب الإسلامي ، هي التي أدت إلى مولده في شمال إفريقيا [5] ويليه زهير بن قيس الذي يتصف بحماسة الحربي وتقشفه فقد رفض الإقامة في بلاد البربر بعد أن أعاد الوضع المتهدم فيها قائلا : " إني ما قدمت إلا على الجهاد وأخاف أن تميل بي الدنيا فأهلك " ، ولكن هذه الصفات نادرة عند العرب المنتصرين ، فقراءة التاريخ تجعلنا نحس أن المتع الدنيوية تسيطر على الكثيرين أكثر من الرغبة في الاستشهاد و البعث بعد الموت " و أسيافهم على أعناقهم " فالمغرب يبدو للمستشرقين أرض غنيمة أكثر منه أرض جهاد ، وعن الموارد التي حصلوا عليها و التي عددها الإخباريون بمحاباة ، ومن البديهي أن تبدى تحفظها أو بالأحرى اعتبار هذه الأرقام مبالغ فيها نتيجة للخيال المشرقي وسراب الماضي و الرغبة في تعظيم المزايا التي أحرزها الإسلام .

بحساب المبالغات نستطيع التسليم بأن بلاد البربر كانت – بالنسبة للعرب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم وكذلك ثلاث قرون سابقة بالنسبة للوندال (vandales) و أربعة قرون لاحقة بالنسبة للرحل الهلالين – كانت بلاد البربر أرض الميعاد ، أرض غنية مثل التي غزوها من قبل أن لم تكن أكثر ، فهي بلاد الحياة السهلة [6]

---

(1) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 993 ، أيضا : عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 37- 38 ،كذلك : عبد المنعم خفاجي – عبد العزيز شرف ، المرجع السابق ، ص 43- 44.

(2) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ط5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1973م ، ص 127.

(3) ابن الأثير عز الدين ، الكامل في التاريخ ، ج4 ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1967 م ، ص112 ، أيضا : إبراهيم علي طرخان ، المسلمون في أوربا في العصور الوسطى ، (د ط) ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، 1966 م ، ص126.

(4) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 63 .

(5) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 341 .

(6) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 25 ، أيضا: هاشم العلوي القاسمي ، مجتمع المغرب الأقصى، ج1،(د ط) ، المغرب ، (1415هـ/1995م) ، ص350 ، أيضا : بسام العسلي ، فنّ الحرب الإسلامي ، المجلد 2 ، دار الفكر ، (1408هـ/1988م) ، بيروت – لبنان ، ص 155.

و سوف تستخدم افريقية كقاعدة لعمليات ما و راء البحار ابتداء من (46هـ/ 666م) و هو العام الذي يلي الاستيلاء على قلعة جلولاء البيزنطية ، وكان معاوية بن حديج قد أرسل إلى الجزيرة مائتي سفينة و عند عودتها كانت محملة " أصناما من الذهب و فضة مكللة بجوهر المحتمل أنها أخذت من كنوز كنائسها ، و في (49هـ / 669م) خرجت حملة نظمها " سيدي عقبة بالاتفاق مع المصريين " ، الذي أدى تعاونهم مع حسان ابن النّعمان إلى إنشاء دار الصناعة السفن بتونس [1]

يعتبر عقبة بن نافع الفهري من اكبر التابعين و أفاضلهم [2] وستكون الحملة التالية بقيادة عقبة بن نافع ذات طابع متغير عما سبقها من حملات ، وقد أدارها بأسلوب و أهداف أوسع من سابقتها ، وكان الوقت مناسبا لان قتل قسطنطين الثاني و انشغال خليفته قسطنطين بوجونا (pogonat) بمحاربة مغتصب في صقلية معتمدا على كل القوات البيزنطية مما جعله يترك افريقية خالية من القوات ، من المؤكد أن عقبة لم يقابل في طريقه إلى بلاد الجريد وفزان بيزاسنيا (Byzacene) إذن لا صدام جيوش و لا حصار مدن ، بل استسلام القلاع الخالية من الحماية ، فكان النهب و تدمير الممتلكات و ذبح أو استعباد السكان الذين يرفضون اعتناق الإسلام هذا الانتصار كان انتصارا سهلا على بلاد البربر المسيحي في معظمه و الغير مستعد للمقاومة ، و لتثبيت هذا الغزو الحربي و تسهيل انتشاره مستقبلا أنشأ سيدي عقبة مدينة القيروان سنة (50هـ/ 670م) [3] و يهمنا أن نلاحظ ، أن نتائج قيام قاعدة القيروان ، كانت باهرة ، فقد أقبل كثير من الأمازيغ على اعتناق الإسلام ، وجاوروا القاعدة الجديدة ، واطمأنت نفوس المسلمين ، وقويت روحهم المعنوية ، واتسعت مناطق نفوذهم [4] و قد كسب الإسلام و العروبة بجهود عقبة مكسبا كبيرا ..وقد كان لذلك أعمق الأثر في فتح برقة ، إذ لم يكن فتحا حربيا فحسب ، بل كان فتحا دينيا ، انتقل سكان

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 73، صالح معيوف مفتاح، جبل نفوسة و علاقته بالدولة الرستمية(2-3هـ/8-9م)، (دط)، 2006م،ص17.

(2) عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ص105، كذلك : عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، (د ط)، مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ، 2008م ، ص 33 .

(3) فدار بهم حول مدينة القيروان و هو يدعو لها و يقول : يارب املأها فقها و علما و أعمرها بالمطيعين و العابدين و اجعلها عزا لدينك و ذلا لمن كفر بك و أعز بها الإسلام و أصلح بها المغرب و امنعها عن جبابرة الأرض ، انظر : أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق ، تاريخ افريقية و المغرب ، تحقيق : عبد الله العلي الزيدان – عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي ، مطابع الشروق ، ط1 ، بيروت – لبنان ، (1410هـ / 1990م) ، ص 8 ، أيضا : مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، المجلد 1 ، (د ط) ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، (د س ط) ، ص 13، أيضا : جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 73، عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 121 ، أيضا: أحمد الزاهد ، المرجع السابق ، ص 13 ، كذلك: محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 26 ، كذلك: سعدون عباس ، المرجع السابق ، ق1، ص 28 ، مراد الرماح ، أعلام و معالم ، (د ط) ، مطابع الموحدة ،1997م ،ص 168.

(4) موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 34 .

هذا الإقليم على أثره إلى الإسلام و العروبة [1] و قد كان الجيش الذي دخل افريقية ، عربيا ليس فيه عنصر الموالي ، وكان قبليا ، و قيادته قبلية ، ويكفينا أن نستعرض أسماء بعض القبائل ، و عدد أفرادها الذين اشتركوا في حملة ابن أبي سرح لنؤكد معنى التوزيع القبلي [2].

و في (51هـ/671م) أو (52هـ/672م) " التسلسل الزمني لكل هذه الفترة غير مؤكد " تولى حكم مصر حاكم مصر يدعى مسلمة وكان والي افريقية يتبع هذا الحاكم ، فقام مسلمة باستبدال عقبة برجل من أتباعه هو أبو المهاجر من الموالي ويقول ابن أبي دينار:" أن هذا الحاكم الجديد تصرف في كل شيء على نقيض ما قام به عقبة ".

يبدو أن والي مسلمة حاول مع البربر سياسة رفاق لم تكن من طباع سلفه المتحمس فبعد أن هزم كسيلة حاكم قبيلة أوربة ، اعتنق هذا الحاكم الإسلام و أصبح حليفه و صديقه ، كان هذا النصر بالقرب من مدينة تلمسان (نلاحظ أن العرب لم يتقدموا أبعد من ذلك) [3] و لنا أن نؤكد أن مدينة سيدي عقبة التي شيدت لهدف استراتيجي و ديني أصبحت فوق ذلك مدينة تجارية كبرى [4] ومن بين العناصر المختلفة لسكان القيروان كان العلماء و الفقهاء و أتباعهم المتدينين [5] ومن الناحية لا يختلف السني القيرواني عن خارجي تاهرت ، والقيروان معروفة بالرخاء .. هذا الشخص كان يحذر أخته من ترك حياة الترف في القيروان حتى لا تقاسمه الحياة الشاقة في المدينة المقدسة ، على كل ليست القيروان بالمكان الوحيد للحياة الحضرية السهلة فافريقية ولاية قديمة و بها المدن العديدة و يبدو أن الحضارة الإسلامية كانت سببا في إنشاء مدن أخرى جديدة أو في تطوير المدن القديمة الراكدة [6]سأل رجل عائدا من المشرق مجموعة من الشباب قائلا : " عن أي شيء يتحدث اليوم سكان القيروان[7] ؟ " فرد عليه الشباب قائلين :" أنهم يتحدثون عن الله وصفاته " ، ويعتبر القرن (3هـ/9م) بلا شك فترة تفاعل ديني شديد في بلاد البربر كلها و خاصة في القيروان كما أن المسائل الفقهية كانت تشغل الأذهان ، وكان هذا قدر القيروان التي أنشأها سيدي عقبة

---

[1] عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 106 ، أيضا : عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 17–18 ، أيضا : حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 38– 39 ، أيضا : سعدون عباس نصر الله ، المرجع السابق ، ص 27 .

[2] موسى لقبال ، المرجع نفسه ، ص 136، نجوى عثمان ، مساجد القيروان ، مطبعة دار عكرمة ، ط ، سوريا ، 2000م ، ص13.

[3] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 35 ، أيضا : عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 20 .

[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 97.

[5] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 98.

[6] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 99.

[7] أبي عبيد البكري (ت 487هـ/ 1094م) ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب (جزء من كتاب المسالك و الممالك) ،(د ط) ، مكتبة المثنى ، بغداد ، (د س ط) ، ص 22– 23 ، أنظر: حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 39. (د ط)

لغرس الإسلام و العمل على ازدهاره ، فالدراسة و الوصول " للحق " هذا أفضل الأعمال الدينية التي يقوم بها الفرد [1].

1- **الحملة الأولى** (50-55هـ/670-674م): يحكي النويري عن الحملة الإسلامية الأولى (العبادلة) [2] إلى بلاد البربر و يروي ما قاله أحد ممثليها قائلا : بعد الاستعدادات اللازمة اتجهنا نحو جيش جرجير ومضت عدة أيام في التفاوض ، ودعوته لاعتناق الإسلام ولكنه رفض بكل غرور ، فعرضنا عليه دفع الخرج السنوي ولكنه رد قائلا : لو سألتموني درهما واحدا لم أفعل " فأخذنا العدة لمحاربته ، بالطبع نحن نجهل إذا كانت الأمور قد سارت على هذا النحو و لكن الحوار شبه رسمي لان تلاحم الجيوش يسبقه دائما نداء للكافر لاعتناق الإسلام [3] ومن بينهم ظهر كبار الفقهاء و العلماء أمثال بهلول بن راشد و عبد الرحمان بن حبيب الفهري و أسد بن الفرات و حبيب بن سعيد و أخيه سحنون و غيرهم ، ومع تخطيط عقبة بن نافع الفهري لمدينة القيروان (50- 55هـ / 670- 675م) بدأت حركة التعرب بانتشار الإسلام و اللغة العربية و علوم الفقه و الحديث ، حيث نفر من البربر الإسلام ، وقد ذكر ابن خلدون أسماء القبائل البربرية التي اشتركت في بناء القيروان و اعتنقت الدين الإسلامي و هي لواتة ونفوسة و نفزاوة [4] .

2- **الحملة الثانية (60-64هـ/ 680-684م)** : بعد عودة عقبة إلى الولاية للمرة الثانية سيدفعه انتصاره أبعد من ذلك ، فطاف كل شمال إفريقيا عابرا المغرب من منطقة طنجة [5]حتى وادي سوس ، ويقال عنه أنه دخل بجواده عبر الأمواج البحر الأطلسي نادما لعدم استطاعته " توصيل الحق " أبعد ذلك ، بعد العودة من هذه الجولة التي حصل منها على غنائم وعبيد واجه هجوم كسيلة بقبيلته القيروان بعد انتصاره على البطل الإسلامي ويبقى حاكما لها من (62 هـ/ 683م) إلى (67 هـ/ 686م) ، نحن نحاول تحديد المراحل الرئيسية لتاريخ هذا الانتصار المتقطع و الغير مؤكد و المملوء بالأساطير لان الثلاث سنوات التي حكم ف يها رئيس بربري لأول مدينة عربية في المغرب تعتبر هذه السنوات فترة مشوقة من المفيد تحديد معالمها .

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 101 ، كذلك : عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 110 ، أيضا : عبد المنعم خفاجي – عبد العزيز شرف ، المرجع السابق ، ص 12، أيضا : نصر سلمان ، من أعلام المذهب المالكي ، ط ، دار ابن حزم ، (1432هـ/2011م) ، ص9.

(2) محمود شيت خطاب ، المرجع السابق ، ص 85 ، انظر : عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 187- 188.

(3) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 43 ، أيضا : عبد المنعم خفاجي – عبد العزيز شرف ، المرجع السابق ، ص 108- 109.

(4) الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 20 ، انظر : مرمول كربخال ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص 97 ، انظر: موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 129، الحبيب الجناحي، المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، مطابع السياسة، عالم المعرفة ، الكويت ، 2005م ،ص112.

(5) أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق ، المصدر السابق ، ص 14 ، أيضا : عبد المنعم خفاجي – عبد العزيز شرف ، المرجع نفسه ، ص 109.

منذ ظهور سيدي عقبة للمرة الأولى في البلاد لم يلاقى المسلمون إلا البربر و كان البيزنطيين خارج الموضوع ومع ذلك فهم ليسوا غائبون تماما ، المؤرخون يعطون للروم دورا قاطعا في صعود كسيلة ، فأثناء ملازمته أسيرا لجيش عقبة و هو يجوب المغرب كان كسيلة على اتصال بالروم و خاصة الروم المتمركزين في القلاع القريبة للولاية و على مشارف الصحراء في بادس و تهودة ، وكان عقبة على رأس جيش ضعيف ، فبعثوا رسولا لكسيلة الذي هرب و بدأ يحث البربر على الثورة ، فانهزم جيش عقبة بسبب الجهد المشترك للجنود البيزنطيين و رجال القبائل ، و يدخل كسيلة القيروان منتصرا [1] على رأس العديد من البيزنطيين و البربر ، وسيحكم البربر و العرب و حق الاحتفاظ بدينهم ، وليس من الواضح أن يكون قد أرتد هو نفسه عن الإسلام نحن نجهل طبيعة الصلة التي ربطته مع البيزنطيين الذين ساعدوه على النصر ، هل هو حسن الجوار ؟ هل هو اتحاد أم تبعية ؟ و من المؤكد هنا هو أن الولاية التي أنشأها المسلمون رأت آخر أجمل أيامها على يد حاكم وطني ، هذا و ضع مفارق أن يحكم رئيس وطني مملكة عربية – بربرية ، أما في المشرق فقد هزم قسطنطين الرابع الجيوش الإسلامية و اجبر الخليفة الأموي على دفع فدية سنوية من النقود و العبيد و الخيل ، و حامياته في افريقية لا تزال تحتفظ بأماكنها على الشاطئ من سوسة إلى بونة شك تحتفظ أيضا بقلاع في الداخل [2] صحيح أن الأسلمة واعتماد لغة الضاد أداة تواصل ومن ثم المزاوجة بين الإرث الحضاري للبربر و الفاتحين لم تكن حدثا تاريخيا سهل الوقوع وهي الحقيقة التي أكدتها صعوبة الفتح: سياسيا و عسكريا [3]

ثالثا : **أبي المهاجر الدينار(55-60هـ/670-674م)** [4]: كان أبو المهاجر من أقام في افريقية الشتاء و الصيف واتخذها منزلا ، وكان الناس قبل أبي المهاجر يغزون افريقية ثم يعودون منها إلى الفسطاط وينطوي عمل أبو المهاجر على مغزى عظيم و هو أن افريقية أصبحت مقرا يقيم به المسلمون يطمئنون فيه دون أن يعودوا إلى مصر بعد كل غزوة ، أي أنها أصبحت رغم تبعيتها لمصر ولاية إسلامية مستقلة الشخصية بعض الشيء ، وهذه الخطوة الأولى نحو ظهور ولاية افريقية إسلامية [5] وواصل أبو المهاجر سياسة عقبة في نشر الإسلام وتعريب البربر ، وحسبه اكتساب كسيلة و قومه إلى الإسلام و اتخاذه حليفا ، كما صالح عجم

---

[1] أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق ، المصدر السابق ، ص 14 ، أيضا: أحمد الزاهد ، المرجع السابق ، ص 48- 49 ، عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 192، انظر: شهبي عبد العزيز ، مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ ، جامعة الجزائر ، دكتوراه الحلقة الثالثة ، 1984 م ، ص 13.

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 37 ، انظر: عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص 17 .

[3] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 98 .

[4] خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج3 ، ط15، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، 2006م ، ص6 .

[5] عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 65 ، انظر : حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 41 ، محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 27 ، كذلك : محمود شيت خطاب ، المرجع السابق ، ص 100 .

افريقية و أدخلهم حظيرة الإسلام و العروبة [1] ويعتبر بذلك أول أمراء إفريقيا الذي وصل إلى المغرب الأوسط [2] وعند تهودة دار اللقاء الحاسم بين المسلمين و الروم و البربر ، واشتد القتال وطلب عقبة من أبي المهاجر أن يفك أسره من الحديد ليلحق بالقيروان و يقم بأمر المسلمين فرفض أبو المهاجر حبا في طلب الشهادة ، وتمثل بقول أبي محجن الثقفي :

كفى حزنا أن تقرع الخيل بالقنا و اترك مشدودا على وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد و أغلقت مصارع أبواب تصم المناديا

وكسر عقبة والمسلمون أجفان سيوفهم واشتبكوا مع البربر فقتل المسلمون جميعهم [3]

رابعا: **زهير ابن قيس البلوي** [4]: في سنة (67هـ/ 686م) جاءت حملة بقيادة رفيق قديم لعقبة و هو زهير بن قيس للانتقام لموت الشهيد و خرج كسيلة لملاقاتها فكانت المعركة الدموية في ممس حيث هزم و مات القائد البربري ، ولكن زهير الذي جاء للحرب في " سبيل الله " اكتفي بترك حامية في القيروان و أخذ طرق العودة إلى المشرق ، وعندما وصل إلى برقة وجد أن هناك أسطول بيزنطي هائل يقوم بإنزال قوات لسلب البلاد انتهزا ضعف الجيش الإسلامي [5]فشن زهير هجوما راح ضحيته هو كثير من القواد العرب ، وحكى الناجون للخليفة عبد الملك عن هذه الكارثة الجديدة فقام بدوره بالتحري عن قائد قادر على " استتاب الأمن في أفريقية " ولكنه لم يتمكن من إرساله إلى افريقية إلا بعد سبع سنوات إذ كانت عمليات الفتح هناك تتأثر —كما حدث بعد الحملة الأولى — بالقلائل الخطيرة على المسرح المشرقي ، وكان الخليفة في صراع مع منافس أخر للسيطرة على الجزيرة العربية كما كانت العراق في حالة انفصال ، ومصر تهدد أيضا بالثورة .. فبعد إخماد هذا التمرد أرسل الخليفة عبد الملك الأموي حسان بن النّعمان على رأس 40000 رجل إلى أفريقية .

---

[1] محمود إسماعيل عبد الرازق ، المرجع السابق ، 38 ، أيضا : محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 27 .

[2] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 105 ، محمد عيسى الحريري ، المرجع نفسه ، ص 27 .

[3] عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 77.

[4] عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص 21 ، أيضا : عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 194.

[5] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 37 ، أيضا : أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق ، المصدر السابق ، ص 18 ،كذلك : عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع نفسه ، ص 78، كذلك : عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 162- 163 ، أنظر : حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 45- 46 ، أيضا : صالح بن قربة و آخرون ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ، (د ط) ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007 م ، ص 23 - 24 ، أيضا : محمد عيسى الحريري ، المرجع نفسه ، ص 33 .

خامسا: **ولاية حسان بن النّعمان الغساني**[1] (33-85هـ/ 923- 704م) : غضب أشراف المسلمين و سألوا عبد الملك بن مروان أن ينظر إلى كذا افريقية من يسد ثغرها ، و يصلح أمرها ، فقال لهم عبد الملك : ما أعرف أحدا كفؤا لافريقية كحسان بن النّعمان الغساني [2] و يعتبر حسان الفاتح الحقيقي بلاد المغرب ، تولى حكم هذه البلاد بين عامي (78- 86هـ / 697 - 705م) [3]و أصدر أوامره بتحويل الدواوين إلى اللغة العربية ، وبذلك تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية الوحيدة في جميع الدواوين فكانت لهذه الخطوة الإصلاحية الجريئة نتائج عظيمة بعيدة المدى ظهرت آثارها واضحة في جميع ولايات الدولة الإسلامية ومن بينها ولاية المغرب [4] ولكن رغم ذلك فليس لدينا وثائق مؤكدة تشير إلى نوع اللغة المستعملة في التدوين آنذاك وان كان هذا التنظيم الجديد لولاية المغرب قد واكب مرحلة تعريب الدولة الإسلامية كما مر بنا إلا أننا نستبعد أن تكون انعكاساتها قد وصلت إلى بلاد المغرب في هذا الوقت المبكر ، بدليل إن تعريب النقود المغربية لم يتم إلا سنة 100 هجرية في عهد إسماعيل بن أبي المهاجر ، وقد اتضح كم دراستنا للمسكوكات المغربية في مرحلة الانتقال ، اللغة الرسمية المستعملة في هذه الفترة هي اللغة اللاتينية ، ثم اللاتينية الممزوجة بعبارات عربية ، إلى أن عربت تعريبا كاملا ، وأصبحت تحمل طابع الدولة الإسلامية [5] و قد دخل في عهد حسان بن النّعمان — واضع أسس النظم الإدارية في بلاد المغرب — عدد كبير من البربر في الإسلام على الرغم من أن هذه الفترة كانت فترة حروب الفتح و المعارك الطاحنة بين البربر و العرب الفاتحين ، قتل فيها من القواد عقبة بن نافع وابن أبي المهاجر و زهير بن قيس إلا أن بعض القبائل البربرة دخلت الإسلام مثل قبيلة أوربة [6]ومما لاشك فيه فان تعريب الدواوين في الدولة الإسلامية بالمشرق قد شمل ولاية افريقية ، إذ انشغل المسلمون بنواحي التنظيم التي أدخلها حسّان بن النّعمان وتمخض عنها ظهور وظائف إدارية تتولى مختلف الاختصاصات الإدارية كالسجلات و تعيين الموظفين ، ونواب الأقاليم [7] وتم فتح افريقية في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي [8] و بعث العمال إلى سائر الجهات ، كما وزع

---

[1] أبي عبيد البكري (ت 487هـ/ 1094م) ، المصدر السابق ، ص 7– 8 ، أيضا : أحمد الزاهد ، المرجع السابق ، ص 38- 39 ، أيضا : موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 58 ، أيضا : عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص 22 .

[2] أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق ، المصدر السابق ، ص 22 ،كذلك : حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 47-48.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 21.

[4] صالح بن قربة و آخرون ، المرجع السابق ، ص 75- 76 .

[5] صالح بن قربة و آخرون ، المرجع نفسه ، ص 77 .

[6] الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 21 .

[7] صالح بن قربة و آخرون ، المرجع نفسه ، ص 77 .

[8] موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 96.

الفقهاء ينشرون الإسلام و اللغة العربية بين البربر [1] و في سنة اثنين و ثمانين ترك حسان بن النّعمان / 74هـ- 85هـ / 693- 704م ثلاثة عشر رجلا من العلماء التابعين يعلمونهم القران و شرائع الدين في الأماكن التي تقدم فيها في الفتح ، ضف إلى ذلك تعريبه للدواوين زاد في نشر اللغة العربية [2]

و لما كان حسان بن النعمان يخشى مفاجأة البيزنطيين لافريقية من جهة البحر ، قام بتأسيس مدينة تونس لتشرف على مدخل قرطاجة ، وأنشأ فيها دارا لصناعة السفن ، فصارت قاعدة بحرية للأسطول الإسلامي ، وعمرت مدينة تونس حتى صارت من أعظم ثغور افريقية ، وعند ما فرغ حسان من استرجاع المغرب وجه عنايته لتنظيم البلاد إداريا ، على نحو ما فعله الفاتحون في مصر و الشام فدوّن الدواوين ، و نظم الخراج ، وبعث العمال على سائر الولاية ، و عمل على نشر الإسلام بين البربر اذ وزّع الفقهاء على سائر أنحاء البلاد لتعليمهم قواعد الدين ، ونشر اللغة العربية ، فأقبلت جموع البربر على الإسلام ، وأخلصوا له ، وتولى زعماؤهم مناصب كبرى في الولاية ، وهكذا تم لحسان بن النعمان ، الفتح النهائي للمغرب حربيا و معنويا [3] قام حسان بن النّعمان [4] سمحت له و بدون عناء من إخضاع جميع القواعد شمال ولاية أفريقية فقد قامت معركة أمام قرطاج و دخلها العرب منتصرين في سنة (76هـ/ 695م) ، وتوج هذا النصر المجهود الذي بذل منذ 38 عاما مضت في (27هـ / 647م) ، ولكن كان هناك البربر الذين يجب إخضاعهم أيضا ، فقد كانوا قد التفوا بعد موت كسيلة [5] حول امرأة زعيمة قبيلة أوربة و أصبحت هذه القبيلة مركز جذب للقبائل المقاومة ، وفي جبال الاوراس التي كانت رابضة كالقلعة ..و عما قيل عن الكاهنة ملكة أوربة [6] ، من المؤكد أن الخيال الشعبي أثرى قضيتها بمسلسل من الأساطير و لكن لا يجب رفض كل ما قيل عنها ، فليس فريدا عنه البربر أن نرى امرأة تحكم قبيلة ، وانتماؤها و ذويها للديانة اليهودية رغم أنا مشكوك فيه

---

(1) محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 38 .

(2) سامية مقري ، التعليم عند الاباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة (296- 409 هـ/ 909 – 1018م) ، مذكرة شهادة الماجستير ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، (1426- 1427هـ / 2005- 2006م) ، ص 16.

(3) عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص 22 .

(4) عبد العزيز شهبي ، المرجع نفسه، ص 22 ، أيضا : عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 194- 195.

(5) هناك من يرى بأنه يوجد إمارة لا يشار لها وهي إمارة كسيلة في القيروان بحيث أن معظم أو جميع نصوص لا تتحدث بعد مقتل عقبة بن نافع على أنّ كسيلة قد ارتد على الإسلام بالعكس عامل المسلمين معاملة حسنة و ظلت المساجد مملوءة وظل الأذان مسموع وكانت إمارة إسلامية لمدة 5 سنوات معناه ما يمكن اعتبارها أقدم إمارة في المغرب ، أنظر : www.agadir.ownO.com ، أيضا : محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 35 ، أيضا : احمد توفيق المدني ، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، (د ط) ، المطبعة العربية ، الجزائر ، (د س ط) ، ص 56-57.

(6) قالت : كيف أرحل و أفر و أنا ملكة ، و الملوك لا تفر من الموت ، انظر : أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق ، المصدر السابق ، ص 23 – 26 – 32 ، أيضا : جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 37 – 38 ، كذلك : عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 46 ، أيضا : عبد المنعم خفاجي – عبد العزيز شرف ، المرجع السابق ، ص 115- 116 ، أيضا : عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 24 ، كذلك : حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 49.

يؤيده ابن خلدون لذلك فهو موضع اعتبار ، أما ما قيل عن أنها كاهنة فهذا أمر مسلم به ، ونستطيع تصديق الكتاب المسلمين عند تسجيل الكارثة التي لحقت بجيش حسان بن النّعمان على مشارف وادي مسكيانة ، فهذه وقفة جديدة للغزو ، ثلاث سنوات للراحة و التمهل ، قام أثنائها أسطول بيزنطي باحتلال قرطاج و تستغل الكاهنة ذلك لاجتياح الريف و تقويض المدن لإحباط الغازي ، هذا التصرف البطولي الذي ضخمته الأساطير كان سببا في سخط البربر[1] وحسان بن النّعمان أول أمير شامي يدخل افريقية أيام الأمويين [2] ثم قام حسان بتوزيع الأراضي على أهل البلاد ونظم الخراج و عرب الدواوين وأقام العمال على نواحي الإدارة و أقبل البربر على الإسلام بعد أن ساوى حسان بينهم و بين العرب في العطاء ، ولهذا اندهش المؤرخون في الغرب على أثر ما حدث في الشمال الإفريقي إلي تحول إلى الإسلام والعروبة حتى البربر الذين أظهروا عنادا يسترعى الانتباه ضد المسلمين سرعان ما اندمجوا في بناء الحضارة الجديدة و أصبحوا مسلمين .

و إلى حسان بن النّعمان يعزى الفضل في المؤاخاة بين البربر و العرب ، فقد جند من البربر أجنادا و عهد إلى ثلاثة عشر فقيها من كبار التابعين بتعليمهم القران و أصول الإسلام و اللغة العربية وخدم هؤلاء في الجيش العربي جنبا إلى جنب مع العرب المسلمين ، ومنذ ذلك الحين اطردت حركة بناء المساجد في سائر أرجاء المغرب ، وأصبحت بمثابة مراكز ثابتة لنشر الإسلام و الحضارة العربية بين البربر [3] فأنجز المهمة بنجاح كبير ، يستحق معه أن يلقب عن جدارة " فاتح المغرب " و قاهر الروم و البربر معا [4] و إذا كانت النصوص في هذه الناحية ضنينة لم تشر إلى اللغة التي استخدمت في دواوين افريقية في بداية الفترة الانتقالية – ولا يستبعد أن تكون العربية خاصة بعد حركة التعريب الشاملة في مصالح الدولة المركزية في دمشق – فان المؤكد بفضل النصوص – أن حسانا استعمل مولاه أبا صالح نائبا في القيروان ، بعد رجوعه إلى المشرق [5] وقد حاول إنشاء حسان بن النّعمان لدار الصناعة في تونس بين الروم وبين افريقية ، فلم يستطيعوا بعد ذلك النزول إلى أراضيها فأمن المسلمون شرّهم ، وأصبح حسان بن النّعمان لا يغزوا أحدا ولا ينازعه أحد ، وبذلك انصرف عن الجهاد الأصغر و هو قتال الأعداء ، إلى الجهاد الأكبر و هو الإصلاح ، فوطد أركان

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 37 – 38 ، أنظر : محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 117–118 .

[2] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع نفسه ، ص 116 ، أيضا : موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 29– 30 .

[3] محمود إسماعيل عبد الرازق ، المرجع السابق ، 38 – 39 .

[4] موسى لقبال ، المرجع نفسه ، ص 57 ، انظر: عبد القادر محداد ، زاد المسافر و غرّة محيا الأدب السافر لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي ، (دط) ، بيروت ، (1358هـ/1939م) ، ص 3– 4 .

[5] موسى لقبال ، المرجع نفسه ، ص 73 .

دولة الإسلام في المغرب و نشر الإسلام في ربوعه ، فأصبح الفتح الإسلامي هناك بحق مستمرا [1] ونعتقد أن حسانا بسلوكه سياسة المساواة بين العرب و البربر ، في الإدارتين المدينة ، و العسكرية ، قد حبب الإسلام إلى نفوس البربر ، وغيرهم ، فاعتنقوه عن اقتناع بسماحته ، وتعلموا أداته المعبرة عنه و حصلوا أصوله ، وانتشرت بينهم العادات و التقاليد العربية ، واللهجات العربية جنبا إلى جنب مع الإسلام ، واللغة العربية الأم ، وتوسعوا في بناء المساجد ، من برقة إلى درعة [2]

وفي أوائل خلافة الوليد بن عبد الملك عام (86هـ/ 704م) عزل حسان بن النّعمان الذي لم يلبث إلا يسيرا حتى توفي ، وولى بدلا منه موسى بن نصير الذي اتبع أسلوب اصطناع البربر فأشركهم في جيشه كما عهد إلى فقهاء المسلمين بتعليمهم قواعد الإسلام [3] و كذلك البيزنطيين الذين كانوا يساعدونهم ، فعاد حسان بقوات جديدة عندما علم بهذا الخلاف ، ففي سنة (79هـ/ 698م) أستعيدت قرطاج و إلى الأبد ، و في سنة (81 هـ/700م) أو سنة (82هـ/ 701م) انسحق البربر في موقعة حاسمة و ماتت الكاهنة موتة بطولية كانت تنبأت بها لنفسها من قبل [4] فسميت بئر الكاهنة ، وكان مقتل الكاهنة [5] بالتأكيد قريب من عام (81هـ/700م) وضع سقوط قرطاج النهاية لتاريخ إفريقيا البيزنطية ، كما أن هزيمة ووفاة الكاهنة نتج عنه اندحار المقاومة البربرية، سنرى في عام (184هـ/800م) قيام سلطة إسلامية مستقلة ابتداء من أسرة الأمراء الأغالبة ، و هكذا أصبح القرن الثامن الميلادي نقلة بين نهاية العصور البطولية للفتح و بين بداية نظام جديد ، بين الأيام الأخيرة لمدينة عظيمة ذات تقاليد قديمة [6] و حل محل " ابن المقاتل " شقيق الخليفة في الرضاعة فقد كلن غير كفء و مكروه لدى القيراويين والجند العربي لرعونته و استبداده [7] كانت الخلافة في أوج عظمتها عند الاعتراف بالوضع الجديد لافريقية ، و يرتبط عهده بعهد الملك شارلمان و لم يكن اتفاق سنة (184هـ/800م) إلا إخلالا بوحدة الإمبراطورية الإسلامية العظيمة

---

[1] فوزرية محمد عبد الحميد نوح ، البحرية الإسلامية في بلاد المغرب في عهد الاغالبة (184-692هـ/ 800- 908م) ، مذكرة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، قسم الدراسات العليا التاريخية و الحضارية ، جامعة أم القرى ،(1404-1405هـ/ 1984-1985م)، مكة المكرمة ، ص 37.

[2] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 12 .

[3] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 121.

[4] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 37 - 38 - 39 ، أيضا : موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 61 .

[5] عبد الرحمان بن عبد الحكم ، فتوح أفريقية و الأندلس ، (د ط) ، دار الكتاب اللبناني ، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع ، بيروت ، 1964م ، ص 64، انظر : عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 196- 197.

[6] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 48 .

[7] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص65 .

[1] ففي سنة (291هـ/903م) عندما علم زيادة الله الثالث – آخر الأغالبة – بتهديد الجيش الشيعي و فكر في تكوين المقاومة

إن سمعة القبائل الهلالية في الأندلس[2] كانت قد شوهتها الروايات المغرضة و المبالغ فيها كثيرا التي أضاعها النازحون عن بلاط بني زيري في القيروان و الأندلس كابن شرف و الحصري و الحلواني ، والتي نجد صداها في التراجم التي عقدها ابن بسام الشنتريني لهؤلاء الأدباء ، وفي الفصل الذي أورده عن قدوم العرب الهلالية إلى افريقية اعتمادا على تلك الروايات المضللة المغرضة التافهة التي تسيء ليس لبني هلال و بني سليم ولكن للعرب [3] انتشرت اللغة العربية في بلاد المغرب ، نتيجة لهجرات القبائل العربية إلى هذه البلاد ، ومما ساعد على انتشارها أنها لغة الدين الجديد كما أن العرب سعوا في جعل اللغة العربية لغة دين وأدب و ثقافة ، والناس كما يقول ابن خلدون تبع السلطان و على دينه ، فسار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام و طاعة العرب و صار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة [4]

المبحث الرابع: فتح الأندلس [5]:

أن أول من دخل الأندلس[6] طارق بن زياد مولى موسي بن نصير في خلافة عبد الملك بن مروان ثم من تعد نفوذه إليها [7] يعتبر الفتح الإسلامي لإسبانيا من أهم أحداث التاريخ الإسلامي والإسباني على

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 66 ، أنظر : عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 96 .

[2] هناك من يرى أن لفظ الأندلس مشتقة من اسم " ألفاندالس" أو " الوندال " وهي من الشعوب التي زحفت من شرقي ألمانيا حتى بلغت مضيق جبل طارق سنة 411 ق.م ، ثم وصلت إلى إفريقيا ، فأطلق أهل إفريقيا والمغرب على إسبانيا التي استقر بها " ألفاندالس" اسم "فانداليسيا " ولما فتحت البلاد عرب المسلمون الاسم وأطلقوا عليها اسم الأندلس ، انظر : أحمد بن محمد المقري التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب ، ج 1، ط ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، (949هـ/ 1542م) ، ص230 ، أيضا : محمّد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عبّاس ، ط 2 ، مطبعة هيدلبرغ ، بيروت ، 1975م ، ص 32 .

[3] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 152.

[4] عصام الجين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 27- 28 .

[5] عبد المنعم خفاجي – عبد العزيز شرف ، المرجع السابق ، ص 133 ، أنظر : حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص263 ،كذلك : خليل إبراهيم السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس ، ط ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ليبيا ، 2000م ، ص 11 ،كذلك : عبد المجيد النعنعي ، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس (التاريخ السياسي) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د س ط) ، ص13، انظر : محمد كرد علي ، غابر الأندلس و حاضرها ،(د ط) ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، جمهورية مصر العربية ، 2012م ، ص 17 ، أيضا : عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص 9 ،كذلك : عبد الكريم الفيلالي ، المرجع السابق ، ج1، ص 395- 396 ،كذلك : عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 205.

[6] الأندلس في آخر الإقليم الرابع من المغرب و هي بقعة كريمة طيّبة ، انظر : أبو محمد الرّشاطي (ت 543هـ/ 1147م)، ابن الخرّاط الاشبيلي (ت 581هـ/ 1187م) ، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار ، تحقيق : ايميليو مولينا و خاثينتو بوسك بيلا ،(د ط) ، المجلس الأعلى للأبحاث – معهد التعاون مع العالم العربي ، مدريد ، (1492هـ / 1992 م) ، ص 19.

[7] إسماعيل بن إبراهيم بن أمير المؤمنين ، تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط من خلال مخطوط (تاريخ الأندلس) ، تحقيق :
أنور محمود زناتي ، (د ط) ، عين شمس ، ص 10- 11 ،كذلك : عبد العزيز شهبي ، المرجع نفسه ، ص 9 ،كذلك : عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 203- 204 ، عبد الواحد ذنون طه ، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ط، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1988م ، ص 28.

السواء في العصور الوسطى ، بل من أهم أحداث التاريخ العالمي كله الذي ألفت أنظار المؤرخين إليه، فوقفوا عنده وفسروا أحداثه [1] كان شبه الجزيرة الايبيرية [2] قبل الفتح الإسلامي خاضعا لسطان القوط الغربيين ، وهم واحد من شعوب الجرمان المعروفة بالمتبربرين ، الذين اقتحموا بلاد الدولة الرومانية [3] وقبيل الفتح العربي ثار على الملك " و مبا " حاكم قرطبة القوطي ، واسمه "رودريك" ويعرّبه العرب على " لذريق " وخلعه عن العرش وتولى مكانه ، واتبع سياسة ظالمة لأهل البلاد .

واضطهد اليهود فتغيرت قلوب الناس عليه وفكروا في القيام ضد حكمه ، ووجدوا أن خير ما يعينهم على ذلك هو الاستعانة بالمسلمين [4] و كتب الوليد بن عبد الملك رحمه الله إلى عبد العزيز بن مروان يأمره أن يوجه إلى افريقية موسى بن نصير[5] من قبل الوليد[6] ، وقطع افريقية عن عبد العزيز ، فقدمها موسى فوجد أكثر مدنها خالية لاختلاف أيدي البربر عليها ، فكان ينقل العجم من الأقاصي إلى الأداني [7] كان الجيش الإسلامي قد تقدم بعد فتح مصر في الشمال الإفريقي فاتحا وناشرا للإسلام و للغة العربية [8] فقد أتم العرب فتح المغرب الأقصى و استولوا على ثغر طنجة و لم يبق لإتمام فتح المغرب سوى ثغر سبتة الذي يقع مقابل طنجة في الطرف الآخر من اللسان المغربي و ظلت منيعة على المسلمين بفضل عناية حاكمها الكونت يوليان الذي استطاع أن يحبط كل محاولة لأخذها ، وكان موسى بن نصير يتوق إلى افتتاح الثغر المنيع وقد تم

---

[1] حسن أحمد محمود ، منى حسن محمود ، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة ، ط ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1999 ، ص39 ، أنظر : عبد الواحد ذنون طه ، الفتح و الاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا و الأندلس ، ط، بيروت – لبنان ، دار المدار الإسلامي ، 2004م ، ص 136.

[2] على مثلث من الأرض يضيق شرقا و يتسع غربا ، أنظر : عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق ، زينهم محمد عزب ،(د ط) ، دار الالفرجاني للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1994م ، ص11 ، كذلك : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، المجلد الأول ،(د ط) ، مكتبة خياط، بيروت ، ص375 ، 376 ، أنظر : صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، تحقيق : حياة بوعلوان ، ط ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1985 م ، ص156 ، 157 ، أيضا : إبراهيم بيضون ، الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1986م ، ص 66، أيضا: شكيب ارسلان ، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ،ج1،ط ، مطبعة الرحمانية ، مصر ، (1355هـ/ 1936م ، ص 31-32 ، أيضا : محمد علي قطب ، مذابح و جرائم محاكمة التفتيش في الأندلس ، (د ط) ، (د س ط) ، ص 17.

[3] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص267 ، أيضا :كارل بروكلمان ، المر جع السابق ، ص 138 ، محمد كرد علي ، المرجع السابق ، ص 21.

[4] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 268 ، انظر كذلك : محمد كرد علي ، المرجع السابق ، ص 21 – 22- 23 .

[5] عندما تولى أمور افريقية موسى بن نصير اللخمي أكمل هو و أولاده فتح المغرب الأوسط و المغرب الأقصى ، أنظر: الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 10 ،كذلك : أحمد الزاهد ، الغزو العربي لشمال إفريقيا بين نبالة النص ودناءة الممارسة ،(د ط) ، تامغناست ، (د س ط) ، ص 44- 45 ، أيضا : موسى لقبال ، المرجع السابق ، 81 – 82 ، انظر : عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 210- 211 .

[6] افتتحت الأندلس في أيّام الوليد بن عبد الملك فكان فتحها من أعظم الفتوح الذاهبة بالصيت في ظهور الملّة الحنيفيّة ، أنظر أيضا : أبي عبد الله بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط2 ، دار الجيل ، 1408هـ/ 1988م ، بيروت – لبنان ، ص 14.

[7] أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق ، المصدر السابق ، ص 38.

[8] عبد المنعم خفاجي – عبد العزيز شرف ، المرجع السابق ، ص 105.

له ما أراد ، ولما استتب الأمر للمسلمين في المغرب كان من الطبيعي أن تستمر موجة الفتح [1] كان جيش الفتح الذي قاده"طارق بن زياد" و"موسى بن نصير" يتكون من عناصر عربية من مختلف القبائل، ومن العناصر البربرية من سكان شمال إفريقيا، وقد كان الجيش في عصر الولاة غير منتظم بصفة دائمة، ومثال ذلك انهزام جيش المسلمين في معركة " بوتاييه " (معركة الشهداء) ، و هذا بسبب عدم انسجام العرب و البربر[2] وكان البربر من أسبق العناصر التي دخلت الأندلس و تحكموا أكثر أعباء الفتح ، و بالرغم من ثوراتهم في فترات عديدة إلا أنهم اندمجوا اندماجا كليا في المجتمع القرطبي و أصبحوا أندلسيين [3]

في نحو سنة (92هـ/710م) اندفع العرب في موجة فتوحاتهم تستهويهم بلاد طالما استهوت الفاتحين و الغزاة من قبلهم ، بلاد تقع في الجنوب الغربي من القارة الأوربية قد حباها الله طبيعة جميلة ، وتربة خصبة ، وسماء معتدلة الأجواء ، ونثرت فيها يد الفنّ على ممرّ العصور أبنية شاهقة ، وقصورا رائعة ، وآيات بيّنات في الهندسة و الزخرفة ، وقد سميّت بالأمس أندلس وهي تسمى اليوم اسبانية [4] .

ضجّت بلاد أفريقية الشمالية بالعرب الفاتحين ، ولم يكن بينهم وبين اسبانية إلا قفزة فوق بحر الزقاق ، تحفّز لها موسى ابن نصير ، واستأذن لها الوليد ، فسيّر مولاه طارق بن زياد ، على رأس جيش جرّار ، أكثر من برابرة المغرب ، فندفع طارق كالعاصفة ، وتغلّب على لذريق في معركة وادي بكّة سنة (91هـ / 711م) ، وراح يفتتح بلدا اثر بلد ، وقد لحق به موسى بن نصير ، إلى أن دوّخ الملوك ، وأخضع العباد ، ورفع لواء بني أميّة على كلّ جبل وفوق كلّ واد ، و إذا الأندلس إقليم من أقاليم الإمبراطورية العربية ، يحكمها ولاة من قبل بني أميّة إلى سنة (135هـ / 755م) ، وقد انتشرت الفتن و الاضطرابات في عهد الولاة ، وقام النزاع بين عرب الشمال و عرب الجنوب من جهة ، وبين العرب و البرابرة من جهة أخرى ، وفي تلك الأثناء انتقل الحكم في الشرق من يد الأمويين إلى يد بني العبّاس ، وفتك العباسيّون ببني أميّة فتكا ذريعا ، فنجا من سيفهم عبد الرحمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وتوجّه شطر الأندلس ، ودخل قرطبة ، واستبدّ بالأمر سنة (135هـ / 755م) ، وجعل قرطبة عاصمة لملكه ، و بنى فيها القصر و المسجدّ و الجامع ، و نادى بنفسه أميرا للمؤمنين ، وكان عهد بني أميّة في الأندلس عهد ازدهار ورقيّ وحضارة ، وقد امتدّ إلى سنة 1031م ، واشتهر فيه الخليفة عبد الرحمان الثالث (300 - 350هـ / 912 - 961م) صاحب

---

[1] منى حسن محمود ، المرجع السابق ، ص 105.

[2] علي محمد راضي ، الأندلس.. و الناصر، (د ط) ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1967 م ، ص45 ، أيضا : محمد كرد علي ، المرجع السابق ، ص 21.

[3] محمد عبد الوهاب خلاف ، قرطبة الإسلامية في القرن (الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري) ، ط ، مطبعة أوميقا ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984م ، ص 237 ،كذلك : عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، 105- 106 ، أيضا : محمد كرد علي ، المرجع السابق ، ص 21.

[4] أما اسم إسبانيا فقد أطلقه عليها الرومان حين حكموها و قد استنبطوه من تعبير فينيقي ، انظر: محمود شلبي ، حياة طارق بن زياد (فاتح الأندلس) ، ط ، دار الجبل ، بيروت ، 1992م ، ص21 .

الأفضال الكبيرة على العلم و العمران [1] ومن المسلم به أن سيل الفتوحات العربية الجارف الذي حمل العرب بعيدا عن حدود جزيرتهم إلى مختلف الأقطار كان من شأنه أن يحدث تغييرا شاملا ..ولقد نشأ العلم وترعرع خاصة بالمدينة وكان حملته صحابة محمد (ص) و التابعين ، أما هدفه الأساسي فهو دراسة القران و تدوين جميع ما يمت بصلة إلى محمد (ص) و خلفائه الأولين ، ومن الجلي أن مثل هذا العلم لن يفسح المجال لأمي نوع من المعلومات الجغرافية التي تجمعت في الأوساط العسكرية و الإدارية [2] أما موسى بن نصير فقد بث الإسلام في بلاد المصامدة وفقه البربر في تلك الأنحاء في قواعد الدين و أصول الشريعة ، كما أشرك البربر المسلمين في فتح الأندلس و جعل لأحدهم قيادة الجيش و هو طارق بن زياد ، وفي ذلك دلالة على رسوخ الإسلام عند البربر و قيامهم بحمل رسالته إلى أوربا في أواخر القرن الأول الهجري [3] السقوط النهائي لقرطاج العاصمة البيزنطية وموت الكاهنة و هي روح المقاومة البربرة دمغ نهاية الفترة البطولية للفتوحات العربية ، و بالتالي لن يعرف المسلمون و لمدة عشرين عاما مقبلة متاعب تذكر ، ولكن لم يغلق بعد عهد الحملات التي لها مظهر الرحلات (النزهات) الحربية ولكن لن تكون كلها مثمرة كحملة موسى بن نصير ، ويبدو أن دوافع المقاومة عند البربر قد تحطمت إذ يروي النويري " لم يختلف البربر بعدها " فعدم تعاونهم الطبيعي [4]

لولا حملات ما وراء البحار و النزاع المطلق مع الشيعى الذي هدد الأسرة بالانهيار ، لاحتلت السياسة الخارجية للأغالبة مكانة متواضعة في تاريخهم ، فحروبهم مع جيرانهم شغلتهم بدرجة أقل من العمليات الحربية ضد رعاياهم البربر و قمع ثورات الجند العربي ، فلم يكن هناك أي نزاع جاد مع مملكة تاهرت الخارجية ومحاولتهم الفاشلة لغزو مصر الطولونية سنة (283هـ / 896م) ردا على هجوم فاشل أيضا من الطولونيين ضد افريقية سنة (267هـ / 880م) ، أما بالنسبة للأدارسة [5] في فاس فكان العباسيون يأملون التخلص منهم و لكن أمراء القيروان كانوا يعتبرون أن الصراع معهم سيكون أخطر من النافع المأمولة ، فكانوا يحاولون بدعابة خداعة التقليل من حقوق الأدارسة الوراثية في الخلافة ، فهم يتظاهرون باحتقارهم و يتجنبون

---

[1] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 893 ، أيضا : عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 102 ، أيضا : أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق ، المصدر السابق ، ص 39.

[2] اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، ص 49- 50 .

[3] محمود إسماعيل عبد الرازق ، المرجع السابق ،39.

[4] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 39 .

[5] الأدارسة : بطن من بني الحسن سبط أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، من بني هاشم ، من العدنانية ، و هم بنو إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، ابن أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، كان لهم ملك بالمغرب الأقصى ، أنظر: أبي العباس أحمد القلقشندي (756-861هـ / 1345- 1445م) ، المصدر السابق ، ص 127، أيضا: ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج4 ، ص6 - 152، كذلك : ابن عذاري، بيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج،1، (دط) ،دار الثقافة ، بيروت، 1948م،ص 209- 210-211 ، أنظر: علال الفاسي وآخرون ، الإمام إدريس مؤسس الدولة المغربيّة ، مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، الرباط ، العدد 31 ، شركة بابل للطباعة و النشر و التوزيع ، ص 11.

مواجهتهم خوفا من القبائل البربرية التي تساندهم ، و لم يكن البذخ الحربي في عهد الأغالبة ليساعدهم على تطوير البلاد لولا تمكنهم من ضم صقلية [1]

أولا: **فتوح موسى بن نصير**[2] : كما عبر موسى بن نصير إلى الأندلس في سنة (92هـ/710م) بحملة مكونة من ثمانية عشر ألفا و بصحبته مجموعة من وجوه العرب نخص بالذكر منهم حبيب بن أبي عبده الفهري ، وعلى بن رباح اللخمي ، وحيوة بن رجاء التميمي ، وحنش بن عبد الله الصنعاني ، وبعض الموالي و عرفاء البربر [3] كان يليان حاكم سبتة يدين بالطاعة لملك الأندلس غيطشة و أبنائه ، وقام بانقلاب أحد قادة الجيش و يدعى لذريق و اغتصب الملك من غيطشة و لم يغير يليان ولائه للملك غيطشة و أبنائه [4] و يذكر المقري أن وصف يوليان لبلاد الأندلس وحسنها وفضلها، وما جمعت من المنافع والخيرات شوق المسلمين إلى فتحها [5] بينما يرى البعض أن ذلك راجع إلى أسباب أخلاقية تتعلق باغتصاب الملك لذريق لإبنة يوليان ، مما أثار حفيظته، واستدعى المسلمين من المغرب وحثهم على فتح الأندلس [6] طلب يليان حاكم سبتة من قبل القوط من موسى بن نصير أن يمده بقوة لفتح الأندلس مبينا أهميتها و ضعف أهلها فأرسل موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد يستشيره في هذا الأمر فجاء رد الخليفة " أن خضها بالسرايا حتى تختبر و لا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال فأرسل إليه موسى أنه ليس ببحر ، وإنما هو خليج يتبين للناظر ما وراءه " ووافق الخليفة الوليد على فتح الأندلس بشرط إرسال حملة استطلاعية لاستكشاف الأمر و أرسل لموسى " وان كان فلابد من اختباره بالسرايا " [7] و لقد نزل موسى[8] في الجزيرة الخضراء و بنى فيها مسجدا عرف بالرايات نسبة إلى اكتمال رايات المسلمين ، وسلك

---

(1) علي بن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس ، (دط) ، دار المنصور ، 1972م، ص 183-208 ، أيضا ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 4، ص 23- 24، جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 72.

(2) عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 24 ،كذلك : عبد الرحمان بن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص 70- 71 ، عبد المنعم خفاجي ، عبد العزيز شرف ، المرجع السابق ، ص 76 ، أيضا : عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 42- 43 ، أنظر : حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 58- 59 ، أيضا : محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 39 ، أيضا : عبد الكريم الفيلالي ، المرجع السابق ، ج1، ص 402-403، انظر: عبد العزيز حافظ دنيا ، موسى بن نصير حياته وعصره ، دار القومية للطباعة والنشر ، (دط) ، (د س ط) ، ص 125- 126.

(3) عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 116، أيضا : جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 166-167 ، كذلك : خليل إبراهيم السامرائي و آخرون ، المرجع السابق ، ص 23 .

(3) حسين مؤنس ، المرجع نفسه ، ص267.

(4) عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع نفسه ، ص 113 ، أيضا : محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 125 ، أيضا : عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 66 – 77 .

(5) أحمد بن محمد المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص237 .

(6) عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ، ج4 ، ص141 .

(7) عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 113.

(8) عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 38.

طريقا غير طريقا غير الذي فيه طارق ليؤمن الأجزاء الأخرى من الأندلس [1] و عاد " حملة العلم " إلى المغرب ، وواصلوا جهودهم [2] و هكذا شيّد صرح الإسلام في " افريقية " و المغرب ، و أقام دعائمه على السياسة الحكيمة و السّيرة العادلة ، فلم يبق يخشى عليه الانتقاض بعد هذه الجهود العظيمة ، والمتاعب الجسيمة [3] لما فتح المسلمون الأندلس أبقوا على بقعة جبلية وعرة و هي جليقية [4] دون فتح [5] و يرجح ابن عذارى أن يوليان أدرك العرب قد صاروا قوة لا يمكن الوقوف أمامها ، ورأى من الحكمة وبعد النظر أن يكسب هذه القوة إلى جانبه ليحتفظ بولايته سبتة [6] أن المصادر التاريخية التي تضمنت نصوصا تشير إلى أن طريف صاحب الحملة الاستطلاعية على جزيرة طريف هو نفس طريف أول ملوك برغواطة، وتتمثل في كل من روايتي البكري ، و ابن عذارى ، تناقض نفسها و تخالف بذلك المنطق ، فالبكري يورد رواية على لسان زمور البرغواطي رسول برغواطة إلى الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالأندلس أثناء زيارته (352هـ/ 973م) يذكر فيها " أن طريفا أبا ملوكهم من ولد شمعون بن يعقوب بن إسحاق ، وانه كان من أصحاب ميسرة المطغري المعروف بالحقير ، و مغرور بن طالوت ، والى طريف نسبت جزيرة طريف ، فلما قتل ميسرة وافترق أصحابه ، احتل طريف بلد تامسين ، وكان إذ ذاك ملكا لزناتة و زواغة ، فقدمه البربر على أنفسهم وولى أمرهم ن وكان على ديانة الإسلام .." [7]

كان فتح الأندلس ، وتنظيم أمورها في الأساس شأن ولاة إفريقية وكان الفتح في العقد الأخير للقرن الأول الهجري (92- 95هـ/711 - 714م) .

وقد وضعت التنظيمات التي تخص معاملة الأراضي المفتوحة وأهلها واستقرت في المشرق خلال القرن الأول الهجري ، ويفترض أن تطبق على الأندلس، ولكن الكثير من الروايات تعطي صورة مخالفة.

ابتداءً نشير إلى الإجراءات التي اتخذت في فتح إفريقية والمغرب، لتكون مدخلاً إلى الحديث عن معاملة الأرض في الأندلس.

---

(1) الأندلس في اللّغة اليونانيّة اشبانيا ، و الأندلس بقعة كريمة طيّبة كثيرة الفواكه و الخيرات فيها دائمة ، أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص 01 ، أيضا : الزهري ،كتاب الجغرافيا ، تحقيق: محمد حاج صادق، القاهرة ،(د س ط)، ص81 ، عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 116.

(2) محمود اسماعيل عبد الرازق ، المرجع السابق ، ص55.

(3) عبد الله كنّون ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 38.

(4) الجلالقة من ولد يافث بن نوح عليه السلام و هو الأصغر من ولد نوح و بلدهم جلّيقيّة و هي التي تلي المغرب أنظر : الحميري ، المصدر نفسه ، ص 66.

(5) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 199- 200 .

(6) ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص07.

(7) سحر السيد عبد العزيز سالم ، المغرب في العصر الإسلامي ، (د ط) ، مطبعة الإشعاع ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 1993م ، ص 17- 18.

يبدو أنّ الغارات في إفريقية كان يرافقها كثرة الغنائم، والسبي خاصة، وإرسال الخمس إلى المركز [1] كذلك تعلّم الصقالبة اللغة العربية ، واكتبوا الكثير من عادات مؤدّبيهم .. وبالمقابل نقلوا عادات أممهم و تقاليدها إلى المرية ، ومن تعلّم منهم اللغة العربية نقل الأفكار و الأقاصيص الأوربية باللغة العربية ، أما المولّدون ، فقد اختلطوا بالعرب عن طريق التزاوج والولاء ، واتّخذ بعضهم الأنساب العربية ، ومنهم من نسي أصله ، ومنهم من ظلّ على نسبه القديم ، ومنهم من أضاف إلى اسمه العربي المقطع الاسباني ، كما أتقنوا اللغة العربية و تمكّنوا من الكتابة .. فعلموا على تطوّر التداخل الذي حصل بين لغتهم العربية التي اكتسبوها وبين الرومنثية لغة أمهاتهم و أجدادهم ، كذلك أتقن المستعربون اللغة العربية إلى جانب لغتهم الرومنثية ، واتخذوا أسماء عربية إلى جانب أسمائهم المسيحية ، وبحكم معرفتهم هاتين اللغتين ، لعبوا دورا هامّا في نقل الحضارة الإسلامية إلى الممالك الاسبانية حيث انتشرت ثقافة العرب المسلمين وعاداتهم [2] وهم الاسبان الذين كانوا يعيشون بين المسلمين ، ويتكلمون العربية ، ولكنهم كانوا يحتفظون بدينهم ، وقد عوامل هؤلاء معاملة حسنة ، فتمتعوا بحرية كبيرة في إقامة شعائر دينهم ، وكانوا يعيشون في أحياء خاصة بهم ، وكان لهم رئيسهم و قاضيهم الذي يفصل في منازعاتهم ، وقد برز من هؤلاء من لعب دورا هاما في تاريخ الأندلس [3] ويبدو أن مؤسس هذه الدولة ، وهو طريف بن شمعون انتقل من الأندلس إلى المغرب قبل الفتح الإسلامي مباشرة لأمر ما لا نعرفه ، وربما لاضطهاد القوط لليهود في الأندلس ، أو بعد الفتح الإسلامي مباشرة ، و نزل في المغرب الأقصى في منطقة تامسنا مقر المصامدة ، ثم اعتنق الإسلام في ولاية موسى بن نصير على المغرب وعندما احتدمت نيران ثورة البربر على العرب في المغرب الأقصى اعتنق المذهب الصفري شأن غيره من خوارج المغرب طلاب العلم ، أمثال ميسرة المطغري و عبد الرحمان بن رستم الاباضي ، وشارك في الثورة ، والظاهر أن ميسرة الحقير المطغري استوزر ابنه صالح في المغرب الأقصى كما يذكر ابن الخطيب ، لما عهدوه من ذكائه الخارق و قدراته العالية في السيطرة على عقول البربر وما أثبته من مهارة في السحر و الحيل [4] و صف أحد مؤرخي العرب كيفية فتح أبناء ملته لاسبانية روى عن محمد (ص) الكلمات الآتية :"زويت لي مشارق الأرض و مغاربها [5]

---

[1] عبد العزيز الدوري – غيداء خزنة كاتبي ، الفتح و الأرض في الأندلس ، (د ط) ، جامعة الأردن ، ص 39 .

[2] ابن الحداد الأندلسي (480هـ/ 1087م) ، ديوان ، تحقيق : يوسف علي طويل ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (1410هـ/ 1990م) ، ص 71 .

[3] محمد رزوق ، الأندلسيون و هجراتهم إلى المغرب خلال القرنين (16-17) ، ط3 ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء بالمغرب ، 1998م ، ص 25.

[4] سحر السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 71 ، انظر أيضا : فوزية محمد عبد الحميد نوح ، المرجع السابق ، ص 41.

[5] شكيب ارسلان ، تاريخ غزوات العرب في فرنسا و سويسرا و ايطاليا و جزائر البحر المتوسط ، (د ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د س ط) ، ص 26.

خرج موسى غازيا من افريقية إلى طنجة فوجد البربر قد خرجوا إلى الغرب خوفا من العرب فتبعهم و قتلهم قتلا ذريعا وسبى منهم سبيا كثيرا حتى بلغ السوس الأدنى و هو بلاد درعة فلما رأى البربر ما نزل بهم استأمنوا وأطاعوه ..اثر بيعته للوليد زرعة بن أبي مدرك إلى قبائل من البربر فلم يلق حربا منهم فرغبوا في الصلح منه فوجه رؤساهم إلى موسى بن نصير فقبض رهونهم ثمّ عقد لعياش بن أخيل على مراكب افريقية فمشى في البحر إلى صقلية فأصاب مدينة يقال لها سرقوسة فغنمها و جميع ما بها و قفل سالما غانما و لما حمل أبو مدرك زرعة بن أبي مدرك رهائن المصامدة جمعهم موسى مع رهائن البربر الذين أخذهم من افريقية و المغرب وكانوا على طنجة و جعل عليهم مولاه طارقا و دخل بهم جزيرة الأندلس و ترك موسى بن نصير سبعة عشر رجلا من العرب يعلمونهم القران و الإسلام منهم شاكر و غيرهم و لم يدخل المغرب الأقصى أحد من ولاة حلفاء بني أمية بالمشرق إلا عقبة بن نافع الفهري و لم يعرف المصامدة غيره وقيل أن أكثرهم أسلموا طوعا على يديه ووصل موسى بن نصير بعده و في سنة (92هـ/ 711م) خرج طارق إلى الأندلس و افتتحها بمن كان معه من العرب و البرابرة ورهائنهم الذين ترك موسى عنده و الذي أخذهم حسان من المغرب الأوسط قبله وكانت ولاية طارق على طنجة و المغرب الأقصى (85هـ/ 704 م) و في هذا التاريخ تم إسلام أهل المغرب الأقصى [1] لم تنجب المريّة مثل ابن الحدّاد في الشعر [2]

ثانيا: **اللغة العربية و خطبة طارق بن زياد** [3] : خطبة ابن زياد من النوع الحربيّ القتاليّ ، وقد توسّل فيها للإقناع باللهجة الحماسيّة المؤثّرة ، و بمتانة الأسلوب الذي يفيض نبضا ، و بشدّة وقع العبارة ، و بحسن سكّ الألفاظ ، وبالاندفاع العاطفيّ ، و قد جعل جنوده في موقف حرج لا مجال فيه إلاّ للموت أو الاستماتة في القتال ، وجعل نفسه مثالا حيّا يتقدّم صفوف المحاربين ، وخطبة ابن زياد من أروع الخطب الحربيّة التي عرفها التاريخ [4] على يد طارق بن زياد القائد البربري الشهير [5] بل إن طارق بن زياد و هو

---

(1) أ ، ليفي بروفنسال ، نخب تأريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى ، (د ط) ، مطبوعات لاروز ، باريس ، 1948م ، ص 11- 12.

(2) ابن الحداد الأندلسي (480هـ/ 1087م) ، المصدر السابق ، ص 27.

(3) طارق بن زياد (101هـ/719م) : هو قائد شهير من قوّاد الفتوحات العربيّة الإسلاميّة في العهد الأمويّ ، نسبه الادريسيّ إلى قبيلة زناتة البربريّة ، وقد ولاّه موسى بن نصير مدينة طنجة ، و في سنة (92هـ / 711م) أي في زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك ، جهّزه باثني عشر ألف جنديّ عبر بهم البحر إلى اسبانية ، فقابلهم لذريق ملك اسبانية بجيش عظيم كثير العدد وافر العدّة فخشي طارق أن يتقهقر رجاله فبادر إلى إحراق أسطوله ليقطع لهم الأمل في الرجوع ، وألقى فيهم خطبته المشهورة ، فاندفعوا على الأسبان اندفاع المستميت و هزموهم شرّ هزيمة ، و مشى طارق في طريق فتوحاته ، وقبض على لذريق وقتله سنة (94هـ / 713م) ، وبعد ذلك استدعاه الوليد إلى دمشق حيث مات (101هـ/719م) ، انظر : حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 999 ، أيضا : عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 114 ،كذلك : محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 135 ، أيضا : خليل إبراهيم السامرائي وآخرون ، المرجع السابق ، ص 29 – 30 ، أيضا : موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 92 . حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص267 ، أيضا : عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص24 .

(4) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 999 .

(5) جرجي زيدان ، فتح الأندلس ، (د ط) ، مؤسسة دار الهلال ، 1982م ، ص 5 .

من البربر تولى منصب القيادة في ولاية طنجة ومعه اثنا عشر ألفا من البربر يرافقهم عدد من فقهاء المسلمين يعلمونهم القران و الفرائض ، وهذا يظهر لنا جانبا أخر اهتمت به الإدارة الجديدة و هو نشر الإسلام و الثقافة العربية بين البربر الذين ظهرت بينهم همة عالية لنشر هذا الدين بين قبائلهم فبنوا المساجد وحولوا الكنائس التي بناها المشركون قبل ذلك إلى القبلة ، ولم يقف نشاطهم الديني هذا عند حدود افريقية والمغرب الأوسط بل تعداه ليشمل المغرب الأقصى أيضا [1] إلا انه لا يمنع من أن طارقا قد خطب جنده على عادة القواد و الفاتحين في مختلف العصور ، وان كنا نعتقد في هذه الحالة أن الخطبة لم تكن باللغة العربية إنما كانت باللسان البربري أو الغربي –كما يسميه المؤرخون القدامى ، ثم جاء كتاب العرب بعد ذلك ، فنقلوها إلى العربية في شيء كثير من الخيال و الإضافة و التغيير ، و قد يؤيد ذلك أن هناك خطبا كثيرة من هذا النوع قيلت في هذه المناسبات ، فابن صاحب الصلاة يشير إلى الخطب التي ألقاها الشيخ الموحدي أبو محمد الواحد بن عمر في الجنود باللسان العربي تارة وباللسان الغربي تارة أخرى يحرضهم على قتال النصارى ، و يشير ابن الخطيب إلى شاعر المرينيين أبي فارس عزوز (ت 697هـ/ 1288م) الذي خلط المعرب الزناتي في مخاطبتهم ،كذلك يشير المؤرخون إلى الكتب العديدة التي ألفها المهدي بن تومرت بالعربية و البربرية ، لإفهام الناس تعاليمه ومذهبه ، مثل كتب الإمامة و القواعد التوحيد ومازالت هذه العادة متبعة إلى اليوم في بلاد المغرب [2]

لقد تأثر المغرب في نهاية العصور الوسطى بالتأثيرات الأخيرة التي أتت إليه من اسبانيا الإسلامية ، رغم العداء و الكره تجاه الأجنبي الكافر ، لقد جمع بقايا ماضي جميل ، و الصورة التي حاولنا رسمها عن المغرب ، لا تزال ناقصة ، إذا لم نذكر الإثراء الذي حصل عليه .

عرفنا من قبل أن بلاد البربر المتحررة من المشرق قد أصبحت – من الناحية الثقافية على الأقل – تحت وصايا الأندلس ، ولقد رأينا نمو " الفن الاسباني المغربي " ، و هذه التسمية التقليدية تدل على ذلك ، فكانت الروابط لا تزال وثيقة ، و المتبادلات مستمرة بين الدول الإسلامية في افريقية ، ومملكة غرناطة حيث انحصرت الحياة الأندلسية ، و لكن حان الوقت ليبقى التيار في اتجاه و احد ، فمع كل تقدم للاستقرار فيها بدون أمل للعودة ، أنها أرض اللجوء : رأيناها تقوم بهذا الدور من جديد بالنسبة للأندلسيين الرافضين لإقامة تحت السيطرة المسيحية ، رغم التيسير المقدم لهم ، أنهم يأتون للانضمام إلى ذويهم[3]

---

(1) محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 44 .

(2) محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 135- 136 .

(3) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 336 .

كان معظم هؤلاء المهاجرين من نخبة أهل الحضر ، أو على الأقل من الطبقات المثقفة ، وكانوا يشكلون مساهمة نافعة ، بالنسبة لحضارة الممالك البربرية ، ولقد وضح هذا التأثير الأندلسي ، بسبب كثافة عددهم و الوظائف المقدمة لهم في مأواهم الجديد ، و الأصالة الراسخة لمستقبلهم ، و كانت افريقية أكثر استعداد في هذا المجال عن المغربيين " والمغرب الأقصى كان أكثر لخبراتهم من المغرب الأوسط ، و بالمقارنة بين شرق المغرب (افريقية) و المغرب الأقصى كان المغرب الأوسط و لا يزال حتى يومنا هذا بلدا ريفيا كبير ، و المدن به نادرة ، ولا تجد الحضارة أرضا خصبة لنموها ، و منطقة وهران التي أقام فيها بنو عبد الواد عاصمتهم [1] وليس هناك أطرف من سيرة يغمراسن مؤسس الأسرة الحاكمة ، لقد ولد في مكان ما بالصحراء و عاش في الخيام ، وبعد موت أخيه وجد نفسه متقلدا زمام زعامة بدو بني عبد الواد ، ومنذ ذلك الحين عاش في حصن بتلمسان ، كان هذا القصر يجاور المسجد الجامع ، ويسكنه من قبل حكام المدينة الموحدين ، اختار الوزراء من بين أفراد عائلته ، وكذلك الحاجب ، و المعاونون ، و قد استقبل الوفود ، و استمع للشعر المنظم باللغة العربية خصيصا لمديحه ، و كافأ الشعراء ، وحينما مات عن ثلاثة و سبعين عام ، من المؤكد انه لم يتكلم إلا لهجة زناتة البربرية .

يعود هذا التطور إلى تأثير الأندلسيين اللاجئين [2] ولا تزال البنات تنشدن اللغة العامية القصائد الصغيرة على إيقاع يشبه الرقصات الأندلسية [3] نخلص مما سبق أن هجرة القبائل العربية إلى البلاد المفتوحة و اندماجهم مع الأهالي الأصليين لتلك البلاد أدى إلى انتشار اللغة العربية و لكنه لم يؤد إلى التعريب [4] رأينا كيف تأخر فتح المغرب إلى ما بعد منتصف المائة الأولى للهجرة ، وانه لم يقر قراره بعد الفتح الأول ، ولا سكنت ثائرته ، بل سرعان ما قتل الفاتح في إحدى جولاته بمدن افريقية و عادت البلاد كلها إلى عهد الفوضى و الاضطراب ، مما دعا إلى تجدريد حملة ثانية على هذا الإقليم بقيادة موسى بن نصير ن رأبت منه الصّدع ورتقت الفتن ، وشغلت المغاربة إلى حين بالعبور إلى الأندلس [5] كما نجد أهل الأندلس يتصفون بصفات حميدة، كجهم العدل ، وإنكارهم للفوضى ، وتسامحهم ورحمتهم للضعفاء ، يورد غوستاف لوبون :"... كان عرب إسبانيا زيادة على تسامحهم العظيم ، يتصفون بالفروسية و يرحمون الضعفاء و يرفقون بالمغلوبين.." [6]

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 337.

(2) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 337.

(3) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 339.

(4) محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 156.

(5) عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 45.

(6) غوستان لوبون ، حضارة العرب ، تحقيق : عادل زعيتر ، ط3 ، دار التراث العربي ، 1979م ، ص442 ، 444.

أولا: عصر الولاة (92 ، 138 هـ/ 711، 755م) : يمتد عصر الولاة في المغرب الإسلامي من سنة (96هـ/ 715م) إلى سنة (184هـ/ 800م) وهو الفترة التي كان فيها " المغرب " يتبع الخلافة في المشرق ، وقد اتسم عصر الولاة بتذبذب العلاقة بين الخلافة والولاة ، وموقف الولاة من سكان البلاد ، وعدم استقرار الأوضاع السياسية ، حيث ثار المغرب وانفصل عن الخلافة في المشرق [1] تعرف الفترة الأولى للحكم الإسلامي في الأندلس بعصر الولاة وهي فترة مضطربة كل الاضطرابات ، سادت فيها القلاقل و الفتن بلاد الأندلس [2] يطلق مصطلح عصر الولاة [3] في بلاد المغرب و الأندلس أو الغرب الإسلامي كما يسمى أيضا على الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي الوليد ابن عبد الملك لموسى بن نصير (86- 96هـ/705- 715م) من بلاد المغرب و الأندلس سنة (96هـ/715م) حتى قيام الدولة المستقلة عن السلطة المركزية (دار الخلافة) في هذه المنطقة " بعد ثورات المغاربة كدولة المدراريين بسجلماسة سنة (140هـ/ 758م) والرستميين بتيهرت سنة (161هـ/ 778م) و إمارة نكورة في نهاية القرن الأول الهجري و البوغراطيين بتامسنا في العقد الثاني من القرن الثاني الهجري .." ويدل هذا الاسم – أي عصر الولاة – على وضع سياسي معين شهدته البلاد الإسلامية في الجناح الغربي من الخلافة منذ أن تم للمسلمين فتحها في نهاية القرن الأول الهجري الموافق للسابع الميلادي " فمنذ ولاية موسى بن نصير أصبح حاكم البلاد أمير يقيم بالقيروان وكانت الأندلس تابعة لولاية المغرب [4] و تسم عصر الولاة في بلاد المغرب بأربعة مظاهر كبرى هي :

1- تفشي الروح العصبية و العنصرية القبلية بين القبائل العربية
2- ظهور الممارسات السلبية للسياسة الأموية وإدارتها في بلاد المغرب
3- انتشار المذهب الخارجي (الصفري و الاباضي) بين القبائل المغربية
4- اندلاع الثورات و الانتفاضات الشعبية المغربية المسلحة العديدة في بلاد المغرب ضد ولاة السلطة المركزية و التي انتهت بطبيعة الحال إلى قطيعة بين أهل المغرب والخلافة الأموية و خروج معظم

---

(1) شهبي عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص267 ،

(2) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 46 ، انظر : حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص277 ، أيضا : محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 47 .

(3) استمر عصر الولاة حوالي اثنتين و أربعين سنة ، وكان تتمة لعصر الفتوحات من (95 - 138هـ/714- 756 م) ، وتوالى على الولاية اثنان و عشرون واليا ، أنظر : طارق محمد السويدان ، الأندلس التاريخ المصور ، ط ، مطابع المجموعة الدولية ، الكويت ، (126هـ/ 2005م) ، ص 59 ، أيضا : محمد عيسى الحريري ، المرجع نفسه ، ص 47 .

(4) أحمد الزاهد ، المرجع السابق ، ص 63 .

مناطق المغربين الأوسط و الأقصى عن إدارة الخلفاء وولاتهم في افريقية [1] و انتقل هم الفاتحين في أوائل القرن الثاني للهجرة إلى فتح بلاد الغال ، فاجتازوا بجيوشهم جبال البيرينيه الفاصلة بين بلاد الأندلس و بينها و تقدموا شمالا إلى أن وصلوا إلى مدينة بواتييه التي جرت على مشار فها واقعة بلاط الشهداء سنة (114هـ/ 732م) بقيادة عبد الرحمان الغافقي ، وكان على رأس جيوش الفرنجة التي حشدت لمواجهتهم شارل مارتل جد الملك شرلمان ، وكانت نتيجة المعركة مؤسفة ، إذ توقفت بعدها حركة الفتح في هذه الجهة ثم أخذت موجته تنحسر منذئذ إلى أن خرج العرب نهائيا من الأندلس نتيجة رد الفعل عبر قرون في سنة (898هـ/ 1493م) وقد ذكر جورجي زيدان أنه لو فاز العرب في تلك المعركة " لانتشر الإسلام في فرنسا ، ثم في سائر أوربا ..و لانتشرت اللغة العربية "[2]

كانت اللغة اللاتينية لا تزال تحتفظ بمكانتها ، وكانت تتطور إلى لغة رومانية ستصبح بدورها أصل لهجة الحديث في شبه جزيرة الأندلس ، وكذلك نشاهد ، بعد الفتح الإسلامي تأثيرا لغويا للبربر ولا سيما في المناطق الجبلية التي تمتد من الجنوب إلى الشرق و التي تقطنها عناصر من البربر الذين هاجروا من افريقية الشمالية ، وفي نفس الوقت ، كانت الجماعة اليهودية التي تقيم في الأندلس تستعمل اللغة الآرامية ، ويضاف إلى كل ذلك العنصر الجديد اللغة العربية ، ففيما يتعلق باللهجة العربية العامية ، اقترح فرض يقول بوجود كتلة من اللهجات العامية الغربية التي تشمل سكان المدن في اسبانيا الإسلامية و سكان المدن في المغرب و مالطة و صقلية ، وهذه العربية "الغربية " تعرف ، فيما يقال ، باسم "الغربية" التي حرفت باللغة الاسبانية إلى (Algarbia) و منها اشتقت الكلمة الفرنسية (Charabia) و إلى جانب هذه اللهجة العامية ، توجد بطبيعة الحال اللغة العربية الفصحى لغة الآداب و الفلسفة .. هذه أيضا هي لغة الدين و الإدارة و التجارة و الحضارة ، وهي ستلعب في الأندلس نفس الدور الذي لعبته اللغة اللاتينية من قبل ، في العالم الغربي المسيحي ، أو اللغة الإغريقية في العالم البيزنطي [3]

ثانيا: عصر الإمارة (138، 206 هـ/755،821م) : إذا كان البربر في شمال إفريقيا قد تأثرو بالفاتحين العرب و تعلموا منهم العربية و أصول الدين خاصة فان كثيرين من مهاجري العرب إلى الأندلس كانوا من أعراق القبائل العربية و أعرقها بالدين واللغة ، كان لهم أثر بالغ على المسيحيين واليهود في الأندلس نفسها وبدأ هذا التأثير يظهر بمرور الوقت على النصارى و اليهود ، وقد عرف النصارى باسم

---

[1] أحمد الزاهد ، المرجع السابق ، ص 64 – 65 ، أيضا : بوزياني الدراجي ، دولة الخوارج و العلويين في بلاد المغرب و الأندلس (سلسلة العصبية القبلية) ، ج2 ، ط ، دار الكتاب العربي ، 2002 م ، الجزائر ، ص 58 .

[2] محمود المقداد ، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا ، (د ط) ، الكويت ، (1410هـ/1990م) ، ص 14.

[3] موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 146.

"المعاهدين" نسبة إلى العهود التي أخذوها من الحكام العرب كما عرفوا أيضا باسم "المستعربين" لان النصارى الأندلسيين اختلطوا بالمسلمين فتعلموا لغتهم و أسلوبهم في الحياة ، وكان كثير منهم يجيدون اللغة العربية إجادة تامة ، وكان المسلمون و المستعربون (النصارى) يعيشون جنبا إلى جنب عيشة حرة [1]

فترة الصراع على الإمارة (206 ،300هـ/821،912م) : تطورت الأمور في بلاد الأندلس فتجلى الخلاف بين القبائل سنة (129هـ/747م) ، و تنازع الإمارة [2] و كان للشعر الأندلسي في فترة تأسيس الإمارة خصائص مميزة ، من أهمها التجديد الموضوعي و الاهتمام بالمضمون و البعض الأخر بالشكل ،و قد ظهر في عهد الإمارة بعض الشعراء أكثرهم أندلسيون مولدا و نشأة و ثقافة ، ومن شعراء هذا العهد أبو المخشى ، وهو عاصم بن يزيد العبادي وكان والده من جند دمشق الذين وفدوا على الأندلس في فترة الولاة ، وقد مال إلى نظم الشعر و نبغ فيه ، وكان الحكم بن هشام يجيد نظم الشعر ، وقد عرف بتحرره مما اسخط عليه الفقهاء ، لذلك تصدع مركزهم في عهده ، وله شعر في الغزل و الحماسة وقد تميزت أشعار الحكم بالرقة في الألفاظ و السلاسة في الأسلوب ، اما النثر في عصر الإمارة بالأندلس فكان مقتصرا على الخطب و الرسائل و الوصايا و المحاورات ، وممن اشتهر بالكتابة فطيس بن عيسى ، وخطاب بن يزيد اللذين كانا كاتبين لهشام بن عبد الرحمان ثم لابنه الحكم ، وحجاج العقيلي الذي كان كاتبا للحكم [3] وكان الأندلسيون أول الأمر يدرسون اللغة عن طريق قراءة النصوص لكنهم عرفوا بعد ذلك كتب النحو و اللغة [4] لم تلبث دراسة اللغة العربية أن حلت محل دراسة اللغة اللاتينية في جميع أرجاء البلاد حتى أن لغة الدين المسيحي تطرق إليها الإهمال و النسيان شيئا فشيئا يقول ارنولد " أن اللغة اللاتينية بلغت في بعض أجزاء اسبانيا درجة كبيرة من الانحطاط ، حتى لقد أصبح من الضروري أن تترجم قوانين الكنيسة الاسبانية القديمة و الإنجيل إلى اللغة العربية ، ليسهل استعمالها على المسيحيين ، بينما أقبل الناس على دراسة الآداب العربية [5]

عصر الخلفاء (300 ، 422هـ/912 ،1031 م) : يمثل بفعل نقلة كبيرة من عصر إلى عصر ، ومن فترة إلى أخرى تختلف كل منها عن الأخرى تمام الاختلاف ، وهذا الاختلاف هو تباين بين حكمين

---

[1] منى حسن محمود ، المسلمون في الأندلس و علاقتهم بالفرنجة (92 - 206 هـ/714- 815 م) ، (د ط) ، مطابع الدجوى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1986م ، ص 19- 20 .

[2] منى حسن محمود ، المرجع السابق ، ص 30 .

[3] منى حسن محمود ، المرجع نفسه ، ص 242 .

[4] منى حسن محمود ، المرجع نفسه ، ص 243

[5] منى حسن محمود ، المرجع السابق ، ص 258 .

و بين عهدين كل منهما يتميز بصفة خاصة و كل منها له خصائصه و سماته ذلك أن الأمير عبد الله كان حاكما عاديا من حكام الأندلس ، أما عبد الرحمان الناصر فقد نهض ببلاده نهضة شاملة ، وحول الإمارة إلى خلافة ، وتمتع بحب شعبه واحترام أعدائه و منافسيه [1] و لكنهم رأوا أمر الإسلام يشتد يوما بعد يوم ، وإمارته تزدهر ، ومجتمعه يزداد رخاء و ثباتا ، كما رأوا الثقافة العربية تغزو قلوب الشباب من أبناء دينهم ، فلا يكاد أحد منهم يحفل باللغة اللاتينية أو آدابها بينما ينفقون جهدا كبير في دراسة العربية و مطالعة آدابها ، بل برع الكثيرون منهم كتابة العربية [2] لكن ومع تغير الظروف السياسية، أجاز بني أمية في الأندلس نظام الخلافة ما دامت هناك مصلحة تقضي بذلك، واعترفوا بوجود خليفتين يتوليان الحكم في وقت واحد على شرط أن تكون بينهما مسافة كبيرة ومساحة شاسعة، لمنع الفتنة بين المسلمين [3] و على هذا الأساس قامت الخلافة الأموية في الأندلس ، وأعلى "عبد الرحمن الثالث" سنة (316 هـ/929م) نفسه خليفة و أمير للمؤمنين بالأندلس[4] كذلك اهتمت أوربا بإرسال بعثات علمية تعليمية رسمية ، بلغت في عهد الناصر الأموي سبعمائة طالب وطالبة ، ووصل مع إحدى البعثات في عهد الخليفة هشام المؤيد إلى مائتين وخمسة عشر طالب وطالبة ، وزعوا على جميع المؤسسات االأندلسية [5].

عصر ملوك الطوائف (422 ،897 هـ/1031،1491م) : وكانت بلاد الأندلس منذ سقوط الدولة الأموية ، تخضع لملوك الطوائف الذي ، تنازعوا النفوذ فيما بينهم ، واستبدّوا بولاياتها المختلفة ، ولم يكن عندهم غناء في دفاع العدوّ المغير ، لتفرّق كلمتهم وانهماكهم في اللهو والمجون ، على حين أنّ عدوهم اخذ لهم بالمرصاد ، يستخلص منهم الجزية لقاء الكفّ عن قتالهم ، ولا يفتأ يتنقّص بلادهم من أطرافها مهددا لهم بالاكتساح الشامل عند أول فرصة ، وذهابا مع الغاية في التهديد قام الفونس السادس ملك قشتالة برحلة جاس فيها خلال ديار ملوك الطوائف [6]و حضيت العلوم اللغوية باهتمام كبير أيضا في هذا العصر ، وبرز العلماء في هذا المجال ابن سراج الذي يعدّ فذّ عصره ، و بقيّة حسنات دهره ، وراسم اللغات و الآداب و كان بالأندلس كالجاحظ ن و الأعلم الشنتمري الذي يعد إمام النحاة في عصره ، و أبو غالب التياني الذي يعد من أعلام اللغة المشهورين في الأندلس ، وقد عرف بالديانة و الورع و العفة ، وأبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده و هو علامة في اللغة ، وصاحب كتاب " المخصص " ، وأبو محمد عبد

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 193.

[2] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص325.

[3] جاسم بن محمد القاسمي ، تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس ، (د ط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1999، ص167.

[4] أحمد بن عبد الوهاب المعروف بالنويري ، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (27هـ ، 719هـ/647م ، 1319م) من كتاب نهاية الإرب في فنون الأدب ، تحقيق : مصطفى أبو ضيف أحمد ، ج 22 ، (د ط) ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، 1984م ، ص115.

[5] محمد خرسان وآخرون ، تاريخ الحضارة الإنسانية ، ط ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، الأردن ، 1999م ، ص204 ، 205.

[6] عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 60.

الله بن السيد البطيوسي ، وكان عالما متبحرا في اللغات و الآداب ، وأبو الحسين سليمان بن محمد المعروف " بابن الطراوة " وهو نحوي و أديب ، وله كتاب " المقدمات على سيبويه " و يعد نحوي المرية الذي لا مثيل له [1] و لما انهار عرش الأمويين في الأندلس حلّ محلّهم ملوك الطوائف و أشهرهم بنو عبّاد بأشبيلية (1023-1091م) و بنو جهور بقرطبة (1031- 1070) ، وبنو عامر بشاطبة (1021-1065م) وبنو هود بسرقسطة (1039-1110م) وبنو حمّود بمالقة (1035-1057م) وكان عهدهم عهد اضطراب و تفكك ، و عهد فتن وحروب [2] بالنسبة لدولة بني حمود يبدو أن الانجازات الحضارية و الثقافية لم تصل إلى المستوى المطلوب بالنسبة لدولة تواجدت في ربوع الأندلس [3] فدولة بني حمود سواء بقرطبة أو بمالقة أو الجزيرة الخضراء هيمن عليها الطابع القبلي ذو التوجه العسكري هذا من جهة و من جهة أخرى فان عمرها كان قصيرا بعض الشيء بالمقارنة مع دولة بني أمية الأمر الذي لم يساعد على ظهور المبتكرات الحضارية و الثقافية بالقدر الكافي[4] و لكن الفاطميين خلفوا لهم أساسا عربيا سليما عربيا سليما كان بعيد الأثر في تعريب المغرب ، لان بني عبيد الله أيا كان الرأي في نسبهم كانوا عربا أقاموا في افريقية بناء سياسيا ، وكانت فيهم رغم كل شيء فحولة عربية أصيلة ، وتلك — فحسب — هي أكبر ما ورث المغرب الإسلامي من تجربة الفاطميين ثم إنهم — أي الفاطميين — عندما أرادوا إرغام بني زيري على العودة إلى الطاعة قذفوا على المغرب بآل هلال و آل سليم بن منصور ، فأثاروا في المغرب أعاصير مدمرة ، ولكن الأعاصير عندما هدأت ، كانت قد نثرت في المغرب كله بذورا عربية أصيلة ، كان لها أثر حاسم في تكوين المغرب الإسلامي العربي[5]

من المعروف أن كلا من الزيريي و المرابطين صنهاجيون فهم ينتمون إلى قبيلة صنهاجة البربرية ، بل كان يطلق عليها الزيريين صنهاجة الشمال ، و على المرابطين صنهاجة الجنوب ، ونظرا لتلك الصلات القبلية التي تجمع بينهما ، فان المرابطين عندما شرعوا في توسيع دائرة نفوذهم السياسي في المغرب اقتصروا على القسم الغربي من المغرب الأوسط تجنبا للاصطدام مع بني عمومتهم بني زيري في المغرب الأدنى وبني حماد في القسم الشرقي من المغرب الأوسط [6] تم انقسام الدولة الصنهاجية في افريقية و المغرب الأوسط في عهد

---

[1] يوسف شحدة الكحلوت ، الأخلاق الاسلاميّة في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف ، (د ط) ، (1431هـ/ 2010م) ، ص 65 .

[2] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 894 .

[3] بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص 58 .

[4] بوزياني الدراجي ، المرجع نفسه ، ص 58- 59 .

[5] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 135.

[6] محمدي عبد المنعم محمد حسين ، التاريخ السّياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1999م ، ص 219 ، أيضا : إسماعيل العربي ، دولة الأدارسة ، ملوك تلمسان و فاس و قرطبة ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983م ، ص 22 - 23 – 24 .

الأمير باديس بن المنصور بن بلكين[1] في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إلى دولتين : الدولة الزيرية [2] في افريقية نسبة إلى زيري بن مناد الصنهاجي و الدولة الحمادية في المغرب الأوسط نسبة إلى حماد بن بلكين بن زيري [3]

عصر المرابطين (448 ،541 هـ /1056،1147م) لقد آن للبحث العلمي أن ينصف دولة المرابطين ويقول فيها كلمة عادلة لا تتأثر بعصبية بلدانية و لا بحمية دينيّة ، فقد رأينا كيف كان التشيّع للأندلس سببا في تشويه شخصية يوسف بن تاشفين من بعض الكتاب و الأدباء حتى أدى الحال إلى تجاهل عمله العظيم في إنقاذ ذلك القطر العزيز من المصير المؤسف الذي صار إليه فيما بعد [4] و في سنة (484هـ/1091م) قامت دولة المرابطين ، وهم من برابرة افريقية الشمالية ، مع عبد الله بن ياسين ثم يوسف بن يوسف بن تاشفين الذي ضمّ أطراف المغرب و أنقذ الأندلس من يد ألفونس السادس الذي كاد يستولي عليها ، وقرّب مابين أهل المغرب و الأندلس تحت ظلّ دولة واحدة [5] وهكذا تمكن يوسف بن تاشفين من فرض سيطرته على المغرب الأقصى ، ولكنه لم يدخل في صراع مع إخوانهم الصنهاجيين في

---

[1] باديس بن المنصور بن بلكّين (يوسف) بن زيري بن مناد الصنهاجي ، أبو مناد (374- 406هـ/ 984- 1016م) نصير الدولة : ثالث ملوك الدولة الصنهاجية في افريقية ، ولد بأشير ، وفي سنة (382هـ / 987 م)كتب العزيز بالله (صاحب مصر و المغرب) سجلا بولاية العهد له ، ثم ولي الملك بعد وفاة أبيه سنة (386هـ / 991 م) ، ولما ولي الحاكم بأمر الله ، كتب لباديس سجلين ، أحدهما بولايته المغرب و تلقيبه نصير الدولة ، والثاني بوفاة العزيز بالله و خلافة الحاكم ، واستبد باديس بقومه آل مناد ، ووقعت بينه و بين أعمامه و أعمام أبيه فتن ومعارك ، قتل خلالها عمّ أبيه ماكس بن زيري ، فخافه الباقون ورحلوا إلى الأندلس سنة (391هـ/ 996م) ، وكان باديس قد ولّي عمه حمّاد بن بلكّين أعمال الجزائر الشرقية ، فلما ثارت " زناتة " على باديس واستولت على ولايتي تلمسان و تيهرت ، أوعز إلى عمه حمّاد بالقضاء على ثورة زناتة ، فقاد هذا الجيوش وقمع الثورة ، ثم خرج على باديس واستقل بالمناطق الغربية و أسس إمارة جديدة ، وكان باديس شجاعا موفقا حسن التدبير و السياسة ، توفي فجأة ودفن بالقيروان ، أنظر : عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ط2 ، مؤسسة نويهض الثقافية ،بيروت – لبنان (1400هـ/ 1980م) ، ص 30 .

[2] الدولة الزيرية ستنجذب نحو إفريقيا وسيبدأ حكامها تدريجيا بترك عاصمتهم لينتقلوا إلى المنصورية تاركين حكم المغرب لسلالة تتفرع منهم هم الحماديون هذه الدولة الجديدة ستعلن استقلالها عام (405هـ / 1014م) وتقطع صلاتها بالقاهرة و ترتبط ببغداد ، انظر : عبد القادر جغلول ، المرجع السابق ، ص 57 ، كذلك : خير الدين الزركلي ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 63.

[3] حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي : مؤسس الدولة الحمادية بقلعة بني حماد وما إليها بالمغرب الأوسط ، وثاني دولة إسلامية جزائرية نظامية بهذه البلاد ، بدأ حياته السياسية سنة (387هـ/ 997م) حين ولاّه باديس بن المنصور (374- 406هـ / 979-1010 م) صاحب افريقية أعمال الجزائر الشرقية و أقطعه مدينة أشير ونواحيها ، وقاد الجيوش لقمع بعض الثورات فأظهر مقدرة عظيمة في السياسة و البطولة الحربية ، و طمحت نفسه لإنشاء دولة مستقلة ، فأنشأ القلعة (التي عرفت باسمه فيما بعد) على جبل عجيسة من جبال كتامة سنة (398هـ/1007م) و أقام بها منازعا لباديس بن المنصور في حكم الجزائر إلى أن أظهر الانفصال عن دولة باديس و نقض البيعة سنة (405هـ/ 1014م) وعلى سلطته على الجزائر ، وقامت في أيامه فتن و حروب أثارها بنو عمه فتغلب عليهم و تمكن من قمعها ، و استمر في الحكم إلى أن توفي بتازمرت ، وقيل بالقلعة ، قال ابن الخطيب :"كان نسيج وحده ، وفريد دهره ، وفحل قومه ، ملكا كبيرا و شجاعا ثبتا ، وداهية حصيفا ، قرأ الفقه بالقيروان ، ونظر في كتب الجدل ، و أخباره مشهورة " ، انظر : عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 122- 123 ، أيضا : محمدي عبد المنعم محمد حسين ، المرجع السابق ، ص 227 ، عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، ط 2 ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، (1411هـ/1991م) ، ص 112- 113.

[4] عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 65.

[5] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 894 .

المغربين الأدنى و الأوسط ، ففي المغرب الأدنى كان هناك بنو زيري و في المغرب الأوسط ، ففي المغرب الأدنى كان هناك بنو زيري و في المغرب الأوسط كان بنو زيري وبنو حماد الصنهاجيين ، وغربي يحكمه المرابطون [1]

لقد كان أساس دعوة المرابطين العلم ، وعليه قامت دولتهم[2] و في عصر الموحدين عاد الاهتمام بالثقافة العربية الرفيعة ومن ثم عاد الشعر إلى مكانته ، ووجد رواجا في بلاط الموحدين ، لأنهم يعرفون العربية ، وظهر في عصرهم علماء و فلاسفة كبار كابن رشد [3]

عصر الموحدين (541 ، 667 هـ /1147، 1229م) : مرّت الأندلس[4] بعد اضمحلال أمر المرابطين ، بفترة طوائف ثانية ، هي صورة مضطربة للفترة الأولى ، ثم حلّ الموحّدون محلّهم بعد أن استتبّلهم الأمر في مراكش ، وكان ذلك سنة (541هـ / 1146م) على يد محمد بن تومرت من جبل السوس في المغرب [5] ونضيف إلى هذا العامل الأساسي عاملا أخر مهما هو ما توفر للمهدي من مصادر للعلم مختلفة ومتنوعة ، فقد وقف على الفقه المالكي بحكم انتشاره بالمغرب ، ووقف على الفقه الظاهري بحكم انتشاره بالأندلس وقد كان مر بها و ربما درس فيها ، ووقف بالمشرق على الفقه الحنفي و الشافعي ، كما انه درس او اطلع على مختلف المدارس في العقيدة الحزمية بالأندلس ، و الاشعرية و الاعتزالية و الشيعية بالمشرق ، حيث كانت بغداد تعج بهذه الاتجاهات ، وتحفل بالحوار القائم بينها من جهة ، وبينها وبين الأديان و المذاهب غير الإسلامية من جهة أخرى ، وقد اكتسب المهدي هذا التنوع و التعدد في مصادر مرونة عقلية وتحررا من الانغلاق المذهبي ، فكانت آراؤه متنوعة ، غير مترتبة بحسب المذاهب ، وإنما هي مترتبة بحسب ما يراه حقا ، و بحسب ما يخدم غرضه الإصلاحي [6] و لقد عرف ابن تومرت كيف يتملق الوعي القومي عند البربر باستحداثه الأذان باللسان البربري ، وإذا كان أتباعه يعدّون سائر الناس كفارا ، فقد كان في وسعه أن يشن الهجوم على دولة المرابطين في وقت قريب [7]

---

[1] محمدي عبد المنعم محمد حسين ، المرجع السابق ، ص 49 ، أيضا : حامد محمّد الخليفة ، يوسف بن تاشفين (400 - 500 هـ/1009- 1106م)، مكتبة الصحابة ، القاهرة ، (1435هـ/2004م) ، ص 187.

[2] عبد الله كنّون ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 67.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 246 .

[4] خورقال ابن فرحون : دخل الموحدون الأندلس في شهر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين و خمسمائة ، فنزلوا بجزيرة طريف ، وكان الأمير عليهم الشيخ موسى بن سعيد ، فدخل طريفا طوعا من أهلها ، ثم أرسل إليه أهل الجزيرة الخضراء فدخلها عليهم يوم النحر ، وهرب المرابطون إلى اشبيلية ، أنظر : ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس ، المصدر السابق ، ص 189.

[5] حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 893 .

[6] عبد المجيد النجّار ، المهدي بن تومرت (524هـ / 1129م) حياته و آراؤه و ثورته الفكرية و الاجتماعية و أثره بالمغرب ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، (1403هـ/ 1983م) ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر ، ص 325.

[7] كارل بروكلمان ، المرجع السابق ، ص 325.

أما اضمحلال الأندلس معنويا فليس هناك من ينكر أن الازدهار الذي عرفته في أيام المرابطين ، ثم الموحدين بعدهم ، يكاد يفوق ما كان لها منه أيام الخلفاء و ملوك الطوائف و خاصة في ميدان العلوم و الآداب ، أن معظم أعلام الفلسفة و الطب الأندلسيين ، هم ممن عاشوا في هذا العصر أو نبغوا بعده بقليل ، فأبوبكر بن باجة المعروف بابن الصائغ الفيلسوف و الطبيب و الموسيقار هو ممن أظلته دولة المرابطين و خدم رجالها بعلمه و فنّه ،وأبو الوليد بن رشد و أبو بكر بن طفيل و أبناء زهر هم ممن نبغوا في أعقاب هذا العصر و انتشرت معارفهم في العصر الموحدي الذي يليه .. وكبار اللغويين و النحاة و المفسرين و المقرئين فضلا عن مؤرخي الآداب ، والشعراء و الكتاب ، الذين أنجبتهم الأندلس في حياتها الثانية بعد خضوعها لدولة المرابطين ، هم ممن لا يأتي عليهم العدّ ، ولا يتسع المقام حتى لذكر المشاهير منهم ، فهل هذا هو الاضمحلال المتحدّث عنه ؟ [1] ففي خصوص علم النحو ظهر النّحاة الذين كان لهم مقام كبير ، وألّفوا الكتب التي ما تزال تعرّف بعلو قدرهم وتنبئ عن رسوخ قدمهم في هذا العلم ، كابي موسى الجزولي صاحب الكرّاسة الشهيرة في النحو ، وتسمى أيضا المقدمة الجزولية ، وبعضهم يسميها القانون و الاعتماد ، وكابن معط صاحب الألفية النحوية التي عمل ابن مالك ألفيته على مثالها ، بل إن التفوق في هذا العلم أدّى إلى وجود مدارس نحوية هنا و هناك ، تفرّدت بآراء خاصة في بعض مسائل الاعراب وغيره ، فهذه مدرسة فاس التي سيختلف أهلها مع مدرسة تلمسان في مسألة صرف أبي هريرة ، وهي مدرسة سبتة التي تخالف الجمهور في ضمّ النكرة المقصودة إذا نوّنت اضطرارا ، وهذه مدرسة طنجة التي توجه أسئلة نحوية إلى مدرسة اشبيلية [2] وفي عصر الموحدين عاد الاهتمام بالثقافة العربية الرفيعة ومن ثم عاد الشعر إلى مكانته الأولى ، ووجد رواجا في بلاط الموحدين ، لأنهم يعرفون العربية [3] فهذا المحدث أبو الخطاب من دحية السّبتي يقول الغبريني عنه في عنوان الدراية :" انه كان من أحفظ أهل زمانه باللغة حتى صار حوشيّ اللغة عنده مستعملا غالبا عليه ، ولا يحفظ الإنسان من اللغة حوشيّها إلا وذلك أضعاف محفوظة من مستعملها " وروى أن والي بجاية جهّز قطعا بحرية بعث فيها بعض الغزاة إلى المغرب فأخذ خديم لأبي الخطاب في جملة هؤلاء الغزاة أثناء إقامته ببجاية ، فكتب إلى الوالي رسالة مغلقة من كثرة ما استعمل فيها من الغريب ، فلم يفهم الوالي معناها حتى استكثر كتب اللغة ، الصحاح و غيره ، ولم تتضح له حتى سافرت المراكب ، قال الغبريني : " و هذا أقلّ عوارض الخروج عن العادة و عدم سلوك السبيل " ..وكذلك أخوه أبو عمرو بن دحية السبتي كان مثله في الحفظ للغة و الذكر لغريبها [4]وقد

---

[1] عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 66- 67 .

[2] عبد الله كنّون ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 127 .

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 246 .

[4] عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 127 .

نشطت المباحث اللغوية في هذا العصر نشاطا كبيرا و يكفي للدلالة على ذلك إن تشير إلى ما كتبه الإمام أبو القاسم السّهيلي المالقي نزيل مراكش و دفينها من التحقيقات البالغة الأهمية في هذا الصدد ، وخاصة في كتابه الروض الأنف الشهير ، و إلى ما كتبه العلامة ابن هشام اللخمي الاشبيلي مولدا السبتي دارا من التعاليق والشروح ف النحو و اللغة و تقويم اللسان ، وأهمها كتابه في لحن العامة الذي ردّ به على الزبيدي وعلى ابن مكي في الموضوع فصحّح ما وهما فيه ، وتعرض للحن عامة زمنه ، مما يدل على تضلعه واتساع مادّته ، وبالجملة فهو كتاب مفيد جدا في الاطلاع على تطور الدراسات اللغوية في المغرب و الأندلس معا [(1)]

و من الآراء التي ظهرت في تفسير ظاهرة التعريب في البلاد المفتوحة حرص الخلافة الإسلامية ابتداء من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705 م) على تعريب الدواوين ، فقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أن عبد الملك بن مروان أمر واليه على الأردن سليمان بنقل ديوان الأردن إلى العربية ، الأمر الذي أدى إلى تعريب اللسان و نشر الخط العربي في كل البلدان التي توالى فيها بعد ذلك نقل دواوينها إلى اللغة العربية ، ذلك أن :" استخدام اللغة العربية في الشؤون الإدارية كان وسيلة فعالة كبرى إلى نشر العلم بطراز معهود في الكتابة العربية ، ومن الثابت أيضا أن هذا الطراز لم يتم تطوره الكامل بتحقيق حروف الهجاء حتى أواخر القرن الأول بعد الهجرة " [(2)] مثال آخر من العصر الإسلامي ، وهو فارس ، الذي حرص الأمويون على تعريب ديوانه وان تأخر ذلك إلى سنة (124هـ/ 740م) حيث تم بالفعل تعريب ديوان فارس بأمر من الخليفة هشام عبد الملك ، وقد استخدم العرب في هذا الديوان بعض أهالي فارس من غير المسلمين و خصوصا في الوظائف المالية ، لان فارس كانت بها طبقة الدهاقين التي عرفت بمهارتها المالية ونبوغها في أعمال الخراج و معرفتها بالأسرار الإدارية و السياسية ، وقد استخدم أفراد هذه الطبقة في عهدي الراشدين وبني أمية ، ومع ذلك لم يتم تعريب فارس في يوم من الأيام ، وان أدت مثل هذه الإجراءات التي أدت إلى انتشار اللغة العربية ، ولكنها لم تؤد إلى التعريب [(3)]

في تقديرنا أن في نهاية القرن (2هـ/8م) انتهى الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا بنصف إفلاس ، فمن مائة عام مضت ، كان كل من سيدي عقبة و موسى بن نصير قد عبرا البلاد منتصرا من القيروان حتى المحيط الأطلسي ، و لكن لم تتجدد بعد ذلك هذه الحملات الملحمية ، ففي (146هـ /763م) عندما أراد الوالي الأغلبي التقدم ضد تلمسان و الوصول إلى طنجة ، تخلى عنه رؤساء الجند ، كما تنازل الخلفاء

[(1)] عبد الله كنّون ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 128.

[(2)] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 157.

[(3)] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 158.

العباسيين عن السيطرة على ثلثي بلاد البربر ، كما اهتم ممثلوهم بإعادة السلام في ولايتهم و تقوية الدفاع عنها أكثر من توسيع الحدود ، ومع ذلك ورغم إن هذه المجهودات و التضحيات لم تحظ بالتوسع السياسي و الإيرادات المالية المرجوة فقد حققت نتيجة هائلة في المجال الروحاني : فبلاد البربر بدون شك لم تصلح كلها إسلامية ، ولكن الإسلام ظهر في كل مكان ، وتغلغل في السكان الذين لم يخضعوا بعد ، في صورة المذهب السني أو الخارجي ، و سوف يرى القرن التاسع إتمام عملية انتشار العقيدة و غزو الإسلام لمواقع جديدة بفضل النظام الجديد الذي أقيم في البلاد [1] هناك ترابط في اللغة العربية بين كلمة " مدينة " و كلمة " تمدين " (حضارة) : نلاحظ اشتقاق كلمة من الأخرى ، هذه الحضارة المدنية (المعنى اللفظي عائد من مدينة) هي استيراد مشرقي ، و مع ذلك يمكن الإشارة إلى أن ظهور الحضارة و ازدهارها بالبلاد بدأ في المدة التي كانت تحت الحكم الروماني ، إذ أن الثقافة الإسلامية في بلاد البربر بدت و كأنها نهضة ، أو كأنها إحياء لشيء من ماضي بعيد ، فمدينة فاس عاصمة الأدارسة ، و حتى تاهرت عاصمة الرستميين ستزدهر كل منهما وفقا لمدينة القيروان عاصمة الأغالبة [2]

اهتم العرب بإنشاء الكتاتيب ، لتعليم الصبيان القراءة و الكتابة عقب تأسيس القيروان وكان ذلك سببا في سرعة انتشار اللغة العربية بين سكانها الأصليين و كانوا يدرسون في تلك الكتاتيب القران الكريم و الحديث و الدين و اللغة ، و انتشرت الكتاتيب في أحياء القيروان و حذا حذوها في هذا الميدان سائر مدن المغرب [3] انتشر التعليم في تاهرت في العهد الرستمي ، و حرص الأئمة على التدريس في المساجد مجانا في علوم الدين و اللغة ، وكانت هذه العلوم تطغى على الحياة الفكرية [4] و هنا ننتهي إلى أن اللغة العربية رغم أنها كانت لغة الغالبين الفاتحين فان ذلك لم يؤد إلى التعريب ، و أدى ذلك إلى انتشار اللغة العربية في تلك البلاد ، إذن :

فما هو السبب الذي سمح لعوامل انتشار اللغة العربية أن تأخذ مسيرتها نحو التعريب ؟ [5]

عند تتابع الفتوح اتسعت رقعة دولة الإسلام ، وامتد سلطانها ليشمل أمما جديدة من روم وفرس و غيرهما ، ونزل العرب تلك البلاد المفتوحة و اختلطوا بأهلها ، وقد كانت ملكة اللسان العربي عندهم صافية ناصعة ، فلما فارقوا الحجاز " [6] و خالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقي إليها السمع

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 62.

(2) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 64 .

(3) عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 174.

(4) عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 343 .

(5) محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 161.

(6) محمد عبد الله ابن الثمين ، اللّحن اللغوي و أثاره في الفقه و اللّغة ، ط ، دائر الشؤون الإسلامية ، دبي ، (1429هـ/2008م) ، ص 34-35.

من المخالفات التي للمتعربين من العجم - و السمع أبو الملكات اللسانية — ففسدت بما القي إليها مما يغايرها ، لجنوحها إليه باعتياد السمع "

الإيمان بأن اللغة العربية أصل لجميع اللغات يعني أن الكلمات في اللغات الأخرى تنحدر من أصول عربية ، وعليه فان كلمة ما في لغة ما على الأغلب هي الشكل الأخير لكلمة عربية لفظا ودلالة ، وتختلف الكلمات فيما بينها كلّ حسب الظروف التي مرت بها و الأحوال التي كانت عليها و هي تتقلّب بين اللهجات في رحلتها الزمنية منذ كانت في حضن اللغة الأم و إلى الزمن الحاضر [1] ولا ريب أن الانطلاق أثناء الترجمة إلى العربية من مبدأ انتساب كلمات النص أصلا إلى العربية يفيدنا كثيرا في نقل المعنى الصحيح للكلمة المترجمة ، ووضع الكلمة المناسبة لها و التي يعتقد أنها أصل لها في العربية ، ونسلم بذلك من الوقوع في أخطاء الترجمة التي تخرج الكلمات العربية عن معناها الصحيح بعد أن يشيع استعمالها الخاطئ [2] مهما قيل في هذا من اعتبارات فانه لا يفسر لنا الأسباب التي وقفت حائلا أمام تعريب هذا الجزء من العالم الإسلامي في العصور الوسطى ، مهما غدت مئات من الكلمات العربية تمثل جزءا أساسيا في قاموس اللغتين الاسبانية و البرتغالية ولما دخل العرب إلى مصر سرعان ما انتشرت لغتهم بين المصريين حتى أصبحت لغة التخاطب بينهم ، لكن هذا لم يمنع من إحياء اللغة القبطية في أول الأمر على حساب اللغة اليونانية التي كانت لغة البلاد الثقافية منذ عهد البطالمة ، وقد استهل كثير من المصريين كتابة العربية بحروفهم القبطية ، وقد بقى لنا عدد من الوثائق العربية التي كتبوها بالحروف القبطية ، ثم تأتي بعد ذلك المفاجأة و هي تعريب مصر على الرغم من عدم انتشار الإسلام بين كل أبناء مصر ، وقد اتضحت هذه الظاهرة في القرن (4هـ/10م) عندما نجد بعض المؤرخين المسيحيين يدونون كتاباتهم التاريخية — وبعضها في تاريخ الكنيسة نفسه — باللغة العربية ومن هؤلاء البطريق الملكاني سعيد بن بطريق المعروف باسم (اوتيخا) المتوفي سنة (328هـ/940م) قد دون بالعربية كتابا تاريخيا كبير في جزءين أسماه (كتاب التاريخ المجموع على التحقيق و التصديق) وكذلك ساويرس بن المقفع — أسقف الأشمونيين — المتوفي في أواخر القرن (4هـ/10م) و الذي دون كتاب (سير الآباء البطاركة) و قال في مقدمته ما نصه ".. فاستعنت بمن أعلم استحقاقهم من الإخوان المسيحيين و سألتهم نقل ما وجدناه منها بالقلم القبطي و اليوناني إلى القلم العربي لا، الذي هم الآن معروف عند أهل الزمان بإقليم ديار مصر ،

---

[1] عبد الرحمان أحمد البوريني ، المرجع السابق ، ص 94.

[2] عبد الرحمان أحمد البوريني ، المرجع نفسه ، ص 95.

لعدم معرفة اللسان القبطي و اليوناني .." [1] فان تفكير اليونان و الإيرانيين و الهنود و الصينيين إنما وصل إلينا معظمه عن طريق الترجمة باللغة العربية ، أي بواسطة أداة سامية ، وكذلك سلك التأثير السامي الطرق التجارية التي استخدمها المشارقة ، وهجرة جماعات صغيرة [2] من خلال ما ترويه المصادر من أخبار عن دخول الترجمات المشرقية إلى الأندلس و احتفاء الناس بها من جهة ، وانتفاعهم ببعض ما كان وقع لهم من تراث اللاتيني في الطب و الفلك وغيرهما من جهة ثانية ، ويمكن القول بأن معرفة الأندلس بآثار الترجمة ابتدأ في وسط المائة الثالثة من تاريخ الهجرة ، أي أيام الأمير محمد (238- 263هـ / 853- 877م) حين تحرك الناس ، كما يقول القاضي صاعد ، (إلى طلب العلوم) ، وقد دعا هذا التحرك بعضهم للرحلة إلى المشرق قصد لقاء الشيوخ والسماع منهم ، وكان من هؤلاء المعتنون بعلم الحساب و النجوم مثل أبي عبيدة مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة البلنسي المعروف بصاحب القبلة ، وكان عالما بحركات الكواكب و أحكامها ، وكان منهم المهتمون بالفلك و الطب و غيرهم من العلوم مثل يحي ين يحي المعروف بابن اليتيمة من أهل قرطبة ، وقد كان بصيرا بحساب النجوم و الطب و غير ذلك ، متصرفا في العلوم ، متفننا في ضروب المعارف وفي هذه الفترة بالذات نجد بعض علماء المشرق يفدون على الأندلس ، و قد عرفنا من هؤلاء الحراني الذي كانت عنده مجرّبات حسان في الطب و اشتهر بقرطبة و حاز الذكر فيها [3] و الجديد في حركة الترجمة خلال القرن السابع هو اهتمامها بكتب الأدب و الحكمة و نقلها إلى القشتالية مثل كتاب (كليلة ودمنة) لابن المقفع و كتاب " مختار الحكم " لمبشر بن فاتك ، فكلاهما ترجم بإشارة من ألفونصو العاشر إلى القشتالية [4] أما فيما يتصل باللغة اللاتينية فان أهم أثر كان لها في العربية بفضل ما نقل منها إلى هذه الأخيرة في الأندلس هو المتعلق بالتدوين التاريخي ، وأهم كتاب في ذلك هو كتاب هيروشيوش الذي تمّت ترجمته في قرطبة خلال القرن الرابع الهجري و هو من أوائل ما ترجم من اللاتينية إلى العربية في الأندلس [5] و الظاهر أن استفادة المؤرخين المسلمين في الأندلس من التراث التاريخي المكتوب باللاتينية وغير اللاتينية استمرت حتى فترات متأخرة من حياة الإسلام و المسلمين بالجزيرة حين تشح علينا المصادر بإخبار الترجمة و التراجمة بعد القرن السابع

---

[1] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 150- 151.

[2] موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 17 .

[3] حسن الوراكلي ، ياقوتة الأندلس دراسات في التراث الأندلسي ، (د ط) ، الطباعة مؤسسة جواد ، دار الغرب الإسلامي ، 1994م ، بيروت، ص 21 .

[4] حسن الوراكلي ، المرجع السابق ، ص 40-41 .

[5] حسن الوراكلي ، المرجع نفسه ، ص 47.

الهجري بالذات ، فخلال القرن الموالي نجد أحد أعلام مؤرخي الأندلس وهو لسان الدين بن الخطيب يفيد في تأليف مدونته التاريخية (الأعلام بمن بويع من ملوك الإسلام قبل الاحتلام) من ترجمة جزئية لإحدى المدونات التاريخية التي ألّفت بتوجيه من الملك الفونصو العاشر ، ولعلّها أن تكون المسماة " المدونة العامة الأولى لتاريخ اسبانيا " [1] فقد سبق لهرون الرشيد نفسه أن استدعى مرة الطبيب الهندي منك إلى بغداد ، كما سبق للبرامكة أن أمروا بنقل بعض كتب الطب الهندية إلى اللغة العربية ، فلما كانت خلافة المأمون لقيت هذه الجهود كلها عطفا منه ورعاية ، فلقد حاول أن يجمع في مكتبة بلاطه الموسومة ببيت الحكمة ، كنوز العلم الإسلامية إلى كنوز العلم الأجنبية ، وأمر بان تشترى المصنّفات اليونانية من أسيا الصغرى ، وفي عهده استهل أبو يوسف يعقوب الكندي – " فيلسوف العرب " ، واحد العقول الكبرى في تاريخ العالم [2] إن العناية المميزة التي أولاها المترجمون إلى اللاتينية و غيرها للمعارف العلمية لم تحل دون تأثر آداب القوم بألوان من النتاج الأدبي المكتوب باللغة العربية ، و هو تأثر يمكن القول بأنه كان ، أحيانا ، يستحيل إلى ما يشبه الأصل أو الأساس الذي بنوا عليها بعض فنونهم الأدبية .

وتعليل ذلك ، مع عدم الاحتفال من قبل المترجمين بالآثار الأدبية ، على وجهين :

أولهما : انتشار العربية بين النصارى و غير النصارى و إقبالهم ، في شيء غير يسير من الإعجاب و الإكبار ، على قراءة الآداب المكتوبة باللغة العربية من شعر و نثر ، يجدون في ذلك إمتاعا كبيرا أو (لذة كبرى) كما عبّر " ألفارو" و يكتسبون ، في الوقت ذاته ، بعبارة " ألفارو" أيضا ، أسلوبا عربيا جميلا صحيحا ما زالوا به حتى أجادوه في الكتابة و النظم .

وثانيهما : اهتمام المترجمين من اليهود خاصة بالآثار الأدبية و اللغوية العربية و نقلها إلى العبرية و النسج فيها على منوالها ، ثم نقلها أحيانا ، إلى بعض اللغات الرومانية كالقشتالية ، وإذن فمنافذ التأثير للأدب العربي على آداب اللغات الأخرى في الأندلس كانت متوافرة وكافية حتى ولو لم يتم ..وهذا هو ما يسّر في تصورنا عملية التأثير، التي أتيحت للآداب العربية في لغات أهل الأندلس من غير العرب، فضلا عما ترجم من تلك إلى هذه [3]

و لم تعرف كلمة اللغة طريقها إلى الظهور بين المفردات العربية، إلا بعد انتهاء القرن الثاني الهجري و قد أطلقت آنذاك على ما جمعه الرواة من البادية عن العرب الفصحاء ،بعد فشو اللحن ..ولم يطلق على

---

[1] حسن الوراكلي ، المرجع نفسه ، ص 50.

[2] كارل بروكلمان ، المرجع السابق ، ص 202 - 203 .

[3] حسن الوراكلي ، المرجع السابق ، ص 52 – 53 .

الرواة ،و هم القائمون بفنون اللغة لفظ اللغوي إلا في القرن الرابع بعد أن استفاض التصنيف في اللغة و تميزت العلوم العربية ،و استعجمت الدولة فصار صاحب اللغة يعرف بها ...وخلف ذلك اللقب لقب الرواية وممن عرفوا به في القرن الرابع أبو الطيب اللغوي و ابن دريد و الأزهري و غيرهم و يعتقد أن الكلمة لم ترد في الأدب العربي قبل القرن الثامن الهجري فقد جاءت أول مرة في شعر لصفي الدين الحلي و هو :

بقدر لغات المرء يكثر نفعه فتلك له عند الملمات أعوان

فهافت على حفظ اللغات و فهمها فكل لسان في الحقيقة إنسان [1]

كما لم ينل موضوع تطور العربية ،من الباحثين غير العرب إلا اهتماما محدودا [2] وتمتاز العربية بما ليس له مثيل من اليسر في استعمال المجاز ، وإنما بها من كنايات ومجازات واستعارات ليرفعها كثيراً فوق كل لغة بشرية أخرى ،وللغة خصائص جمة في الأسلوب والنحو ليس من المستطاع ، أن يكتشف له نظائر في أي لغة أخرى، وهي مع هذه السعة والكثرة أفضل اللغات في إيصال المعاني وفي النقل إليها، يبيّن ذاك أن الصورة العربية لأي مثل أجنبي اقصر في جميع الحالات وقد قال الخفاجي عن ابن داود المطران – وهو عارف باللغتين العربية والسريانية– انه إذا نقلت الألفاظ الحسنة إلى السريانية قبحت وخست، وإذا نقل الكلام المختار من السريانية إلى العربية ازداد طلاوة وحسنا، وان الفارابي على حق حين يبرر مدحه العربية لأنها من كلام أهل الجنة وهذه الكلام منزه بين الألسنة من قل نقيصة ومعلى عن كل خسيسة، ولسان العرب أوسط الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا [3] ولقد أشار إلى هذا التشابه أحمد مختار الحيادي بقوله :"... إن التشابه الجغرافي بين المغرب والأندلس ،كان له أثره الكبير في تشابه الأحداث التاريخية للبلدين" [4] نظرا لكون هدفنا الأساسي هو إبراز دور أبناء المغرب الإسلامي في بناء الصرح الثقافي العربي الإسلامي ، و ليست غايتنا هي القبلية في حد ذاتها [5] وكذلك تولدت الجماعات اليهودية ، التي تكتب باللغة العبرية أو الآرامية و تتحدث باللغة العربية ، و الجماعات النسطورية التي تكتب اللغة السريانية و تتحدث باللغة العربية ، ونلاحظ أخيرا أن العمليات الثلاث التي حللناها باختصار : انتشار الإسلام و اللغة العربية و التأثير السامي (عن طريق الحضارة) كانت المدن مسرحها ، في بداية الأمر[6] ومع الفتح الإسلامي فتحت أبواب المدن في وجه السكان المحليين ، وبدأت تتحول تدريجيا من معسكرات إلى مدن ، أما المدن التي تأسست حديثا : القيروان

---

[1] عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية ، نشأة و تطوّر ، ط2 ، مكتبة وهبة ، (1414 هـ/ 1993م) ، ص 24 – 25 .

[2] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 5.

[3] مريم عبد الحسين التميمي ، أثر اللغة العربية في اللغات الحية الانجليزية و الاسبانية مثالا ، (د ط) ، المؤتمر العلمي الأول لكلية التربية الأساسية ، جامعة الكوفة ، 2010م ، ص 4.

[4] أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والأندلسي ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1972م ، ص229 .

[5] بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 27.

[6] موريس لومبار، المرجع السابق ، ص 18 .

– تاهرت – نكور – سجلماسة – فاس ، وغيرها ، فكلها تأسست على أكتاف البربر و كانت بالتالي تظم أعداد كبيرة منهم ، فهي مدن عربية (بربرية منذ لحظة تأسيسها) [1]

أولا : **القيروان** : فالعرب المسلمون الذين انطلقوا فاتحين في صدر الإسلام كانوا يتكلمون العربية الفصحى [2] و اللغة العربية هي اللغة الصحيحة[3] **قال تعالى** : **{ قرانا عربيّا غير ذي عوج لعلّهم يتقون }** [4] و يعبر القران الكريم عن اللغة بكلمة لسان [5] قد جذبت مظاهر العظمة و الثراء التي كانت تسود بلاط القيروان و قصور المدن المحيطة بها ، إلى هذه المدن أفواجا من الأدباء و العلماء و الفقهاء الذين سيضعون مدارس و مذاهب ، وسيتتلمذ لهم البربر ، كما تتلمذوا من قبل على علماء الرومان ، ومن القيروان ، سينتشر النفوذ الديني و اللغوي و الفني و الأدبي ، والعادات و التقاليد و الإطارات الفكرية ، حول المدينة في المرحلة الأولى ، ثم إلى داخل البلاد ، في مرحلة تالية بواسطة الطريق المؤدية إلى الهضاب العليا ، بمجرد ما تحطمت مقاومة البربر و انسحبت بقاياهم إلى الجبال المنيعة ، حيث لا تزال اللغة البربرية الأصلية مستعملة ، وعلى طول هذه الطريق التي تقطعها طرق آتية من الجنوب من محطات تجارة القوافل عبر الصحراء ، ستنشأ مدن جديدة [6]

ثانيا : **قرطبة** [7]: تقويم قرطبة في سنة (350 هـ/ 961م) مكتوب باللغة العربية و اللغة اللاتينية ، والكنيسة ، ستحافظ على جميع الخصائص الأساسية التي تميزها منذ عهد القوط حتى استرجاع المسيحيين الأندلس ، وأما علاقاتها مع الدول المسيحية الواقعة في الشمال ، فقد كانت تزداد قوة مع مرور الزمن حتى نهاية القرن (الرابع الهجري / العاشر الميلادي) [8] ولقد تأثر ابن حزم في شعره بالاضطرابات التي سادت الأندلس و الفتن التي مزقت هذه البلاد ، وشهد في شبابه دمار قرطبة ، وتغير مجرى حياته ، فبعد أن كان مترفا في معيشته ، ذاق مرارات الحرمان و البؤس ..فلقد

---

(1) عبد العزيز غوردو ، المرجع السابق ، ص 69.

(2) عبد الرحمان أحمد البوريني ، المرجع السابق ، ص 31 .

(3) اللغة العربية هي الأنسب لقران غير ذي عوج ، و اعوجاج اللسان هو انحرافه عن المسار الصحيح ذلك المسار الذي يتحقق به البيان ، فلا شك ان اللسان العربي المبين إنما يحافظ على هذه الخصوصية مادام مستقيما على المسار الصحيح ، أنظر: عبد الرحمان أحمد البوريني ، المرجع نفسه ، ص 34 .

(4) سورة الزمر ، الآية 28 .

(5) عبد الغفار حامد هلال ، المرجع السابق ، ص 25.

(6) موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 105.

(7) اللغة العربية ومبادىء الإسلام ، القدسي ، المصدر السابق ، ص 233 ، انظر: توفيق سلطان اليوزبكي، الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوربا ، المجلد 5 ، العدد 20 ، (1431هـ/2010م) ، ثقافاتنا للدراسات والبحوث ، ص 125.

(8) موريس لومبار ، المرجع نفسه ، ص 116.

تمخص في علوم الحديث و الفقه و الأديان و اللغة و النحو و الأدب و التاريخ [1] ويقول صاعد : كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علوم اللسان و البلاغة و الشعر و السير والأخبار[2] وكانت سوق الكتب في قرطبة ، من أشهر الأسواق وأحفلها بالحركة ، بل لقد سرى هذا الشغف باقتناء الكتب إلى النصارى و اليهود أنفسهم ، وكان الكثير منهم يجيدون اللغة العربية ، ويتذوقون ثمرات التفكير العربي من أدب و شعر و فلسفة وغيرها ، وكان من أشهر هؤلاء الطبيب اليهودي حسداي ، طبيب الحكم الخاص ، وفي ظله و تحت رايته كتب يهود قرطبة باللغة العربية ، وألفوا بها مختلف الكتب ، وكان من أشهر المكتبات الأندلسية الخاصة فيما بعد [3] أما جامعة قرطبة ، فقد كانت يومئذ من أشهر جامعات العالم ، وكان مركزها في المسجد الجامع ، وتدرس في حلقاتها مختلف العلوم ، وكان يدرس الحديث أبو بكر ابن معاوية القرشي ، ويملي أبو علي القالي ضيف الأندلس دروسه عن العرب قبل الإسلام ، و عن لغتهم و شعرهم و أمثالهم ، وكان ابن القوطية يدرس النحو ، وكان يدرس باقي العلوم أساتذة من أعلام العصر ، وكان الطلبة يعدون بالآلاف [4] لذا تعتبر المراكز الحضرية منطلق نشر العربية و الإسلام ، " فقد اعتبرت سوقا تجارية كبيرة..تقام فيها حلقات الدرس في المساجد يؤمها الصبيان ثم ، الشبان يلبسون زيا خاصا بأهل العلم والدراسة ، وفي الحلقات يقوم شيوخ كبار ، من أمثال أسد بن الفرات و سحنون و عبد الرحمان بن زياد بن أنعم و يحي بن عمرو و أبي عثمان سعيد بن الحداد اظافة إلى عشرات العلماء الذين وفدوا من الشرق خصيصا لغرض التعريب و الأسلمة ، والذين عرضت لهم التراجم ، مثل رياض النفوس في أكثر من مناسبة [5]

مدارس التعليم الإسلامي العربي : نشأت مدارس فقهاء اللغة التي ردت العربية إلى نظام نحوي يمكن تعلمه ، و جمعت الثروة اللغوية ، ودونت النصوص التي رويت شفاهة حتى ذلك الحين ، فقد كانوا من امتلك مفتاح لغة العبادة في الإسلام و لغة الثقافة في الدولة ، ولم تشكل المعرفة الصحيحة بالعربية شرطا للتبعية إلى الطبقة الحاكمة فحسب ، بل أنها تبلغ أيضا التبصر الحقيقي بإرادة الله ، الذي أوحى بها باللغة العربية من خلال القران الكريم و ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من أفعال و أقوال ، وهكذا

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 233- 234 .

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع نفسه ، ص 233 .

[3] محمد عبد الله عنّان ، دولة الإسلام في الأندلس الخلافة الأمويّة و الدولة العامرية ، العصر الأول – القسم الثاني ، ط4 ، مطبعة المدني ، (1417هـ/1997م) ، ص 506 - 507 .

[4] محمد عبد الله عنّان ، المرجع السابق ، ص 507.

[5] عبد العزيز غوردو ، المرجع السابق ، ص 70 ، سعيد الأفغاني ، نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي ، ط2 ، دار الفكر ، بيروت ، (1389هـ/1969م) ، ص 12.

فقد كان فقه اللغة سيد العلوم ، إذ شمل في البداية بالنسبة لكل المتدينين مجالات المعرفة، التي تتبعها معرفة الشريعة الإسلامية، بوجه خاص ففي ذلك الوقت ،كانت الثقافة تعنى أولا و قبل كل شيء للثقافة اللغوية أي معرفة النحو العربي و الشعر العربي القديم، بما في ذلك نوادره المعجمية ، و لقي فقهاء اللغة و الأدباء المثقفون، ثقافة لغوية تقديرا بالغا في المجتمع ، فقد ترددوا على الحلقات الأدبية للخلفاء و أمراء الولايات ، حيث لا ينحرج المرء من مناقشة دقائق الإرث اللغوي العربي، و المشكلات الجدلية في فقه اللغة [1]

كانت المساجد الأولى التي بناها المسلمين مراكز علمية هامة ، و معاهد للدرس و التحصيل قبل أن تظهر الجامعات و المدارس ففيه كان يسمع التلاميذ على أساتذتهم في الفقه و اللغة و الحديث و القراءات و غيرها من الدراسات العلمية دينية و أدبية ولغوية ومن أولى المساجد جامع الأنصار بموقع القيروان الأولى سنة (31هـ/651م) ثم جامع عقبة الكبير الذي أنشأه سنة (51هـ/671م) و أنشئت عدة مساجد داخل بلاد البربر و السوس ثم تأسيس مساجد خاصة بقصد الأعمال الخيرية و أشهرها بالقيروان مسجد الرباطي أو الحبلى و مسجد أبي ميسرة و مسجد محمد خيرون الأندلسي [2] انتشر التعليم في تاهرت في العهد الرستمي ، فكان الرستميون يدرسون في مساجدهم مجانا علوم الدين و اللغة ، وكانت هذه العلوم تطغى على الحياة الفكرية ، فقد ذكرنا أن مختلف المذاهب كانت موجودة في تاهرت ، و أن المجادلات كانت تجري بينهما ، و هذا يعني انه كان الرستميين أن يواجهوا المعارضة السياسية التي لبست ثوبا مذهبيا وهذا يتطلب منهم التعمق في التفقه في شؤون الدين و مسائل الفرق و البراعة في الجدل .

يلاحظ أن الحياة الفكرية في تاهرت كانت مرتبطة بالمشرق [3]، وأرسل الرستميون أموالا لشراء الكتب .. جعلت منها مركزا للدراسات الإسلامية ، وقد ساهم الرستميون في هذه الحركة ، فقد كان الإمام عبد الرحمان عالما محبا للعلم ، يلقي دروس العلم و الوعظ في المسجد الجامع ، وكان ابنه عبد الوهاب عالما في شؤون الدين ، فألف كتاب "مسائل نفوسة " وأرسل إلى إخوانه في البصرة ألف دينار لشراء كتب ، فأرسلوا له حملا أربعين جملا [4] عمل الرستميون طوال حكمهم الذي دام أكثر من قرن و نصف القرن على نشر علوم العربية و الإسلام ، و بناء المساجد من طرابلس و حتى وهران ، بسائر المدن و القرى ، في دولتهم ، واتخاذها كمدارس و جامعات ، لتعليم العربية و تحفيظ القران ، ونشر علوم العربية ،و كان مؤسس الدولة عبد الرحمان بن رستم عالما قد ألف كتابا في تفسير القران لم يصل إلينا ، و يبدو انه أحرق ضمن الصراع المذهبي بعد اندثار دولة بني رستم ، و كان الإمام عبد الوهاب يحب العلم و يعمل على نشر ة تشجيع اكتسابه ،

[1] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 15 .

[2] عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 173.

[3] جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 107.

[4] جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع نفسه ، ص 107.

وكان يرسل البعثات للعراق لشراء الكتب : ولا يمي قراءتها شتاء وصيفا ، وقد ألف كتابا عنوانه : " نوازل نفوسة " و هو مجموعة من الفتاوي الشرعية كان علماء نفوسة يستفتونه فيها ، و كان الإمام الأفلح عالما في الفلك و الحساب كما كان شاعرا و له قصيدة يحث فيها على طلب العلم ، يقول فيها :

العلم أبقى لأهل العلم أثارا يريك أشخاصهم روحا و أبكار

حيّ – وان مات – ذو علم و ذو ورع ما مات عبد قضى من ذاك أوطار

وذو حياة على جهل و منقصة كميّت قد ثوى في الرمس

أعلم لله لا تجعله مفخرة ولا ترائي به بدوا و أحضارا

ولم تقتصر الثقافة على الرجال فحسب بل شملت المرأة أيضا حيث شاركت كثير منهن في ازدهار الحركة الثقافية و العلمية ، منهم أخت الإمام أفلح التي حذقت علم الحساب و الفلك و التنجيم [1] وقد انتشرت مراكز الثقافة بالدولة الرستمية في مدن : تاهرت ، وشروس بجبل نفوسة ، وجادو، واجنادون ، وجزيرة جربة ، وورجلان ، وبرز و جبل نفوسة كمنارة للفكر و العلم فظهر فيه علماء بارزون منهم : الشيخ مهدي النفوسي ، ومحمد بن يانس ، وأبو الحسن الابدلاني ، وعمرو بن فتح ، ويعقوب بن افلح ، وأبو عبيدة عبد الجناوي ، ومعبج الجناوي و غيرهم ، و اشتهر علماء تاهرت : ابن أبي ادريس ، و احمد بن منصور ، و أبو عبيدة الاعرج ، وقد سجل مآثرهم أبو العباس أحمد الدرجيني في طبقاته و احمدة بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي في كتابه السير[2].

إن اللغة العربية لصعبة جدا ، وان تعلمها يستغرق وقتا طويلا و جزءا كبيرا من عمر الإنسان ، فيجب علينا أن نحل محل اللغة الفصحى اللغة العامية ، التي هي لغة الأم و الأب ، ولغة المجتمع الشعبي ، و هي التي يتعلمها الطفل – في أول نشأته – تعلما تلقائيا ، لا إكراه عليه ، مثلما يتعلم القعود و الحبو ،و الوقوف و المشي ، و الأكل و الشرب ، وبذلك يكون قد وفر جزءا كبيرا من الوقت ، يتعلم أثناءه مختلف العلوم و الفنون ، والصنائع اللازمة لحاجة الأمة ، وبالتالي يسهل تعميم التعليم على جميع أفراد الشعب ، وبثه في جميع النفوس بدون استثناء ، وينبغي أن نستبدل الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، إذا تلك أسهل كتابة ، وأجمل خطأ ، وأطوع نطقا ، وأكثر انتشارا في عا لم الصناعة و الحضارة [3]

---

[1] عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 235 - 236.

[2] عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 237

[3] محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 20 .

الدرس الملقى على الملوك يصلح عادة كموضوع في آداب التقوى و الإصلاح ، ولن نندهش من تصرف علماء القيروان فقد كان لهم الحق في مزاولة هذا الفضاء الروحي و عندما يخاطبون الأمراء تصبح لهجتهم و أسلوبهم خاليان من الوداعة و هو أسلوب المرشد الروحي الذي يدعو المذنب (المخطئ) إلى التوبة ، فقد كتب سحنون لمحمد بن الأغلب : " أعاذك الله أيها الأمير من قسوة التجبر ، ونخوة التكبر ، و أساله أن يرزقك فهما للخير و عملا به ، و معرفة بالحق و أثره له " ، و أحيانا تصبح اللهجة أكثر شدة فقد كان الزاهد الصالح أحمد المكفوف ثائرا على الاستبداد الدموي لإبراهيم الثاني و أملى رسالة للأمير قائلا فيها : " يا فاسق ! يا جائر !يا خائن ! قد حدث عن شرائع الإسلام ! و عن قريب تعاين مقعدك من جهنم ، وسترد ، فتعلم !" و لكنه لم يجرؤ على معاقبة المكفوف بل طلب الشخص الذي خط الرسالة فرفض المكفوف هذا المطلب و لعن الأمير مرة ثانية فاضطر الأمير إلى التغاضي عن طلبه ، و الذي كان يثير استهجان رجال الدين ضد الأمراء هو التسيب في عاداتهم و الفساد الحقيقي أو الوهمي في القصور فالعباسية و خصوصا رقادة كانت تبدو بالنسبة للقيروانيين مدينة الفضائح ، ونلاحظ أن الاتجار في الخمر كان محرما في القيروان و لكنه كان مسموحا به في رقادة و من المؤكد أن معظم الأمراء كانوا يشربونها بشراهة [1] إذا كان الرأي السائد عند الفقهاء القيراونيين لا يناسب جرأة المعتزلة فليس من العجيب أن يعتنقوا موقف الجبريين .. التي تكونت في المشرق في القرن الثامن و النصف من الأول من القرن التاسع وهما : المذهب الحنفي ، مذهب مدرسة العراق ، والمذهب المالكي ، مذهب مدرسة المدينة ، وافريقية بها كثير من ممثلي المذهب الحنفي ، أن أبو العرب يذكر لنا خمسة و عشرون ولم يذكر من بينهم أسد بن الفرات الشهير الذي تتلمذ في العراق على يد أنصار أبي حنيفة فقد كان يميل إلى التحررية النسبية للمذهب راقي و يعارض بشدة بهلول رئيس الأنصار ، نحن نعرف أن التباعد بين المذهبين يرتكز على الميول العامة التي وضعها لهما المؤسسان في استخدام القياس الذي يرتضيه المذهب الحنفي أو احترام التراث الذي يتمسك به المذهب المالكي [2] وقد نشر مذهب الإمام مالك بن انس (ت 179هـ/ 795- 796م) عدد من تلامذته المباشرين ، خصوصا القرطبي يحي بن يحي الليثي البربري الأصل (ت 234هـ / 848م) ، وقد تأسست طبقة متميزة في غضون ثلاثين سنة –كما هو الحال في الفترة نفسها في القيروان [3] و قد حمل مذهب مالك إلى المغرب أكثر من ثلاثين رجلا من أتباعه ولم تكن لهم الفتية حتى جاء أسد بن فرات حوالي سنة (146 هـ/ 763م و قد أسند إليه زيادة الاغلبي قضاء إفريقيا فرحل إلى المشرق ولقي مالكا وفي سنة 191هـ/ 807م) قدم سحنون

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 109- 110 .

(2) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 104.

(3) سلمى الخضراء الجيوسي ، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ج 2 ، ط ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ، 1998م ، ص 1184 .

إلى القيروان ، واستطاعت المالكية أن تصيب مذهب أبي حنيفة بالصميم" ولا تمر الليالي والأيام حتى تنمحي كتب أبي حنيفة من إفريقيا منحتها الله بسحنون"[1] لم تكن هاتان العاصمتان — تاهرت و القيروان — بمعزل عن بعضهما ، بل كان هناك تأثر و تأثير متبادل ، فتم التزاوج الحضاري بينهما ، بطريق شعبي ونعني به التجار و الحجاج و العلماء ، كما ساهمت الطائفة القروية في تاهرت و الجند إلى جانب هؤلاء ، فقد نشر هؤلاء الثقافة الإسلامية العربية في الأوساط الشعبية في ليالي سمرهم و حلقات اجتماعاتهم ، ولا يخلوا الأمر من أن يكون في هذه الطائفة عدد من العلماء ، فقد ذكر ابن الصغير أن محمود بكر كان رجلا عربيا ، ومن خاصة أبي يقظان و كان يرد على الفرق و يؤلف الكتب على نحو ما ذكر ابن الصغير ، و من المحتمل آن هؤلاء ظلوا على اتصال مع إخوانهم و أصدقائهم في القيروان فأسهموا بذلك في عملية التبادل الفكري [2] و تركت المؤثرات الثقافية العراقية أثار واضحة على نظم الدراسة و مناهجها في افريقية ، فقد جرى نظام الدراسة على ما عرف في العراق من حلقات الطلاب و أساتذهم ، كما اتبع أيضا منهج التخصص في الدراسات الإسلامية ، كدراسة المغازي و الشريعة و النحو و الفقه و الحديث ، و من أشهر أساتذة مدرسة القيروان في هذا الصدد أسد بن الفرات ، و سحنون [3]المعلم الذي يقدم في أفضل الأحوال في هذا المؤلف مجموعة من أخطاء تلاميذه ، و كذلك أنماط الخطأ المعالجة فيه تشبه إلى حد بعيد تلك التي أوردها ابن قتيبة [4]

رابعا : الحياة العلمية و التعليم

أ- **أسد بن الفرات** [5]:ولد أسد سنة (143هـ/759م) [6] فقد ذكر في سيرة أسد بن الفرات بن سنان أن أباه قدم إلى افريقية و أمه حامل به فولد

---

[1] سعدون عباس نصر الله ، المرجع السابق ، ص 126- 127 .

[2] جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص 111.

[3] محمد إسماعيل ، الأغالبة سياستهم الخارجية (184- 296هـ/ 800- 909م) ، ط3 ، دار روتابرينت ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، 2000 م ، ص 64 .

[4] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 228 .

[5] مولى بني سليم رضي الله تعالى عنه ، قال أبو العرب : أصله من خرسان — نيسابور ، قال سلمان ابن عمران : انه ولد بحران ، سنة اثنتين و أربعين ومائة ، ويقال أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الغرق بالطوفان ..كان قدومه القيروان سنة أربع و أربعين ومائة و هو ابن سنتين ، وسمع من علي بن زياد " الموطأ " و تعلم منه العلم بعد أ، ارتحل من بجردة إلى تونس ، ثم ارتحل إلى المشرق ، فلقي مالك وواظب عليه ، وطلب عليه العلم و سمع منه "الموطأ " ، ثم ارتحل إلى العراق ، فلقي أصحاب أبي حنيفة ..ثم رحل من العراق — بعد وفاة مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه — إلى مصر ، فوجد أصحاب مالك بوفرهم فلزم ابن القاسم رحمه الله و أخذ عنه "الأسدية " وقدم بها إلى القيروان و سمعها منه خلق كثير مع "الموطأ " و غير ذلك من العلوم ، وانتشرت إمامته ، انظر : المالكي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص255 ، كذلك : محند أو أدير مشنان ، المدارس الفقية المالكية قراءة النشأة و الخصائص ، الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا و تدريسا بحوث الملتقى الوطني بأدرار ، دار الحكمة ، (د ط) ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، الجزائر ، (1431هـ / 2010 م) ، ص 23 .

[6] عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 291.

أسد بتونس سنة (145هـ/ 759م) و قرأ على عليّ بن زياد [1] و تتلمذ أسد على يد بن زياد فسمع منه الموطأ ثم رحل إلى المشرق ولقي مالك بن أنس رضي الله عنه فسمع منه و لزم محاضراته في الموطأ .. وكان أسد بن الفرات يحدثنا عن نفسه بقوله : " أنا أسد وهو خير الوحوش و الفرات هو خير المياه و جدي سنان و هو خير السلاح " [2]

و يذكر ابن عذارى أن الأندلسيين شاركوا في حملة القاضي أسد بن الفرات سنة (212هـ/827-828م) لغزو صقلية جنبا إلى جنب مع العرب و البربر [3] و قد وفد مذهب مالك إلى القيروان ، شأنه شأن غيره من المذاهب ، إذا رحل إليها أكثر من ثلاثين رجلا كلهم لقي مالك ، كما وفد عليها على بن زياد التونسي وابن أشرس ، والبهلول بن راشد ، ولكن لم يكن لهم القضاء أو الفتيا حتى جاء أسد بن الفرات ، أمام العراقيين بالقيروان كافة ، ووفد على ابن القاسم أمام المالكية بمصر ، فسمع منه ، ودون ما سمع في كتاب سماه "الأسدية " وعاد به إلى المغرب ، فانتشر ذكره في الأفاق ، ورحل إليه ، وتوافد عليه الكوفيون أنفسهم ، ينخلون من علم مالك الذي رواه أسد ، ولكن أسد لم ينصرف إلى مذهب مالك وحده ، بل كان "يلتزم من أقوال أهل المدينة و أهل العراق ما وافق الحق لتبحره في العلوم " ، وكان يفسر المذهبين معا و لكنه كان أكثر ميلا لمذهب مالك فقد قال " إن أردت الله ورسوله و الدار الآخرة فعليك بقول مالك ، وإذا أردت الدنيا فعليك بقول أهل العراق " ، ولكن المغاربة وان أعجبوا بالأسدية ، وكلفوا بمذهب مالك ، إلا أنهم لم يقنعوا بما رواه أسد ، بل طلبوا المزيد حتى قيض الله لهم أبا سعيد سحنون بن سعيد ، الذي قدم القيروان سنة (191هـ/ 801م) ، ذلك الرجل الذي جمع فضل الدين و الورع و العفاف و الانقباض ، فمالت إليه الوجوه ، وأحبته القلوب ، وصار زمانه كأنه مبتدأ ، وقد رحل إلى مصر ، ولقي أبا القاسم ، وسمع فقه مالك ، وقابل الأسدية عليه ، وجمع طلك كله سماه "المدونة " طار ذكرها في الأفاق ، وتناقلها الناس وحملت إلى الأندلس ، وكان لها فضل توطيد دعائم مذهب مالك في المغرب و الأندلس ، بل أصبحت في قوتها تضارع موطأ مالك [4] .

كان المالكية بالمغرب أكثر الناس عنفا في مقاومة آرائهم .. وبالرغم من جهود فقيه كأسد بن الفرات الذي عرف بتبحره في العلوم على اختلافها ، واستعابه لاراء أبي حنيفة ، فلم يقدر لمذهب

[1] الرقيق القيرواني ، المصدر السابق ، ص 24 .

[2] عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع نفسه ، ص 291.

[3] عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع نفسه ، ص 276 .

[4] حسن أحمد محمود ، المرجع السابق ، ص 92.

أهل العراق رواجا في افريقية الأغلبية بل " محيت كتب أبي حنيفة من افريقية على يد سحنون " [1] و أشارت النوازل إلى فئة المؤدبين ، أو معلمي الكتاتيب وواجباتهم و دورهم في التعليم الديني ، فتفيد إحدى النوازل بأن المؤدبين كانوا يحصلون على أجرة مقابل تحفيظ الصبيان للقران الكريم .. وأشار إلى أن قلة منهم جنحوا إلى التطرف ، فاستخفوا باللغة العربية ، و جهروا بالقول أنه لا يحتاجون إلى لسان العرب ، وأخذوا يقرءون بعض سور القران باللسان الأعجمي أي لاتينية أهل الأندلس المعروفة باللغة الرومانسية (Romance) و من الغريب أن يظهر مثل هذا التطرف في عصر بعث ديني ، مثل عصر دولة المرابطين ، التي اهتم حكامها بالنواحي الدينية و الجهاد ورعاية الفقهاء و العلماء [2] و دراس رحمه الله و رضي عنه ممن أدخل علم مالك رضي الله عنه بلاد المغرب ، فانه كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد و البهلول بن راشد وبعدهم أسد بن الفرات و غيرهم من الحافظين لمذهب مالك ، فأخذه كثير من الناس ، فلم يزل يفشو إلى أن جاء سحنون ففض حلق المخالفين ، واستقر المذهب بعده في أصحابه ، فشاع في أقطار المغرب إلى وقتنا هذا ، و أما أهل الأندلس فكان رأيهم منذ افتتحت على رأي الأوزاعي إلى أن رحل إلى مالك زياد بن عبد الرحمان ، و قرعوس بن العباس ، ومن بعدها ، فجاءوا بعلم مالك ، و أبانوا للناس فضله واقتدى الأئمة به ، فعرف حقه ، ودرس مذهبه إلى أن أخذ أمير الأندلس إذ ذاك ، وهو هشام بن عبد الرحمان بن معاوية بن عبد الملك بن مروان الناس جميعا بالتزامهم مذهب مالك ، وصير القضاء و الفتيا عليه ، وذلك في عشرة السبعين و مئة في حياة مالك رحمه الله ، وشيخ المفتين حينئذ صعصعة بن سلام إمام مذهب الأوزاعية وراويته ، وقد لحق به من أصحاب مالك وغيره فالتزم الناس هذا المذهب ، وحملوا بالسيف عن غيره جملة [3] كذلك نشطت الرحلات العلمية بين بغداد و القيروان إذ رحل الكثير من علماء المشرق إلى افريقية ، ووجد من العراقيين من درس العلم فيها ، كعبد الرحمان بن عبيد البصري الذي تتلمذ على يد الكثيرون من طلبة افريقية الوافدين الى القيروان ، كما شهدت بلاد المغرب الرحالة و الجغرافيين المشارقة الذين وفدوا للمشاهدة و الدراسة ، ومن هؤلاء اليعقوبي المتوفي عام (282هـ/ 895م) صاحب كتاب البلدان ، وغصت مدارس الكوفة والبصرة و بغداد بالكثيرين من الطلبة المغاربة و كذلك الشعراء ، و العلماء و الفقهاء [4]

---

(1) محمد إسماعيل ، المرجع السابق ، ص 64 .

(2) كمال السيد أبو مصطفى ، دراسات أندلسية في التاريخ و الحضارة ، (د ط) ، مركز الإسكندرية للكتاب ، 1997م ، ص 13- 14.

(3) علي الجزنائي ، المصدر السابق ، ص 20- 21 .

(4) محمد إسماعيل ، المرجع السابق ، ص 64 .

ب- ابن سحنون[1] : كثير من الروايات تؤكد لنا هذا التصرف من رجال الدين تجاه الأمراء ، وكان أبو العرب يمدح سحنون الذي " لا يقبل من السلطان شيئا " ونستطيع بدون شك الاسترسال في الأمثلة المماثلة لكثير من رجال الدين ، فقد كان بهلول بن راشد مدعو عند أحد أصدقائه و امتنع عن الأكل فقال له صديقه " أفسلطان أنا طعامي حرام " أن أبسط الكرم و الثقة الزائدة يصطدم بعنادهم المتشكك، كما أن الوظائف العمومية لا تستهويهم و لكن معرفتهم للفقه تؤهلهم لوظيفة القاضي و تحمل المسؤولية التي يفرضها الواجب لمحاكمة الغير تعتبر تقليدا في البلاد الإسلامية [2] و قد أصيبت مذهب أبي حنيفة من جراء سحنون وفقهه و علمه الصميم ، حتى قيل " ومحى الله عزوجل كتب أبي حنيفة من أفريقية ، محاها سحنون ، واستقر مذهب مالك بعد سحنون ، وشاع في المغرب جميعه ، نعم كان الصراع محتد ما بين مذهبين : مذهب أبي حنيفة ، الذي يعطي الرأي أهمية كبيرة ، ولا ينكر الاجتهاد ، ولا يحرم محبة السلطان ، أو تولى القضاء و الفتيا ، أو كما يقول أسد بن الفرات " إذا أردت الدنيا فعليك بقول أهل العراق "[3] و إذا وافقوا على تحمل المسؤولية و الحكم بالعدل فيقبلون ذلك على مضض معتقدين أن في استطاعتهم تقويم الأخطاء ، وقبل عدد كبير منهم هذه الوظيفة بشرط إلا يتقاضى مقابلا ماديا ، فقد وافق سحنون على تولي هذه الوظيفة تحت إلحاح محمد بن الأغلب وأضاف شرطا أخر و هو تطبيق العدالة بكل حرية حتى على الأمير نفسه أو احد أفراد عائلته ، و قد لاحظنا خيبة أمل حاشية الأمير عندما علموا أن سحنون قد قبل هذه الوظيفة ، وبعد قبوله

---

[1] اشتهر ابن سحنون بالفقه والحديث ، وكانت له مشاركة في سائر الفنون الأخرى و خاصة علم التاريخ و الرجال ، وذكر ابن الجزار و القاضي عياض أن له في هذا الفن : كتاب طبقات العلماء ، سبعة أجزاء و كتاب التاريخ ستة أجزاء و قد أسند المالكي عن "كتاب الطبقات " وهو يعتبر أهم من نقل و أسند عنه ، انظر : أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي ، كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقية وزهادهم و نساكهم وسير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم ، تحقيق : بشير البكوش ، ج 1 ، ط 2 ، الطباعة دار صادر - دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، (1403هـ/ 1983م) ، ص 13 ، أيضا : النباهي المالقي الأندلسي ، تأريخ قضاة الأندلس كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط5 ، (1403هـ/1983م) ، ص 14 ، محند أو أدير مشنان ، المرجع السابق ، ص 23 و حسين مؤنس ، ابن سحنون .

[3] عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 291.

[4] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 113.

[5] حسن أحمد محمود ، المرجع السابق ، ص 92- 93.

لهذا المنصب جاء لزيارته صديق وبادر بهذه الكلمات " نهنيئك أو نعزيك ؟
" ثم قال له رجل من أهل الأندلس : " وددنا إن رأيناك اليوم على أعواد نعشك ولم نرك في هذا المجلس " [1]

إن كل الشخصيات التي تظهر في " طبقات علماء افريقية " تربط بينهم جميعا العلوم الدينية ، ويبدو أن افريقية القرن (3هـ/9م) لم تعرف غيرهم و كان كل منهم بمثابة محدث لأنهم جمعوا في ذاكرتهم التراث الخاص بالرسول و سلسلة الفقهاء الذين تداولوه مع تقدير القيمة الأخلاقية لكل منهم ، و عدد كبير من هؤلاء العلماء يعرفون أيضا الفقه و أبرزهم سحنون ، و بالرغم من أن الأحاديث تعتبر مصدرا من المصادر الرئيسية للفقه الإسلامي فهذان النوعان من المعرفة (الحديث و الفقه) يبقيان مستقلان تماما ، والدليل على ذلك المحدث الصمادحي الذي درس الفقه كان رواية و مصدر لعدد ضخم من الأحاديث .. هذا المحدث لم يستطع البت في نزاع خاص بحمار إلا بعد أخذ رأي مجموعة برة من الفقهاء .

بعض علماء افريقية من أصل مشرقي و البعض الأخر رحل إلى المشرق طلبا للعلم ، فالقدامى أخذوا الحديث و الفقه على يد الإمام مالك نفسه ، أما الأجيال اللاحقة فكانوا مستمعين لأتباعه أو أتباع هؤلاء الذين لم يبارحوا افريقية ، وبذلك تصبح القيروان مدينة متبحرة في العلم تجذب الطلبة الذين يستقرون فيها ، فأهل المدينة من التجار و العمال الزراعيين يكوّنون بعد عملهم حلقة استماع حول الشيوخ المشهورين ، وكان المستمعون يأتون من الأندلس ومصر و حتى من بلاد فارس ، ويقال أن أندلسيا كان ذاهبا إلى المشرق وعندما سمع سعيد بن الحداد يشرح الأحاديث صاح قائلا : " ما لي حاجة بالتقدم إلى المشرق و أنا أعلم أني لا ألقى مثلك " و أصبحت شهرة القيروان تتعدى البحار و سوف تعبر العصور ، فشهرة القيروان التعليمية و خاصة شهرة سحنون أكثر من أي عالم أخر بكتابة " المدونة " الذي كان سببا في كتابة خمس تعليقات ضخمة لتفسيره ...سيؤكدون الانتصار الساحق للمذهب المالكي في بلاد البربر [2] والى سحنون ينسب أحسن تدوين عرف للسماع عن مالك بن انس وهو المعروف "بالمدونة " ، وهي كتاب فقه على المذهب المالكي يعرض مسائل الفقه الرئيسية من العبادات و المعاملات عرضا بليغا و موجزا في نفس الوقت ، وتعتبر المدونة من أشمل كتب الفقه الإسلامي [3] هناك كثير من العلماء على شاكلة سحنون ، يعيشون في ورع و

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 113.
[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 106- 107 .
[3] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 113.

صلاة مستمرة ، يؤرقهم الخوف من جهنم و الندم على الذنوب يوحي لهم بالتوبة المرة ، فدعواتهم يتخللها النحيب و كان لبعضهم " ملكة البكاء " و عندما قيل لعبد الله ابن إسماعيل البرقي[1] و قد ذهب بصره من كثرة البكاء إلى كم هذا البكاء ؟ رد قائلا :" إنما جعلت عيناي للبكاء ، ولساني لتعظيم الله عزوجل و تحميده ، و الصلاة على نبيه ، وبدني للتراب و البلى ، و قلبي للخوف و الرجاء " ، ويسيطر عليهم الورع ، خوفا من البدع ، لان التصرفات البريئة في ظاهرها ، ربما تكون مبادرات آثمة أمام الله ، ولم يكن لها ما يبررها ، فقد طلبت زوجة بهلول ، أن يحضر لها زوجها شيئا عند عودته ، فقام بربط خيط رفيع حول خنصره ليتذكر طلبها ، ولكنه خشي أن يصبح ربط هذا الخيط بدعة في الإسلام ، ولم يهدأ له بال إلا عندما علم أن واحدا من الصحابة ،كان يقوم بنفس الشيء وحمد الله على انه ابتعد عن البدع .

و بجانب سحنون الذي يمتدح أبو العرب زهده ،كان هناك كثير من الزهاد ، لا نجد لديهم أي أثر من الصوفية ،كما لا نجد بينهم أي نظير للصوفيين لا نجد لديهم أي اثر من الصوفية ،كما لا نجد بينهم أي نظير للصوفيين المشرقيين المعاصرين لهم ، فمن بينهم من كان يكتفي بملبس واحد من الصوف للصيف و الشتاء ، وينام على قوالب من الطوب مرصوصة على الأرض ، ومنهم من لا يأكل إلا الخبز الذي يعجنه و يخبزه بنفسه لأنه شك في أن يكون خادمه قد بالغ في طهيه .

ومع ذلك فهناك من العلماء من لم يرفض رغد العيش ، ولكن من كانت ظروفه متواضعة فهو قانع بالبساطة و الزهد و التواضع كرجل علم ، أنهم لا يبحثون عن التقشف و لكن هناك من يتحمل العذاب الذي تفرضه الحياة بصبر و حلم ، فابن اللباد يتحمل باقتناع شراسة زوجته قائلا :" لكل مؤمن محنة و هذه محنتي " و قد رد على تلاميذه الذين كانوا يحثونه على التخلص منها " أخشى إن طلقتها أن يبتلى بها مسلم ، ولعل الله عزوجل دفع عني بمقاساتي لها بلاء عظيما "بجانب حبهم للعلم ، وتقواهم وورعهم ، الذي يبعث فينا الضحك أحيانا ، وبجانب بساطة عاداتهم و شجاعتهم على تحمل المحن المنزلية التي برهن لنا عليها و احد منهم ، هناك سمة أخيرة نضيفها لهم وتطبعهم بشكل خاص وتعطيهم دورا تاريخيا ألا وهي[2]: صلتهم بالأمراء الأغالبة .

أنهم مدركون للسلطة الأخلاقية (الروحية) التي وكلت إليهم ، فرجال العلم و الدين يعتبرون أنفسهم مراقبين على حكام البلاد و هذا هو تقليد في الإسلام ، إن نقد العادات واجب مفروض

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 106-107

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 108- 109 ، أيضا : نجم الدين الهنتاتي ، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، تونس ، 2004م، ص 22 .

على كل مؤمن [1] كان هؤلاء العلماء مفخرة المدينة و تمتد حظوتهم إلى كل البلاد الإسلامية ، فهؤلاء المتقشفون يحتقرون ترف الأمراء و يعترضون على تجاوزاتهم في الحكم ، فقد كانوا حاملي التراث الإسلامي و يؤثرون في الرأي لعام و إثارة الشعب ضد الملوك الأذلاء ، فهم يمثلون سلطة يحاول الأمراء الاعتماد عليها لصالحهم ، لقد ترك الأغالبة مدينة القيروان للابتعاد عن شعب متقلب وعديم المراعاة و عاشوا في مقرهم في الضواحي للإحساس بالا من تحت حراسة مشددة من مواليهم و عبيدهم ، بالرغم من ذلك لم يستطيعوا مقاطعة العاصمة القديمة و لا مسجد سيدي عقبة الكبير و عامة الشعب و الحضريين و البرجوازية و الطلبة و رجال الأسواق (التجار) وخصوصا رؤسائهم الروحانيين و هم رجال الدين [2] فرجال العلم و الدين لا يشتكون عادة في الحكومة و لكنهم يراقبون تصرفها ، فهم لسان حال الشعب للاعتراض على التجاوزات التي تدينها التعاليم القرآنية أن الأمراء لا يحصلون على السلطة إلا من خليفة بغداد ولكنهم يراعون رجال الدين [3] .

و قد قال البهلول فيما يخص البحث العلمي " ما أعمال طلب العلم إلا كبصقة في بحر " ، إذا بدا العلم على انه أفضل من محاربة الكفار فليس معنى ذلك أن الحرب اختفت بل أخذت من جديد كظهر هجومي مع غزو صقلية و احتفظت بطابعها الدفاعي في رباط الساحل ، ومع ذلك فالرجال الصالحون في رباط الساحل الذين كانوا يعتكفون للرياضة الروحية كانوا يهتمون بالتقوى أكثر من التدريب العسكري و يهتمون بالصلاة أكثر من الدوريات للحراسة و لم تعد هجمات الخوارج ذات أهمية كبرى خلال هذا العهد ، كما هدأ أيضا الصراع معهم في الداخل ، حتى أقاموا حلقات للدراسة بالمسجد الجامع ، ويقول أبو العرب ، بأن سحنون الذي تقلد مهام القضاء في (234هـ/848م) كان أول من شرد أهل الأهواء من المسجد الجامع وكانوا فيه حلقا للصفرية و الاباضية مظهريهن لزيغهم ، و مع ذلك فالسنيون لا يضمرون لهم نفس العداء حتى في القيروان ، و لن يطول الوقت حتى نراهم يتحالفون معهم ضد الشيعة ، أن أمراء البلاد فكانوا أحيانا سعداء إذا ما وجدوا مساعدة من الاباضيين أو مذهب آخر في الوقت الذي كانت ثورات البربر و المذهب الخارجي يمثلان عند أسلافهم شيئا واحدا ، و قبيلة نفزاوة الجريد كانت من أخلص الرعايا في الوقت الذي كانت تعتنق مذهب الاباضية و لما اندلعت ثورة الجند و انتشرت في افريقية كلها وكادت تضيع من أيدي زيادة الله الأول كانت مساعدة نفزاوة هي التي غيرت مجرى الأحداث لصالحه ، لم يكن مذهب الخوارج مادة

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 108- 109 .

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 111-112 .

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 114 .

جدال عند العلماء القيروانيين و لكنهم كانوا يجادلون في صفات الله كما ذكرنا من قبل ، بمعنى أنهم يتحزبون مع أو ضد المعتزلة ، فقد كان هذا المذهب كما كان في بغداد و سمرقند موضوع مجادلات حماسية [1] أما القاضي اليحصبي ، فعندما استعرضوا أمامه فكرة خلق القران بتأييد من زيادة الله اسكت معارضيه باحتقار قائلا " وما للملوك في الدين " [2] ولم تكن العربية في الأندلس في البداية إلا لغة العبادة و الإدارة للحكام و لغة الحديث لمجموعات عربية كبيرة ، ما هي على سبيل المثال لأقسام مختلطة من الجند الشاميين ، وكذلك القبائل المهاجرة التي قدمت إلى هناك في القرنين الثامن و التاسع الميلاديين ، غير أنها قد انتشرت بمرور الوقت بين السكان الذين أسلموا (المولدين) ، ومن المؤكد أنها كانت معروفة للمستعربين ، على أية حال قد اشتكى الأساقفة و القساوسة الكاثوليك في منتصف القرن التاسع من أن الشباب المسيحي يقلد العرب في تقاليدهم و ثيابهم وممن يقرضون الشعر بلغة المنتصرين بدلا من اللاتينية ، وقد ارتض ما الأحداث التي أدت إلى اختفاء اللهجات الرومانية كلية ، وهو أمر يخص المنطقة العربية الإسلامية من شبه الجزيرة العربية ، بحيث يجب علينا أن نتصور مملكة غرناطة وفيها شعب لا يتحدث إلا العربية ، ولكن لا يعني ذلك بداهة أن معرفة الاسبانية لم تكن منتشرة وفي الأندلس اقتضى التناقض إننا لا نكاد نعرف لهجات العصور الوسطى في بلد مثل هذا البلد وليس لدينا حول ذلك إلا صورة من جانب واحد تماما ، فليس لدينا إلا شواهد على لهجات حضرية و قروية على كل حال : ويمكن تلمس لهجات قرطبة وغرناطة و فلينسيا أو باليرنا في ديوان ابن قزمان من القرن الثاني عشر الميلادي ، ومفردات القرن الثالث عشر وطرق ومفردات بدرو ودي الكالا في بداية القرن (العاشر هجري / السادس عشر الميلادي) [3] و العلاقات في الأرض السهلة (الريف) غير واضحة لنا ولا نعرف شيئا عن اللهجات هنا و هناك للسكان من مجموعات عربية خالصة ، باستثناء القول بأن لغتهم تختلف اختلافا شديدا عن اللغة العربية — الاسبانية الأخرى في المدن ، فقد كانت تلك في الواقع منحرفة عنها تماما : الاحتفاظ بالأصوات المركبة من جهة و طريقة و ضع الإمالة الحادة من جهة أخرى ، على نحو ما توجد في اسم مدينة (sevilla) في العربية اشبيلية في الرومانية (ispali) التي لم تسم بغير هذا الاسم المنطوق بهذه اللهجة ، إذ يجب أن يتفق بطريقة غريبة على المحافظة و التجديد ، ولا يمكن أن يعيننا إلا بحث شاق و حذر في علم الأسماء على معرفة الكثير عن عربية الأندلس في يوم ما ، أكثر مما تبوح به لنا الملاحظات الحالية [4] ومما كان يشق جدا على العرب كثرة الأسماء الأعجمية من أسماء الرجال و البقاع التي كانت تعرض لهم و كانت مجهولة عندهم ، و لم يكن من المألوف عندهم وضع الحركات ، ثم كان

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 102- 103 .

(2) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، 103 .

(3) فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 287.

(4) فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 287.

نساخهم كثيري السقط في التنقيط فتبعد اللفظة عن أصلها بعدا يجعلها مجهولة تماما ، وقد كان مما يفيد في هذا الباب المسكوكات التي كان يضربها الفاتحون [1]

يمكن أن يوضع في الاعتبار أنه في فترة إسلامية مبكرة وان لم تكن مبكرة جدا ، قد وجد شكلان لغويان للعربية متجاورين ومتداخلين : شكل أقدم من جهة تاريخ اللغة نراه في اللغة الفصحى ، وشكل أحدث نرى الخالف له في اللهجات العربية الحديثة ، ويمكن بلا ريب حقا أن تكون تلك الازدواجية المستمرة من البداية إلى اليوم قد أثرت على نحو خاص في تطور العربية ، وفي المدن التي فيها لتعلم العربية الفصحى ومن ثم العناية بها المرتبطة بذلك مراكزها ، يمكن للعربة الفصحى أن تكون قد أثرت باستمرار في اللغة المنطوق ، وذلك الثروة اللغوية بوجه خاص ، غير أنها قد أعارتها في المجال الصوتي أيضا طابعا محافظا وعلى النقيض من ذلك فتأثير اللغة المنطوقة على العربية الفصحى ، على نحو ما يمكن تلمس ذلك بوضوح تام في نصوص العربية الوسطى ، إن شئت ، ليس إلا في المراكز الحضرية ، أما في الريف فلا يحسب حساب تلك التأثيرات إلا بشكل غير مباشر [2] وقد كانت العلاقات في مدن معسكرات العرب التي يمكن أن تكون قد نشأت في إطارها اللغة المشتركة متباينة تباينا شديدا بين القبائل ، بل تشهد حالات كثيرة ، تغلب فيها في مدينة ما أو في أرض ما مجموعة قبلية معينة ، وفي تلك الحالات ليس من المستطاع الإشارة إلى أن بعض مراكز إشعاع التعريب يمكن أن يكون قد ميّزت بلهجة معينة [3] نظرا لموقف الازدواجية الذي استقر في القرون الإسلامية الأولى فانه من المستغرب أنه لم يكن ثمة نزاع كبير حول مكانة اللغة العربية الفصحى بوصفها وسيط للأدب ، ويعزى ذلك أساسا إلى وضع معين و هو تعليم القراءة و الكتابة من خلال أمثلة و نماذج لغوية فصيحة ، ولذا جلب اكتساب هذه القدرات التي لا يستغنى في كتابة الأدب ، و يكاد يستغنى عنها إلى حد ما عند الضرورة في انتشاره ، وتبليغه ، جلب معه نمو الإرث الثقافي العربي و قبول النماذج الثقافية ، التي احتلت من بينها الفصحى التمكن من اللغة الفصحى ، مكانة بالغة السمو ، ومن غير المعقول أن يكون وسيط الأدب الجميل شيئا أخر غير العربية الفصحى ، انه يوجد في كل التراث الأدبي – غير الشعري الذي يهنئ فيه المؤلف بالمضون و ليس بالشكل اللغوي ، لغة في الغالب تقترب من اللغة المنطوقة اقترابا شديدا أو تكاد تطابقها في بعض مراحلها [4]و إذا كان الإمساك بالقلم يعنى دائما الاعتراف بنموذج لغوي ، و تقصد عند الكتابة أخر الأمر اللغة الفصحى دائما ، فقد وجد مجال لم يصدق ذلك عليه

---

[1] شكيب ارسلان ، المرجع السابق ، ص 20-21 .

[2] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 289.

[3] فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 291- 292 .

[4] فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 292 - 293 .

: هو النظم باللغة الشعبية [1] ولا كمن السحر الجمالي لهذه الأجناس الجديدة في الأدب الراقي ، للزجل الذي عني به في البداية في الأندلس في البنية الشكلية و حدها الناتجة عن وزن رقاقية و من المحتمل عن تقسيم مقطعي ، بل أيضا ، وربما إلى حد كبير في اللغة ، وقد وضع الشعراء الكبار الأوائل الذي حاولوا في هذا الأجناس ، وكانوا أول من أعلى شأنها ، مثل شاعر الزجل الأندلسي ابن قزمان المتوفي (555هـ/1160م) في ابتداعا تهم و بها ، المعيار الذي راعته الأجيال اللاحقة الذي صاغه منظرو الأدب مثل صفي الدين الحلي المتوفي (749هـ/ 1348م) الذي كان مناسبا لأجناس الزجل و الموالي وكان وحدها اللغة غير المعربة ، أي اللغو الشعبية ، ومن ثم لا يجيز الشكل اللغوي بوصفه عنصر لا يمكن التخلي عنه في ذلك الشعر أن يتحول عند تدوين تلك القصائد إلى اللغة الفصحى[2] و إذا سئل عربي مثقف عن الفرق الجوهري بين العربية الفصحى و اللهجة فانه من المحتمل أن يذكر الإعراب سمة فارقة ، أي النهايات الاعرابية المرتبطة بالحركات في العربية الفصحى التي فقدتها اللهجة ومع ذلك تكفي الإشارة إلى إن العربية الفصحى دون كل النهايات الاعرابية [3] إن البحث العربية بوجه عام و اللهجات العربية بوجه خاص ما يزال بعيدا جدا عن لمكان الإجابة عن الأسئلة المطروحة بشكل شبه مؤكد [4]

خامسا : المساجد و الحياة الدينية : هذا مع أن كلام أهل الأندلس الشائع في الخواص والعوام بعيد عمّا تقتضيه أوضاع العربية ، والخاص منهم إذا تكلم بالإعراب واخذ يجري على قوانين النحو استثقلوه واستبردوه ، ولكن النحو مراعى عندهم في القران و المخاطبات و الرسائل ، والشعر عندهم له حف عظيم ، و للشعراء من ملوكهم وجاهة ورواتب جارية [5] فالمغرب يبذل حمايته للأندلس و يدافع عنها العدوّ المغير ، والأندلس تبذل ثقافتها و معارفها للمغرب ، فرجالها في خدمة الدولة ، وكتابها و شعراؤها يزينون بلاط مراكش ، وقد فعل الاحتكاك بالأندلسيين الأفاعيل في تقدم الحياة الفكرية بالمغرب و نهضة العلوم و الآداب ، وكما كانت الأندلس مهاجر الأندلسيين في هذا العصر ، وأصبحت مراكش حاضرة المغرب يومئذ و كرسيّ مملكته ، مهوى أفئدة المثقفين و مطمح أنظار المتأدبين [6] أدى اندماج عناصر

---

(1) فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 294 .

(2) فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 295 .

(3) فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 330 .

(4) فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 293 .

(5) عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د س ط) ، ص 148.

(6) عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 71.

السكان في الأندلس من عرب وبربر و اسباني إلى ظهور لغة مشتركة يتحدثون بها جميعا على مختلف فئاتهم ، وهذه اللغة مزيج من اللغة العربية و الاسبانية [1]

و قد انتشرت اللغة العربية بين المستعربين [2] وعامية أهل الأندلس خليط من العربية و البربرية و الاييرية و الرومانية ، فان الأندلسي كان يقول : "كيروكاس دلما) " (أريد كأس ماء) ، "مي ألما حزين دا اليوم " ، "اشتريت من السوكو سبانية بلانكا " (اشتريت من السوق غطاء فراش أبيض) ، " ازداد فولانو ولد سمرلووبنت شقريلا " (ولد لفلان ولد أسمر وبنت شقراء) وهكذا ، وهذه اللغة هي التي كان الناس جميعا يتحدثون بها و يفهمونها في الأندلس ، و هي كذلك كانت لغة الزجل الذي سيبلغ أوج ازدهاره في عصر الطوائف على يد زجالين موهوبين أشهرهم ابن قزمان ، بعد ذلك ظهر الموشح ، والغالب أيضا أنه ابتكار أندلسي ، فكانوا يأخذون "مركز" إحدى الأغاني الشعبية باللغة الاسبانية الدارجة [3] إن أهل الأندلس الإسلامي كانوا يستعملون العربية الفصيحة كلغة رسمية يتعلمها الناس في المدارس ويكتبون بها الوثائق وما إليها ، أما شؤونهم اليومية و أحاديثهم فيما بينهم فكانوا يستعملون لهجة من اللاتينية الدارجة أو العجمية وليس ذلك بغريب لأننا إذا ذكرنا أن عدد العرب الخلص الذين دخلوا الجزيرة كان قليلا جدا تبينا أننا لا نستطيع اعتبار الأندلسيين المسلمين شاميين أو مشارقة ابتداء من جيلهم الثالث أو الرابع بعد الفتح ، ولنضف إلى ذلك أن شعوب أوربا كانت تستعمل في ذلك الحين اللاتينية كلغة و أن أناسها كانوا يتحدثون إلى جانبها بلهجات Romances مختلفة مشتقة من اللاتينية ، وكان هذا الازدواج في اللغة هو الأصل .. وقد أخذ هذا الطراز الجديد من الأدب الشعبي صورتين إحداهما الزجل و الثانية الموشحة " [4]بدخول اللحن إلى الأندلس مع العرب الفاتحين أنفسهم من جيوش الوليد بن عبد الملك إذا كان الوليد نفسه لحّانة فيما يذكرون ، ونوافق على أن اللغة الفصحى قبل العامية قد عمدت إلى تعريب بعض الأسماء التي كان يطلقها السكان المحليون على بعض المسميات ، أما الاحتجاج بقلة العرب الفاتحين لإثبات أن المسلمين الأندلسيين لا يمكن اعتبارهم ساميين أو مشارقة أو عربا بعد جيلهم الثالث أو الرابع في الأندلس و القول أنهم كانوا يعانون ازدواجا لغويا يتكلمون معه باللغة العامية التي هي لهجة من اللاتينية الدارجة فتلك خدعة من خدع الاستشراق و نفحة من أكاذيبه [5]استطعنا أن نتعرف على تفاصيل الفتوحات العربية من

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 242 .

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع نفسه ، ص 242 .

[3] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص340.

[4] محمد سعيد الدغلي ، الحياة الاجتماعية في الأندلس و أثرها في الأدب العربي و في الأدب الأندلسي ، ط ، (04 14هـ / 1984م) ، ص 35.

[5] محمد سعيد الدغلي ، المرجع السابق ، ص 36 .

الأوصاف التي قدمها لنا المؤرخون المسلمون ولكننا لا نعرف نفس القدر من المعلومات عن التعريب[1] من الطبيعي أن يفسح انتشار الإسلام بين البربر في منطقة الأوراس المجال أمام انتشار اللغة العربية لأنها الوعاء الذي جاء فيه الإسلام [2].

و من الواضح أن انتشار الإسلام كان أوسع نطاقا بكثير جدا عن انتشار اللغة العربية [3]

[1] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 101 .

[2] موسى رحماني ، الأوراس في العصر الوسيط لفتح إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (27-362هـ/637-972م) ، مذكرة ماجستير ، جامعة منتوري بقسنطينة ، 2007م ، ص 65.

[3] عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، (د ط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د س ط) ، ص 9 ، انظر أيضا : العربي عقون ، الامازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول و الهوية ، ط ، التونخي للطباعة ، الرباط ، 2010 م ، ص 7 – 8 .

الفصل الرابع:الحياة العلمية والمذهبية في عهد الفاطميين والزيريين

أولا : الخلافة العربية الفاطمية

ثانيا : انتشار المذهب الشيعي

ثالثا : المناظرات و الحلقات

رابعا : حركة التأليف

مظاهر العلمية و المذهبية في عهد الفاطميين و الزيريين :

أولا : الخلافة العربية الفاطمية

يصعب تحديد درجة التعريب في الأمصار الإسلامية بسبب نقص الوثائق ، و في مناطق معينة لا نملك إلا التخمين في مسألة الفترة التي تم فيها تبني العربية لغة البلاد ، ولكننا نعرف أن التعريب كان عملية أشمل من الأسلمة بل وكان أسرع منها ، ومن المحتمل انه كانت للدخول في الإسلام مميزات مادية كالإعفاء من الجزية مثلا ، ولكن نزعة التسامح العامة التي كانت عند المسلمين تجاه المسيحيين و اليهود لم تخلق حافزا عادلا للدخول في الإسلام ، وكان من نتيجة ذلك أن اللغة أصبحت عنصر توحيد [1]

ماذا نعني بتطوّر اللغة العربيّة و ترقيتها ؟ [2]

في هذه الصفحات سنحاول التعريف بالعوامل التي عبر بها انتشار اللغة العربية الحواجز إلى التعريب .. و العوامل التي منعت انتشار اللغة العربية من أن تأخذ مسيرتها نحو التعريب في بقية المناطق التي فتحها المسلمون [3] حتى قبل تعريب الدواوين ، كانت العربية تستخدم كلغة كتابة ، ويرجع أول بردية عربية إلى العام (22هـ/ 643م) ، كما انه بحلول نهاية القرن الأول الهجري كان عدد كبير من النصوص العربية متداولا في شكل برديات ، أما لغة تلك البرديات المبكرة فهي غير متسقة ومنتظمة [4] وكذلك حادث استعراب البربر الذين أصبحوا بتأثير الدين الحنيف و اللسان العربي الشريف كتلة واحدة هم و العرب ، يعادون من عاداهم و يوالون من والاهم ، و يكونون دائما يدا واحدة على من سواهم [5] بل إن البربر في المواقف العامة هم أقرب إلى العرب من العرب بعضهم إلى بعض [6] و على كل حال يمكننا أن نقول بحسن اهتداء البربر و تآخيهم مع إخوانهم العرب حملة القران الأوّلين [7] و النظرية القائلة بعروبة البربر عموما ، و هي نظرية كثير من المؤرخين العرب و لاسيما المحدثين منهم و غير العرب الذين كتبوا في هذا الموضوع ، أما الأسس التي تنبني عليها هذه النظرية فهي بإجمال :

---

[1] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 101 ، انظر : مصطفى عويضة ، أبو منصور الجواليقي وجهوده في اللغة (465-540هـ/ 1073-1145م) ، رسالة ماجستير في اللغة العربية بجامعة عين شمس ، ط ، دار طوباس ، القاهرة ، 1994م ، ص 184.

[2] سالم علوي ، المرجع السابق، ص 25 ، أيضا: اتحاد المغرب العربي الوحدة التاريخية والجغرافية ،(دط)، الامارت العربية المتحدة ، 2001م،ص 16.

[3] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 146، أيضا : نبيل احمد بلاسي ، الاتجاه العربي و الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر ، دار الكتب ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990م ، ص 5.

[4] كيس فرستيغ ، المرجع نفسه ، ص 79، أنظر: صالح مصطفى مفتاح ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، ط ، ، الشركة العامة للنشر و التوزيع و الإعلان ، 1978م ، ص 237 – 238.

[5] عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص20 - 21 .

[6] عبد الله كنّون ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 21 .

[7] عبد الله كنّون ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 21 .

1- اللغة

2- دخول الكنعانيين إلى المغرب قبل الفتح الإسلامي و دخول العرب من اليمن إلى إفريقيا على يد افريقش .

3- لفظة بربر لا تعني وجود عرق أو سلالة .

4- سهولة إسلام البربر و تعريبهم بصفة سريعة .

5- تأثرهم بالحضارة الفينيقية تأثرا عميقا و عدم تأثرهم بالحضارة الرومانية المسيحية .

تعتبر اللغة من المقومات الرئيسية لقومية ما ، فكثيرا ما اعتمد عليها المؤرخون كمقياس يعرف به مدى تشبث شعب بقوميته أو انسلاخه عن هذه القومية و اندماجه في قومية أخرى تغلبت عليه بالقوة أو بالتأثير الحضاري العالي الذي تتوفر عليه هذه الحضارة الغالبة ..أما البربر فكانوا يتحدثون بلهجة بل بلهجات مختلفة متميزة عن لغة العرب إلا أن هذه اللهجات كلها رغم اختلافها ورغم خصائصها حوت كثيرا من الألفاظ العربية ، كما اشتملت على كثير من أدوات النحو و المخارج الحروفية التي نجدها في اللغة العربية [1] فالكلمة العربية الفصيحة زحفت إلى مواضع كانت محجوبة عنها [2]

علامة الفعل المعدى أن تصل   الهاء غيـر مصدرية نحو عمل [3]

علامة الفعل المتعدي أن تصلْ   (ها) غـير مـصدرية نحو عمْل

فانصب به مفعول إن لم ينبْ   عن فاعل نحو : تدبرتُ الكتبْ [4]

فقد تمخضت عن فن الشعر الذي عنيت به القبائل العربية الشمالية ، والذي كان قد تطور و بلّغ من جيل إلى جيل من خلال ارث شفوي ، لغة للشعراء تعلو اللهجات القبلية ، و جعلت العرب أصحاب ثقافة لغوية متطورة تطورا كبيرا ، و أمكنهم أن يدخلوها مع القران الكريم [5].

و الشعر عند عبد الكريم النهشلي لم يكن مجرد ألفاظ موزونة ومقفاة أو أقوال تدل على معنى، وإنما هو الفطنة والشعور، أي هو عاطفة وأحاسيس، ووجدان متمثلا في قول العرب : ليت شعري بمعنى ليت فطنتي والشعر عندهم أي العرب الفطنة، ومعنى قولهم: ليت شعري أي ليت فطنتي فالشعر عنده أبلغ من النثر،

---

(1) محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 20 .

(2) فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 144 .

(3) ابن عقيل ، حاشية الخضري ، تحقيق : بركان فرحان المصطفى ، المجلد 1، (د ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د س ط) ، ص 415.

(4) ابن مالك ، متن الألفية ، (د ط) ، باب الوادي ، الجزائر ، 2000 م ، ص 46.

(5) أبي البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد الأنباري ، المصدر السابق ، ص 14 .

وأهم منه لأنه ديوان العرب المشهور[1] أنه لما رأت العرب الكلام المنثور يندثر ويزول وينسى، وهم في حاجة إلى تسجيل أحداثهم و وقائعهم ومآثرهم، فكروا في البحث عن طريقة أخرى في الكلام تمكنهم من العودة إلى تاريخهم كلما شاءوا، حتى إهتدوا إلى حركة إيقاعية ، وإكتشفوا من خلالها الأوزان والقوافي والأعاريض ، وعندما نسجوا كلامهم على منوالها ألفوه مستويا قريبا من أساليب الغناء باقيا على مر الأيام، فألفوا ذلك وسموه شعر[2] والمضنون أن العرب خطوا من المرسل إلى السجع إلى الرجز، ثم تدرجوا من الرجز إلى القصيد [3] ويرى بعض النقاد ارتكازا على هذه المعطيات أن الحديث على السرد من دون تحديد الموقع هو كلام بلا معنى [4] .

حيث ينقل ابن رشيق نصا عن أستاذه عبد الكريم النهشلي ذكر فيه: " أن أول من أخذ في ترجيعه الحداء مصر بن نزار فإنه سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول : وأيداه ، وكان أحسن خلق الله جرما وصوتا فأصغت الإبل إليه وجدت في السير ، فجعلت العرب مثالا لقوله هايدا – يحدون به الإبل – حكى ذلك عبد الكريم في كتابه " [5] و صناعة الكتابة تعني صناعة المعاني والألفاظ فتعني الحذق، والدربة على الشيء، ولذا فهي تعتبر مرادفة لكلمة الفني أو المعرفة وهي المهارة التي نضجت واستوت حتى بلغت حد الكمال ولكي يحدث ذلك لابد من أمور ليتسنى للكاتب ذلك منها الذوق والفطرة، أي الاستعداد الفني و النفسي، ثم التجربة والتدريب المستمر، لأن صناعة الكتابة أي النثر كباقي الصناعات الأخرى، وكما يقال أن كثرة المدارسة لتعدي على العلم بشيء، وهذا حدثنا به القاضي الفاضل فأخبرنا بأنه تهيأ لذلك نفسيا وعقليا وعلميا، ثم ذهب ذلك إلى الديوان [6] ومن أجل ذلك اقترنت بالخطابة فضائل الحكمة والشرف والرياسة و الشجاعة [7] قال الزجاجي: أصل المغازلة الإدارة والقتل، لإدارته عن أمره ومنه سمى المغزل [8] مهارات

---

[1] قدامة ابن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق : عبد المنعم خفاجي ، (د ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د س ط) ، ص64.

[2] بشير خلدون ، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي ، (د ط) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 م ، ص58.

[3] بن رشيق القيرواني ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان ، ج2 ، (د ط) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (د س ط) ، ص314، أنظر: إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ط2 ، 1952م , ص19- 20.

[4] صالح إبراهيم ، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف ، ط ، دار البيضاء - المغرب ، 2003م ، ص 124- 125.

[5] بشير خلدون ، المرجع السابق ، ص 58 – 59 .

[6] عبد الواحد حسن الشيخ ، الأسس الفنية للكتابة العربية والإنشاء ، (د ط) ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية ، مصر، 2000 م ، ص 185.

[7] عفت الشرقاوي ، دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت - لبنان ، (د س ط) ، ص 161.

[8] حسان أبو رحاب ، الغزل عند العرب ، ط1 ، (1424هـ / 2008م) ، ص 7.

الشاعر الإبداعية القادرة على احتواء الملتقي والتأثير فيه [1] إن تعريف المفاهيم والمسلمات في الغالب ، من الأمور وأدقها الحرجة والدقيقة، إلا أن علماء اللغة والمعجمين لم يتركوا في اللغة ما يمكن أن يفيد الدراسات اللغوية والأدبية إلا وكان لجهودهم أثر فيها [2] لأن الإنسان تعلم مقايسة من الجمال وألفته للألوان، إنما من الطبيعة نفسها [3] إن دلالات الألوان في العربية عميقة الجذور، تواكب حياة العرب في بيئاتها المختلفة وتساير متطلباتها الحضارية عبر تاريخها الطويل، إذ تمثل الألوان ملمحا جماليا في الشعر العربي منذ القديم، واشتدت هذه العناية في عصر ازدهار اللغة العربية التي تفرد لها أبوابا خاصة في مصنفات اللغويين المشهورين، ومما يدل على اهتمام الكتاب بالألوان وطبيعتها، والبحث في انعكاساتها عبر العصور أن المؤرخين أولوها جزءا هاما من عنايتهم ك"المسعودي" صاحب كتاب "مروج الذهب"، فهو كما تشير الدراسات، من أول المهتمين بهذا النوع من الدراسة في مجمل عرض كتابه [4] لقد قدم السيوطي تعريفا واسعا لعلم أصول النحو: النحو: "أصول النحو: علم يبحث في أدلة النحو الإجمالية من حيث هي أدلته وكيفية الاستدلال بها، وحال المستدل [5] فالقياس عملية إبداعية من حيث أنه يضيف إلى اللغة صيغا وتراكيب لم تعرفها من قبل يقول المازني في (التصريف) تعليقا على ما قاله الخليل وسيبويه من أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم [6] ذكر الزجاجي أن علل النحو هي العلل "المستنبطة أو ضاعا ومقاييس" [7] يعرف الأنباري الأنباري أصول النحو بقوله: " أصول النحو أدلة النحو التي تفرعت منها فروعه وفصوله، كما أن أصول الفقه التي تنوعت عنها جملته وتفصليه و عرفه الدكتور محمد عيد بقوله : "أصول النحو العربي يقصد بها الأسس التي بني عليها النحو في مسائله [8] و من أهم الكتب الحاملة لمصطلح الأصول هي: التأليف في (أصول النحو) قديم عند نحاة العرب كتاب الخصائص " لابن جني " أبحاثا قيمة من تلك الأصول، ثم

---

[1] Http:// www.achamel. Info/ lycceehs/ cours .php?id=303&id

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد 1 ، ط 4 ، دار صادر، بيروت ، 2005 م ، ص 259 .

[3] زين الخوسيكي ، معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم ، ط ، مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح، بيروت– لبنان ، 1996م ، ص أ– ع.

[4] المسعودي ، مروج الذهب، ترجمة : محي الدين عبد الحميد ، ج1 ، (د ط) ، المكتبة الإسلامية ، بيروت ، (د س ط) ، ص 218- 219.

[5] جلال الدين السيوطي ، الاقتراح في علم أصول النحو، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د س ط) ، 2006 م .

[6] محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية ، ط1، دار الفكر العربي، 1995م ، ص 23.

[7] الزجاجي ، الإيضاح في علل النحو ، تر جمة : مازنت المبارك ، ط6، دار النفائس، بيروت ، 1996م ، ص64.

[8] محمد سالم صالح ، أصول النحو دراسة في فكر الأنبار، ط1 ، دار السلام القاهرة ، 2006م ، ص 147- 148.

ألف ابن الأنباري رسالتيه المختصرتين "الإغراب في جدل الإعراب" "ولمع الأدلة في أصول النحو" فقدم فيهما آراء مفيدة سديدة اعتمد السيوطي على الكثير منها فيما بعد في مصنفه " الاقتراح في علم أصول النحو"[1] وهي كلها داخلة في أصول النحو كما تحددت [2] العلة في النحو هي الوصف الذي يكون مظنه وجه الحكمة في اتخاذ الحكم أو بعبارة أوضح هي الأمر الذي يزعم النحويون أن العرب لاحظته حين اختارت في كلامها وجها معينا من التعبير والصياغة [3]ومن هنا فإن أصول النحو هي تلك الأسس والأركان أو الأدلة التي اعتمد عليها النحاة في تقرير الحكم وإثباته معتمدين في ذلك على الأدلة الصحيحة والحجج القوية البراهين السليمة والعلل الواضحة وهم متأثرون، من حيث المنهج بها في علم أصول الفقه [4] فلقد كان الصحابة يحرصون كل الحرص ألا يصل هذا اللحن إلى القراءات القرآنية والسنة النبوية فلقد كان يقول سيدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): "لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أقرأ فألحن" [5] يمكن يمكن القول أن السيرة ذلك النوع المتعلق بحياة الإنسان فهي جزء من علم تدوين التواريخ من الناحية المنطقية [6] وردت السيرة في قاموس المحيط للفيروز أبادي :

السيرة : السنة والطريقة والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره والسيرة النبوية وكتب السيرة مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة، وأدخل فيها الغزوات وغير ذلك ويقال قرأت سيرة فلان : [7] تاريخ حياته (ج) سير (السيرة): الكثير السير (يستوي فيه المذكر و غيره وجاءت في القاموس المحيط السير: الذهاب ، كالمسير والتسيار والمسيرة والسيرورة [8] وهي كذلك " قص السيرة الذاتية في تنقلها مع البطل من النشأة إلى النهاية " [9] لأن الإنسان كائن واقعي حقيقي وكان تخيلي وذلك أن حقيقة الإنسان في جزء كبير منها تخيلية

---

[1] محمد عيد ، أصول النحو العربي ، ط1 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1989م ، ص 5.

[2] محمود أحمد نحلة ، أصول النحو العربي ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 2004 م ، ص 21-22.

[3] الملح مازن ، النحو العربي ، ط 1، درا الحضارة ، بيروت ، 1965 م ، ص90 .

[4] محمود سلميان ياقوت ، النحو العربي ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1994م ، ص 212.

[5] حورية قطار وأخريات ، أثر القرآن الكريم في نشأة النحو العربي وتطوره ، مذكرة لنيل شهادة ليسانس ، المكز الجامعي ، المدية، 2002م ، ص 6.

[6] محمد التونجي ، المعجم المفصل في الأدب ، ج 2 ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1999 م ، ص 536.

[7] إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، مجلد 1 ، ط 1 ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ، اسطنبول - تركيا ، 1972 م ، ص 467.

[8] مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز أبادي الشيرازي الشافعي ، قاموس المحيط ، ج2 ، ط3 ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1999 م ، ص 120.

[9] جابر عصفور ، زمن الرواية ، ط ، دار الهدى للثقافة و النشر ، دمشق – سوريا ، 1999م ، ص 168.

تخيلية [1] و اللغة هي التي يستعان بها لنقل الأفكار [2] قال المبرد "إن الطلب من النهي بمنزلة من الأمر يجري على لفضه كما يجري على لفظ الأمر" [3].

وأسماء همّ النفس إن كنت عالما   وبادى أحاديث الفؤاد وغائبه

إذا ذكرتها النفس ظلت كأنني   يزعزعني قفقاف ورد وصالبه [4]

الغزل الصريح أو الإباحي هو غزل مادي جسدي فاحش، يتلظى شهوة ولا يقيم وزنا للأخلاق والمواصفات الاجتماعية ، وأصحاب هذا الاتجاه يشيدون الملاذ والشهوات[5] فإن اللغة ما هي إلا تعبير خارجي عن المعاني النفسية ، ومن بينها مخاوف المرء ومعتقداته و شكوكه وأوهامه [6] .

إذ ارتبط دور اللون في الصورة الشعرية عند القدماء بالشكل والهيئة الحاضرة في مجال وصف الأشياء وتجسيم المعنوي ، وبث الحياة في الجوامد ، بطرق التشبيه والاستعارة والتمثيل في شكل صورة بصرية [7]

إن قضية اللون ومدلوله جزء مهم في دراسة الأدب العربي قديما وحديثا، ويعود إلى مدلولات هذه الألوان في التاريخ القديم محاولا ربطها بالأدب العربي من شعر ونثر، ومدى تأثر هؤلاء الشعراء بالموروث، فقد كان الناس في العصر الجاهلي يربطون جل الأشياء من حولهم بالأساطير والخرافات المنسوجة من خوفهم من الطبيعة المحيطة بهم وتقلباتها وأسرارها ، وقد غيرت الألوان عادات الشعوب وتقاليدهم [8] من كثرة المؤلفات العربية التي كرست للصورة، فقد تعرض مصطلح الصورة منذ أرسطو إلى اليوم لاستعمالات متعددة [9] وقال الزجاج: كل عدد قل أو كثر فهو معدود [10] واسم العدد: هو ما رمز به إلى هذه الأعداد بالحروف الأبجدية

[1] أحمد اليوري ، في الرواية العربية، التكون والاشتغال ، ط1 ، شركة النشر المدارس ، الدار البيضاء ، 2000 م ، ص 32.

[2] بيار جيرو ، علم الدلالة ، تحقيق : منذر عياشي ، ط8 ، طلاس – دمشق ، (د س ط) ، ص10

[3] توأمة عبد الجبار ، زمن الفعل في اللغة العربية قرأته وجهاته ، (د ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية , بن عكنون - الجزائر , 1994م ، 34 .

[4] صلاح الدين الهادي ، اتجاهات الشعر في العصر الأموي ، ط ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (1407هـ/ 1986م) ، ص 432.

[5] سعد بوفلاقة ، دراسات في الأدب الجاهلي" النشأة والتطور والفنون والخصائص "، (دط) ، منشورات بابي مختار ، عنابة ، 2006 م ، ص 93 .

[6] عبد الرحمان أيوب ، اللغة بين الفرد و المجتمع ، ط1 ، (د ط) ، (د س ط) ، ص 184.

[7] يوسف حسن نوفل ، الصورة الشعرية والرمز اللوني ، (دط) ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995 م ، ص 13.

[8] أحمد مختار عمر ، اللغة و اللون ، ط2 ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1997م ، ص 161- 165.

[9] محمد الولي ، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان ، 1990 م ، ص 8 - 15.

[10] ابن منظور ، المصدر السابق ، ص 56 ، مادة (عدد).

: مثل واحد، اثنا ، خمسة عشرة ، عشرون ، مائة [1] إذا يؤلف بين شكلين من أشكال التعبير الأدبي أي تداخل نوعين أدبيين الرواية والسيرة الذاتية ونجد لكل شكل منهما موقع خاص في الأدب العربي، كما أن هناك التقاء في نقاط معينة، مما يجعل هذا العمل الإبداعي متآلفا، وأن أي عمل روائي يتضمن شيئا من السيرة الذاتية [2] أما في اللغة العربية فبعضهم يسميها علم الأدلة [3] اهتم اللغويون العرب الأقدمون بالتقريع بالتقريع المورفولونوجي للفعل، فخصصوا له تكثيفا نظريا شاملا لكل الجوانب القولية لبنية وما يقتضيه النحو[4] و لعل المعروف الشائع أن الغزل هو الحديث عن المرأة وما قد يكون لها من جمال وفتنة [5] و أبرز ممثليه عمر بن أبي ربيعة في العصر الأموي وهو زعيم الغزل الماجن وأبرز ممثلي الغزل العذري [6] عرف الشعر العربي الغزل بكل أنواعه: العفيف والإباحي ، لكن معظم قائد الغزل اتحدت من حيث تقسيمها كالبدء بالوقوف على الأطلال وبكاء الديار ورسم مشاهد الارتحال عند الأحبة ووصف المحاسن الجسدية والخلقية عند المرأة كما اتحدت قصائد الغزل في صفات المحبوبة [7] ويؤكد ابن الحاجب بقوله "وفعل الأفعال الطبائع كحسن وقبح وصفر فمن ثمة كان لازما " [8] فالفعل كلمة تدل على معنى حي نفسها مقترنة بزمان [9] والفعل على أو أوضاع النحو ما دل على حدث وزمان ماضي أو مستقبل [10] فدلالة الفعل على الحدث تأتي من اشتراكه مع اسم حدثه في مادة واحدة (الأنباء على مسمى) [11] لقد حضت فئة الفعل بتدارس أفر لا تضارعها في ذلك أي فئة من فئات الكلام لدى علماء العربية إذ ما انفكوا يقاربونه مقاربات لسانية

---

(1) سعد ناصر الدين ، العدد و قواعد اللغة العربية ، منتديات التربية و التعليم ، (د ط) ، المنتدى العربي الموحد ، دار العربي الموحد ، بيروت ، 2001 م ، ص 34.

(2) ستدري سالم أبوسيف ، الرواية العربية وإشكالية التصنيف ، ط1، دار النشر ، الأردن ، 2008 م ، ص 253.

(3) بالمر ، علم الدلالة ، تحقيق : إبراهيم السيد ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية – مصر ، 1995 م ، ص 3.

(4) سليمان فياض ، الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية ، (د ط) , دار المريخ للنشر و التوزيع , الرياض ، 1990م ، ص65

(5) أحمد الشايب ، الغزل في تاريخ الأدب العربي ، (د ط) ، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة – تونس ، (د س ط) ، ص 13.

(6) يحي شامي ، موسوعة أروع ما قبل في الشعر العربي ، ط ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1999 م ، ص 8 .

(7) سراج الدين محمد ، الغزل في الشعر العربي ، دار الراتب الجامعية ، بيروت- لبنان ، (د س ط) ، ص 6.

(8) الاسترباذي ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج1 ، (د ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د س ط) , ص74 .

(9) ابن يعيش ، الشرح المفصل ، ج1، (د ط) ، عالم الكتب ، بيروت ، (د س ط) ، ص49.

(10) الزجاجي ، المصدر السابق ، ص 52.

(11) سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ج 1 ، (د ط) ، دار العلم ، القاهرة ، 1966م ، ص 12 .

علمية ذات أبعاد [1] نجد اللغويين العرب قد وفروا نسقا تفريعا قائما على ثنائيات تقابلية تتمايز تمايزا اقتضاه النمط الفونولوجي لبنية الفعل[2] و من الجدير بالذكر أن الإنسان العربي كان يرى في مدح قبيلته مدحا له شخصيا والعكس لذلك كان يحرص عليها ويدافع عنها فيما إذا توفر له الحياة الكريمة والحماية وكان العربي يلتزم بقرارات منه كانت وهذا متا تميزه في قول دريد بن الصمة [3] و يمكن القول ابتداءا أن مفهوم الخطاب قد مر بأدوار ومراحل من التطور حتى وصل إلى مرتبة المصطلح، بتشكيل نواة دلالية خاصة به في الثقافة العربية، وقد اتخذ الخطاب مفهومه في التراث العربي من خلال المعاجم فعند ابن منظور "الخطاب والمخاطبة [4] على مستوى الحاجة لإنسان يعيش في زمان تاريخي وفي مكان اجتماعي ، و من على هذا المستوى يتخصص القول في أجناس لها حقولها الثقافية المتميزة" [5] و لكنها ما تلبث أن تعمد إلى تمييز القول عن الكلام و الخطاب والنص ، " و عليه، فإذا كان الكلام هو ما له صفة الفوضوي [6] و عند الجوهري : "وخطبة على المنبر خطبة بالضم، وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا " [7] إذ ظلت النواة العربية القديمة للمفهوم محصورة في إطارها دون رعاية أو تطوير، واستبدل النقاد العرب المحدثون بها المفهوم الغربي، فمفهوم الخطاب "مصطلح واضح الدلالة في الأصول، ولا يثير فيها دلالة وممارسة، أية إشكالية، إنما تكمن الإشكالية الأساسية في اجتذابه القسري خارج حقله، وشحنه بدلالات غريبة عنه، ذلك بتأثير مباشر من "المحمول الدلالي" لمصطلح الخطاب " Descourse " الذي يتغلغل في ثنايا الشبكة الدلالية لمصطلح الخطاب العربي وقوضه، أو كاد، من التداخل بحجة "تحديث" دلالة المصطلح " [8] وذات الأمر توصل إليه باتريك شارودو في قوله: "فيما يتعلق بمجال تحليل الخطاب، الذي أوجد به الآن، فإني أرى كل شيء جديرا بالدراسة، لقد عنيت بالنصوص المكتوبة بخاصة في المرحلة الأولى، وبعد ذلك اهتممت ولا زلت بظواهر التخاطب بين الناس وهذا

---

(1) أحمد حسني ، المكون الدلالي في اللسان العربي ، (د ط) , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر ، 1993 م ، ص 19

(2) أحمد حسني ، المرجع السابق ، ص 20 .

(3) فدوى طوقان – جبل إبراهيم ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، (د ط) ، نشر بدعم وزارة الثقافة ، (د س ط) ، ص 37.

(4) ابن منظور ، المصدر السابق ، مادة خطب.

(5) يمنى العيد ، في القول الشعري ، (د ط) ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، 1987 م ، ص 10.

(6) يمنى العيد ، المرجع السابق ، ص 10.

(7) الجوهري ، الصحاح ، تحقيق : إميل بديع يعقوب – محمد نبيل الطريفي ، ج1، ط1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، (د س ط) ، مادة خطب.

(8) مهى محمود إبراهيم العتوم ، تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث (دراسة مقارنة في النظرية والمنهج) ، (د ط) ، مكتبة الجامعة الأردنية ، 2004 م ، ص 12-13، أيضا : محمد ابو ربيع ، في تاريخ الأدب العربي القديم ، دار الفكر ، (د ط) ، الأردن ، 1990م ، ص 168- 167.

بالموازاة مع الاهتمام بالخطابات المكتوبة، الآن أعني بتحديد الأدوار اللغوية (*rôle langagiers*) التي هي نقطة المفصل بين النفساني- الاجتماعي واللغة" [1] و عند سيبويه فالفعل ما اخذ من لفظا أحداث الأسماء ، و أنه ينقسم إلى 3 أقسام : ماضي ، مضارع ، أمر [2] أن المتأمل الدراسات اللغوية العربية القديمة يجد أن النحاة قسموا الكلمة إلى ثلاثة أقسام : اسم – فعل – حرف – ويعد الفعل احد الأقسام الرئيسية التي يتألف منها الكلام وهو كذلك عند القدماء والمحدثين واعتبارا لأهمية الفعل كون أهم العناصر في بناء الجملة فقد وردت له تعاريف في المعاجم وكتب نحاة العرب [3] ولقد خص الصوفيون الأربعين لخلوتهم وتبتلهم إلى الله تعالى من الأوقات استناد إلى قول رسول الله (ص): « من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» [4]

كما يميز العرب الكلام عن القول ، يقول ابن جني: "فقد ثبت بما شرحناه وأوضحناه أن الكلام إنما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها، المستغنية عن غيرها، والتي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تركيبها، وثبت أن القول عندنا أوسع من الكلام تصرفا" [5] السلوك اللغوي للطفل يتطور تحت حدث انتقاء إمكانات التثبيت [6] لأنهم متحدثون بارعون يتميزون بالخبرة والإلمام باللغة .." [7] [7] وهذا النوع من القصص يتجه دائما على رسم المثل العليا، وتصوير المجتمعات الفاضلة" [8]

---

[1] ك . لوبي ألنسوو أسير دي الموس ، لسانيات الخطاب (حوار مع باتريك شارودو) ، ترجمة : محمد يحياتن ، مجلة اللغة العربية الفصلية ، (د ط) ، العدد 2 ، المجلس الأعلى للغة ، الجزائر ، 1999م ، ص 243-244.

[2] سيبويه ، المصدر السابق ، ج1 ، ص12 .

[3] الزجاجي ، الجمل ، (د ط) ، وزارة المعارف الجزائرية ، 1957م ، ص22 ،كذلك : عبده الراجحي ، التطبيق النحوي ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، قناة السويس – مصر ، 1998 م ، ص11 .

[4] أبي حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين، مجلد 5، (د ط) ، دار المعرفة، بيروت ، (د س ط) ، ص 140 ، أنظر كذلك : عبد القادر محمد مايو، معالم اللغة العربية، (د ط) ، درا العلم العربي ، 2000م ، ص 55 .

[5] ابن جني ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، ج1، ط2، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952 م ، ص 32.

[6] B P Skinnes, pour une science du comportement: le behaviorisme, delachaux, Niestle, Paris 1979, P : 106

[7] سرجيو سبيني ، التربية اللغوية للطفل، ترجمة : فوزي عيسى و عبد الفتاح حسن، (د ط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1991 م ، ص 79.

[8] عبد العليم إبراهيم ، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ط5 ، دار المعارف ، مصر ، 1981م ، ص 373.

فمع كثرة التعاريف سنكتفي ببعضها حتى لا تتشعب بنا السبل فمصطلح القصة "يطلق عادة في اللغة العربية " [1] ويقصد باختيار الألفاظ المناسبة للطفل، مراعاة المراحل العمرية والقدرات اللغوية [2] فتكون على المؤمنين بردا وسلاما ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا"[3] **قال الله تعالى: {إن الذين أمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان ودا }** قال محبة في قلوب المؤمنين" [4]

ثانيا : دور المذهب الشيعي

من العوامل التي ساعدت على تنشيط الحركة اللغوية و توسيع دائرتها [5] كان التعريب أمرا مهما لفرض اللغة العربية [6]كما أسلفنا ، يتصفون بكثير من صفات العرب و أخلاقهم ، ميالين بطبعهم و بتكوينهم الاجتماعي إلى اللغة العربية وكل ما يرتبط بها ، ويكفيك منهم أنهم اتخذوها لغة رسمية للبلاد [7] ولما لم تكن شديدة الاتصال بغيرها من الشعوب، ولم تكن تعرف كثيرا عما عند هذه الشعوب ظلت على حالتها وإن هذا الشعر مشى على قدميه في الأمم القديمة، وما نال كذلك يمشي قدما في الأمم الحديثة قبل أن يتعلق النثر [8] فعمدو ا إلى اللغة العربية لأنها اللغة التي يؤدى بها الإسلام ، وصاروا يحاولون فصلها عن الإسلام ، ولكنهم لم يستطيعوا في أول الأمر ، لان المسلمين اندفعوا في الفتوحات وهم يحملون الكتاب و السنة و اللغة العربية ، وكانوا يعلمون الناس اللغة العربية كما يعلمونهم القران و الحديث ، فدخل الناس في الإسلام و حذقوا اللغة العربية و أتقنوها .. وهكذا ظلت العناية منصبة على اللغة العربية .. ولا يتأتى فهم الإسلام من مصادره و استنباط الأحكام منه إلا باللغة العربية ، إلا أن هذه العناية فقدت بعد القرن السادس الهجري حين تولى الحكم من لا يعرف للغة العربية قيمتها ، فأهمل أمرها ، وبذلك وقف الاجتهاد وصار لا يمكن استنباط الأحكام لمن لا

[1] سمير المرزوقي ، جميل شاكر ، مدخل إلى نظرية القصة ، (د ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، الدار التونسية للنشر ، (د س ط) ، ص16.
[2] حفيظة تازورتي ، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري ، (د ط) ، دار القصبة للنشر ، الجزائر، 2003 م ، ص 81.
[3] السيوطي ، الإكليل في استنباط التنزيل ، ط2 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1985 م ، ص 174- 175 .
[4] السيوطي ، لباب النقول في أسباب النزول ، ط4 ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، 1986 م ، ص164.
[5] محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 204 .
[6] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 232 .
[7] محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع نفسه ، ص204 .
[8] محمد هاشم عطية ، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ، (د ط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د س ط) ، ص58.

يعرف هذه اللغة ، فانفصلت اللغة العربية عن الإسلام ، واضطرب على الدولة فهم الأحكام [1] و إن كان ابن رشيق قد أشار في كتابه "العمدة" إشارة بعيدة إلى سبق النثر العادي لظهور الشعر بقوله :" كان الكلام كله منثورا، فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها.. فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لأنهم شعروا به، أي فطنوا، فهذه إشارة عفوية عابرة تفهم النثر فهما واسعا جدا غير محصور في مجال الفن وحده" [2] ثم إن هناك عاملا آخر كان له تأثير مباشر على هذه الحركة ، ألا وهو ارتباط العلوم العربية بالعلوم الدينية ارتباطا وثيقا و مستمرا ، ذلك أن لغة البلاد كانت هي لغة القران و الشريعة و الإسلام فكان طبيعيا أن تنهض هذه العلوم كما نهضت الأخرى ، فسارت جنبا إلى جنب إلى الأمام ، لم تعرف عقبة في سيرها و لا عرقلة من أي نوع كانت تخل بتطورها كما كان الشأن بالنسبة للعلوم الفلسفية وما يرتبط بها [3] ومن عوامل انتشار اللغة العربية تعريب الدواوين الذي بدأ في عهد عبد الملك بن مروان ذلك أن عبد الملك شرع في صبغ الدولة بصبغة عربية بعد أن استقرت فيها الأمور ، واتسعت خبرة العرب و ساعد تعريب الدواوين على ذيوع اللغة العربية و انتشارها فقد أقبل الموظفون من البربر على تعلم اللغة العربية حتى يستمروا في عملهم ، فأصبحت اللغة العربية لغة التدوين و الإدارة و السياسة ، فضلا عن كونها لغة الدين والأدب و الثقافة [4] ومن المحتمل أن المعلومات التي جمعها التجار العرب إبان رحلاتهم الطويلة [5] ولو اطلعنا على كتب التراجم لوجدناها تحكي حكاية عمر بن يمكش البربري المستعرب (كان حيا سنة 140هـ/757م) الذي كان يقف في انتظار العرب القادمين عند مغمداس بأفريقية ، ليملوه بعض ما يحفظون من القران فيكتبها على لوح ويعود لداره ليحفظها قبل أن يعود للطريق من جديد ، مما يعني أن البربر لم يتقنوا فقط اللغة العربية بل أتقنوا كتابتها و قراءتها أيضا ، أي أنهم قد استعربوا و اسلموا لدرجة أنهم أصبحوا أشد عروبة وإسلاما من بعض العرب أنفسهم ، خاصة مع انتشار الأفكار الخارجية بينهم و تحمسهم ليس للاطلاع عليها وحسب ، بل و السعي لتطبيقها أيضا عكس ما ذهب إليه بروكلمان عندما زعم بان البربر اعتنقوا الفكر الخارجي للثورة على خلافة

(1) تقي الدّين النباهي ، الدّول الإسلامية ، ط ، دار الأمّة ، بيروت ، (1372هـ/1953م) ، ص 169- 179 .

(2) وليم مارسيه ، أصول النثر الأدبي العربي ، مجلة التراث العربي ، (د ط) ، العدد39 ، السنة العاشرة ، 1990م ، ص90.

(3) محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 204 .

(4) عصام الجين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 28 .

(5) اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، ص 37 .

المشرق " و ثبتوا في وجه جميع المحاولات الرامية إلى تعريبهم ناسيا أو متناسيا ، بان اعتناق البربر للمبادئ الخارجية في حد ذاته جزء من تعريبهم " ..حديثه عن الاغالبة و الادارسة :" وأما عن جهل البربر وعدم استعدادهم للحضارة الإسلامية ، فكان من أثاره أن الإسلام لم يتوطن بين البربر و بين العرب النازلين في بلادهم منذ امتدت الفتوح الإسلامية إلى هذه البلاد و هذا ما يفسر لنا انتشار مذهبي للخوارج و الشيعة في بلاد المغرب [1] ولإظهار البناء الفني والأسلوبي لهذه الأنواع النثرية نتناول أبرز الرسائل الأدبية وأشهرها مما يمثل قيمة حقيقية أو إضافة جادة لفن الرسالة [2] ويرى الدكتور أحمد هيكل أن أسلوب التوابع والزوابع "يمثل أسلوب النثر الخالص في فترة الفتنة في الأندلس أصدق تمثيل، فهو أسلوب فيه تأثيرات لطريقة بديع الزمان، التي تميل إلى توشية الأسلوب بالمحسنات المجتلية و خاصة السجع ، والتي تظم كثيرا بالوصف" [3] "المنهج التاريخي هو الذي يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره وخواصه، وهذا المنهج لا يستقل بنفسه، فلا بد فيه من قسط من "المنهج الفني" لأن التذوق والحكم ودراسة الخصائص الفنية ضرورية في كل مرحلة من مراحل المنهج التاريخي" [4]" فالعالم بالبيئة الاجتماعية والتطورات التي طرأت على الأمة وتاريخها علما تاما يستطيع أن يتبين تأثير ذلك كله في أدبها ، وإذا عرض عليه شعر لم يسمعه من قبل أمكنه أن يعرف من أي إقليم هو، وفي أي عصر كان .. من هذا كله تظهر لنا قيمة الدراسات التاريخية في فهم الأدب ، وقد حذا ذلك بعض الباحثين إلى دراسة الأدب حسب قانون النشوء والارتقاء، وأبانوا خضوعه لهذه القوانين، وألفوا كتبا في الأدب المقارن وبينوا فيها أن الأدب بأنواعه آخذ في سلم الرقي تبعا لرقي الأمة الاجتماعي" [5] وكما لهذا المنهج من مزايا فإن له عيوبا ومخاطر فكونه يهتم بالنصوص الأدبية من منظور انعكاس مجموعة من الظروف فإننا نرى أنه :" بالنسبة للناقد التاريخي "يحول القيمة إلى حدث وهذا يساوي الجمال بالتاريخ وهو حكم على العمل لا على الطريقة " [6]

[1] عبد العزيز غوردو ، المرجع السابق ، ص 70.

[2] فوزي عيسى ، الرسائل الأدبية في النثر الأندلسي ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1998 م ، ص 08.

[3] أحمد هيكل ، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ط7، دار المعارف ، مصر ، 1979م ، ص 387.

[4] عبد العزيز عتيق ، في النقد الأدبي ، ط 2 ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، 1972 م ، ص 288.

[5] أحمد أمين ، النقد الأدبي ، ج 1 – 2 ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1963 م ، ص 06.

[6] إنريك أندرسون إمبرت ، مناهج النقد الأدبي ، ترجمة : الطاهر أحمد مكي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1991 م ، ص 109.

فلما خص سبحانه اللسان العربي بالبيان ، علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه ، و قد اجمع علماء الإسلام و اللسان على عجز سائر اللغات عن الاهتداء إلى أداء معاني القران بدقة مثلما استطاعت اللغة العربية أن تهتدي إلى أدائه بعبارات موجزة و بأسلوب واضح ، و لهذا السبب لم تستطع جميع تراجم القران – قديما – و حديثا – أن تفي بمعانيه ، و تدل على مفاهيمه [1] فإنما الشعر صياغة وضرب من النسج وجنس من التصوير [2] ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى [3] "فلما كان مداه (أي الشعر) لا يمتد أكثر من عروضه وضربه، وكلاهما قليل، وكان الشاعر يعمل قصيدته " [4] و من أهم العوامل التي كان لها فضل على تقدم اللغة العربية تلك الحركة النشيطة التي عرفها فقه مالك وفروعه على يد رجال الدولة و خدامهم ، وعلماء و أدباء ورجال الفكر المغاربة بصفة عامة ، لقد مر بنا ونحن نتحدث عن هذه لعلوم أن الحركة عرفت تقدما منقطع النظير ، وان جل الأبحاث و التأليف الضخمة الوافرة العدد كلها كانت تدور حول مذهب مالك ، وأصوله ، وفروعه لقد كان جل المثقفين فقهاء و جل المؤلفات في الفقه و التفسير و الحديث حتى أصبح من المستحيل احصاء هؤلاء الفقهاء و عد مؤلفاتهم التي بلغت كمية وافرة لا تكاد تعد ، لقد رأيناهم يختصرون و يفسرون ، ويعلقون ، وينظمون و يجمعون الشتات المؤلفات الضخمة القديمة ، ويحللونها ، ويضعونها و ينتقدونها ويذيلونها ويكملونها ، مضيفين إليها ما عندهم من وما عند غيرهم ، فكانت هذه الحركة ، بصفة عامة غير مباشرة ، عاملا أساسيا في خدمة اللغة و تطويرها وإحياء ما مات منها وما ضعف خصوصا و أن الجهود التي بذلت في هذا الميدان كانت في أغلبها منصبة على الجانب الشكلي ، وهو اللغة العربية .. لقد رأينا غير ما مرة في بحثنا هذا الجانب الشكلي تغلب على الجانب الجوهري في أبحاث علماء وفقهاء هذا العصر حتى كاد يقضى عليه وحتى كاد الفقهاء يضحون به ، فكان الربح ، في الواقع ، للغة العربية التي استفادت أكبر استفادة من جهود الفقهاء الجبابرة ، و عنايتهم الخاصة باللمام بمذهب مالك وبفروعه و أصوله [5] فإذا كان معنى النص يتمثل بما قصده صاحبه فإن مغزى النص يتغير من جيل إلى آخر [6] لو حاولنا أن نلم بهذه الاتجاهات و ظواهرها في العصر الحاضر للاحظنا

---

(1) محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 77.

(2) الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ج1 ، (د ط) ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1967 م ، ص 132 .

(3) أبي الفرج قدامة بن جعفر ، المصدر السابق ، ص64.

(4) المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، تحقيق : أحمد آمين ، و عبد السلام هارون ، ط1، دار الجبل ، بيروت ، 1991م ، ص 18- 19 .

(5) محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 206 .

(6) موسى ربابعة ، موت المؤلف وآفات التأويل ، ج 58، م 15، (د ط) ، مجلة علامات ، جدة ، 2005 م ، ص 54.

أنها تدور في : البلاغة القرآنية ، والاتجاه الأدبي ، وآخر نقدي ، ورابع فلسفي[1] غير أن مفهوم علماء اللسان لا يعد وكونه وصف للغة هذا المفهوم بعي في عصرنا الحاضر مفهوما سائدا ولا سيما حتى يتعرض اللسانيون لشرح اللغة ووصفها [2] إضافة إلى ما تطرقنا إليه في تعريف علم اللسان من طرف الدارسين العرب القدامى نستطيع أن نضمنه تعريفات أخرى نبدأ بما جاء في كتاب أب اللسانيات في الجزائر عبد الرحمان حاج صالح :"لقد تعود هؤلاء العلماء المعاصرون أن ي مضمون التسمية المذكورة في مقدمات كتبهم تحديدا أوليا متساويا تماما، كما يقضنيه لفظ في ذاته فقالوا مثلا (الدراسة العلمية للسان) إن البيان لغة الفصاحة [3] و هذا هو الفرق بين الذي يستعمل اللسان وبين الذي يبحث في اللسان فالعلماء النحاة أخذوا القواعد من العرب الخلص الفصحاء [4]و يعرفه أندري مارتين : "اللسانيات هي الدراسة العلمية للسان البشري إن دراسة اللسان دراسة علمية حينما تتأسس على ملاحظة الوقائع وتمتع على أن تعترض اختيارا من ضمن هذه الوقائع باسم بعض المبادئ الجمالية أو الذهنية إذ اللسانيات هي الدراسة العلمية للغات البشرية وبصياغة أخرى [5] للصرف في اللغة معان متعددة منها :

أن تصرف إنسانا عن وجه بريده إلى مصرف غير ذلك وتصريف الرياح صرفها من جهة إلى أخرى: حدثان الدهر، لأنه يصرف الأشياء عن وجودها.

والصرف رد الشيء عن وجهه [6] الصرف (هو التغيير والتحويل والانتقال ورد الشيء عن وجهه) [7]

فالصرف لغة إذن هو مصدر صرف الشيء أي رده عن وجهه، بدله مغيره [8]

انتشار اللغة العربية في جل أصقاع العالم بسرعة ، وما توازيها سرعة ، ثم كثرة التأليف بها و الترجمة إليها في جميع الفنون المختلفة ، ولولا سهولة في ألفاظها ، وسلاسة في أساليبها ، وثروة في معانيها

---

[1] محمد بركات – حمدي أبو علي ، البلاغة العربية ، ط ، دار البشير ، عمان – الأردن ، 1992م ، ص05 .

[2] مازن الوعر ، علم اللسان كدراسة علمية للسان البشر ، مجلة سلسلة المعرفة ، (د ط) ، العدد 159 ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، الكويت ، 1978 م ، ص 179 ، أبي زيد سعيد بن اوس بن ثابت الأنصاري ، كتاب النوادر في اللّغة ، (دط) ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، (د س ط) ، ص3.

[3] محمود سعد ، مباحث البيان عند الأصوليين و البلاغيين ، (د ط) ، منشأة المعارف للنشر ،الإسكندرية ، 1989 م ، ص13.

[4] التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسان ، (د ط) ، دار الوعي للنشر والتوزيع ، الروبية – الجزائر ، 2006 م ، ص 10 .

[5] خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، ط2 ، دار القصبة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2006 م ، ص 10.

[6] ابن منظور ، المصدر السابق ، ج9 ، مادة (ص ر ف) ، ص 226.

[7] رجب عبد الجواد إبراهيم ، أسس علم الصرف ، تصريف الأفعال والأسماء ، (د ط) ، دار الآفاق العربية ، (د س ط) ، ص 05.

[8] ناجي الأسمر ، المعجم المفصل في علم الصرف ، (د ط) ، دار المكتب العلمية، بيروت – لبنان ، 1997م ، ص 287.

، ما تسابقت إلى تعلمها الأجيال ، و لا عمت جميع الأقطار الإسلامية شرقا و غربا ، و يكفيها فخرا أنها وسعت معاني القران الكريم ، وطاوعت حضارت الأمم السالفة [1]

كانت النقوش المكتوبة بخطوط سبقت العربية ممهدا لنا لنصل إلى اللغة العربية في مرحلة ما قبل الإسلام – و هي مرحلة الجاهلية ، وسنتعامل مع تلك الحقبة في الفصل الرابع ، ولكن يجب ان نقول الآن أن المادة المقدمة في فصلنا هذا و الأدلة اللغوية ليست كبيرة ، من ناحية حجم النقوش فهو كبير جدا ، ولكن بالرغم من ذلك و حتى في أكبر النقوش ليست المادة اللغوية كافية لتمكننا من تتبع تاريخ اللغة العربية في عصر ما قبل التاريخ ، ومع ذلك فان المرحلة اللغوية التي تعكسها النقوش الثمودية و اللحيانية و الصفانية و غيرها والعناصر العربية التي استقيناها من الخط النبطي تعطينا لمحات عن تاريخ اللغة العربية و مراحلها ، فنعرف على الأقل انه حتى قبل أن تصل لنا أية شهادة مكتوبة بلغة عربية كاملة كانت هناك بعض عناصر تطوره ، وبالرغم من أننا لا نعرف اللغة التي كان العرب يتكلمونها في شبه الجزيرة العربية إلا أننا نعرف أن شعبا بدويا يشتق اسمه من الجذع الثلاثي ع ر ب قد سكن تلك الصحراء ، وكذلك نعرف أن هؤلاء العرب بداية من القرن الميلادي الأول بدءوا يستخدمون لغة تشبه العربية الفصحى [2] و قد تكون العربيّة أرقى اللغات السامية و أشدها فصاحة و اتساعا ، قال الدكتور الدكتور طلس :" إن أقدم النصوص العربيّة الفصيحة " [3]

ولكن عندما اتصل العرب بشعوب لا تتكلم العربية بعد الفتح فقد نقلوا لغتهم لتلك الشعوب التي نطقتها بكثير من الأخطاء ، وفسدت اللغة بناء على ذلك ، فتدخل النحويون العرب لما ظهر استعصاء القران الكريم على الفهم ، يلخص ابن خلدون توفي عام (808هـ / 1401م) تلك النظرية كما يلي : " فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز و خالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المستعربين و السمع أبو الملكات اللسانية و فسدت بما ألقى إليها ، وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا و يطول العهد بها فينغلق القران و الحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجارى كلامهم قوانين لتلك الملكة مضطردة يقيسون عليها سائر أنواع الكلام " [4]

تأثرت بتيارات أدبية متباينة، ودراسات أسلوبية متنوعة وهكذا تضيق دائرة الصورة لتشمل الأشكال المجازية المشحونة بالعاطفة والخيال فقط، وتتسع أحيانا أخرى لتشمل كل تشكيل لغوي يستقيه خيال

(1) محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 37.
(2) كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 51-52 .
(3) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 49 – 50 .
(4) كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 114 .

فنان لمعطيات الحواس والنفس والعقل[1] ولعل هذه الصعوبة كامنة في المصطلحات الأدبية جميعا، فمفهوم الصورة الشعرية من المفاهيم النقدية المعقدة وذلك لتشعب دلالتها الفنية [2] وسائل التعبير والألفاظ والعبارات اللتان هما مادتا الشعر الأولى التي يصبغ منها لك أنت الشكل الفني له أو يرسم بها صوره الشعرية [3] هناك بعض الدراسات النقدية التي تربط بين دور الصورة في التعبير عن نفسية الشاعر [4] و يعبر بها الشاعر عن المعاني العميقة في نفسه ، و يفلسف موقفه من الواقع ، و يخلق بها عالمه الجديد من خلال توظيفه لطاقات اللغة المجازية [5] فالشعر كما قدمه " رماني" تشكيل جمالي للصورة ، والشاعر لا يتعامل إلا بالصورة في رؤيته وصياغته فيرى الواقع بعين الخيال [6] فهي لا تعكس الخصوصية والوجه الإبداعي للشاعر فحسب [7] وسيلة نقل بها الكاتب أفكاره [8] فتأثير اللغة العربية في اللغات الإسلامية يشبه كثيرا تأثير اللغة اللاتينية في لغات أوربا إلاّ أن اللغة اللاتينية اندمجت و دخلت في لغات أوربا بل كانت اللغة العربية لهذه الشعوب الشرقية الإسلامية بمثابة اللغة اللاتينية و اليونانية معا للأمم الأوروبية المسيحية ، و خصوصا لان المسلمين كافة يقرؤون القران الشريف باللغة العربية ، فهي لغة كتابة عند الخاصة في كل بلد اجتمع فيها المسلمون ليتلوا القران العظيم [9]

بعد فتح أجزاء كبيرة من الأندلس عام (92هـ/711م) احتك العرب بالشعوب التي تتكلم لهجات رومانسية في تلك المنطقة بشكل مباشر ، وهو الاحتكاك الذي دام حتى سقوط كل الأندلس عام 1492م ، يقول بعض العلماء انه خلال تلك الفترة الطويلة من الاحتكاك اللغوي لم تحل العربية محل الشعوب غير المسلمة ، ويشكو شاهد عيان من القرن التاسع الميلادي و هو بولس الفاروس القرطبي من أن الشباب المسيحي مهتم بالشعر العربي أكثر من اهتمامه بلغته الرومانسية ، ويقول بعض العلماء أيضا إن العربية لم

---

(1) علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني هجري ، ط ، دار الأندلس للطباعة والنشر، 1989 م ، ص 30.

(2) عزا لدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، ط4 ، مكتبة غريب بالفجالة ، القاهرة ، (د س ط) ، ص 58.

(3) عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي، (د ط) ، مكتبة الشباب ، 1978 م ، ص 473 .

(4) إحسان عباس ، فن الشعر ، ط3 ، دار الثقافة ، بيروت ، (د س ط) ، ص 23 .

(5) علي غريب الشناوي ، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي ، (د ط) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2003 م ، ص 432 .

(6) ابراهيم رماني ، الغموض في الشعر العربي الحديث ، (د ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية بن عكنون ، (د س ط) الجزائر ، ص 253.

(7) بشرى موسى صالح ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، (د ط) ، دار التوزيع للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، (د س ط) ، ص238.

(8) محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، (د ط) ، دار النهضة ، القاهرة ، 1977م ، ص 279.

(9) عبد الفتاح عباده ، المرجع السابق ، 98 .

تفلح في الحلول محل اللغات المحلية كلغة كلام ، بل أن اللاتينية قد كانت موجودة في تلك الفترة كلغة ثقافة [1] كان فتح الأندلس ، وتنظيم أمورها في الأساس شان ولاة افريقية ، وكان الفتح في العقد الأخير للقرن الأول الهجري (92- 95هـ/ 711-714م) ، وقد وضعت التنظيمات التي تخص معاملة الأراضي المفتوحة و أهلها واستقرت في المشرق خلال القرن الأول الهجري ، ويفترض ان تطبق على الأندلس ، ولكن الكثير من الروايات تعطي صورة مخالفة ن ابتداء نشير إلى الإجراءات التي اتخذت في فتح افريقية و المغرب ن لتكون مدخلا إلى الحديث عن معاملة الأرض في الأندلس [2] امتزج المستعربة أو المسيحيون الذين يتكلمون بالعربية في الأندلس بالقادمين عليها ، فلقي المعاهدون منهم رعاية من الفاتحين[3] وكان من أضبط الناس للغة و أحفظهم لها [4] لتناول كثير من الشعر بالدراسة و التحليل [5] فلقد ارتبط النقد بالشعر أكثر أكثر من ارتباطه بالنثر، لأن نقد الأعمال المنثورة بالنظر إلى صعوبة حفظها يتطلب أن تكون مكتوبة [6] من البديهي أن النقد موضوعه الأدب و الذي يتقدم النقد و يسبقه في النشأة لأن" النقد تقويم للآثار الأدبية ولا يمكن تقويم شيء لا وجود له" [7] لان العرب كانوا يحرصون على بقاء أهل البلاد فيها ليعمل التطور عمله ، فيسلم مع الزمن منهم ، أو يعطي الجزية و يتعلم العربية فتخف الفوارق بينه و بين عصبية الفاتح [8]و تمتاز تلك اللغة العربية بأنها اعرابيّة اشتقاقيّة فيها ضروب من النحت و القلب والترادف و أنواع من المجاز و الكناية و ما أشبه ، قال عنها المستشرق بروكلمان : " تمتاز لغة الشّعر العربيّ بثروة واسعة في الصوّر النحويّة (

---

[1] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 265 .

[2] عبد العزيز الدوري – غيداء خزنة كاتبي ، المرجع السابق ، ص 39 ، أيضا : يمنى رضوان ، التعريب اللغوي في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى إصدار قانون تحريم التخاطب أو التعامل باللغة العربية (92-910هـ /710-1566م) ، كلية الآداب الفيوم ، (دط) ، (د س ط) ، ص 1-2 .

[3] محمد كرد علي ، المرجع السابق ، ص 33 ، انظر : سحر السيد عبد العزيز سالم ، الغرب الإسلامي و الغرب المسيحي خلال القرون الوسطى ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، (د ط) ، مؤسسة كونراد أديناور ، الرباط ، 1995م ، ص 47 .

[4] كمال السيد أبو مصطفى ، دراسات أندلسية في التاريخ و الحضارة ، (د ط) ، مركز الإسكندرية للكتاب ، 1997م ، ص 37.

[5] محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث ، (دط) ، دار المعرفة الجامعية للصناعة و النشر، بيروت ، 1991 م ، ص345.

[6] عبد القادر هني ، دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي ، ط6 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995م ، ص12، انظر : ادريان كيلر ، المفهوم الخاطئ للمستعرب كمسيحي معرب من شبه الجزيرة الأيبيرية في القرون الوسطى ، ترجمة :أيوب بوخاتم، الملتقى الدولي محمد بن شنب و الاستشراق ، مديرية الثقافة ، شيكو للطباعة والنشر ، المدية ، 2015م ، ص18.

[7] عبد القادر هني ، المرجع السابق ، ص11.

[8] محمد كرد علي ، المرجع السابق ، ص 33.

الإعراب) و تعدّ أرقى اللغات الساميّة تطوّرا من حيث تركيبات الجمل و دقة التّعبير ، أما المفردات فهي فيها غنيّة غنى يسترعي الانتباه ولا بدع فهي نهر تصبّ فيه الجداول من شتى القبائل"[1]

ثالثا :المناظرات و الحلقات

إذا كانت أسباب انتشار اللغة العربية تمثل عاملا هاما من عوامل التعريب فان ذلك لا يعني أن نجمد عند هذه الأسباب وكفى ، بل يجب علينا أن نبحث عن العوامل التي سمحت لأسباب انتشار اللغة العربية أن تأخذ مسيرتها نحو التعريب في مناطق معينة ، ولم تسمح بذلك في مناطق أخرى [2] إن تعريب المغرب قد تحقق غلى مرحلتين منفصلتين بعضهما عن بعض بوضوح ، الأولى كانت مرحلة فتح الغرب في القرن السابع الميلادي ، والثانية – وهي لا تتعلق إلا بالتعريب – تختص بمدن معينة مثل قسنطينة وتلمسان وتأسيس مدن جديدة مثل القيروان و فاس ، وكانت القيروان ، وهو ما يجوز أن نفترض بالتأكيد ، المدينة الأولى في شمال إفريقيا التي كانت للاغتها العربية ، و توجد مؤشرات طبوغرافية – مثل تسمية سوق البركة لسوق العبيد هناك و تسمية دار البركة في الفسطاط كذلك ، وهي مما يمكن أن يعد هنا علاقات وثيقة بالقاهرة القديمة ، ويمكن أن تكون قد نشأت هناك القيروان أسس لهجة خاصة ، حازت بعد ذلك مدن إفريقيا ووصلت مع القرويين في القرن التاسع الميلادي إلى فاس ، ومن هناك عرّبت قبيلة غُمارة ، وفيما بعد ذلك بقليل أيضا انتقلت حضارة المدن الإسلامية و اللغة العربية إلى تلمسان ، ومن تونس أضيفت مالطة وصقلية في القرنيين التاسع و العاشر الميلاديين إلى حيز العربية ، و بينما اندثرت مرة أخرى في صقلية في أثناء القرنيين الثاني عشر و الثالث عشر الميلاديين ، فإنها قد بقيت في مالطة مختلطة بخصائص صقلية اختلاطا شديدا ، و تأثرت هذه اللهجات بصيغ رومانية و روح اللغة الرومانية ، بحيث يتحدث بعض العلماء عن "لغة خليط " أنها اللغة العربية الوحيدة ، التي لا يتحدثها إلا مسيحيون ، كتبت منذ قرون بحروف لاتينية ، و بالإضافة إلى ذلك أيضا اللهجة الوحيدة التي اختصت بها [3] ووقعت المرحلة الثانية من تعريب المغرب ، البراري و السهول من خلال تحرك قبائل البدوية ، بني سليم وبني هلال ومعقل و الأخيرة ذات أصل عربي جنوبي ، تغريبة بني هلال إلى الغرب – جرى ذلك في القرن العاشر الميلادي ، وقطفت الأولى بل و عربت المنطقة ما بين الحدود الغربية لدلتا النيل حتى جنوب تونس [4]ومعقل التي قطنت شرق مراكش في القرن الثالث عشر الميلادي ، وزحفت في القرن الخامس عشر الميلادي إلى موريتانيا و في القرنيين الخامس عشر و

[1] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 52.
[2] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 145.
[3] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 279 .
[4] فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 279 .

السادس عشر الميلاديين من الجنوب عبر مرتفعات أطلس جهة الشمال إلى السهول داخل مراكش ، حيث ردوا بني هلال إلى الخلف و حصروهم في عرب و هبط ، وصارت العربية فضلا عن ذلك في الجزائر و مراكش – لم تعد تدخل تونس هنا في الحسبان مطلقا – منذ قرون لغة العبادة و الثقافة و الإدارة ، واليوم أكثر من ذي قبل ، و هو ما يتضح من خلال التعريب المستمر تدريجيا لمجموعات بربرية و بخاصة المنعزلة كما في "قصُور " الجزائرية [1]، فهناك حيث توجد البربرية في مجموعات جبلية كما في الأوراس و بلاد القبائل و الريف و الأطلس ، أمكن أن يحافظ عليها لقرون بالطبع برغم الازدواج اللغوي للرجال و النساء بشكل متزايد [2] إن علم اللسان كما قلنا لم ينشأ من العدم [3] ابن عذارى يحدد هذا العمل الاستعراضي في سنة (443هـ /1051م) و قد كان الحدث الأخير لأنه سبق مباشرة ظهور الهجرة الهلالية ، وإذا رجعنا لابن خلدون نعرف منه أن الهلالية دخلوا افريقية في نفس عام (443هـ / 1051 م) .. أن رحيل عرب بني هلال المستوطنين أصلا على الضفة الشرقية للنيل ، ودخولهم بلاد البربر الشرقية ، سيتبعه توقف النشاط الاقتصادي ، وانقلاب الأحوال السياسية ، و تدهور الحضارة [4] اتفق كل من كتبوا في قضية التعريب على أن أهم أسباب التعريب كانت انتشار الإسلام ، و هجرة القبائل العربية إلى البلدان المفتوحة و تعريب الدواوين ، و تفوق الحضارة الإسلامية ، كما اتفقوا أيضا على أن هذه الأسباب هي بعينها التي أدت أيضا إلى انتشار اللغة العربية ..إن انتشار اللغة العربية يعني تسرب الكثير من الألفاظ و المفردات العربية إلى اللغات الأخرى الأعجمية خارج الجزيرة العربية ، و قد يتعدى الأمر إلى إتقان قلة أهالي تلك اللغات اللغة العربية قراءة و كتابة ، وقد حدث هذا في العصور الوسطى حيث انتشرت اللغة العربية خارج الجزيرة [5] ولعب بنو هلال دورا كبيرا في تعريب بلاد المغرب و نشر الإسلام بين البربر [6] و يمكن القول بأن الجموع العربية أدت دورا كبيرا في نشر الإسلام و اللغة العربية و الثقافة العربية الإسلامية في بلاد المغرب [7] و لكن في الجملة يمكن أن نعتبر تصنيف ابن خلدون ذا مدلول ، كما يحق لنا أن نطلق معه على القبائل التي نسبها بالتأكيد إلى بني هلال أو بني سليم ، بدون ذكر مدى تهجينهم أو اندماجهم في الفروع الأجنبيّة ، يحق لنا أن نطلق على أفرادها اسم " عرب " ، مع احتفاظ تلك العبارة ، بالنسبة لذلك العصر ، بأقلّ ما يمكن من القيمة

---

(1) فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 287 .

(2) فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 287 .

(3) عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث و دراسات في علوم اللسان ، (د ط) ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2012م ، ص 49 .

(4) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 197.

(5) محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 145.

(6) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 189.

(7) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع نفسه ، ص 190.

العرقيّة التي لا يمكن أبدا إضفاؤها عليها في الوقت الحاضر ، ذلك أن القبائل العربية التي توغّلت في بلاد المغرب من الجنوب الشرقي و دفع بعضها بعضا طوال قرنين أو أجليت حتى إلى السهول الأطلسية بالمغرب الأقصى ، قد انتشرت على وجه الخصوص في المناطق المنخفضة ، ذلك أن البدو الرّحل لا يحرصون كثيرا في العادة على الاستقرار في المناطق الجبلية التي يفضلون محاذاتها أو أحيانا عبورها من المجازات الأكثر ملائمة لحاجات انتجاعهم الموسمي [1]

و هكذا يتضح أن المسألة في "بربر " مسألة لغوية محضة لا صلة لها بالعرق أو بالجنس ، ذلك أن البربر هم عناصر من السكان يتحدثون بلهجة خاصة تختلف في قليل أو كثير عن لغة العرب ، فالبربري إذن ، حسب ما أوردناه ، يمكن أن يكون عربيا تبربر أو إن صح التعبير متبربر تعرب ولكن أصيبا بتحريفات و تغييرات سطحية أو جذرية ، بحكم البيئة أو عوامل اجتماعية معينة ، ثم هناك نتيجة أخرى يستشهد بها أنصار عروبة البربر ، وهي دخول العرب من اليمن إلى المغرب على يد افريقش ، ثم دخول الكنعانيين بعدهم يوم فتحوا المغرب قبل الإسلام ، بل قبل الميلاد ، و قد كان للفينيقيين في المغرب اثر كبير في سكانه كما أكده كثير من المؤرخين العرب و غير العرب [2]

وليس بين البربر نسب إلا الرحم و صنهاجة يرفعون أنسابهم إلى حمير ، و أنهم خرجوا من اليمن و ارتحلوا إلى الصحراء ، و هي موطنهم بالمغرب [3] وكان الصنهاجيون المقيمون بالصحراء أهل لثام في قديم عهودهم ولذلك غلب عليهم اسم:" الملثمين "ونسب إليهم الأرض فسميت" صحراء الملثمين " [4]

منذ بداية العصر الإسلامي ، وبالطبع قبل ذلك بكثير ، كانت هناك هجرات قبلية مستمرة ، وكانت الجيوش العربية التي قامت عليها الفتوحات الإسلامية المبكرة من القبائل البدوية في غالبيتها ، تبعت تلك هجرات بدوية لاحقة من شبه الجزيرة العربية ، تبين هجرة بني سليم و بني هلال في القرن الحادي عشر لشمال إفريقيا أن عملية الهجرات ظلت مستمرة حتى فترة متأخرة ، وقد تسببت الهجرات اليدوية تلك كلها في عملية تعريب للريف الذي استقرت فيه ، وقد استقرت بعض المجموعات البدوية وتبنت لهجات حضرية مع الزمن ، ولكن في حالات أخرى انتقلت جماعات حضرية من لهجطات حضرية للهجات البدوية كما حدث في مراكش [5] وفيما يتعلق بالعلاقات مع بني زيري في المغرب الأدنى ، فقد أوضحت أن تلك

---

[1] روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 357.

[2] محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 22 .

[3] مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار – عبد القادر زمامة ، ط ، دار الرشاد الحديثة ، (1399هـ /1979م) ، ص 17- 18.

[4] الخليل النحوي ، المرجع السابق ، ص 18 .

[5] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 165 .

العلاقات سادها روح الود و الصداقة ، لان كل من المرابطين و الزيريين ينتمون إلى قبيلة واحدة هي قبيلة صنهاجة البربرية ، وقد انعكست هذه العلاقات الودية في الكتاب الذي وجهه يوسف بن تاشفين إلى الأمير تميم بن المعز بن باديس يصف له فتح بلاد المغرب و جوازه إلى الأندلس و انتصاره على القشتاليين في معركة الزلاقة ، كما تتمثل هذه العلاقات الودية في استعانة الزيريين بأسطول المرابطين لمواجهة الخطر النورمندي الذي كان يتهدد سواحل الدولة الزيرية ، أما عن العلاقات مع بني حماد في المغرب الأوسط ، فقد أبرزت الظروف التي أدت إلى قيام هذه الدولة ، وكيف أن العلاقات بينها و بين المرابطين لم تكن ودية تماما نتيجة لاصطدام الحماديين بسياسة المرابطين التوسعية في المغرب الأوسط ، وقد عبر الحماديون عن كراهيتهم للمرابطين ، فاستعانوا بعرب بني هلال و أغاروا على القسم الغربي من المغرب الأوسط الخاضع للمرابطين ، كما احتضنوا جميع القوى المعارضة للمرابطين و فتحوا أبواب بلادهم لهم [1].

في منتصف القرن (الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) ، اضطر الغزو الهلالي بني زيري في افريقية إلى الالتجاء إلى المهدية ، وبني حماد إلى الالتجاء إلى بجاية ، و ذلك في الوقت الذي كان المرابطون في المغرب يشيدون فيه إمبراطوريتهم التي تمتد من الصحراء إلى اسبانيا ، وأما بنو مزاب ، فقد شرعوا منذ ذلك الوقت في ممارسة نشاطهم في تجارة التجزئة و أخذوا يستقرون في التل و يندمجون في تيار التجار مع السودان [2]

و قد أدى كفاح المرابطين من اجل السيطرة على المغرب الأوسط و سعيهم إلى مدافعة عرب بني هلال إلى اصطدامهم ببني حماد أصحاب القلعة ، لان بني حماد لم ينظروا إلى توسع المرابطين في المغرب الأوسط نظرة الارتياح و الرضا ولم يضعوا في اعتبارهم أن المرابطين بعد أن وصلوا إلى مشارف الجزائر كان في مقدورهم أن يفتتحوا افريقية نفسها لو أنهم حقا كانوا يستهدفون ذلك لان عرب بني هلال بعيثهم فيها قد أفسدوا عمرانها ومزقوا وحدتها وقضوا على معالم حضارتها ولم يمنع المرابطين من فتحها إلا الإبقاء على صلات القربى التي بينهم وبين بني حماد ، ورغم ذلك فقد ظل بنو حماد يترقبون فرصة مواتية للتعبير عن حقدهم و كراهيتهم للمرابطين ، ولذلك فقد انتهزوا فرصة عبور قوات المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين إلى الأندلس تلبية لنداء ملوك و أمراء الطوائف بالأندلس ، وانشغال يوسف بالجهاد في الأندلس فاستعان بنو حماد بعرب بني هلال وأغاروا على القسم الغربي من المغرب الأوسط الخاضع للمرابطين ، وتفصيل ذلك أن المنصور بن الناصر بن علناس حاصر مدينة تلمسان وعثت عساكره فيها ولكنه لم ينل من تحصيناتها ولم يحقق هدفه فتركها وقفل

---

[1] محمدي عبد المنعم محمد حسين ، المرجع السابق ، ص 13- 14 .

[2] موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 93 - 94 .

عائدا إلى القلعة ، ومن المرجح أن المنصور كان يخشى أن يتسبب حلفاؤه الجدد وهم العرب الهلالية في تدمير بلاده ، كما فعلوا مع المعز بن باديس في افريقية [1]

رابعا : حركة التأليف : كان المسجد من أهم مراكز العلم في المغرب الإسلامي ، حيث كان يموج بالفقهاء و العلماء و الطلاب وكان الشيوخ يجلسون عند أحد الأعمدة و يتحلق الطلاب حولهم ثم يتولى هؤلاء الشيوخ تدريس العلوم الدينية و الشرعية و النحو و اللغة [2] و من المعروف أن الزوايا كانت أيضا من المؤسسات العلمية الهامة في بلاد المغرب ، فبالإضافة إلى كونها موضعا لاجتماع المتصوفة للعبادة و الذكر ، كان يقصدها بعض الطلبة لتلقي العلم ، كما كان يسمح لهم — أحيانا — بالسكنى فيها ، ولهذا كثرت الأحباس عليها لتقوم بوظيفتها على خير وجه [3] أعظم المؤسسات في أية امة هو لغتها ، لأنها وسيلة تفكيرها و مستودع تراثها من القيم الاجتماعية و العادات الذهنية [4] كان هذا الأخير أعظم معاهد الثقافة لدراسة القرآن و الحديث و الفقه و اللغة و غيرها من العلوم [5] و اللغة الراقية هي علم و فن و فلسفة [6] و لغتنا العربية مجموعة أو خليط من كلمات الحضارة و البداوة [7] أما التعريب فهو يعني تحول لسان الأهالي خارج الجزيرة العربية إلى اللسان العربي ، و هجر لغاتهم المحلية ، وقد حدث هذا أيضا بعد الفتوحات الإسلامية في المنطقة المحصورة بين الخليج و المحيط و المعروفة حاليا بمنطقة الدول العربية ، فقد هجر أهالي تلك البلدان لغاتهم الأعجمية و حلت اللغة العربية محل الآرامية و السريانية في الشام و العراق ، و القبطية في مصر ، والبربرية في بلدان المغرب [8] أي لن تستعرب العلوم إلا إذا أستلتن الهجاء العربي [9] فلا جرم إذا بقي بقي المغرب على جهله و تأخره ولم يسرع إلى التطور و التعرّب و النقل عن أساتذته الجدد كما نقل عنهم أشقّاؤه و جيرانه [10] و إلا أن البيئة المغربية قد أفادت كثيرا من وجود هذه القبائل العربية بين

---

(1) محمدي عبد المنعم محمد حسين ، المرجع السابق ، ص 231 .

(2) كمال السيد مصطفى ، جوانب من حياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي ، (د ط) ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، 1996م ، ص 115.

(3) كمال السيد مصطفى ، المرجع السابق ، ص 117.

(4) سلامة موسى ، البلاغة العصريّة و اللغة العربية ، ط ، دار و مطابع المستقبل ، الإسكندرية ، 1945م ، ص 13.

(5) حسن إبراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي السياسي و الديني و الاجتماعي ، العصر العباسي الثاني في الشرق و مصر و المغرب و الأندلس (232 هـ - 474هـ/847م - 1055م) ، ج4 ، ط13 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، (1411هـ/1991م) ، ص 399.

(6) سلامة موسى ، المرجع السابق ، ص 13.

(7) سلامة موسى ، المرجع نفسه ، ص 27 .

(8) محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 145.

(9) سلامة موسى ، المرجع نفسه ، ص 160 .

(10) عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 47.

ظهرانيها و انتشارها في كثير من الجهات التي تتفق و طبيعتها ، لقد انتشرت العربية بفضلها انتشارا لم يسبق للمغرب أن عرفه من قبل و عمت حركة التعريب كثيرا من القرى و البوادي حتى أصبحت اللغة العربية هي اللغة السائدة في البلاد و هي اللغة الرسمية للدولة [1] كما كان الأطفال يتلقون فيه قواعد اللغة العربية و أصول الدين كلما اتخذه القضاة مجلسا للنظر في قضايا رعاياهم و ساحة تتجمع فيها الجيوش و منزلا لاستقبال السفراء [2] ولا شك أن دراسة هذه العلوم التي أتى على ذكرها كانت تدرس باللغة العربية ، وهو ما يؤكده ابن جني الذي يقول : " إنما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة ، فكل من فرق له عن علة صحيحة ، وطريق نهجه كان خليل نفسه ، أو عمرو فكره [3] بل كان هناك بجانب حلقات علوم الدين حلقات لعلوم العربية قال ياقوت :" كان حماد بن سلمة بن دينار يمر بالحسن البصري في الجامع فيدعه و يذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم " [4] و في الحقيقة فقد تحقق من خلال وضع النحو و المعجم [5]

و إذا كان المسجد أول معهد للتعليم ودار العبادة فان الكتاب يعد أول معهد استقل بمهمة تعليم القرآن على وجه الخصوص[6] حيث يتلقى في الصبيان العلم على أحد المؤدبين و هي المرحلة الأولى من التعليم في المغرب عندما يبلغ الصبيان سن التمييز(فيما بين الخامسة و السادسة من أعمارهم) [7] يبدأ المؤدب بتعليمهم القراءة و الكتابة و حفظ أجزاء من القرآن الكريم و تجويده ، حيث جرى العمل بالكتاتيب على اجتماع الصبيان لتلاوة آيات من القرآن بصوت واحد على وجه التعليم، علاوة على الإلمام ببعض علم اللغة و النحو و الفقه [8]

نجد أن دخول المالكية في المغرب و الأندلس ، لا يعتبر مجرد دخول مذهب فقهي ، وإنما هو دخول أسلوب حضاري ، فقد ارتفع مالك بن انس بالعلم و أهله إلى مستوى اجتماعي بل سياسي ، جعل العلم رمزا من رموز القوة و السلطان [9] و قد كان عصر مالك بن أنس حافلا بالشيوخ و طلبة العلم الذين يقرؤون

---

(1) محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 32 .

(2) محمد بن تاويت ، محمد صادق عفيفي ، الأدب المغربي ، ط ، مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبنانية للطباعة و النشر ، بيروت ، 1960م ، ص 60.

(3) سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 17.

(4) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 52.

(5) فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 120 .

(6) أحمد الكنوني ، المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح إلى ابن عطية ، ج 1 ، (د ط) ، مكتبة المعارف ، المغرب - الرباط ، 1981 م ، ص 36.

(7) الونشريسي ، النوازل جوانب من حضارة المغرب الإسلامي، تحقيق : كمال أبو مصطفى ، (د ط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1997م ، ص 113.

(8) الونشريسي ، المصدر السابق ، ص 113.

(9) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 84.

يقرؤون العلم في المساجد ، ومنهم نفر من أجل مؤسسي الفقه الإسلامي ، كالإمام الأوزاعي الذي انتشر مذهبه في الشام كله ووصل إلى الأندلس ، ولكن مالكا كان أستاذا بمعنى الكلمة – نظم دروسه وفق خطة وضعها بنفسه ، و اتخذ في داره مجلسا للتدريس و أقام لتلاميذه عريفا و قرئا ، مكلفين بتنظيم الدروس و مراجعتها مع الطلاب و حفظ النظام أثناء الدرس .. و مع ذلك فقد كان مالك إذا انس من تلميذ استعدادا حسنا ، خصه بدرس له وحده ، كما فعل مع المغربي القيرواني البهلول ابن رشد ، ولم يكتسب بالعلم ، فما أخذ يوما من طالب درهما ولا هو كان يقبل الهدية ، وكان عند إلقاء درسه فياضا مسترسلا [1] و اتجه الأندلسيين إلى مذهب الإمام مالك بن أنس[2] و بدأ التبني الرسمي للمذهب المالكي في عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل، هذا الأخير الذي امتاز بورعه وتقواه، وتقربه لأهل العلم والفقهاء الذين أصبح لهم نفوذ كبير في عهده ، و هذا ما أدى إلى انتشار المذهب المالكي في الأندلس[3].

و يقول ابن خلدون – في المقدمة – إن أهل المغرب اختاروا مذهب مالك دون غيره من المذاهب السنية كالمذهب الحنفي و المذهب الشافعي لأنه مذهب أهل الحجاز الذين تجمعهم بهم البداوة [4] إذا كان الرأي السائد عند الفقهاء القيروانيين [5] فبالنسبة لأتباع بهلول أن مجرد التساؤل عن الحجج التي تستند عليها حرية الاختيار فهو من وحي الشيطان وفي إطار السنة نفس النزعة سوف تجعل من هؤلاء العلماء أكثر الناس تحمسا للمذهب المالكي ، سوف تعرف بلاد البربر اثنين فقط من المذاهب الأربع التي تكونت في المشرق في القرن الثامن و النصف من الأول من القرن التاسع و هما : المذهب الحنفي ، مذهب مدرسة العراق ، و المذهب المالكي ، مذهب مدرسة المدينة ، و افريقية بها كثير من ممثلي المذهب الحنفي ، أن أبو العرب يذكر لنا خمسة و عشرون و لم يذكر أسد بن الفرات الشهير الذي تتلمذ في العراق على يد أنصار أبي حنيفة فقد كان يميل إلى التحررية النسبية للمذهب راقي و يعارض بشدة بهلول رئيس الأنصار ، نحن نعرف أن التباعد بين المذهبين يرتكز على الميول العامة التي وضعها لهما المؤسسان في استخدام القياس الذي يرتضيه المذهب الحنفي أو احترام التراث الذي يتمسك به المذهب المالكي [6] وكان المالكيون يرفضون الاشتراك في الصلاة

---

(1) حسين مؤنس ، المرجع نفسه ، ص 85.

(2) شمس الدين ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، ج3 ،ط، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ،مكتبة النهضة، مصر، 1948م ، ص284، أيضا: الحسين بن محمد شوّاط ، القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث (486-544هـ /1093-1149م) ،ط، دار القلم ،دمشق ، (1419/هـ/1999م) ، ص 184.

(3) أنخل جانثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة : حسين مؤنس ، ط ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1986 م ، ص418.

(4) شوقي الضيف ، المرجع السابق ، ص 71.

(5) جامع القرويين كان مبدأ الارتكاز لها في المغرب ، هو ظهور المذهب المالكي في الفقه ، وسيطرته على المذهب الكوفي الذي كانت له الصّولة في المغرب ، و بالتالي قضاؤه على المذاهب الأخرى ، أنظر : عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 48.

(6) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 104 .

إذا كان الإمام حنفي ، كما أن الحنفيين كانوا يستأجرون رجلا لسب عالم مالكي أثناء إلقاء درسه ، و مع ذلك فالمالكيون كانوا أكثر عددا وكان بينهم علماء أجلاء و بقوا مهيمنين على الموقف و لن يجد مذهب مالك بن انس في كل البلاد الإسلامية أنصارا أكثر حماسا ممن في هذا البلد (افريقية) فقد قالب قيرواني في الحجاز رجلا من بغداد و احتد بينهما النقاش فقال المشرقي " يقال أن الرسول كان يقول .." فقاطعه القيرواني قائلا " يروى حسب ما علمنا أن مالك له رأي أخر " فصاح فيه البغدادي " بشّع الله و جهكم يوم القيامة يا أهل المغرب " أترفضون كلمة الرسول و تصدقون ما يقوله مالك !" وتعتبر القيروان المهد الثاني للمالكية و بعض الناس كان يجعل من المذهب المالكي دراسته الوحيدة و يكتفي بذلك مثل أحمد بن نصر هذا القاضي الذي يمتدحه أبو العرب " إذا تكلم في أي شيء لا يصل أبدا إلى حل سليم أما إذا عالج الفقه المالكي فانه عالم جليل " ، ولحسن الحظ كان لمعظمهم أفق أوسع و شخصية سحنون بن سعيد تفوقهم جميعا و تبدو أعظم شخصية بين صفوة القيروانيين ، و يكتب عنه أبو العرب قائلا : " اجتمعت فيه خلال ما اجتمعت في غيره : الفقه البارع ، و الورع الصادق ، و الصرامة في الحق ، و الزهادة في الدنيا ، والتخشن في الملبس و المطعم ، والسماحة و الترك ، لا يقبل من السلطان شيء " هذه هي الملامح التي نجدها مذكورة في السير الذاتية القيروانية : " رياض النفوس " للمالكي و " معالم الإيمان " لابن ناجي أو " طبقات علماء افريقية " هذا المؤلف الذي كان بمثابة نموذج للجميع [1] و يحي بن يحي الليثي المعروف بعاقل الأندلس ، و هو اللقب الذي أعطاه إياه الإمام مالك نفسه، أتم يحي نشر المذهب المالكي ، وقد كان رجلا وقورا مهيبا، ذا سلطة ونفوذ، فعهد إليه حلفاء الأندلس أن يختار هو القضاة، وكان لايختار إلا المالكيين، و لقد أسس متينة لقضاة الأندلس ، وكان ينظر في الفتاوى والمشاكل الفقهية ، وكان يبدي رأيه فيها، كما كان أمينا عفيفا، ولقد كان ملكا غير متوج [2] و لعل أهمّ ما نسجّله عن الحياة الفكريّة في هذا العصر [3] التي كانت منتشرة في جهات مختلفة ، من هذا القطر ، كالمذهب الخارجي الذي كانت تعتنقه إمارة بني مدرار في سجلماسة [4] ، و البرغواطي الذي كان باض و فرّخ في تامسنا و الاعتزالي الذي كان منتشرا هنا وهناك ، كالشّيعي الذي يقال انق رنة طلع مع نشوء الدولة الادريسيّة ، و على كل حال فان مذهب مالك لم يتوطّد أمره في هذا العصر كمذهب فقهيّ فقط ، و لكن كعقيدة أيضا فان التلازم بين طريقته في الفقه و الاعتقاد ، و هي

(1) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 105- 106 .

(2) القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ج1، (د ط) ، تحقيق : أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1967 م ، ص534 - 537 .

(3) عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص48.

(4) عبد الله كنّون ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص48.

اتّباع السنّة ونبذ الرأي و التأويل ، ممّا لا يخفى [1] و مهما يكن من أمر فان علم الفقه على مذهب الإمام مالك الذي سجلنا توطده في العصر السابق قد واصل تقدمه في هذا العصر ، وعقدت المجالس الحافلة في كل من سبتة و فاس و مراكش للمناظرة عليه ، و امتزجت دراسة الفقه بعلم الأصول ، وظهر الاشتغال بعلم الكلام على طريقة أهل النظر و التأويل ، ولم يكن قبل ذلك مما يشتغل به أحد ، وعني كثيرون بعلم القراءات ، هذا العلم الذي لم ينقطع الاشتغال بعلم الحديث و الرواية فكثرت الرحلات لسماعه و الأخذ عن رجاله رغبة في علو الإسناد و الضبط و الإتقان ، وكان علم التصوف مما له الشفوف في هذا العصر ، و نظرة واحدة في كتاب التشوّف لابن الزيات تظهر القرئ على كثرة من كان يأخذ بطريق القوم من رجال المغرب في هذا العصر .. و ظهر في هذا العصر أيضا الاشتغال بالعلوم الأدبية و اللسانية من نحو و لغة وشعر و كتابة و كما نبغ في كل العلوم التي ذكرنا أفراد عديدون ، كذلك نبغ في الأدب و الشعر أفراد نجد تراجمهم لأول مرة إلى جانب تراجم نظرائهم من الأندلسيين و غيرهم في المجموعات الأدبية المعروفة : كقلائد العقيان و ذخيرة ابن بسّام و غيرهما ، و شارك الأمراء المرابطون و الرؤساء منهم في طلب العلم و التحصيل ، فنجد مثلا أبا الحسين بن سراج و هو من أعلم الناس بالنحو و أشعار العرب [2] و حكاياتها و لغاتها و أخبارها يجتمع إليه للسماع منه نحو الخمسين من رؤساء الملثّمين مع مهرة الكتّاب كأبي عبد الله بن أبي الخصال و تلك الطبقة ، ونجد مثل ابن أيوب الفهري رواية الحديث المسلسل في الأخذ باليد يأخذه عنه جمّ غفير من الناس فينافسهم في ذلك الأمير سير بن يوسف ، و الرئيس المنصور بن محمد ابن الحاج اللمتوني ، وكان المنصور هذا من رجال العلم و الفضل ، سمع بمرسية من أبي علي الصدفي ، وله سماع كثير من شيوخ جلة و في بلاد شتى كأبي محمد بن عتّاب و أبي بحر الاسدي بقرطبة [3]وطارق بن يعيش ببلنسية و غيرهم ، وكان ملوكي الأدوات سامي الهمة نزيه النفس راغبا في العلم منافسا في الدواوين العتيقة و الأصول النفيسة ، جمع من ذلك ما أعجز أهل زمانه ، قالوا : وهو فخر لصنهاجة ليس لهم مثله ممن دخل الأندلس [4] ، و مثله زاوي بن مناد المعروف بابن تقسوط في كثرة السماع و الأخذ عن أبي علي الصدفي و غيره ، و كان دينا فاضلا معنيّا بالعلم وكتب بخطه على دقته علما كثيرا ، وكذلك الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين المعروف بابن تعيّشت والي مرسية ، سمع من أبي عليّ الصدفي وكان له منه دولة ، خاصة منزله ، وله أياد جمة في رعاية العلم و الأدب فضلا عن نجدته و شجاعته ، "وبالجملة فهو من بيت جهاد و اجتهاد " كما قال ابن الابّار في معجم أصحاب أبي علي ، ثم زاد قائلا :" وفي دولة أخيه عليّ نفقت العلوم و الآداب وكثر النبهاء و

---

[1] عبد الله كنّون ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص48.

[2] عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص48.

[3] عبد الله كنّون ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 73.

[4] عبد الله كنّون ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 73.

خصوصا الكتاب "[1] كتاب " المزهر في علوم اللغة وأنواعها " أشهر كتب جلال الدين السيوطي ، بل انه أشهر كتب فقه اللغة في العربية ، جمع فيه مؤلفه حصاد القرون الطويلة ، التي سبقته في الدراسات اللغوية عند العرب [2] فإذا استثنينا المثقفين المتمكّنين من اللّغة العربية التي هي اللغة الوحيدة التي كانوا يحرّرون بها عادة ، يبدو لنا الخوارج الشمال الافريقيّون ، في الحاضر وفي الماضي ، كناطقين باللغة البربرية ، بينما العكس بعيدا جدا عن الصواب ، فقد لوحظ بخصوص جبل نفوسة و بالنسبة إلى فترة حديثة ، أن الانتقال من المذهب الخارجي إلى المذهب السنّي كان يسبق دائما التخلي عن اللغة البربرية ، لفائدة اللغة العربية ، وكذلك بالتأكيد كان شأن عملية التعريب بجربة منذ قرنين ، ويمكن أن نؤكّد ، بدون أن نخشى الوقوع في الخطأ ، أنّ جزيرة جربة بأكملها كانت منتمية إلى المذهبي الخارجي في أخر العصر الوسيط ، وإنها كانت بأكملها أيضا ناطقة باللغة البربريّة ، وهذا لا ينفي وجود بعض الأفراد المزدوجي اللغة ، (العربية و البربرية) ، و بالعكس من ذلك ، يكون من الخطأ الاعتقاد بأنّ الانتقال إلى المذهب السنّي ، يترتب عليه وجوبا ، إن عاجلا أم آجلا ، التخلّي عن اللغة البربرية ، فمنطقة أوراس مثلا الناطقة دائما بالبربرية رغم انقراض المذهب الخارجي ، تقيم الدليل على أن تلك النتيجة ليست ضرورية ، وعلى كلّ حال لم تكن ضروريّة في الماضي [3]

لقد حاول الموحدون مثلا ، بشتى وسائل الضغط و الإكراه ، إرغام رعيتهم على اعتناق أفكارهم الجديد و التخلي عن مذهب مالك ، لكن الوسائل لم تزد المغاربة إلا عنادا و تصلبا في الموقف ، رغم ما لحقهم من اذى ومحن [4] فاللغة العربية في نظري بكثرة مفرداتها و قابليتها لكل وارد [5] و من أهم العوامل التي كان لها فضل على تقدم اللغة العربية تلك الحركة النشيطة التي عرفها فقه مالك و فروعه على يد رجال الدولة و خدامهم ، و علماء و أدباء ورجال الفكر المغاربة بصفة عامة ، لقد مر بنا و نحن نتحدث عن هذه العلوم أن هذه الحركة عرفت تقدما منقطع النظير ، وان جل الأبحاث و التأليف الضخمة الوافرة العدد كلها كانت تدور حول مذهب مالك ، وأصوله ، و فروعه لقد كان جل المثقفين فقهاء وجل المؤلفات في الفقه و التفسير و الحديث حتى أصبح من المستحيل إحصاء هؤلاء الفقهاء وعد مؤلفاتهم التي بلغت كمية وافرة لا تكاد تعد [6] عاملا أساسيا في خدمة اللغة وتطويرها وإحياء ما مات منها وما ضعف خصوصا وان الجهود التي بذلت في هذا الميدان كانت في أغلبها منصبة على الجانب الشكلي ، و هو اللغة العربية ، فالشروح و التحقيقات و

---

(1) عبد الله كنّون ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 73.
(2) رمضان عبد التواب ، المرجع السابق ، ص 203.
(3) روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 364- 365 .
(4) محمد بن احمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، 35 .
(5) علي شلق ، الزمان في اللغة العربية و الفكر ، ط ، دار الإعلال ، بيروت ، 2006م ، ص 11.
(6) محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع نفسه ، ص 206 .

التعليقات و المختصرات و الحواشي كانت تقتضي ، بصفة منطقية النظر في الكلمة و تحديد مفهومها و معرفة التغييرات التي طرأت عليها ، و تمييز صحيحها من فاسدها ، والوقوف على أوجه الاختلاف التي كانت تفرق بين مذهب البصريين و مذهب الكوفيين و مذهب البغداديين و غيرهم ، لقد رأينا غير ما مرة في بحثنا هذا الجاني الشكلي تغلب على الجانب الجوهري في أبحاث علماء وفقهاء هذا العصر حتى كاد يقضي عليه و حتى كاد الفقهاء يضحون به ، فكان الربح ، في الواقع ، للغة العربية التي استفادت اكبر استفادة من جهود الفقهاء الجبارة ، وعنايتهم الخاصة بالإلمام بمذهب مالك و فروعه و أصوله [1]الحقيقة أن العرب كانوا يتوفرون على حسّ لغوي خارق للعادة [2] هذه إرادتنا من تطور اللغة العربية إنما نعني بها التغير و التحول [3] و أدى تعصب بعض الخلفاء الموحدين لمذهبهم ، إلى توسيع انتشار الفتن و الثورات ، من خلال تأييد فقهاء المالكية لها ، وما لذلك من توجيه للعامة ضد الخلافة الموحدية ، فتعددت الثورات على الموحدين ، حتى بلغت ثلاث و ثلاثون ثورة ببلاد المغرب ، وثمانية عشر ثورة بالأندلس [4] كان المذهب المالكي هو السائد فعلا في إسلام الأندلس [5]

لقد كان تشدد المذهب المالكي عند المرابطين ، إذن ، على الرغم من توافقه مع السنة التي بقي أكثر علماء الأندلس أوفياء لها ، في تناقض مع تطور الاتجاه العام نحو و جدان ديني جديد ، وقد ظهر هذا الاتجاه في الأندلس كما في البلدان الأخرى في حركات التمرد ذات الميول الصوفية ، وفي بروز نظريات تبحث عن بديل لهذا الفقه الجامد للمذهب الرسمي ، وقد ظهرت هذه الحاجة لفكر جديد منذ القرن الحادي عشر عند مفكر هو ابن حزم الذي كانت لميوله الظاهرية المضادة للمالكية أصداء تغري المفكرين من عصر الموحدين [6] على مدى ما يقرب من سبعمائة سنة (فيما بين القرنين الثامن والخامس عشر الميلاديين) كانت إسبانيا موطن الحضارة الإسلامية، وقد نشرت الأندلس هذه الحضارة في جميع أرجاء أوروبا ، وذلك عن طريق التجارة والجامعات والأدب ، وكان كثير من العلماء العرب في إسبانيا يقرأون اللاتينية ويكتبونها ، كما كان الأسبان المسيحيون أو (المستعربون) Mozarabs الذين يعيشون تحت الحكم العربي للأندلس يعرفون العربية [7] و مع بداية القرن الخامس الهجري أسندت رئاسة هذا التحالف القبلي إلى محمد بن نيفات

---

[1] محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع نفسه ، ص 206 .

[2] سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 26 .

[3] سالم علوي ، المرجع نفسه ، ص 26 ، أيضا : علاوة عمارة ، انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط ، مجلة أفاق الثقافة والتراث ، العدد 56 ، 1427هـ/2007م ، الجزائر ،ص25.

[4] لخضر سيفر ، التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي ، ج1، (د ط) ، الأمل للدراسات ، الجزائر ، 2007م ، ص 300 .

[5] سلمى الخضراء الجيوسي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 1242.

[6] سلمى الخضراء الجيوسي ، المرجع نفسه ، ج 2 ، ص 981 .

[7] مريم عبد الحسين التميمي ، المرجع السابق ، ص 4.

نيفات اللمطي ، وكان عالما فاضلا ، ومجاهدا كبيرا في سبيل نشر الإسلام جنوب الصحراء ، مات شهيدا و السيف في يده في احدى معارك الفتوح الإسلامية في السودان (مصطلح السودان هنا يعني إفريقيا السوداء جنوب الصحراء الكبرى) ولما توفي الشيخ محمد اللمطي انتقلت رئاسة هذا التحالف القبلي إلى قبيلة جدالة بسبب تمرسها و حسن بلائها أكثر في محاربة السودان و هكذا انتخب للرئاسة يحي بن إبراهيم الجدالي ، الذي كان طالب علم خرج للاستزادة منه فدرس أصول الدين في مدارس القيروان وفاس بعد أن ترك ابنه يحي في كرسي رئاسة صنهاجة سنة (427هـ / 1036م) ، و أثناء عودته من الحج تعرف على عالم من علماء عصره الكبار في مدينة القيروان سنة (428هـ / 1037م) الذي عرفه المذهب المالكي ، وهو أبو عمران موسى بن الحاج الغفجومي الفاسي ، فطلب منه أن يبعث معه من يثق فيه من العلماء ليساعد قبائل صنهاجة في التفقه في الدين ، فزوده برسالة إلى أحد تلاميذه البربر مقيم بالسوس ، هو وجاج بن زللو اللمطي ، الذي رشح له طالبا صنهاجيا من جزولة عالما وفقيها و تقيا ، واسمه عبد الله بن ياسين الجزولي ، الذي استجاب لهذه ا لدعوة وقرر تأدية رسالة نشر المعرفة و العلم بسبب بعد منازلها عن مراكز الثقافة [1] و ابن ياسين البربري لم ينطق من بربريته عندا أطلق دعوته لتأسيس دولة المرابطين بل انطلق من إسلامه لإعلاء كلمة الله و الدفاع عن الإسلام و نشر العربية فقد قال لأتباعه قبل أن ينتشروا في المغرب :" إن ألفا لن تغلب من قلة ، وقد تعين علينا القيام بالحق و الدعاء إليه ، وحمل الكافة عليه ، فاخرجوا بنا لذلك ، فخرجوا و قتلوا من استعصى عليهم " و بدأ بقبيلة جدالة فهاجمهم و قتل منهم ستة آلاف رجل و أسلم باقيهم إسلاما حسنا ، و تقدمت قوات ابن ياسين لتفرض القيم الإسلامية بصرامة على قبائل لمتونة ، ومسوفة ، و جدالة و غيرها من قبائل صنهاجة ، التي استقامت على الإسلام الصحيح فسماهم المرابطين [2] ذلك أن قبائل أخرى ويحسبوا لها حسابا ، اتقاء لشرها ، ورغبة في استخدامها لصالحهم ، ذلك أن قبائل الاعراب المنتشرة في بلاد افريقية و في المغرب الأوسط دخلت على يد الموحدين إلى المغرب الأقصى واستقرت في نواحي كثيرة منه لاسيما في السهول و الأماكن الصحرواية ، فكانت بطبيعتها البدوية و بحكم تكوينها العام و سلوكها الخاص ، وبوصفها عنصرا أجنبيا ، كانت بحكم هذه العوامل كلها حدثا اجتماعيا له عواقبه و أثره على المجتمع المغربي [3]

---

[1] عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 287- 288 .

[2] عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 289 .

[3] محمد بن احمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 46.

في سنة (445هـ/ 1053) خرج ابن ياسين على رأس جيش فاصطدم بجيش صاحب سجلماسة [1] و هزمه ، ودخلوا هذه المدينة و أصلحوا أحوال أهلها و فرضوا على مجتمعها القانون الإسلامي العادل ، و ألغوا الضرائب الباهظة التي كانت مفروضة عليهم ، وثارت قبائل زناتة المنافسة لصنهاجة ، فأرسل ابن ياسين جيشها لتأديبها و قتل يحي بن عمر عام (447هـ/ 1055م) فخلفه أخوه أبو بكر بن عمر ، ثم قوى ابن ياسين بانضمام جزولة و لمطة لدعوته ، و استولى على سائر بلاد السوس سنة (448هـ / 1056م) و بعث أبو بكر بن عمر ابن عمه يوسف بن تاشفين إلى واحات درعة ، فنجح في استردادها عامي (448هـ/ 1056) و (449هـ/ 1057) ثم احتلوا مدينة أغمات سنة (449هـ/ 1057) و قتلوا صاحبها بن يوسف (450هـ/ 1058م) [2] اعتبار المذهب المالكي سباقا في المغرب يتناقض مع ما كتبه القاضي عياض في كتابه " ترتيب المدارك و تقريب المسالك (ج1 ، ص 54) الذي يرى بأن المذهب الحنفي كان في البداية هو المسيطر على افريقية ، لكن المالكية توغلت وانتشرت بفضل نشاط الطبقة الأولى المتكونة من علي بن زياد (ت 799/183م) ، وابن أشرس (ت786/170م) ، والبهلول بن راشد (ت 799/183م) ، و أسد بن الفرات (ت 828/213م) ، وهذه هي النتيجة التي توصل إليها سعد غراب في كتابه : ابن عرفة و المالكية بافريقية في القرنين الثالث عشر و الرابع عشر[3]

نشأت لغتنا ، كما نشأت جميع اللغات ، في الأوساط البدوية الأولى [4] لما دخل في الإسلام غير العرب لغة و جنسا وخفي عليهم بعض أساليب القران الكريم و أعاريبه ومعاني بعض ألفاظه و مقاصدها ، بدأ الفساد يدب إلى لغة العرب ، وظهر اللحن و التصحيف و التحريف في القران و الحديث [5] ولقد تشرفت العربية بمعجزة الإسلام ، تثبيتا لأساس ديني عريق في نفوس العرب ، تتصل جذوره بقداسة الكعبة – بيت الله – و بأصالة العرب المنتسبين إلى إسماعيل ذبيح الله [6] فذا كان هذا كله لهم ، فمن الطبيعي أن يكون لسانهم

---

[1] يرى كولين أن كلمة سجلماسة مشتقة من سجلوم وهي كلمة لاتينية مأخوذة من الكلمة اليونانية شيجيليوم ، واستعملت في اللغة العربية للدلالة على صكوك المبايعات وعلى كتاب يكتب به القاضي صور الدعاوي والحكم فيها ،كما استعملت للدلالة على الكتابة وقد سلم فقهاء اللغة و مفسروا القران بأن الكلمة من الدخيل على اللغة العربية ونسبها بعضهم إلى الحبشة والبعض الآخر إلى الفارسية وسجل بمعنى الوثيقة المكتوبة على شائع معروف في اللغة العربية وذكر ماك كول أن الكلمة مركبة من شقين سجل وماسة وقال أن لفظ سجل جاء في القران بدون باء وجاء سجيل ، انظر: حسن حافظ علوي ، المرجع السابق ، ص86 ، أيضا: عبد الأحد السبتي ، حليمة فرحات ،المدينة في العصر الوسيط ،ط،المركز الثقافي العربي،1994م ، ص97.

[2] عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 289 .

[3] علاوة عمارة ، المرجع السابق ، ص 305 – 306 .

[4] سلامة موسى ، المرجع السابق ، ص 28 ،كذلك : عواطف محمد يوسف نواب ، الرحلات المغربية و الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنيين السابع و الثامن الهجريين ، (د ط) ، الرياض ، (1417هـ/1996م) ، ص100 - 101.

[5] محمد عبد الله ابن التمين ، المرجع السابق ، ص 34.

[6] محمد كريم الكوّاز ، المرجع السابق ، ص 93 – 94 .

أشرف الألسنة و أفضلها [1] ورغم تعدد التفسيرات لأسباب انتشار المذهب المالكي في الأندلس ، إلا أن أكثرها إقناعا تلك التي تشير إلى العامل الجغرافي ، فخلال سفراتهم في طلب العلم ، أو للحج ، خلال القرنين (الثاني و الثالث الهجريين / الثامن و التاسع الميلاديين) كان الأندلسيون يتلقون العلم في أماكن سبق وانتشر فيها المذهب المالكي كافريقية ..

غير انه إذا كان العامل الجغرافي ذا أهمية حاسمة في دخول المالكية وانتشارها ، فان سيادتها في الأندلس تعود أساسا إلى أسباب سياسية ، ففي عامي (189هـ - 202هـ / 805 -818 م) ثار أهل قرطبة ضد ا حكم بن هشام الأموي (180هـ- 606/ 796- 822م) ، وشارك في الثورة عدد من فقهاء المالكية [2] كانت مكّة محطّا للقوافل من عهد عهيد ، وكانت موطن قريش موضوع إجلال العرب لما ورثته من شرف و سؤدد و ثراء ، كما كانت مقام الكعبة يفد إليها الحجّاج من جميع الأفاق ، فكان لقريش نصيب وافر في توحيد اللغة ، تهذّب لهجتها بما تأخذه من لغات القبائل الوافدة على بلادها ، مما خفّ على اللسان و عذب في السّمع ، و كان العرب يقلّدون لسانها ، و الشّعراء و الخطباء يؤثرون ما هو من ذلك اللّسان لأنّ أهمّ الأسواق كانت في قريش و المحكّمين فيها منهم أحيانا كثيرة [3] و أداء الحجّ و كان الكلام فيها بلغة يفهمها الجميع ، يتوخّى الشاعر أو الخطيب الألفاظ العامّة و الأساليب العالية في لغة مثاليّة موحّدة تروق كل سامع ، و لا ينفر منها أو يستغربها أحد ، فكان من ثمّ للأسواق أثر بليغ في توحيد اللسان و تعميم اللغة المثاليّة [4]بدأت موجات عربية تدخل ..ولم يصل ذوو حسان والهلاليون إلى الصحراء فاتحين همهم نشر الإسلام أو بث الفقه و العلم بين الناس فما كان ذلك شأن النازحين إلى البلاد إلا قليلا منهم ، ولكن دخول العرب في حد ذاته ، ورغم بعض الظواهر غير الإسلامية التي رافقته (حروب قبلية ، نهب ..) كان دعما للإسلام الذي " يبقى ببقاء العرب " ويقوى بانتشار لغتهم .. لقد كان بنو هلال ، وبنو سليم يعترضون سبيل الحجيج [5]

الم تكن فرصة لاتصال أهل المغرب الأقصى بأهل المغرب الأوسط و الأدنى و الشرق العربي على العموم ؟ [6]

---

[1] محمد كريم الكوّاز ، المرجع نفسه ، ص 97 .

[2] سلمى الخضراء الجيوسي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 1244.

[3] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 52 .

[4] حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 51 – 52 ، أيضا : أحمد حسن الزيات ، المرجع السابق ، ص 17.

[5] الخليل النحوي ، المرجع السابق ، ص 32.

[6] محمد بن احمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 47.

جاء إقرار مذهب مالك في الأندلس ردا على إقرار العباسيين مذهب أبي حنيفة بالمغرب ، ففي القرن الرابع الهجري تدخل الأمويون في سياسة المغرب و نشروا المذهب المالكي بين أتباعهم ، على أن الاضطربات السياسية التي سادت هذه البلاد في عهد الزناتيين لم تتح الفرصة لظهور علماء من المغرب متفقهين في المذهب المالكي بسبب عدم ضمان حياة الاستقرار التي تساعدهم على الإنتاج العلمي ، وقد نقل مذهب مالك إلى افريقية في القرن الثالث الهجري على يد علماء تلقوا العلم عن تلاميذ مالك ، نخص بالذكر منهم أبا القاسم ومن تلاميذه أسد بن الفرات و سحنون [1] ثم جاء المرابطون في عصر ظهور كبار الفقهاء كأبي عمران الفاسي ، و عبد الله بن ياسين ، و القاضي عياض – و كلهم من المغاربة الذين تلقوا العلم ببلاد الأندلس ، وقد تلقى عبد الله بن ياسين العلم بقرطبة نحوا من سبع سنين ، ثم أتم دراسته على وجاج بن زللو الذي تلقى العلم بدوره عن أبي عمران الفاسي بالقيروان ، ثم أسس أول مدرسة لفقه المالكية في نفيس على مقربة من أغمات ، وكان مذهب مالك يتناسب و بساطة المرابطين الصحراوية الذين كانوا ينظرون إلى علماء أهل علماء المدينة باعتبارهم رموز الإسلام ورسل المحبة و الصفاء ، وقد قويت سلطة فقهاء المذهب المالكي في عهد المرابطين و لايسما في بلاد الأندلس وكان كتاب " إحياء علوم الدين " لأبي حامد الغزالي المتوفي سنة (505هـ / 1111 م) قد وصل بلاد الأندلس و المغرب [2] واكسب مكانة العربية المستشهد بها في هذا الذكر العرب الذين أسلموا ، وعيهم بذاتهم المميز الثقافي المرتبط باللغة على نحو خاص وفي ذلك لا يجوز بداهة أن نغفل أن العربية فيما مضى كانت معدة إعدادا طيبا لمهمتها الجديدة [3]

لعل من جملة الدوافع البعيدة لهذا الانزعاج من طرف فقهاء الحكم أن الخصومة بين رجال المذهب و رجال التصوف قديمة متأصلة بالأندلس المسلمة ، فمن المعلوم أن فقهاء المالكية كانوا قد بدؤوا بالوقوف من أمويي الأندلس موقف الحيطة و التحفظ في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، وقبل أن يحتلوا مكان الصدارة مع مطلع القرن الموالي ، ومعلوم أيضا أن هؤلاء الفقهاء قد استغلوا مكانتهم لدى الحكام آنئذ ليضيقوا على الفكر الصوفي المتحفظ إزاء الحكم بدوره و يحدوا من الحريات بوجه عام ، وبالتالي فان وقوفهم أواخر القرن(3هـ/ 9م) في وجه ابن مسرة و أتباعه يعتبر من السوابق البارزة المتصلة مباشرة بقضية " الإحياء " في مطلع القرن السادس [4]

---

[1] حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني و الثقافي و الاجتماعي ، ج 4 ، ط 15 ، دار الجيل – دار النهضة المصرية ، (1416هـ/ 1996م) ، ص 431.

[2] حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 431، إبراهيم علي العكش ، التربية و التعليم في الأندلس ، رسالة ماجستير ، (1402هـ/ 1982م) ، الأردن ، ص 103.

[3] أبي البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد الأنباري ، المصدر السابق ، ص 14 .

[4] محمد القبلي ، المرجع السابق ، ص 28.

إن الحديث عن البلاغة العربية ، هو حديث الحياة العربية ، ومناط الوجه العقلي للعرب ، ثم للإسلام بعد ذلك ، ولهذا ، فانّ البلاغة العربية في صورتها الأولى ، وجه من وجوه الثقافة التي تترجم عن أمة معروفة بين الناس ، غير منكورة بجهدها ، و فضلها ، وخدمتها للإنسانية ، و العرب [1] هذه الآراء النظرية ، تنم عن ذوق نقدي يتسم بمفارقة– ولو ضعيفة– للتقاليد الأدبية العائدة للقصيدة العربية [2] .

فبواسطتها كانت تمرّ حركة التجارة مع بلاد المشرق ، وكذلك الحجّاج المغاربة المتوجّهون إلى البقاع المقدّسة ، وبفضل موقعها الجغرافي فقد شملتها حركة التعريب بصورة أوسع ، وهي تحتلّ ضمن المجموعة الشمال افريقيّة مكانة ممتازة و تأبى الاندماج [3] كان سكان افريقية ، في أغلبيتهم ، متمسكين بالمذهب السني وذلك مع أن المذهب الرسمي كان المذهب الشيعي [4]

و الغريب أمام جلالة فصاحة النبي (ص) و علو مقامها ، و إجماع اللغويين و النحاة عامة على أن النبي أفصح العرب قاطبة ، و إن الحديث لا يتقدمه في باب الاحتجاج الاّ القران الكريم ، أن النحاة لم يولوه العناية اللازمة اللائقة بمنزلته..وعلى هذا قال الإمام الشافعي : (إن كلامه في اللغة حجة) [5]

و ثمّة عامل آخر ، إلى جانب انعدام الاستقرار و اضطراب الأمن ، كان له أسوء الأثر في عدم استفادة المغاربة مبكرا من علوم العرب و آدابها و بطء نهضتهم و ظهور المثقفين فيهم ، ذلك هو أن المغرب لبعده عن مواطن العرب الأصلية أو التي توطنوها بعد الفتح الإسلامي ، لم يتخذه العرب مقرّا لهم و مسكنا ، وإنما كانوا يحلّون في افريقية و عاصمتها القيروان ، التي كانوا هم و الممصّرين ، أو يجتازونه إلى الأندلس ، حيث يجدون أنفسهم في بلاد شبه مستقلة عن قاعدة الخلافة و طائلة السلطان ، و لذلك ما لبث الجناحان المغربيان الشرقي و الغربي ، أن نهضا وحلقا ، فتكونت افريقية الأغلبية ، و في الأندلس الأموية ، حركات فكرية و أوساط علمية و أدبية راقية ، بخلاف المغرب الذي لم يكن يستقر فيه إلا أفراد قلائل من الولاة العرب ، أو بعض الجنود من جفاة الإعراب الذين ليسوا في قبيل و لا دبير من شؤون الفكر و حياة العلم و الأدب ، و هم مع ذلك قليل و قليل جدا ، حتى انّ جيش طارق بن زياد الذي فتح الأندلس لم يكن فيه إلا ثلاثمائة عربي أو ثلاثة عشر على الخلاف في ذلك ، وهو اثنا عشر ألفا [6] فلا شكّ أنه من الواضح

---

(1) محمد بركات حمدي أبو علي ، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل ، ط , دار البشير , عمان – الأردن , (1412هـ/ 1992م) , ص 15.

(2) عبد القادر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ط ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، (1421 هـ / 2000م) ، ص 70-71.

(3) روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 31 .

(4) رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 42.

(5) محمد كريم الكوّاز ، المرجع السابق ، ص 100.

(6) عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 46.

أكثر أنّ كثيرا من المدن العتيقة قد انقرضت في العصر الوسيط ، كما أن التراجع الجغرافي للحياة الحضريّة واضح فيما بين العصر القديم و أوائل العصر الوسيط ، وبين العصر الأخير و الفترة التي ندرسها ، و لا شكّ أن الفتح العربي غير مسؤول عن ظهور بوادر ذلك التراجع الذي يعود سببه إلى زحف القبائل البربرية الذي حصل خلال القرون الأخيرة السابقة للعهد الإسلامي ، ثم تواصل مدّة طويلة في العصر الإسلامي ، ومن القرن التّاسع إلى القرن الحادي عشر يبدو أن افريقية قد عرفت من جديد حضارة مدنيّة و قرويّة مزدهرة ، ستقضي عليها إلى حدّ بعيد الزحفة الهلالية المريعة ، إذا أن كثيرا من أسماء المدن التي أوردها الجغرافيون في ذلك التاريخ ، لاسيما ابن حوقل و البكري ، لم تعد تذكر في القرون الأخيرة من العصر الوسيط ، و أصبحنا اليوم عاجزين عن تحديد مواقعها ، أمّا الإدريسي الذي ألّف كتابه في منتصف القرن الثاني عشر ، بعدما عاث بنو هلال في البلاد فسادا [1] وهذه المناطق التي تمتد فيها شبكة خطوط المواصلات : مناطق مأهولة و تنتشر فيها المدن ، ولاسيما ساحل افريقية و منخفضات الحضنة " تيهرت ، وورجلة و سدراتة وبني مزاب " و الممرات الجبلية التي تقطع الأطلس في المغرب ، مثل تيزي تتلغمت (فاس و سجلماسة) [2] ، و تيزي تتلويت (أغمات ، مراكش ، سجلماسة) ، وتيزي تتيست (فاس ، مراكش في اتجاه سوس الداخلية و نولمطة) و منطقة الجريد من جهة ، و سدراتة وورجلة و بني مزاب ، من جهة أخرى ، و سجلماسة و نولمطة ، أخيرا ، تتشكل ثلاث مجموعات لمحطات الشمال لطرق القوافل المتجهة إلى الصحراء الكبرى و السودان ، وهذه المدن ، هي التي تستقبل الذهب و العبيد السود ، و فيها توزع هذه السلع في اتجاه البحر الأبيض المتوسط و المشرق .. و أما شبكة المواصلات التي تمتد في الشرق و الوسط و المغرب ، فقد كانت هدفا أساسيا للسيطرة عليها في النزاع بين الأدارسة و الرستميين و الأغالبة في القرن العاشر ، و النضال بين الفاطميين و الأمويين والصراع بين صنهاجة و زناتة ، في القرن الحادي شر ، وأخيرا لغزو قبائل بني هلال و نضالهم في شرق بني مزاب و في الوسط ، ولسيطرة المرابطين في الغرب في القرن الحادي عشر [3] و كذلك كانت زناتة منهمكة في حركة التجارة الكبيرة و تستخدم شبكة المواصلات التي تربط افريقية الشمالية و بلاد السودان ، وأما مدينة تيهرت ، فقد عرفت ازدهار كبير و سميت "البصرة الصغيرة " [4]ولم يقتصر النشاط التجاري بين المغرب والمشرق على التجار اليهود القاطنين بالمغرب الاقصى و الأندلس فحسب بل تعداه

[1] روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 365- 366 .

[2] مرمول كربخال ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 252 .

[3] موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 89.

[4] أبو الفداء ، تقويم البلدان ، (د ط) ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1840م ، ص 135 , أيضا : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 217 ، موريس لومبار ، المرجع نفسه ، ص 91 .

لليهود المعروفين باسم " الرذانية " [1] و مما ساعد على ارتفاع مستوى الدخل الفردي أن توحيد المغرب و الأندلس تحت سلطة واحدة فتح أفاقا جديدة أمام أهل المغرب فوجدوا في الأندلس ميدانا يظهرون فيه تفوقهم ، وفي المقابل وجد الأندلسيين في بساطة الإسلام ومقومات الوحدة جوا للهجرة إلى المغرب ، فهاجرت بعض العناصر الجديدة من الأندلسيين إلى المغرب ، ومن بينهم تجار مهرة و أدباء وغيرهم ما لبثوا أن نشروا أفار اقتصادية جديدة تمخضت عنها حرة تطورية طبعت مختلف الحياة المغربية بطابع جديد لم يكن للقبائل عهد به في مجتمعاتهم و اقتصادهم [2]

لكن ما هي النقاط التي تلتقي عندها طرق التجارة في هذا المخطط الواسع في المغرب الأوسط ؟

أولا ، توجد تيهرت في غرب وادي شلف على سفوح جبال تشرف على الطرق المؤدية إلى الهضاب العليا ، و تيهرت التي أنشئت في سنة (144هـ / 761م) ، ستظل حتى سنة (296هـ/ 908م) مقرا للدولة الرستمية الفارسية و عاصمة الخوارج من البربر الذين سيحتفظون بعلاقات مع الخوارج المقيميين على شواطئ الخليج العربي ، وقد ازدهرت تجارة تيهرت ، وكانت مقصدا لعدد كبير من رجال العلم و الأدب و الفقه من المشارقة ، وكذلك حصلت مكتبة الرستميين على ثروة جديدة من الكتب التي اشتريت في المشرق ، وخصوصا من الكتب التي تعالج التنجيم و الفلك ، و لما ببحث الرستميون عن ملجأ يأوون إليه ، وجدوا هذا الملجأ أولا في ورجلة ثم في سدراتة ثم في مزاب ، على طول الطريق المتجهة من الشمال إلى الجنوب ، وفي نهاية القرن الثامن الميلادي ، كانت طبنة الواقهة على شط الحضنة و التي حصنها الولاة العباسيون تتمتع بمكانة مرموقة ، وفي سنة (315هـ / 927م) ، قام عبيد الله الخليفة الفاطمي بإنشاء مدينة المسيلة ، في مكان يقع في شمال طبنة .. وكذلك قام بلكين بن زيري (بناء على أوامر أبيه) بإنشاء مدينة المدية على الهضبة الواقعة شرقي نهر الشلف ، مليانة ، على ضفة النهر اليمني ، ومدينة الجزائر ، وهي مراكز تنتشر على الطرق المتجهة إلى البحر ، وفي سنة (398هـ / 1007م) أنشأ حماد بن بلكين قلعة بني حماد ، على سفوح جبل " تقربست " يرتفع في شمال الحضنة ، واتخذها عاصمة لملك بني حماد ، وقد بقي من قلعة بني حماد أثار مهمة ، من بينها أثار قصر مشابه لقصر سر من رأى [3] ، وهو تصميم سنجده أيضا في أحد قصور اشبيلية ، وقد اتسع عمران القلعة وزاد عدد سكانها بسرعة وكان التجار و الفنانون ، يشكلون فئات معتبرة من سكان القلعة التي اشتهرت منسوجاتها في جميع أنحاء المغرب ، وكانت القلعة مقصدا للقوافل الآتية من مختلف البلاد ، وكانت علاقات عاصمة بني حماد التجارية قوية خصوصا مع مصر و سورية و العراق ،

---

[1] يطلق هذا الاسم على اليهود الذين كانوا يجوبون بلاد أوروبا و يتقنون عدة لغات ، أنظر: ابن خرذا ذبة ، المسالك و الممالك ، تحقيق : د يخويه ، ط2 ، طبع ليدن ، مطبعة بريل ، 1967م ، ص153.

[2] عبد العزيز بن عبد الله ، مظاهر الحضارة المغربية ، ج2 ، (د ط) ، الدار البيضاء ، 1962م ، ص22.

[3] موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 105 -107 .

وقد استفادت القلعة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر من خراب القيروان نتيجة لغزو بني هلال لافريقية ، وحلت محلها ، وهجر إليها كثير من العلماء و الفنانين و الأعيان من افريقية طلبا للأمن و الاستقرار ، وقد استمرت تقوم بدورها التاريخي حتى تعرضت بدورها للاختناق نتيجة للغزو الهلالي [1] و حتى وجد بنو حماد ملجأ لهم في مدينة بجاية ، و في غربي مملكتي بني زيري وبني حماد الصنهاجيتين ، تمتد مناطق نفوذ زناتة ، التي تشمل القسم الغربي من ولاية وهران و المغرب الأقصى ، و مدن زناتة الرئيسية هي ، تلمسان (pomaria) قديما ، ووجدة التي أنشأها أحد زعماء زناتة في سنة (384هـ / 994م) ، على الطريق المتجهة إلى الغرب و التي تربط تازا بفاس ، و في سنة (149هـ/ 766م) وصل إلى المغرب حيث التجأ إلى أوليلي (volubibis) إدريس "بن عبد الله " ، أحد أبناء الأشراف من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، و هناك استجار بقبيلة أوربة [2] ، و أما أخوه الذي لحق به فيما بعد ، فقد سار إلى تلمسان ، و قد قام كلاهما بإنشاء إمارة ، احدهما في تلمسان و الأخر في فاس ، و بعد ذلك قام الادارسة بدور مهم في إنشاء المدن القديمة [3] و لكن اللغة العربية سوف لا تقنع بتأمين تفوقها المطاق.. وكذلك انتشرت اللغة العربية في اتجاه الشمال ، حتى بلغت الأنهار الروسية الكبيرة ، ودخلت مدنا مثل اتل ، وبلغار ، وكييف ، و القسطنطينية نفسها ، ستشتمل على مسجد يضم جماعة المسلمين الذين يعيشون فيها ، بقى الآن ، أن نبين وضع اللغات التي تتكون من عدة عناصر و التي نمت على هامش ... وهذه اللغات التي ولدت في نفس الفترة و لكنها ستتطور مع مرور الزمن و يكون لها خطرها هي السواحلي الذي كان يستعمل في مراسي المحيط الهندي على شواطئ افريقية الشرقية ، وهي لغة افريقية تحتوي على كثير من الألفاظ المأخوذة من اللغة العربية [4] إن من كان من أهل اللسان العربي – الاّ أنه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ووجوه تصرف اللغة ، وما يعدونه فصيحا بليغا بارعا من غيره فهو كالأعجمي في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القران ..فأما من كان قد تناهى عن معرفة اللسان العربي ووقف على طرقها و مذاهبها ، فهوت يعرف القدر الذي ينتهي إليه وسع المتكلم من الفصاحة و يعرف ما يخرج عن الوسع و يتجاوز حدود القدرة فليس يخفى عليه إعجاز القران [5] يركز نقاد آخرون لنظرية الأصل المشترك على دور عمليات التوحيد المتأخرة في تطور اللغة العربية ، يقول كوهين إن الجيوش العربية كانت تتكون من خليط من قبائل مختلفة ، ولذلك تمت تسوية الاختلافات اللغوية بين اللهجات الجاهلية في تلك المعسكرات ، وقد

---

[1] موريس لومبار ، المرجع نفسه ، ص 105 -107 .

[2] موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 105 -107 .

[3] موريس لومبار ، المرجع نفسه ، ص 105 – 107 – 108.

[4] موريس لومبار ، المرجع نفسه ، ص 147.

[5] محمد كريم الكوّاز ، المرجع السابق ، ص 105 .

تطورت اللهجات الحضرية في البلاد المفتوحة من عمليات نشوء و ارتقاء محلية ومستقلة ، وفي مرحلة لاحقة بدأت عملية التجميع من خلال تأثير الفصحى الكلاسيكية الكبير و انتقال التجديدات اللغوية من مركز حضاري لأخر في شكل موجات ، و أخذ المتكلمون تلك التجديدات وتبنوها لأنها من واردات اللغة الرفيعة ، تنظر نظرية التجميع إلى نشأة اللهجات العربية على أنها نابعة من أصول مختلفة ، فبحسب هذه الفكرة فقد تطورت كل لهجة عامية في كل إقليم بشكل مستقل ، ولكنها تشابهت بعد ذلك بسبب الاتصالات ، بينما يمكن دون شك اعتبار بعض التشابهات داخل الإقليم الواحد ناتجة عن عملية تجميع نشأت من انتشار تجديدات لغوية من مركز حضاري معين [1]

يتناول مصطلح الفصاحة عند اللغويين اللسان العربي في بلاد العرب كلها ، و لكن بعض القبائل العربية جاورت الأمم الأعجمية ، فتأثر لسانها بلسان تلك الأمم ، لذلك أبعدها اللغويون عن طريقهم حين أخذوا ظواهر اللغة من لعرب الفصحاء الموثوق بعربيتهم [2] كل هذه الآليات ساعدت على نموّ العربية و توسّعها في مختلف الحقول الدلالية المتنامية في بيئتهم عصرئذ ، فألحقوا الشبيه بالشبيه ، وحملوا الفرع على الأصل ، وقاسوا المجهول على المعلوم ، ولم يتخلّفوا أو يتوقّفوا ، و إنما كانوا يجدّون و يجتهدون وفق السليقة العربية المتمكّنة في وجدانهم و طبيعتهم الأصلية أو المكتسبة بطريقة الممارسة و المخالطة ، فكانوا عربا بالنشأة و التكوين قال جار الله محمود بن عمر الزمخشري : " الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية ، و جبلني على الغضب للعرب و العصبية ، و أبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم و أمتاز ، وانضوي إلى لفيف الشعوبية و انحاز " ، هذه الروافد و الينابيع رفدت العربية ، و أفعمتها غناء ورخاء ، و جعلت علماءها لا يتحرّجون من اختراع الأسماء للمخترعات التي جدّت في محيطهم الدنيوي ، فما كادهم مصطلح وما عجزوا عنه قطّ ، بيد أن هذا النشاط الفكري اللغويّ اعتراه أمر غريب في العصور المتعاقبة ، حيث توقّف العطاء ، وتعطّل الفكر ، و انحسر الاجتهاد اللّغويّ إلى الوراء يلوك ما قال الأوائل دون وعي ولا فهم ، و سادت المقولة : " ليس في الإمكان أبدع مما كان " [3]

فالأعراب الأقحاح أحسن تعريبا من المعجميّين ، فلم يستسيغوا هذه البنية الأعجميّة ، ففعلوا فيها ما ذكرنا آنفا دون شعور أو تكلّف ، و إنما بطريقة الحسّ اللغويّ العربي و السليقة العربية [4] فإذا تحرينا انتشار هذه اللهجة وجدنا أن قريشا قطان حرم الله و هم جيران بيته وولاته كانت وفود العرب من حاجها و

---

(1) كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 115 .

(2) محمد كريم الكوّاز ، المرجع السابق ، ص 119.

(3) سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 30 .

(4) سالم علوي ، المرجع نفسه ، ص 91 .

غيرهم يفدون إلى مكة للحج ، و يتحاكمون إلى قريش في أمورهم [1] كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ ، و أسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعا ، وأبينها إبانة عما في النفس ، و الذين نقلت عنهم اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، و عنهم أخذ اللسان العربي [2]

ابتدأت علوم العربية من نحو و صرف و أدب في التكون في هذا العصر ، و قد كان العرب قبل أن يختلطوا بالأعاجم ينطقون العربية فيخطون و ينطقون سليقة خالصة ، فلما اختلطوا بالمسلمين من غير العرب بالفتح و التزاوج فسدت لغة ناشئهم[3] و أخذ اللحن يظهر على اسلات أقلامهم و فلتات لساهم مما اضطر رجال الحل و العقد إلى التفكير في إيجاد منحنى يقيمون به اعوجاج الألسنة ، وقد اختلفت أراء المؤرخين في أول من فعل ذلك ، و الوقت الذي شرع فيه بذلك ، فمنهم من يذهب إلى أن الإمام عليا هو الذي أرشد أبا الأسود الدؤلي إلى بعض القضايا النحوية و قال له : "انح نحو هذا النحو " و منه سمي العلم بالنحو ، ومنهم من يقول أن زياد بن أبيه هو الذي طلب إلى أبي الأسود وضع النحو ، ومهما يكن من شيء ، فان الإجماع يكاد يكون على أن أبي الأسود ، قد وضع نواة هذا العلم ، و يقال أن أبا الأسود قد وضع نواة هذا العلم ، و يقال أن أبا الأسود قد اطلع على لغة السريان و عرف نحوهم ، فقاس عليه النحو العربي ، وقد كان أبو الأسود في البصرة ، فالتف حوله نفر من شباها يتعلمون منه الأدب و العربية [4] ربما لونوا النقاط بألوان مختلفة ، لئلا يختلط الأمر ، ثم أن الحجاج بن يوسف رأى ما يحدثه عدم اعجام الحروف المتشابهة كالباء و التاء و الثاء و الياء و النون ، وما إلى ذلك ففزع إلى كتابه و سألهم أن يضعوا لهذه الأحرف المختلفة علامات تميزها بعضها من بعض ، فيقال إن نصر بن عاصم قام بذلك ، فوضع النقط أفرادا و أزواجا و خالف في أماكنها ، فصبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون إلا منقوطا ، وكان مع استعمال النقط أيضا يقع التصحيف ، فأحدثوا الاعجام [5]

و هناك ظاهرة أخرى جديرة بالتسجيل و هي أن بعض المغاربة لا يكتفون برحلة واحدة إلى المشرق عامة و إلى الحجاز خاصة ولكنهم بمجرد ما يصلون إلى بلدهم يسرعون إلى العودة من جديدة ، فهذا ابن جابر الواد اشي أطلق عليه ابن خلدون صاحب الرحلتين ، و هذا ابن جبير برحلات ثلاث ، وابن بطوطة قضى جزءا كبيرا من حياته في الرحلة و التنقل ، ولشدة التعلق بالحجاز خاصة هو أن

---

(1) محمد كريم الكوّاز ، المرجع نفسه ، ص 23.

(2) محمد كريم الكوّاز ، المرجع السابق ، ص 118.

(3) محمّد أسعد طلس ، المرجع السابق ، المجلد الأول ، ج 4 ، ص 220 .

(4) محمّد أسعد طلس ، المرجع نفسه ، المجلد الأول ، ج 4 ، ص 220 .

(5) محمّد أسعد طلس ، المرجع نفسه ، المجلد الأول ، ج 4 ، ص 220 .

البعض من المغاربة كان يطيل مقامه هناك ، فيستقر لفترة طويلة بمكة أو المدينة أو بهما معا ، حتى يشبع رغبته و يروي ظمأه ، ومن الذين عرفوا بهذا الصنيع أبو عبد الملك ابن سمجون اللواتي الطنجي الذي أقام في الشرق سبع عشرة سنة ، وقاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمي توفي (750هـ/ 1349م) الذي رحل من سبتة إلى الحجاز فقضى فريضة الحج و تطوف في البلاد المشرقية نحو من أربعة عشر عاما ، أما ابن ميمون الغماري فقد استمرت به إقامته في الشام إلى أن توفي بها [1] تشهد بذلك عدة وثائق معاصرة تتمثل في استفتاءات الأهالي و فتاوى الفقهاء في الموضوع ، تشهد به هذه الوثائق و تؤكد كتب الرحلات المعاصرة بدءا برحلة الإدريسي وانتهاء برحلة ابن بطوطة أو ابن الحاج النميري و مرورا برحلة التجاني ورحلة العبدري مثلا ، ويتوج كل هذه الشهادات ميل فقهاء الفترة كلها إلى إسقاط فريضة الحج على المغاربة أجمعين " بسبب تعذر طريق البر " كما يقولون إلى درجة أن منهم من كان يحبذ استئجار صفة النصارى رغم كراهيته عند جمهور المالكية بفضل هذا الحل على السفر عن طريق البر " تجنبا الإلقاء بالنفس إلى التهلكة : كما يقولون أيضا وسواء أكانت الضربة موجهة إلى شبكة الطرق عن قصد أم غير قصد ، فالذي لا شك فيه أن نزول البدو بجنوب افريقية ثم بجنوب المغرب الأوسط قد أدى إلى نتيجتين أساسيتين بالنسبة لقسم هام من الفترة التي تهمنا : من جهة ، أخذت القوافل تبتعد عن هذين الإقليمين و تتجه نحو الغرب ،وصادفت هذه العملية ظهور حركة قوية متوثبة بأقصى الجنوب الغربي للمنطقة فاستفادت القوافل و استفادت الحركة المرابطية على حد السواء ، وهذه الظاهرة هي التي حكمت موضوعيا برجوح كفة المغرب الأقصى فيما بين منتصف القرن الحادي عشر و بداية القرن الثالث عشر للميلاد [2] هذا ولا يزال من الممكن التعرف على التأثير البطليموسي، وان كان ذلك بدرجة متناقصة على الدوام، من خلال قوائم درجات الطول و العرض أو الزيج ، باللغة العربية [3]

من عناصر حياة اللغة وهو فصاحة اللفظ و سلاسته ، و جمال الأسلوب و بلاغة التركيب فحدث عنه في اللغة العربية و لا حرج إذ هي في البلاغة والفصاحة المثل الكامل ، و البحر الذي ليس له ساحل ، لا تدانيها لغة من اللغات في فصاحة لفظها ، و تناسق حروفها ، وجمال تراكيبها ، و مبلغ تأثيرها وروعة أساليبها ، و تجمعت تلك الحسنات كلها في لغة مضر وانحصرت في قريش و تلخصت و تَصفَّت في نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، كما قال –لما قالت له أصحابه : ما رأينا

(1) محمد بن احمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 49.

(2) محمد القبلي ، المرجع السابق ، ص 16 .

(3) م، ق، مينورسكي ، الجغرافيون والرحالة المسلمون ، ترجمة: عبد الرحمان حميدة ، (دط)، (1405هـ/1989م)، الجمعية الجغرافية الكويتية ، ص 7.

الذي هو أفصح منك- : ((وما يمنعني وإنما نزل القرآن بلساني لسان عربي مبين))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد)) ، و من فصاحته عليه السلام أنه تكلم بألفاظ اقتضبها لم تسمع من العرب قبله ولم توجد في متقدم كلامها [1] فكانوا يتبعون النقط بالاعجام ثم لما اختلط الأمر على الناس في نقط الاعجام و نقط الحركات و ضعوا الإشارات المعروفة و هي الضمة و الفتحة و الكسرة (َ ِ ُ) [2].

والفرق بن الفصاحة و البلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني ، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة ، وان قيل فيها فصيحة و كل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بلغا ن كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه [3]

و قد كان عمل أبي الأسود عملا جد مفيد أنقذ الناس من اللحن و الاضطراب و قد تمم عمله تلاميذه نصر بن عاصم و عبد الرحمان بن هرمز و عون الأقرن و عنبسة الفيل ثم عبد الله بن إسحاق الحضرمي و أول من بحث في علم الصرف معاذ بن مسلم الهراء ثم كثر علماء العربية ، وانقسم علماء العربية إلى بصريين و كوفيين [4] أن الحضارة التي يعبر عنها هذا الفن الجذاب تبدو لنا مليئة بالوعود و أيا كان المستقبل الذي ينتظرها فهي جديرة بوضع افريقية في مكانة عظيمة [5] و على كل فنقل التغيرات الفنية من المشرق للمغرب ، له تيار معاكس في الاتجاه المضاد ، وسوف تبقى نتائجه بعد زوال الإمبراطورية الموحدية ، و الدول البربرة التي تقاسمت بقاياها [6] قد يقال إن اللغة العربية فيها كثير من الدخيل من اللغات الأخرى كالفارسية والروسية والهندية والحبشية والعبرية والقبطية ، فهل يكون وجودها في ضمن اللغة قادحا في استقلالها ؟ الجواب : أن لا تأثير لذلك الدخيل على قيامها بنفسها و استقلالها فإن لكل مقومات وأصولا جوهرية من الكلمات التي تفقد اللغة هويتها بفقدها و يضعف جانبها بعدم وجودها ضمن أصولها ، وهي الألفاظ الأولية المكونة لجهاز اللغة ، و هذا النوع في اللغة تام الأصول مستوفي الفروع سليم من الدخيل [7] و مناهج الظواهر اللسانية [8] و قد أسهم القرن

---

[1] مريم عبد الحسين التميمي ، المرجع السابق ، ص 6.

[2] مريم عبد الحسين التميمي ، المرجع نفسه ، ص 6.

[3] الخفاجي ، المصدر السابق ، ص 59.

[4] محمّد أسعد طلس ، المرجع السابق ، المجلد الأول ، ج 4 ، ص 220 - 221 .

[5] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 116 .

[6] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 313.

[7] مريم عبد الحسين التميمي ، المرجع السابق ، ص 6.

[8] عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة ، نظم التحكم و قواعد البنيات ، ط ، دار الصفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 2002 م ، ص 106.

التالي على ذلك الحدث في وضع اللغة العربية و الدين الإسلامي في دائرة اهتمام العالم الذي لم يكن لتلك اللحظة يدري شيئا مما كان يدور بداخل الجزيرة العربية ، ومنذ أول مواجهة بين العالم الإسلامي وأوربا ، و أصبح العرب و أصبحت لغتهم جزءا من التجربة الأوروبية [1]

لقد اشتغل العرب الفاتحون بالسياسة و إدارة الدولة عن العلم و طلبه ، وولي ذلك الموالي و العجم ، يقول ابن خلدون : " من الغريب الواقع أنّ حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم ، إلا في القليل النادر ، و إن كان منهم العربي في نسبته فهو عجميّ في لغته و مرباه و مشيخته ، مع أن الملة عربية ، وصاحب شريعتها عربي [2] و اللغة العربية لها نفس الميزة : الطابع الكوني ، فهي في نفس الوقت لغة الدين ، ولغة الإدارة ، ولغة التجارة ، ولغة الحضارة [3] إن هذا من الجوانب الممتعة في فقه اللغة العربية ، وهو صعب في الوقت نفسه ، و ذلك لان لهذه اللعنة خصوصية عجيبة في تعريب الكلم الدخيل ، و على سبيل المثال أن العرب في مدينة " مصوّع " قد أخذوا أو صاغوا من الكلمة الايطالية (soldi) و هي ضرب من العملة الصغيرة جمعا على بناء فعال فقالوا : " صلادي " و هذه الصيغة عربية قد يصعب على السامع أن يعرف أنها دخيلة ، أما إذا كانت الكلمات دخيلة من أصول لغات سامية أخرى فانه من الصعب أن يقطع المرء في أنها في تلك الحال مستعارة من لغة من تلك اللغات ، أو إنها أصيلة في العربية ، و هي عندئذ من المشترك بين هذه اللغات [4].

إن أفضلية العربية المثبتة في القران الكريم قد اصطبغت أساسا بصبغتها التاريخية ، فقد حال علم الإعجاز اللغوي للقران الكريم الذي انبثق عن ذلك دون نشوء ترجمات حقيقية لهذا الكتاب ، ومن ثم أيضا دون حلول اللغات الشعبية (العامية) للذين أسلموا محل العربية بوصفها لغة الثقافة ، ففي عيون المسلمين ، وبخاصة بالطبع المسلمون الذي تعد العربية لغة الأم لم نذكر في القران الكريم أفضلية العربية فحسب ، بل حدد هذه المرة من خلال القران الكريم الشكل أيضا الذي ينبغي أن يكون " لسانا عربيا مبين " : فالعربية (al-Arabiya) ليست إلا العربية الفصحى التي يتعرف عليها المسلم لغة القران الكريم ، وكل عدول عنها لا يستحق اسم العربية ، إذ يمكن أن يتعلق الأمر بتدهور ، ربما يؤدي في أسوأ حال إلى القضاء على العربية ، وقد أكسب الذكر القرآني قوله تعالى : **" و هذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا و بشرى للمحسنين "** [5] لهذه اللغة قدرة شديدة بحيث جنّبها القدر إلى اليوم مصير اللاتينية

---

[1] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 5.

[2] محمد عبد الله ابن التمين ، المرجع السابق ، ص 36 .

[3] موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 150 .

[4] اغناطيوس غويدي ، المرجع السايق ، ص 65.

[5] سورة الأحقاف ، الآية 12.

اللاتينية التي انتهت إلى عدد كبير من اللغات الرومانية ، و يتجلى في قدرتها التي صاغت الثقافة الإسلامية هذا الذكر القران خلافا لما ذكر في العهد الجديد أعمال الرسل (2 ، 4 -11) ، ما مفاده أن الشعوب ، كلّ بلسانه [1] و تطور اللغات رهين بتطور الأفكار و الشواعر انحطاطا و رقيا ، فاللغات ما هي سوى كائنات حيّة ، تنمو بنموّ ثقافات الأمم و حضاراتهم ، وتجمد بجمود أهلها ، ثم سرعان ما تموت ، عند فقدان الثّقة بالنفس ، والتّنكر للأرومة ، و الزهد في التراث اللغوي ، واللغة تحفظ كيان الامّة و تحمي أنظمتها و ثقافتها [2] من معلومات أو معارف أو مهارات لغوية تمكنه من إنتاج الكلام وفهمه، فالكلام هو المظهر الاجتماعي للغة معبرا عنها بدرجات في الاختبار المعد بشكل يمكن قياس المستويات المحددة [3] القوالب اللغوية التي يدون بها هذه الأفكار [4] تعلم اللغة [5] وتعرف الكتابة على أنها: " التعبير عن اللغة بصورة منقوشة ويأخذ هذا التعبير شكلا من أشكالا التنظيم والترتيب ولا تعتبر الرموز والصور المشوشة نوعا من الكتابة إلا إذا أكدت نظاما يفهمه القارئ" [6]

فقد ربط الدكتور طه حسين في هذا البحث ، البيان العربي ، كما يبدو في كتابات الجاحظ ، ومن أتى بعده من علماء البيان العربي .. فاستهدف بذلك لحملات المحافظين المنكرة و ألسنتهم الحداد على أن البيان الأول [7] ، وهو البيان العربي المحافظ لم يسلم – في رأيه – من تأثير الفكر الأرسطي ، و يشير في هذا الصدد إلى أن أول كتاب في البيان العلمي و هو كتاب البديع لابن المعتز المتوفي (296هـ/ 908 م) قد ظهر في نفس الفترة) [8] وقاموا بتأسيس قواعد العلم و معاهد الدّين في مختلف أنحاء البلاد ، وهؤلاء أمثال أمثال أبي هرون البصري ، الذي كان أول من ادخل كتاب ابن الموّاز إلى الأندلس [9] و ابن أبي مسلم الصدفي ، و احمد بن قاسم السبتي ، و سليمان الطنجي الأستاذ القراءات ، وعثمان بن مالك فقيه فاس و زعيم الفقهاء في وقته ، كتب عنه تعليق على المدونة هو من أقدم ما كتب المغاربة عليها [10]

---

[1] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 11- 12 .

[2] محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 7 .

[3] حسن حسين زيتون ، مهارات التدريس ، رؤية في تنفيذ التدريس، ط ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2001 م ، ص 3.

[4] طه علي حسن الدليمي وآخرون ، طرق تدريس اللغة العربية ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة ، 2005 م ، ص 135- 136- 137.

[5] فراس السليتي ، فنون اللغة (المفهوم – الأهمية – المعوقات – البرامج التعليمية) ، ط ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2005 م ، ص 21.

[6] حسن شحانة زينب النجار ، معجم المصطلحات التربوية و النفسية ، ط ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة – مصر ، 2003م ، ص 144.

[7] شفيع السيد ، المرجع السابق ، ص 93 .

[8] شفيع السيد ، المرجع نفسه ، ص 93 .

[9] عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 49.

[10] عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 49.

إذا كانت الدعوة الموحدية قد ركزت على إقصاء الخصم المرابطي وفقهائه نظريا من حظيرة الإسلام بأن اتهمت الجميع بالشرك و التجسيم كما هو معروف ، فالملاحظ أن الدولة التي انبثقت عنها قد عمدت من الناحية العملية إلى التعجيل باستئصال " المغارم" المرابطية كلها و كأنها لا تقل شأنا عن " المعتقدات " ولا عن " فروع " المذهب التي حكم عليها مباشرة بالاختفاء ، و إذا كانت قضية المغارم قد أصبغت بنفس طابع الاستعجال الذي عرفته القضية المالكية نفسها ، فالراجح أن الظاهرة في حد ذاتها قد تعكس أهمية البعد الذي أخذته مشروعية المداخيل الرسمية في الواقع وفي الميدان لا على مستوى التحليل " الإحيائي" وحده ، بالنسبة لنفس الدولة الموحدية الناشئة ، لم يكن هنالك من سبيل إلى الأخذ بالنموذج الثنائي القائم عند المرابطين على شبه تحالف بين جبهة دينية و أخرى عسكرية سياسية إدارية ، لذا فان التكوين الديني قد امتزج امتزاجا عضويا بالتكوين الإداري العسكري بالنسبة لطلبة الموحدين الذين كلفوا بالسهر على سير الجهاز بمختلف الياته فجمعوا عمليا بين الدين و الدنيا ، و لقد أردف هذه الخطة قيام حملة تفتيش ممنهجة على يد المنصور الموحدي الذي أمر بمطاردة " كتب الفروع " وإحراقها بعد أن جردت من الأحاديث النبوية ، ولقد كان من شأن هذا الأسلوب المماثل للأسلوب الذي عوم لبه " الإحياء" من قبل في العهد " البائدة " أن جنح " الرأي الآخر " هذه المرة إلى ربط انهيار الحكم الموحدي بإحراق " المدونة " كما أن إحراق " الإحياء " قد ارتبط في الدعاية الموحدية بتمزيق " ملك " المرابطين [1] من مشاهير معاجم اللغة العربية في القرن الرابع الرابع الهجري ، تردد اسمه كثيراً في بحوث اللغة ، وكتب التاريخ والتراجم والطبقات ، وأفاد منه الكثير من أعلام اللغة وفضلائها، ونسخه الناسخون لأنفسهم ولغيرهم بالأجرة عصراً بعد عصر نهج فيه الصاحب على منوال الخليل في (العين) في ترتيبه و تقسيم أبوابه ، أما ابن عباد فأشهر من أن يعرف ، و باسمه وضع ابن فارس كتابه في فقه اللغة وسماه (الصاحبي) [2] و من نافلة القول أن نؤكد غنى اللغة العربية القديمة [3]

و من خلال التأسيس القائم على مبدأ العزلة و التوغل في البداوة و البعد عن الاختلاط حكم على القبيلة و ذكرت القبائل التي يحتج بكلامها ، والذين نقلت عنهم العربية و عنهم اخذ اللسان العربي [4]

اعلم أن لسان العرب وكلامهم يدور على فنين: فن الشعر المنظوم وهو الكلام المقفى الموزون بأوزان مخصوصة ، وفن النثر [5] .

---

[1] محمد القبلي ، المرجع السابق ، ص 49 – 50 .

[2] الصاحب بن عباد ، معجم المحيط في اللغة ، ج 1 ، ص 1 ، انظر أيضا : www.almeshkat.com

[3] اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، ص 42 - 43 .

[4] هيفاء يونس موسى الشريف ، المرجع السابق ، ص 18 .

[5] أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب ، ص 18 انظر أيضا : www.almeshkat.com

و مستوى استعمال العربية لغة العبادة و الإدارة و الأدب ، و ثمة خطوة مهمة في نفاذ العربية لغة الثقافة هي إدخالها لغة لإدارة بدلا من اليونانية و الفارسية في عهد عبد الملك بن مروان (685 - 705هـ / 1277- 1296م) [1] ، وكان النموذج قد تشكل في الوقت نفسه مع نفاذ غلبة العربية لغة الثقافة في دولة الخلفاء ، و يعلّم أقدم كتابة نحوية للعربية الكلاسيكية (الفصحى) ، كتاب سيبويه المتوفي (177هـ/793م) إتمام تعلم لغة نموذجية عربية – كلاسيكية (فصحى) [2]، يفتقر إلى ذلك في نثر أبي مخلف المتوفي (157هـ / 774م) كلية تقريبا ، بل هناك إيراني الأصل ، و هو ابن المقفع المتوفي (147هـ / 759م) يعد ممثلا للغة النموذجية في الفترة الكلاسيكية ، إن لغته و لغة الكتاب الآخرين في تلك الفترة تطابق بدقة إلى حد ما وصفه نحاة عصرهم أنه استعمال لغوي حسن ، ورفعوه بذلك إلى النموذج الكلاسيكي[3] و البلاغة القرآنية غير بعيدة عن أصول البيان العربي في القرن الرابع الهجري ، ولذلك نرى دراسات لقدامة بن جعفر (337هـ / 949م)، في كتابه " نقد الشعر " ، وقبل ذلك كتاب " عيار الشعر " لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (322هـ/ 934م)، ثم كتاب " الوساطة بين المتنبي (354هـ / 965م) وخصومه " ، لعلي بن عبد العزيز الجرجاني(366هـ / 977م) ، وكتاب الموازنة بين الطائيين للحسن بن بشر الامدي (370هـ / 981م) وكتاب " المرشح " لمحمد بن عمر المرزباني (378هـ/ 988م) وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (395هـ / 1005م) [4] بالنسبة لفقهاء المالكية بالأندلس خاصة و بالمغرب الأقصى أيضا في الفترة التي تهمنا ، يلاحظ أن هنالك أكثر من موقف واحد أو موقفين اثنين متجانسين ، ولكي تتضح هذه الوضعية فإننا لن نقف عند ظاهرة التعارض المكشوف بين من جند نفسه من المالكية للدفاع جهرا عن " الإحياء " –كالمقريء أبي الحسن البرجي و القاضي مروان بن عبد الملك – وبين من تعبأ للدعوة إلى الإحراق كأبي القاسم بن ورد و القاضي أبي عبد الله بن حمدين مثلا ، ذلك أن ظاهرة كهذه قد تبدو عادية بالنسبة لسائر الحالات المماثلة ، أما التعارض الذي يلفت النظر بالنسبة إلينا فهو الذي يدور حول " الإحياء " بين من يحتكر الخطاب ومن لا يجرؤ على الخوض فيه لأسباب مختلفة تؤدي إلى اختلاف دقيق في المواقف بين علماء حشروا حتى الآن في زمرة واحدة ، مثال ذلك أننا سوف نحاول أن نتأمل مجمل ما وصلنا عن بعض أعلام قضاة الحكم المرابطي كهذا القاضي أبي عبد الله بن حمدين و بلديه القاضي أبي الوليد ابن رشد الجد و القاضي أبي علي الصدفي و القاضي أبي بكر بن العربي و

---

[1] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 117- 118 .

[2] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 117- 118 .

[3] فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 117- 118 .

[4] محمد بركات حمدي أبو علي ، المرجع السابق ، ص 119 - 120.

القاضي أبي الفضل عياض بن موسى ابن عياض [1] وهكذا فان الحكم المغربي الوسيط في اتصاله بالإحياء قد واجه في الواقع معضلة جذرية [2] فاختار المغاربة بعض رجالهم و أوفدوهم في بعثة [3] " حملة للعلم" ثم قاموا بتدريس ما حصلوا بالمشرق في حلقاتهم التي انتشرت في جهات كثيرة من بلاد المغرب الأدنى و افريقية ، وفي تلك الحلقات تلقى الأتباع الأصول و الفروع و السير و التوحيد و الشريعة و أراء الفرق إلى جانب علوم اللغة و الفلك و الرياضيات فكانت بمثابة مدارس للعلوم النقلية و العقلية في آن واحد ، ومراكز لتعريب البربر و نشر الحضارة العربية أيضا [4] و ما ينبغي التنويه إليه أن الحياة العلمية بهذا الإقليم استفادت كثيرا [5] فقد حمل العلماء المهاجرون علومهم وآدابهم و فنونهم إلى مدن المغرب[6] وقاموا بتنظيم حلقات العلم والدروس داخل المساجد والمدارس المشهورة بالمدن المغربية [7] بانتشار العربية .. [8] وانتشرت اللغة العربية انتشاراً واسعاً واسعاً بين الأسبان المعايشين للعرب ، ولم يكن قد مضى على الفتح العربي نصف قرن من الزمن ، وكانت هناك ازدواجية لغوية عربية ورومانية بين عامة الشعب الأندلسي ، وأصبحت العربية الفصحى لغة الثقافة ، والى جانبها اللاتينية الفصحى ، وكان مجال استعمالها ضيقاً ، وبقيت اللغة العربية حتى القرن السادس عشر الميلادي في اسبانيا أي بعد إنهاء الحكم العربي الإسلامي في الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة 897 هـ / 1492م[9].

---

[1] محمد القبلي ، المرجع السابق ، ص 29.

[2] محمد القبلي ، المرجع نفسه ، ص 51، انظر : عبد الحق المريني ،الجيش المغربي عبر التاريخ ، ط5، دار المعرفة للنشر ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1997، ص 16، الحسين بن محمّد شوّاط ، القاضي عياض عالم المغرب ،ط ، دار القلم ، دمشق ، (1419هـ/1999م)، ص 15-16 .

[3] ابن الحاج النميري ، فيض العباب وافاضة قداح الاداب في الحركة السعيدة الى قسنطينة و الزاب ، ط ، دار الغرب الاسلامي ، 1990م ، ص 31.

[4] محمود إسماعيل عبد الرزاق ، المرجع السابق ، ص 293.

[5] الفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة : عبد الرحمان بدوي ، (د ط) ، دار الغرب الإسلامي ، (د س ط) ، ص 330.

[6] لقد كان ابن أبي الجواد ممن قاد المدرسة الاعتزالية بالمغرب ، وكان مذهبه مذهبهم ، وكذلك الحال بالنسبة لابي اسحاق المعروف بالعمشاء الذي كان من اعلام رجالهم ، وكان يذهب الى القول بخلق القران و يناظر فيه المناظرة الشديدة ، ومن اكثر رجالهم تصرفا في الكلام و الجدل أبو الفضل المعروف بابن ظفر الذي كان يقوا بخلق القران و يناظر فيه ، انظر : ابراهيم التهامي ، جهود علماء المغرب ، ط ، (1426هـ/ 2005م) ،بيروت ،ص 201.

[7] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج2 ، (د ط) ، دار الأمة ، الجزائر ، 2009م ، ص 273.

[8] لويس جان كالفي ، حرب اللغات و السياسات اللغوية ، ترجمة : حسن حمزة ، ط ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2008 م ، ص 26 .

[9] نهلة شهاب احمد ، الأندلس بوابة التواصل الحضاري العربي الإسلامي – الأوربي ، (د س ط) ، (د ط) ، ص 4 ، أيضا : بيرنيت تشارلز ، حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في اسبانيا ، ترجمة : عمران أبو حجلة ، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ، (ط2) ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999 ، ص 46 .

الفصل الخامس: الحياة العلمية في عهد بني حماد والمرابطين .

أولا: الحركة الاصلاحية

ثانيا : المراكز العلمية

ثالثا : العلوم و الآداب العربية

رابعا : أعلام اللغة العربية

الحياة العلمية في عهد بني حماد و المرابطين

أولا : النشاط اللغوي و الفكري

عندما فتح العرب الأمصار احتكّوا بالثقافات و الحضارات المختلفة ، و لم يصطحبوا من الجزيرة شيئا من العلم أو الفنّ أو التقليد الفكريّ أو التراث الثقافيّ ، وإنما جاءوا البلاد بلغة جديدة و دين جديد ، ولهذا رأوا أنفسهم مضطرّين إلى الاعتماد على الشّعوب التي سيطروا عليها [1] إلاّ أنها كانت انفتاحا ، وكانت محاولة احتواء و انطلاق ، وكان التعطّش عند الفاتحين إلى الاستيعاب و الاستقطاب تعطّشا شديدا [2] فكان لابد أن يتعلموا العربية ، والعربية لغة كاملة .. لإحداث التعريب في الشامل ، لان العرب هم خميرة التعريب ، ومن دون عرب فلا تعريب ، وبينما ظل عرب مصر في مصر و عرب المغرب و عرب الأندلسي في الأندلس فصارت اللغة العربية لغة أهل البلاد جميعا ، توقفت عملية التعريب في إيران ، وعاد الناس إلى لغتهم الأولى و قبسوا من العربية حروفها و أخذوا من ألفاظها ألوفا ، وأخذوا كذلك أساليبها البلاغية و عروض شعرها وعلى أساس هذا كله قامت اللغة الفارسية السارية إلى اليوم في إيران ، ومع الإسلام و اللغة العربية أخذت الشعوب التي استعربت تقاليد العرب و أخلاقهم و عاداتهم و أمثالهم و أساليب تفكيرهم ، فأصبحوا مسلمين و عربا في نفس الوقت [3]

الأدب العربيّ هو جملة الآثار الجميلة المكتوبة باللغة العربية سواء أكان كاتبها من أصل عربيّ أم غير عربيّ ، و أيّا كانت البلاد التي ظهر فيها [4] اختلف المؤرّخون في تقسيم الأدب العربيّ ، فمنهم من نظر وكانت أبدا محطّا لرحال الفاتحين ، والسيّاح ، وكانت تعيش في ترف و خفض إليه من ناحية أصالة لغته [5] ، لا يهمّها إلا العمل و الكسب ، وكانت فيها اللغة العربية غير صافية ، و غير ثابتة الأركان ، ومن ثمّ فقد خفت فيها صوت الأدب خفوتا لم يبلغنا منه أيّ صدى ، ودارت الأيام دورتها ، وتمازجت القبائل بفعل العوامل المختلفة من تجارية ودينية و طبيعية و غيرها ، فامتدّ لواء الأدب فوق سطح البلاد العربيّة كلّها [6] و مهما يكن من أمر هذه الجهود النقدية العربية القديمة التي أنصفت ظاهرة السرقات الشعرية و تتبع هذه الجهود يلزمه دراسة منتقلة غير أن ينبغي الإشارة إليه أن هذا اضطراب في مواقف النقاد القدماء [7] فإنّها

---

[1] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 505 .

[2] حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 505 .

[3] حسين مؤنس، المرجع السابق ، ص 54 ، انظر : سعيد الأفغاني ، نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي ، ط2 ، دار الفكر ، بيروت ، (1389هـ/1969م) ، ص 9 ، أيضا : ابراهيم السّامرائي ، من سعة العربيّة ، ط ، دار الجيل ، بيروت ، (1414هـ/ 1994م) ، ص 7.

[4] حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 35- 36 .

[5] حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 39.

[6] حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 36 .

[7] أبو المرتجي، سيميائية النص الأدبي ، ط 1 ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1987 م ، ص59.

أيضا ينبوع الأدب ، ونوع طريف من أنواع القصص ، بما اشتملت عليه من الوقائع و الأحداث ، و ما روي في أثنائها من نثر و شعر ، و ما قيل من خلالها من مأثور الحكم و بارع الحيل ، و مصطفى القول و رائع الكلام ، فهي توضح شيئا من العلاقات التي كانت قائمة من قبائل العرب نفسها ، و بين العرب و غيرهم من الأمم ، كالفرس و الروم ، و هي أسلوبها القصصي و بيانها الفني مرآة صافية لأحوال العرب و عاداتهم و شأنهم في الحرب و السلم و الاجتماع و الفرقة و الفداء و الأسر ، وهي أيضا تظهر فضائلهم و شيمهم ، كالدفاع عن الحريم ، و الوفاء بالعهد ، و الانتصار للعشيرة ، وحماية الجار و الصبر في القتال [1] ولقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته إلى طريقة غريبة في وجه التعليم و أعاد في ذلك و أبدأ ، وقدّم تعليم العربية و الشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس ، قال : لان الشعر ديوان العرب و يدعوا إلى تقديمه و تعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة [2]

تتطور اللّغة في ألفاظها و أساليبها تطورا مستمرا في تؤدة و خفاء ، فكل عصر ، بل لكل إقليم في كل عصر ، لغته و أسلوبه ، حتى انك لتستطيع أن تعرف القول من أي عصر أو من أي إقليم هو ، وان كنت لا تعرف قائله ، وإذا كنت ممّن أولعوا بالأدب العربي فلا بد أن تكون قد رأيت أثار هذا التطور في كل عصر و كل إقليم ، وقد كان هذا التطور في العصور العريقة في القدم [3] ومن الناحية الثقافية ، لم تأنف بلاد البربر المتحررة من المشرق ، أن تكون أرضا تابعة ، و لكن لم تأت إليها النماذج الفنية و المؤثرات الأدبية من مصر أو العراق ، بل كانت تأتي من الأندلس المجاور الذي أصبح امتداد للمغرب [4] و هكذا استجاب المغاربة لدروس قرطبة و غرناطة و اشبيلية الفنية ، فتزينت المغرب بالمباني التي لا تقل في رونقها عن مباني أمراء المسلمين في اسبانيا بل تتعداها أحيانا ، و ينتشر هذا الفن الاسباني المغربي عبر بلاد البربر من المغرب إلى الشرق و يصل إلى افريقية التي سرعان ما نسيت ماضيها الذهبي [5] أما ابن خلدون فيزيد عليها قيدا آخر ، وهو اقتراب القبيلة من قريش ، عندما يقول : ولهذا كانت قريش أفصح اللغات العربية و أصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ..

ليس ثمة شك في الفصحاء الموثوق بعربيتهم عند اللغويين بخارجين على أصول العربية ، كما ذكر ابن جني أهل الوبر أي الفصاحة تكون مع البداوة ، ففي باب ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر ، يقول : وعلة امتناع ذلك ما عرّض اللغات الحاضرة و أهل المدر من الاختلال و الفساد ..و كذلك

---

[1] إبراهيم شمس الدّين ، المرجع السابق ، ص 4 .

[2] محمد أسعد طلس ، التربية و التعليم في الإسلام ، (د ط) ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، 2014م ، ص 70.

[3] خليل السكاكيني ، المرجع السابق ، ص 81 ، عبد الكريم خليفة ، تيسير العربيّة بين القديم والحديث ، ط، عمان ،(1407هـ/1986م)،ص 30.

[4] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 270.

[5] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 270.

أيضا لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب بالألسن وانتفاض عادة الفصاحة و انتشارها ، لوجب رفض لغتها [1]ومنه رافق القوافل إلى قاصي البلاد و دانيها ، فاخترق بادية الشام و شبه جزيرة سيناء ، وانتشر في بلاد ما بين النهرين ، وراح يفتتح الممالك و المسالك ، فكان له في مملكة الحيرة ملك و سلطان ، وكان له في مملكة غسّان أنصار و أعوان ، ثمّ كان العهد الإسلامي فرافق الفتوحات ، و سار مع اللّغة العربيّة يحلّ حيث حلّت ، ويزدهر حيث تزدهر و تنتشر [2] إن السيطرة على اللغة ، بوصفها أداة الأدب التعبيرية ، مسألة ضرورية في صياغة الأدب الإسلامي [3] و كلنا يعلم أن اللغة العربية قد دخلت سائر الأقطار العجمية ، فإذا ذهب الإسلام من القلوب فذهاب لغته من الألسنة ليس بمستغرب [4] و لقد كانت عملية تعريب المغرب الإسلامي منذ القرن (الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) تسير بسرعة مذهلة [5] فاللغة إذن مرآة العقل و عملة التفكير [6] و الحق أن المستوى التركيب من اللغة أمر التفت إليه القدماء في مرحلة مبكرة وكبر عن ذلك مصطلح النظم هذه الذي تداوله النقاد جيلا بعد جيل [7]

لم يمر على اللغة العربية عصر أثّر في ألفاظها و تراكيبها تأثير [8] فان العرب المسلمين – بدافع من الدين و القران – نشروا اللغة العربية ، فأصبحت لغة التفاهم من سمرقند إلى قرطبة يفهمها رجل الدين وموظفو ديوان السلطة .. و لنسمع ما يقول البيروني عن ذلك في كتاب قبل ألف عام :" والى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت و حلت في الأفئدة وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين و الأوردة .. وتعني هذه الجملة بسيطة التركيب عميقة المعنى أن اللغة العربية [9] و و حقا إن الكلام الإلهي والكلام النبوي هما فوق كل ذي فوق بيد أن الاستشهاد بهما لم يطغى على الشعر، ولك حقيقة لا تنطبق على النحو فحسب، بل هو نعم التراث البلاغي والنقدي في مجمله فالشعر هو المادة الأكثر غزارة.

---

(1) هيفاء يونس موسى الشريف ، المرجع السابق ، ص 18.

(2) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 63 .

(3) جاسم الفاس ، في الأدب الإسلامي المعنى و الوظيفة ، (د ط) ، دار ناشري للنشر الالكتروني ، العراق ، 2014م ، ص 19 .

(4) محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 67.

(5) عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 196.

(6) سهى فتحي نعجة ، اشكاليّة التّعريب في ضوء الامكانيّة التوليديّة للعربيّة ، (د ط) ، (د س ط) ، ص 1.

(7) الباقلاني ، إعجاز القرآن ، (د ط) ، دار المعارف ، مصر ، (د س ط) ، ص 10.

(8) جرجي زيدان ، المرجع السابق ، ص 73، محمود محمّد الطّناحي ، صيحة في سبيل العربية ، ط، اروقة ،(1435هـ/ 2014م)، ص154.

(9) يوسف أحمد الشيراوي ، المرجع السابق ، ص 56.

وطبيعي إذا أن يكون الاستشهاد به أكبر وأعظم فإذا كان الأمر كذلك فلنا أن نتساءل كيف نظر القدماء إلى تركيب هذا الشعر مقارنة بالنثر .. وهو تساؤل لا نحسب أن الباحث يمكن أن يجيب عنه إلا على نحو متجزئ [1]

عرّب بسبب الجذور العربية و القبائل العربية [2] لأنها جاءتها على غرة دفعة واحدة .. فانهالت فيها العلوم انهيال السيل ، وفيها الطب ، والطبيعيات و الرياضيات ، و العقليات و فروعها ، ولم تترك للناس فرصة البحث عما تحتاج إليه تلك العلوم من الألفاظ الاصطلاحية مما وضعه العرب أو اقتبسوه في نهضتهم الماضية ولا لوضع الأوضاع الجديدة ، والسبب في ذلك أن الذين اشتغلوا في ميادين العلوم الحديثة عند أول دخولها مصر والشام في أواسط القرن الماضي ، لم يكونوا على سعة من علم اللغة .. فلما ترجموا تلك العلوم إلى اللغة العربية لم يهتدوا إلى مصطلحاتها القديمة ، أو اهتدوا إلى بعضها ووضعوا للبعض الأخر ألفاظا لا تنطبق على المراد بها تمام الانطباق .. لكنها صقلت بتوالي الأعوام و صارت تدل على المراد ، كما أصاب أمثالها في النهضة العباسية و غيرها ، فلما انقضت تلك البعثة ، و تكاثرت المدارس و نشأ الكتاب وعلماء اللغة ، عادوا إلى النظر فيما دخل اللغة من المصطلحات العلمية ، أو الإدارية الجديدة ، وقلما استطاعوا تبديل شيء منه لتأصيله و شيوعه في الكتب و المجلات و الأندية وغيرها .. على أنهم لم يعدموا وسيلة في إصلاح الإنشاء و الرجوع بعباراتهم إلى نحو ما كانت عليه في صدور الدولة العربية ، لأنهم تحدوا فطاحل الكتّاب في تلك العصور مع مراعاة الذوق و السهولة .. فنبغ بيننا كتّاب لا يفضلهم ابن المقفع ، ولا ابن خلدون ، ولا غيرهما من صفوة الكتّاب و عمدة المنشئين في شيء..وهم عاملون على تنقية اللغة مما خالطها من الاجماش و الأدران ، وما أصابها من الضعف في عصر الانحطاط .. [3] و إذا تدبرت لغة الكتّاب و المنشئين في أول هذه النهضة ، وقابلتها بلغة كتّابنا اليوم رأيت الفرق كبيرا ، وتوقعت أن تعود إلى أسمى ما بلغته من درجات الكمال في عصر زهوها و شبابها ..على أننا لا نظنهم مع ذلك قادرين على تنقيتها مما داخلها من الألفاظ و التراكيب الأعجمية.. شأن الكائنات الحية الخاضعة لناموس الارتقاء ، فالتغيير الذي أصاب اللغة العربية في النهضة الأخيرة ، قد أصاب ألفاظها و تراكيبها .. و بعضه دخلها من اللغات الأجنبية ، والبعض الأخر تولد فيها بالتنوع و التفرع [4] إذا تدبرنا ما مر على اللغة العربية من المؤثرات الخارجية بعد تكوّنها وارتقائها حتى اكتسبت ما اكتسبته من الألفاظ و ضروب التعبير ، رأيناها قد مرت في ثمانية ادوار ، أو عصور، وهي :

---

(1) من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط4 ، القاهرة ، 1972 م ، ص 347.

(2) يوسف أحمد الشيراوي ، المرجع السابق ، ص 56.

(3) جرجي زيدان ، المرجع السابق ، ص 73- 74.

(4) جرجي زيدان ، المرجع السابق ، ص 73- 74.

1-العصر الجاهلي : وفيه ما لحق اللغة من التنوع و التغير في ألفاظها و تراكيبها قبل الإسلام

2- العصر الإسلامي : أي أثر الإسلام في ألفاظ اللغة و تراكيبها

3- الألفاظ الإدارية في الدولة العربية

4-الألفاظ العلمية في الدولة العربية

5-الألفاظ الاجتماعية و نحوها

6-الألفاظ النصرانية

7- الألفاظ الأعجمية في دول الأعاجم [1] يبدو من المناسب أن نبرز أهم خصائص العربية [2] و التعريب من عوامل نمو اللغة فاللغة تقبل نقل ألفاظ من لغات أخرى إليها مع إخضاعها لمنهجها ، فالتعريب أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية على نهجها و أسلوبها وقد اتصل العرب بغيرهم من الأمم منذ زمن بعيد في الغزو و الهجرة و التجارة وغيرها و أدى ذلك إلى ثراء اللغة .. في قول الشاعر :

سقى قومي بني مجد و أسقى نميرا و القبائل من هلال [3]

وقد يكفي أن نقرأ كلام الخليل الذي يرى فيه أن الشعراء أمراء الكلام، يصرفونه أنى شاءوا ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم [4] وكان لهذا الروح من التسامح الذي يشمل به الإسلام رعايا دولته من نصارى و يهود معطياته و آثاره في غير مجال من مجالات الحياة الأندلس ، ومنها المجال الثقافي ، فقد أتيح لكافة الذميين من هؤلاء و أولئك أن ينهلوا و يعلوا من علوم المسلمين ومعارفهم ، وكان من مظاهر ذلك ما حصلوه من دراية بالعربية و لغتها و أساليبها أهلت بعضهم للكتابة ، ديوانية و غير ديوانية ، وللتأليف و التصنيف في غير ما فن من فنون العلم المستفاد من حلقات شيوخه المسلمين فنعني به ما تميزت به النصوص المرجعية فيه ، قرانا و سنة ، من الحض على وجوب طلب العلم ، والتماس الحكمة ، والحث على البحث عنهما حيثما

---

[1] جرجي زيدان ، المرجع نفسه ، ص 11، أيضا : محمد أبو حسان ، دور الحضارة العربية الإسلامية في تكوين الحضارة الغربية ، مطبعة السفير ، عمان ، 2009 م ، ص 70، أيضا: محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية و الإدارية في الأندلس وشمالي افريقية (64-897هـ /683-1492م)، ط2، مؤسسة الرسالة ، (1406هـ/1986م) ، بيروت ، ص 15، بن حمّاد الجوهري ، (دط)، دار الحديث ، القاهرة ،(1430هـ/ 2009م)، ص5.

[2] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 31

[3] عبد الغفار حامد هلال ، كلية اللغة العربية بالقاهرة و ثمانون عاما في خدمة اللغة العربية و حمايتها ، (د ط) ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، 2012 م ، ص 10، إبراهيم الحاج يوسف ، دور مجامع اللغة العربية في التعريب ، رسالة ماجستير ، ط ، طرابلس ، 1999م ، ص 33.

[4] حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، تحقيق : الحبيب بن خوجة ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1986 م ، ص 143.

كانا [1] وفي طليعة هذه اللغات اللغة العربية بوصفها لغة العلم و المعرفة و الثقافة و الأدب مما دفع بغير أصحابها من أهل الأندلس نصارى ، ويهودا ، إلى الإقبال على تعلمها ن والتمكن منها ، وأجادتها ، أما بالنسبة للنصارى فليس يجد الباحث شاهدا دالا على ما كان من حرصهم و دأبهم في ذلك أقوى من صيحة الاحتجاج التي رفع بها القسيس القرطبي (ألفرو) عقيدته مستنكرا على إخوانه النصارى إفراطهم في حب اللغة العربية و الشغف بأدبها و جمع كتبها " يا للحسرة ، انّ الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب و آدابها ، و يؤمنون بها ، ويقبلون عليها في فنهم ، وهم ينفقون أموالا طائلة في جمع كتبها يا للألم ، لقد أنسي النصارى حتى لغتهم ، فأما عن الكتابة في لغة العرب فانك واجد فيهم عددا عظيما يجيدونها في أسلوب منمّق ، أما بالنسبة لليهود فقد أجاد عدد كبير منهم اللغة العربية و ألّفوا بها مصنفاتهم العلمية ، وكتبوا بها منشاتهم الأدبية ، والأمثلة على ذلك يعسر حصرها ، ولا ريب في أن تمكنهم من اللغة العربية و معرفة بعضهم بلغات أخرى ، فضلا عن لغتهم العبرية ، كالقشتالية و القطلونية ، كان مما جعل مساهمتهم في حركة الترجمة بالأندلس ملحوظة و مرموقة [2] و قد احتفظت العربية الفصحى ، في كل هذه الأمور وغيرها ، بثروة لفظية كبيرة [3]ويعلن مسكويه فيما نسبه إليه التوحيدي، أن النظم ينفصل عن النثر بفضل الوزن، والوزن حلية زائدة يصير بها الشعر أفضل من النثر، ومثاله من الكلام مثال اللحن من النظم على أن المعاني مشتركة بين الاثنين الشعر والنثر[4] و يكاد أبو حيان التوحيدي يكرر كلام مسكويه و ذلك إذ يؤكد أن "الانتثار والانتظام صورتان للكلام في السمع، لا يقصر على أحدهما حق أو باطل[5]

لعل من أقوى الشواهد على مدى السيطرة التي كانت لا تزال للغة العربية ولماضي العرب العظيم على الحياة الفكرية في ذلك العهد هذين العلمين اللذين انصبّ عليهما اهتمام المثقفين آنذاك : فقه اللغة و التاريخ ، فأما أولهما فكانت نشأته ذات صلة بالقران ، ذلك بأنه كان من الضرورة الماسة أن يفهم هذا

---

[1] حسن الوراكلي ، المرجع السابق ، ص 12- 13 .

[2] حسن الوراكلي ، المرجع نفسه ، ص 19- 20 .

[3] ابن فارس اللغوي (ت 395هـ/ 1005م) ، كتاب الفرق ، تحقيق : رمضان عبد التواب ، ط ، دار الرفاعي ، مصر ، (1402هـ/1982م) ، ص 3 ، انظر : جرجي شاهين عطيه ، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان ، ط4 ، دار ريحاني ، (د س ط) ، بيروت ، ص 2.

[4] أبو حيان التوحيدي و مسكويه ، الهوامل و الشوامل ، (د ط) ، القاهرة ، 1951 م ، ص 309 - 310 .

[5] أبي حيان التوحيدي ، أخلاق الوزرين ، تحقيق : محمد ابن تاويت الطنجي ، (د ط) ، المجمع العلمي ، دمشق ، 1965 م ، ص 08.

العدد الغفير من الداخلين حديثا في الإسلام ، والناشئين في بيئات لا تتكلم العربية ، كلام الله فهما كاملا ، وان يحسن أداءه في الصلاة المفروضة ، ليس هذا فقط ، بل لقد كان من الضرورة الماسة ان تمهّد السبيل أمام هؤلاء الأعاجم إلى امتلاك ناصية الدقائق المعنوية في العربية ، والتضلع من متّنها الزاخر بالمفردات ، والواقع انه كان يتعين على من يرغى في أن يحتل مكانة ما في المجتمع البغدادي [1] وهذا هو السبب الذي جعل معجم الخليل بن احمد البصري أساسا لنشأة فقه اللغة العربية وتطوره [2] لان ابن جنّي حدّ اللغة على وسيلة واحدة من وسائل التعبير و الاتصال ، وهو الوسيلة اللغوية التي تتمثل فيما يصدر عن الإنسان من الأصوات المعبرة عن أغرضه و حاجاته في شئون الحياة [3]

ضياع تاريخنا ، وأدبنا ، ودييننا ، و ثقافتنا ، وجميع تراثنا المدون في بطون أمهات الكتب ، منذ أربعة عشر قرنا ، لان استبدال اللغة العامية باللغة العربية يتمخض عنه — بعد مدة من الزمان — سوء فهم هذا التراث المكتوب باللغة الفصحى ، و بالتالي يضيع و يصبح نسيا منسيا ، إلا عن طريق الترجمة ، التي لا تبقي على النص العربي رونق الأسلوب ، ولا تفي له بالمعنى المطلوب ، ولاسيما معاني القران الكريم و الحديث الشريف ، اللذين بني عليهما صرح دين الإسلام [4] و مع تحويل الرواية اللغوية للقبائل العربية إلى تدوين تعلم الأدب بطريق التلقين ، و كانت بدايات ذلك قبل منتصف القرن الثامن الميلادي ، دخلت العربية لغة الثقافة و الحضارة في مرحلتها الكلاسيكية ، و في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي تغلبن الكلاسيكية (الفصحى) إلى حد بعيد لدرجة أن غير العرب استطاعوا أن ينافسوا العرب بنجاح ليس في مجال النثر ، بل الشعر أيضا ، و شكلوا الأدب العربي بوصفه تعبيرا عن مجتمع إسلامي عالمي ، وكان الشرط الجوهري لتلك الوظيفة العالمية العربية الكلاسيكية هو وجود نموذج لغوي ، لزمته معايير العرب و غير العرب على حد سواء [5] نقل الشيخ بدر الدين الزركشي في قواعده عن بعض المشايخ أنه كان يقول :العلوم ثلاثة :" علم نضج وما احترق ، وهو علم الأصول و النحو ، وعلم لا نضج و لا احترق ، وهو علم البيان و التفسير ، وعلم نضج و احترق ، وهو علم الفقه والحديث " فعلم النحو هو من العلوم التي

[1] و قد توسع صاحب خزانة الأدب القول في ذلك وقسم الشعراء ، إلى أربع طبقات :

طبقة الجاهليين وهم الشعراء الدين عاشوا في الجاهلية ولم يدركوا الإسلام ك امرئ القيس- النابغة طبقة المخضرمين: وهم الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام كلبيد وحسان بن ثابت و طبقة المتقدمين: ويقال لهم الإسلاميون أيضا : وهم الذين عاشوا في صدر الإسلام ولم يدركوا الجاهلية كجرير والفرزدق و طبقة المولدين: ويقال لهم المحدثون أيضا: وهم من جاءوا بعدهم كبشار بن برد و أبي نواس ، أنظر : البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (د ط) ، القاهرة ، 1967 م ، ص 3 .

[2] كارل بروكلمان ، المرجع السابق ، ص 192- 193 .

[3] عبد الله بن عبد الرحمان بن سعد العياف ، المرجع السابق ، ص 3 .

[4] محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 37.

[5] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 117- 118 .

نضجت وما احترقت ، فإذا استقريت كلام العرب فلا تجد أداة أو حرفا أو حالة من حالات الكلمة و الجملة إلا استنبط لها النحاة حكما ترجع إليه [1]

الخط العربي [2] مظهر من مظاهر الحضارة ، واثر من أثار الاجتماع و التجارة ، لذلك كان اسبق الأمم إليه المصريون و الفينيقيون ، واجهل الناس به البدويون ، فلم يعرفه العرب إلا في الجهة التي عرفتها الحضارة وارتقت فيها العمارة ، وهي اليمن ، كان اليمنيون يستعملون خطا سمونه المسند باسم لغتهم ، يكتبونه حروفا منفصلة ويزعمون أن الوحي نزل على كاتب هود ، ولكن المكتشفات الأثرية و علم مقارنة اللغات أثبتت أن الخط الفينيقي مصدر الخطوط السامية [3] و يروى أن أول من كتب الكتاب العربيّ و السريانيّ و الكتب كلها (ادم) عليه السلام ، قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتبها في طين و طبخه ، فلما أصاب الأرض الغرق وجه كل قوم كتابا فكتبوه ، فأصاب (إسماعيل) عليه السلام الكتاب العربيّ وكان (ابن عباس) بقول : أول من وضع الكتاب العربيّ (إسماعيل) عيه السلام وضعه على لفظة ومنطقة والروايات في هذا تكثر و تختلف و الذي نقوله في : أن الخط توقيف ، و ذلك لظاهرة قوله **عزوجل** : " **اقرأ باسم ربّك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربّك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم** " [4]و أخص مزايا هذا الانتقال نشوء طريقة تعليق الحروف بعضها ببعض ، و هو في مرحلة تاريخية تظهر بوضوح تطوّر الخط العربيّ إذا قيس بالنقوش التي ترجع إلى القرن الثالث للميلاد و ما قبله [5] لم توضع الحروف العربيّة وضعا ، و لكنّها تولّدت بتنوّع الحرف النبطيّ الذي كان شائعا في شمالي جزيرة العرب قبل الإسلام ، فتكون الحلقات في سلسلة الخط العربيّ ثلاثا : أولاها الخطّ المصريّ القديم بأنواعه الثلاثة (الهيروغليفيّ ، و الهيراطيقيّ ، و الديموطيقيّ) ، و ثانيها الخطّ الفنيقيّ ، و ثالثها الخطّ المسند ، والمسند عدّة أنواع عرف منها أربعة : الخطّ الصفويّ ، و الخطّ الثموديّ ، و الخطّ اللحيانيّ ،الخطّ السّبئيّ أو الحميريّ ، و من المسند تفرّع الخطّ الكنديّ و النبطيّ ، و من النبطيّ الخطّ الحيريّ و الأنباريّ

---

[1] خليل السكاكيني ، مطالعات في اللغة و الأدب ، (د ط) ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، 2014م ، ص 53.

[2] الزمن الذي عرفت فيه الكتابة كان منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، وقد ابتدأ الإنسان الأول في تعلمها برسمه أشكالا تدل على المعنى القائم في نفسه فرمز للكلام برسم مفتاح لأنه واسطة يفتح به الشيء المقفل ، ورمز للمراسلة البعيدة بصورة لطائر منشور الجناحين ، ورمز للحرب أو المخاصمة بشكل سهمين متعاكسين ، ثم توصل من أمثال هذه الرموز إلى تكوين اللغة ، أنظر : محمد بن مسعود ، تاريخ ليبيا العام من القرون الأولى إلى العصر الحاضر ، ج1، ط ، المطبعة العسكرية البريطانية ، تاوالت ، 1948 م ، ص10.

[3] احمد حسن الزيات ، المرجع السابق ، ص 60.

[4] سورة العلق : الآية : 1..5 .

[5] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 54.

، ومنه الخط الحجازيّ (و هو النّسخيّ العربيّ) ، و أمّا الكوفيّ فهو نتيجة هندسة و نظام في الخط الحجازيّ [1] .

إن لغة القران التي لا تفرق بين المعنى و الصياغة ، وبتكرارها المتنوع للصياغات و المعاني ، تفتح الوجدان و تملؤه بالقوة الدافعة التي تدفع به إلى الاستمرار أو التكرار المبدع إلى ما لا نهاية [2] قال جلّ ثناؤه " **والقلم وما يسطرون** " و إذا كان كذا فليس ببعيد أن يوقف ادم عليه السلام أو غيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب [3] و شاعت الكتابة بعد ذلك في العرب إطاعة لأمر الرسول ، ورغبة في كتابة القران ، وطمعا في دخول الدواوين ، وانتشرت معهم في الأقطار المفتوحة [4] و أما الكتابة الديوانية و متعلقاتها من كتابة السر و الإقطاع و الرسائل فقد كان الرسول يمليها بنفسه على كتابه أو يطلب إليهم أن يكتبوها و يعرضوها عليه فان استحسنها أجاز الكتاب و أرسله إلى صاحبه ، قال في صبح الأعشى: إن الديوان اسم ذلك أن النبي الموضع الذي يجلس فيه الكتاب [5] و اعلم أن هذا الديوان أول ديوان وضع في الإسلام و (ص) كان يكاتب أمراء و أصحاب سراياه من الصحابة و يكاتبونه ، و كتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام و بعث إليهم رسله بكتبه ، و كتب لعمرو ابن خرم عهدا حين وجهه إلى اليمن ، و كتب لتميم الداري و إخوته بإقطاع الشام ، وكتب كتاب القضية بعقد الهدنة بينه و بين قريش عام الحديبية ، وكتب الأمانات أحيانا إلى غير ذلك [6] كما خصص فقهاء لغة عرب آخرون لموضوع طريقة النطق أو الكتابة الخاطئة لغير المتعلمين لحن العوام دراسات خاصة ، و ينسب أقدمها – ربما بغير وجه حق – إلى الكسائي المتوفي (189هـ / 804م) .. بل يمكن القول كثيرا أن قيمتها بوصفها مصدرا للتاريخ اللغوي للعربية ومعرفة العربية الوسطى متفاوتة للغاية ، فمؤلف المعالجة المنسوبة ، كتاب ما تلحن فيه العوام (يشبه ابن قتيبة) [7]

---

[1] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 54 ، أنظر: حازم علي كمال الدين ، دراسة في قواعد النحو العربي في ضوء علم اللغة الحديث ، (دط) ، 1996م ، ص 18-19، أيضا : حسن ظاظا ، اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة ، ط2 ، بيروت ، (1410/1990م) ، ص29.

[2] جاسم الفاس ، المرجع السابق ، ص 20 .

[3] احمد بن فارس ، المصدر السابق ، ص 7.

[4] احمد حسن الزيات ، المرجع السابق ، ص 60.

[5] محمّد أسعد طلس ، المرجع السابق ، المجلد الأول ، ج 2 ، ص 117- 118 .

[6] محمّد أسعد طلس ، المرجع نفسه ، المجلد الأول ، ج 2 ، ص 117- 118 .

[7] و أما أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ (ت 270هـ / 889 م) ، فانّه كان كوفيّا ، و مولده بها ، و إنما سمي الدّينوريّ ، لأنه كان قاضي دينور ، وأخذ عن أبي حاتم السّجستاني و غيره ، و أخذ عنه أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه و غيره ، وكان فاضلا في اللغة و النحو و الشعر ، متفننا في العلوم ، و له المصنفات المذكورة ، و المؤلفات المشهورة ، فمنها : غريب القران ، و غريب الحديث ، و مشكل القران ، و مشكل الحديث ، و أدب الكاتب ، وكتاب المعارف ، و عيون الأخبار ، ودلائل النبوّة من الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام ، إلى غير ذلك من المصنفات ، أنظر : أبي العباس أحمد القلقشندي (756- 861 هـ / 1345- 1445م) ، المصدر السابق ، ص 185 – 186 .

الخط العربي هو الخط الذي نكتب به و نقرأ منذ السنين بل آلاف السنين [1] و أدى الاضطراب و اختلاف القراءات إلى إضافة علامات الحركات في أواسط القرن (الثاني الهجري / الثامن الميلادي) [2] لتثبيت معنى النص المقدس في مصاحف العصر العباسي (الرابع الهجري / العاشر الميلادي) ، وغدا الخط الكوفي الخالي من الحركات الأسلوب المتبع في فن الزخرفة الإسلامية ، وقد ظهر فن الخط العربي أول مرة في قبّة الصخرة في القدس ، بتاريخ (72هـ / 691م) في عهد الملك ، و الحروف هنا بدائية و خالية من المرونة و لكنها واضحة لأنها أعدت مقدما قبل تنفيذها في الفسيفساء ، وثمة عبارة تاريخية منقوشة بحروف كوفية مرسومة بشكل أفضل على الحافة الحجرية التي تعلو أحد الأبواب في قصر الحير الغربي الذي يعود تاريخه إلى عام (109هـ/727م) [3] ونحن نوجه نداءنا إلى جميع المحبين للجمال ، دون تمييز بين الأجناس و بين الأديان ، لكي يسخروا من هؤلاء المستشرقين ، الذين قد أدى بهم كرههم الشديد للقران – الذي هو أول ملهم للخط العربي العديم النظير – إلى تصور مشروع يعتبر انتهاكا لحركات التراث المقدس بحق ، ولعل الكتابة العربية هي أروع نمط زخرفي قد تخيله الإنسان ، و هي الوحيدة التي تستطيع أن نقول عنها – بدون مبالغة – أنها تكتسي روحا ملائما لصوت الإنسان عند التعبير عن الأفكار [4] و الواقع أن أن العربية كانت لا تزال هي لغة الأدب والتأليف ، غير منازعة ، ومع ذلك فقد ظهر عدد كم الشعراء ، الفارسيي الأصل ، الذين افتخروا في منظومهم ، جهارا ، بتراث الآباء و الأجداد ، ومجّدوا الفرس على حساب العرب ، ولقد برزت هذه النزعة ، في صورة أشدّ و أوضح ، في النثر الذي كانت تتفتح براعمة في الوقت نفسه ، فقد وضع رجل فارسي يدعى علان ، وكان نسّاخا في مكتبة البلاط أيام الرشيد و المأمون ، كتابا خاصا حشر بين دفتيه مثالب القبائل العربية المشتركة في الشعر القديم ، فلقب من اجل ذلك بالشعوبي ، أي المدافع عن تساوي الأمم في الحقوق ، كذلك تمثلت النزعة نفسها في عدد وافر من أثار ذلك العصر الكتابية [5] إن الكتابة العربية هي الأم لجميع الفنون الإسلامية ، تلك الأم العجيبة [6] مع مع الفتوحات الإسلامية ، باعتباره حاملا للنص القرآني و للثقافة الإسلامية ، وقد احتضنته الشعوب الإسلامية المختلفة و أسهمت في تطويره و أغنائه و الارتقاء بجمالياته عبر العصور ، فتعددت أنواعه حتى جاوزت المائة ، من النماذج البسيطة إلى النماذج الزخرفية التي تتمتع بمميزات تشكيله جمالية عالية ،

---

[1] محمد صالح الشنطي و آخرون ، ظاهرة الضعف اللغوي ، ط ، دار الأندلس ، المملكة العربية السعودية ، (1414هـ/ 1994م) ، ص 69 .

[2] سلمى الخضراء الجيوسي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 907- 908 .

[3] سلمى الخضراء الجيوسي ، المرجع نفسه ، ج2 ، ص 907- 908 .

[4] محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 38 .

[5] كارل بروكلمان ، المرجع السابق ، ص 191- 192 .

[6] محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع نفسه ، ص 39 .

بالإضافة إلى الطبيعة الوظيفية للخط العربي كانت خصائصه الفنية و الجمالية تتيح إمكانيات كبيرة للخطاطين للوصول إلى درجة عالية من الحرية في الابتكار و الإبداع ، وللوقوف على طبيعة الانتشار الذي حققه الخط العربي بانطلاقه مع الفتوحات الإسلامية .. وهو مكتوب باللغتين اليونانية و العربية الكوفية ، ويرتقي إلى سنة 568م و النقشان خاليان من التنقيط و حركات الشكل [1] اتخذ النبي لنفسه كتابا متعددين منهم من اختصه بكتابة الوحي ، ومنهم من كان يكتب له الرسائل ، ومنهم من كان يكتب إلى الأمراء في البوادي ، و منهم من كان يكتب له الإقطاع وكتب العهود و الصلح ، ومنهم من كان يكتب له أموره الخصوصية ، وقد روى بعض مؤلفي السير و كتب الحديث أنه (ص) كان يوصي كتابه ببعض الوصايا المتعلقة بشؤون الكتابة فقد ذكر السيوطي في آخر كتاب (بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة) حديثا مسلسلا بالكتاب من طريق عبد بن يحي الكاتب إلى سالم بن هشام الكاتب إلى عبد الملك بن مروان الكاتب إلى زيد بن ثابت رسول الله : أن رسول الله قال له : إذا كتبت (بسم الله الرحمان الرحيم) ، فبين (السين) ، فيه ، وفي (صبح الأعشى) و (الجامع الصغير) و غيرها عن أنس بن مالك أن معاوية كان يكتب للنبي فكان إذا رأى من النبي أعراضا وضع القلم في فيه فنظر إليه النبي فقال : يا معاوية إذا كنت كاتبا فضع القلم على أذنك فانه أذكر لك للمملي ، و أنه قال مرة لمعاوية حين كان يكتب بين يديه : ألق (الدواة) و حرف (القلم) و أقم (الباء) و جرّس (السين) و لا تعوّر الميم و حسن الله ومد الرحمان وجود الرحيم و أنه ندب الكتاب إلى تتريب الكتاب قال : تربوا الكتاب و نحوه من أسفله فانه أعظم البركة و أنجح للحاجة ، و قد ألف فيهم جماعة من العلماء منهم القضاعي المؤرخ ، ومنهم عمر ابن شبّة ، ومنهم محمد بن علي بن أحمد بن حديدة و اسم كتابه (المصباح المضي في كتاب النبي و في رسله إلى ملوك الأرض من عربي و عجمي) فرغ منه سنة (679هـ /1271 م) بمصر ، ومنهم الجمال الأنصاري ، ومنهم ابن أبي الجعد [2] و عمر رضي الله عنه أوّل من أرّخ الكتب ، و ختم بالطين ، وهو أول من جمع الناس على إمام يصلّي بهم التراويح في شهر رمضان ، وكتب بذلك إلى البلدان ، و أمرهم به ، وذلك – فيما حدّثني به الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، عن محمد بن عمر – في سنة أربع عشرة ، وجعل للناس قارئين : قارئا يصلي بالرجال و قارئا يصلي بالناس و هو أوّل من حمل الدّرة ، و ضرب بها ، وهو أوّل من دوّن للناس في الإسلام الدواوين ، وكتب الناس على قبائلهم ، وفرض لهم العطاء [3]

---

(1) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 54.

(2) محمّد أسعد طلس ، المرجع السابق ، المجلد الأول ، ج 2 ، ص 115.

(3) الطبري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 209 .

ثم انتشر بالتدرج و ترعرع في المجال الأوسع لبلدان الغرب الإسلامي ، وامتد تأثيره إلى البلدان الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء أو ما كان يعرف ببلاد السودان ، وقد استفاد في تطوره بهذه الرقعة الواسعة من تفاعل عناصر و مؤثرات محلية خاصة بكل بيئة .

ثم أدى هذا التطور إلى تحديد معالم خطوط أهل الغرب الإسلامي تبعا لخصوصيات كل جهة ، و الجدير بالقول : إن تطوير المغربية قد مر بثلاث مراحل :

1. المرحلة القيراوانية [1] : مس التطوير فيها بالخصوص الخط الكوفي الذي لازلت النماذج المعروفة بالكوفي القيرواني تعكس خصوصياته و تميزه عن الكوفي المشرقي
2. المرحلة الأندلسية : اتسمت بتطوير الخط الكوفي أيضا بالانتقال منه إلى الخط اللين الدقيق الذي يستعمل في الكتابة العادية ، فأدى ذلك إلى ظهور الخط القرطبي المبسوط في حدود القرن (4هـ / 10م) ، فأصبحت سمة التدوير غالبة عليه ، كما يذكر المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم و قد أثرت المدرسة الأندلسية هذه على الخط المغربي تأثيرا مباشرا .
3. المرحلة المغربية : مع انتقال الخط الأندلسي إلى المغرب في مرحلة مبكرة ، أي منذ العصر الموحدي ، استمرت وتيرة تطويره محليا ، و ظهرت ملامح تميزه عن الخط الأندلسي تدريجيا حتى أصبح يعرف بخط المغاربة أو الخط المغربي [2] تميل بعض الأبحاث العلمية بخصوص نشأة الحرف العربي إلى أن العرب أخذوا طريقة كتابتهم عن الأنباط [3] ولعل أهم محاولة جادة للتعريف بالخط المغربي هي ما قام به العلامة محمد المنوني في كتابه القيم تاريخ الوراقة المغربية و صناعة المخطوط ، حيث تتبع تطوره من خلال المخطوطات التي تعبر عن مراحله المختلفة ، وعرف بأجود النساخين الذين كان لهم دور في تطويره من العصر الوسيط حتى الفترة المعاصرة ، وقد اقتفى أثره باحثون آخرون [4] و بعد قيام الخط العربي و استقراره ظهرت خطوط كثيرة ، وكان لكل منها وظيفته الخاصة ، وإذا نحينا الخط الكوفي المستخدم في مخطوطات القران المبكر جانبا ، فسنجد انه تم اختراع نوع من الخطوط يستخدم في الدواوين ، ذلك بعد إصلاحات عبد الملك بن مروان ، بل و أصبح الخط واحد من أهم عناصر الفن الإسلامي ن ولما كانت الفنون التصويرية مكروهة فقد أصبح الخط العربي واحدا من أهم عناصر الزخرفة و التزيين [5]

---

[1] ا رشيد بن عبد السلام العفاني ، عقبة بن نافع الفهري 10هـ_ 63هـ فاتح المغرب ، الرباط ، 2013م ، ص 81.

[2] عمر أبا – محمّد المغراوي ، المرجع السابق ، ص 35.

[3] عمر أبا – محمّد المغراوي ، المرجع نفسه ، ص 17.

[4] عمر أبا – محمّد المغراوي ، المرجع نفسه ، ص 17.

[5] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 78.

كيف دخل فن الخط العربي إلى الأندلس ؟

الجواب هو : عن طريق النقود ، فقد تطلّب تنظيم الدولة الجديدة واقتصادها و تجارتها وجود عملة موحّدة للتداول ، وكانت الكتابة العربية موجودة منذ بداية الفتوحات و طوال عهد الولاة (الحكام الموالون للخلافة الأموية في دمشق) في الكتب و المصاحف بخاصة ، ولكن الغالبية العظمى من السكان بقوا على المسيحية لعشرات السنين ، إلى أن تغيّر الوضع بمرور الوقت ، وبنشوء جيل جديد و كذلك بوجود مزايا اقتصادية لمن يعتنق الدين الجديد ، فانتشرت اللغة العربية لأنها كانت ضرورية ليس للتكلّم و القراءة بلغة الحكام الجدد و حسب ، بل للكتابة بها أيضا ، ولكن فن الخط نفسه ربما دخل عن طريق النقد المتداول في البداية ، ثم عن طريق النصوص في مرحلة لاحقة ، والقران بخاصة ، وكلما تم استكشاف مخبأ النقود يعود تاريخه إلى عهد الولاة و الأمراء منهم على وجه الخصوص ، فانه غالبا ما يعثر على قطعة نقدية يؤكد ما نقش على حوافيها أن هذا الدرهم المصنوع من الفضة الراقية قد سكّ في مدينة واسط التي ما تزال ماثلة في عراق اليوم ، وتبدو الحروف الكوفية الجميلة أنيقة ومحكمة و متسقة مع بعضها [1] و يمكن تقسيم الخط العربي بحسب أسلوبه في الأندلس و في المنطقة الخاضعة لتأثير الأندلس في شمال إفريقيا إلى أربع مراحل متتالية : عهد الإمارة و الخلافة (92 – 422 هـ/ 711-1031م) ، عهد الطوائف (422 - 478هـ / 1031- 1085م) ، عهد المرابطين و الموحدين (478- 541هـ / 1085- 1147م) ، (541 - 629هـ / 1147- 1232) ، عهد بني نصر (629 - 897هـ / 1232-1492م) ، ولكل من هذه العهود سماته الخاصة ، كما يمكن تمييز مراحل واضحة من التطور عندما تكون الفترة طويلة كما هو حال الفترتين الأولى و الرابعة ، والخط الذي استعمل في البداية في المصاحف غدا في نهاية المطاف يستعمل في كتابة الشعر و في الزخرفة المعمارية و بأشكال فنية [2] أخرى **قال الله تعالى** :" **ن والقلم وما يسطرون**" [3] وكان إدريس النبيّ صلى الله عليه أول من خطّ بالقلم [4] و من هنا يقول الدكتور أنيس :" يظهر أن العرب القدماء في العصور الجاهلية و صدر الإسلام لم يكونوا يعبرون عما نسميه نحن باللغة إلا بكلمة اللسان تلك الكلمة المشتركة اللفظ و المعنى في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية ، وقد يستأنس لهذا الرأي بما جاء في القران الكريم من استعمال كلمة اللسان و حدها في معنى اللغة [5] إن العناية بقوانين اللّغة مذهب قديم جدا [1] و مازالت اللغة تتسع و تنمو

---

(1) سلمى الخضراء الجيوسي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 909 .

(2) سلمى الخضراء الجيوسي ، المرجع نفسه ، ج2 ، ص 910 .

(3) سورة القلم ، الآية01 .

(4) ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 73.

(5) عبد الغفار حامد هلال ، المرجع السابق ، ص 25 .

باتساع الملك و تقدم العلم ونمو الحضارة ، وتنتشر وتسمو في حمى الدين وظل الخلافة و سلطان العرب [2] كما تفرعت عربية قريش بعد الإسلام إلى لغات الشام ، و مصر ، و العراق ، و الحجاز و غيرها ، و لكن الفرق بين فروع اللغة السامية ، أبعد مما بين فروع اللغة العربية ، لتقيد هذه بالقران وكتب اللغة ، فإذا راجعت الألفاظ السامية المشتركة في العربية و أخواتها ، رأيت مدلولاتها قد اختلفت في كل واحدة عما في الأخرى ، و الأدلة على ذلك لا تحصى و لا تخلو المعجميات من شاهد أو غير شاهد في كل صفحة من صفحاتها [3] فالعلوم العربية هي العلوم التي يتوصل بها إلى عصمة اللسان و القلم عن الخطأ [4] ولعل أهم ما يتبادر إلى الذهن من أسئلة هنا ما يلي :

1- هل توجد طريقة أخرى لتربية الملكة اللسانية العربية ، و ما هي ؟

2- وكيف يمكن تطبيقها ؟

3- و ما مدى فاعليتها في تقويم اللسان و القلم ؟ [5] يقول ابن إياس عن العمري :" وقد رثى نفسه قبل أن يموت بهذين البيتين وجدا مكتوبين في ورقة في دواته ، بخط يده وهما قوله :

قلت لأقلامي اكتبي وانطقي فقالت الأقلام : واسوأتاه

و شقت الألسن من حزنها وولولت واسودّ وجه الدّواه [6] و اللغة العربية أقدم اللغات الحية ، فليس ثمت في العالم لغة محكية أقدم منها ، و لا تزال اللغة العربية تحتفظ بالإعراب تاما كاملا كما كان شأن جميع اللغات القديمة ، أما معظم اللغات الأخرى فقد فقدت الإعراب [7]

ثانيا : المراكز العلمية

انتشرت اللغة العربية في المغرب الإسلامي بطرق ووسائل وعوامل انتشار التعريب إلى المغرب بحركة الترجمة في الحواضر الإسلامية المعربة الكبرى بالمغرب والأندلس كالقيروان وتلمسان وبجاية وكان يتم التعليم الإسلامي العربي بالمناهج العربية التربوية و التعليمية لعلماء القيروان ولعل ما أبدعه أسد ابن الفرات وابن سحنون منهجا يتجاوز مداه الدين إلى أغوار اللغة العربية وتداولها باللسان العربي مع سكان الأندلس .

---

[1] خليل السكاكيني ، المرجع السابق ، ص56 .

[2] أحمد حسن الزيات ، المرجع السابق ، ص 154.

[3] جورج زيدان ، المرجع السابق ، ص 26 .

[4] مصطفى الغلاييني ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 311 .

[5] علي أحمد مدكور ، المرجع السابق ، ص 326 .

[6] علي محمد علي غريب ، شعر ابن فضل الله العمري (ت 749هـ/ 1348م) ، جمع وتوثيق ودراسة ، (دط) ، رسالة ماجستير في اللغة العربية ، جامعة الخليل ، (1429هـ/ 2008م) ، ص 44، عبد القادر المغربي ، عثرات اللسان في اللغة ، (د ط) ، (1369هـ/1949م) ، ص10.

[7] عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 35 .

قال ريجيس بلاشير : " و العربيّ بحكم وراثته يحبّ الكلام و سماع النّطق الجيّد ، و البدو تبعا لنوع معيشتهم مدعوّون إلى تنمية الميل للفصاحة ، فانّ اللغة العربيّة أداة قوية و غنية بالأصوات التي تدفع إلى التماس الأنغام الإيقاعيّة و الجمل القصيرة ، أو على العكس إلى الإطناب الذي يزيد حشو الكلام من قيمته ، كما أنّ حياة الصحراء تساعد على نموّ الموهبة الخطابيّة ..." ولئن هدف المستشرق ، في كلامه ، إلى إثبات الوجود النّثري في الجاهليّة ، فقد أشار إشارة واضحة إلى عوامل الخطابة الجاهليّة و أسباب ازدهارها [(1)] و منذ أواخر القرن الأول تنشأ طائفة جديدة من الرواة العلماء ، لا يتصلون بالشاعر ولا يلازمونه ، ولكنهم يطوفون في أحياء البادية و الأمصار يروون الشعر و يروّونه الناس ، و يتخذون هذا صناعة ، شأنهم في ذلك شأن القصّاص و المحدّثين في رواية الأخبار والحديث ، مثل حماد و المفضّل و خلف وأبي عبيدة و الأصمعي وغيرهم ، و هؤلاء الروّاة هم العلماء الذين حفظوا لنا الشعر و اللغة و الأدب بوجه عام ، وقد كانوا رواة و مفسّرين حين يحتاج الأمر إلى تفسير ، وكان تفسيرهم لغويّا أحيانا ، ومتصلا بالقصص و النسب أحيانا أخرى ، وربما ألموا بالنقد الأدبي الماما خفيفا ، كا لأصمعي الذي كان يدعوه الرشيد شيطان الشعر ، نزح بعض هؤلاء الرواة المحترفين إلى البادية ، يأخذون الشعر من أفواه الاعراب ، ويعودون به تجارة رابحة في الحواضر ، واعتمد بعض على من كان يلقاه من الاعراب في هذه الحواضر .. وقالوا أن الأصمعي يحفظ نصف اللغة ، وقالوا أن الأحمر صاحب الكسائي و مؤدب الأمين يحفظ أربعين ألف بيت شاهد في النحو ، سوى ما كان يحفظ من القصائد و أبيات الغريب ، و قالوا إن الفرّاء أملى كتبه كلها حفظا ، لم يأخذ بيده نسخة إلا في كتابين [(2)].

بعض الروايات الأدبية ، فيقولون مثلا : الصقر بالصاد من الطيور الجارحة ، و بالزاي لغة ، و قد يروي لنا أن أعرابيا يقول في معرض الحديث عن مسألة نحوية : ليس هذا لحني ولا لحن قومي ، وكثيرا ما يشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم و لغة طيّئ ولغة هذيل ، ولا يريدون بمثل هذا التعبير سوى ما نعنيه نحن الآن بكلمة اللهجة " [(3)] قال ا بن خلدون :" سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول الأدب و أركانه أربعة دواوين ، وهي كتاب الكامل للمبرد ، وأدب الكاتب لابن قتيبة [(4)] ، وكتاب البيان و التبيين للجاحظ للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفرع منها [(5)]

---

(1) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 116 .

(2) الخطيب التبريزي ، ديوان أبي تمام ، تحقيق : محمد عبده عزّام ، المجلد الأول ، (دط) ، ط 5 ، مطابع دار المعارف ، القاهرة ، 1987م ، ص 7.

(3) عبد الله بن عبد الرحمان بن سعد العياف ، المرجع السابق ، ص 6.

(4) ابن قتيبة : النحوي اللغوي صاحب كتاب " المعارف "و " أدب الكاتب " كان فاضلا ثقة سكن بغداد ، البغدادي ، المصدر السابق ، ص 17، أنظر : محمد عبد الخالق عضيمة ، أبو العباس المبرد و أثره في علوم العربية ، ط ، الرياض ، (1405هـ/ 1984م) ، ص 7.

(5) خليل السكاكيني ، المرجع السابق ، ص 73 .

و من خصائص اللغة العربية أنها تميل إلى المجانسة الصوتية [1] فمع انتشار صناعة القلم ، وإحسان الكثيرين من كتابنا الالباء ملكة اللغة ، وإتقانهم علوم اللسان ، لا نزال نرى حتى في كلام الراسخين في اللغة و الإنشاء شذوذ عن القياس أو السماع في ألفاظ اللغة و إحكامها وتعلقا بأساليب وتراكيب لا يحكمها طبع ، ولا يعينها ذوق ، ولا تلائم الحياة ، ولا تنطبق على ما تقتضيه الحالة [2] فآباء الكنيسة في اسبانيا و مصر جعلوا خطبهم بالعربية ، و ترجموا الأناجيل من اللاتينية إلى العربية لما رأوه من إقبال النصارى عليها ، وظلت العربية سائدة في اسبانيا حتى عام (1016هـ/1607م) .

قال المستشرق دوزي في كتابه " الإسلام الأندلسي " ، " أن أرباب الفطنة والتذوق " من النصارى " سحرهم رنين الأدب العربي فاحتقروا اللاتينية و صاروا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها " وقال أحد رجال الدين النصارى : وأسفاه أن الجيل الناشيء من المسيحيين الأذكياء لا يحسنون أدبا أو لغة غير الأدب العربي و اللغة العربية و أنهم ليلتهمون كتب العرب و يجمعون منها المكتبات الكبيرة بأغلى الأثمان " وهكذا صارت اللغة العربية لغة الدين و العلم و الحياة و الحضارة [3] أما عند المحدثين فالعلاقة بين اللغة و اللهجة هي علاقة الخاص بالعام ، فاللهجة مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، و يشترك في هذه الصفات أفراد هذه البيئة ، واللغة تشمل على عدة لهجات لكل منها ما يميزها ، و جميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية و العادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات[4] و أما القراءة فهي من أهم مصادر اللغة ، أين توجد اللغة ؟ اللّغة لاتوجد في كتب النحو و لا في معاجم اللغة ، وإنما توجد في أدبياتها ، في أشعارها أ في أمثالها ، في كتب تاريخ الأمة و أخبارها ، في كتب علومها ، كالحساب والجغرافيا وسائر الفروع [5]ومبادئ الأدب العربيّ غامضة لضعف عوامل التدوين التدوين في التاريخ العربيّ القديم ، ولاعتماد الأدباء و الشّعراء على ذاكرة الرواة والمنشدين ، وجلّ ما نعرفه أن نشأة الأدب عند العرب تضيع أوائلها في الماضي السّحيق ، وذلك أنّ العربيّ ميّال من طبعه إلى الإنشاد و التغنّي بمقاطع موزونة مقفّاة ، تتموّج بين ألفاظها الصّور و الألوان ، وتنطلق في أثنائها الثورات العاطفيّة مختلفة الأوتار و الألحان ، وكان ذلك التغني في اغلب الأحيان حداء وأراجيز تنوّعت مع الأيام ، وتعدّدت

---

[1] محمد سالم محين ، المرجع السابق ، ص 7.

[2] خليل السكاكيني ، المرجع السابق ، ص 75 .

[3] أحمد بن عبد الله الباتلي ، أهمية اللغة العربية و مناقشة دعوى صعوبة النحو، ط، مطبعة السفير ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، (1412هـ/1991م) ، ص 12 ، صالح إدريس محمد ، تاريخ الدعوة الإسلامية في الأندلس ، (دط) ، رسالة ماجستير من جامعة محمد بن سعود ، السعودية ، (1414هـ /1993م) ، ص 7-8.

[4] عبد الله بن عبد الرحمان بن سعد العياف ، المرجع السابق ، ص 6.

[5] خليل السكاكيني ، المرجع نفسه ، ص 62 .

فروعها فصارت أوزانا شعريّة ذات أقيسة و قواف ، وصارت ذات أغراض مختلفة ،أو خطبا و أحاديث تناقلتها السنة الرّواة إلى أن شاعت الكتابة ، فدوّن منها ما لم يأت عليه الدّهر و لم يمحه من سجلّ الوجود [1].

و من الوسائل التي ساعدت على نشر الإسلام بعمق بين البربر المسجد و هي من أهم مراكز العلم في المغرب الإسلامي ، حيث كان يموج بالفقهاء و العلماء و الطلاب و كان الشيوخ يجلسون عند أحد الأعمدة و يتحلق الطلاب حولهم ثم يتولى هؤلاء الشيوخ تدريس العلوم الدينية و الشرعية و النحو و اللغة [2] و ما إن ظهر القران الكريم حتى ثبّتها و عمل على حفظها بالرّغم من تقلّبات الأيام و أحداث الزمان [3] أن نص القران يمثّل أفضل صورة للعربية ، بل إن فيهم من ظن أن أسلوب القران و لغته لا يمكن تقليدهما في الوضوح و السلامة اللغوية (إعجاز القران) ، ولكن القران لا يستخدم كلمة " عرب " كاسم ، ولكن يستخدم الصفة منها "عربي " ، أما صيغة الجمع " أعراب " فتدل على بدو الصحراء الذين رفضوا رسالة النبي محمد (ص)، انظر مثلا سورة التوبة حيث يقول عزوجل " الإعراب أشد كفرا ونفاقا ، تستخدم الصفة " عربي " مع اسم " لسان " للتدليل على وحدة تفوق مستوى القبائل ..ولكن بعد مرحلة الفتح بدأ المجتمع الحضري العربي ينظر إلى البدو الرحل ، الذين حافظت لغتهم على نقاء العربية الأصيل ، على أنهم العرب المثاليون ، و أصبح تركيب " كلام العرب " تعبيرا عن اللغة النقية البدوية [4] القران أول كتاب دوّن في اللغة العربية ، فدراسته ضرورية لتاريخ الأدب ، لأنه مظهر الحياة العقلية و الحياة الأدبية عند العرب في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع للمسيح [5]

بهر العرب ببلاغة القران ، وملأت نفوسهم عقائد الإسلام و آدابه و شغلتهم الفتوح فصرفهم ذلك كله عن قول الشعر وروايته إلا قليلا [6] ومن أكبر الدلالة على ما حذقوه من حسن البيان أن كانت معجزة الرسول الكريم و حجّته القاطعة لهم أن دعا أقصاهم و أدناهم إلى معارضة القران في بلاغته الباهرة ، وهي دعوة تدل في وضوح على ما أتوه من اللّسن و الفصاحة و القدرة على حوك الكلام ، كما تدل على بصرهم بتمييز أقدار الألفاظ و المعاني و تبيّن ما يجرى فيها من جودة الإفهام و بلاغة التعبير ، ويروي أن الوليد بن المغيرة أحد خصوم الرسول الألدّاء استمع إليه و هو يتلو بعض أي القران ، فقال : " و الله لقد

---

(1) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 36 .
(2) عبد الحميد حسين حمّودة ، المرجع السابق ، ص 173.
(3) حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 51 .
(4) كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 53.
(5) احمد حسن الزيات ، المرجع السابق ، ص 67 .
(6) عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 36 .

سمعت من محمد كلاما ، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، وان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق " ، وفي كلام الوليد ما يظهرنا على أنهم كانوا يعربون عن إعجابهم ببلاغة القول في تصاوير بيانية ، ويعرض علينا الجاحظ في بعض فصوله بكتابه " البيان و التبيين " كيف كانوا يصّفون كلامهم في شعرهم و خطابتهم ببرود العصب الموشّاة و بالحلل و الديباج و الوشى و أشباه ذلك ، وكثيرا ما وصفوا خطباءهم بأنهم مصاقع لسن ، كما وصفوهم باللوذعية و الرّمى بالكلام العضب القاطع ، و في أمثالهم جرح اللسان كجرح اليد ، و يروى أن الرسول الكريم استمع إلى بعض خطبائهم ، فقال : إن من البيان لسحرا ، ونفس أدبهم الذي خلّفوه يحمل في تضاعيفه ما يصور فصاحة منطقهم ، وكيف كانوا يتأتّون للكلام ، حتى يبلغوا منه كل ما كانوا يريدون من استمالة القلوب و الأسماع [1] وفي القران من الرموز أشياء ، عظيمة القدر جليلة الخطر ، وقد تضمنت علم ما يكون.. [2] رأينا بيئات كثيرة تعنى بالبحث البلاغي في القرن (الرابع الهجري / العاشر الميلادي) ، مما هيّأ لنموه [3] ولقد كان نزول القران الكريم باللغة العربية هو أعظم عوامل الحفاظ عليها وانتشارها " فلقد انتشرت العربية عن طريق القران الكريم انتشارا واسعا ، كما لم تنتشر أية لغة من لغات العالم ، فهي لكل المسلمين اللغة الوحيدة الجائزة في العبادة ، ولهذا السبب تفوقت العربية تفوقا كبيرا على اللغات التي يتكلمها المسلمون [4] فقد قال لسان الدين بن الخطيب ابن جد فضلاء الأندلس ".. إياكم و الكذب فهو العورة التي لا توارى ، والسوء التي لا يرتاب في عارها و لا يتمادى واحترس من عثرة اللسان ، فربّ رأس حصيد لسان واحبس لسانك عن النطق حيث يحمد الصمت فما على الأرض شيء أحق بطول سجن من لسان [5] و من المعلوم أن القران هو أول كتاب ينطق بلغة العرب الخالصة ، ولا يستطيع احد معرفة اللغة العربية و فصاحتها و بلاغتها ، و أسرارها إلا بدراسة القران ، واتخاذ إماما و منارا يهتدي به في علومها ، هذا بالنسبة إلى غير المسلمين الذين لا يهمهم من القران إلا ما فيه من فصاحة و بلاغة ، وانه حجة في اللغة العربية ، فكيف بالمسلمين الذين يجب عليهم – إن كانوا مسلمين حقا – أن يتخذوا القران إماما و سراجا منيرا ، يتبعونه و يهتدون به في دينهم ، يحلون حلاله ، و يحرمون حرامه ، و يتخذونه حكما ، فيه شريعتهم ، ومنهاج أخلاقهم ، و هدايتهم ، وشفاء صدورهم ، وروح أرواحهم [6] و قد اعتبروه في أعلى درجات الفصاحة، و خير ممثل للغة

---

[1] شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 9 – 10 .

[2] شوقي ضيف ، المرجع نفسه ، ص 99 .

[3] شوقي ضيف ، المرجع نفسه ، ص 139 .

[4] على احمد مدكور ، المرجع السابق ، ص 50 .

[5] جمعية تأليف الكتب العربية ، أدب المملى ، ط ، مطبعة أبي الهول ، دار الكتب العربية ، (1329هـ/1911م) ، ص 165.

[6] تقي الدين الهلالي ، المرجع السابق ، ص 38 .

للغة الأدبية المشتركة ، ولذا وقفوا منه موقفًا موحدًا فاستشهدوا به، و قبلوا كل ما جاء فيه، و لا يعرف أحد من اللغويين قد تعرض لشيء مما أثبت في المصحف بالنقد والتخطئة و يقول الراغب الأصفهاني في كتابه " المفردات" مبينًا قيمة اللفظ القرآني : " ألفاظ القرآن الكريم هي لب كلام العرب [1] و للكلام عيوب كثيرة منها اللحن و مخالفة القياس الصرفي و ضعف التأليف و التعقيد والتكرار و تتابع الإضافات إلى غير ذلك من الأشياء التي تكون ثقيلة على اللسان مخالفة للذوق و العرب غريبة على السمع [2] و لنا في القران الكريم أسوة حسنة ، من حيث توحيد لغات العرب في لغة واحدة ، ألا و هي لغة قريش و قد كان هذا التوحيد من أقوى الأسباب ، التي عملت على حفظ اللّغة العربيّة و بقائها حيّة سليمة ، و نشرها في الأمصار و الأقطار [3]

و أخذت تنمو هذه العناية بعد ظهور الإسلام ، بفضل ما نهج القران ورسوله الكريم من طرق الفصاحة و البلاغة ، أما القران آياته تتلى في أناء الليل و أطرف النهار ، وأما الرسول فكان حديثه يذيع على كل لسان ، وكانت خطبه ملء الصدور و القلوب ، و فيه يقول الجاحظ انه " لم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حفّ بالعصمة .. و هو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، و غشّاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة و الحلاوة ، و بين حسن الإفهام و قلة عدد الكلام ، مع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته .. و لا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا وأحسن موقعا و لا أسهل مخرجا و لا أفصح معنى و لا أبين في فحوى من كلامه (ص) [4] .

لم تكن النصوص الأدبية في المغرب تختلف عن ما في المشرق لان لغة الأدب واحدة ولأن الموضوع المتناول أيضا يكاد يكون واحدا [5] و نحن نعتبر ترجمة القران الكريم إلى لغة غير اللغة التي نزل بها مضيعة للوقت ، و ضربا من ضروب الضلال و التّضليل ، و لو أنفق هؤلاء المترجمون أوقاتهم في تعليم لغة القران و تعلّمها لكان أحوط لهم و أنفع للناس [6] وذلك لان العربية لا تعاف الترجمة و لا تخشاها لشجاعتها ، إنما تصبغها بصبغة عربية في أبنيتها [7]

---

[1] أحمد مختار عبد الحميد عمر ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 13 .

[2] أحمد الهاشمي ، المرجع السابق ، ص 18 ، انظر أيضا : www.almeshkat.com

[3] محمّد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 18 .

[4] شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 13 .

[5] العربي دحو ، الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الأمارات الأغلبية و الرستمية و الأدارسة (30هـ/230م) ، (د ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، (د س ط) ، ص 33 - 34 .

[6] محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 17.

[7] سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 70.

النثر أقدم نشأة ودورانا على الألسن من الشعر ، إلا أن النثر لما كثر أصبح مبتذلا فلم يهتمّ العرب برواية الشعر ، حتى روى ابن رشيق قول من قال أن " ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلّمت به من جيد الموزون ، فلم يحتفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره [1] لم يكن للنثر في الجاهليّة ما كان للشّعر من شأن ومكانة ، ولما ظهر الإسلام و اتّسع نطاق الحكم العربيّ تعقّدت مصالح الدّولة [2] والكلام الجيّد نوعان : نثر و شعر ، أما النثر فهو الكلام الذي يجري على السليقة من غير التزام وزن ، وقد يدخل السجع و الموازنة و التكلّف الكلام ثم يبقى نثرا ، إذا بقي مجردا من الوزن ، وأما النظم فهو الكلام الموزون المقفى فإذا امتاز النظم بجودة المعاني و تخيّر الألفاظ و دقة التعبير و متانة السبك وحسن الخيال مع التأثير في النفس فهو الشعر [3] يرى الدكتور إحسان عباس أن المفاضلة بين الشعر والنثر" هي محاولة لتفسير ما كان سائدا في المجتمع من رفعة الكاتب، وانخفاض شأن الشاعر" [4]و يسوق الجاحظ حوارا طريفا بين أبي الأسود الدّؤلي و غلام كان يتقعّر في كلامه ، وقد تلوّمه أبو الأسود تلوّما عنيفا لاستخدامه ألفاظا مفرطة في الغرابة [5] من بين الكتاب الكاتب أمية بن زيد، كاتب الوالي يوسف الفهري ، وكاتب الأمير عبد الرحمن الداخل، كانت الكتابة في عصر الولاية والإمارة مختصرة على الرسائل القصيرة ، خالية من الزخارف جزلة الألفاظ ، بدوية الأساليب، لكنها تطورت في عصر الخلافة [6] في بداية العصر الإسلامي كان هناك مصدران اثنان فقط اللغة الأدبية العربية ، هما القران و الشعر الجاهلي ، ولذلك ليس من الغريب أن يلعب هذان المصدران الدور المحوري في تقعيد اللغة العربية الفصحى و تطورها ، وليس من الغريب كذلك أن تكون ، أول أنشطة علمية في الإسلام متركزة على النص القرآني ، الذي كان ينتشر [7].

وكانت البادية المدرسة التي ينشأ فيها الشعراء النابهون [8] فكتب في القباطي بماء الذهب و علّقت علّقت على أستار الكعبة ، هذا ما ذهب إليه ابن عبد ربّه (327هـ /939م) و ابن رشيق (456هـ /1064م) و ابن خلدون (732- 808هـ/1332- 1406م) وغيرهم كثيرون ، إلا أنّ أبا جعفر

---

(1) عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 88- 89 .

(2) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 323 .

(3) عمر فروخ ، المرجع نفسه ، ص 45.

(4) إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ط 4 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983م ، ص399 .

(5) شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 15.

(6) مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج 3 ، (د ط) ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، 1974م (د س ط) ، ص260 .

(7) كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 70.

(8) www.meghaiernews.com

النحّاس (339هـ / 950م) قد أنكر هذا الرأي وذهب إلى أن حمّادا الراوية هو الذي جمع هذه القصائد و سمّاها المعلّقات في مطلع العهد العباسيّ ، وذهب مذهبه كثيرون من العلماء [1] رأينا عرب الجاهلية يبلغون من حسن البيان مبلغا رفيعا جعلهم يميّزون بين صور الكلام و يدون بعض الملاحظات البلاغية البسيطة عليه ، ونمت هذه الملاحظات بعد ظهور الإسلام بما نصبه القران الكريم و الحديث النبوي أمامهم من مثل أدبية رائعة ، وسرعان ما استقروا في المدن و الأمصار و ارتقت حياتهم العقلية ، مما هيّأ لملاحظات بيانية كثيرة عن الخطابة و الخطباء و الشعر و الشعراء وأخذت هذه الملاحظات تتسع [2] وأشعار بني هلال حافلة بالحكم و المواعظ التي تربي الأجيال [3] نلاحظ أن شعرهم ملحون و بسيط ، وفيه من الحكم ما يجعلنا نقول بأنه يصلح لإدراجه في المناهج التربوية [4] وفي القران الكريم تظهر لغة الشعر العربية القديمة للمرة الأولى في عمل نثري [5] ويبدو أن الشعر الملحون ، يبدو أنه ورد عن بني هلال هلال ، ويبدو أن شعراء الهلاليين كانوا يصورون بعض ما يعترونه من أطوار حربية و اجتماعية و عاطفية ، فظلت هذه الظاهرة قائمة في القصيدة الشعبية [6] و لابدّا أن لليهود شعرا نظم بالعربيّة في الغزل و في غيره غيره من فنون الشّعر لأنّ كثيرا منهم تعلّم العربيّة [7] والشعر خير الوسائل لتخليد الإنتاج الفني ،" فما تكلمت به العرب من جيد المنثور ، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره " [8] و يبدو أن الشعراء كانوا يدونون أشعارهم أيضا .. و افريقية و الأندلس و و من أسباب اللحن سكنى المدن التي يكثر فيها الأعاجم [9] أما ما يعود إلى تطور النثر و الشعر فمردّه إلى أن كثيرين من الفرس و الموالي أتقنوا العربية و حذقوها ، و اتخذوها لسانهم في التعبير عن عقولهم ومشاعرهم ، وأظهروا في ذلك براعة منقطعة النظير ، و قد أخذوا هم ومن يرجعون إلى أصوله عربية خالصة يشعرون بجامعة العروبة العامة و يتنفسون الحضارة العباسية ويصطبغون بأصباغها الثقافية ، وينهضون من

[1] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 149 .

[2] شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 368 .

[3] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 204.

[4] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص208.

[5] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 112.

[6] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 208.

[7] نافزة ناصر الشّرباتي ، اليهود و أثرهم في الأدب العربي في الأندلس ، رسالة ماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا بجامعة الخليل ، (د ط) ، 2007م ، ص 110.

[8] أبي عثمان عمر و بن بحر الجاحظ (150-255هـ / 767- 869م) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، البيان و التبيين ، الجزء الأول ، ط 7، مطبعة المدني ، القاهرة ، (1418هـ/1998م) ، ص 11.

[9] عمر فروخ ، المرجع السابق ،ص 38، أيضا: محمد رجب البيوسي، الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير ، السعودية ،(1400هـ/1980م)، ص12.

خلال ذلك بالنثر و الشعر جميعا نهضة واسعة [1]إن كلمة الشاعر لدى العرب تعني في الأصل " العارف " أو المالك40 لمعرفة لم تتيسر لأبناء القبيلة الآخرين ، إن هذه المعرفة ترجع إلى أنها من وحي شيطان خاص للشاعر و هو الذي يوحي إليه و يغويه ، **قال تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ }** [2] .

و كان الشّعر ينتشر من تلك الأصقاع في جميع نواحي البلاد حاملا إليها لهجة قريش و أسلوبها ، و هكذا كانت اللغة المشتركة المثالية قريبة من لغة قريش كلّ القرب [3] قال مارسيه :" إنّ لغة الشّعراء العرب هي لغة شعريّة لم تكن لغة تخاطب ، و هي قائمة ، في الأصل ، على لهجة أهل نجد " و قد انتشرت تلك اللهجة ، وسيطرت شيئا فشيئا ، وكانت قريش أفصح من نطق بها ، و لما ظهر الإسلام ثّبت تلك اللغة و نشرها في كلّ مكان استقرّ فيه ، فباد كلّ ما سواها و لم يبق له اثر يذكر [4] من تدبر تدبر العلوم اللسانية في اللّغة العربية : كالصرف والنحو [5] و لذا يصعب أن نقدر مدى إسهام علماء اللغة الذين دونوا القصائد و هذبوها و شرحوها في شكل النصوص التي وصلت من خلالها إلينا ، وتشير الحالات الكثيرة لألفاظ غريبة و صيغ و أشكال اعراب أطلق عليه بوجه عام خصائص أسلوبية (Idiomatismen) أو صيغ لهجية (lugat) أو تنسب إلى الاستعمال اللغوي لقبائل معينة ، و يستشهد علماء اللغة العرب في أبيات أيضا [6] كان علماء اللّغة في قديم الزمان لا يعرفون غير غير اللغة العربية [7]

و هذا الاشتقاق و المجاز و القلب و الإبدال والنحت ، هو الذي جعل اللغة العربية تستطيع أن تكون لغة القران الكريم والحديث و ما فيها من معاني السمو و الرفعة وما فيها من تعبيرات دينية واجتماعية و تشريعية [8] لم تختلف كثيرا موضوعات الشّعر في الأندلس عنها في الشّعر العربيّ التّقليديّ [9] و قد استتبع عطف بني أمية على مدحهم من الشعراء أن يتعصب عليهم من لم يفز بنوالهم و عطاياهم أو من

---

(1) شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 19.

(2) سورة النحل ، الآية 35 .

(3) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 52 .

(4) حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 50 .

(5) خليل السكاكيني ،المرجع السابق ، ص 9 .

(6) فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 113 .

(7) خليل السكاكيني ، المرجع نفسه ، ص 10 .

(8) أحمد أمين ، المرجع السابق ، ص 289.

(9) نافزة ناصر الشّرباتي ، المرجع السابق ، ص 110.

كان يحقد عليهم سياسيا كالخوارج و الشيعة و الزبيرية و المهالبة ، فمن شعراء بني أمية : أعشى ربيعة عبد الله بن خارجة و نابغة بني شيبان عبد الله ابن محارق ، وكان من شعراء عبد الملك و له معه أخبار كثيرة ، و عدي ابن الرقاع من شعراء الوليد ، وأبي صخر عبد الله بن سليم الهذلي من شعراء عبد الملك [1] و قد كان للعصبية أثرها الفعال في شيوع الشعر بين القبائل ، لأن القبيلة كانت تحتاج إلى الشعر للذوذ عنها و إذاعة محامدها و الرد على مناوئيها كما أن الشاعر كان رسول القبيلة إلى الخليفة ينطق باسمها، و يعبر عن معانيها ، فإذا حل هذا الشاعر مكانه و فاز برضاه عدت القبيلة ذلك سموا لمكانتها [2] إن الحداثة التي ينبغي للأدب الإسلامي التزامها ، هي التي تحسن استثمار النسق الحضاري الإسلامي و مكوناته ، ذلك أن الحداثة إسلامية كانت أم غير إسلامية كي تكون أصيلة و حقيقية لابد أن تنبثق من أعماق نسقها الحضاري [3] غير أننا نرى لغة الشعر الشعبي في كل مكان تبتعد بشكل مّا عن اللغة المتداولة في درج الكلام ، و أكثر من ذلك ينبغي ألا ننسى أن أشعار أولئك الرعاة قد وصلت إلينا بوساطة أولئك اللغويين و النحاة الأقدمين الذين ، كما نعرف ، قد نقّحوا و صححوا من نصوصها ، وعلى هذا فان منهج النقد للنصوص الذي نتبعه غريب عمّا كان لديهم غرابة تامّة ، على أن طرائقهم في العمل النقدي شبيهة بما نجده لدى الإغريق الأقدمين [4]

ثالثا : العلوم و الآداب العربية

لقد انتشر القصّص في ذلك العهد انتشارا يذكر ، و كان منه الإخباريّ ، و الفخريّ ، و البطوليّ ، وما إلى ذلك ، وانتشر القصص الدّينيّ بنوع خاص ، ذلك القصص الذي يدور حول الدّين و الرسل و الأنبياء و يرمي إلى غاية دينية ، أخلاقية ، اجتماعية ، و قد جاء في كتاب " الخطط و الآثار " للمقريزي أنّ " أول من قصّ في مسجد رسول الله (ص) و سلم تميم الدّاريّ ، استأن عمر أن يذكر الناس فأبى عليه ، حتى كان أخر ولايته فأذن له أن يذكر يومين في الجمعة فكان تميم يفعل ذلك " ، و أسلوب ذلك القصص أن يجلس القاصّ في المسجد و حوله الناس فيذكرهم بالله و يقصّ عليهم حكايات و أخبارا في شتى الأغراض و الموضوعات ، وقد ارتفع شأن القصص حتى أصبح إذ ذاك عملا رسميا يعهد فيه إلى رجال رسميّين يعطون عليه أجرا ، و قد أدخل القصص على المسلمين كثيرا من أساطير الأمم الأخرى ومن أخبار

---

[1] محمّد أسعد طلس ، المرجع السابق ، المجلد الأول ، ج 4 ، ص 218 - 219 .
[2] محمّد أسعد طلس ، المرجع نفسه ، المجلد الأول ، ج 4 ، ص 218 - 219 .
[3] جاسم لفارس ، المرجع السابق ، ص 21 .
[4] اغناطيوس غويدي ، المرجع نفسه ، ص 55 - 56 .

اليهود و النصارى ، كما اعتمد في كثير منه على الكتاب المقدس و القران الكريم ، فجاء فنّا قائما بذاته ، تختلط فيه الحقيقة بالخيال ، ويمتزج فيه الدين بالأسطورة [1] فالألفاظ تلفظ هواء فارغا ، منها ما تذهب مع الرياح و الهواء السائل في الفضاء ، ومنها ما يكتب لها البقاء و الثبات على مر الدهور و السنين ، فتنقش على الجدران ، أو تزبر في الألواح المزبورة و الصحف المسطورة فيتناقلها الخلف عن السلف ويتوارثها لاحق عن سابق [2]

كانت الخطابة الأمويّة سياسية في الدرجة الأولى ، فكان للحزب الأمويّ خطباؤه يدعون إلى طاعته ، و يعلنون حقّه في الخلافة ، ويناهضون مناوئيه ، و يهدّدون الخارجين و المارقين ، ومن أشهر هؤلاء معاوية بن أبي سفيان و زياد ابن أبيه (553- 673م) ، والحجّاج ابن يوسف (41-95هـ / 661-714م) ، وكان للشيعة خطباؤها و على رأسهم الإمام علي بن أبي طالب ، و دعواهم أنّ الخلافة حقّ شرعيّ لهم ، وأن معاوية مغتصب [3] و هذه الحياة عند الحجّاج يساندها لسان من أعنف الألسنة بيانا ، وأشدّها إغرابا ، وأوجزها تركيبا للعبارة ، و أبرعها اختيارا للفظة المعبرة عن اعنف معنى أتمّ ما يكون التعبير ، وأعنف ما يكون الأداء ، وأعنف ما تكون الموسيقى المرافقة لذلك الأداء المقررة لذلك المعنى ، إن الألفاظ عند الحجّاج هي صرخات نقمة ، ووخزات و حشيّته في قلوب الناس ، وطعنات شذوذ في ضمير الوجود [4] و هكذا كان الحجّاج يخطب بنفسه و قلبه و لسانه ووقفته و حركة اليدين و العينين ، وكان كلامه دائما كلام البلاغة التي لا تطلب الاقتناع بقدر ما تطلب الإذعان و الانقياد [5] و الحجاج في ذلك أقدر من زياد ، لتمكّن النزعة البدوية فيه ، و سلطانه الواسع على اللغة و أساليبها ، و تأصّل الموهبة الفنيّة في قواه الذّهنيّة و اللسانيّة [6] و مما اختصت به لغة العرب من نتائج هذا النمو ، وورود الألفاظ الكثيرة للمعنى الواحد [7] و من خصائص اللغة العربية أسماء الأضداد ، فان مئات من الألفاظ يدل كل منها على معنيين متضادين [8] ولم ينقل الجاحظ في بيانه صحيفة للفرس تماثل هذه الصحيفة ، ولكنه يقول : " من أراد أن يبلغ في صناعة البلاغة .. فليقرأ كتاب كاروند " ولا ندري هل هذا

---

(1) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 382 .
(2) سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 76 .
(3) حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 358- 359 .
(4) حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 363 .
(5) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 366 .
(6) حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 368 .
(7) جورج زيدان ، المرجع السابق ، ص 33 .
(8) جورج زيدان ، المرجع نفسه ، ص 33 .

الكتاب كان يحمل أراء في البلاغة أو أنه كان يحمل بعض رسائل الفرس ، ومن يقرأ مقدمة الجهشياري في كتابه : " الوزراء و الكتاب " يرى في وضوح أن العرب صاغوا كثيرا من رسائلهم على ضوء رسائل الفرس و بعض ما أثر عن بزر جمهر و غيره ، ولعله من اجل ذلك وضع لهم الجهشياري في مقدمته بعض النماذج الفارسية ، ليتخذوا منها القدوة في عملهم ويحاكوها في كتابتهم ، وهي محاكاة تضرب بجذورها منذ عبد الحميد كاتب الأمويين ، وكان يرجع إلى أصول فارسية ، وفيه يقول صاحب الصناعتين :" ألا ترى أن عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي ، فحوّلها إلى اللسان العربي " وقد حوّل ابن المقفع ومن خلفوه في العصر كثيرا من أمثلة هذه الكتابة إلى العربية [1]

ومن تدبر اللّغة العربية وجد فيها شيئا كثيرا من لغة الإشارات و حركات الوجه ولونه [2]

أما تاريخ الأدب فهو فن من فنون المعرفة يتعلق بتعاقب أعصر الأدب وبتطور الخصائص الأدبية مع الإلمام بسير الأدباء و بإحصاء إنتاجهم و بالتمييز بين خصائصهم و اختلف النقّاد في موقفهم من الأدب ، وخصوصا فيما يتعلّق بالمعنى و اللفظ ، أن الجاحظ (ت 255هـ/ 868م) يرى " أن المعاني كثيرة متشعبّة ولكنها مستورة في الصدور ، وإنما الفضل في الدلالة عليها باللفظ الحسن " و أن اللفظ هو الذي يجعل المعنى أحلى في القلب و أحسن في العيون ، أما أفضل الشعر عند ابن قتيبة (ت 276هـ/889م) فهو " ما حسن لفظه و جاد معناه " ، وابن رشيق القيرواني (توفي نحو 463هـ/ 1070م) يميل إلى أن تكون معاني الشاعر كثيرة جديدة مبتكرة ، و الاّ لما كان له فضل و أما جاز لنا نسميه شاعرا ، على انه ابن رشيق يرى أيضا أن من حق المعنى الجيد أن يكون في لفظ جيد ، أما ضياء الدين بن الأثير (ت 637هـ/1239م) فكان أيضا من أنصار المعاني الجديدة ولكن تأتي في صور شعرية أو صدور بيانية بارعة من تشابيه و استعارات و كنايات ، ثم انه يرى أن تلبس تلك المعاني القليلة و الصور البيانية البارعة ألفاظا سهلة حلوة موافقة للمعاني لا تزيد عليها و لا تنقص عنا ، و أما عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) فيخالف ابن رشيق وابن الأثير معا إلا قليلا ، انه يؤثر الأسلوب على المعاني إذا يرى أن للعرب أساليب ينهجونها في التعبير عن مقاصدهم ، فعلى الشاعر ألاّ يحيد عن هذه الأساليب ، ثم انه يكره المعاني المزدحمة ، لان ازدحامها يؤدّي إلى تعقيدها [3]شاع في البلاد الإسلاميّة ، لذلك العهد

[1] شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 38 .

[2] خليل السكاكيني ، المرجع السابق ، ص 12 .

[3] البغدادي ، المصدر السابق ، ص 17 ، أيضا : عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 43.

العهد ، فن الموسيقى و الغناء ، فلما صار العرب إلى نضارة العيش ورقّة الحاشية ، وقدم المغنّون من الفرس و الرّوم ووقعوا إلى الحجاز و صاروا موالي للعرب غنّوا جميعا بالعيدان و الطّنابير و المعازف و المزامير ،و سمع العرب تلحينهم للأصوات ، فلحنوا عليها أشعارهم ، وظهر بالمدينة نشيط الفارسيّ ، و وطويس ، وسائب، وحائر مولى عبد الله بن جعفر ، فسمعوا شعر العرب " [1] و الخلاصة أن الأدب المغربي هو غير الأندلسي ، و انه لم يتأثر الا نسبيا لان الأدباء المغاربة من غير شك كانوا يتعمدون مخالفة طريقة زملائهم الأندلسيين في الشعر والنثر ، قصد مقابلة التحدي بمثله ، فان الأندلسيين كانوا يكثرون على المغاربة من تعداد محاسن أدبائهم ، وابتكارات شعرائهم ، التي بذّوا بها غيرهم ، كما ترى ذلك في رسالة الشقندي التي مرّت الإشارة إليها ، ولم يكن لدى من أخذوا أنفسهم بالتأدب لكم الأفواه الصاخبة ، بتعجيزهم ، إلا أن يقرعوا الحجة بالحجة ، و يعارضو الدليل بالدليل ، وهذا غير السرق و التقليد ، زيادة على أن هؤلاء ، لم يكونوا قد استغرقوا في الحضارة و المدنية ، وانغمسوا في الرّفاهية و البلهنيّة كما كان ذلك حال الأندلسيين [2] وبناء على هذا ، فننا نستطيع أن نقول إن الأدب المغربي منذ نشأ إلى أن ترعرع ، كانت له في الغالب طريقة غير طريقة الأدب الأندلسي ، ولا نستشهد على ذلك غير أديب بارع من أدباء الأندلس ، بل خاتمة أدبائها ، وهو الوزير أبو عبد الله بن زمرك الذي تحدث عن هذا الأدب إلى علم من أعلام الفكر الأندلسي و هو الإمام الشاطبي [3] .

و اللغة العربية لغة صنعت قانونها بنفسها ، فالعرب أهل غناء ، يحدون الإبل ، و يعرفون الدف و المزمار و الربابة ، وقد تدرجت هذه المعرفة فإذا هم شعب يغني ، وقد ساعدته العربية على ذلك ، فان لها جرسا ورنينا موسيقيا ، فإذا تكلم ذو بيان فانك تطرب لسماعها ، وتفهم بيانها ، وترتاح لتبيانها ، وهي بهذا الجرس و الرنين منحت العربي التفوق في الأداء ، غناء أو شعرا على وزن وقافية [4]

رابعا : أعلام اللغة العربية : ولا ريب في أن الأدب هو الأدب الجيّد وحده ، وكل ما سواه فليس بأدب ، فالأدب إذن هو المعنى المبتكر في اللفظ الفصيح و التعبير المتين و الأسلوب البارع و الخيال الواسع ، وهكذا لا نعد الكلام المتداول في أحاديثنا اليومية المألوفة ولا الكلام الدائر في الرسائل العادية من اخوانية و تجارية ولا الكلام المستعمل في الصحف اليومية و الكتب العلمية أدبا ، الاّ أنّ يتأنّق المتكلم أو

[1] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 509 .
[2] عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 165.
[3] عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 165.
[4] على احمد مدكور ، المرجع السابق ، ص 47 .

الكاتب فيه فيدخل ذلك الكلام حينئذ في نطاق الأدب على مقدار ما فيه من البراعة و التأنق [1] و المؤسف حقا أن المعاجم العربية قليلة العناية بتسجيل التطور الشكلي للكلمات على عكس ما تفعل المعاجم الأوربية كمعجم أوكسفورد الكبير الذي أعطى الكثير من العناية لما أطلق عليه اسم "وجهة النظر التاريخية " بالنسبة لتطور الكلمات [2] فاللغة العربية دون شك واسعة الثراء بما منحها التاريخ العربي المجيد من مفردات وهي قابلة لزيادة هذه الثروة بما و هبتها طبيعتها العبقرية في الصياغة من إمكان الاشتقاق و الارتجال و التعريب و تغليب الصيغ [3] و يقال بالإجمال إن العرب اقتبسوا من لغة الفرس أكثر مما اقتبسوا من سواها ، و لذلك رأينا أئمة اللغة إذا أشكل عليهم أصل بعض الألفاظ الأعجمية عدوها فارسية [4] فالأدب سجلّ حي لما رآه الناس في الحياة ، و ما خبروه منها ، وما فكّروا فيه و أحسّوا به إزاء مظاهرها التي لها عندنا جميعا أهميّة مباشرة و ثابتة تفوق كل أهميّة [5] و هو بعد ذلك يعدّ – بصورة أساسيّة – تعبيرا عن الحياة و سيلته اللغّة ، وانه لمن المهم أن نفهم منذ البداية أن الأدب يعيش بفضل الحياة التي تتمثّل فيه " وهكذا فالأدب موضوع و حياة ، أي نفع و متعة ، وقوّة المتعة منوطة بأهميّة النّاحية الحياتيّة في الأدب [6]

نريد بالعصر الإسلامي في صدد اللغة العربية ، الزمن الذي مر باللغة بعد ظهور الإسلام ، حتى كتبت العلوم الإسلامية : كالتفسير ، والحديث ، وسائر العلوم الشرعية و اللغوية و نحوها ، إلى عصر النهضة العباسية ، ولا مشاحنة في إن الإسلام ، أثّر في اللغة تأثير كبيرا ، كان تابعا لتأثيره في العادات و الآداب و الاعتقادات .. و يدخل في ذلك ما طرأ على اللغة من الاصطلاحات الدينية ، والفقهية ، واللغوية ، والأدبية ، و ما دخلها من الألفاظ الإدارية على أثر إنشاء الحكومة و دوائرها و فروعها ، ثم الألفاظ العلمية ، والفلسفية ، بترجمة كتب اليونان ، والفرس ، والهنود ، إلى العربية [7] على ما دخل اللغة العربية من التغيير بسبب العلوم الإسلامية و هو ما عبرنا عنه بالألفاظ الإسلامية [8] يتضح من كلّ ما تقدّم أنّ الأدب كائن حيّ ذو كيان خاصّ و شخصيّة

---

[1] عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 44.

[2] تمام حسان ، المرجع السابق ، ص 328.

[3] تمام حسان ، المرجع نفسه ، ص 328.

[4] جرجي زيدان ، المرجع السابق ، ص 15.

[5] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 15.

[6] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 15.

[7] جرجي زيدان ، المرجع السابق ، ص 35.

[8] جرجي زيدان ، المرجع نفسه ، ص 35.

خاصّة [1] و إلى ذلك فقد نشأت ، بفضل احتكاك العرب بالمدنيّات العالمية ، نهضة فكرية من أوسع النهضات ، وكان الخلفاء و الوزراء يمدّونها بمالهم و جاههم ، و يشجّعون أرباب العلم و الأدب ، ويتنافسون في إنشاء الدور لنشر الثقافة و نقل الآثار الفارسية و الهندية و اليونانية إلى اللغة العربية ، و ما هي إلا سنوات حتى تداولت أيدي العرب كتب أرسطو و أفلاطون و جماعة الأفلاطونيّة الحديثة ، وكتب جالينوس و ابقراط في الطبّ ، وكتب بطليموس و إقليدس في الفلك و الرياضيات [2] لقد ساعد انتشار اللغة العربية عن طريق الاحتكاك و الاختلاط بالسكان الأصليين الأصليين الذين كانوا بلا هوية ثقافية و لا لغة مكتوبة ، فكان لابد للبربر من اللغة العربية لقراءة القرآن – قال الله تعالى: « أن جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون» [3] و تفسيره و تعلم الحديث بالإضافة إلى إقامة الصلاة و دراسة مختلف العلوم الدينية فصبغت البلاد بصبغة دينية عربية [4]

و برع الأندلسيون في علم الجغرافية ،ووضعوا مؤلفات تشمل بلاد الأندلس وتوضح خصائصها وبلدانها وما تشتهر به من طبيعة ونتاج ،كما أصدروا مؤلفات عن بلدان أخرى في المغرب والمشرق .كما كان للأندلس مكانتها وأثرها في مجال علوم اللغة و النحو و البلاغة و النقد ، كانت الحركة العلمية في هذه الجوانب متناسقة مع ما يجري في المشرق ،كما تحدّثنا كتب التراجم وغيرها عن أثر المؤدِّبين والمعلمين ، وكبار الأساتذة أيضا في إضفاء جو غزير الفائدة من إشاعة العربية والحرص على علومها "ولما ينسى أثر أبي علي الغالي البغدادي وما أفاضه من جو علمي ثقافي عام في جوانب اللغة والنحو والأدب وغيرها ، وما خرج من أصحاب وتلاميذه" وأثبت الأندلسيون لأنفسهم اسما في الدراسات البلاغية والنقدية ، فمن اشتغل بالبلاغة ابن عبد الغفور الكلاعي صاحب "احكام صنعة الكلام "

ومن النقاد في الأندلس ، ابن شهيد وابن حزم و الكلاعي و الرندي الذي استفاد من ابن رشيق، وابن سراج النسنتريني وحازم القرطاجني ، و كان الأندلسيون يفيدون من الدراسات النقدية [5] هذا فيما يتعلق بالحياة الأدبية والثقافية والاجتماعية في الأندلس، أما فيما يخص المغرب العربي فلقد كانت الثقافة المغربية ثقافة محدودة وذالك راجع لكون المجتمع المغربي كان يعاني من الاضطرابات والنزاعات ، "وبالرغم من ذالك فقد عرف المغرب العربي في فترة الولاة نوعا من الثقافة المغربية

[1] حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 20.

[2] حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 519 .

[3] سورة الزخرف ، الآية : 2- 3.

[4] مقلد الغنيمي ، موسوعة المغرب العربي ، ج1 ، (د ط) ، القاهرة ، (1414هـ/1994 م) ، ص 321.

[5] محمد رضوان ، الداية في الأدب الأندلسي ، ط ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 2000م ، ص 43-44-45-46 .

كانت تمثل أشعة للثقافة المغربية التي ستشرق فيما بعد ولقد كان حسان بن النّعمان أحد الولاة من أول الممهدين السبيل لتقدم الثقافة العربية واستقرار الحضارة الإسلامية بالمغرب [1]

أما بعد الفتوحات و عندما أصبح للعرب إمبراطورية ظهرت حاجة ملحة لتقعيد اللغة ، و ذلك لثلاثة أسباب : السبب الأول ، هو أن الفروق الكبيرة

بين العرب البدو و اللهجات المحلية [2]

أما علماء اللسان العربي فإنهم يؤصّلون أصول العربية و مقاييسها ومجاريها ، فكان القياس مرتبطا بنشأة علم النحو العربي ، فهذا ابن سلام يقول عن أبي الأسود الدؤلّي (ت 67هـ / 687م) انه " كان أول من أسس العربية , وفتح بابها ، و أنهج سبيلها ، ووضع قياسها " [3] طريقة الإمام الأوحد الخليل بن أحمد في كتاب " العين " وهو أول كتاب ألّف في اللغة ، وسمّي بذلك لابتدائه بحرف العين ، فانه رتب كتابه على الحروف [4]

اللغة مرآة أحوال الأمة ، و سجلّ حياتها في شتى نزعاتها و تقلّباتها ، و قد توحّدث لهجاتها ، وتهذّبت ألفاظها ولانت أساليبها و اتسع نطاق معجمها في العهد الإسلاميّ ، وحرص العرب على تنقيتها من طمطمانيّة الدّاخلين عليها لكونها لغة الدّين و السياسة المسيطرة ، ولما كان العهد العبّاسيّ بما فيه من طغيان سيل الأعاجم و الأتراك و غيرهم [5]، فشا اللحّن فشّوا شديدا ، فهبّ ذروة الغيرة و الحرص ، أيّا كان أصلهم ، يتعاونون على حفظ العربية خالصة من كلّ شائبة ، وراحوا يضعون المعاجم العامّة المرتّبة على حروف الهجاء ، و يضطبون الألفاظ و يدوّنون المفردات فوضع الخليل بن أحمد (99 - 170هـ /718- 786م) كتاب العين ، ووضع أبو العبّاس المبرد (210- 285هـ / 825 - 898 م) كتاب " الكامل "، وابن دريد (222- 321 هـ / 837- 933 م) كتاب " الجمهرة " ، و الأوهري (282- 370 / 895 - 980 م) كتاب " التهذيب " ، والجوهريّ (395هـ / 1005) كتاب " الصّحاح " ، والزمخشريّ (501 – 539هـ / 1107- 1144م) كتاب " أساس البلاغة " ، ورأى العلماء ضرورة في

[1] محمد الصادق عفيفي – محمد بن تاويت ، المرجع السابق ، ص 102.

[2] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 74.

[3] سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 36 .

[4] طاهر الجزائري ، الكافي في اللغة ، (د ط) ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، جمهورية مصر العربية ، 2012م ، ص 16.

[5] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 878 .

معالجة النحو وتعميمه و التدقيق فيه ، وفي معالجة البلاغة العربية ،فصرفوا همّهم ، بعد فراغهم من جمع شتات الألفاظ و ضبطها في المعاجم [1]

علم المعاني علم تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال فالعلم جنس و قولنا نعرف به أحوال اللفظ مخرج لما يعرف به أحوال غير اللفظ و قولنا العربي مخرج لغيره إذا الكلام في اللغة العربية وبقية الحدّ مخرج بقية علوم العربية و علم البيان و إن أطلق عليه أيضا المطابقة لمقتضى الحال بناء على تفسيره بأنه الاعتبار المناسب [2] وكتب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إلى أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه :".. أما بعد : فتفقهوا في السنة ، وتفقهوا في العربية ، وأعربوا القران فانه عربي .." [3] و الإعراب أمر ضروري في اللغة العربية لأنه من خصائصها ، ولا يمكن بحال من الأحوال الاستغناء عنه ، ولا يمكن أن ننطق بالحرف العربي في أي كلمة من الكلمات بدون حركة فهي جزء من الحرف العربي [4]

لقد حدد التركيب الاجتماعي ، والأوضاع السياسية والدينية، الوضع اللغوي والأدبي في الأندلس، فمنذ فتحت فتح الأندلس و القبائل العربية تتدفق عليها حاملة معها اللغة العربية الفصيحة ، و التي أصبحت اللغة الرسمية لبلاد الأندلس ، و أصبحت اللغة العربية لغة الإدارة في البلاد، و لغة الدين و الدولة ، ولغة الثقافة و العلم ، و هذا طبعا لتغلب عنصر المسلمين على السكان الأصليين ، و لأن بني أمية ذوي عصبية عربية، كما أن النصارى و اليهود جرفهم تيار اللغة العربية، بالرغم من وجود بعض التحريفات [5] و قد شهدت فتوة إزدهار عصر الإمارة في الأندلس، دخول النتاج الفكري من المشرق ، خاصة وأن رجال الدولة كانوا يعملون على استجلاب الكتاب و الشعراء ويقربونهم منهم [6] العربية ، فكان من ذلك ما نسمّيه علوم البلاغة البلاغة أي المعاني والبيان والبديع [7] و"دلائل الإعجاز" في المعاني ووضع ابن المعتزّ (908م) كتاب " البديع " وجمع منه سبعة عشر نوعا وعالج الخليل بن احمد أوزان الشعر وحصرها في خمسة عشر وزنا أو بحر أضاف إليها الأخفش بحر سادس عشر

---

(1) حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 878 .

(2) جلال الدين عبد الرحمان السيوطي (ت 911هـ / 1505 م) ، شرح عقود الجمان في علم المعاني و البيان و بهامشه : "حلية اللب المصون على الجوهر المكنون " للشيخ أحمد الدمنهوري ، (د ط) ، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع ، (د س ط) ، ص 9.

(3) أحمد بن عبد الله الباتلي ، المرجع السابق ، ص 17 .

(4) أحمد بن عبد الله الباتلي ، المرجع نفسه ، ص 17 .

(5) حسن جاد حسن ، محمد عبد المنعم خفاجة ، الأدب العربي في الأندلس ، ط ، المطبعة المحمدية ، الأزهر ، (د س ط) ، ص24.

(6) جودت الركابي ، في الأدب الأندلسي ، ط 3 ، دار المعارف ، مصر ، 1970م ، ص64.

(7) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 878 .

[1]و ظلّ اللغويين نشاطهم حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ولكنه لم ينحسر عن دراسات خصبة ، فكانوا محافظين محافظة شديدة ولم يكن يعينهم إلا أن يقيسوا الكلام بالمقاييس العربية الخالصة ، فلم يحاولوا أن يطّلعوا على أراء الأمم الأجنبية في البلاغة ، وأيضا لم يحاولوا أن يدعموا عقولهم بالتفكير الفلسفي على شاكلة المتكلمين ، وقد أخذوا يتجهون منذ أواخر القرن الثالث إلى تعليم الشباب كيف يستقصون ألفاظ اللغة وكيف يمرنون على استخدامها ، ومن أجل ذلك اخذوا يكتبون لهم بعض النماذج ، ينشئونها إنشاء ، حتى يعينوهم على استظهار المعجم اللغوي ، وخير من يصور ذلك ابن دريد في أحاديثه التي نقلها عنه القالي في أماليه ، والتي هيّأت لنشوء فن المقامات عند بديع الزمان الهمذاني و من جاءوا بعده مثل الحريري ، وحقّا ظلت هذه البيئة تعنى بتسجيل ملاحظاتها على الشعر ، ولكنها اتجهت بها غالبا نحو نقد لغوي و نحوي جاف على نحو ما نرى في كتاب " الموشح " للمرزباني ، وكلنا نعرف كيف نشط البحث اللغوي في القرن الرابع عند أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني ولكنه نشاط يتصل بالكشف عن فقه اللغة و معرفة أسرارها ، وقلما اتصل بأبحاث البلاغة و الفصاحة ، وقد نسج على منوالها أحمد بن فارس المتوفيّ سنة (395ه / 999م) في كتابه " الصاحبي " [2] و انشد بعض الفضلاء في مدح النحو فقال :

من فاته النحو فذاك الأخرس	و فعله في علمه مفلس
و قدره بين الورى موضوع	وان يناضر فهو المقطوع
لا يهتدي لحكمة في الذكر	و ماله في غامض من فكر

وقال آخر :

النحو زين للفتى	يكرمه حيث أتى
من لم يكن يحسنه	فحقه أن يسكتا [3]

خلاصة القول أن الاشتقاق و التصريف يتداخلان فيما بينهما ، و أنهما رافدان عظيمان لتطوير اللغة العربية و تنمّيتها [4] استخدم علماء اللغة في القرن الثامن الميلادي أساسا لوصف النحو العربي الكلاسيكي و تحديده ، في المقام الأول ، مجموعة المادة اللغوية التي جمعوها هم أنفسهم ،

---

[1] حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 878 .

[2] شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 62 - 63 .

[3] أبي عبد الله محمد بن محمد ابن احمد ابن مريم ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، (د ط) ، الجزائر ، (1326هـ/ 1908م)، ص 313 .

[4] سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 54 .

نصوصا شعرية عربية قديمة ، يؤرخ تكوينها في الفترة ما بين بداية القرن السادس الميلادي و بداية القرن الثامن الميلادي ، ويرتبط الحكم العلاقات اللغوية قبل القرن التاسع بغموض قدمت وفقا له المعلومات النحوية و المعجمية و النصوص أيضا من خلال أخبار علماء اللغة العرب فقط[1]

وما تزال الدراسة الشاملة لهذا النوع من المراجع العربية في فقه اللغة و تحليل المادة اللغوية التي تقدمها بعيدة لم تحقق [2]

و اللغة العربية في حاجة ماسة إلى أن تثرى في حقل المصطلحات العلمية و الفنية و الحضارية و لكن اللغة العربية بطبعها و ذوقها و طرق صياغتها [3] والحق أن اللغويين القرن الثالث اخذوا يتوسعون في المباحث اللغوية الخالصة ، منحازين عن مباحث البيان والبلاغة ، كأنهم رأوا — محقين — أنها ميدان آخر غير ميدانهم ، أما المتكلمون فقد ظل نشاطهم في هذه المباحث متصلا ، وكان من أهم ما وصلهم بها أنهم عنوا بتعليل إعجاز القران و تفسيره بلاغيّا ، وكانوا معتدلين ، فهم لا يحافظون محافظة اللغويين ، وهم لا يسرفون في التجديد .. [4] .

و يشكل تعليم نظام نحوي يمكن تعلمه بشكل مدرسي ، كما أنجزه النحاة العرب في أواخر القرن الثامن الميلادي ، بداية مرحلة حاسمة في تاريخ العربية الكلاسيكية فالنصوص التي ترجع إلى الفترة الواقعة قبل ذلك ، لم تكن قد وقعت بعد تحت تأثير معياري للنحو المدرسي ، ومن ثم تقدم لغتها تنوعا اكبر سواء في بناء الصيغ و النحو أو في المجال الصوتي أيضا ، ولذا تبرز بوضوح من خلال النصوص العربية الكلاسيكية فترة ما قبل الكلاسيكية التي تصل حتى منتصف القرن الثامن الميلادي تقريبا ، إن مؤلفي نصوص هذه الفترات هم بلا شك عرب ، كانوا على اتصال مباشر أيضا بالإرث اللغوي للمجتمع القبلي البدوي ، و تضم فترة ما قبل الكلاسيكية النصوص التالية :

1- الشعر العربي القديم أي شعر ما قبل الإسلام و الشعر الإسلامي المبكر (صدر الإسلام)
2- القران
3- مادة ثقافة لغوية للقبائل ، أي أمثال و نوادر و حكايات الأبطال و أخبار عن الحروب (أيام العرب) وروايات مشابهة ، وفي الغالب دونت هذه النصوص لحكايات إطار لقصائد مفردة معها في الوقت نفسه .

---

[1] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 108 .
[2] أبي العباس أحمد القلقشندي (756- 861 هـ / 1345- 1445م) ، المصدر السابق ، ص 185 – 186 .
[3] تمام حسان ، المرجع السابق ، ص 152 .
[4] شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 63 .

4- أجزاء من تراث صدر الإسلام (الحديث وأخبار تاريخية) ، ما دامت قد رويت هذه النصوص في نصها الأصلي ، و يعد منها كذلك أجزاء من التراث النثري الأقدم مثل سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لابن إسحاق (المتوفي 151هـ / 768م) ، وتظهر لغة هذه المجموعة النصية في النحو خاصة سلسلة من الخواص لفترة ما قبل الإسلام [1]

و أخذت تنشط في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بيئة جديدة ، عنيت بشئون البلاغة ، هي بيئة المتفلسفة ، وكان مما ساعد على ظهورها كثرة ما نقل عن اليونان و احتفال العرب بفلسفتهم وكل ما خلقّوه في شئون الفكر من منطق وغير منطق [2]فالنحو ما هو إلا وسيلة ن وسائل كثيرة لتقويم اللسان والقلم[3] فان النحو العربي جوهر اللغة العربية ، و سر فصلحتها و كيانها ، اليه يرجع الفضل في ضبط اللسان و القلم من اللحن ، وبه تتعين كثير من الضوابط الشرعية [4]

وقد توافد على المغرب في هذا العهد عدد من الوشّاحين الأندلسيين – إذ كان الفنّ محبوبا عند ملوك الموحّدين – واتّصلوا بالشعراء المغاربة الذين نهجوا نهجهم فعالجوا فنّ التوشيح و ألحقوه بالزّجل و استنبطوا نوعا أخر من الشعر ذكره ابن خلدون في المقدّمة حين قال :" ثم استحدث أهل الأمصار في المغرب فنّا أخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالموشّح ، نظموا فيه بلغتهم الحضرية و سمّوه " عروض البلد " ، وكان أوّل من استخدمه فيهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير ، فنظم قطعة على طريقة الموشّح لم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب إلا قليلا فاستحسنه أهل فاس وولعوا به و نظموا على طريقته وتركوا الاعراب الذي من شأنهم ، وكثر سماعه بينهم فاستفحل فيه كثير منهم ..وواصل الشعر ازدهاره في عهد الصّنهاجيّين و المرينيّين ، ونضج نضوجا شديدا ، فكان ذا شخصيّة مغربيّة تقف في وجه المشرق موقف منافسة [5] و يرى ابن خلدون أن هذه البراعة في تذوّق الأدب وإنتاجه وفي تلقي اللغة الصحيحة و الأساليب النقية الخالصة ترجع في الأصل إلى نشوء الفرد مع أهل اللسان و مخالطته إياهم ، فإذا لم يستطع ذلك فعليه بكثرة المطالعة لكلامهم و باستظهاره ، يقول ابن خلدون : " إن حصول ملكة اللسان العربي إنما هي بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله (في خيال الحافظ) المنوال الذي

[1] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 110 .
[2] شوقي ضيف ، المرجع نفسه ، ص 64.
[3] على احمد مدكور ، تدريس فنون اللغة العربية ، ط2 ، دار الشواف ، مطبعة الفنية ، 1991م ، ص 08.
[4] عبد علي حسين صالح ، النحو العربي منهج في التعلم الذاتي ، (د ط) ، دار الفكر ، عمان – الأردن ، (1430هـ / 2009م) ، ص 08.
[5] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 1012 .

نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه و يتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم و خالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة (في التعبير) عن المقاصد على نحو كلامهم "[1] و يظهر أن سيبويه كان على وعي تام بأن دراسة الأصوات مقدمة لابد منها لدراسة اللغة [2] في نظرية كل من ابن الانباري وابن خلدون عن تطور العربية هناك ربط بين فساد اللغة بعد الفتوح الإسلامية و قيام النحو العربي [3] و الخلاصة ، أن تحرّي الفصاحة و الصدق و طرح التصنع و الابتذال كانت و ما زالت من أهم مميزات الأدباء المغاربة ، وهم لذلك أقرب ما يكون من طريقة العرب و شعراء العصور الأولى من عصور الأدب العربي [4]

لقد زعم بعض العلماء أن التفكير لا يتم بدون الكلمات و لعله قصد بالكلمات هنا ما قصده المتنبي بقوله :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا [5]

و أخذت تبرز منذ أواسط القرن الثالث الهجري بيئة جديدة في مجال البلاغة ، هي بيئة المتفلسفة التي كانت تتخذ من فلسفة اليونان و معاييرهم في البلاغة أساسا تحتكم إليه في تقدير القيم البيانية للكلام [6]

اهتمّ العرب للتاريخ اهتماما خاصا وقد نهجوا في كتابته عدّة مناهج ، ففكّروا أول ما فكّروا في كتابة التراجم ، و الترجمة ، كما لا يخفى ، تعريف بحياة شخص أو أكثر ، و قد اهتمّ لها العرب اهتماما شديدا ، فنشأت في بدء أمرها دينيّة تدور حول الرسول ، ثم تشعّبت وتناولت عظماء الرجال و النساء ، و الترجمة إذا طالت تسمى سيرة ، و السيرة النبوية أوسع التراجم العربية [7] و أقدمها ظهورا ، ومن التراجم ما سمّوه طبقات ، والطبقات مجموعات من التراجم لفئات من الناس اشتهروا في ناحية من نواحي المعرفة أو ما إلى ذلك ، فكان منها طبقات الشعراء ، و طبقات النّحاة ، و طبقات الأطباء ، و لم يكتف العرب بذلك بل راحوا يعالجون التاريخ بمعناه الواسع ، و لما كانت النهضة العربية في العهد العباسي أخذ العرب في تدوين التاريخ خاصّا و عامّا ، ثم راحوا في كل عصر يعالجون هذا الفنّ بما لديهم من وسائل ، وقد ذكر حاجي خليفة في كتابه "كشف

---

(1) عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 42.

(2) تمام حسان ، المرجع السابق ، ص 50.

(3) كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 70.

(4) عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 167.

(5) تمام حسان ، المرجع نفسه ، ص 46.

(6) شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 46.

(7) شوقي ضيف ، المرجع نفسه ، ص 371.

الظنون " ألفا مئتي مؤرّخ عربيّ عاشوا قبله أي قبل القرن السابع عشر ، واشتهر من مؤرخي العرب الطبريّ (القرن التاسع) صاحب التاريخ العام الذي امتدّ منذ فجر الخليقة [1] و المسعوديّ (القرن العاشر) صاحب أخبار الزمان " و " مروج الذهب " و أبو الفداء (القرن الثالث عشر) صاحب أخبار البشر ، و ابن خلدون (القرن الرابع عشر) صاحب تاريخ مصر ، و النويريّ (القرن الرابع عشر) ، و حاجي خليفة (القرن السابع عشر) صاحب " كشف الظنون " الذي يعدّ من أعظم كتب التراجم عند العرب وفيه نحو 18500 كتاب شرقيّ ألحق فيه المؤلف اسم كل كتاب باسم مؤلّفه مع ترجمة حاله ، و الذي يجيل النظر في تواريخ العرب ، و لاسيما الأقدمين منهم ، يجد أن عددا كبيرا من المؤرّخين لم يعنوا عناية كافية بالنقد التّاريخيّ وقد غلبت على آثارهم نزعة الجمع من غير ثاقب نظر في صحّة ما ينقل ، وتلك النزعة كانت سائدة في مختلف أثار المؤرّخين الذين ظهروا في العصور الوسطى ، ولهذا حفلت بالأخطاء و اختلط فيها التاريخ بالأسطورة ، وان من تتّبع تلك التواريخ وجد أن العرب قد تفوّقوا على من سواهم ، وانه ظهر فيهم من درج على خطّة التحرّي و المقارنة ونقد المصادر كالبلاذريّ و اليعقوبيّ و غيرهما ، قال عبد العزيز الدوري :" نلاحظ أنّ اليعقوبي متّزن في أخباره ، وانه بصورة عامّة دقيق في ما أورد من معلومات ، وقد جاء أحيانا بمعلومات فريدة " ، وقد عيب على العرب أنهم اخضعوا الحقيقة التاريخيّة في أحيان كثيرة للسيّاسة و الحزبيّة و المذهبيّة ، فانحرفوا بذلك عن التجرّد العلميّ ، ومهما يكن من أمر فالكتابة التاريخيّة عند العرب هي بحر زاخر حافل بالفوائد و الجواهر [2] وجاء من أحاديث سيد المرسلين كثير من الأمم الماضية ، كحديثه عن بني إسرائيل ، وما غيروه من التوراة و الإنجيل ، وغير ذلك من أخبار العجم و العرب ، مما يفضي بمتأمله إلى العجب ، وقال الشافعي رضي الله عنه :" من علم التاريخ زاد عقله " ، وقد قيل شعر :

إذا عرف الإنسان أخبار من مضى | توهمته قد عاش من أوّل الدهر
و تحسبه قد عاش آخر دهره | إلى الحشران أبقى الجميل من الذكر
فكن عالما أخبار من عاش وانقضى | و كن ذا نوال و اختتم آخر العمر

ولم تزل الأمم الماضية من حين أوجد الله هذا النوع الإنساني ، تعتني بتدوينه سلفا عن سلف ، و خلفا من بعد خلف [3] كما أن مصادر التاريخ في عهد دولة الأدارسة هي مصادر كثيرة و متنوعة

---

[1] شوقي ضيف ، المرجع نفسه ، ص 371.

[2] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 659 .

[3] عبد الرحمان بن حسن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم و الأخبار ، تحقيق : عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ، ج 1 ، طبعة البولاق ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1997م ، ص 4 .

متنوعة فأهم المصادر نجد : " التاريخ النبوي "، "سيرة ابن هشام" ، و " الخلفاء الراشدين" و خاصة التاريخ العلوي الذي نقل رواية و دراية [1].

اهتمّ أهل المغرب للتاريخ و الجغرافية و الرحلات كما اهتموا لسائر العلوم ، وقد شمل تاريخهم السّير ، والتراجم ، وتاريخ الملوك ، و تاريخ البلدان و ما إلى ذلك ، وقد ضربوا في البلاد و البحار للعلم ، والحجّ ، والتّجارة ، والاكتشاف ، ودونوا لأخبارهم و نتائج اختباراتهم ومشاهداتهم ، و اشتهر منهم في هذا الباب الشّريف الإدريسي (494-562هـ / 1100-1166م) ، و ابن بطّوطة (703- 779هـ/ 1304-1377م) ، وابن خلدون (732- 808هـ/1332- 1406م) [2] وكانت اللغة العربية قد دخلت بقوة مجال اهتمام شعوب البحر المتوسط منذ عدة قرون سابقة ، كنتيجة للتوسع السريع للقوة العربية و انتشار الدين الإسلامي في معظم أراضي الشرق الأدنى و شاطئ شمال أفريقيا و شبه الجزيرة الأيبيرية في القرنين السابع و الثامن [3] و إن تطور الكتابة التاريخية في العصر الإسلامي بمنهج الكتابة التاريخية عند المسلمين و رأينا كيف المؤرخ المسلم بدأ كتابته التاريخية معتمدا على الرواية المسندة التي تتسم بثلاثة مظاهر:

1. انفصال الأخبار فيما بينها و استقلالها.
2. الطابع القصصي الذي لا تخلو من الحوار.

الاستشهاد بالشعر[4]

لما اتسعت الفتوحات ، وكثرت موارد الدّولة ، و تعقّدت المصالح ، كان لابدّ للخلفاء من إنشاء الدواوين لضبط الموارد و المصارف ، و ضبط أعطيات المسلمين ، و إقامة نظم واضحة يجري عليها الجميع ، و قواعد مفصّلة تسير عليها الإدارة و أمور الجيش و الخراج ، و قد عهد الخلفاء في كتابة الدواوين إلى العرب و الموالي .. و نقلوا الكتابة إلى اللغة العربيّة ، ومنذ ذلك الحين اتّخذ النثر العربيّ اتجاها جديدا قائما على التّفصيل و التّطويل ، و انفتح باب الرّسائل و التصنيف ، فكانت الرسائل أبحاثا مختلفة في السياسة و الكتابة وما إلى ذلك ، وكان التّصنيف كتبا في موضوعات مختلفة كالتاريخ وغيره ، وقد ظهر التأنّق في الرسائل ، وراح كتّابها يتنافسون في الزّخرفة و حسن الأداء ، والموسيقى الصّوتيّة ، مقتبسين من أساليب الفرس و الروم تفخيما ومنطقا ، وراحوا يضعون للكتابة

---

[1] محمد الشكعة ، المغرب و الأندلس آفاق و إسلامية حضارة إنسانية و مباحث أدبية ، (د ط) ، دار اللبناني ، بيروت ، (د س ط) ، ص 345.

[2] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 1004 .

[3] ر ، هـ ، روبينز ، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب) ، (د ط) ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1997م ، ص 149.

[4] عبد العزيز سالم ، التاريخ و المؤرخون العرب ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، (د س ط) ، ص 75.

أصولا و قوانين تجري عليها ، وانقلبت الطبعية و الفطرة إلى صنعة ، و كان زعيم هذا الأسلوب في ذلك العهد عبد الحميد بن يحي (132هـ /750م) الذي لقب " بالكاتب " تعظيما لشأنه و إقرارا بفضله [1] و كان أكثر جامعي الرويات التاريخية رجال دين و محدثين .. و إقتصر المؤرخون العرب عموما على كتابه تاريخ الأقطار التي ضمنها المسلمون وكتبوا في تاريخ الإسلام [2] ووجدت العلوم التاريخية الاهتمام نفسه حيث اعتبرت أنبل العلوم و أجلها ، وحققوا فيها بروزا واضحا و تفوقا ملموسا ليبرزوا من خلاله ميزات بلدهم النائية و تفوقها على سائر البلدان الإسلامية ، وقد برز في شتى فروع هذا العلم عدد كبير من العلماء منهم أبو عامر بن مسلم الذي برز في تاريخ الأندلس العام ، وألف كتابا سماه " حديقة الارتياح في صفة حقيقة الراح " و أهداه للمعتمد بن عباد ، وأبو القاسم صاعد الأندلسي الذي نبغ في تاريخ العلوم و ألف " طبقات الأمم " الذي يختص بتاريخ العلوم عند الأمم المختلفة ، و الأمير عبد الله بن بلقين اذي نبغ في تاريخ الدول و سجل في مذكراته تاريخ دولة بني زيري في غرناطة وابن علقمة أبو عبد الله بن خلف الصدفي و قد برز في تاريخ المدن ، وألف كتابا سماه " البيان الواضح في العلم الفادح " ، و تحدث فيه عن بلنسية و حصارها فترة الاحتلال القشتالي لها في نهاية القرن الخامس الهجري ، وأبو عبد الله بن أبي نصر الحميدي ، وكان فقيها و محدثا و متبحرا بالآداب و العربية ، وألف كتابا أسماه " جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس " حيث اشتهر بتاريخ السير و التراجم ، و أبو مروان بن حيان الذي يعد عميد مؤرخي الأندلس ، وصاحب كتاب " المقتبس في أخبار الأندلس " ، وشهدت الجغرافيا ازدهار ملحوظا أيضا ، فقد نبغ فيها مجموعة من العلماء منهم أحمد بن سعيد بن فياض ، فقد وضع كتابا عن الطرق و الأنهار في الأندلس ، وله تأليف في الخبر و التاريخ ، و أبو العباس أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائي و هو محدث و حافظ جغرافي مشهور ، ألف كتابا في الجغرافيا سماه " نظام المرجان في المسالك و الممالك " ، وأبو عبيد الله البكري ، وقد كان عالما لغويا ، ومؤرخا جغرافيا ، وشاعرا سياسيا ، وضع أول معجم جغرافي في تاريخ التأليف الجغرافي عند العرب سماه " كعجم ما استعجم" [3]

لم يبدأ التّدوين العلميّ للتاريخ إلاّ في العهد العبّاسيّ ، أما في العهد الأمويّ فقد عالج العرب هذا التدوين على نحو رواية الحديث ، وكان الدّاعي إلى ذلك رغبة المسلمين في جمع أخبار النبيّ و الصحابة ، وحرص ذوي الأمر على تقصّي أخبار من سبقهم من الملوك و الحكام ، من ذلك أن

[1] حنا الفاخوري ، المرجع نفسه ، ص 375 .

[2] محمد شقيق غربال ، الموسوعة العربية المسيرة ، المجلد1 ، (د ط) ، دار الجيل، مصر ، 1995م ، ص51.

[3] يوسف شحدة الكحلوت ، المرجع السابق ، ص 66 - 67 .

معاوية استدعى عبيدا إلى دمشق ليحدّثه عن ملوك العرب القدماء فيضع له " كتاب الملوك و أخبار الماضين " ، وقد اشتهر إلى جانب عبيد وهب بن منبّه (110هـ/728م) صاحب كتاب " التيجان " [1] أخذ علماء الأندلس يهتمون بالأبحاث الجغرافية، وقد نشأ أدب الرحلة عند أهل الأندلس من رغبتهم في الإنطلاق إلى مركز العلم والثقافة في المشرق[2]، في القاهرة، في دمشق، بغداد، ومن خلال تأدية فريضة الحج في مكة، ومن هنا بدأ الاهتمام بمصورات الأرض، وتحديد الأماكن، وقياس المسافات ودراسة القرية، ومن بين رواد علم الجغرافيا في هذه الفترة [3]

في بداية الأمر رفض بعض الباحثين التخلي عن معارفهم العربية ، يقول الطبيب الهولندي لورينتيوس فريسيوس في كتابه في الدفاع عن أمير الطب ابن سينا إمام الأطباء الالمان :" إن دراسة العربية ضرورية لمن يريد تعلم الطب " ويتفق مع معارضيه الذين يتغنون بكفاءة العلوم اليونانية على أن اللغة العربية لغة فقيرة ومتخلفة بالمقارنة باللغة اليونانية ، ولكنه على يصر على أن نوعية اللغة ليست مهمة في عملية نقل العلوم ويضيف أن العرب قد ترجموا كل الكتب اليونانية الأساسية في الطب و الفيزياء و أضافوا عليها شروحهم القيمة ، يعتبر مثل فريسيوس هذا دليلا على انه في هذا الوقت كان بعض الباحثين الأوروبيين ما يزالون يعتقدون أن اللغة العربية مسألة أساسية في دراسة الطب ، ولكن عندما انتشرت النصوص اليونانية في أوربا لم يعد احد يهتم بالكتب العربية [4] الألفاظ العلمية التي دخلت اللغة العربية في هذه النهضة كثير جدا ، ومعظمها مقتبس من الفرنسية ، والايطالية ، والانجليزية ، لان أكثر العلوم المترجمة إلى لساننا منقولة عنها .. على أن المصطلحات العلمية متشابهة في لغات الإفرنج ، لان مصدرها عندهم أما اللاتينية ، أو اليونانية.. مما لم يكن له مثيل عند العرب [5] أما عن الفلك كان لمسلمة دور رائد و عظيم ، وقد أجاد في أعماله الفلكية المتمثلة في عنايته بالجداول الفلكية ، فقد أعد كتابا أسماه " تعديل الكواكب" فيه وضع أوساط الكواكب لأول مرة بتاريخ الهجرة، وقد زاد فيه جداول حسنة، كما له رسالة في الإسطرلاب [6] قام مسلمة المجريطي بتأسيس مدرسة رياضية و فلكية في النصف الثاني من القرن (4هـ/ 10م) في مدينة قرطبة[7] أما بالنسبة لعلم الصيدلة فلم نجد في المصادر و لا المراجع ذكر هذا العلم لكن نجد أحد فروعه المتأخرين الشريف الإدريسي السالف الذكر و الذي كان من أعظم علماء النبات و الصيدلة المشهورين،

---

(1) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 507 .

(2) عبد الله أنيس الطباع ، القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامية الدانية ، ط ، دار بن زيدون ، بيروت ، 1986م ، ص98.

(3) عبد الله أنيس الطباع ، المرجع السابق ، ص98.

(4) كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 11 .

(5) جورجي زيدان ، المرجع السابق ، ص 79.

(6) خوليو سامسو ، العلوم الدقيقة في الأندلس ، ترجمة : عمر الشيخ ، أنظر : سلمى الخضراء الجيوسي، المرجع السابق ، ج2 ، ص 1316.

(7) أنخل جانثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 482 ،كذلك: Juan Vernet : Ibid, page 168.

ضف كتبا عديدة في الصيدلة و النبات منها "الصيدلة" بدأه بمقدمة عامة عن النباتات و له كتب أخرى أيضا "الأدوية المفردة" و "الجامع لصفات أشتات النبات"[1] لم تذكر المصادر علماء رياضيين في المغرب الأقصى و لا في الأوسط و لا حتى في قرطبة و لهذا يمكن القول بأن الرياضيات لم تكن منتشرة بمنطقة المغرب على الأقل في القرنين الأول و الثاني الهجريين[2] ففي القرن الأول الهجري تعلم الناس العربية [3]

تعتبر الترجمة منبعا ثريا من أكثر الينابيع التي اعتمدها العرب قديما و حديثا في تنمية لغتهم و إثرائها و اغناها بما ليس عند العرب من مفردات لمخترعات سادت في الحضارات السابقة عن الحضارة العربية الإسلامية [4] نقل العرب إلى المغرب لغتهم وتقاليدهم الأدبيّة الشعريّة ، وكانت حركة الشعر في عهد الفتوح ضعيفة لانصراف الناس إلى طلب الاستقرار ، ثم جاء عهد المرابطين و الموحدين فكان الازدهار الذي عمّ البلاد وظهرت آثاره في جميع مرافق الحياة كما ظهرت في الشعر ، فما أن فتح الخلفاء و الأمراء أبوابهم لرجال العلم و الأدب وأجزلوا لهم العطاء الوافر حتى توافد عليهم شعراء عديدون تناولوا أكثر أبواب الشعر من المديح و الافتخار ، إلى الرثاء و الاعتذار ، إلى الذمّ و العتاب و الوصف و الغزل ، وسرى الاعتناء بالشعر من الملوك إلى الأمة ، جاء في "الفتح " انه يوم رجع يعقوب المنصور من غزوة الأرك الشهيرة ورد عليه الشعراء من كلّ قطر من أقطار مملكته يهنئونه ، فلم يكن لكثرتهم أن ينشد كلّ شاعر قصيدته بل كان يختصّ بإنشاد البيتين أو الثلاثة المختارة ، وانتهت رقاع القصائد و غيرها في هذا اليوم إلى أن حالت بين يعقوب وبين من كان أمامه لكثرتها .. و بجوار الأدب الأندلسيّ ، فتأثّر بهما وأخذ عنهما دون أن يفقد شخصيّته المغربية وما لها من مميزات أهمها الخلوّ من الزخرف و الابتعاد عن الصّنعة ، والترفّع عن السفاسف ، وقد طبع الشعر أيضا بالطابع الديني الذي كانت عليه الدولة كما تأثّر بالهداية و مبادئها و بالعلوم الفلسفيّة الشائعة في هذا العصر فقلّ شعر الخمريّات وقلّ أدب التغزّل المكشوف [5] و يكفي أن نذكر في هذا الصدد الصدد ابن المقفع المتوفي (143 هـ/ 759م) ، فقد ترجم عن الفارسية كتبا تاريخية مختلفة و أخرى أدبية وسياسية ، كما ترجم كليلة ودمنة وأجزاء من منطق أرسطوطاليس ، واتسعت الترجمة بعده ، و أسّست لها دار الحكمة ، وأكبّ المترجمون من السريان و غيرهم ينقلون التراث اليوناني و الفارسي و الهندي ، وكان ذلك تحولا كبير في الفكر العربي ، إذ اصطبغ بثقافات أجنبية كثيرة ، وأخذت أوعية لغته تحمل كل التراث

[1] محمد عبد الرحمن فرحبا ، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ، ط ، دار الجبل، بيروت ، (1419هـ/1998م) ، ص 338 .

[2] محمد عبد الرحمن فرحبا ، المرجع السابق ، ص340.

[3] كيس فرستيغ ، المرجع نفسه ، ص 122.

[4] سالم علوي،المرجع السابق، ص69، أيضا:محمد كامل حسين،الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب،ج2، (دط) ، ليبيا، (دس ط)،ص312.

[5] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 1012 .

الحضاري القديم [1] فلغتنا العربية بدأت على ألسنة العرب الأولين و قبائلهم القديمة من أمثال عاد التي كانت تعيش في جنوبي الجزيرة وثمود التي كانت تجاور الآراميين في شماليها [2] ووصا زادان فروخ صالحا بالحجاج ، فخف على قلبه ، فقال له ذات يوم : انك سببي إلى الأمير و أراه قد استخفني و امن أن يقدمني عليك و أن تسقط ، فقال : لا تظن ذلك ، هو أحوج إليّ منه إليك ، لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيري ، فقال : و الله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته ، قال : فحول منه شطرا حتى أرى ففعل ، ولما قتل زادان فروخ استكتب الحجاج صالحا ، فأعلمه الذي كان جرى بينه و بين زادان في نقل الديوان ، فعزم الحجاج على أن يجعل الديوان بالعربية ، و قلّد ذلك صالحا ... و كان عبد الحميد بن يحي كاتب مروان يقول : لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب " ولا ندري من الذي بدأ العمل عبد الملك أو الحجاج ، و مهما يكن من أمر ، فان التعريب قد تمّ في عهد عبد الملك ، أما ديوان مصر فقد نقل من اليونانية إلى العربية في عهد ابنه الوليد [3]

في البلاد المفتوحة من غير العرب كانوا يتواصلون مع العرب الفاتحين بلغة عربية مبسطة ، و أصبحت تلك الأنماط المبسطة في المدن العربية الناشئة – التي كانت بوتقة تجميع الحضارات و الألسن [4] ومن الثابت آن كلام العرب مصدر مهم من مصادر الاحتجاج ، ويشتمل قسميه الشعر والنثر قبل الإسلام و بعده ، فهذا السيوطي يقول : " وأما كلام العرب فيحتج منه بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم [5] ازدهر علم الكلام في المغرب حيث قال ابن خلدون:« و هو علم يتضمن الحجاج عن القصائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة و المنحرفين في الاعتقادات عن المذاهب السلفية و أهل السنة»[6]

وبداية من القرن الحادي عشر الميلادي و بعد سقوط طليطلة في 1080م أصبحت تلك الكتب القديمة متاحة في ترجمات لاتينية عن أصول عربية ، ولم تكن عربية ، ولم تكن اللغة العربية نفسها محل اهتمام و دراسة بشكل موسع لان معظم الباحثين اعتمدوا على ترجمات قامت بها فئة قليلة من المترجمين اليهود غالبا ، والذين تعلموا العربية في صقلية أو في الأندلس المسلمة ، وفي القرن الثاني عشر الميلادي أثناء الحروب الصليبية ، أصبح الباحثون الغربيون في موقع صلة مباشرة بالحضارة الإسلامية و اللغة العربية ، ونتج عن تلك الصلة المباشرة رد فعل متناقض : فمن ناحية اعتبر الإسلام الدين العدو الذي هدد أوروبا وحبس مفاتيح

---

(1) شوقي ضيف ، مرجع السابق ، ص 19- 20 .

(2) عبد الغفار حامد هلال ، المرجع السابق ، ص 81.

(3) محمّد أسعد طلس ، المرجع السابق ، المجلد الأول ، ج 4 ، ص 194- 195 .

(4) كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 123.

(5) هيفاء يونس موسى الشريف ، شواهد رؤية في لسان العرب دراسة دلالية ، (د ط) ، رسالة ماجستير في اللغة العربية بجامعة الخليل ، (1430هـ/2009م) ، ص 16.

(6) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2 ، ص557 .

المدينة المقدسة ، ومن ناحية أخرى كان المسلمون حملة الحضارة اليونانية وسدنة تراث الإغريق ، وفي أيدهم المصادر الأساسية الوحيدة المتاحة ، ولذلك فبينما كان الصليبيون يحاولون انتزاع بيت المقدس من يد المسلمين و حماية أوربا من الإسلام سافر الباحثون من كل أوروبا للأندلس الإسلامية للتعلم في جامعات قرطبة و غرناطة الشهيرة ، وقد كان لدراسة اللغة العربية حينئذ وظيفتان ..وكان هدف الترجمة فضح أخطاء المسلمين الذين كانوا غالبا ما يسمون Agarenes وظلت اسبانيا الإسلامية البوابة الأساسية للإسلام و المكان الوحيد الذي كان الناس يستطعون أن يتلقوا فيه التعليم اللغوي الضروري لفهم كتاب المسلمين المقدس و التراث اليوناني ، ولذلك من البديهي أن تكون اسبانيا هي مهد أول أدوات لدراسة اللغة العربية [1]ولميل النّاس إلى ترجمة كتب اليونان و الفرس و الهنود و غيرهم في الفلسفة و العلم و الحكمة و الفنون [2] فبعد المحاولات الأولى في منتصف القرن الميلادي التي كانت فيها الترجمات من الأدب الإيراني ابتداء الصدارة اتخذ نشاط الترجمة في بداية القرن التاسع الميلادي أشكالا منظمة : و بعد حوالي ثلاثمائة عام كان تراث الثقافة المعلمة باليونانية الهلينستية بأكمله متاحا بلغة عربية - بعض المؤلفات كذلك في عدة ترجمات [3]و جمع علماء لغة آخرون مثل الأصمعي (123هـ/ 740م-828م) الثروة اللغوية و رتبوها حسب الموضوعات ، و دون علماء اللغة في الوقت نفسه بجانب جهد الفهم النحوي و المعجمي للعربية مادة الثقافة اللغوية لقبائل البدو ، فجمعت حتى ذلك الحين في العادة أشعار و أمثال و طرائف نوادر وحكايات الأبطال التي رويت شفاهة ، وكان في هذا الأمر أقدم جامع لها ، حمادة الرواية المتوفي (155هـ /772م) أو المفضل الضبي المتوفي (175هـ/ 791م) أو خلف الأحمر المتوفي حوالي (180هـ / 796م) و هو رواية أكثر منه عالما ، فهم يعدون العناصر الأخيرة في سلسلة المورثين الذين نقلوا مادة الثقافة اللغوية للعرب من جيل إلى جيل ، وهم أنفسهم قد أثروها أيضا ، و هم يعلّمون مرحلة فقد فيها ارتباط الطبقة العليا العربية في دولة الخلفاء بالمجتمع القبلي للبدو ، و معه أيضا الإرث الحي و المعرفة المباشرة بلغة الشعر العربية القديمة [4]

على أننا نرجح إن العرب اخذوا عن الهنود كثيرا من المصطلحات التجارية و أسماء السفن و أدواتها ، وأسماء الحجارة الكريمة ، والعقاقير ، والطيب مما يحمل من بلاد الهند ..و العرب يعدونها عربية [5] فقد اختلط العرب بالفرس وخاصة بعد الإسلام ، وأخذوا منهم كثيرا من الملابس و الأنسجة ، ولم ينقلوها إلى

---

[1] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 10 .

[2] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 39.

[3] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 12.

[4] فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 107- 108 .

[5] جورج زيدان ، المرجع السابق ، ص 18 .

لسانهم .. بل عربوها و أبقوها على ما هي [1] استطاع أن يصقل هذه الألفاظ الأعجمية حتى أصبح بعضها و كأنه عربي خالص : من هذه الألفاظ : قرطاس – درهم – دينار – سجل – برنس –كرسي – دمقس – إستبرق – قصر و هذه الكلمات الأعجمية دخلت في الشعر الجاهلي ، و بعد أن كان بعضها قد جاء في القران الكريم [2] و اقتبس العرب من الفرس كثيرا من ألوان الأطعمة ، وأنواع الأسلحة و الفرش و الأدوات ، وأبقوها على لفظها الأعجمي .. [3] .

ثم أن أكثر ما ادخله العرب إلى لغتهم من الألفاظ الأجنبية ، لم يكن له ما يقوم مقامه في لسانهم على أن كثيرا منه كانت له عندهم أسماء مشهورة ... لا يبعد أن يكون بعضها دخيلا أيضا [4] و قال المقريزي في الخطط : " كتابة السير رتبة قديمة لها أصل في السنة فقد خرّج أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله (ص) أنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل احد فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية ، أو قال كتاب السريانية ، فقلت نعم ، فتعلمتها في سبع عشر ليلة " وهذا يدلنا على أن النبي ص قد كان يصطفي بعض الكتاب فيجعلهم يكتبون له بعض مالا يريد أن يطلع عليه الآخرون ، كما رأينا أنه كان يصطفي بعض أصحابه فيودعهم بعض الأسرار كما كان يفعل مع حذيفة بن اليمان فيما رأيت [5].

و يرى المستشرق نالينو أنه ربما كان كتاب أحكام النجوم لمرقس الحكيم هو أول ترجمة دونت بالعربية ، وقال آخرون بل هو كتاب اهرن بن المبين في الطب ، وجده عمر بن عبد العزيز في بعض خزائن الكتب ، فأمر بإخراجه ووضعه في مصلاه واستخار الله في إخراجه للمسلمين لانتفاع به فلما تم له ذلك أربعون صباحا أخرجه إلى الناس ثم تتابعت الترجمات ، وكثر التدوين على يد أمثال : عبد الملك بن أبجر الكناني الطبيب العالم الذي كان يقيم في الإسكندرية و يدرس الطب فيها ، فأسلم على يد عمر بن عبد العزيز ، و نقله إلى الشام ، و مثل عبد الحميد بن يحي الكاتب الأديب الأشهر و مثل جبلة ابن سالم كاتب هشام بن عبد الملك الذي نقل له بعض كتب التاريخ القديم ، ورسائل أرسطوطاليس ، و مثل قيس بن قنان بن متى كاتب عبد الملك بن مروان و انه هشام ، و قد كان أبوه كاتبا لمعاوية و مترجما ، ومثل الحصين ابن

---

[1] جورج زيدان ، المرجع السابق ، ص 21 .
[2] عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 38 .
[3] جورج زيدان ، المرجع نفسه ، ص 21 .
[4] جورج زيدان ، المرجع نفسه ، ص 24 .
[5] محمّد أسعد طلس ، المرجع السابق ، المجلد الأول ، ج 2 ، ص 117- 118 .

قيس بن قنان كاتب مروان ، و مثل أسامة بن زيد التنوخي ، كاتب الوليد بن عبد الملك و غيرهم من النصارى الشاميين الذين اضطلعوا بعبء التدوين في هذه الحقبة [1] .

إن العلماء اللغويين العرب المؤسسين للمجامع اللغويّة الحديثة تنبهوا إلى اللغة تنمو و تتطوّر بتطور الحياة واتساعها ، و أنها ظاهرة اجتماعيّة تستجيب لحاجات الناس و أغراضهم ، حسب كل عصر و مصر ، فلا غرابة أن هم ترصّدوا مسار العربية ، لان الأوائل تخاطبوا فيما بينهم بعربيتهم السائدة في عصرهم ، فتواضعوا عن مسميات تتناسب و أزمانهم و أحوالهم و أوضاعهم الماديّة و المعنويّة فأثروا لغتهم ، وعلى هذا الأساس لاحظ اللغويّون المحدثون أن هناك أشياء جدّت في الحياة العصريّة لا أسماء لها ، ففزعوا إلى الترجمة أن وجدوا مضارعا لهذه المخترعات الجديدة ، و الاّ عرّبوه وفق مقاييس عربية ، وصيغ صرفية تلحق بالصيّغ التي تواضع عليها الأعراب البدو من قبل [2] من أقدم ما اقتبسوه من الألفاظ الإدارية الفارسية " الديوان " على عهد عمر بن الخطاب ، فانه أول من دوّن الدواوين في الإسلام ، فوضع الديوان [3] فاستعمله أولا للدلالة على ديوان الجند ، فكانوا إذا قالوا الديوان أرادوا ديوان الجند فقط ، ثم أطلقوه على سائر الدواوين ، و ألحقوا به ألفاظا تميز بينها : كديوان الإنشاء ، و ديوان العرض ، وديوان الضياع ، و ديوان الخراج ، و هي كثيرة [4] عرّبت الدواوين ضمن الخطة المرسومة لسياسة الدولة الإصلاحية التي بدأها الخليفة عبد الملك بن مروان و أكملها الخلفاء من بعده ، والتي تضمنت تعريب الدواوين من اللغات الأجنبية : الفارسية و اليونانية و القبطية لإزالة النفوذ الأجنبي من مؤسسات الدولة الإدارية و المالية ، وتعتبر عملية التعريب التي ابتدأها عبد الملك من الأحداث العظيمة و الجليلة ، فقد حققت حركة التعريب الدواوين نتائج ذات آثار عظيمة في جميع الميادين السياسية و الإدارية و الثقافية و اللغوية ، مازالت نتائجها شاخصة للعيان حتى اليوم ، ويمكن تحديد نتائج حركة التعريب بما يأتي :

- تحقيق سيادة لغة القران الكريم وتعزيز مكانتها وانتصارها على اللغات الأجنبية في الدولة كالفارسية و اليونانية و القبطية ، إذ أصبحت لغة الدين الإسلامي لغة السياسة و الدين والعلم ، و أصبحت مادة التفاهم اليومي في كل أنحاء الدولة ، فانتشرت الثقافة العربية التي طغت على الثقافات الأخرى ،

---

[1] محمّد أسعد طلس ، المرجع السابق ، المجلد الأول ، ج 4 ، ص 223- 224 .

[2] سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 52 .

[3] جورج زيدان ، المرجع السابق ، ص 48.

[4] جورج زيدان ، المرجع نفسه ، ص 48.

وتفاعلت معها وأذابتها وحلت محلها ، إذ اعتبر التعريب من الأحداث الكبيرة و الانجازات الضخمة في المجال الثقافي و السياسي ، وقد تمّ وفق الخطة المدروسة [1].

- ظهور فئة مهمة من الكتاب العرب أو الموالي حلّوا محل الكتّاب الفرس و الروم في إدارة الدواوين[2]
- ظهور حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية حيث كانت حركة تعريب الدواوين أول عملية ترجمة منظمة أدت إلى نقل الكثير من المصطلحات الأجنبية ، وظهر من اهتم بالترجمة مثل خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان المتوفي (85هـ/704م) فهو أول من أمر بنقل بعض كتب الكيمياء و الطب من اليونانية إلى العربية .
- كان تعريب الدواوين سبيلا إلى تعريب الأقاليم و الجاليات غير العربية " فكان ذلك من اكبر العوامل في انتشار اللغة العربية .
- تمكنت الدولة من تحقيق الإشراف التام على النواحي المالية و الإدارية و ضبط أعمال الدواوين وسجلات الضرائب .
- اتجه الموالي لتعليم اللغة العربية ، لكونها الطريق المؤدي إلى الوظائف و المناصب العالية ، و أدى ذلك إلى إشاعة اللحن في اللغة [3]

نريد بالألفاظ العلمية ما اقتضاه نقل كتب العلم ، و الفلسفة إلى اللغة العربية في العصر العباسي من الألفاظ الجديدة ، لتأدية ما جدّ من المعاني ، ما لم يكن له مثيل في لسان العرب ، كالمصطلحات الطبية ، والكيماوية ، والفلسفية ، والطبيعية ، والرياضية ، والفلكية ، و المنطقية ، و ما ألحق بذلك من مصطلحات علم الكلام ، و التصوف ، و نحوهما ، وشان أهل العصر العباسي في نقل تلك العلوم من اليونانية ، والفارسية ، والهندية ، و غيرها [4] وأصل الركاكة و الغرابة في لغة الدواوين ، يرجع إلى عصر التدهور في زمن الأمراء و المماليك .. و طبيعي أن اللغة تحيا بحياة أهلها ، وتموت بموتهم ، وتزهو بزهوهم ، وتنحط بانحطاطهم ..ففي عصر أولئك الأمراء ، بلغت مصر من التدهور في السياسة و الإدارة و الآداب و العلوم ما لم يبق بعده غاية [5] و قد ذكرنا مثالا من كلام الجبرتي مؤرخ تلك الحوادث في كلامنا عن اللغة العربية في عصر التدهور [6] كان الأطباء في هذه الفترة يدرسون أحكام الأطباء النصارى المترجمة إلى العربية ، التي

---

[1] ناصر بن محمد بن عبد الله الأحمد ، حركة الجهاد و الفتح الإسلامي في عهد الدولة الأموية و أثرها الدعوة إلى الله تعالى وانتشار الإسلام ، أطروحة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية ، (دط) ، معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية ، لبنان – بيروت ، (1429هـ/2008م) ، ص 40- 41 .

[2] ناصر بن محمد بن عبد الله الأحمد ، المرجع السابق ، ص 40 - 41 .

[3] ناصر بن محمد بن عبد الله الأحمد ، المرجع نفسه ، ص 40- 41 .

[4] جورج زيدان ، المرجع السابق ، ص 50 .

[5] جورج زيدان ، المرجع نفسه ، ص 88.

[6] جورج زيدان ، المرجع نفسه ، ص 89.

التي ليس من الضروري أن تكون أحكام " أبقراط"، كانت تلك الأحكام بصورة عامة، أحكام مختصرة وقاطعة سهلت للأطباء مهمة إعداد تشخيص سريع ومميز بحسب القدرات المتاحة آنذاك [1] أول من اشتهر في الطب في الأندلس ستة أطباء مارسوا مهنتهم إبان حكم الأمراء "محمد الأول""المنذر"و"عبد الله" [2] و استطاع الأطباء الأندلسيون بمعونة الراهب" نيكولاس" أن يدرسوا الكتاب، ويتعرفوا من خلاله على القسم الأكبر من النباتات المذكورة فيه، وهو عبارة عن إنجاز مهم جدا، خاصة وأن اللغة اليونانية العلمية أصبحت تشكل منذ ذلك الحين جزءا من ميراث العلماء، وكان لظهوره أثرا حاسما في مجرى دراسة الصيدلة [3] و يظهر أن العرب القدماء في العصور الجاهلية وصدر الإسلام لم يكونوا يعبرون عما نسميه نحن – باللغة – إلا بكلمة – اللسان – تلك الكلمة المشتركة اللفظ و المعنى في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية ، و قد يستأنس لهذا الرأي بما جاء في القران الكريم من استعمال كلمة – اللسان – و حدها في معنى اللغة نحو 8 مرات ، ومما جاء في القران الكريم من استعمال كلمة – اللسان – بمعنى اللغة ، قوله تعالى : { **نزل به الرّوح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربيّ مبين** }[4] ، **و قوله عز وجل :{ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ** }[5] كما أنهم لم يستعملوا مصطلح اللهجة على النحو الذي نعرفه اليوم ، بل كانوا يطيقون لفظ اللغة أو أو اللحن ويريدون منه اللهجة ، و هذا موجود بكثرة في المعاجم العربية و كتب النحو و في بعض الروايات الأدبية ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس : " و قد كان القدماء من علماء العربية يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة – اللغة – حينا – باللحن – حينا أخر ، يرى هذا واضحا جليا غي المعاجم العريقة [6]

و هنالك عالم آخر من علماء البصرة تولّى جمع أوّل معجم في اللغة العربية هو الخليل بن احمد الفراهيدي (170هـ/786م) و قد عرف معجمه بكتاب العين ، والذي يبدو أن الخليل قد اعتمد في تنسيق معجمه النظام الأبجدي السنسكريتيّ الذي يبدأ بالحرف الحلقي "ع " [7]

معلوم إن أكثر المصادر التي يرجع إليها كتاب اللغة العربية في العلم الطبيعي و فروعه مكتوبة باللغات الإفرنجية ، و أكثر الكتّاب عندنا يحسنون لسانا أو غير لسان من اللغات الأعجمية ، و

---

[1] خوان قرنيه ، العلوم الفيزيائية والطبيعية والتقنية في الأندلس ، ترجمة : أكرم ذا النون ، المرجع السابق ، ص 68.

[2] ابن أبي أصبعة ، عيون الأنباء من طبقات الأطباء ، ت : نزار رضا ، (دط)، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1965م ، ص485 - 486.

[3] Juan Vernet : Ce que la wlture.doit aux arabes d'Espagne. Sind load paris. 2eme. Edi. 1974. Page 82.

[4] سورة الشعراء ، الآية : 195 .

[5] سورة الأحقاف ، الآية : 12.

[6] عبد الله بن عبد الرحمان بن سعد العياف ، المرجع السابق ، ص 5.

[7] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 506 .

أكثر ما يقرأونه من الكتب أو الجرائد في اللغات الإفرنجية .. فضلا عن شيوع تلك اللغات بين العامة ، فحيث سار الكاتب في المدن الكبرى فانه يسمع العبارات الإفرنجية ، فلا غرو إذا داخل عبارته تركيب إفرنجي أو تعبير أجنبي ، ولا يخفى إن لكل لغة أسلوبا في التعبير لا ينطبق بكل تفاصيله على أساليب اللغات الأخرى ، واللغات تتقارب و تتباعد في تلك الأساليب بتقارب أصول الشعوب و تباعدها ، والعرب بعيدون في أصولهم عن الإفرنج ..فأساليب التعبير في لغاتهم متباعدة و متباينة ، والغالب أن تمتاز كل لغة ببعض أساليبها على اللغات الأخرى و تقصر في البعض الأخر ..يعلم ذلك الذين يعانون الترجمة من لسان إلى لسان ، فاقتباس العرب بعض أساليب الإفرنج في كتابتهم قد يكون من جملة مكملاتها ، و إذا عده بعض اللغويين فسادا في اللغة ، فلان بعض كتابنا يبالغون في ذلك الاقتباس ..فيتناولون عبارات إفرنجية ، في اللغة العربية من التراكيب الإفرنجية [1] نمت المكتبة في الإسلام و تطورت كنتيجة طبيعية للحياة الجديدة التي وجد المسلمون أنفسهم فيها بعد عصر الفتوح و الاستقرار في الأراضي المحررة و قد تم ذلك بتأثير عاملين أساسين الأول أجنبي و هو تفاعلهم مع الحضارات السابقة لحضارتهم التي وجدوها في البلاد المحررة و العامل الثاني هو الأهم و يعتبر ذاتي منبعث عن عقيدتهم و إيمانهم وإسلامهم و يتمثل في موقف الإسلام من العلم و المعرفة [2]

اللغة من أعظم مظاهر الحضارة و أجلّها شأنا ،لأنها ، في مفرداتها و تراكيبها ، سجلّ النفوس و صورة المجتمع [3] اللغة وسيلة التعبير عن العواطف و المقاصد و الأفكار ، و يكون التعبير بالحركات لصادرة عن الأفعال ، و بالإشارات المقترنة بالرويّة و الإرادة ، كما يكون التعبير أيضا بالأصوات ، و الإشارة قد تؤدّي المعنى المقصود ، أحيانا ، أحسن مما تؤدّيه الأصوات بالألفاظ ، وان كان " الصوت هو آلة اللفظ .. و لن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت " [4] قال المحبّي :" ثم إن العرب كما تعرّب الاعجميّ ، كذلك العجم تعجّم العربيّ [5] و قال ابن السرّاج في رسالته :" الاشتقاق " ، و هي أصحّ ما وضع في هذا الفنّ من علوم اللسان :" ومن اشتقّ الاعجميّ المعرّب من العربيّ كان كمن ادّعى أنّ الطير من الحوت "

---

(1) جورج زيدان ، المرجع السابق ، ص 79- 80 .

(2) حمادة محمد ماهر ، المكتبات في الإسلام ، نشأتها و تطورها ومصادرها ، ط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (1417هـ/1996م) ، ص 25 .

(3) حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 48.

(4) عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 33 .

(5) سهى فتحي نعجة ، المرجع السابق ، ص 16.

كما يتّضح تشدّدهم في المستوى النّظريّ في نظرتهم إلى الاعجميّ في وضعهم قيودا يتميّز فيها العربي دالا ومدلولا ، من العربي دالا [1]

لم يقتصر التعليم عند العرب على المسجد و الجامع و الكتاب و دور العلم و خزائن الكتب كما رأينا ، بل وجدت عندهم مؤسسات أخرى كانوا يتلقّون فيها العلم إلى دانب الأغراض الأخرى التي أسست من أجلها كالخانقاه ، والرباط ، والزاوية ، و بالبيمارستان [2] ان الترجمة في افريقية كانت على عكس ما تعارفت عليه الترجمة في المشرق ، فقد ترجمت الكتب الطبية الافريقية من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية في فترة الدراسة مما يدل على علو المكانة العلمية للقيروان [3]

و الجدير بالذكر أن اللغة لم تقف جامدة أمام التيارات الجديدة ، وهي أداة التعبير و الأداء عن شتى نواحي الحياة اتساعا مدهشا ، وتنوّعت المظاهر الحياتيّة تنوّعا عجيبا ، وكان السبيل للغة ، حتى تستوعب كلّ ذلك وتكون مرآة له ، أن تمتدّ عن طريقين : طريق الاشتقاق ، وطريق التعريب ، فسلكت الطريقين سلوكا حثيثا ، " و قد دلّ العرب في عملهم هذا على أنهم كانوا جديرين حقا بهذه المدنية ، فإنهم لم يقفوا جامدين و لم يقبلوا كل ما جاءهم من اللغات الأخرى على حاله ، و لكنّهم عرفوا أن في الجمود حرمانا من الفائدة ، و في الإباحة المطلقة جناية على اللغة ، فما كان في لغتهم له لفظ أثروه في الغالب على اللفظ الأجنبي وما لم يجدوه في لغتهم أخذوه في لغتهم أخذوه ، فهذّبوا حواشية و أخذوه ، فهذّبوا حواشيه و أخضعوه في الغالب لأوزان لغتهم ، و غيّروا من حروفه ما لا يستطعون النطق به ، فيخرج اللفظ بعد ذلك سائغا سهلا ، و تستفيد اللغة غنى بهذا الجديد عليها " و هكذا أخذوا من الفارسية بعض أسماء الأطعمة و النبات و الأزهار ، و بعض مصطلحات العلوم و الموسيقى (سكباج ، نيمرشت ، سنبوسج ، جلنار ، توت ، بستان ، سنجاب ، زئبق ، بربط) و أخذوا من اليونانية مصطلحات الفلسفة و المنطق و الطبّ ، (فيلسوف) ..وقد برهن علماء العرب في ذلك العصر عن تعلّقهم باللغة ، و حرصهم على صفائها ، كما برهنوا عن حسن تفهّمهم لحقيقة اللغة على أنها أداة لا بدّ لها من مماشاة الحياة في تطوّرها و شتى تقلّباتها [4] و لأكثر الألفاظ الطبية العربية معان لغوية ، عرفها العرب قبل عصر العلم ..فلما احتاجوا إلى المعاني الجديدة استعملوا من تلك الألفاظ ما يقرب معناه من المعنى المقصود [5] حينما قام العرب بتعريب العلوم ، نقلوا من اصطلاحاتها إلى لسانهم ما استطاعوا نقله ، ونوّعوا الألفاظ على مقتضى

---

[1] سهى فتحي نعجة ، المرجع السابق ، ص 17.

[2] محمد أسعد طلس ، المرجع السابق ، ص 96.

[3] لطيفة بنت محمد البسام ، الحياة العلمية في افريقية في عصر بني زيري ، الرياض ، (1422هـ/2001م) ، ص د .

[4] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 879 .

[5] جورج زيدان ، المرجع السابق ، ص 52 .

المراد كما تقدم ، وما لم يستطيعوا تعريبه ، نقلوه بلفظه إلى لسانهم .. [1] لكننا بالقياس على ما دخل اللغة العربية من التراكيب الأجنبية في أثناء نهضتنا الأخيرة ، بما نقلناه من علوم الإفرنج إلى لساننا ، نقطع بحدوث مثل ذلك في النهضة العباسية ، ونقله العلم يومئذ من غير أهل اللسان العربي .. [2] انقسمت مناهج البحث و التعليم في الإسلام بعد أن تطوّرت العقلية العربية في العصر العباسي إلى قسمين : قسم حافظ على المنهج العربي الخالص ولم يمزجه بشيء من الثقافات غير العربية وأرائها ومحتوياتها ، و هو منهج أصحاب الحديث في الحجاز و الشام و مصر و المغرب ، وقسم أضاف إلى المنهج العربي القديم مباحث جديدة استقاها من ثقافات جديدة وهم أهل الرأي [3]وخاصة بعد أن نقلت التوراة ، و الإنجيل إلى اللسان العربي .. فقد كانت لغة الدين المسيحي قبل الإسلام السريانية ، و اليونانية ، والقبطية .. ولغة اليهود العبرانية ، على تفاوت في استخدام الواحدة دون الأخرى ، و اختلاف ذلك باختلاف العصور و الأماكن ، فلما جاء الإسلام ، و انتشر المسلمون في العراق ، والشام ، و مصر ، وتسلطت اللغة العربية ، أخذت تلك اللغات تتقهقر ، حتى توارت .. و لم يبق منها إلا أثار قليلة في بعض الطقوس ، فالمسيحيون أصبحت العربية لغتهم ، و لكنهم لم يستطيعوا العبير بها عن كل اصطلاحاتهم الدينية ، ولما ترجموا التوراة و الإنجيل إلى العربية ، أبقوا كثيرا من الألفاظ الدينية على لفظها و معناها ..على أن كثيرا من الألفاظ النصرانية دخلت اللغة العربية [4] انه يجدر بنا أن ننأى عن الألفاظ الغريبة و الثقيلة النطق ، و أن نتحرى في مستحدثات الحضارة خاصة الاستعمال الشائع في البلاد العربية عامة و يلاحظ أنه لا مناص من التعريب ، و بخاصة في تلك المصطلحات التي أصبحت شبه عالمية ، أو التي استمدت من أصول يونانية أو إغريقية .

ما أشبه هذا الكلام بما جاء عند الخوارزمي الذي يقول :" وقد جمعت في هذا – يعني كتاب مفاتيح العلوم – أكثر ما يحتاج إليه من هذا النوع متحريا للايجازو الاختصار ، ومتوقيا للتطويل و الإكثار ، وألغيت..إذا كان أكثر هذه الأوضاع أسامي و ألقابا اخترعت ، وألفاظا من كلام العجم أعربت " [5] ما برحت اللغة

[1] جورج زيدان ، المرجع نفسه ، ص 55 .
[2] جورج زيدان ، المرجع نفسه ، ص 56 .
[3] محمد أسعد طلس ، المرجع السابق ، ص 130.
[4] جورج زيدان ، المرجع نفسه ، ص 63 .
[5] سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 24

العربية منذ الفتح الإسلامي ، وهي تكتسب الألفاظ الأعجمية و التراكيب الأجنبية كما رأيت ، مما دخلها من الألفاظ الإدارية والعلمية في العصر العباسي و غيره حتى في العصر الجاهلي ..ولكن المراد بالألفاظ الأعجمية في هذا الفصل ، ما خالط اللغة من الألفاظ و التراكيب الأعجمية ، بعد انقضاء دولة العرب ، و إفضاء الملك إلى السلاطين و الأمراء من الفرس ، و الديلم ، و الترك ، و الأكراد ، و الجركس ، في العراق ، و فارس ، و الشام ، و مصر و غيرها .

لأن اللغة العربية ما زالت سائدة في تلك الدول ، على اختلاف نزعاتها و لغاتها ، وكانت في أكثرها هي اللغة الرسمية التي تتخاطب بها الحكومات ، و لم تكن الدول الأعجمية أقل عناية بآداب اللغة العربية من الدول العربية ، بل كانوا أكثر اهتماما منهم في إنشاء المدارس ، وتعليم الفقراء ، واستنساخ الكتب ، ولكن حال العمران إجماله يومئذ قضى على اللغة بالانحطاط ، فدخلها التكلف و التجمل و التصنع ، وتكاثرت فيها ألفاظ التفخيم و التبجيل [1] و اللغة لمدى أبعد " فلغة الناس هي روحهم ، وروحهم هي لغتهم " [2] لأن لسان العرب و هو اشرف الألسن و به نزل القران الكريم قد تغير الآن غالبه و صارت العامّة و غيرها تتكلم بكلام لو سمعه بعض أعراب ذلك الزمان لما فهموه لتغيّر ألفاظه [3]

والغرض من التعليم عند القابسي – و هو من فقهاء أهل السنة – غرض ديني يقصد منه تعليم القران و معرفة العبادات المفروضة ، وقد أوجزنا القول في حقل اخر عن التربية والتعليم عند العرب و عرضنا هذه المذاهب المختلفة لنبيّن أن الاختلاف في أغراض التعليم ووسائله عند المسلمين إنما يرجع الى اختلاف هذه المذاهب العقلية .." [4] فقد روى ابن عبد البر في " جامع بيان العلم " كلمة رائعة لعبد الملك بن مروان يوصي بها بنيه ، وهي :" يا بنيّ تعلموا العلم ، فان استغنيتم كان لكم جمالا ، وان افتقرتم كان لكم مالا .." [5] ثم لاندفاق السّيول الأعجمية على البلاد العربيّة [6].

و كانت أنظار الأندلسيين تطمح إلى المشرق حيث مادة العربية و علومها فكان منهم من أعمل الرحلة لهذا ، وقدم من المشارقة ناس ، واجتلبت كتب المشارقة ، فكان من ذلك كله علم جمّ و أدب وافر أعنى البيئة الأندلسية ، فممن أعمل الرحلة إلى المشرق جودي النحوي (ت 198هـ / 814م) و قد لقي الكسائي و الفراء و غيرهما ، و الغازي بن قيس (ت 199هـ / 815م) أدرك الأصمعي و نظراءه ، ومحمد بن

[1] جورج زيدان ، المرجع السابق ، ص 67 – 68 .

[2] ر ، هـ ، روبينز ، المرجع السابق ، ص 254.

[3] جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي (874/813) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، ج 1 ، (د ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د س ط) ، ص 77.

[4] محمد أسعد طلس ، المرجع السابق ، ص 125.

[5] محمد أسعد طلس ، المرجع السابق ، ص 125 – 126 .

[6] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 39.

عبد الله بن سوار لقي أبا حاتم و الرياشي ، و قاسم بن أصبغ (ت 302هـ/ 914م) ويقال انه من أدخل كتاب العين إلى الأندلس [1] كذلك مارس اليهود عادات المسلمين و تقاليد ، و أتقنوا اللغة العربية إلى جانب لغتهم العبرية و اللغتين الرومنثية و اللاتينية تعلموهما منذ أيام الرومان و القوط ، وتعلم اللغات ساعدهم في عملهم الذي انحصر ، إلى حد كبير [2]

بأن عملية التعريب ستسير دون عقبات ..أعتقد أن اللغة العربية و تدريسها ستكون إحدى الإشكالات المقبلة [3]

يقولون إن اللّغة مرآة الامّة ، وسجل تاريخها ، وصورة أحوالها في كل أدوارها ، بحيث إن من تفقد ألفاظها ، وتدبّر معانيها و استقصى تاريخا ، وجد فيها أثارا تدل على ماضي الأمة وتطورها من حال إلى حال ، كما تدل الاحافير و العاديات على حالة الأمم الغابرة ، ولكن ما لنا لا نزال نستعمل لغة البداوة ، و قد أنفسح بيننا و بينها الأمد ، وانقطعت بيننا كل صلة ؟! [4]

و التعريف بالاعلام المغاربة الذين رحلوا الا ان أورد ما قاله الامام احمد المقري في نفح الطيب عند ما اراد ان يعرف ببعض من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق [5] وتعايشوا على مدى ثلاثة عشر قرنا منذ الفتح العربي الإسلامي للشمال الافريقي [6]

---

(1) أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت 356هـ/ 967م) ، البارع في اللغة ، تحقيق : هاشم الطعان ، ط ، دار الحضارة العربية ، بيروت ، 1975م ، ص 26-27 .

(2) ابن الحداد ، المصدر السابق ، ص 71.

(3) محمد ناصر صوّان ، أوراق قديمة من كرّاس الجزائر ، مذكرات معلم فلسطيني (1962- 1968م) ، ط ، دار النمير ، مكتبة الإسكندرية ، دمشق ، 1998م ، ص 29.

(4) خليل السكاكيني ، المرجع السابق ، ص 77، أيضا : ديفيد جستس ، محاسن العربيّة في المراة الغربية أو دلالة الشكل في العربيّة في ضوء اللّغات الاوروبيّة ، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية ، الرياض ، (1424هـ/2003م)، ص 14- 15.

(5)، الناجي لمين ، رحلات علماء المغربين الأقصى و الأوسط الملكية و أثارهما العلمية من خلال القرنين السابع و الثامن الهجريين ، دار الكتاب المغربي ، مصر ، 2016م ، ص 9.

(6) الياس بلكا – محمد حراز ، اشكالية الهوية و التعدد اللغوي في المغرب العربي المغرب نموذجا ، ط ، مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية ، ابوظبي ، 2014م ، ص 7 .

الفصل السادس : هجرة بني هلال و انتشار اللغة العربية

أولا : قبائل بني هلال مناطق تمركزها

ثانيا : علاقة بني هلال بالقبائل المحلية

ثالثا : الإنتاج العلمي والأدبي عند بني هلال

هجرة بني هلال و انتشار اللغة العربية :

قبائل بني هلال مناطق تمركزها: مما لاشك فيه ، ان دراسة الفتح الاسلامي لبلاد المغرب ، تعتبر مهمة صعبة للغاية ، وهناك حقيقة ، لابد من الاشارة اليها و هي ان معظم الابحاث و الدراسات التي ألفت عن تاريخ المغرب في ظل الاسلام ، كانت تتسم بالنظرة العمومية ، دون تسليط الضوء على كثير من الشخصيات المغمورة ، التي كان لها الفضل السبق في نشر الاسلام من ناحية ، واللغة العربية من ناحية ثانية ، بالمغرب، والعمل على تمصير البلاد و تشجيع ظاهرة الامتزاج بين العرب والشعوب التي دخلت في الاسلام ، وما بين هاتين الظاهرتين من روابط وقد لا نبالغ اذا قلنا ان الحضارة العربية الاسلامية ، قامت على هاتين الظاهرتين (الاسلام و اللغة العربية) او بعبارة ادق قامت على دعامتين كبيرتين ، هما العروبة و الاسلام ، بحيث كانت اللغة العربية هي الاداة التي عبّرت فيها هذه القوة الحضارية عن نفسها ، في حين كان الاسلام القوة الروحية التي أكسبت شخصيتها [1] باللسان العربي [2]لقد تعاقب الخلفاء و السلاطين و الأمراء [3] رغم كثرة الحكام على مر العصور ، انطبعت مدن افريقية بطابع الحكام المسلمين ، و تأثرت تأثرا ملموسا ، قادرا على جعل المغاربة ينفعلون به [4] وهم أمراء أغالبة وخلفاء فاطميون ، وسلاطين بني زيري ، وذلك ابتداء من نهضة القرن (3هـ/9م) حتى الغزو الهلالي ، ولقد ساهموا جميعا في جعل هذا البلد نشطا و مزدهرا [5] أما في الطرف الاخر (الغربي) للبحر الابيض المتوسط الاسلامي يشهد القرن (5هـ / 11م) أيضا ظهر أحداث ذات أهمية كبرى ، ولن تخلو من تشابه تلك التي ذكرناها بالمشرق [6] ومن عجيب أمور اللغة العربية أنك لا تجد حتى اليوم تاريخا ممتعا لادابها مع وفرة كتبتها و تعدد مصنفاتها في كل أبواب العلوم و اتساع دائرة نفوذها [7]و بمرور الوقت أمكن بالطبع أن تتغلب العربية بوصفها لغة الثقافة السائدة وحدها فقد سادت العربية بوصفها لغة الحديث أيضا ، وفي القرن العاشر الميلادي برزت مرة أخرى [8]و الحق أن مشكلة تعريب ألفاظ العلم و مستحدثات الحضارة هي مشكلتنا الحقيقية [9] من الثابت أيضا أن الحركة النقدية في بلاد المغرب لها ارتباط قوي و متين بتلك الحركة التي ظهرت في المشرق

---

[1] صالح بن قربة و اخرون ، المرجع السابق ، ص 9 – 10 .

[2] أحمد زكي ، الترقيم وعلاماته في اللغة العربية ، (د ط) ، مؤسسة هنداوي للتعلم و الثقافة ، مصر ، 2012م ، ص 8 .

[3] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 343 .

[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 343 .

[5] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 343 .

[6] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 9.

[7] لويس شيخو ، تاريخ الاداب العربية ، (د ط) ، (د س ط) ، ص 2 ، من الانترنيت : httpwww.shamela.ws

[8] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 14 .

[9]رمضان عبد التواب ، المرجع السابق ، ص 187.

منذ نشأتها حتى عصر " ابن رشيق " و يعتبر هذا الحديث صعبا ،راجع إلى قلة التناول في هذا الموضوع وعجز المغاربة في أن يقوموا بحصر أو جمع أو استنباط ما تركه الأسلاف و النظرة التشاؤمية التي أبداها بعض الباحثين ، مستخلصا أن المغاربة قصروا معظم تأليفهم على البديع و لم يهتموا لفروع البلاغة الأخرى و هو ما فندّه بعض الباحثين في المناهج النقدية و البلاغة للمغرب العربي بحجة تؤكد وجود شروح بعض القصائد الذائعة لشروح القصائد الطوال التي شاعت مثل " لامية العرب" "لامية العجم" "شرح ديوان المتنبي" إضافة إلى الشروح الأدبية هناك شروح بعض الأحاديث النبوية و كتب التفسير[1] في حين ندرس هذا النقد المغربي فإننا لا نريد أن نبتر الصلة التي تربطه مع المشرق، لان الآصرة قائمة، و الوشيحة مائلة أضف إلى ذلك أنّ القريحة العربية تكاد تتشابه إنتاجا بسبب العادات و التقاليد و البيئة و العقلية و الحضارة العربية التي تستمد ضياءها من هموم مشتركة [2] أما في العصر الإسلامي فشهد نوع من التحوّل في ميدان النقد أسلوبا و محتوى، فكان القرآن الكريم هو معجزة العرب[3] أما خلال العصر الوسيط فقد سجل لنا المؤرخون عدة هجرات عربية [4] الشائع لدى المؤرخين ان الهجرة الهلالية الى بلاد المغرب ، بكل ما كان لها من تأثيرات عرقية و سياسية و اقتصادية او حضارية على الجملة ، انما بدأت نتيجة للقطيعة الدينية السياسية بين الخلافة الفاطمية في القاهرة و بين نوابها الزيريين في القيروان ، وذلك ابتداء من سنة (335هـ/946م) حيث كان الاتصال بخلافة بغداد العباسية لاول مرة – كبديل شرعي لخلافة القاهرة الفاطمية ، الامر الذي بلغ مداه سنة (442هـ/ 1050م) عندما انطلقت قبائل بني هلال مع قبائل بني سليم من صحراء صعيد مصر الشرقية ، عبر النيل نحو المغرب و هي الرحلة التي تعرف في القصة الشعبية باسم " التغريبة " الهلالية [5] لقد كانت علاقة الفاطميين مجرد لعبة سياسية تستغل وفق الظروف ولم يكن ثمة ولاء حقيقي يشعر به الحماديون نحوهم ، و عندما هاجمت القبائل العربية المغرب بايعاز من الفاطميين بعد خروج المعز عليهم سنة (441هـ/ 1051م) راح القائد بن حماد – الذي كان قد خرج على الفاطميين يتظاهر بالولاء لهم تقيّة ، و استجلابا لرضا القبائل المعيرة حتى جاءه لقب تشريفي منهم ، ولم

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 24, أيضا : محمد امين البغدادي السويدي ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، (دط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د س ط) ، ص 160 ، محمد مرتاض ، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي نشأته و تطوره (دراسة و تطبيق) ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، 2000 م ، ص 20-21 .

[2] محمد مرتاض، المرجع السابق ،ص 24 ، أيضا: عباس محمود العقاد ، أثر العرب في الحضارة الاوربية ، دار نهضة ، مصر، 2002 م، ص 55.

[3] بشير خلدون ، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسلي ، (دط) ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، (د س ط) ، ص36 .

[4] عبد القادر زبادية ، دراسات عن افريقيا جنوب الصحراء في ماثر ومؤلفات العرب و المسلمين ، (دط) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (د س ط) ، ص 23.

[5] سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 417 .

يرد الامر في بقية ايام الدولة هن هذا المستوى ، لا سيما و الفاطميون أنفسهم قد بدأوا يدخلون طور الاضمحلال منذ أواخر القرن الخامس الهجري [1] اذ راى الحماديون في الغارات الهلالية فرصتهم ليتصدروا المغرب ، وليرسموا سياستهم الخارجية التي فشلوا في الاستقلال بها قبل الهلاليين [2] و قد استمرت محاولات الحماديين للابقاء على علاقة الود التي تربطهم بالمسيحيين ، وان كان الاخيرون لم يبذلوا مثل هذه المحاولة ، ففي سنة (508هـ/ 1114م) سمح العزيز بن المنصور بانشاء كنيسة في القلعة دشنت باسم كنيسة مريم العذراء ، وكان كاهنها المسمى "عزون " يطلق عليه العامة لقب " خليفة " تأثرا بالطابع العربي و اللغة العربية [3] و يستقيم الاسلام الصحيح بجاهه ، وجاه القبائل البربرية المستعربة التي تؤيده وتتجلى في ظله فضائل العروبة [4] لما اختلط العرب بالعجم و الموالي ظهرت في الألسنة مظاهر اللّحن و ضعف الملكة و الطّبع ، فشعر العرب بحاجة إلى ضبط الإعراب و الشكل و الاعجام ، أضف إلى ذلك أنّ المستجدّين في الإسلام اكّبوا على اللغة العربيّة يتعلّمونها رغبة منهم في تقلّد الوظائف الحكوميّة و في مجاراة الفاتحين [5] يشكل دخول العرب الرحل الى بلاد البربر في حوالي (441هـ / 1050م) و هو ما يسمى عادة بالغزو الهلالي ، تاريخ البلاد خلال القرون الثمانية التي تفصل بين الفتح العربي للبلاد و الاستقرار التركي [6] قال الله تعالى : { **بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** } [7] سوف تظهر نتائج الغزو الهلالي في جميع المجالات ، السياسية ، و الاقتصادية ، والاجتماعية ، والفكرية ، ولن تنجو منطقة أو شعب في شمال إفريقيا من نتائجه ، ومع ذلك تراودنا الرغبة في فهمه على انه حدث خاص بشمال إفريقيا و هذا يقلل من دوافعه [8] فالغزاة العرب خرجوا من مصر و انتقل بعضهم أو سلالاتهم إلى الأندلس ، كما تأثرت البلاد الغير إسلامية المحيطة و خاصة أسبانيا المسيحية و صقلية بنتائج دخولهم إلى مسرح الأحداث [9] بعد أن غزا عرب بني هلال أفريقية [10] كما أثر على تطوره الداخلي ، وعلى علاقاته مع النصرانية [11].

---

[1] عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 168- 169.

[2] عبد الحليم عويس ، المرجع نفسه ، ص 171.

[3] عبد الحليم عويس ، المرجع نفسه ، ص 189.

[4] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 179 .

[5] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 506- 507.

[6] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 5 .

[7] سورة النحل ، الآية : 44 .

[8] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 6 .

[9] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 6 .

[10] حسن أحمد محمود ، المرجع السابق ، ص 190.

[11] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 6 .

ان الشئ الذي لفت انتباهنا في القرن (3هـ/9م) ، و الذي فرض على الممالك الثلاث دورا رئيسيا في بلاد البربر ، هو اصل حكام هذه الممالك ، فالاغالبة و الادارسة [1] كانوا عربا ، اما الرستميون فقد كانوا فرسا ، ونتج عن استقرارهم في البلاد وصول كثير من المهاجرين من المشرق خلقوا حولهم حياة مشرقية [2] بحيث أقدموا على محاربة كل الدويلات الاسلامية التي كانت قائمة في في المغرب الاسلامي دون هوادة [3] كان دخول الهلاليين و اخوانهم الى ارض المغرب حدثا ضخما ترك اثاره على تكوين المغرب الحضاري كله [4] اذن سيطر الهلاليون في فترة و جيزة على افريقية و على مدنها الداخلية و الساحلية [5]

قد قام ابن خلدون[6] و علماء الانساب الغربيون ، بتوزيع السكان الاصليين بينهما ، فلاحفصيون – حكام افريقية – ينتمون لقبائل مصمودة و يعدون من البرانس [7] كما رأينا الخدمات التي قدمها الحفصيون للموحدين و راينا ولاءهم و بسالتهم ، كانوا دائما مشتركين في القتال و خصوصا في الاندلس ، حيث اقاموا طويلا و كذلك في مقاطعة افريقية التي أنقذوها من بني غانية ، وحافظوا عليها للخلفاء ، ولكن انكار المأمون لعقائد المهدي برر انفصالهم ، كما ادى انهيار بني عبد المؤمن الى جعلهم حكاما مستقلين ، و الخلفاء الشرعيين للخلافة الراحلة [8]

ثانيا :علاقة بني هلال بالقبائل المحلية : لم يقدم لنا المؤرخون الا اخبار قليلة عن الحوادث التي وقعت في المغرب الاوسط عند دخول بني هلال الى منطقة المغرب الاوسط[9] بترحيل قبائل بني هلال هلال و بني سليم ليتولوا امر محاربته وحدهم قائلا :" فان صدقت المخيلة في ظفرهم بالمعز و صنهاجة ، كانوا اولياء للدعوة ، وعمالا بتلك القصية وارتفع عدوانهم عن ساحة الخلافة ، وان

---

[1] فولوبيليس (أوليلي) أول عاصمة للادارسة ، قبل فاس نهاية القرن (الاول الهجري / السابع الميلادي) و بداية القرن (الثاني الهجري / الثامن الميلادي) فأما افريقية وحافات الصحراء في المغرب ، وهما منطقتان تملكان مراكز حضارية قديمة ، فنيقية رومانية ، وتشكلان ممرا الى ايطاليا و ايبانيا فقد انتشر الاسلام و اللغة العربية فيهما بسرعة ، انظر : وريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 87 ، أيضا : مصطفى عبد الكريم الخطيب ، معجم المصطلحات و الالقاب التاريخية ، ط ، مكتبة الرسالة للطبع ، بيروت ، (1416هـ/1996م) ، ص 21.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 316.

[3] سحر السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 53.

[4] عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 177.

[5] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 141.

[6] من الملاحظ أن حياة ابن خلدون قد تأثرت بدون شك بانتسابه إلى عائلة نبيلة لها مكانتها في ميدان السياسة والفكر ، وابن حزم المؤرخ الشهير فيقول "مازال بيت ابن خلدون إلى الآن في اشبيلية نهاية في النباهة ، ولم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية "، أنظر : ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا و شرقا ، عرض و تعليق: محمد بن تاويت الطنجي، (دط) ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1951م،ص 1.

[7] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 316.

[8] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 316.

[9] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 120.

كانت الاخرى فلها ما بعدها ، وأمر العرب البادية أسهل من صنهاجة الملوك [1] ولكن ضمن ذلك المفهوم ذاته لامتزاج الاجناس ، ليس من غير الجائز الاعتراف بوجود درجات متفاوتة بالنسبة الى الفترة التاريخية المعنية بالامر ، واننا نكون غير خاضعين للواقع ، ان لم نسلّم بأن الغزوة الهلالية قد شملت في الجملة المناطق الجبليّة في البلاد المغربية ، أقلّ مما شملت المناطق المنخفضة ، واذا اقتصرنا على افريقية و على الامثلة المتأكدة أكثر من غيرها ، نلاحظ أن منطقة القبائل الكبري و القسم الشرقي من منطقة القبائل الصغرى ، ومجموع منطقة أوراس تقريبا و جبال دمّار ونفوسة ، قدكانت تمثل مراكز المقاومة ضدّ الغزوة العربية و المناطق التي أبى فيها العنصر البربري الامتزاج مع القادمين الجدد ، وهنا المعطيات التاريخية و اللغوية ، ذلك أن تلك المناطق الجبلية التي نعلم أنّ سكانها المحلّيين قد قاوموا أكثر من غيرهم أي تدخّل عنصري أو حكومي في العصر الوسيط ، هي بالضبط التي احتفظت بلهجتها البربرية [2]

ياتي على رأسهم الباحث الانجليزي مايكل برات المتخصص في الهجرة الهلالية وفي التاريخ الفاطمي في بلاد المغرب ..فبعد ان استبعد " كارثة الهجرة الهلالية ، ركز في عدد من دراساته على ابراز الدور البناء للعنصر الهلالي انطلاقا من نماذج مختارة مستخرجة من العبر لابن خلدون فكان لبسكرة المزنية الحظ الوفير من خلال تحليله للمقاربة الخلدونية للتاريخ المحلي لبسكرة للوصول الى الحديث عما أسماه ب " المدينة — الدولة " في التاريخ المغربي الوسيط [3] منذ أزيد قرابة من الزمن روجت الدراسات التاريخية الاستعمارية لما أسمته بالكارثة الهلالية ، حيث اعتبرت " هجرة " القبائل الهلالية الى بلاد المغرب بمثابة القطيعة بين عالم الحضارة و عالم البداوة و بالتخريب الشامل للبنية التحتية للمجتمع المغربي ، لا نرغب هنا في الرد على هذه الادعاءات بقدر دراسة عينة و هي حالة المدن الساحلية و المراسي بعد استقرار القبائل الهلالية ببلاد المغرب الاوسط مع نهاية النصف الثاني من القرن الحادي عشر ميلادي [4]نحن نعرف مصمودة وزناتة ، لقد راينا انتصار مصمودة الاطلس ، صناع عظمة الموحدين [5] نحن هنا اذا أمام زناتة الطبقة الثانية من زناتة ، المتأثره بعرب الجبل الرابع وهم زناتيون غيروا مواطنهم كما غيروا اسلوب حياتهم و خصالهم خلال القرن السابع الهجري ، و مواطنهم الجديد تختلف عن مواطنهم الاولى ، و يحددها ابن خلدون بقوله :" فمنهم

---

[1] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 62.

[2] روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج 1، ص 320.

[3] علاوة عمارة ، الهجرة الهلالية و أثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب ، مجلة الاداب و العلوم الانسانية ، العدد العاشر، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة ، (1430هـ/2009م) ، ص 10.

[4] علاوة عمارة ، النشاط التجاري للساحل الشرقي للجزائر (2-6 هـ /8-12م) ، مجلة المعالم ، العدد التاسع ، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية ، (دط) ، قالمة ، (د س ط) ، ص 65.

[5] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 316.

ببلاد النخيل مابين غدامس و السوس الاقصى ، حتى انّ عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم ، ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس و ضواحي افريقية ، وبجبال أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد ، و أذعنوا لحكمهم ، و الأكثر منهم بالمغرب الاوسط ، حتى انه ينسب اليهم ويعرف بهم ، فيقال " وطن زناتة " ، وهذا تغير في المواطن جدير بالملاحظة ، فقد كان المغرب الاوسط لأول أيام الفتح موطن الصنهاجيين ، ومنهم أوربة قبيلة كسيلة الاوربي الذي عرفناه ، ثم كان موطن بني زيري بن مناد وهم صنهاجة الجيل الأول كما يقول ابن خلدون وقد دخل الزناتة المغرب الاوسط وغلبوا على نواحيه نتيجة لضغط العرب الهلالية عليهم ، فاتجهوا الى المغرب الاوسط ، أيام بني زيري بن مناد ودولتهم ، وبعضهم وصل في فراره أمام بني هلال الى المغرب الاقصى ، وقال ابن خلدون " ومنهم بالمغرب الاقصى أمم أخرى ، وكان بنو مرين منهم قبل استيلائهم على ملك المغرب أخياء ظواعن بمجالات الفقر من فيجيج (فجيج) الى سجلماسة ملوية ، وربما يتخطون ف ظعنهم الى بلاد الزاب " [1] وكيفما كان الامر ، فان الاضطراب الذي احدثه بنو هلال بالمغرب الاوسط لم تبلغ قيمته ما بلغه بطرابلس و برقة [2] وذلك لان المغرب لم يكن مقصودا من الحملة بالذات ، وكان نزوح بنو هلال على المغرب لاسباب سياسية و اقتصادية ، فتيجة لحركة الانفصال التي قام بها المعز بن باديس عن الفاطميين وولائه الى العباسيين قدم الهلاليون [3]

عمل الامير المعز بن باديس على الاستقلال بامارته على الخلافة الفاطمية وذلك حين قاطع اهل افريقية صلاة الجمعة بالمساجد ، لنبذهم المذهب الشيعي ، وتمسكهم بالمذهب السني المالكي ، فقام المعز بمراسلة الخلافة العباسية في بغداد سنة (435هـ/1044م) ، لأخذ العهد و اللواء ، فرحب بنو العباس للانتقام من الفاطميين ثم قطع بنوزيري علاقتهم بالفاطميين ، في مصر ،ودعوا للعباسيين ، وهدّموا دار الاسماعلية ، مركز نشر الدعوة الفاطمية في المغرب ، وغيّروا العملة ، واتخذوا اللون الاسود شعار العباسيين رمزا لهم .

لما فشلت الخلافة الفاطمية في ارجاع العلاقات مع بني زيري ، عمد الوزير الفاطمي اليازوري الى تشجيع قبائل بني هلال و بني سليم العربية على التوجه الى المغرب واطلق لها العنان في امتلاك كل ما يقع تحت سيطرتها ، و قد اقطع الوزير الفاطمي بلاد المغرب لقبائل بني هلال و بني سليم من اجل التخلص منها ، لان هذه القبائل شكلت مصدر ازعاج وقلق لسلطة الفاطميين في القاهرة من جهة ، و من جهة اخرى ، لرغبته في الانتقام من بني زيري ، بدون خسائر [4]

[1] ابن أحمر ، المصدر السابق ، ص 6.

[2] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 108.

[3] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص108.

[4] عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص58 .

انه اسلام نضالي ، فبعد ان نقل الغزو الهلالي مركز ثقل شمال افريقيا من الشرق الى الغرب ، كان له هذا الاثر الغير مباشر الا وهو : اعطاء الدور الاول للمغرب الاقصى الذي سيصبح الجبهة الاولى للجهاد المقدس ، فموقعه الجغرافي و تقاليده ، تربطه باسبانيا برباط وثيق ، وتعتبر اسبانيا الميدان المغلق الذي تصدى فيه الهلال للصليب منذ اربعة قرون ، وكان لا يمكن استمرار هذا الصراع الا بمساعدة البربر ، فالبربر هم الوحيدون تقريبا الذين ضموا شبه الجزيرة للاسلام ، ولم يحتفظ امير قرطبة بحدودهم ولم يمدوها ، الا بالقوات البربرية ، فتضاؤل هذه الحدود و المحاولة الناجحة لحركة الاسترداد المسيحية ، جعلت تعاون المغاربة أكثر ضرورة ، وكانت اسبانيا الاسلامية تستمد قواتها المناضلة من هذا الخزان الذي لا ينضب ، و تتناوب الفرق و يتعاقب الممثلون ، و يبدو ان الوظيفة الرئيسية للجميع هو" الجهاد" و"المجاهدون" هم جنود الحرب المقدسة او"المرابطون " كما لقب الاوائل أنفسهم فهم محاربون ورجال دين ، نحن نعرف ان البعض وجدوا في هذا السبيل الفرصة في توسيع مملكتهم ، ولكنهم حصلوا أيضا على اثراء غير مادي ، لان التضامن الذي يربطهم باسبانيا و ضعهم أمام حضارة مزدهرة استفادوا منها و تقلوا فوائدها الى المغرب بأجمعه [1]

ثانيا :الانتاج العلمي والادبي عند بني هلال : لم يكن ضم شواطئ افريقية للدولة المسيحية بعد خمس قرون من الفتح الاسلامي الا احدى النتائج الغير متوقعة للغزو الهلالي ، لكنها و الحق يقال نتيجة غير ثابتة ، فبعد أقل من عشر سنوات ، ثار مسلمو معظم المدن المحتلة ضد الحكام الصقليين وفي سنة (554هـ/1159م) جاء من مراكش الخليفة الموحدي "عبد المؤمن " و عبر بلاد البربر في سبيل تحقيق هدف واحد الا وهو : اعادة المهدية للاسلام .

من المحتمل ان يكون هذا الغزو قد أخذ شكلا جديدا و مظهرا أكثر انتظاما ، و لكنه كان موجودا من مائتي عام بشكل ما ، و يثبت ذلك ردود الفعل المسيحية ، و تخريب الحقول بواسطة العرب البدو ، و استقرار حكام البلاد في مدن الشاطئ كل ذلك كاف لتفسير هذا التوجه نحو النشاط البحري و المقام الذي ستحتله من الان فصاعدا القرصنة و التجارة لافريقية مع الشعوب المسيحية ، و لكن الاخيرة تأتي في الاهمية الثانية ، من هذه الوجهة نستطيع اعتبار القرن الحادي عشر فاتحة لتاريخ الدول البربرية [2] و لم يمض اكثر من قرن على وصول القبائل الهلالية حتى كانت قد استقرت في المغربين الادنى و الاوسط على حساب الدولتين الصنهاجيتين في المهدية وبجاية ، ولما قامت دولة الموحدين ، أدرك سلاطينها منذ البداية القيمة القتالية لقبائل العرب الهلالية ، فحرصوا على توجيهها للجهاد معهم في الأندلس [3] .

(1) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 269.

(2) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 262.

(3) عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 146.

1- عصر الفاطميين[1] (296 ، 365 هـ/ 909 ، 976م) :

برحيل المعز الى القاهرة و مصر يبدأ عهد جديد في بلاد افريقية و المغرب ، يمكن ان يعتبر نهاية لمرحلة من تاريخ الشمال الافريقي في عصوره الاسلامية ، هو العصر العربي في مقابل ما يسمى بالدولة العربية في المشرق ، وبداية لفترة جديدة من ذلك التاريخ وهي : العصر البربري ، في مقابل العصر الفارسي في المشرق ، والمقصود بسمة العروبة في تلك الدورة من تاريخ المغرب في المرحلة الاولى ، ليس العرق و لا حتى اللغة – رغم ما لها من تأثير عميق في حياة المجتمع و تاريخه [2]

كان ظهور الدولة الفاطمية على مسرح السياسة المغربية سببا لقيام نزاع كبير بينها وبين الامويين أصحاب الاندلس ، على المغرب ، فما كانت تطفأ لظى الحرب بينهم الاّ وتشعل من جديد ، وقد لقي المغرب من جراء ذلك عنتا شديدا ، ثم قامت دولة مغراوة و بني يفرن فكانت دولة مغربية محضة وان لم ير المغرب على عهدها الا الحروب الطاحنة و الفتن الداخلية الماحقة ، فكان عهدا مظلما توقفت فيه جميع الحركات الناشئة من علمية و ادبية ، وانقرض العمران وكادت الفوضى تقضي على هذه البلاد ، لو لم يتداركها الله بعبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين [3]

رأت الحياة الحضرية في بلاد البربر خلال (3هـ/9م) عودة الانتعاش الاقتصادي و النشاط الفكري ، و القرن (4هـ/10م) لم يوقف هذه الظواهر بل عمل على افلاسها بادخال عناصر جديدة ان التأثير بالمشرق الذي تتبعناه منذ منتصف القرن السابع – وهي فترة ظهور العرب الاوائل حتى سقوط الاغالبة – بدأ يعاني من أزمة وصلت الى حد القطيعة بين المشرق و المغرب .

حدث طارئ كان سببا لهذه الازمة وهو وصول المهدي الفاطمي و انتشار المذهب الشيعي ، انه حدث بدون شك و لكن لم يكن الوحيد من نوعه ، لقد بينت التقارب بين الفاطمي وادريس أو اعوانه الذين جاءوا للمغامرة ، أما بالنسبة للمذهب الشيعي فيوحي الى الاذهان بمذهب الخوارج و هو مذهب مشرقي ايضا كان على البربر الانضمام اليه ، ويجب ملاحظة أن المذهب السني كان يستهجن (يرفض) هذين المذهبين اللذين يمثلان مبدأين متعارضين بالنسبة له من الناحية السياسية والدينية : فالخارجية ترى أن الاستفتاء هو اساس الوصول للحكم لانهم يعتبرون أن جميع المسلمين متساويين وليس هناك اعتبار للجنس بينما يرى الشيعة ان الامام الشرعي الوحيد [4] أما المذهب الشيعي في ذاته فلم يكن لهم نحوه نفسالحماس

---

(1) عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص47 – 48 ، ايضا : علاوة عمارة ، ابن شدّاد الصنهاجي جامع اخبار المغرب الوسيط، مجلة التاريخ العربي ، العدد الحادي و العشرون ، (1422هـ/2002م) ، ص 67، أيضا : محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين في شمال افريقية و مصر و بلاد الشام (297-567هـ/910-1171م)، ط 2 ، دار النفائس ، بيروت – لبنان ، (1428هـ/2007م)، ص53.

(2) سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 285 .

(3) عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 45 .

(4) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 151.

، ومع ذلك فقد كسب بعض القلوب و حظي المهدي و خلفاؤه بمكانة مماثلة لحظوة الادارسة و لكنهم لم يوفقوا أبدا في كسب رد أهل البلاد ، و لم يكن للطعم (المذهب الشيعي) رواج في هذه المرة ، وسوف نحاول عرض أسباب هذا التناقض ولن نتعرض الا لسببين أساسيين :

أولا : استبداد الفاطميين نحو رعاياهم و عدم التصرف باحتراس عند تلقين الشعائر الدينية الجديدة .

ثانيا : نوعية سكان افريقية و خصوصا حضر القيروان ، مدينة سيدي عقبة المقدسة ، وهي قلعة المذهب السني لا تزال تتوجها هالة من مكانة العلماء ، فالمذهب الشيعي لا يوحي الا بالشك و الاعتراض ، ومع ذلك اذا لقى هذا المذهب بعض النفوذ و اذا كانت عقيدة الفاطميين وجدت بعض المساندة فهذا فقط من جانب البربر الريفيين ، وكما جمع ادريس و رفيقه الوفي راشد أنصار من قبيلة أوربة الكبيرة كذلك المهدي و داعيه المخلص الذي رتب لمجيئه ضما اليهما قبيلة كتامة ذات السلطة الواسعة و التي ستستبدل بعد ذلك بقبيلة صنهاجة كل قوتها في خدمة هؤلاء المشرقيين [1] وما يستحق الانتباه أكثر من ذلك أن ما قام به الفاطميون في مصر عندما أطلقوا قبائل الهلالية على بلاد القيروان ، في تلك العملية الثأرية من نوابهم الزيرين ، كانت له تأثيراته الجانبية ، كما يقال ، على المستويات الاقتصادية والديمغرافية العرقية ، فبينما يصر الكتاب على ما أثاره عرب الهلالية من التدمير و التخريب في افريقية و القيروان ، الامر الذي ادى الى قلب الاوضاع السياسية و الاقتصادية في البلاد رأسا على عقب ، تتمثل أهم نتائج تغريبة الهجرة الهلالية على المدى البعيد في عملية تعريب البلاد على المستوى العرقي و اللغوي ، بالشكل النهائي الذي الت اليه حديثا ، والذي يظهر في تعريب كثير من قبائل البربر الذين رفعت أنسابهم الى الاجذام العربية العريقة ، كما فعلت زناتة بانتسابها الى القيسية ، أو صنهاجة بانتسابها الى الحمرية اليمنية [2]

عندما يترك الفاطميون البلاد للانتقال الى مصر سوف يرافقهم الكتاميون للتفاني في خدمة اسرتهم و تبقى صنهاجة في بلاد البربر لمحاربة أعداء هؤلاء الحكام الفاطميين و المحافظة على وحدة الامبراطورية الفاطمية ، من تهديد الزناتيين ، وبذلك يصبح تاريخ المهدي وخلفائه حلقة من تاريخ بلاد البربر ، ومن ناحية أخرى نظرا لان الزناتيين ، كانوا حلفاء لأموي الاندلس الذين أمدوهم بالمعونات المالية و المساندة المعنوية [3] تخطى الصراع بين قبيلتي صنهاجة الفاطميين وزناتة الامويين ، حدود بلاد المغرب ، وأصبح شمال افريقيا عبارة عن تصادم و صراع يديرها خليفة قرطبة و خليفة القاهرة [4].

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 152.

[2] سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 286 – 287 .

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 152.

[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 152.

كان يوما ما من أيام حج عام (280-281هـ/893-894م) ، رأى بعض أعيان قبيلة كتامة رجلا يمنيا بجوارهم يجلس بجوارهم و تحدث معهم ، وكان يدعى أبو عبد الله وقد كان فصيحا و متعلما فلم يلب ثان جذب المغاربة فردوا بكرم على كل أسئلته ولقد سألهم عن المنطقة التي يعيشون فيها وعن عقائدهم و عن الحرية التي يتمتعون بها تجاه أراء القيروان ، فلما عرفوا منه أنه يريد التوجه الى مصر اقترحوا عليه توصيله الى هناك ، لم يكن اللقاء مفاجئا لان أبا عبد الله كان داعيا ، كان مبشرا شيعيا و كانت لديه معلومات عن بلد الكتاميين ويعتبره أرضا صالحة لنجاح الدعوة التي كرس لها حياته ، وكان هذا الحدث موات لقضية ووصل أبو عبد الله الى منطقة القبائل الصغرى الممتدة بين سهل سطيف و البحر و باشر رسالته و استقر في قلعة أيكجان و جعل منها القاعدة الام للمذهب الشيعي ، و قام بتفقيه عدد من البربر وكون جيشا قويا على التغلب على الاغالبة ، وفي سنة (295هـ/909م) بعد خمسة عشر عاما من مقابلة مكة ، دخل أبو عبد الله القيروان و استقبله قضاة و أعيان المدينة و استقر في رقادة الذي فر منه اخر الاغالبة ، وفي اوائل يونية توجه نحو الغرب على رأس قواته و هاجم دولة الرستميين في تاهرت التي سقطت بعد بضعة أيام ، ثم وصل الى سجلماسة في الجنوب ، في نواحي تافيللت حيث يقيم المهدي عبيد الله و كان المهدي قد و قع في قبضة أراء بني مدرار في هذه النواحي و كانوا من الخوارج الصفريين فألقوا به في السجن بناء على أمر الخليفة العباسي ، أما الداعية أبو عبد الله الشيعي فقد جاء لتخليصه من السجن بعد أن بسط سلطانه على دولة الاغالبة و دولة الرستميين [1] ، ولكن لم تطل سعادته بنجاح دعوته لانه بعد وصول المهدي الى القيروان ، راى أبو عبد الله أن المهدي لم يكن رجل أحلامه ، لانه استبعد ابو عبد الله جانبا ، وحكم بدون مشورته ، فأعلن ابو عبد الله للكتاميين عن خيبة امله و تامر مع بعضهم ضد المهدي الذي خيب امالهم ، ولكن المهدي علم بهذه المؤامرة فحذرهم وعمل على قتل أبو عبد الله الداعية ، يجب الاعتراف بهذا الحق للمهدي الذي لم يتبع — للضرورة أو وفق طبيعته — السياسية الحذرة و الانسانية الذي نادى بها الداعي ، ولكنه تدارك الخطر الذي سببته شدته ، ولتجنب الانتفاضات الشعبية لم يكتف بالابتعاد بعض كيلومترات عن القيروان كما فعل بتأسيس مدينة المهدية على لسان صغير متقدم في داخل البحر فصارت قاعدة حكمه منذ سنة (303هـ / 915- 916 م) و طول حكم الفاطميون و اقامتهم بالمغرب ، و لما تم بناء حامياتها و ابراجها [2] و أسوارها يقال انه اعلن عن ارتياحه بهذه الكلمات " اليوم أمنت على الفاطميات " و على الاقل فالمهدية أمنت مصير ابنه " القائم " ، وبعد ثمانية و عشرين عاما من تأسيسها قاومت هذه المدينة هجوم أبي يزيد " صاحب الحمار " و كان القائم

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 153.

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 153- 154.

محاصرا فيها أثناء ذلك ، اما ابو يزيد فقد أصبح سيد المملكة بأكملها بما في ذلك القيروان ، ولم يستطع القائم تملكها خلال فترة الاثني عشر عاما لحكمه (322-334هـ/ 934- 946 م) ولم يقهر صاحب الحمار الا " المنصور " ابن القائم وذلك في عام (336هـ/947م) [1].

و عن هذه الثورة الرهيبة التي جعلت السلطة الفاطمية توشك على الانهيار ، يجدر بنا القاء بعض المعلومات التي تساعد على فهم موقف الشعب البربري تجاه حكامه المشرقيين ،كان أمل الفاطميين هو الخروج من البلاد بعد أن حصلوا على ثروة سريعة تبعتها سنوات صعبة و بعد عشرين عاما من انتصار المنصور علي الثائر " صاحب الحمار " ترك ابنه المعز افريقية و توجه الى مصر و في ذهنه عدم العودة تاركا لبني زيري الصنهاجيين مهمة حكم بلاد المغرب التي أصبحت و لاية تابعة للامبراطورية الفاطمية [2] و يوم دخول المعز الى مدينة القاهرة الجديدة مسبوقة بتوابيت اجداده كان تحقيقا للحلم الذي راود هؤلاء الأسلاف لمدة ثلاثة و ستين عاما على الاقل ، فتاريخ الفاطميين في بلاد البربر – الذي وضعنا هنا خطوطه العريضة – لم يكن الا فترة تمهيدية ومقدمة لتاريخهم في مصر لمدة قرنين تعد من ابهر فترات الحضارة الاسلامية [3] ولم تحظ بلاد البربر الا بمكانة محدودة ، ومع ذلك مكنت هذه البلاد الفاطميين من الاكتفاء لمدة تزيد عن نصف قرن و الحصول على موارد بشرية ومادية ذات قيمة ، فكان من الضروري السيطرة على هذه القاعدة ولم تكن المهمة سهلة ، وعلى كل فاقامة الفاطميين في افريقية – التي لم يلبثوا أن تركوها – قد سببت قلائل خطيرة ومن أهمها و أعمقها تأثيرا هو ادخال المذهب الشيعي ، ومن الضروري ذكر مكونات هذا المذهب الديني و السياسي الذي لمحناه في تاريخ الادارسة بدون ان يكشف لنا عن نتائجه الاخيرة [4].

ان المذهب الشيعي اساسه الخلافة او الامامة بمعنى ان الخلافة الشرعية الوحيدة من الناحية الروحية و الزمنية على السواء تخضع للوراثة و يشترط في الامام – خليفة الرسول – ان يكون من عترة النبي من ابنته فاطمة و صهره "علي" وقد تم الاختيار بقرار الهي ، وكل امام اخر يتولى الخلافة يعد مغتصبا مثل ابي بكر و عمر وعثمان الذين فضلوا على "علي " ، فعلى وحده هو المختار بقرار من النبي ولقد افضى اليه النبي بعلوم حجبها عن الجميع ليحكم بها المجتمع الاسلامي ، وهو الوحيد الذي ينقلها لأحد أولاده و هو " الحسن " الذي يقوم بنقلها الى بدوره الى الامام الذي يليه من ال بيته و يختاره قبل مماته ، فالعلوم تنتقل بالوراثة في ال بيت الرسول ، والدور المقدر للأنبياء الذين بعقوا لاظهار " الحق " للأجيال المتلاحقة ورث

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 153- 154.
[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 155.
[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 155.
[4] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 155- 156.

لسلسلة العلوين المقدسة ، فالانظمام لهؤلاء الائمة يعتبر بند من البنود الاساسية للعقيدة ، وبذلك ينتقل المذهب من الخلافة السياسية الى الخلافة الدينية ، كذلك غلب الجانب الديني في التشيع الجانب السياسي و تقدم عليه ، وهؤلاء الائمة محافظون على العلوم المحجوبة عن الاخرين و خاصة ما يتصل بالمعنى التأويلي للقران ، فهم معصومون بينما يكون الاخرون معرضين للخطأ [1]

فقد كانت سياسة الداعي " أبو عبد الله وديعة و مقبولة ، و عند قدومه للمغرب كان المذهب السني بل شك مضطربا ، و تقشفه الذي ظهر به منذ البداية كان يتعارض مع اباحة الاغالبة ، ان التغيرات التي أدخلها المذهب الشيعي في العبادة ، و تبديل صيغة الاذان ، وذكر " علي " و فاطمة و الحسن و الحسين بعد الرسول في خطبة الجمعة ، لقد بدا كل ذلك مشكوك فيه ، الا ان الطريقة التي فرضت بها ، لم تكن فظة ، فقد كان يترك بعض الحرية لمن يريد الطاعة ، ولقد أثمر هذا التصرف الانتهازي ، فاظهر كثير من القيروانيين الاستعداد لانضمام للشيعة و كان هذا المذهب يناسب أصحاب المذهب الحنفي لان ميولهم أقل شدة من أصحاب المذهب المالكي وقد انتفعوا مقابل ذلك بود " الفاطميين " [2] .

كان المهدي يعاقب الموظفين الذين يجهرون بالسنة علنا ، خصوصا أثناء القيام بوظائفهم ، ففي سنة (307هـ/919م) في القيروان قتل المؤذن " عروس" بعد جلده و قطع لسانه بناء على شهادة عديد من المشارقة بانه لم يؤذن بصيغة الشيعة ، و في سنة (311هـ/923م) جاءته وشاية ضد القاضي " محمد الهذلي " بأنه أفتى طبقا لمذهب مالك ، فامر بعقابه فأخذوه و جردوه من ملابسه و ضربوه بالعصا في المسجد الكبير و أعلنوا عن خطيئته و عقابه في اسواق القيروان ، و في نفس الوقت كان المهدي يغضب على المتحمسين لمذهبه من الصفوة ، اذا تجاوزوا حدودهم [3] وكان من بين هؤلاء الناس المشهورين في افريقية " أحمد البلوي " تاجر الرقيق الذي جعل قبلته رقادة عندما كان عبيد الله موجودا بها ، ثم غيرها بعد ذلك نحو المهدية عندما انتقل اليها الامام ، و كان يقول " لست ممن يعبد من لا يرى !" [4]نحن نتصور تأثير مثل هذه القصص و الاستياء الذي تثيره ضد الشيعة ، عندما دخل الفاطميون الشيعة في الصراع مع أهل السنة وممثليها الاجلاء اصبحوا متشابهين بالكفار و أصبحت محاربتهم من أقدس الواجبات [5] ولم يستطع المسلمون الورعون الوفاء بواجبهم الديني في المساجد حيث كان الشيعة يصلون الجمعة على مذهب الظالمين ، و لم يستطيعوا الشراء من الاسواق و لا تناول المواد الغذائية مثل اللحوم التي أصبحت نجسة

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 155 - 157.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 158- 159 .

[3] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 161، انظر: عبد المجيد النجار، في حركة المهدي بن تومرت ، ط2 ، (1415هـ/1995م) ،ص56-57.

[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 161.

[5] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 163.

بسبب الضرائب نفسه [1]وفيما يخص دراستنا ، تبدو هذه الثورة كمرحلة هامة للأزمة الفاطمية ، و كمظهر جماعي للانفصال بين العالم البربري و السادة المشرقيين [2] ففي هذه المناطق تقريبا ستندلع ثورة " صاحب الحمار" التي كادت ان تطيح بدولة الفاطمين و تدفعها الى الانهيار [3] و يضع مبدأ صاحب السلطة الظالم ، وكانت النتيجة ان استمال مودة الناس بتصرفه كمصلح للعادات ، وكمعارض للسلطة ، وفي الوقت نفسه انزعج الممثلون المخلصون للمهدي ، وعندما شعر أبو يزيد بالخطر تابع دعايته و لكن بحكمة حتى مات المهدي الفاطمي في (322هـ/934م) فوجد الفرصة أصبحت مواتية لتوطيد ثورته [4] ووجد أبو يزيد أن الجريد غير امنة فابتعد نحو الجنوب الغربي و استقر في وارجلة ، واصبحت منطقة الواحات هذه ملجأ لخوارج تاهرت منذ سقوط الرستميين ، ومركزا مناسبا للدعاية بين القبائل ، جمع أبو يزيد أنصار جدد من بني برزال في هدنة ، خصوصا من هوارة الاوراس ، و عرض عليهم سياسته التي ستصبح مهمتهم الا وهي : محاربة الفاطميين و طردهم من القيروان ، وتكوين حكومة مكونة من مجلس الشيوخ ، وكان هذا مطابقا لسياسة الخوارج ببلاد المغرب ، و لم يعلن عن نفسه اماما أو خليفة أو شيخا للمؤمنين ، كان متقشفا و يلبس قميصا قصيرا من الصوف [5] ، و في سنة (332هـ/ 943م) بعد ان جمع قوات هائلة بدأ الصراع الصراع مع الفاطميين ، كان ابو يزيد يبلغ من العمر ستين عاما عندما قاد هذا الجيش وكان يتبعه العجوز الاعمى ، و في هذا السن استطاع تخريب افريقية ولمدة ثلاث سنوات : هزم القوات المعادية ، حدد اقامة الفاطميين و لو لفترة داخل اسوار المهدية ، و أوصل الامام الفاطمي الى مشارف حتفه ، كان صغير القامة و يعرج منذ طفولته وكان سكان مرجانة قد و هبوه حمارا رماديا فاستخدمه لفترة مما اكسبه لقب " صاحب الحمار " ، لن نهتم بالتطورات الاستراتيجية التي تبدو بسيطة ، و لا بالاستيلاء المتواصل للمدن مثل مجانة و مرجانة و لريس و باجه ورقادة و القيروان و سوسة بقدر اهتمامنا بالظروف التي تدور فيها هذه المغامرة المذهلة وردود الفعل التي تثيرها [6] فاما نجاح ابي يزيد فيرجع الى الامل الذي زرعه في الشعب لتحرير البلاد من الفاطميين الطغاة ، اذن كانت حربح للتحرير و نجاحاته الاولى جعلت حتى الذين لا يقبلون مذهبه ينضمون اليه ، ويقول ابن خلدون " واقتحم أبو يزيد باجة و استباحها ...و ارتدت البرابر من كل ناحية " وموقف القيروانيين متميز في هذا الشأن أن الانتفاضة لصالح ابي يزيد جعلت أئمة السنة في المدينة المقدسة يتحولون الى جانبه و عندما استنهض الناس المشى في الخروج مع ابي يزيد ، فقال لهم

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 163.
[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 171.
[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 170.
[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 172.
[5] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 174.
[6] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 174.

:"امهلوني الليلة ، فلما اصبح أتوا اليه فقال لهم فقد قرأت القران من اوله الى اخره فما و جدت فيه ما يوجب القعود " ان الاختيار بين المذهبين بيّن :" لان الخوارج من اهل القبلة لا يزول عنهم اسم الاسلام و يورثون و يرثون " بينما الفاطميون " مجوس زال عنهم اسم الاسلام فلا يتوارث معهم و لا ينسب اليهم " و اجتمع رجال الدين في مسجد القيروان الكبير – مسجد سيدي عقبة – الذي شارك في المظاهر الاولى للانفصال ، وطالت المناقشات و انهى ابو العرب المناقشة بحديث عن الرسول أنار الطريق في هذا الشأن " يكون في اخر الزمان قوم يسمون الرافضة (و هذا الاسم من أسماء الشيعة) فان ادركتموهم فاقتلوهم فانهم كفار " وصاح الجميع بصوت اهتزت له ارجاء المسجد " الله اكبر " ، ومن البديهي ان التحالف مع صاحب الحمار لا يلزم فقهاء القيروان بشيء و قد أعرب الشيخ السبائي عن أمله قائلا : " فان ظفرنا بهم لم ندخل تحت طاعة ابي يزيد ، لانه خارجي ، والله عزوجل يسلط عليه اماما عادلا فيخرجه من بين أظهرنا و يقطع امره عنا ، وبذلك بدا هذا المغامر لأهل القيروان و كأنه أداة القدر التي سوف تخلص البلاد من الفاطميين[1] المكروهين ، ولو كان في عهد أسلافهم من معاصري سحنون لا عتبروا مذهبه من الاخطاء المستنكرة ، وعلى كل حال بدأ صاحب الحمار معاملة سكانم المدينة السنية بدون مداراة و كان ماهرا في ضمهم اليه ضد العدو المشترك ، ويلومهم على موقفهم السلبي ، ان حماس المذهب عنده يخف حسب مقتضيات سياسته ، كذلك أراد استمالة الامويين بقرطبة ، للحصول على مساندة معنوية وربما مساندة مالية ، وبلا شك للحصول على التعاون الفعلي لقبيلة زناتة المنحازين للخلافة الاموية و أوفد وفدا لتقديم خدماته للخليفة الناصري الاموي ، وتكونت علاقات صداقة كما كان في عهد ائمة تاهرت بين المعسكر الخارجي و العاصمة الاندلسية ، لقد كان صاحب الحمار من أنفع الحلفاء للخلفاء الأمويين رغم مبادئه و أوشك على تخليصهم الى الابد من الامام المنافس ، بعد هزيمة الجيوش التي أرادت الحد من نشاطه ، وبعد أن سلب الحقول [2]، استطاع تقريبا الاستيلاء على كل مدن المملكة و عين فيها ولاة له ، وعسكر أمام المهدية في سنة (333هـ/945م) ودامت عمليات الحصار ثمانية أشهر : توالت فيها المساعدات الى قوات الخوارج التي تركزت بضواحي المهدية الممتدة بشبه الجزيرة ، والمحاولات المتعددة لغزو المدينة نفسها ، و لكن مساعدة قبيلة صنهاجة التي انضمت للفاطميين بقيادة زيري بني مناد الصنهاجي وقامت بمهاجمة القوات المحاصرة ، استطاعت تزويد المهدية بالامدادات و تقوية حاميتها للصمود ،و في سبتمبر سنة (333هـ/945م) تخلى عن صاحب الحمار جزء من قواته و اضطر الى رفع الحصار عن المهدية التي كانت في حالة و خيمة ، وانسحب نحو القيروان ولم يستقبله سكانها بحماس ، وكان سكان جميع المدن التي ضمها

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 175- 176، أيضا : علاوة عمارة ، المرجع السابق ، ص 70.

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 175- 176.

قد قاموا بذبح ولاته أو على استعداد لتسليمهم للفاطميين[1]، ان الحظ قد خان أبا يزيد و لكنه لم يهزم بعد ، و لن يهزم الا في مارس سنة (336هـ/947م) و خلال الثمانية عشر شهرا أبدى من العزم ومن المقاومة ما يعطي لصورة هذا المغامر ملامح خاصة ، فقوى الجيوش و استولى على مدن و انسحب نحو الغرب ثم هاجم ثانية و احتمى في مرتفعات " كياتة " التي تتاخم " هدنة " من الشمال ، والتحصن في قلعة كتامة و صد الهجوم و عندما وقعت القلعة في يد الاعداد ولجأ الى أحد قصورها و يسقط القصر بدوره حمل جريحا الى الجبال و أخيرا وقع في أيدي الخليفة الفاطمي الذي حبسه في قفص حيث لفظ الثائر العجوز أنفاسه الاخيرة [2]تغلبت حكومة الشيعة على الازمنة الرهيبة التي أثارها صاحب الحمار ، ولكن الخطر كان كبيرا ، و الخليفة المنصور الذي نفذ صبره أخذ طريق القيروان و معه جثة عدوه ، وكان قد سلخها و حشاها بالقطن للافتخار بانتصاره على أبي يزيد " صاحب الحمار " ، وسبقه رسالة تعلن لأهل القيروان أن أباه " القائم " قد مات منذ أكثر من أربعة عشر شهرا ماي (335هـ/946م) و اذا كان قد أخفى عنهم هذا الخبر " من أجل الحرب ، و لئلا يسر بذلك الدجال اللعين " ، وعند الاقتراب من القيروان ، قابله أعيان المدينة بالطبول و الأعلام و خيول الاستعراض ، ليهنئوه على انتصاره [3]، وكان سلفه المهدي قد استقبل بمثل هذه الحفاوة ، ولكن المنصور كان لا يثق في أهل القيروان ولم ينس انضمامهم لحزب صاحب الحمار ، وذكرهم بهذا الموقف بعرض مخيف للذي اختاروه مرشدا لهم ، كانت الجثة محملة على جمل يطوف شوارع المدينة و بجانبها اثنين من القرود ، و رغم تشككنا في اخلاص اهل القيروان ، فالمدينة السنية كانت تحتفظ بوقار تقليدي ، يشجع الخليفة على الاقتراب منها ، رغم انحطاط دورها كعاصمة ، فترك المهدية بذكرياتها الاليمة و أسس على مسافة عدة مئات من الامتار من القيروان " مدينة صبره أو المنصورية " التي سكنها انذاك ، فأكثر من القصور والحدائق ، بينما كانت المهدية خندقا مجهزا لأيام الصعاب ، فالمنصورية تدل على أيام المجد ومدينة البذخ التي تؤكد انتصار الفاطميين ، و الجديرة بعالم الشهرة ، توطدت هذه السياسة في عهد المصور ، واتبعها بعد ذلك ابنه المعز الذي استولى على الحكم في سنة (341هـ/ 953م) وهو نقل الخلافة الى مصر في سنة (361هـ/973م) ، رأت هذه السنوات العشرون الاخيرة لعهدهم في افريقية [4]، توطيدا و انتشار ملحوظا لسلطة الفاطميين في البلاد التي سيتركونها ، و لقد قام زعيم بني زيري الصنهاجيين بحملة عسكرية لقمع الانتفاضات الاخيرة للخوارج في الاوراس و الزاب ، اما الخليفة فقد أرسل قائده و مولاه " جوهر " على رأس جيش من كتامة و صنهاجة ،

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 175- 176.
[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 175- 176.
[3] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 178- 179 .
[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 178- 179 .

جاب هذا الجيش كل بلاد البربر منصرا حتى وصل الى المحيط الاطلسي ، هذه الحملة التي تذكرنا بحملات عقبة و خلفائه ، كان الهدف منها ليس فقط السلب و لاستيلاء على الاسرى بل الهدف الاساسي كان دحر سلطة الامويين السنية و اخراج خلافة قرطبة من شمال افريقيا كلها ، و قد نجحت هذه الخطة ووصلت تقريبا الى النتيجة المنشودة ، فكانت الخطب باسم العاهل الشيعي في جميع المساجد الكبيرة لبلاد البربر باستثناء مدينتي " سبتة " و " طنجة " ، هذا لا يعني تحقيق الانتصار الروحي رغم محاولات الخليفة فرض سلطانه على رعاياه وخصوصا أهل القيروان ، فقد كان المعز يستخدم تارة القهر و تارة الحلم [1] ان شدة ادارته ، تتوافق احيانا مع حلمه ، الذي حدود له ، فتارة يبدو بسيطا و تارة أخرى محبا للفخامة ، وربما يرجع هذا ميوله الطبيعية أو الى مقتضيات دعايته ، ان المؤرخ المقريزي يصفه لنا وهو يستقبل رؤساء كتامة في حجرة ليست مزينة الا بالكتب و المحبرة ، ويدعوهم الامير الى تقليد زهده و قناعته و مثابرته ، وطلب منهم أيضا معاملة رؤسائهم معاملة حسنة ، وينصحهم بعدم الزواج الا من واحدة ، ولكنه كان يبدي كل الفخامة في تصرفاته العامة ، في سنة (351هـ/962م) عندما أراد ختن أولاده أمر بأن يختن في نفس الوقت جميع الاطفال من " تافيلالت "الى" برقة " و في صقلية ويحصل الجميع على هدايا وملابس فاخرة في احتفال شيعي ضخم ، من الجائز أن يكون هذا الكرم نتيجة لدوافع سياسة : نفس الدوافع التي جعلته ينصب على طريقة الخلفاء العباسيين وهي عادة لم تكن مألوفة في بلاد البربر ، والتي حثت أسلافه على الظهور للجمهور تحت المظلة والتي كانت سببا في تأسيس المنصورية وقصورها الجميلة [2].

2- **عصر الزيريين :** تعتبر دولة بني زيري في أفريقية و فروعها دولة بني حماد في المغرب الاوسط ، من صغار دول المغرب ، فقد ظلتا أمدا طويلا تابعتين للفاطميين حتى قام المعز ابن باديس بالاستقلال عنهم ودولة بني زيري أول دولة مغربية خالصة يقيمها البربر الذين تم استعرابهم ، وأصبحوا عضوا اساسيا في جماعة العروبة و الاسلام [3]

برحيل الخليفة المعز الى مصر سنة (362هـ/973م) تحقيقا لامال عائلته ، وتنصيب امير بربري ليمثله في البلاد التي تركها ، تصل " الازمة الفاطمية " الى الانفكاك و تقترب من الانقلاب الذي عجل بالكارثة ، ويدوم هذا الفصل الاخير للمأساة ثلاثة أرباع من القرن الذي يشهد في افريقية توسع دولة تابعة للقاهرة ألا و هي " مملكة بني زيزي [4] " وحكام هذه المملكة من الصنهاجيين ، وسيحكم هذه المملكة

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 178- 179 .

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 180 .

[3] حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 174 ، انظر : عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص 55 - 56 - 57.

[4] تميم بن المعز بن باديس(454-501هـ/1062-1108م) الذي اشتهر بحروبه ضد القبائل الهلالية والمدن الايطالية ، انظر : علاوة عمارة ، المرجع السابق ، ص 71، ايضا : علي حسني الخربوطلي ، ابو عبد الله الشيعي ، المطبعة الفنية الحديثة ، (دط) ، (د س ط) ، ص 52.

خلفا عن سلف أربع حكام : بلكين بن زيري سنة (362 - 374 هـ / 996 - 973م) المنصور بن بلكين سنة (374 - 386هـ / 984 - 996 م) ، باديس بن المنصور سنة (407- 386هـ / 996 - 1016 م) و المعز بن باديس الذي خلع طاعة الفاطميين وكان سببا في هجرة العرب الرحل الى افريقية ، و يمكننا تأمل تاريخ السلالة كله مرتبطا بهذا الحدث المتميز الذي يشغل المكان الرئيسي في دراستنا هذه ، ستولي اهتمامنا اذن بتطور العلاقات بين بني زيري و الفاطميين ، ذلك التطور الذي سينتهي بالانفصال و سنهمل الحياة الداخلية للملكة و لن نهتم الا بالملامح المساعدة على فهم الحالة الاقتصادية و الاجتماعية و الفكرية لبلاد البربر عشية الغزو الهلالي[1] ان اسم صنهاجة بني زيري ليس غريبا علينا ، فقد جاء بهم القدر ليخلصوا الفاطميين في أصعب الاوقات التي حاصر فيها صاحب الحمار مدينة المهدية ، اذا كانت كتامة منطقة القبائل الصغرى ، هم المجموعة الاولى من المحاربين الذين أسسوا الدولة فصنهاجة هم المجموعة التالية التي و طدت أركان هذه الدولة ، و قد حصلوا على مقابل ذلك مما أدى الى حسد كتامة لهم ، و صنهاجة أهل حضر و جبليون مثل كتامة ، ولكنهم مفضلون على كتامة ، لأنهم يمتلكون أراضي أوسع وموارد أوفر ، قادرة على مقاومة هجوم زناتة [2] الرحل جيرانهم من الغرب و أعدائهم بالوراثة ، و تمتد مقاطعتهم من تاهرت حتى الزاب و تشمل مراكز مثل مليانة ، ميدية ، الجزائر ، وحمزة ، وزعيم هذه القبائل " بلكين " كان وفيا للفاطميين وكان يمدهم بنصائحه ، وتلتف حوله عشيرة متماسكة و مهولة [3].

لقد اختاره الخليفة لادارة أمور بلاد البربر ، أي افريقية و أراضي المغرب المسموح له بضمها للامبراطورية الفاطمية ، وكان بلكين يتمتع ظاهريا بسلطات واسعة جدا : سلطات حربية لانه كان قائدا للجيش ، وسلطات مالية لانه يشرف على جمع الضرائب ، وسلطات ادارية لان جميع الولاة كانوا تحت قيادته ، لقد بقى التنظيم و الهيكل الوظيفي الفاطمي على ما هو عليه ، بل ووطد المعز قبل سفره هذا الهيكل بتعيين ثلاثة من كبار موظفي المالية لجباية الضرائب و ارسال جزء منها الى القاهرة ، ولكن هؤلاء العمال كغيرهم كانوا خاضعين لمراقبة بلكين ، وبتخصيص هذه المهام بلكين ، اراد المعز رفيع الامير الصنهاجي فوق جميع رؤساء بلاد البربر ، وجعله واليا لمقاطعة هامة ، و قام بلكين بتغيير اسمه البربري و اتخذ اسما عربيا " يوسف " ولقب نفسه " أبو الفتوح " أي رجل الفتوحات ، و لّقب سيف الدولة ، كما أهداه الخليفة أجمل خيوله ، وألبسه زي قائد الجند ، و قلده بسلاسل ذهبية دليلا على التقدير السامي و علامة التبعية و لكنها في الوقت نفسه تعطى لمثل امير المؤمنين تفوقا رسميا لا جدال فيه ، بعد رحيل المعز ،

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 180-181 .

[2] يعيشون في قرى مفتوحة ، وهم شجعان شرفاء ، وفي اعلى الجبل مكان حصين بطبيعته وبما أقيم فيه من وسائل الدفاع ، انظر : مرمول كربخال ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 351 .

[3] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 180-181 .

كانت طاعة الامير التابع كاملة ، وكان الخليفة قد كلفه باشهار و لايته بالقيام بحملة ضد قبيلة زناتة ، ليثبت لهم أن الفاطميين لا يزالون بالبلاد ، و قام بلكين بالزحف نحو زناتة فاكتسح تاهرت ، واستعاد تلمسان ، و بدلا من استغلال هذه الانتصارات فانه يعود الى القيروان ، لان المعز أصدر له الاوامر بألا يتعدى هذه الحدود ، كان المعز يحتفظ لنفسه بمراقبة العمليات الحربية من مصر ، وعلى كل فالخدمات التي قام بها بلكين لها مكافأتها لان المعز أضاف له مقاطعة "المسيلة " الخصبة عندما علم بأنه عاقب زناتة [1] .

وفي سنة (365هـ/973م) مات المعز الفاطمي ، وتولى الحكم ابنه العزيز ، فقامت قافلة من افريقية لتقديم الولاء و الهدايا من بلكين للخليفة الجديد ، ورافق بلكين هذه القافلة لمسافة بعيدة عن القيروان ، ومعه كثير من سكانها ، فجدد الخليفة تعيين بلكين و أضاف له مدن أجدابية و سرت و طرابلس و البلاد التابعة لها ، ومع ذلك فبرغم التعبير عن الثقة و علامات الخضوع ، الا أن غياب العاهل الذي رشح الوالي الصنهاجي ، فكك العلاقات التي تربط القيروان بالقاهرة ، كما يبدو أن المدن التي استلمها بلكين قد وطدت مركزه و شجعته على التحرير ، و ابن الاثير يوحي لنا اذ يروي " و استبد بالملك ، وكان يظهر الطاعة مجاملة و مراقبة لا طائل وراءها " ، كان ابن الاثير ملما بأمور المغرب [2]رغم أنه مشرقي ، ونحن نعتد بما يقوله ، ويبدو أن الخليفة الفاطمي قد اتخذ تدابير خاصة تقاوم عزيمة التحرر هذه ، و تضمن سيطرته عليها ، وذلك باستمالة الشعوب التي يحكمها تابعة ، فمنذ بداية حكمه أرسل لبلاد البرب قطع ذهبية مسكوكة باسمه وأمر بتداولها ، وحينما أمر فرض بلكين على سكان افريقية ضريبة جسيمة لارسال ناتجها الى القاهرة ، أمر الخليفة ، بلكين بايقاف جبايتها و أعاد للناس جزءا من المبالغ التي و صلته ، نرى من ذلك أن العزيز كان يتدخل اذن في الادارة المالية التي يديرها الامير [3]، كما كان يتدخل أحيانا في النزاع العائلي : فقد هرب الى القاهرة اثنان من اولاده زيري كانا في السجن بأمر أخيهما ، فاستقبلهما العزيز بحفاوة و أعيد الى بلكين و أمره العزيز بألا يقوم بأي عمل ضدهما و قد أطاع بلكين هذا الامر ، ومع ذلك كان بلكين لا يخضع دائما ، ففي سنة (371هـ/981 م) طلب منه العزيز ارسال ألف من أمهر رجال عشيرته الى مصر ، فرد عليه الامير بأنه في حاجة الى خدماتهم ، و اكتفى الخليفة بهذا الرد ولم يلح في طلبه ، تولى المنصور الحكم سنة (373هـ/984م) بعد موت أبيه بلكين " وكان على سنن أبيه " و لكنه كان مستعدا لعبور مرحلة جديدة نحو الاستقلال ، وكان يريد اكتساب شعبية في افريقية ، وفي نفس الوقت لا يريد الخضوع لمطالبات القاهرة و انجلى هذا الميل المزدوج منذ بداية حكمه ، ولكنه ازداد بوضوح أكثر عند

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 182 .
[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 182 .
[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 183 – 184- 185 .

حفيده " المعز " وكانت النهاية المنطقية هي الانفصال [1]، و يقول البيان " انه ولى الامارة ..بمدينة أشير — المدينة الحصينة بجبل تيطري بالزاب مقر أجداده — و عندما وصلة نبأ وفاة أبيه و جاءه و فد من أهل القيروان ليقدموا له العزاء و الولاء ، فاستقبلهم بلطف و قال لهم " لقد شق على تعبكم في حركتكم ، غير أن سروري في رؤيتكم " و أمر باعطائهم عشرة الاف دينار لسد مصاريف السفر و الضيافة ، فدعوا له وقدموا له التمنيات و انصرفوا ، ولكنه استدعاهم مرة ثانية و أعلن لهم " ان أبي وجدي اخذ الناس بالسيف قهرا ، و انا لا اخذهم الا بالاحسان ، وما أنا في هذا الملك ممن يولي بكتاب و يعزل بكتاب ، لاني ورثته عن ابائي و اجدادي ، وورثوه عن ابائهم و أجدادهم حمير " و أطال في هذا الموضوع .

كان زعماء كتامة يعيشون في جبال منطقة القبائل ، و هي منطقة تابعة لامراء القيروان نظريا ، ولكنها في الواقع لا تخضع لهم ، لانها تحت سيطرة زعماء كتامة ، الذين يحسدون صنهاجة ، ومن السهولة اثارة كتامة ضدهم ، ففي سنة (376هـ/ 986م) و صل الى القيروان داعية شيعي يدعى "أبو الفهم " و كانت له مهمة سرية : كان عليه ان يذهب الى مقر كتامة ، وكان حاكم القيروان انذاك من سلالة الاغالبة ، و رغم أنه معين من قبل الامير الزيري ، الا أنه كان على أتم الاستعداد لخيانته ، لذلك سهل مهمة أبي الفهم ، واستقر أبو الفهم في منطقة القبائل الصغرى ، وجند فرسان و مشاة من كتامة ، واستعد للهجوم على رأس جيش للاستيلاء على افريقية ، فقام المنصور بابلاغ الخليفة بهذا الموقف المقلق ، ولكن الخليفة لم يندهش لهذا النبأ لانه يوافق نواياه ، فأرسل رسولين من القاهرة لابلاغ النصور ، بألا يقوم بأي محاولة تجاه أبي الفهم و انه في حال عصيان هذا الامر ، سوف تقبض عليه كتامة ويرسلوه للخليفة مكبلا بالحبال [2] لم يكن المنصور من الذين يخضعون لمثل هذه التهديدات ، فقام بحجز الرسولين ، وجمع قوات صنهاجة و حرسه الاسود وزحف ضد العدو ، استولى على ميلة ، ركيزة كتامة وقوض أسوارها ، وتقابل مع العدو بالقرب من سطيف و دحره ، وقبض المنصور على ابي الفهم و نكل به ، وقام العبيد الزنوج بتقسيم جثته و أكلوا لحمها في محضر الرسولين ، اللذين أبلغا الخليفة عن قصة اكلى لحوم البشر المرعبة ، وجد الخليفة أنه من الحكمة التغاضي عما حدث ، و ارسل للمنصور رسولا اخر محملا بالهدايا ، ولم ينبس بكلمة عن أبي الفهم ، كان من الواضح أن تراجع العاهل الفاطمي يدل على أنه لا يملك لا الرغبة و لا الوسيلة للتدخل شخصيا ضد بلاد البربر التي تسير نحو الانفصال [3] ففي سنة (382هـ/992م) استلم المنصور مرسوما من الخليفة يعترف فيه بابنه باديس وليا للعهد ، و يقول البيان " فسر المنصور بذلك ، وجاءته الهدايا من البلدان " و يكفي هذا النص ليبين لنا أن الامير مهما كانت رغبته

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 183 – 184- 185 .

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 183 – 184- 185 .

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 186 .

في التحرر ، فهو في حاجة الى الخليفة لمساندة سلطانه و ضمان استمرار سلالته ، وفعلا عندما مات المنصور بعد أربع سنوات (386هـ/996م) خلفه باديس بدون مشاكل تذكر ، لقد قامت محاولة معارضة من أعمام العاهل الجديد و لكنها و دعت بواسطة عبيد باديس و أبيه ، و اثناء الواحد و العشرين عام الذي حكم فيها باديس ، بقيت الروابط بين افريقية و مصر و دية للغاية ، ويبدو ان باديس اثبت على انه تابع أكثر احتراما من أبيه ، . فقد ازدادت الوفود بين العاصمتين محملة بالهدايا كدليل على التقدير مما يوحي بالصداقة المتبادلة ، لو اكتفينا بهذه الروابط الودية التي قام البيان باقتباس احصاء تواريخها من المؤلفين مثل "ابن الرقيق " لتصورنا ان السماء بين القيروان و القاهرة لم تشبها شائبة .

اذ بينما كان الامير باديس يعلن احترامه للخليفة الفاطمي طالما الاخير لا يتطلع للمساس بسلطانه ، نجد أن شعب افريقية من ناحيته ، يبدى عواطفه المضاد للشيعة كلما سنحت الظروف بذلك [1] وسوف يتم التطابق في التفكير بين والي افريقية و شعبه خلال حكم " المعز " – الزيري الرابع – مما يخلق المناخ المناسب للانفصال في سنة (406هـ / 1016م) لما مات باديس أثناء معركة قام بها ضد بني حماد ، أعلن كبار رجال المملكة وزعماء صنهاجة البيعة لابنه " المعز" و كانت سن المعز انذاك الثامنة و اربعة اشهر و كانتهذه البيعة في المهدية ، ومن المفيد ايجاز أسباب هذا النزاع و الظروف التي سببت وفاة باديس ، ان ميلاد مملكة بني حماد جاءنتيجة طبيعية للاحداث [2] فعند رحيل الخليفة الفاطمي الى مصر ، ترك بلكين بن زيري على رأس و لاية تشمل نصف بلاد البربر تقريبا ، وكان على بلكين الحفاظ على سلامة البلاد ، ومتابعة القتال ضد قبيلة زناتة [3] الذين يهددون قوامها ، كانت الضيعة الافريقية فسيحة جدا لحاكم و الحد و العمل شاق ، فكان على بلكين و ابنه المنصور من بعده طلب المساعدة من أقربائها ، و كلف المنصور أخاه حماد بن بلكين بحكم المناطق الشرقية لافريقية أي البلاد الواقعة بين خطى الطول للجزائر العاصمة و حدود الاوراس ، فقام حماد بواجبه بمهارة و تضحية ، ولكنه أراد الاستفادة من ذلك ،لتتحول الولاية العهسكرية المفوضة بصفة نهائية الى دولة مستقلة ، وتعتبر سنة (398هـ/1007م) المرحلة الاولى لهذا التحرر ، و في المرتفعات التي تشرف على حوض هدنة و التي شهدت منذ ستين عام مضت النهاية المأسوية لصاحب الحنار ، قتم حماد بتأسيس قلعة لتكون بمثابة عاصمة له و لسلالته ، وتكبر " قلعة بني حماد " و تنافس القيروان أو صبره " المنصورية " ، لم يقاوم الامير الزيري هذه الحركة التحررية ، و

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 187 .

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 189 .

[3] بني هلال أدوا مع ذلك خدمة كبرى بالنسبة لعروبة المغرب ، فقد أضعفت جموعهم قوى تلك القبائل الزناتية ، التي تحاول سيادة المغرب بالقوة و العنف وتخريب اعمال الدول المستقرة بصورة مستمرة ، ثم ان الهلاليين انتشروا في كل ناحية في البلاد الممتدة الى احواز المغرب الاقصى .. فكان عملهم هذا لتعريب المغرب فتحولت بلاد الجريد في تونس و بلاد المغرب الاوسط (الجزائر الحالية) الى بلاد عربية اسلامية خالصة تتكلم العربية و تحس بأنها جزء من العالم العربي ، و لولا الهلاليون لما صار المغرب عربيا على الصورة التي نراها الان ، انظر : حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 177 .

استمر حماد في خدمة المصالح المشتركة بمحاربة زناتة بدون كلل ، وكذلك بعض أفراد عائلته الذين أرادوا الاستئثار بالامارة، و بعد فشلهم في تحقيق النجاح ، يضطرون الى الانتقال الى الاندلس ن بدأ النزاع بين حماد و باديس عندما قام الخليفة الفاطمي بالاعتراف بالمنصور بن باديس وليا للعهد ، فخصص له باديس ولاية قسطنطينية و تيجست و قصرالافريقي ، من ولاية عمه الحمادية ، لانه أراد استعادة جزء هام من مملكته ، وزيادة سلطان عاهل المستقبل ، كما أراد زيادة موارده و اكتساب انصار جدد ولكن حماد [1] رفض التخلي عن هذه المنطقة التي يعتبرها ملكا له ، كما رفض الاعتراف بولي العهد لانه سبب المشكلة ، و فوق هذا و ذلك قطع العلاقة مع الامير باديس ، و استعد لمحاربته منكرا لسلطان الخليفة الفاطمي الشيعي الذي أقر أمر فقدانه لارضه .

و يقول لنا ابن خلدون "و قتل الرافضة و أظهر السنة ورضى عن الشيخين " (أبو بكرو عمر) و نبذ طاعة العبيديين جملة ، وراجع دعوة ال العباس " ، اذا كانت هذه المعلومة صحيحة (لم يسجلها الا ابن خلدون وحده) فنحن أمام حدث هام سوف يكون له بعد ثلاثين عام أثره الواضح على الامير المعز [2]. الاعمال الحربية التي بدأها حماد في سنة (405هـ/1015م) انتهت في سنة (406هـ/1016م) لصالح باديس الذي مات فجأة عند محاصرة القلعة و لم يصل بعد الى النصر النهائي .

لقد كسب قلوب الناس بشبابه و طيبة خاطره ، و الملاحظ أنه أراد منذ الساعات الاولى اكتساب شعبه مثلما فعل جده المنصور ، فقبل استلام جثمان أبيه في المهدية ، حيث بايعه الشعب كان " يركب في كل يوم ، ويعود الى قبة السلام ، ويطعم الناس بين يديه ، وينصرف الى قصره " ربى المعز في حجر وزيره " ابن ابي الرجال الذي ادبه ودله على مذهب مالك وعلى السنة ، وكان الشيعة لا يشكون في ذلك ، وما لبثوا أن عرفوا الحقيقة [3] منذ ذلك الوقت تكررت حرب الابادة في مدن افريقية الرئيسية ، وقال الشاعر القاسم بن مروان مستبشرا :

سوف يقتلون بكل أرض   كما قتلوا بأرض القيروان [4]

و يبدو أن خلال الخمس و العشرين عام الاولى من حكم المعز لم يكن هناك ما يعكر صفو العلاقات التقليدية بين افريقية و مصر الفاطمية ، و عند قراءة البيان المغرب [5]، تراودنا الرغبة في الاعتقادأن الشعب كان يشارك بصدق و اخلاص السلطان الشاب ، و كانت البلاد تأمل في التخلص من

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 189 .
(2) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 189 .
(3) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 191.
(4) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 191 – 192 .
(5) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 193.

الشيعة ، الذين أصبح وضعهم غير محتمل في القيروان ، فبعد عامين من المجازر الاولى خرجت طائفة من الشيعة يريدون المهدية للركوب منها الى صقلية ، و في الطريق " تنافر أهل المنازل عليهم فقتلوهم و فضحوا بعض شراب النساء ومن كان لها منهن جمال ثم قتلوهن [1] " كان المعز يحظى في الوقت نفسه باخلاص شعبه و عرفانه لانه وضع فيه اماله ،كانوا يتداولون القصص عن الاحلام التنبؤية التي راها ، وكانوا يعلنون عن كرهه للشيعة المقيمين في مملكته ، لم يعد في موقفه من الشيعة أي التباس ، ويؤكد التجاني أن المعز لم يكف عن كره الفاطميين و كان يلعنهم سرا ، ويحرض على قتل أنصارهم ، ويقول لنا ابن خلدون " و أغضى عنه الظاهر من ذلك و ابنه معد المستنصر من بعده ، واعتذر بالعامة فقبل واستمر على اقامة الدعوة و المهاداة " ، نحن لا نعرف بالتحديد تسلسل أحداث اضطهاد الشيعة من جانب سكان بلاد البربر و العرب في افريقية ، كما أننا لا نعرف بالتحديد تواريخ تحلل المعز من الولاء للفاطميين و لا الحجة التي اختارها لخلعهم رسميا ، ان ابن عذارى يحدد الحركة الرئيسية لهذا التحلل من الولاء للفاطميين بسنة (433هـ/ 1041م) بأن المعز الولاء للخليفة العباسي " القائم " و بالتالي تحلل من الولاة الفاطميين ، أما ابن الاثير و ابن خلكان فيحددان تاريخ هذه الواقعة الفاصلة بسنة (435هـ/1043م) و يحددها ابن خلدون بسنة (437هـ/ 1045م) ، و الذي يهمنا هو أن هذه الوقائع جرت كلها بين سنة (433هـ/ 1041 م) و أن سنة (437هـ/1045م) كانت بداية التحلل شيئا فشيئا و الاعوام التي تليها كانت لتطور المواقف و تأزمها .

جاء عهد خليفة بغداد ردا على ولاء المعز ، و كلن هذا العهد مصحوبا بكثير من الهدايا ، عبر الطريق البحري بين القسطنطينية (عاصمة الامبراطورية البيزنطية) و افريقية .

ومع ذلك فان الفاطميين الغير المعلن ، لا يرضى الشعب الذي كان يكن للمشرقيين الحقد الدفين ، وكان يجب على الانفصال السياسي أن يترجم بقطيعة رسمية مع هؤلاء المبتدعة ، ومن عدة سنوات مضت قطع كثير من الصالحين من أهل القيروان صلاة الجمعة ، حيث كان الدعاء للخليفة الفاطمي : وصلت هذه القطيعة لدرجة أن المسجد كان يبدو أحيانا خاويا ، فأمر المعز بالكف عن الدعاء للخليفة الفاطمي ، و أمر بعد فترة أن تلعن الشيعة من فوق منابر المساجد نقل ابن عذارى عن مؤرخ معاصر له[2] خطبة قيلت بهذه المناسبة في عيد الاضحى سنة (440هـ/1048م) ويقول لنا الامير لم يقتنع بشدة اللعنات و أمر بجعلها أكثر تشددا في خطبة الجمعة التالية لدرجة أن " أبلغ في ذلك بما فيه شفاء لنفوس المؤمنين " و أصبحت هذه اللعنات و السباب من الاجبارية لكل عمل هام ، و لدينا دليل مؤثر في هذا الشأن :

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 193.

(2) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 194 – 195- 196 .

انه غلاف مصحف أداه الامير الزيري للمسجد الجامع في القيروان و عليه خط بيده[1]

لا يوجد في هذا البلد و ثيقة أكثر تاريخا و مدلولا و نوايا : فالامير الزيري في الوقت الذي يلعن فيه سلاله المهدي " عبيد الله " فانه يمجد الرسول و الصحابة و أعطى للخلفاء المكانة التي منحها لهم التاريخ و أن "عليّا " جاء رابعهم ، و ان عنلية الوقف لصالح المسجد الجامع القيروان لها دلالتها ، التي تضاف الى مجموع الاعمال التي تبين احترام الامير لمؤسسه سيدي عقبة ، فقد أهمل الفاطميون هذا المسجد الذي اعتنى به الاغالبة ، وقد اراد واحد من الفاطميين هدم المحراب ، وتغيير القبلة التي حددها عقبة بناء على الرؤية ، و لما لم يستطع ، اراد انتهاك حرمة مقبرة سيدي عقبة لينمحي ذكراه ، ان هدايا المعز للمسجد الجليل ، و الاعمال التي أمر بها فيه ، والخاصة بتزيين السني و اثراء مقبرة البطل ،كل هذا يبدو عليه طابع التعويض و العودة الى التراث السني و الوطني لافريقية ، ان اصلاح الاسقف و خشب المسجد و هدايا المخطوطات الثمينة ووسائل الاضاءة ، كل هذا واكب الانفصال أو سبقه بقليل ، هناك و قائع أخرى جعلت الانفصال أكثر ظهورا ، ففي سنة (442هـ/1049م) أمر المعز باحراق رايات الفاطميين و الاقمشة المنسوج عليها اسمهم ، بالاضافة الى اجراء أكثر خطورة : و هو اطراح الولاء لهم في سك النقود ، اي انه منع تداول النقود التي سكها الفاطميون و أمر بتغييرها ، ونتج عن ذلك غلاء في المواد الغذائية أحس به عامة الشعب ، وفي سنة (443هـ/1051م) أمر المعز صباغي القيروان بصباغة الأقمشة البيضاء المصادرة من سوق القماش باللون الاسود (رمز العباسيين) ، وقام الخياطون بصناعتها عباءات ووزعت على رجال الدين وافراد الحاشية ، ارتدى الجميع هذه الكسوة العباسية ورافقوا الامير الى المسجد لسماع خطبة بني زيري الدعاء لخليفة بغداد ، وانتهت الخطبة –كما جرت العادة – بلعنة الفاطميين المنبوذين [2] لم تكن مملكة بني زيري بنفس الاتساع ، الذي كانت عليه ، عندما و هبها الخليفة الفاطمي لبلكين مؤسس الاسرة لقد رأينا كيف تصرف خلفاء بلكين لصالح بني عمومتهم من بني حماد ، فقد وهبوهم مقاطعة حربية لحمايتها و لكن سرعان ما تحولت هذه المقاطعة الى دولة مستقلة [3] و لقد أقرّت هذا التقسيم اتفاقية سنة (408هـ/1017م) و بذلك فقد أمير القيروان السيطرة على الجزء الاكبر من بلاد صنهاجة القديمة ، من تاهرت حتى حدود الاوراس ، بما فيها العاصمتين أشير القديمة و الجديدة ، و كذلك قلعة بني حماد ، كان الامير الزيري لا يحتكم الا على مقاطعة افريقية القديمة التي أصبحت " افريقية " و تشمل قسطنطينة و ميلة من ناحية و طرابلس من ناحية اخرى ، اما الحدود التي تفصل بين الدولتين المتنافستين ، فكانت غير

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 194 – 195- 196.

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 194 – 195- 196 .

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 194 – 195- 196 .

واضحة المعالم [1] ففي كل من البلدين يتكون قاع المجتمع من البربر ، و القبائل التي يذكرها البكري ، هي ذاتها تقريبا التي كانت تقيم على نفس الارض في القرن التاسع ، زمن اليعقوبي ، واذا كان اليعقوبي قد اهمل ذكر كتامة منطقة القبائل ، فالبكري يذكرهم دائما ، ويرجع ذلك الدور التاريخي الذي لعبوه ، ولفت اليهم الانظار ، أما بالنسبة للعناصر الاخرى و التي سبق أوردها اليعقوبي في القرن (3هـ/9م) : الفرس ، الروم ، الافارقة و أخيرا العرب ، فالجدير بالذكر هو اختفاء الروم و الفرس [2]، أي سلالة الحكام البيزنطيين القدامى الذين استقروا في البلاد بعد تعريبه ، وبقايا الفرق العسكرية الفارسية المهاجرة منذ عهد العباسيين ، و البكري لا يعرف لا الفرس و لا الروم ، فلا مدن الجريد تحتوي على روم و لا المراكز المحصنة في الطريق الشرقي تحتوي على فرس ، ومن العبث الاعتقاد بأنهم تركوا البلاد ، بل يمكن التسليم بأنهم اندمجوا مع أبناء الوطن الأصليين ، والبكري يسمح لنا بشرح هذا الاندماج خصوصا على حدود مملكة الاغالبة القديمة ، ففي بلاد الزاب ببسكرة و المدن الصحراوية المحيطة ، حيث أنشأ البيزنطيون المحميات ، تقابل اليعقوبي مع فارسيين ، اما البكري فلم يجد الا المولدين ، ونعتقد أنهم أبناء أجانب تزوجوا من بنات البربر[3] و تزوجوا من نساء البربر ، و نتج عن ذلك سلالة كلوغليس (Oouloughlis) .

كذلك الحال في طبنة عاصمة الزاب في ذلك الوقت حيث حل الهجاء محل الروم ، وقد ثبت و جودهم منذ مائة و خمس و سبعون عام من قبل ، وعلى كل فلم يكن الاندماج كاملا ، مما ادى الى وجود الفروق بين سكان المنطقة ، وبقاء العنصرية العربية واضحة ، و يعطينا البكري ايضاحات مفيدة في هذا الشأن حيث يروي :" اذا كانت الحرب بين العرب و المولدين ، استمد العرب بعرب مدينة تهودا و سطيف ، واستمد المولدون بأهل بسكرة وما ولاها " .

وعلى كل حال كانت هناك مراكز ، خلت من العناصر الاجنبية ، التي كانت تشغلها في الماضي ، بسبب الهجرة لمناطق أخرى ، او أن الاندماج قد أذابهم مع أبناء الوطن االاصليين ، وفي "باغاية " المدينة المحصنة القديمة ، التي كان يعيش فيها في القرن التاسع " قبائل من الجند ، و عجم من أهل خرسان ، وعجم من عجم البلد من بقايا الروم " لا يذكر البكري أي شيء عن هذه المجموعات ، و قد لاحظ فقط أن " أهلها كلهم اليوم على راي الاباضية " وقد قال لنا أن السهولة المحيطة ، كانت محتلة بقبائل مزاتة و ضريسة البربرية ، وكلها تنتمي للخوارج ، ونحن نفترض اذن ان البربر الذين يعتنقون المذهب الخارجي الوطني القديم ، حلوا محل العناصر السابقة التي عرفناها ، في المكان في النصف الثاني للقرن (3هـ/9م) ، و قد بحثنا في عصر الاغالبة مسألأة " الافارقة " و قلنا أنهم من أبناء الوطن الاصليين أو الاجانب ، و كانوا

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 197.

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 198.

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 198.

يتكلمون اللاتينية و يحتفظون بالعقيدة المسيحية ، و لم نندهش لتضاؤلهم في القرن (3هـ/9م) ، فقد قل استعمال اللغة اللاتينية و بدأت المسيحية في التقهقر ، و بعد أن أشار البكري عن وجود " قبائل أفارقة " في برقة (شمال شرق ليبيا) يتكلم عن وجودها في كل من افريقية و قابس [1].

نحن لا نشك في وجود مسيحيين في الجريد ، وقد قابلهم اليعقوبي ، و سيبقون فيها طيلة العصور الوسطى و حتى القرن الرابع عشر و سوف يتكلم عنهم ابن خلدون ، ومع ذلك فمن الواضح أن البكري الذي كان عليما بأحوال قسطيلية و مراكز المنطقة ، لم يندهش من وجود الافارقة وقد قابلهم في قابس ، حيث لم يلاحظ اليعقوبي و جودهم ، وقد ذكرهم البكري بعد قرن من الزمان ، وقد كونوا جزءا هاما من السكان لدرجة أن الادريسي لقب قابس " مدينة الافارقة " يبدو أنه كانت هناك مراحل للتركيز التصاعدي للافارقة و تجمعهم في المدينة حيث التقاليد اللاتينية و المسيحية كانت لا تزال موجودة [2]

3- عصر الصنهاجيين[3] :

ان مشكلة صقلية تحتل في العصور الوسطى ، كما كانت تحتل في العصور القديمة ، كل التاريخ البحري لبلاد البربر ، و الفتح الذي حققه الامراء الاغالبة في القرن التاسع ، ابدى ذروة القوة الاسلامية في غرب البحر الابيض المتوسط ، لقد كانوا يملكون الجزر و الجزء الاكبر من شواطئ القارة ، وكانوا يسيطرون على البحر و يبحرون بحرية و يبحرون بحرية في جميع الاتجاهات ، و خلف الفاطميون الاغالبة وورثوا عنهم هذه السيادة ، وكانوا يتقاسمونها بل يتزاحمونها مع أموي اسبانيا ، وتثاقف الاسطولان في عدة لقاءات ، واصبح البحر الابيض بحيرة اسلامية ، و خصوصا الحوض الغربي منه ، حتى كان المسيحيون لا يستطعون احار لوحا من الخشب و حسب التعبير المعبر لابن خلدون " و لم تظهر للنصرانية فيه ألواح " [4] فبعد رحيل الفاطميين وانهيار خلافة قرطبة تمكنت البحرية المسيحية من خلق بعض الحرية في الحركة و الحصول على بعض المزايا .

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 200.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 200.

[3] صنهاجة في القرن (4هـ/10م) تعادل من بلاد المغرب الاوسط ..مقابل اقليم قبائل كتامة والذي يبدأ من منطقة قسنطينة شمالا ، وما يليها جنوبا بشرق الى تخوم بجاية و بونة و تحدد بلاد صنهاجة ، حيث بنيت مدينتهم أشير بمعرفة زيري بن مناد سنة (324هـ/936م) في جوار قبائل زواوة التي تعتبر من بطون كتامة و زناتة بالمنطقة الداخلية من المغرب الاوسط الواقعة غرب بلاد كتامة و الممتدة جنوب الخط الوهمي الممتد مابين مدينتي بجاية و الجزائر ، أنظر : سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 290 .

[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 246.

عرف العهد المرابطي ظهور أقطاب التصوف بالمغرب و الاندلس وشاع السلوك الزهدي وفشت في المجتمع ظاهرة الصلحاء و الاولياء [1] غير انه وبمجرد ضم الاندلس الى سلطة الدولة المرابطية أصبح الامراء و الخاصة يعيشون في رغد من العيش و الترف فأكثر الاقبال و التفنن بل التنافس على شتى انواع الاطعمة نظرا لحياة الترف التي يحياها الامراء و الاثرياء [2]

برحيل المعز الى القاهرة و مصر يبدأ عهد جديد في بلاد افريقية و المغرب [3]، كان قد فصل طرابلس و صقلية ...التي وهبها لبلكين الزيري [4] ، قام المعز بتخصيص طرابلس لكتامى ثم عادت بعد ذلك الى الدولة الزيرية لتنفصل من جديد ، و تصبح من بصمات عائلة " بني خزرون " الوناتية أما بالنسبة لصقلية و كلابريا ، كانت ملحقة بها ، فقد اعطيت لعربي يدعى حسن بن علي الذي كان على مقدرة في حكم الجزيرة ، ولم تكن المهمة سهلة بالنسبة لحكومة صقلية ، فقد كان الوضع الداخلي مضطربا ، وكان الشقاق سائدا ومستمرا ، فالمسلمون من العرب و البربر كانوا بدون عصبيات تتصدى بعضها لبعض ، و كان المسيحيون يكونون جمهورا كل اماله متجهة نحو القسطنطينية وينتظر منها الخلاص .

وابتداء من سنة (484هـ / 1091م) عادت صقلية مسيحية ، و انقلب بشع في البحر البيض على حساب الاسلام ، و حاولت صنهاجة المهدية و قف الانقلاب ، ويعتبر استقرار نورمان الشمال في صقلية و ضع عجيب [5] ومفارق اذ ان صنهاجة التي فرض عليها الاتجاه الى النشاط البحري ، قبيلة جبلية عاصمتها قلعة أشير بمرتفعات تيطري ، يبدو ان أفرادها يخشون البحر و يحذرونه كغالبية أهل البربر ، و يحبون الارض وليس هناك ما يدفعهم الى المغامرة في البحار ، واستنفذوا نشاطهم في الصراع مع جيرانهم من

---

[1] انس الفقير و عز الحقير ، تحقيق : اودلف فور و محمد الفاسي ، (د ط) ، المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ، 1965م ، ص63.

[2] جمال طه ، الحياة الاجتماعية بالمغرب الاقصى في العصر الاسلامي (عصر المرابطين و الموحدين) ، دار الوفاء ، ط1، اسكندرية ، 2004م ، ص187 ، ايضا : التهامي نقرة – عبد الحليم عويس ، ،أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، دار الصحوة ، القاهرة ، ص 16-17.

[3] سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 285 ، ايضا : علي حسني الخربوطلي ، المرجع السابق ، ص 52.

[4] أبو الفتوح ، سيف الدولة ، المسمى يوسف : مؤسس الامارة الصنهاجية بتونس ،كان في بدء أمره من قواد المعز لدين الله الفاطمي ، وهو الذي أنشأ مدن الجزائر ومليانة و المديّة ، و لما قتل أبوه سنة (360هـ / 971 م) نهض من أشير الى زناتة و اخضعهم و ثأر لأبيه ، فعقد له المعز الفاطمي على عمل أبيه بأشير و تيهرت ، وضمّ اليه الزاب والمسيلة ، وعند انتقال المعز الى مصر سنة (361هـ/ 972 م) استخلفه على افريقية و المغرب ، ماعدا صقلية (كانت للكلبيين) وسمّاه يوسف بدلا من بلكين ، وكناه أبا الفتوح ، ، و لقبّه سيف الدولة ، واوصاه بثلاث ، أن لا يرفع السيف عن البربر ، و لا يرفع الجباية عن أهل البادية ، ولا يولي أحدا من أهل بيته " ثم غزا بلكين المغرب الاوسط و خرب مدينة تيهرت ، و حاصر تلمسان حتى نزل أهلها على حكمه ، وفي سنة (368هـ / 978 م) أضاف أعمال طرابلس الغرب و سرت و أجدابية الى ولايته ، و في أيامه خلع أهل المغرب الاقصى طاعة الفاطميين و خطبوا للمروانيين أصحاب الاندلس ، فسار اليهم بكلين و دخل مدينة فاس عنوة ، واستولى على سجلماسة وبلاد الهبط ، وطرد منها عمال بني أمية وأعاد الخطبة للفاطميين ، فدان له المغرب كله ، و لم يزل حسن السيرة ، قائم على أمر رعيته الى ان توفي في موضع بين سجلماسة وتلمسان يقال له "واركس " كما في العبر لابن خلدون ، أو "واركنغو " كما في البيان المغرب ، أمّا بن خلكان فقد سمّاه "واركلان " ، أنظر : عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 45 - 46 .

[5] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 247.

زناتة و بني عمومتهم بني حماد ، ولكن عندما استقروا في افريقية كخلفاء للفاطميين ، وجدوا انفسهم حكاما لمناطق ساحلية حيث تلتقي فيها تجارة ما وراء البحار ، ومسئولين عن الجهاد البحري في افريقية ، رغم طبيعتهم الجبلية تبعدهم عن ذلك ، ورغم جهلهم التام بالملاحة لم يلبثوا ان عرفوا اهمية الاسطول في نجاح عملياتهم في المغرب ، يقول لنا ابن الاثير أن بلكين سلم بأن مدينة سبتة لا تؤخذ الا بأسطول لمحاصرتها ، و يوقف الامدادات الاتية اليها من الأندلس [1].

في سنة (366هـ/976م) خرج الاسطول من المهدية في اول المحرم فتعذرت الريح عليها ، فأقاموا حتى فرغت ازوادهم و عدموا الماء ، فهرب جميع من فيها من النواتيه و البحرية ، و صاروا الى البر ، فنهبوا ما في المراكب من عدة و سلاح و هربوا الى كل ناحيةفجعل عبد الله الطلب عليهم ، فمن ظفر به قتل " ، نحن نجهل الاسلوب الذي حلّ محل هذه الطريقة الوحشية ، ونرجح انه قد يكون التطوع الاختياري الذي يشجعه توزيع الاموال كما هو الحال في تكوين القوات البرية ، و المؤكد انه في عهد المعز كانت البحارة تكون عنصرا ملحوظا من سكان زويلة ، ضاحية المدينة اذ نجدهم في سنة (448هـ/1056 م) منضمين مع الدهماء في فتنة خطيرة جدا [2] لم يظهر لبني سليم و بني هلال اثر في المغرب الأوسط الا بعد أن حالف الناصر بن علناس الاثبج الهلالية (457هـ / 1065م) في سبيل امتلاك تونس ، ورغبة منه في التوسع ، لان تونس في تلك الفترة كانت تعيش اضطرابا سياسيا قبل الزحف الهلالي الذي كان نتيجة للعلاقة السيئة بين الفاطميين و الولاء للعباسيين و ذلك سنة (443هـ/ 1085 م) [3].

ظهرت من برغواطة أسرة تولت الحكم في صفاقس بافريقية في عهد بني باديس الصنهاجيين ، وكان من أبرز شيوخها منصور البرغواطي ، الذي ولاه المعز بن باديس على صفاقس ، و يصفه ابن خلدون بأنه كان فارسا مقداما ولكنه جنح الى الثورة على المعز بن بادس أيام تغلب العرب الهلالية على افريقية و خروج الى الثورة على المعز بن باديس أيام تغلب العرب الهلالية على افريقية و خروج المعز الى المهدية ، ولم يتح لمنصور ان يكلل ثورته بالنجاح ، اذ انقلب عليه ابن عمه حمو بن مليل البرغواطي ، وقتلته في الحمام غدرا [4] وفي سنة (461هـ/ 1068م) في عهد تميم ابن المعز قام عدد من البحارة المسلمين بالجلاء عن صقلية الى افريقية بعد ان غزاها النورمان ، اما بناء السفن فقد كان يواجه صعوبات أكبر من تجنيد الرجال ، كان لافريقية بالتأكيد ترساناتها :هناك تونس حيث جلبوا لها المتخصصين المصريين الذين يعتبرون من الرعيل

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 247.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 249.

[3] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 107.

[4] سحر السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 44.

الاول ، وسوسة حيث تكونت حملات [1] صقلية ، والمهدية اذ يروي البكري عن ترساناتها أنها كانت تحتوي على مائتي سفينة و تشمل " قبوان كبيران طويلان لألات المراكب و عددها لئلا ينالها شمس و لا مطر " ولكن المسألة العضال و الاكثر حرجا في حلها ، كانت بالنسبة للزيريين نقص الاخشاب لان شجر زيتون الساحل لا يصلح لهياكل السفن ، ولذلك اصبحت بجاية بعد ذلك أكثر ملائمة من المهدية لصناعة الاساطيل و يروي الادريسي القرن (السادس / القرن الثاني عشر) :"و بها دار صناعة لانشاء الاساطيل ، لان الخشب في أوديتها و جبالها كثير ، ويجلب اليها من أقاليمها الزيت الطيب [2] ففي سنة (536هـ/1141م) استولى الزيري " الحسن " على سفينة مشيدة في بجاية و كانت هذه السفينة عائلة من مصر ، ففرغ حمولتها و تركها في الميناء ، وحينما هبت عاصفة حطمتها [3] لقد اصبحت الحياة البحرية و تجارة ما وراء البحار و القرصنة من اهتمامات الامير الزيزي [4].

جاء الغزو الهلالي و الهروب من القيروان و الهجرة الى المهدية و تعرضت البلاد للسلب و الفوضى ، و اسحب النشاط الاقتصادي نحو الشاطئ نتيجة لاحتلال العرب لجنوب افريقية و طرابلس و برقة ، و أصبحت الطرق البرية المؤدية لمصر و الشرق غير صالحة و محرمة على القوافل ، لذلك كان الطريق البحري هو السبيل الوحيد للتبادل التجاري و الحج ، و ابتلي السلطان الزيري بهذه المصادفة المؤسفة ، التي تزامنت مع الخطر المسيحي الممثل في النورمان ، كانت الخسارة على الجبهتين .

و في سنة (444هـ/1052م) نفس العام الذي دحر فيه العرب و للمرة الثانية القوات الصنهاجية ، تلقي المعز نداءا من مسلمي صقلية يلتمسون فيه مساعدتهم ضد النورمان بقيادة روجر الاول ، فجمع السلطان مرة أخرى عددا هائلا من السفن و شحن فيها الجنود و المؤونة [5] ، وللمرة الثانية بالنسبة للمسلمين كانت النتيجة مشئومة في نواحي جزيرة قوصره ، لان عاصفة شتوية التهمت معظم الاسطول ، و يروي ابن الاثير علينا الواقعة مبينا نتيجتها المزدوجة "مما أضعف المعز و قوي عليه العرب حتى أخذوا البلاد منه ، فملك حينئذ الفرنج (النورمان) أكثر البلاد على مهل و تؤده لا يمنعهم أحد و اشتغل صاحب افريقية بما دهمه من العرب " ، و مع ذلك فسيحاول تميم بن المعز مرة أخرى العودة الى صقلية سعيا وراء الحصول على ما يعوض الكارثة الافريقية ، اذ نزل أبناؤه الاثنان مع القوات الزيرية في موقعين على الساحل ، واستقبلوا استقبال المنقذين من سكان الجزيرة المسلمين ، و لكن تصرف الحرس

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 249.
[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 250.
[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 250.
[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 251.
[5] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 252.

الاسود الذي جلباه معها أفقدها الشعبية لدرجة أنهما اضطروا للعودة سنة (461هـ/ 8106م) تاركين [1] صقلية في أيدي النورمان الذين لم يجدوا أمامهم أية مقاومة .

اذا كان بنو زيري قد تناولوا عن الاستئثار بمملكة ما وراء البحار (صقلية و غبرها من الجزر) ، فلم يفقدوا الامل في الحصول على الثروة ، على حساب جيرانهم بالبحر الابيض المتوسط ، ويستحقوا منا كل الاعجاب و التعظيم للمقدرة التي أثبتها المعز و خلفاؤه الاربع في محاولة كعالجة و ضع ميئوس ، منه وهو المحافظ على مملكتهم ، وهذا ما توصلوا اليه و لمدة تسعون عام عن طريق استعادة مملكتهم قطعة بعد أخرى ، وتنظيم الحملات البحرية التي كانت بمثابة جهاد مقدس ، وأخير محاولة الاثراء بفضل التجارة البحرية ، كانت قرصنة بني زيري نشاط ملموس ، ففي عهد تميم بن المعز بلغ العدوان على البلاد المسيحية درجة جعلت الدولة الضحية تقرر عملا جماعيا ، فتكون العدوان على البلاد المسيحية درجة جعلت الدول الضحية تقرر عملا جماعيا ، فتكون اتحاد بيزا و جينوة و شجعه البابا فيكتور الثالث ، ودامت الاستعدادات أربع سنوات ، و في سنة (480هـ/1087م) اتجهت ثلثمائة سفينة نحو المهدية ورغم وصول رسالة بالحمام الزاجل من قويصرةتحذر المدافين عن المدينة الا انهم فوجئوا بالعدوان [2] أما حملة (498هـ /1104م) التي لم يذكرها الا ابن عذارى فقد كانت كارثة عليهم .

لقد نظمها الرومان بمساعدة الخزانة التبشيرية البابوية و كانت تستهدف أيضا المهدية ، لكن في هذه المرة أبحر الاسطول الصنهاجي للمواجهة و فشلت المحاولة تماما .

هذه الهجمات المسيحة المظفرة كانت أو المخيبة للامال ، لم تفتقر أبدا من نشاط الاسطول البحري بافريقية ، بل زادت في عهد يحي بن تميم ، و يبدو ان التطور البحري مع الكيمياء كانا الشاغل الاساسي للسنوات الثماني التي قضاها في الحكم ، فقد شيد السفن التي كانت تخرب كل عام الشواطئ الاوربية و تعود منها بالاسرى ، ويقول ابن خلدون " وكان له في ذلك اثار ظاهرة عزيزة "[3] .

نحن لا نشك في ان بني زيري كمن سبقوهم في الحكم ، قد نظروا نظرة استحسان الى وجود التبادل بين مملكتهم و بلاد ما وراء البحار ، اذ ان الرسوم الجمركية كانت تساعد على تمويل الخزانة ، ومع ذلك نحن نفترض ان هذه التجارة لم تكن حرة مطلقا ، فالامراء أو البعض منهم كانوا يقومون باحتكار السفن المهيئة لنقل البضائع أو منح حق الامتياز للغير مقابل مبلغ متفق عليه من المال .

هكذا ظهرت الدولة الصنهاجية الزيرية في بلاد القيروان وافريقية بمظهر الدولة العربية حقا ، من حيث اتخاذ العربية لغة رسمية للدولة ، وعناية الامراء بها في بلاطهم ، حيث عناية بعضهم بالشعر و الادب

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 252.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 253.

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 254.

– حسبما سمحت الظروف ، وهنا تجدر الاشارة الى نظرية ابن خلدون التي تقول بأن الطابع الديني في الدولة الاسلامية يتناسب طرديا مع صبغتها العربية ، ونرى انه لابأس ان يكون ابن خلدون قد استنبط نظريته هذه من دراسته للتاريخ دول المغرب البربرية و أولها دولة الزيرين الصنهاجية ، حيث لا تشغل الامور الدينية فيها حيزا من التاريخ يذكر بالمقارنة مع العصر الفاطمي السابق أو حتى الاغلبي العباسي الاسبق .. وهنا نضيف خاصية أخرى مرتبطة بالعروبة في تاريخ الدول المغربية البربرية ، وتتخلص في التناسب الطردي أيضا بين العروبة و التحضر [1]

لما شعر المعز بأن الامور بدأت تفلت من يديه ، وان الوضع يسير نحو الاسوء ، بادر الى جمع جيش عظيم من العبيد ، وبعث يستنجد ببني عمه ، بقلعة بني حماد ، فبعث اليه القائد بن حماد كتيبة من ألف فارس من زناتة ، و جمع عساكره ، فكانوا ثلاثين ألف فارس ، و أول معركة بينه وبين الاعراب ، كانت معركة حيدران ، من جهة قابس في ذي الحجة (443هـ/1053م) ، وكان تعداد العرب ثلاثين ألف فارس ، بينما يبدو ابن عذارى مبالغا في تعداد جيش المعز ، اذ يقول بأنه ثمانين ألف فارس و من الرجالة ما يليق ذلك [2] و لكن عرب البلدين – عرب الفتح – الذين كانوا في جيش المعز ، اثروا الانضمام الى اخوانهم في الموطن فانحازوا الى صفوف الهلالية ، أما زناتة و صنهاجة فقد خذلوه و فروا ، وهكذا عندما هاجم بنو هلال على الزيريين ما وجدوا أمامهم الا المعز و العبيد فقاتل عبيد المعز بشجاعة ، ولكنهم مع ذلك انهزموا [3] ووصل العربي الى نواحي القيروان ، وبثوا خيولهم الى ضواحي المدينة و قراها فارحين بكثرة مزارعها و عمرانها ..و أقبلت العرب حتى نزلت بمصلى القيروان ، ووقعت الحرب ، فقتل من المنصورية و رقادة خلق كثير ..وفي سنة (444هـ/1054م) بنى سور زويلة و القيروان و في سنة (446هـ/1056م)حاصرت العرب القيروان ..ولكن الدعاية الاعلامية جعلت أهل القيروان ينظرون الى بني هلال و بني سليم بنظرة الربا و الشك [4] .

يعتبر عهد المعز بن باديس [5] علامة مميزة في تاريخ الدولة الزيرية بل في تاريخ المغرب الاسلامي ، من حيث انه كان العهد الذي أنهى مرحلة التشيع الفاطمي في بلاد القيروان و افريقية التي استمرت زهاء قرن و نصف قرن ، ساد فيها المذهب الاسماعيلي الفاطمي على حساب كل من المذهب المالكي الذي

---

[1] سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 286 – 287 .

[2] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص287.

[3] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 115.

[4] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 118- 119

[5] تأتي رواية دخول العرب الهلالية الى افريقية سنة (442هـ/ 1050م) في حوليات ابن الاثير ، لتؤكد في المقدمات و الاسباب لن سنة (440هـ/ 1048م) هي السنة التي خطب فيها المعز بن باديس للقائم بأمر الله العباسي ، و بالتالي التي قطع فيها خطبة المستنصر العلوي ، انظر : سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع نفسه ، ج3 ، ص 379 .

كان له السيادة على المستوى الشعبي بفضل كبار المالكية من تلاميذ امام الهجرة من أندلسيين كحي بن يحي ، ومغاربة كسحنون وابنه محمد ، والمذهب الحنفي ، مذهب الخلافة العباسية الرسمي ، الذي انتشر بفضل رجال الدولة من اصحاب الوظائف الدينية الكبيرة ، كالقضاء و الفتوى و امامة المساجد الكبيرة في المدن ذات المنابر ، فعن طريق قطع العلاقة بين القيروان و القاهرة على عهد المعز بن باديس واعلان الخطبة على المنابر باسم الخلافة العباسية ، عادت السنة الى افريقية [1] هذا ، فضلا عن استفحال الملك الزيري على عهد المعز حيث بلغت حضارة القيروان ذروة عصورها الذهبية بفض الاموال الطائلة التي كانت ترد الى بيت المال من مظانها الكثيرة ، من الزراعة والحرف المهنية و التجارة ، وان كانت موارد صقلية قد انقطعت عن المهدية بينما استنزفت الهدايا الموجهة الى القاهرة نصيبا لا بأس به من خزانة بيت المال [2].

4- **عصر الحماديين(398 هـ /1007م)** [3]: يعتبر التاريخ الرسمي و العملي لقيام الدولة الحمادية هو عام (408هـ/1017م) ، لكن الفترة الممتدة من سنة (395- 408هـ/ 1004-1018م) كانت الفترة الحاسمة التي تمخض عتها قيام الدولة [4]

و كان لقبائل بني هلال النصيب الاكبر في ارض الدولة الحمادية ، وتمثل هذا النصيب في الحياة الاجتماعية ، اذ كان من أهم النتائج التي اسفرت عنها الحملة الهلالية على الجزائر تغيير اللسان البربري الذي كان من قبل طاغيا على اللسان العربي في الارياف و المدن [5] و يعتبر دخول هؤلاء الهلاليين في الحقيقة فتحا اجتماعيا حضاريا مكملا للفتح الاسلامي ، ونجح اصحابه في تأثير عاداتهم و تقاليدهم و لغتهم على البربر بعد بضعة أجيال ، و في الحقيقة انه لم يغامر الزيريين في يوم من الايام شك في اصالتهم العربية ، بل يعتبرون قبيلتهم صنهاجة البربرية عربية تعود أصولها الى الحميريين الذين هاجروا للمغرب قبل الفتح الاسلامي بكثير [6]

كمال كانت توجد كنيسة للعذراء في قلعة بني حماد ، ان هجرة بني حماد من القلعة الى بجاية كانت سببا في انتقال جزء من مسيحي القلعة الى بجاية حيث أرسل اليها البابا أسقفا 1076 بناء على طلب بني حماد [7] نلاحظ ان المدن التي كان يفضلها ، و يجتمع المسيحيون فيها ، حيث توجد كنائسهم و اسقفيتهم

---

(1) سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 379 .

(2) سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع نفسه ، ج3 ، ص 379 .

(3) عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص 60 – 61 .

(4) عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 47 ، انظر : عبد العزيز شهبي ، المرجع نفسه ، ص 60 – 61 .

(5) عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 160.

(6) عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 160.

(7) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 201 ، أيضا : عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص 60 – 61 .

اسقفيتهم ، مثل القيروان و المهدية و قلعة بني حماد و بجاية هي مدن أنشأها المسلمون و كانت عواصم اسلامية ، ان دلت هذه الملاحظات على شيء ، فهي تدل على انهم وجدوا في هذه الاماكن ، التي لم يستقروا فيها الا من عدة اجيال فقط ، تساهلا لمزاولة عبادتهم ، ووجدوا انشطة تجعل حياتهم اكثر أمنا في ظل الحكم الاسلامي ، أما بالنسبة للعنصر العربي ، فقد ازداد تواجده بافريقية ، والبكري قد ذكرهم اثني عشر مرة ولنا نشك في تعداده الغير كامل ، بخلاف القيروان ، فالمدن التي يجب ان نلاحظهم فيها حسب راي البكري هي : بالنسبة لمقاطعة افريقيا القديمة (افريقية) قابس ، المهدية ، منستير عثمان ، و مجانه التي تقع شمال شرق مدينة تبسة ، ومدن ميلة و سطيف وطبنة الواقعة على حدود افريقية الشرقية ومدن ولاية الزاب مثل تلجا و تهودة .

بخلاف المدن ، هناك نصان يجب تسجيلهما ، في ضواحي المركز القديم " اجر" على مسافة أربعين كيلومتر شمال غرب القيروان في منطقة صخرية ووعرة نجد بعض " قبائل من العرب ،ومن البربر ضريسة و مرئيسة " وفي السهول الممتدة على الاوراس غرب باغاية " تمشي ثلاث مراحل " ثلاثة أيام " في مساكن العرب ، وهوارة و مكناسة و كبينة وورجلة " ، وبخلاف سلالة المهاجرين ، الذين يقيمون في الخضر من أعضاء الحكومات المتتالية و العلماء المسلمين أو حرس الجند ، نجد في بلاد البربر الشرقي ، عرب بدو يسكنون الخيام ، ويعيشون في تكافل مع المجموعات البربرية ، وقد تشبهوا بهم تقريبا [1]ولم يحدد البكري الى اية قبيلة في الجزيرة العربية ينتمي هؤلاء العرب :

هل كان هذا اهمال من مخبريه ، ام ان المعنيين انفسهم لم يهتموا بالأمر ؟

ومن الملاحظ ان مجموعة العرب في تهوذة ، الذين يتباهون بأنفسهم قرشيون ، والعرب الذين يقيمون في قرى تلجة ، ويدعى البعض منهم بأنه يمني ، والبعض الاخر بانه من الاوراس القيسسين ، فاليعقوبي يكلمنا عنهم ، أما البكري و هو جغرافي القرن (5 هـ/11م) فلم يقل لنا الى اي سلالة ينتمون ، تراودنا اذا الرغبة في الاعتقاد بأن ذلك يرجع الى فقدان نسبي لشخصيتهم و غطرستهم العنصرية ، ودليل ضعف و افتقار و اندماج في السواد الاعظم ، الم يتفق التدهور مع زوال دورهم في الدولة ؟ وبمقارنتهم بكتامة و صنهاجة فالعرب لم يصبحوا أسيادا في البلاد التي غزاها أجدادهم [2] بخلاف الانفصال الديني القائم دائما بين شعب افريقية و السادة المشرقيين ، هناك و ضع اخر حرض بني زيري على اطراح الولاء لهم .. رغم أن رأيه متأثر بالتفاؤل الرسمي المؤرخ المؤرخ لبني زيري ابن الرقيق ، الا ان الجغرافيين المحايدين مثل البكري أكدوا هذا الرأي ، و الأكثر تأكيدا هو حصولنا على اثار فنية ترجع الى هذا العصر ، لدينا الانطباع بأننا أمام

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 203 .

(2) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 203.

امتداد أو عودة أو قمة الحضارة التي ظهرت في القرن (3هـ/9م) مع الاغالبة ، و التي أوقف نهضتها الاستغلال الضرائبي للفاطميين ، وغزوات صاحب الحمار ، ثم استعادت قوتها بفضل عودة السلام و أعطت أحسن ثمارها و أرقها و أخرها ، و يرجع كتاب البكري الى النصف الثاني من القرن الحادي عشر ، و لكنه يصلح للنصف الاول من القرن أي الفترة التي تشغلنا ، فهو يقدم لنا ايضاحات كافية عن موارد افريقية من الزراعة و الصناعة و التجارة [1] و يرى البكري أن افريقية بلد غني ببساتين الفواكه التي سيخربها الغزو الهلالي [2] و في مقابل دولة صنهاجة القيروان و أفريقية ، وهي في أوج تمدنها حوالي منتصف القرن (الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) [3].

كانت التجارة الداخلية و الخارجية لافريقية مرتبطة بانتاج الارض و المصنوعات ، وكانت القيروان أنشط مركز للتبادلات التجارية و كذلك صبرة (المنصورية) مدينة الفاطميين التي أصبحت مدينة بني زيري ، فقد أسسها الخليفة المنصور سنة (336هـ/947م) على ابواب مدينة عقبة فأخذت هذه المدينة أهمية اقتصادية كبرى في عهد ابنه المعز الذي نقل اليها جميع الاسواق و جميع مصانع القيروان ، كان لهذا القرار التعسفي ثلاث أهداف ، اولا : ضمان ازدهار المدينة الرسمية ثانيا : كان ضربة قاضية للقيروان ، المدينة القديمة المشاغبة المحتفظة بمذهب السنة ، والتي لا تزال تحقد على الفاطميين ، ثالثا : الرقابة الفعالة على تداول المواد الغذائية الخاضعة للضرائب ، كان يربط القيروان بصبره سوران مرتفعان لدرجة لا يمكن لاحد دخول القيروان ، الا بالمرور على صبرة ودفع الضرائب ، كما اقيمت مكاتب للجباية على ابواب صبرة ، ويقال ان مكتبا واحدا من هذه المكاتب كان يحصل يوميا على ستة و عشرين الف درهم أي ثلاثة عشر الف فرنك ذهب [4] تؤكد لنا هذه الموارد بأن الحياة كانت رغدة في مدن افريقية على أقل تقدير ، وتجعلنا نفترض بأن الدولة كانت غنية بالضرائب التي كانت تجبيها [5] و لكننا نفترض ان الفاطميين كانوا يحتفظون بجزء من هذه الضرائب ، ويقول لنا ابن خلدون أن الخليفة المعز عند رحيله الى مصر قد اوصى بلكين ان " لا يرفع الجباية عن أهل البادية " ، كان يعني بدون شك ضرائب الرعي التي يدفعها الرحل البربر و الضرائب التي تدفعها القوافل [6] وكانت توجد أيضا الجمارك و المنح و يقول لنا البكري :" وجباية ساحل القيروان : سوسة و المهدية و صفاقس و تونس لبيت المال خاصة ثمانون الف مثقال " [7] لو افترضنا ان ميزانية

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 204.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 204.

[3] سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 288 .

[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 209.

[5] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 210.

[6] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 210.

[7] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 210.

الامراء الزيريين كانت تعتمد على نفس وموارد الخلفاء الفاطميين ، فالمؤكد ان نظامهم الضريبي كان اقل جورا من نظام الفاطميين ، ولكن و كلاؤهم من كتامة هم الذين كانوا يجعلون هذا النظام كريها ، كما استخدم الضرائب كان مختلفا في العهدين ، فلم يكن لبني زيري خزانة حرب ، كما لم يكن لديهم فكرة الهجرة الى المشرق [1]

ان بني زيري ظهروا بمظهر الامراء المترفين ، اكثر من الاغالبة و الفاطميين ، ولا يدهشنا ذلك اذا رجعنا الى أصلهم ، انهم خلفاء الاغالبة كبار القواد العرب للامبراطورية العباسية ، وخلفاء الفاطميين الذين ينتمون الى انبل سلف عربي ، اما بني زيري فهم في الواقع ليسوا الا رؤساء عشيرة بربرية جبلية ، دفعتهم الظرف لحكم المقاطعة القديمة لافريقيا ، فالحرب هي التي ثبتت مصيرهم ومصير رفقائهم ، و ستبقى الحرب شاغلهم الشاغل ، و يديرونها بضراوة ، اما عن طريق سلب القبائل المستقرة في السهول المغربية ، اما ضد زناتة أعدائهم بالوراثة ، كما ان الصراع بينهم و بين بني عمومتهم من بني حماد كان غير انسانيا ، فقد كان ضاريا لا يقل قسوة عن صراعهم مع أعدائهم ، و لكن انتقال صنهاجة الى افريقية هدئ من قسوة هؤلاء الشبه همجيين ، كان بلكين لا يهتم بمعاملة القيروانيين بمدرارة ، اما ابنه المنصور فقد بدأ عهده باستقبال أعيان المدينة القديمة و كان حليما للغاية ، و كان تغيير مقرهم تجسيدا لتطورهم الخلقي ، فأثناء الثلاثين عام الاولى تذبذب نشاطهم بين قطبين من ناحية " أشير " قلعة جبال تيطري مركزا لمقرهم الخاص حيث يحدون ببطولة من خطر قبيلة زناتة ، ومن ناحية أخرى : القيروان و قصور صبره الجميلة حيث يستقرون لمزاولة مهنة الملوك ، و قد تخلص بلكين من هذه المهمة بالاعتماد على الموظفين الذين تركهم الفاطميين ، و على رأسهم حاكم افريقية وهو سليل الامراء الاغالبة ، وكان رجلا مثقفا و يتمتع بثقة بلكين ، ويقوم الى حد ما بدور نائب الملك ، وكان بلكين يقضي حياته كقائدا للحرب ولا يقيم في القيروان الا نادرا ، وتبدأ اول مرحلة للتطور على يد ابنه المنصور ، فقد ولد في اشير و ترعرع فيها ، وجاء الى افريقية سنة (370هـ/980م) بأمر والده ، و عاد الى أشير و هناك تدرب على الحكم ، ثم ترك احد اخواته حاكما على هذا الموقع الحصين ، وتخلص في القيروان من نائب الملك ، واختار رقادة مقرا له ، وهي مدينة الحدائق التي اسسها الاغالبة في سهل القيروان ، وابتداء من سنة (386هـ/996م) ، ومنذ اقامته في رقادة أمر المنصور بصناعة سرج مزود بالياقوت و الاحجار الكريمة الاخرى ، خرج به في أحسن زي ، للحضور الى المصلى ، في يوم عيد الضحية ليتصدر صلاة الجماعة ، و يقبل ولاء أهل القيروان [2] و نستنبط من وصف هذه الايام المشهودة لمملكة بني زيري ، بعض الملامح التي لم يشهد التاريخ مثيلا لها في اية اسرة

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 211.

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 213.

حاكمة في شمال افريقيا [1]هؤلاء البربر الذين اتقلوا الى افريقية ، و استنفروا فيها ، تعودوا على البذخ ، وقد ساعدتهم الوفرة على اشباع هذا الميل ، يكلمنا المقريزي عن كنز بني زيري الذي يكيلون منه هذه الثروات ، وفي رأينا انه يشابه كنز الفاطميين ، وتراودنا الرغبة في التشكك في شهادة المؤرخين لو لم يؤكدها ما وصلنا من مؤلفات أخرى .

نحن مجردون من اي تعصب ، لتقدير أهمية وجمال المقات التي شيدها الصنهاجيون ، ولا يسمح لنا بتخيل طراز المباني ، الا اطلال قلعة بني حماد ، فرغم غلظتهم و خشونتهم ، وفنهم الذي يبدو اقليما ، الا ان بناء القلعة و طابية الفنار ، و قصر البحيرة ، يعطينا فكرة عما كانت عليه مباني بني زيري في صبرة (المنصورية) و يتضح تأثير مصر ، و ما بين النهرين (العراق) في التخطيطات [2].

كانت المباني التي شيدها بني زيري في صبرة (المنصورية) ، تشابه مباني بني حماد ، ولكننا نتخيلها أكثر رشاقة في خطوطها و شكلها ، واغنى في تزيينها ، وعوضا عن المباني الملكية ، نستطيع الحكم عليها بالاجزاء التي جمعتها القيروان و المسجد الجامع ، فالمدينة القديمة التي خلدت استطاعت ترميم ثغور اسوارها بالقرميد التي حصلت عليه من اطلال منافستها (المنصورية) وزينت نفسها بسلخها ، و العصابة الكبيرة المنقوش عليها " عظمة الاسلام " التي كانت تزين بوابة صبرة تحيط اليوم باب من ابواب القيروان ، و تيجان الاعمدة و الاسطوانات الرخامية ، المطوقة بالزخارف المنقوشة على شكل أوراق الشجر ، و ذات البروز الخفيفة ، انتقلت من الفناء الداخلي ، و حجرات القصر ، الى ممرات المسجد ، و المعابد الاخرى في القيروان فزخرفة هذه العناصر المعمارية ، وزخرفة شواهد القبور التي تعود الى النصف الاول من القرن (5هـ/11م) ، و التي لا تزال منتشرة في المقابر التي تحيط بالمدينة ، تنم عن ذوق رقيق ، كثير من هذه الشواهد كتب بالخط الكوفي ، وذات زخارف رقيقة توحي بذكري اباء وحاشية السلطان المعز و خاصة نساء أهل بيته ، ونحن نجد المعز ذاته حاضرا في المسجد الجامه لسيدي عقبة ، لان اسمه هو المنشور على افريز المقصورة المشبكة التي كان يحضر بداخلها صلاة الجماعة ، وهي بدون جدال تحفة من اروع ما وصل اليه الفن الاسلامي [3]يكفي هذا التاكيد تعلق الامير المعز بالمسجد القديم لسيدي عقبة و المكانة البارزة التي تشغلها في الفن الاسلامي [4].

واذا علقنا على الشهادة المشكوك فيها لابن خلدون لا يبدو الادب العربي مهملا في هذا البلد ، و بوضع قائمة مختصرة للادب في بلاد البربر ، يلاحظ المؤرخ الكبير أن جميع الشعراء الهامين الذي اشتهروا في

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 215.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 216 ، انظر : عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص 62-63 .

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 217.

[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 218.

القرن الرابع عشر (وهو العصر الذي عاش فيه هذا المؤرخ) كانوا غرباء عن البلاد ، ولم يستثني الا اثنين من ابناء الوطن : ابن شرف و ابن رشيق ، فالاثنان من اصل بربري ، ويتكلمان العربية ، وينتميان الى عهد الامراء الصنهاجيين ، لقد كان ابن خلدون قاسيا في حكمه بعض الشيء ، ولكن هذا الحكم يوحي لنا بملحوظتين :

أولا : ان افريقية في بداية القرن (4هـ / 11م) تبدو متأخرة ثلثمائة عام لتدخل بفخر تاريخ الادب العربي في المشرق .

ثانيا : أصبحت بلاد البربر مركز فكريا مستقلا ، فالظروف التاريخية كانت ملائمة لانتاج أدبي و ازدهار فني .

لقد عاش هذا الاديبان في بلاط بني زيري ، ولد ابن شرف في القيروان ومات (461هـ/1068م) في مرسيه ، حيث استقر بعد الغزو الهلالي [1].

فقد كتب تاريخ بني زيري و لكنه فقد ، و لم نعثر عليه لكن ابن عذارى استعمار منه الكثير ، و عوضنا عن ذلك احتفظنا له بدراسة نقدية لشعراء مشهورين ، ان هؤلاء البربر المستعربين يشبهون الفارسيين ، انهم كتاب مبتكرون ، وفي نفس الوقت متبحرون في فقه اللغة ، وشاغلهم الشاغل هو جمع النماذج الكلاسيكية التي يسترشدون بها ، اما ابن رشيق فقد ولد في المسيلة سنة (390هـ/1000م) تقريبا ، و لجأ الى صقلية ومات فيها و لقد ألف مختارات شعرية ، و كان من حاشية المعز الزيري ، وكرمه في شعره ، ويعتبر كتابه " خطاب العمدة " بمثابة توجيه للشعراء ، في هذا المؤلف يفصح الشاعر بالبحث عن القافية ، و النقد القاسي الذي يجب على الشاعر أن يفرضه على نفسه [2]وينصح أيضا بتجنب الاخطاء خصوصا الغموض و عدم السمو بالمعاني ، هذه النصائح تتيح لنا الفرصة بمقارنتها بنصائح بوالو (Boileau) فالشعر بالنسبة للشاعرين هو ثمرة ثقافة ارستقراطية ترضي ميول مجتمع ملكي و صفوة حضرية ، تشابه اخر غير متوقع يخص الالهام الديني الذي يعتبره النقاد ان ابن رشيق وبوالو (Boileau) لا يقدم الابداع الكافي للشاعر ، لكن الشاعر المسيحي يرى فيه " عدم تقبل الزخارف المبهجة " بينما يعتقد الشاعر المسلم انه يؤدي حتما الى توسيع المتذلات ، وعلى كل فمعاصرو ابن رشيق لا يشاركونه الرأي في هذا الموضوع ، وكثير منهم يرى في التقوي الهاما للشعر ، فالشقراطسي – الذي استمد اسمه من قرية في الجنوب التونسي – معروف لدينا كصاحب قصيدة في الاشادة بذكرى الرسول ، وابو الفضل المعروف بالنحوي- الذي ينتسب الى منطقة افريقية نفسها – نظم عدة قصائد مماثلة ويبدو لنا على انه العقلية الممثلة التدين و ثقافة

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 219.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 219.

المجتمع الذي عاش فيه أو بالاحرى رائد التطور المقبل ، لقد تتلمذ على يد الغزالي – هذا الصوفي المشرقي و العالم العظيم – واجتهد في نشر مذهب أستاذه في المغرب الاقصى خاصة في سجلماسة و فاس ، ولكن هذه المستحدثات لم تجد رواجا ولا نجاحا لان المغرب لم تكن مؤهلة بعد لتقبل تاثير الغزالي ، ويقول ابو الفضل : " انني بين اناس البعض منهم متدينون ولكن ينقصم التربية والبعض الاخر لديهم التربية و لكنهم يفترون الى الدين" [1] كان عارفا بأصول و من شعره قول :

اشتدّي أزمة تنفرجي   قد اذن ليلك بالبلج
وظلام الليل له سرج حتى   يغشاه أبو السرج[2]

وعاد ابن النحوي الى قلعة بني حماد و عاش فيها زاهدا ومات فيها عام (401هـ/1110م) و ينتمي ابو الفضل المعروف بابن النحوي الى الفكر الجديد الذي سينفتح ، ويرجع ذلك الى صرفيته و ميوله لمبدأ الغزالي ، و سوف يثأر له المستقبل ، فضريحه يقام على القلعة التي خربت عن اخرها ، ويصبح ملاذا للشفاعات الشعبية ، بينما اسم امرأة صنهاجة الذين حكموا البلاد قد انمحوا من ذاكرة الناس [3] أما في الميدان الثقافي شاهد العهد الحمادي نشاطا هاما سواء كان في الشعر مع النهشلي و الخشني و ابي الفضل النحوي و ابن الرشيق وابن حميدس و غيرهم أو في النقد الادبي مع النهشلي صاحب "الممتع " و ابن الرشيق مؤلف " العمدة " و النثر الفني مع عمر بن فلول و الفلسفة و العلوم الدينية مع البوني و عبد الحق البجائي و شعيب أبي مدين وأبي القاسم البسكري و ابن الرمامة و يوسف الورجلاني و في النحو و اللغة مع ابراهيم النهشلي و الخشني و التيهرتي و ابن عبد المعطي [4]

ابن حميدس الصقلي : توفي سنة (527هـ / 1133م) ولد بسرقوسة بصقلية ، هاجر للاندلس ، ونزل باشبيلية ، وعاش في حضرة المعتمد بن عباد ومدحه ، ولما سجن المرابطون ابن عباد ونفوه الى أغمات بالمغرب الاقصى ، لحق به ولازمه في محنته ورثاه لما مات ، ثم اتجه الى افريقية وومدح أمراء بني حماد قال يصف قصر المنصور المسمى قصر النجم [5] :

قصر بقصر و هو غير مقصر   عن وصفه في الحسن و الاحسان
لي نفحة المحبوب حين يشمني   طيبا ولون الصب حين تراني

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 220.
(2) عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 281 .
(3) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 220.
(4) رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 313- 314 .
(5) عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 281 .

والماء منه سبائك فضية ذابت على درجات شاذ روان [1]

هذه نماذج من الشعراء الذين عاشوا في ظل الدولة الحمادية [2] أما علماء الفقه والحديث و التفسير فخير من لخص عنهم الاستاذ رابح بونار فقال :" ظهر نشاط دراسات الفقه و الحديث والتفسير و غيرهما في المغرب الاوسط بالقرنين الرابع و الخامس و أول السادس ، بصورة رائعة ، وقد كان غالب الفقهاء يدرسون الفقه و الحديث و التفسير ولا يقتصرون عليه وحده ، ونجد من بينهم من سبق الى شرح صحيح البخاري وموطأ الامام مالك قبل غيره من الشراح ،كأحمد بن نصر الداودي المتوفي سنة (402هـ/ 1112م) ونجد اخرين نبغوا في الفقه كيوسف الورجلاني المتوفي سنة (500/ 1107م) ، لقد عرفت الدولة الحمادية بتسامحها الديني مثل الدولة الرستمية فقد تعايشت فيها الاديان و المذاهب ، وقد استمر في كتامة من على مذهب الشيعة بما يمارسون مذهبهم بالرغم من رفض المجتمع المغربي لهذا المذهب ، ويبدو أن اهل السنة والجماعة يمارسون مذهبهم ، واستمر الاباضية في ظل الحماديين يمارسون مذهبهم بحرية بالرغم من زوال الدولة الرستمية ، بل وجد من النصارى من يسكنون في قلعة بني حماد و بجاية في العهد الحمادي ، وقد كانت العلاقة بين الناصر و البابا غريغوار السابع طيبة ،كانت فئة تدين باليهودية تقيم في قلعة بني حماد وكانوا يمتهنون التجارة والطب و صباغة الصوف ، وكانوا يساعدون الدولة في الشؤون المالية ، وفي ظل بني حماد عاش الناس بمختلف مذاهبهم في سلام ، مثلما كان الشأن في ظل الدولة الرستمية [3]

وهكذا أسدل الستار على الدولة الصنهاجية بفرعيها : بني زيري في المغرب الادنى وبني حماد في المغرب الاوسط ، والذي دام حكمهما ما يقرب من قرنين ووصل نفوذ هذه الاسرة البربرية حتى الا ندلس حيث حكم أحد فروعها و هو فرع بن حبوس بن ماكسن امارة غرناطة و البيرة ثمانين سنة تقريبا ، من بداية القرن الخامس حتى (483هـ /1190م) عندما سيطر على الاندلس يوسف بن تاشفين المرابطي و عزل اخر أمراء غرناطة الزيريين عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس ، ان دولة هذه الاسرة الصنهاجية البربرية أكدت الاصل العربي للبربر [4] ، فطوال حكمها بالمغرب و الاندلس لم يبدر تصرف واحد من امير من امرائها يشير الى شعوبية او عنصرية بربرية ، بل اعتبروا انفسهم عربا يعودون للحميريين اليمانيين كما صرح بذلك ابو الفتوح المنصور ، وبرّت هذه الاسرة بفروعها الثلاثة الامارات و الممالك العربية الاسلامية في المشرق و المغرب في تطوير الحضارة العربية الاسلامية في سائر حقولها ، وتنافس الشعراء

---

[1] عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 282 .

[2] عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 283 .

[3] عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 285 .

[4] عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 285 ، أيضا : مصطفى عربوش ، من تاريخ منطقة اقليم تادلة و بني ملال ، ط ، مكتبة الطالب ، الدار البيضاء ، (1409هـ/1989م) ، ص 151- 152 .

و الادباء و العلماء و المغنون للوصول الى منصات قصورهم الثقافية ، سواء في غرناطة ، او في المهدية او في قلعة بني حماد أو في بجاية [1] شهدت اسرة بني زيري تفتت دولتها ، بعد أن فقدت النفوذ الذي أولته لها القيروان ، وكل ما كانت تمثله في ماضي الاسلام ..

لقد رأينا بعد تقسيم افريقية و بعد نوائب الدهر المختلفة كيف تكونت مملكة صغيرة عربية في قاب سالا و هي مملكة " بني جامع " ، و اضطر سلاطين المهدية لقبول هذه السيادة و يبدو أنهم اكتفوا ببسط سلطة شكلية على " بني جامع " للحفاظ على المظهر ... ذلك جريا على عادته في المداراة ، فلما ولى على الامر بعد ابيه انف من ذلك و قال لايكون لاحد من أهل افريقية أن يناوبني في اجراء المرطب في البحر بالتجار " لكن الحاكم العربي لم تكن لديه النية للخضوع الى هذا المطلب ، واستعان بروجار الثاني حاكم صقلية الذي كان ينوي بدون شك الاتجار مع قابس ، فأرسل هذا الاخير أسطول ليحمي مدينة قابس ، فبعث السلطان الزيري بسفنه أيضا فاضطر الاسطول الصقلي الى الانسحاب تاركا للمسلمين تسوية خلافهم ، وسرعان ما شب الخلاف بين سلطان المهدية و الملك النورماندي الذي خاطب الامير المسلم بأسلوب غير لائق ، وكانت القطيعة ، واستعد علي بن يحي للحرب و أعد اسطوله ، ولعدم مقدرته على مواجهة القوة النورماندية طلب مساعدة أبناء عمومته من صنهاجة مرابطي المغرب الاقصى و الاندلس ضد عدوه الكافر ، وفي غضون ذلك مات "علي " و خلفه ابنه "الحسن " اخر امراء بني زيري (515هـ/1121م) [2] وصلت أوضاع دولتي بني حماد و بني زيري الى أسوئها نتيجة لضربات بنو هلال ، وسيطرتهم على أغلب البلاد من جهة ، ومن جهة ثانية ظهور الخطر النصراني القادم من صقلية ، الذين استولوا على المهدية سنة (543هـ/1141 م) ثم صفاقس وسوسة ، وأصبحوا يهددون كامل ساحل افريقية [3] .

لقد اندفع بنو حماد في الجزائر [4] عرضا بعد هزيمة بن زيري ، حيث تقوى نفوذهم في المناطق المجاورة لهم ، وانتفعوا بمن هاجر اليهم من أعلام الفقه و الادب وصارت مدينتهم المجاورة لهم وريثة لامجاد القيروان ، وكمرحلة اولى ، اصطنع الحماديون كوسيلة أولى لجلب قبائل بني هلال و بني سليم حيث أظهر الحماديون و لائهم للفاطميين ، ليتجنبوا تحريض الفاطميين للقبائل الهلالية على الحماديين..ذكر المؤرخون أن الجفاء اشتد بين الناصر بن علناس ملك الدولة الحمادية ، وبين تميم بن المعز ملك الدولة الزيرية ، فتجاذب الملكان بطون بني هلال وتحالف كل منهما مع فريق منهم ، وفي هذا الاطار ، وفي سنة (457هـ/1065م

(1) عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 285- 286.
(2) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 255- 256 .
(3) لخضرسيفر ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 294-295 .
(4) عبد الحميد حالدي ، المرجع السابق ، ص 120.

) خرج الناصر بن علناس في عدد كبير من صنهاجة و زناتة و عدي و الاثيج ، وتوجه صوب تونس ، فالتقى الجمعان بسبيبة " جيش الناصر– جيش بنو هلال " فانهزم جيش الناصر[1]

لقد كان خروج الناصر بن علناس الى سبيبة ، خطأ جسيم [2] ويقارن الدكتور عبد الحليم عويس بين الدخول الهلالي لافريقية و بين دخولهم الى المغرب الاوسط – الجزائر – فيقول : " و يمكن القول بصفة عامة بان ضرر الهلاليين لم تكن المقصودة بهذه الحملة ، ولم تطل بها الحرب ، والحق أن سياسة الحماديين نحو القبائل العربية هي سياسة ناجحة الى حد بعيد ، وأثبتت الاحداث أنها أفضل من سياسة أبناء عمومتهم بني زيري ، الذين يتحملون قسطا كبيرا ، من نتائج هذه الحملة التي غالى فيها كثيرا من المؤرخين وعلى رأسهم بن خلدون .." [3]

5– عصر المرابطين(441–541 هـ / 1146– 1049م) :

لما قامت دولة المرابطين مع عبد الله بن ياسين [4] وامتدّت أطرافها مع يوسف بن تاشفين [5] الذي ضمّ اطراف المغرب ، وانقذ الاندلس من يد ألفونس السادس وقد كاد يستولي عليها ، وقرّب ما بين اهل الاندلس و المغرب في ظلّ دولة واحدة ، كان لاحتكاك المغرب و الاندلس أثر فعّال في نهضة شعوب المغرب ، فهامت بحبّ المعارف و الفنون ، واصبحت مرّاكش التي بناها يوسف بن تاشفين (454هـ/ 1056م) حاضرة المغرب اذ ذاك ، و اصبح بلاطها منتدى الشّعراء و الادباء و الحكماء ، ودبّت الحميّة في الصّدور لارتشاف مناهل العلم والثقافة ، وكانت الحركة مباركة وان لم تتّسع افاقها ، ومثمرة وان لم يطل عمر الدولة القائمة عليها [6].

ما أن تظهر قبيلة قوية من الرعاة البدو او اكثر من قبيلة في الصحراء ، وتشعر بالمقدرة على غزو اراض أغنى حيث الحياة اسهل ، حتى تستولي على هذه الارض و تستبد بالمستقرين فيها ، ثم تقلع عن الصناعة الرعوية و التنقل الموسمي ، و تستقر في المدن المفتوحة ، ان هذا التطور طبيعي ، و يرى ابن خلدون في ذلك التدرج الطبيعي احد المقومات لتاسيس الامبراطوريات ، هكذا كان تاريخ المرابطين ، غير ان حلقة

---

[1] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 120-121.

[2] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 120-121.

[3] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 121.

[4] عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج 1، ص 58 ، علي محمد الصلابي ، دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الافريقي، (د ط)،دار المعرفة ، بيروت ،(1430هـ/2009م)، ص 15، أيضا : محمد القبلي ، حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط (د ط)، المغرب ، 1998م، ص41.

[5] كان رجلا فاضلا خيرا زكيا فطينا حاذقا لبيبا عطاردا يأكل من عمل يده عزيز النفس ينيب الى خير و صلاح كثير الخوف من الله عزوجل أنظر : محمد لسان الدين بن الخطيب ، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، ط1 ، مطبعة التقدم الاسلامية ، تونس ، (د س ط) ، ص 59، أيضا : عبد الله كنون ، يوسف بن تاشفين ، مجلة الثقافة المغربية ، ج8 ، المديرية العامة للثقافة ، الرباط – المغرب ، ص9- 10.

[6] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 994.

هذا الصراع للحياة تصطبغ عادة بهدف سامي ، لذلك كانت حركة المرابطين تبدو من الاساس حدث ديني ، ان الرجال الملثمون هم رجال الرباط ، رجال هذا الديرالمحصن الذي انقطعوا فيه لدراسة امور الدين و ممارسة التقوى ، انهم رابطة تخضع لارشاد استاذ ، لقد تقدموا لنصرة المبدأ الديني وكانوا معروفين بصلابة العقيدة [1]

ليس في هذا المبدأ اي ابتكار ، فهو الميراث القديم لفقهاء القيروان ، ففي سنة (428هـ/1035م) وعند العودة من الحج ، توقف زعماء من قبيلة لمتونة في القيروان ، وسنحت لهم الفرصة لحضور دروسا في الفقه لابي عمران الفقيه الفاسي المقيم في المدينة الافريقية المقدسة ، لتعليم و تدريس المذهب المالكي ، لقد اعجبوا هؤلاء الزعماء بعلم ذلك الفقيه المالكي ، وذكروا له ما في قومهم من جهل بالكتاب و السنة ، وطلبوا منه تعيين واحدا من تلاميذه ، للحضور الى الصحراء ليعلمهم العقيدة و الشريعة ، لقد تاثر الفقيه من صدق عزيمتهم ، واراد تلبية رغبتهم ، لكن تلامذته استصعبوا دخول ارض الصحراء و تعليم المتوحشين ، فلما لم ينجح الفقيه ابو عمران في اقناع احد تلاميذه بالقيروان ، زودهم برسالة موجهة الى تلميذه المغربي " وجاج بن زولو" سجلماسة الذي جمع تلاميذه بعد استلام الرسالة و عرض عليهم ، فوافق واحد منهم و هو " عبد الله بن ياسين " وكان عالما من اهل الورع و الفضل ، لقد استقبله الرؤساء الصحراويين بكل السرور و الترحيب و بدا عبد الله في تعليمهم شرائع الاسلام و يفقههم في دين الله ، هذا الحماس بعد قليل لان ابن ياسين كان مصلحا متشددا ن فقد حرم على البدو الزواج بأكثر من اربع ، ولكنهم لم يتحملوا هذا النهي ، فروض أخرى مثل الضريبة الشرعية ، فامام ما وجد من صعاب ، فكر ابن ياسين في السفر الى السودان ، للبحث عن تلاميذ اكثر طاعة ، لكن زعيم قبيلة لمتونة ، الذي كان سببا في وجوده بينهم ، لم يتركه فارتبط به و انشق عن رفاقه المتصلبين[2]في الدناسة ، فاتجه الاثنان الى جزيرة في مصب نهر السنغال و تبعهم عدد صغير من وجوه القبائل حيث اعتزلوا و انقطعوا للعبادة ، ودراسة امور الدين و ممارسة التقوى ، كان لهذا التصرف تأثيرا قويا من المواعظ و اللعنات .. ولم يمر عليهم وقت طويل حتى اجتمع له ألأف رجل من الاشراف .

لم يكن ابن ياسين [3] من علماء الكلام ، مثل فقهاء القيروان ، بل كان فقيها مالكيا لا يدرس الا القران و الشريعة و العبادات.

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 271.

(2) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 272.

(3) لا غرو فتلاميذ مدرسة ابن ياسين أقلّ ما يتوفر فيهم المعرفة باللغة العربية ، على ان النبغاء في العلم و الفقه من اللمتونيين قد ظهروا قبل دخول ابن ياسين الى الصحراء ، انظر : عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 82.

اذن فلا ضرورة للعودة الى الوراء ، فدراسة القران وحديث الرسول غير مجدية و خطيرة سوف تثير فضول مشكوك في امره لذلك هجر المرابطون دراسة " الاصول " في الدين و الشريعة ، و خصوصا دراسة الحديث ، واهتموا بدراسة "الفروع " وتشمل الفقه (القانون المدني) و العبادات .

و على كل فنحن لا نهتم بالمذهب الذي لقنه ابن ياسين لتلاميذه ، بل بالمنهج الذي اخضعهم اليه ، لقد مرّس هؤلاء المستقلين ، على الطاعة اللازمة ، وعاقب أخطاؤهم بشدة ، ولقد وضع جدولا صارما للعقوبات [1] وفترة المرابطين هي عهد الفقهاء ، ويذكرنا دورهم ، بدور رجال الدين القيروانيين ايام الاغالبة ، والاباضية في مملكة تاهرت ، و لكنهم يختلفون عنهم قليلا ، انهم مشتركون اشتراكا مباشرا في سير امور الدولة [2] فالفقهاء ليست لهم السلطة ، الا اذا طلب منهم ذلك ، انهم فقهاء بالمعنى الحقيقي للكلمة ، ان الفقهاء يبدون رأيهم " بالفتاوى " علاوة على الارشادات ، التي يطلبها منهم الامير وعملاؤه في كل مناسبة ، و فيما يخص مزاولة الحياة اليومية ، و الفتوى بوجه عام[3]

ان الفقهاء الاندلسيين هم انفع المساعدين لسياسة المرابطين ، فالبطل الافريقي هو المنتقم للاسلام ، وفي نفس الوقت محافظ على الطائفة الدينية [4] على من يتهم المرابطين بعدم الذوق الادبي و كثافة الاحساس الفني ، لذلك كسف الادب في عهدهم واضمحلّ اضمحلالا مؤسفا ، بل لا نعدم من يجرّدهم حتى من معرفة اللسان العربي [5]

لقد تحررت بلاد البربر من الوصاية المشرقية ، بقطيعة المعز الزيري مع خليفة القاهرة الفاطمي ، اما الغزو الهلالي فقد جعل هذا التحرر تاما ، ان ابن خلدون يعطينا معلومة مدهشة : فهو يقول ان " يحي" حفيد المعز اعترف من جديد بسيادة الفاطميين ، و كان ذلك بعد ستين عاما من الانفصال ، ووصلته من القاهرة هدايا ثمينة ، و لكن هذا الا تغييرا شكليا لم يعالج الكارثة ، و لم يغير شئ مما حدث ، فالانفصال اي اصلاح ، فسوف يجري تاريخ بلاد البربر من الان فصاعدا ، خارج اي تدخل فعلي للقوى المشرقية ، و بعيدا عن تأثيرها المشرقي ، و على كل فلم يعد مصير البلاد بأجمعها ، خاضعا لنفس المنطقة البربرية (افريقية) ففي منتصف القرن (5هـ/11م) دقت ساعة المغرب و سيحصل شمال افريقيا على حكامه المتعاقبين من المغرب ، و لايضاح المنهج المتبع في الجزء الباقي لدراستنا ، فمن الضروري ذكر هؤلاء الحكام

(1) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 273.

(2) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 276 ، أيضا : عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 78.

(3) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص276.

(4) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص277.

(5) عبد الله كنّون ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 80.

، و تقديم هؤلاء الابطال ، و بيان الخطوط العريضة لتاريخهم ، و عرض تطور و تغيرات المواضيع ، التي سنعرفها خلال هذه الدراسة [1]

والمرابطون طائفة دينية يعيشون داخل الرباط ، ولكنهم في الوقت نفسه زمرة من المحاربين ، لقد اختار ابن ياسين القائد الحربي يحي بن عمر الذي بقى هو و رجاله خاضعين للزعيم الروحي " حارس القانوني " و يقولون له " أيها الشيخ المارك : مرنا بما شئت تجدنا سامعين مطيعين ، ولو أمرتنا بقتل ابائنا لفعلنا "

ان المرابطين هم أول من يحتلون الساحة ، و لمدة مائة عام تقريبا ، من منتصف القرن (5هـ/11م) الى منتصف القرن (6هـ/12م) فهؤلاء البربر البدو من قبيلة صنهاجة ، جاءوا عن طريق الجنوب الغربي ، و استقروا في المغرب ، واسسوا فيها امبراطورية ، خلال غزو الهرب الهلاليين لافريقية عن طريق الشرق .

لقد لقبوا بألقاب عديدة ، و لكن هناك لقب يتعلق بملبسهم ، و هو "الملثمون " ، كانوا مثل أحفادهم الحاليين المعروفين بالطوارق الذين يضعون اللثام و هو قطعة من القماش يغطي بها الرجال و جوههم من اسفل الى اعلى ، اما بالنسبة للقب " المرابطون " فهو يشير الى الرباط الذي اتخذوه بالقسم الشمالي للسنغال ، حيث تلقوا تدريبا عسكريا و دينيا ، غيّر هؤلاء الرجال الذين يعيشون على تربية الجال ونتاجها ، الى محاربين في سبيل العقيدة ، فبعد ان مارسوا عقيدتهم في نشر الدين الاسلامي على الزنوج الوثنيين جنوبا ، عبروا الساحل الاطلسي شمالا واندفعوا نحو المغرب ، ثم المغرب الاوسط [2]وبعد ذلك يصلون الى اسبانيا نحيث يطلب نجدتهم كل من ملك اشبيلية و الامراء المسلمين الاخرين ورؤساء الطوائف المهددين بحركة الاسترداد المسيحية ، وبانتصارالزلاقة المدوي سنة (479هـ/1086م) نجح سلاطين الاندلس في التخلص من لخطر المسيحي ، ولكن ليس هناك ما ينقذ هؤلاء السلاطين انفسهم من خطر المرابطين ، عندما انتصر هؤلاء الصحراويون اصبحوا ابطال الاسلام المعرض للانحسار و المدافعين عن تعاليمه المقدسة ، فاوقفوا فضائح البلاط الاندلسي بضم هذه الممالك ، واصبحوا بذلك حكاما على مجال مزدوج : المجال الافريقي و المجال الاوربي ، و مع ذلك لم يلبثوا ان وقعوا بدورهم صرعى اغراءات بلاد الاندلس الجميلة ففي خلال جيلين ، فقدوا صفتهم الشبه بربرية التي كانت سببا في نجاحهم ، و هزموا بأفارقة اخرين تتوفر لديهم قوة جديدة [3]

و في العام التالي ارسل "علي بن يوسف " المرابطي اسطولا إلى كلابريا ، و انزل قوة من المرابطين استولت على مدينة نقوطرة (Nicotera) و قامت بالسلب و ذبح السكان و أسرهم ، و لم يشك روجار الثاني بأن الضربة جاءته من المهدية ، فقام باعداد حملة واسعة ضد المدينة المنافسة ، و

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 264 .

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 265.

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 265 - 266.

أخذت هذه الحملة مظهر الحملة الصليبية ، و في سنة (517هـ/1122م) أبحرت ثلثمائة سفينة من ميناء مرسلا (Marsala) صقلية تحت قيادة جورج الانطاكي و عند خروجها من الميناء هاجمتها عاصفة أودت بالقرب من المهدية ، و اقتحموا حصنا و لكنهم حوصروا فيه بينما الاسطول كان في عرض البحر ، و لم يستطع التدخل ، فانسحب اخيرا تاركا المسيحيين داخل الحصن ، و قد أبيدوا جميعا ، هذا الفشل الذي جعل الملك روجار الثاني يدرك أن مهاجمة المهدية مهمة خطيرة ، وينبغي عليه ادارتها بحذر ونظام ، وبدأ سرا في اعداد حملة جديدة و على كل فقد كان واضحا أن حكم بني زيري كان قد ال الى الانهيار ، فالعرب يسيطرون على السهول ، والمجاعة دائمة في البلاد ، وبنو حماد دائمو التهديد ، وفي سنة (530هـ/1135م) أبحر من بجاية اسطول يحي بن عبد العزيز (بني حماد) الى المهدية و في نفس الوقت كان جيشه يزحف نحو المدينة ، وامام هجوم ذي القربى لم يفكر السلطان في طلب المساعدة [1] الا من اعداء الامس و الغد وهم العرب البدو الذين لبوا النداء ، و النورمان اذ عقد تحالفا جديدا مع الملك روجار الثاني الذي بعث بعشرين سفينة فانسحب الاسطول و الجيش التابعان لبجاية أمام هذا الامداد المزدوج ، فزال الخطر من ناحية و عاد الوفاق بين الحسن و الملك المسيحي من ناحية اخرى ، كان الحسن مستعدا للتسامح طالما افريقية البائسة أصبحت تنتظر من صقلية تزويدها بالقمح ، اما الملك المسيحي فسوف يستغل هذه الهدنة لاعداد خطة الاستيلاء على المهدية الذي لا مفر منه .

قام الملك بمهاجمة المناطق المجاورة للحدود الزيرية و المناطق الشاذة التي تبعد عن سلطة بني زيري بحجة معاقبة القراصنة و لم يقصد قلب المملكة هذه المرة ، ابتداء من عام (530هـ/1130م) استولى الاسطول الصقلي على "جربة " و كان محملا بقوات غفيرة " من مشهوري فرسان الفرنج جماعة " وقضى على السكان و ابتزهم ، ومن عام (537هـ/1143م) توالت الحملات بانتظام و بدأ ذلك بهجوم غير حاسم على طرابلس ، وفي نفس العام سقطت صفاقس و جيجل التي سلبت و حرقت ، وانتقلت الحركة نحو المغرب ، ففي سنة (539هـ/1144م) سلبت مدينة برشك و استولوا على سكانها [2] و في سنة (542هـ/1147م) تدخل الملك في قابس ، فقد اعتصب مولى لبني جامع الحكم ، فاستعان أنصار الاسرة المبعدة بالسلطان الزيري مما جعل المغتصب يطلب الحماية من ملك صقلية

و في نفس الوقت كان سكان افريقية يتناقصون : لقد هاجر الكثير منهم الى صقلية على امل وجود حياة افضل في ارض مسيحية ، وفي نهاية سنة (543هـ/1148م) وصل الاسطول الصقلي امام المهدية بقيادة جورج الانطاكي ، فراى السلطان الحسن و السكان ان المقاومة مستحيلة و ترتب على ذلك الجلاء عن

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 256.

(2) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 257.

المدينة [1] وبينما كان اخر بني زيري لاجئا عند سيد قرطاج المستقبل ، ثم عند ذي القربى السلطان الحمادي في بجاية ، تمكن الصقليون من فتح افريقية البحرية ، فبعد المهدية جاء الدور على سوسة و قابس و صفاقس ، وما عدا تونس و فليبية في شبه جزيرة رأس بونة ، كانت جميع مدن الساحل تدفع اتاوة للملك روجار الثاني ، الذي أضاف لقب ملك افريقية الى لقبه القديم ملك صقلية و ايطاليا ، لكن فتحه الجديد كان بلدا شعبه فقير فتفنن في تسكين الامه ، و سيكتب عنه في المستقبل المؤرخ التونسي "ابن أبي دينار " : أنه "دفع للتجارة رؤوس اموال ، و أحسن لفقهائهم ، وجعل قاضيا مرضيا يحكم الناس .. و جبى خراج رعاياها برفق منه و احسان " ، ونحن لا نشك في هذه الشهادة و لا تدهشنا لاننا نعرف التسامح ورحابة الفكر الجديرة بالمستعمرين المتساهلين و التي تتمثل في روجار الثاني و تميزه في مملكته صقلية [2] هذه الحرب المقدسة المعاكسة (العكسية) التي قام بها المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين الذي انتصر في الزلاقة (479هـ / 1086م) وكما في المشرق فسوف تستمر الحرب التي شنت في نهاية القرن (5هـ/11م) لمدة 200عام [3] وكان ابن تاشفين وفيا لتعاليم ابن ياسين – القائد الروحي للصحراويين – [4] ان تدخل المرابطين في اسبانيا في نهاية القرن 5هـ/ 11م) هو الذي وضع المغرب الاسلامي في مهب هذه الاقدار التاريخية الجديدة [5] لقد حكم المرابطون غرب افريقية (موريتانيا و الصحراء) و المغرب [6] و اسبانيا ، بعيدا عن اية رقابة مشرقية ، في مقابل هذا الاحترام للخليفة البعيد ، و تمت مملكتهم باستقلال تام ، انها مملكة بربرية ، وهم انفسهم يحتفظون في ظاهرهم بالطابع البربري الصحراوي الذي كانوت عليه في الماضي [7]سوف يحكم المرابطون الذين نزحوا من الصحراء هذا العالم الاندلسي ، حيث الفن و الحفلات الدنيوية التي تشغل عن هموم الساعة ، لم تكن هذه الاباطيل الدنيوية في بادئ الامر خلابة بالنسبة لهم ، بل كانت تثيرهم ، وقد أصرّ المؤرخون على التناقض القائم بين امراء الاندلس و الذين جاءوا لنجدتهم ، فبالنسبة لشعراء بلاط أشبيلية يعتبر يوسف بن تاشفين ، نموذج للرجل الهمجي [8] ان حملات المرابطين على اسبانيا اسبانيا ، وغزواتهم في البلاد المسيحية ، كانت تحتفظ بطابع الجهاد المقدس الذي يقوم المرابطون و اتباعهم

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 258.
[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 259.
[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 11.
[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص285.
[5] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص10- 11 .
[7] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص279.
[8] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص281.

المسلمين به اما عمل الخيالة المسيحية المرتزقة فقد كان في بلاد البربر ، وكانوا يشغلون القلاع التي تحمي البلاد المفتوحة [1].

6- **عصر الموحدين (541- 667 ه /1147- 1229 م)** : استغرق الموحدون ربع قرن في الصراع مع المرابطين منذ ظهور الدعوة الموحدية الى فتح مراكش ، وبعد هذا الفتح ثارت معظم القبائل المغربية و بعض المدن على حكمهم [2] بعدما فتح الموحدون مراكش لم يكن ذلك فتحا نهائيا للمغرب ، و انما كان عليهم أن يواجهوا الثورات خاصة ثورة قبائل الجنوب تحت قيادة الماسي ، وبعد مقتله قام عبد المؤمن بحملة عبر المنطقة لتقدم أو — تجدد — له القبائل الطاعة [3] كانت الحياة الادبية و العية الدعامة الثانية التي أمدت الحركة الفكرية بالكثير من المعارف و العلوم ، وقد لعبت اللغة العربية دورها في سبيل نشر المعارف [4].

هناك غموض يحيط بميلاد ابن تومرت [5] والفترة التي سبقت تبشيره ، وقد زيف نسبه ليصبح من الاشراف ، و لا نستطيع أن نقرر شيئا حاسما ، فيما يتعلق بالنسب الشريف الذي ادعاه لنفسه ، اما تحديد قبياته " هرغة " فمشكوك فيه : هل نحددها في قلب الاطلسي الكبير المغربي مع قبائل المصامدة الذين تبنوا عقيدته ، او من الارجح تحديدها في الجنوب على الجانب الشمالي لجبال الاطلس الصغير ؟ نحن نجهل ايضا تاريخ ميلاده [6]، هل كان عام (469هـ/1076م) ، او (473هـ/1080م) ، أو 482هـ/1089م ؟ و نجهل أيضا عمره عندما اتجه الى المشرق ، ونجعل مراحل سفره ذهابا و ايابا ، وقد بين جولد سيهر (Goldziher) اسباب عدم التأكد من كل ذلك ، ولكنه أشار ان الطالب المغربي الشاب لم يستطع مقابلة الغزالي العالم الديني المشرقي الكبير ، لا نستطيع الوقوف على أرض صلبة ، الا عند وصول ابن تومرت الى تونس ، وذلك بفضل نص البيذق ، وكان البيذق هذا أحد رفاقه في رحلته ، ولكنه كان كاتب مذكرات متواضع ، عاد ابن تومرت من تونس الى تنيملل ، مارا بقسنطينة و بجاية و

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص284.

[2] أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ، ج1، ط ، (1416هـ/1995م) ، ص 75.

[3] أحمد عزاوي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 6.

[4] حسن علي حسن ، الحضارة الاسلامية في المغرب و الاندلس عصر المرابطين و الموحّدين ، ط ،كلية دار العلوم ، القاهرة ، 1980م ، ص 487 – 488، أيضا : محمد زكريا عناني ، ابن مجبر الاندلسي ، ط، دار الثقافة ، بيروت– لبنان ، 2000م ، ص 25.

[5] تعلم ابن تومرت علوم عصره ودرس على أيدي نخبة من العلماء الاجلاء في المغرب و المشرق ، ودرس بالمغرب علوم القران و الحديث و الفقه و الاصول و علوم اللسان و الادب وهي العلوم التي كانت سائدة انذاك ، انظر : فتحي زغروت ، الجيوش الاسلامية و حركة التغيير في دولتيّ المرابطين و الموحدين (المغرب و الاندلس) ، ط ، دار التوزيع و النشر الاسلامية ، مصر، (1426هـ/2005م) ، ص 33- 34 ، أنظر: أحمد عزاوي ، المرجع نفسه ، ج1، ص 43 ، ايضا : روجرلي تورنو ، حركة الموحّدين في المغرب ، ط2 ، الدار البيضاء ، (1419هـ/1998م) ، ص 51.

[6] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 995.

تلمسان و فاس و مكناس و مراكش و اغمات ، وكان يلقب نفسه "الفقيه السوسي " وكان يجوب القرى و المدن حيث تزايد أتباعه ، و كان ينام في مسجد المدينة التي يمر بها ، ويأتي الناس اليه لسماع دعوته ، وكان يقيم مددا متفاوتة في المدن التيمر بها ، ليعلم الناس امور الدين ، كان قوي الحجة ن فأخذ في اصلاح العادات و اخلاق الناس ، و ينتقد ما يشاهده في مختلف المجالات [1] ولقد استوحى من هذه الافكار عندما كان في مراكش ، وجادل جماعة من الفقهاء ، في حضرة الامير علي بن يوسف ، أفحمهم جميعا ، و كشف عن جهلهم في الشريعة و العقيدة ، وكان من بينهم الاندلسي مالك بن وهيب أحد كبار علماء عصره و هو الذي ادرك خطورة اقوال ابن تومرت و لذلك سيصبح من ألد أعدائه ، واستنادا الى الغزالي كان ابن تومرت يعتبر الفقه و الفتاوى من العلوم الدنيوية فليس فليس هذا هو الدين و ليس علما من علوم الدين [2] وتبعا لسنة التطور و الارتقاء ، وتحت تأثير الحضارة العربية الأندلسية بدأت وريثة الدولة المرابطية و هي دولة الموحدين ، وهي أكثر رقيا و تحضرا ، فعلى المستوى اللغوي كان ابن تومرت منظر الدعوة و مرشد الدولة يجيد العربية و البربرية ، ويكتب تأليفه في العقيدة و المرشدة بها جميعا [3].

ان ابن تومرت يعلن بضرورة تفسير القران تفسيرا مجازيا ، استنادا الى الغزالى ، الذي استند الى الاشعري ، المنحدر من المعتزلة ، اذا اخذ ما ورد في القران بان الله يرى ويسمع ...فهذه الصفات مجرد صور ومجزات ، اما اذا اخذت بالمعنى الظاهر ، وقيل ان الله عيونا يبصر بها ، واذانا يسمع بها ، فقد اتصف الله بصفات من ذاته ، و اصبح على شكل انسان ، وبذلك اخذ المتكلمون المرابطون ،و بالتالي هدموا التجريد ، ووحدة الله المطلقة أو " توحيد " ، و انتهوا الى الشرك و التشبيه ، اذن تصور ابن تومرت لوحدة الله هي النقطة الاساسية في مذهبه ، الذي سماه " التوحيد " و سمى أتباعه " الموحدون " [4] رغم ان ابن تومرت كان زاهدا ، الا انه لا يميل الى الصوفية [5]وعندما وثق في ولائهم بدأ يكلمهم عن " المهدي " النتظر سليل محمد الذي " يرفع الباطل و يثبت الحق و يملأ الدنيا عدلا ، كما ملئت قبله ظلما و جورا " و اشعل فيهم الرغبة لرؤيته ، ثم أعلن لهم بعد ذلك انه المهدي ، وعرض عليهم الاحاديث التي تنبئ بظهوره و النسب الذي يربطه بالرسول ، ويقول المراكشي :" فبايعوه على ذلك ، وقال أبا يعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، هذه النقطة بالذات تؤكد الفكرة المتسلطة عليه ، فقد حاول ابن تومرت الاقتداء بالنبي ، في كثير من المواقف ، وبذل كل و سعه في سبيل ذلك [6] بهذا

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 291.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 292.

[3] سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 288 .

[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 292- 293.

[5] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 293.

[6] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 294.

الاقتداء ، استطاع ابن تومرت تأسيس امبراطورية جديدة ، غرسها قوية في ارض المغرب ، لانه اراد خلق مجتمع فاضل مماثل للاسلام الاول [1] فابن تومرت مغربي جبلي ، وسوف يستخدم لقوة و الحيلة لنجاح المبادئ التي جلبها معه [2] وفي العهد الموحدي ، استقطب المغرب علماء من الاندلس ، فازدادت العلاقات الثقافية بينه وبين الاقطار الاسلامية الاخرى ، مما ساعد على الانتشار الواسع للعلم بالمغرب الاوسط [3] ورغم اختلاف اراء المؤرخين حول التنظيم الموحدي ، الا انه يمكن تصوره كالاتي : كان في قمة التسلسل " الجماعة " أو " جماعة العشرة " انهم أتباعه الذين رافقوه في سيرته و الاشخاص المخلصون الموثوق بهم مثل الخليفة المستقبلي " عبد المؤمن " " و ابو حفص عمر " الذي سيكون أخلص المساعدين "للمهدي " و "البشير " الذي سيتكفل بالتخلص الدامي من المعارضين و المشكوك في اخلاصهم و الذي مات و هو يحارب المرابطين ، و هناك مجلس اخر للحكم و هو " مجلس الخمسين " الذي يضم ممثلين عن قبائل مصامدة الاطلس و يكونون ركيزة الدولة الناشئة و القبائل الممثلة هي : قبيلة هرغة التي ينتمي اليها ابن تومرت ، وقبيلة تينملل التي استقر فيها ، وقبيلة هنتاتة و جدميوه و جنفيسة [4] كان البابا جريجوار السابع السابع صديقا لسلطان بني حماد ، و كانت مدينة بجاية عاصمة لها لهم ، فاعتبرها ابن تومرت مدينة للظلال [5] مات المهدي و استمرت وفاته سرا لمدة ثلاث سنوات[6] لجأ عبد المؤمن الى العرب ، للحصول على تعيين خليفة لضمان المستقبل ، كان هؤلاء العرب ، ممثلين للعائلات الهلالية الكبيرة ، التي هزمها الخليفة الموحدي أثناء معاركه الحربية في افريقية ، واحضرها الى المغرب.. اقترح عبد المؤمن على العرب فكرة طلب تعيين ابنه محمد وريثا للخلافة ، فصمم العرب على ذلك ، ولكنه صاح و تمسك بالاجعاءات الشرعية للشيخ "ابي حفص " في الخلافة ، اما بو حفص فقد وجد أنه من الحذر عدم طلب هذا الحق ، وكان نتيجة هذه الحيلة ، ان استسلم عبد المؤمن الى هذا الاجبار ، وبذلك تأسست أسرة عبد المؤمن حاكما على امبراطورية افريقية – اندلسية ، فقد جزءها الى مقاطعات ، وخصص ادارتها لابنائه " ممثلين لعبد المؤمن " ، لقد حصل عبد المؤمن على هذه النتيجة بفضل مهارته و عزمه كزعيم بربري كبير ، زعيم يعرف كيف يوارى نواياه ، بدلا من فرض رغباته بالقوة ، ولكنه لا يتراجع أمام أبشع الاساليب ، اذا اقتضى الامر ذلك ، مثل الذبح الجماعي للقبائل المغربية الانفصالية و يعطينا البيذق و بهدوء مخيف

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 295.
[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 293.
[3] لخضرسيفر ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 340 .
[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 296.
[5] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 310.
[6] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 298.

احصاءا رسميا عنها [1] اذا كان مستقبل الاسرة الحاكمة قد اصبح مضمونا ، الا انه كان خاضعا للظروف التي يفرضها النظام الموحدي ، لقد عين عبد المؤمن ابنه " يوسف " وليا للعهد [2] من اعظم البشائر و تسمى بامير المؤمنيين سنة (563هـ/1167م) [3]سوف يلجا خلفاء عبد المؤمن الى اراء الشيوخ ، او يتحملون و صايتهم بشئ من الخضوع ، او الصبر حسب طباع كل منهم ، و حسب مبادئ حكومتهم و السلطة المتوفرة لهم ، ففي عهد ابي يعقوب يوسف (580-558هـ/ 1163-1184م) و عهد يعقوب المنصور (580- 594هـ / 1184- 1198م) الملتزمين كان الشيوخ من انفع المساعدين للسلطة ، وفي عهد الناصر (594-611هـ/ 1198-1213م) بدأت تظهر المحن ، فثورة بني غانية التي عاونها العرب ، كانت تسود المغرب الشرقي ، و لجأ الخليفة الى شيوخ الموحدين في هذه الظروف الخطيرة ، وارتاى الجميع عقد سلام معهم [4] ان القتال هو العنصر الاساسي لتاريخ الموحدين و يتركز هذا هذا القتال ضد الكفار ، ليس فقط بالمصادمات البطولية بل بالتدابير الشرعية ، نتيجة لنفس الحماس الديني [5] وانتصر حفيد يعقوب المنصور في موقعة الارك سنة (591هـ/1195م) ، لكن الناصر بن يعقوب انهزم في معركة حصن العقاب سنة (609هـ/1212م) فكانت بداية الاضمحلال وضعف دولة الموحدين .

ان مملكة بهذا الاتساع في بلد مثل شمال افريقية و في العصور الوسطى ، كانت معرضة ان تكون هشة و ضعيفة وكانت المقاطعات الغير مستقرة ، معرضة ايضا لان تكون فريسة سهلة للاعداء ، ومنذ عهد يعقوب المنصور أصبحت افريقية مسرحا لقلاقل غاية في الخطورة ، اذ حاول اثنان من الاخوة المغامرين (بنو غانية) من عشيرة المرابطين القدامى ، النهوض بمصير العائلة المخلوعة ، وقد ساعدهم عرب بني هلال الذين وجدوا هذه الفرصة للسلب المثمر ، وكان بنوا غانية على وشك النجاح غير انهم ساعدوا في خراب هذا البلد ووصل الدمار حتى قلب المغرب الأوسط .

ان الموضوع الاول الذي سنتتبعه في تطوره خلال اربعة قرون ، هو التحرر من هذه الوصاية ، نتيجة للغزو الهلالي ، وقد وصفنا هنا بيانه ، اذ بينما كان المرابطون و الموحدون [6].

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 300.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 300.

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 300.

[4] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 301.

[5] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 307.

[6] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 268.

سوف يؤثر تطور مماثل على المغربين (الأوسط و الاقصى) ، انه تطور متواز و الى حد ما تابع له واذا كانت العوامل هنا مختلفة الى حد ما عن العوامل التي حثت في بلاد البربر الشرقية الا انها مرتبطة بنفس الحدث الاصلي : الا وهو الغزو الهلالي ، هذا الغزو خرّب المقاطعة القديمة الرومانية لافريقية ولكنه في الوقت نفسه دفع البلد البربري القديم [1] وعلى كل فقد تاثرت حياة المغرب بهذه العدوى ، والمقصود هنا حياة الحضر فبعد ان انهارت الخلافة ، وفقدت الممالك الصغيرة الاستقلال الزائل ن قامت الاندلس بضم المغرب الغربي و جعلت منه مقاطعة لثقافتها الادبية و الفنية ، والقليل الذي تبقى من معمار نهاية القرن الحادي عشر و بداية القرن الثاني عشر يؤكد تأثير فن قرطبة و مدينة الزهراء او العواصم الاسبانية الاخرى مثل طليطلة و اشبيلية و سرقسطة على فن المرابطين ، و المسجد الجامع في تلمسان الذي يعود الى (531هـ/1136م) هو احسن ما تبقى من اثار الاسرة الافريقية الحاكمة فتصميمهم ساحة الصلاة ، و خطوط الاقواس ، وبناء القبة وتكوين المحراب وكل ذلك اتبع اسلوب المسجد الجامع في قرطبة ، ولقد استمر هذا المسجد رغم سقوط مؤسسيه ، الاثر الرئيسي للاسلام المغرب ، انه كالكوكب الميت ، فبؤرته استمرت في القاء ضوئها بعيدا رغم انها أطفئت من اكثر من قرن [2] بعد الفتح العربي اختلك العرب و البربر المسلمون بسكان البلاد الأصليين من القوط و الاسبان و اليهود ، وامتزجوا فيما بينهم ، ونشأت طبقة جديدة — المولدين — من تزاوج العرب و البربر بالاسبان ، أما اهل اسبانيا الذين تعلموا اللغة العربية ، فسموا بالمستعربين ..وحدث امتزاج بين طبقات أهل الاندلس ، و ذيوع الثقافة الاسلامية بين هذه الطبقات الامر الذي كان له اثره في حضارة أوربا عموما [3] و قد امتاز الادب في عهد الموحّدين ببساطته و خلّوه من الزخرف والصّنعة ، وخلوه من السّفاسف الشائعة في الادب العربيّ لذاك العهد ،كما امتاز بتأثّره بالطّابع الدينيّ الذي كانت عليه الدولة الموحّدية [4] — وهم أعراب نزحوا من الصحراء الى المغرب — واجهزوا عليها واستولوا على البلاد ، وقد واصلت الحركة العلميّة سيرها في عهدهم و شجّعها امراؤهم تشجيعا قويذا ، فنزعت العلوم الشرعيّة منزع التبسّط و التفريع ، ونبغ عدد كبير من الفقهاء في هذا العصر ، وبلغت علوم اللغة و الادب أوجها فاشتهر اذ ذاك ابن اجروم في النحو ، وابن هانىء في اللغة ، وابن ابي زرع وابن خلدون في التاريخ ، وابن بطوطة في الرّحلات ، ولئن خفت صوت الفلاسفة فقد ازدهرت علوم

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 262.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص287 .

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 73.

[4] بنو مرين : بطن من زناتة ، من البربر وهم : بنو مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن و جريج بن فاتن بن بدر بن يخفت بن عبد الله بن زرتبيص بن المعز بن ابراهيم بن رحيك بن و اشين بن نصيبين بن سراء بن احيا بن ورسيك بن أديت بن جانا ، وهي زناتة ، انظر : أبي العباس أحمد القلقشندي (756-861هـ / 1345 - 1445 م) ، المصدر السابق ، ص 419.

الرياضة و الطبّ والكمياء و الهندسة و الهيئة وما الى ذلك ، واشتهر ابن البنّاء العدوي في الفلك و الرياضيّات ، وابو الحسن المراكشي في الطبّ ، وابو العباس الجزنائيّ في الكيمياء ، واشتهر غيرهم كثيرون و كلّهم من اصل مغربيّ ، وقد رفعوا اسم بلادهم الى الذروة [1] وكانوا من اركان العلم في العا لم ، أمّا الادب فقد بلغ في هذا العصر كماله " فتخلّص من سائر التأثيرات الاجنبيّة عن النفس المغربيّة ، وشقّ لنفسه طريقا نحو الغاية المقصودة ، وهي سدّ حاجة تلك النفس الظامئة الى حياة ادبية حرّة تتمثل فيها عواطفها وميولها و سجاياها ومزاياها مصّورة طبق الاصل لا رئاء فيها و لا تصنّع و لا ادّعاء ولا تقليد ، فبلغ تلك الغاية واوفى عليها بمزيد التفنّن و الابداع ، ولا سيّما في الشعر الذي حمل الطابع المغربيّ منذ هذا العصر ، فتجد الحقيقة فيه تسبق الخيال ، والطب يغلب التصنّع ، والقصد الى الوضوح أكثر من التعمّق ، والرقة و الجزالة و السّهولة في غير ضعف ولا غرابة ولا فسولة ، ويكتفي أن ان هذا العصر نبغ ذلك الشاعرالذي يحقّ أن يقال عنه انه شاعر المغرب الاكبر ، ونعني به " مالك بن المرحل " الذي طبّقت شهرته ...رغم ما مني به أدباء المغرب من خمول الذكر ، والذي ليسع ابن خلدون الاّ ان يعترف بشاعريته على ما علم من تحفّظه الشديد " و قد أخذت الحركة الادبيّة تنحطّ شيئا فشيئا ب [2]

ان كلمة الموحدين ، لا تذكرنا بالاضطرابات التي هزت المغرب منذ اسلاميته ، بل تذكرنا هذه الكلمة بالازمات الدينية الموسمية التي كان مسرحها شمال افريقيا : مثل بدعة الاسقف دونات ، والثورة الخارجية والحركة الموحدية ، وتبدو هذه البدع فترات عدة قرون ، كاحداث متشابهة جدا ، وظواهر لنفس روح الانفصال ، و ازدهار موسمي للطائفية البربرية [3]

شهدت الحياة الادبية حركة نشيطة في بلاد المغرب الاوسط[4] أيام الموحدين ، فنبغ كتاب و شعراء مشهورين ، كما زاد الاهتمام بقواعد اللغة الغربية ، ومن اشهر الادباء و الشعراء في هذه الفترة :

1- ابن محرز الوهراني : هو ابو عبد الله محمد ، اديب نشأ بوهران في اخر أيام المرابطين ، رحل منها عام 539هـ/1137م تاريخ دخول الموحدين اليها ، متوجها نحو صقلية ثم الشام فأقام بدمشق ، ثم رحل الى العراق و مصر ، ثم عاد الى دمشق حيث توفي بها عام 575هـ/1172م من مؤلفاته "المنامات" الذي سلك فيه مسلك أبي العلاء المعري في رسالة

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص287 .

[2] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 997.

[3] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 289.

[4] لا ننكر ان بعض فقهاء المغرب تواطأوا مع فقهاء الاندلس على رأيهم في الاحياء ، ولكنا نجد أبا الفضل بن النّحويّ من علماء المغرب الاوسط ، يعارض فتيا ابن حمدين و ينتصر للغزالي ، وكان قد انتسخ كتاب الاحياء و جعله ثلاثين جزءا ، فاذا دخل شهر رمضان قرأ منه جزءا ن وكان يقول : وددت اني لم انظر في عمري سوى هذا الكتاب أنظر: عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 70.

الغفران " التوابع و الزوابع " يبرز في فن المقاومة ان برع في الهزل و السخرية ، له كتاب سماه "جليس كل ظريف " [1]

2- ابن معشوة : هو ابو الفضل محمد ابن علي ابن طاهر القيسي ، اديب وكاتب ببجاية ، اخذ العلم عن ابي القاسم القالمي ، عمل كاتبا لدى يوسف بن عبد المؤمن ، وابنه يعقوب المنصور ، فكان كاتبا بليغا ، و اسلوب لغوي راقي ، تشهد عليه رسائل دولة الموحدين المنسوبة اليه ، توفي عام (598م/1194م) .

3-

4- ابن فكون القسنطيني : هو أبو علي حسن ابن علي ، شاعر و ناثر ، رحل الى مراكش ، ومدح الخليفة الموحدي ، فنال جائزة نسبية ، وله رحلة كتبها حول سفره من قسنطينة الى مراكش ، وترك نظم غزير [2]

معلوم أن اللغة العربية جاءت في ادابها أوسع مادة من بقية لغات العالم لانها استفادت من المدنيات السابقة ومن ثقافة الامم الذين اعتنقوا الديانة الاسلامية كالهند والصين و الفرس ومصر والعراق و الترك و الصقالبة و الروم وغيرهم من الاقوام الذين جمعهم الاسلام تحت راية القران الحاملة في طياتها بلاغة الكلام وفصاحة اللسان [3]بلغت الحضارة العربية الإسلامية قمتها في الفترة مابين القرن الخامس و القرن السابع الهجري 11م-13م فحدث خلالها تقدم كبير في مجالات الفكر[4]

---

[1] لخضرسيفر ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 249-250 .

[2] لخضرسيفر ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 250 .

[3] محمّد النّيفر ، عنوان الاريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب ، ج1 ، ط ، دار الغرب الاسلامي ، (د س ط) ، ص 10.

[4] أبو مروان عبد الملك ابن أبي العلاء بن زهر الإيادي الإشبيلي ، الطب العربي في الأندلس ، منشورات ، ثالة ، الجزائر ، 2007م ، ص 234 .

الفصل السابع : أثـار انتشار اللغـة العربية في المغرب الإسلامي

المبحث الأول: نتائج الحملة الهلالية و السليمية

أولا : المغرب الأدنى

ثانيا : المغرب الأوسط

ثالثا : المغرب الأقصى

المبحث الثاني :أثار الحركة

أولا: الآثار الاقتصادية

ثانيا : الآثار الاجتماعية

ثالثا : الآثار الدينية

رابعا : الآثار الثقافية

أثار انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي

المبحث الأول: نتائج الحملة الهلالية و السليمية : أدى الفتح العربي إلى انتشار اللغة العربية و الإسلام ، وظهور الحضارة الإسلامية في الأندلس تدريجيا ، وكانت اسبانيا قبل الفتح تعيش في ظلام الجهل ، ولكن الإسلام أضاء بنوره [1] ما كان للفتح الإسلامي أن يتعثر ويتراجع ، بل و لا أن يقاتل الفاتحون بعد وجيوشهم أحيانا بتلك القسوة القاسية و العنف ، الذي عرفه التاريخ من البربر و المغاربة القدامى إزاء العرب وكما فعلوا مع المحتلين السابقين [2] إن العرب هم السادة الحقيقيون [3] لم يكن تأثير الإسلام في العقلية العربية و الفنون الأدبية أتيا من جهة عقيدته و شريعته وروحه فحسب ، وإنما اثر فيها كذلك من جهة ما نشأ عنه الفتوح و النزاع على الإمامة ، فمن اثر الفتوح خروج العرب من جزيرتهم إلى الجهاد ، وانتشارهم في مختلف البلاد .. ويتكلمون بلغات فارسية و قبطية وعبرية وسريانية و يونانية و لاتينية ، فأخضعهم العرب إخضاعا ماديا وأدبيا وروحيا من طريق الفتح [4] كان الشعراء يعملون على تعريب هذه العلاقة تقريب الواقع وقد أكد البلاغيون والنقاد هذه النزعة [5] التي يكثر دورانها على ألسنة الناس[6] في حفظ اللسان حتى يستقيم له ، إذ اللسان هو المورد للمرء موارد العطب [7] لتجد هذه الكلمات شائعة [8] البدايات الأولى للتطور اللغوي السامي بوقعت بالأحرى على ارض شمال إفريقي [9] لتخلق الحضارة و الثقافة اللتين تتمتّع بهما بلاد العرب [10]

بني أمية هبوا من رقادكم   إن الخليفة يعقوب بن داود

ليس الخليفة بالموجود فالتمسو   خليفة الله بين الناي والعود [11]

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ، ص 54.

[2] عبد الكريم الفيلالي ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 381 .

[3] عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 34.

[4] احمد حسن الزيات ، المرجع السابق ، ص 66 .

[5] عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، ط 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م ، ص 416.

[6] سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 88.

[7] ابن حبان البستي ، روضة العقلاء و نزهة الفضلاء ، ص 21 ، انظر : www . Al- mostafa . com

[8] عبد الفتاح عباده ، المرجع السابق ، 98 .

[9] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 23 .

[10] عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 59.

[11] يحي شامي ، موسوعة شعراء العرب ، ج2 ، ط ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1999م ، ص 132.

نتائج للغزو الهلالي وهي نتائج ملموسة و مسجلة من المؤرخين [1] سيفتح لهذه البلاد بابا أخر للتاريخ ، و مع كل فلن يغير هؤلاء الممثلون الجدد مسارها بصورة محسوسة كما فعل الفاتحون العرب في القرن السادس (1هـ /6م) و المهاجرون العرب في القرن (5هـ / 11م) [2] لقد نشأ النحو العربي بسبب بسبب اللحن الذي طرأت عليه ألسنة العرب [3] فلذا كان لابد للبربر من تعلم اللغة العربية لقراءة القرآن و و إقامة الصلاة [4] وقد زعم بعض الباحثين من المستشرقين و الشرقيين أن التدوين عند العرب لم يظهر في الإسلام إلا في أواسط القرن الثاني للهجرة ، أي بعد انقضاء الدولة الأموية ، وان التدوين قبلئذ لم يكن معروفا إلا في نطاق ضيق جدّا [5] يكتبون باللغة العربية [6] أن رسول الله (ص) قال :" لا تكتبوا عنّي ومن ومن كتب كتب عنّي غير القران فليمحه ، و حدّثوا عنّي ، ولا حرج ، ومن كذب عليّ – قال همام ، احسبه قال : متعمدا – فليتبوأ مقعده من النار [7] و يسرى هذا بصفة خاصة للغاية على العربية ، التي لازمها منذ منذ بدء انتشارها [8] على أن هذا لم يمنع أن يكون للعرب لهجات محلية مأنوسة في قبيلة [9] و قد حل ذلك في الشرق باليونانية و الآرامية و الفارسية و القبطية و في الغرب باللاتينية ، ففي القرون الأولى من الحكم الإسلامي أخذ تعلم اللغة موقعا محوريا في شؤون الثقافة ، وكان المسلمون الجدد يطمحون باستمرار إلى تملك معرفة العربية للظفر بمنفذ الطبقة الحاكمة [10] فانه يجب أن يقرر أنها تتضمن مادة قيمة للغاية بالنسبة لتاريخ اللغة العربي [11] استطاعت اللغة العربية آخر الأمر أن تصرع تلك اللغات في مهدها ، حيث تغلبت على الآرامية في العراق ، والشام ، وعلى القبطية في مصر ، وعلى البربرية في بلاد المغرب [12] ولان لغتها سائر اللغات بحلاوة الجرس ودقة الوضع وأحكام النظم [13]

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 231.
[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 346.
[3] ابن خلدون ، المقدمة ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 548.
[4] سعدون عباس ، المرجع السابق ، ق2 ، ص 132.
[5] محمد أسعد طلس ، المرجع السابق ، ص 145.
[6] بوشوشة بن جمعة ، الرواية العربية الجزائرية أسئلة الكتابة و السيرورة ، ط ، دار سحر ، 1988م ، ص 13-14 .
[7] أبي الحسن مسلم بن الحجاج ، صحيح ، ط ، دار إبراهيم ، المجلد 9 – 17–18 ، 2003م ، ص 244 .
[8] الانباري ، المصدر السابق ، ص 14 .
[9] عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 36.
[10] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 15.
[11] فولفديتريش فيشر ، المرجع نفسه ، ص 116 .
[12] محمد سالم محين ، المرجع السابق، ص 7 ،انظر: احمد عثمان، العربيّة في اللغات العالميّة ، أرامكو ، مركز الملك عبد العزيز، (دط) ،السعودية ،ص4.
[13] أحمد حسن الزيات ، المرجع السابق ، ص 69 .

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي[1]

إن الله جعل الكتابة من أجل صنائع البشر و أعلاها ، ومن منافع الأمم و أسناها ، وهي حرز لا يضيع ما استودع فيه ، و كنز لا يتغير لديه ما توعيه مما تصطفيه ، وحافظ لا يخاف عليه النسيان ، وناطق بالصواب من القول إذا حرفه اللسان ، ولذلك قال (ص)" قيدوا العلم بالكتابة " [2] إبداع العلم مطلب الحضارة [3] فالفكر هو جملة النشاط الذهني وبوجه خاص أسمى صور العمل الذهني [4]يقول سعيد علوش: علوش: " إن وقفة عابرة على نص صيني هيروغليفي، سانكسكريتي لتجعلنا نقف كمحاربين منزوعي الأسلحة ، مدهوشين أمام كنوز" [5] و هكذا اتسع نطاق موطن الأدب ، وكان له من كلّ احتكاك موضوعات ونزعات..و هكذا كان لكلّ بلد من البلاد المفتوحة أدب عربيّ بلغة عربيّة فصيحة [6] .

قياصرة إذا نطقوا أرم الدهر في الخطب[7]

خرجت قبائل بني هلال و بني سليم من مصر قاصدة المغرب ، فاستولت على برقة ، وتقاسمتها فيما بينها ، ومنها تغلب بنو سليم على جيش الأمير الزيري المعز بن باديس سنة (446هـ/ 1054م) ، ودخلوا القيروان ، والكثير من المدن ، ثم المهدية ، عاصمة بني زيري سنة (449هـ/1057م) ، كان لاختلاط قبائل بني هلال وبني سليم العربية بسكان المغرب أثره ، في تعريب جزء كبير من هؤلاء السكان ، حيث امتزج المغاربة بالعرب الوافدين ، وتزاوجوا ، فاختلطت الدماء ، وانتشرت اللغة العربية و آدابها في بلاد المغرب [8] تحولت بقايا زناتة إلى عرب بعد اختلاطها بالعرب الهلالية في المغرب الأوسط [9] و من أثر التسامح شاعت اللغة العربية في كل ارض نزلها العرب ، بل لم يمض أكثر من نصف قرن حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها المسيحيون ، لان هؤلاء زهدوا في اللغة اللاتينية ، ونشأ لهم غرام بالعربية ، فأخذوا يتقنون آدابها ، و يتغنون بإشعارها و يكتبون فيها كأبنائها ، ويعجبون ببلاغتها إعجاب أهلها بها ، وكان كثير من أذكياء الجلالقة و القشتاليين و الليونيين والنافاريين — دع من كانوا في البلاد التي فتحها العرب من

---

[1] أبو العباس المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ج3 ، (د ط) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2002 م ، ص26 .

[2] أحمد زكي ، المرجع السابق ، ص 25.

[3] منذر عياشي ، المرجع السابق ، ص 98 .

[4] إبراهيم مذكور، المعجم الوجيز ، (د ط) ، جمع اللغة العربية ، جمهورية مصر العربية ، 1990م ، ص 478.

[5] صدوق نور الدين ، في النص تفسير النص – الفكر العربي المعاصر ، مركز الاتحاد القومي، العدد 76 - 77، بيروت، 1990م ، ص 22.

[6] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص36 - 37.

[7] الحموي ، ياقوت ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 461 - 462.

[8] عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص 58.

[9] ابن الأحمر ، المصدر السابق ، ص 47.

المسيحيين – يتعلمون العربية [1] لم يكن من المستطاع أن يكون المثل الأعلى هو الأدب الأوربي لقلة ما ترجم ترجم منه إلى اللغة العربية و لعنصر التوجس من أي رافد أجنبي [2] و تبعا للوضع الذي أرشدنا به على تاريخ تاريخ نشوء العربية الكلاسيكية بمعلومات علماء اللغة العربية ، يكاد يكون اعتماد كليا عليها تقريبا ، يصعب تحديد نصيبهم في توحيدها و جعلها نموذجية و هو ما مرت به العربية عند انتقالها [3] لان العرب أثروا في الوسط البربري [4] لقد نجم عن غزوة بني هلال أمر سلبي تمثل في التدمير للعمران قامت به هذه القبائل بسبب طبيعتها البدوية المؤسسة على التنقل و السطو و الغزو ، فالعمران يتناقض مع طبيعة حياتهم ، لكن نجم عن غزوة بني هلال هدف آخر ايجابي و هو تعريبهم لشمال إفريقيا ، فقد اندمج بنو هلال مع إخوانهم في الأصل البربر ، وتزاوجوا معهم ، ولم يكد يمر جيل واحد حتى انصهر البربر وبنو هلال في بوتقة واحدة هي بوتقة العروبة [5]

إن استيلاء بني هلال على ريف مملكة بني حماد ، سمح لنا بالتعرف على المنتزعات الغامضة ، أنهم أقل بأسا من قبائل رياح ، وقد نزحوا إلى افريقية بعدهم ليحصلوا على نصيبهم من الأرض الموعودة ، لم يستطيعوا إبعاد قبائل رياح لذلك اضطروا للتوغل نحو المغرب ، حيث سمح لهم ملوك القلعة بالاستقرار غير مقدرين خطورة هذا الموقف ، وسوف نجدهم في نفس المنطقة بعد ثلاث قرون ، لم يفكروا في التوسع أو الإثراء ، و أما حينما نتناول قبيلة عربية أخرى لا تمت للهلالية بصلة ، وهي قبيلة المعقل ، نلاحظ تطور يختلف عما حدث لبني هلال ، لقد جاء هؤلاء المهاجرون مع الموجة الأولى أو بعدها مباشرة ، و لكنهم لم يتوغلوا في قلب بلاد البربر الشرقي لقلة عددهم ، واكتفوا بالبقاء على حدود صحراء افريقية و المغرب الأوسط [6]

فالقرن الحادي عشر الميلاد (5هـ /11م) يعد واحدا من هذه التحولات[7]

وكان شمال إفريقيا قد تعرض منذ القرن الحادي عشر لغزو بني هلال و سليم الذين تركز نشاطهم في المغرب الأدنى و الأوسط و تعاونوا في أواخر القرن الثاني عشر مع بني غانية المرابطين أسياد جزر الباليار ضد الموحدين الذين كانوا يسيطرون على شمال إفريقيا كله ، وقد نشر المتحالفون الدمار في المنطقة وإذا كان المغرب الأدنى ، بفضل التقاليد الحضرية و الإدارية العريقة ، قد نجح في التحقيق من إثارة هذه الصفة و

---

[1] لمحمد كرد علي ، المرجع السابق ، ص 36 .

[2] أبو السعود سلامة أبو السعود – رمضان خميس القسطاوي ، الأدب العربي في مختلف العصور ، (دط) ، العلم و الإيمان ، 2007م ، ص 209 .

[3] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 117- 118 .

[4] جرمان عياش ، دراسات في تاريخ المغرب ، (دط) ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، ط ، الدار البيضاء ، (1406هـ/1986م) ، ص 24.

[5] عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 272.

[6] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 231.

[7] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 7.

الاحتفاظ بوجود سلطة ، فان فقدان المغرب الأوسط لسلطة مركزية قد جرده من وسيلة دفاع قوية و تركه مسرحا لفوضى القبائل الغازية و المحلية تعيث فيه فسادا و تنشر فيه الخراب ، فخربت المدن و اتلف الزرع و أصبح المغرب الأوسط بصورة عامة [1] يتضح من ذلك أن أصول ملوك البربر كانوا يساعدون على تقدم العرب عن قصد كما فعلوا أيام المعز الزيري حتى و لو ندموا على ذلك بعد سنوات ، وسنكتفي بالمثل الأكثر تأثيرا ألا و هو كيفية وصول بدو الهلالية إلى سهول المغرب ، وذلك بإرادة خلفاء الموحدين و رغم انف البدو أنفسهم ، ففي سنة (555هـ/1160م) بعد فتح بلاد البربر بأكملها ، كان الخليفة الموحدي " عبد المؤمن " يستعد لترك افريقية ، والعودة إلى مراكش ، وقبل رحيله طلب من عرب رياح 10000 مقاتل لمساعدته لمحاربة مسيحي اسبانيا [2] فوافق العرب بحماس واقسموا على القران وزحفوا معه [3] ثم إن اللغة ، ، فوق ما هي أداة للتعبير عن النفس وواسطة [4] أما بنو هلال فإنهم لم يؤسسوا دولة ، و لكن أسسوا مع البربر مجتمعا عربيا مسلما ، و قضى وجودهم هذا على تعدد اللهجات البربرية التي كانت تفرق حتى بين القبائل البربرية ، بل و تمكنوا من ربط عناصر المجتمع المغربي برابط قوي هو اللغة العربية التي ساهمت في تأسيس نسيج اجتماعي منسجم .. كما يقول المؤرخ المصري السيد عبد العزيز سالم : " كان لغزوة الهلالية للمغرب رغم مضاره ومساوئه الكثيرة فضل كبير في تعريب البلاد و تخفيف حدة اللهجات المحلية في القرى البربرية التي لم تصل إليها بعد إشعاعات الحضارة العربية [5] أما عن مسألة التخريب التي وصمت بها الغزوة الهلالية [6] انتقال العرب من بلاد البربر الشرقية إلى المغرب : نزوح اختياري أو اعتقالات غفيرة مثل التي حدثت في (583هـ/1187م) كان الخليفة الموحدي " المنصور " هو الذي قرر هذه الهجرة الجماعية .. أن هذا الغزو الذي ظهر من الوهلة الأولى كإعصار مخرب ، لم يشمل الإفريقية ، ولم يكن له شكل ملحمي ، إذ لم يقابل العرب ساحة قتال بعد دحر الصنهاجيين مرتين في سهل حيدران [7] ولكن في سطيف و جبل جبل القرن و الحملة هزم العرب بواسطة جيش الموحدين ، أنها هزيمة مدوية و الغريب هو نتائج هذه الهزيمة

---

(1) محمد خير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى احتلال الفرنسي (دراسات في تاريخ شمال افريقية الحديث) ، مكتبة دار الشرق ، ط 2 ، سوريا – بيروت ، 1979م ، ص 6 - 7.

(2) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 231.

(3) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 231.

(4) عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 33 .

(5) عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 272.

(6) عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 272.

(7) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 232- 233.

فقد نقل المهزومين العرب إلى المغرب [1] و المهم فيما يتعلق بالمغرب أن بلاد الأندلس هي التي قامت بدور فارس في مجال الحكم و الحضارة ، حيث أمدت المغرب بما كان يحتاجه من رجال الحكم و الإدارة من أصحاب الدواوين [2].

رافقتها عمليات تخريب و تدمير شاملة قبل بني هلال ، فالكاهنة التي ثارت ضد الجيوش الإسلامية في الربع الأخير من القرن الأول الهجري "عملت على القضاء على مظاهر العمران بافريقية اعتقادا منها بان العرب يسعون وراء العمران حيث الذهب و الفضة ، فوجهت قومها في كل ناحية من بلاد افريقية ينسفون المزارع و يهدمون الحصون ، فبعد أن كانت افريقية ظلا واحدا من طرابلس إلى طنجة ، قرى متصلة ، ومدنا منتظمة ، تلاشى ذلك كله ، وشمل الخراب سائر هذه البلاد " [3] فقد طورت العربية حسب مفهوم صالح بوجه عام ، أسس النمط اللغوي السامي [4] أما العرب الذين هم المقصود من وضع هذا التأليف فإنهم على اختلاف قبائلهم و تباين شعوبهم من ولد سام باتفاق النسابين [5] .

هناك ملاحظة أخيرة عن تدخل العوامل المغاربة في مراحل الهجرة العربية [6] نذكر هنا حكم ابن خلدون خلدون " إن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب " ، و نحن نقدر مدى الكارثة الهلالية ، ونتساءل كيف لم يتبينها أسياد هذه البلاد ، الذين كانوا ضحية لها ، ولكننا لا يجب أن نندهش من ذلك أو نثور عليه ، نحن أنفسنا لا نعرف المرمى الحقيقي للأحداث التي نشاهدها الآن ، واستحالة معرفة التاريخ الذي يحدث أمامنا ، يفرض علينا التسامح تجاه سلاطين العصور الوسطى المغاربة ، وعلى كل فنحن نعلل شذوذ هؤلاء الحكام إلى حد ما بظروف التوازن للسلالات البربرية [7] ومن النتائج في تاريخ البحث اللغوي وكما يعلم كثير من دارسي العربية، فقد تمكن النحاة العرب من وصف اللغة العربية ووضع قواعدها الصرفية والنحوية، ووصفوا أصواتها وشرحوا نظامها الصوتي وألفوا المعاجم وكتب اللغة المختلفة [8] بالرغم من التنوع اللغوي الكبير في شمال إفريقيا [9]

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 232- 233 .

[2] سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 290 .

[3] عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 273.

[4] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 21 .

[5] أبي العباس أحمد القلقشندي (756-861هـ / 1345- 1445 م) ، المصدر السابق ، ص 29 .

[6] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 233.

[7] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 234.

[8] محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، ط ، دار الكتاب الجديدة ، بيروت - لبنان ، 2004م ، ص 9-1.

[9] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 189.

بعد انهيار الناتج عن الغزو الهلالي ، أعاد أمراء صنهاجة تنظيم سياستهم ، فحولوا نشاطهم من الداخل نحو البحر أي نحو البلاد المسيحية للحوض الغربي للبحر المتوسط كنوع من التعويض عن الكوارث التي لحقت بهم في الداخل ، وقبل كل استجابة لطلب مسلمي صقلية للحفاظ على كيانهم من النرمان المسيحيين ، فالنرمان هم الذين حكموا جنوب ايطاليا زحفوا على الجزيرة و تلاحقت الأحداث و استولوا على مسينا (452هـ/1060م) وبالرمو (464هـ/ 1071م) و سرقسطة (478هـ /1085م) ، وانتهى ضم الجزيرة بأكملها في عام (484هـ/1091م) و في العام السابق لقيت مالطة نفس المصير و بذلك فقد الإسلام السيطرة على البحر ، تلك السيطرة امتلكها لأكثر من قرنين و بدأ يشعر بالخطر في موطنه ، بدأ المسيحيون في مهاجمة سواحل بلاد البربر الشرقية لتصبح بذلك خلاف ما كانت عليه منذ 300 عام ارض الحرب المقدسة ، وعلى كل حال فهذه الغزوات كانت حملات عقاب أكثر منها عمليات غزو [1] هذه العوامل التي اختارها القدر التاريخي [2]فقد رأينا كيف أعطوا وثبة عظيمة للجهاد المقدس في أسيا و اسبانيا ، ، وكيف أولوه حرارة عقيدتهم التي أوصلتهم للاستشهاد ، و رأينا أيضا حماسهم الحربي و رغبتهم في الغزوات المثمرة ، حتى في بلاد البربر الشرقية (افريقية) حيث بقى العرب البدو [3] دخل على اللغة العربية كلمات أعجمية لمسميات لم تكن عند العرب ثم طرأت عليهم فأخذوها بأسمائها ، غير اللسان العربيّ [4] بالرغم من من أن أعراب بني هلال أرسلوا لتخريب دولتهم ، فقد واجههم أمراء بني زيري وبني حماد بأسلوب حكيم حيث تمكنوا من استيعابهم داخل المجتمع المغربي العربي المسلم ، ولم يمض عدد قليل من العقود حتى ذاب بنو هلال كليا في المجتمع المغربي ، الذي استطاع بحيويته و صلابة إيمانه بإسلامه و عروبته في نفس فترة دخول بني هلال للمغرب من إفراز دولتين كبيرتين أسستهما أسرتان بربريتان وهما دولة المرابطين و دولة الموحدين اللتان لعبتا دورا عظيما في تطوير الحضارة العربية الإسلامية بالمغرب و الأندلس ، وهذا دليل قاطع على أن البربر ليسوا جنسا آخر غير العرب كما يحاول تلاميذ المؤرخين الأوربيين [5]خدمت اللغة العربية مجتمعين عربيين : أولهما المجتمع البدائي ، حين كان العرب قبائل يرحلون و ينتجعون ، وقد ورثنا نحن من هذا الطور آلاف الكلمات عن الصحاري و الإبل و الخيل و الغزو و الخيام ، ولكنا لم نرث شيئا من هذا التطور يتعلق

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 12-13.

(2) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 14.

(3) جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 14 .

(4) عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 38 .

(5) عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 286.

بالزراعة أو الصناعة أو الحكومة ، ثم خدمت اللغة مجتمعا آخر ، هو المجتمع الحضري [1] قال صاحب اللواء :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان

كما نصب لها على اللسان العربي أعلاما [2] و قال أيضاً : و جرح اللسان كجرح اليد [3] " العلم نهر والحكمة بحر، والعلماء حول النهر يطوفون ، والحاكمون وسط البحر يغوصون ، والعارفون في سفن النجاة يسيرون " [4]

لعبت الهجرة الهلالية دوراكبير و أساسيا ، في كل نواحي الحياة في المغرب الإسلامي ، وكان دخولهم إلى المغرب بحق حدثا تاريخيا فاصلا [5] عندما خضع شمال إفريقيا للغزو الهلالي الذي سنصف هنا نتائجه العديدة العديدة [6] دخل العنصر العربي بلاد المغرب عبر مجموعتين أولى أتت لنشر الدين الإسلامي و تطلب منها ذلك الاستقرار بالمدن الكبرى قصد تنظيم الإدارة وتفقيه الأهالي في أمور الدين ، فاندمجت مع الأهالي بفعل المصاهرة و أصبحت تشكل مع الزمن ساكنة المدن التي تم تأسيسها بعد الفتح الإسلامي ولم يكن تواجدها بالبوادي إلا بأعداد قليلة ، وثانية دخلت المغرب في إعداد كبيرة مع بني هلال وبني سليم و بني معقل ، واختصت أساسا في الاستقرار بالمناطق السهلية ابتداء من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ، وهي الجماعة التي شكلت غالبية سكان البوادي و سببت مشاكل عديدة [7] و سجلماسة التي تأسست في في الفترة الإسلامية على يد الخوارج كانت تضم العناصر العربية إلى جانب العناصر البربرية المستقرة بها منذ تأسيسها ، لكن هذه العناصر لم تستقر على ما يظهر ببواديتها [8] .

في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري ثار أبو يزيد مخلد في عهد الفاطميين ، على رأس قبائل زناتة البربرية البدوية ، فنشر التدمير و الخراب في كل مكان ، وهدم مدن : مجانة ، ومرماجنة ، و الاربش ، وقتل

[1] سلامة موسى ، المرجع السابق ، ص 77.

[2] عبد الكريم بن محمد الفكون القسنطيني ، فتح المولى في شرح شواهد الشريف ابن يعلى ، ط ، دار الخليل القاسمي، الجزائر ، 2007م ، ص 27.

[3] الوزير أبو القاسم الحُسين بن علي المغربي ، أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها و أيامها ، انظر:
www. warek.com

[4] عبد القادر محمد مايو ، معالم اللغة العربية ، (د ط) ، درا العلم العربي ، 2000م ، ص 55 .

[5] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 187 .

[6] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 21.

[7] حسن حافظى علوي ، سجلماسة و إقليمها في القرن (الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) ، (د ط) ، مطبعة فضالة ، المملكة المغربية ، (1418هـ / 1997م) ، ص 150، إبراهيم القادري بوتشيش ، اسهامات في التاريخ الاقتصادي – الاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط ، 1998م ، المغرب ، ص 15- 16.

[8] حسن حافظى علوي ، المرجع السابق ، ص 151 .

حتى النساء و الأطفال الذين لجأوا إلى مسجدها الجامع ، وضرب باجة وقتل أطفالها وسبي نساءها ، ودخل رقادة فعاث فيها فسادا ودخل القيروان في سنة (333هـ/ 945م) فنهبها وأقام أبو يزيد سبعين يوما في مخيم ميسور بث في أثنائها السرايا في كل النواحي خربوا عمران افريقية ، ولم يوقف هذا السيل المدمر بالمغرب إلا قبائل صنهاجة البربرية الحضرية بقيادة زعيمها زيري بن مناد [1]

دخل عرب المعقل بلاد المغرب ضمن المجموعة الهلالية التي كانت عبارة عن أخلاط من القبائل ، وضمت بني سليم و هم أقوى و اغني عناصر هذه المجموعة ، وبني هلال الذين علب اسمهم على كل من رافقهم [2] " و سلافة العرب بني هلال يعدونهم من بطون هلال .. و أشار الحسن الوزان إلى أن أصل بعض بعض بطون الجماعة الهلالية من اليمن وبما أن المعقل رافقوا هؤلاء في رحلتهم في اتجاه بلاد المغرب[3] تربط تاريخ التوسع الإسلامي في بلاد البربر [4] ولا تنقص غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به [5] .

فالحركة الزيرية — الحمادية قد اختارت المشروعية العباسية شكليا من قبضة الفاطميين ، إلا أنها لم تلبث أن عادت إلى المشروعية الفاطمية عندما تبين عجزها عن مواجهة الهلاليين [6] و لا تزال مستمرة حول حول نتائج قدوم الهلاليين و السليميين إلى المنطقة ، فان مما لا شك فيه أن العملية في حد ذاتها كانت عملية انتقامية بالدرجة الأولى ، ومما لا شك فيه أيضا أن هذه العملية قد أصابت في الصميم شبكة الطرق الجنوبية بكل من افريقية و المغرب الأوسط بصفة لا رجعة فيها [7] العربية هي هذا اللسان الذي نزل به القران القران ، والتي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ الأول ، و العربية لا نعرف بدايتها الأولى بالضبط بيّد أننا لا نعرف هذا التراث الشعري والنثري الذي انتجه العرب قبل الإسلام بزمن قليل ، ولا ريب أنه ضاع منه ما ضاع بدليل مقولة أبي عمرو بن العلاء " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرا من الألفاظ مما ليس بعربي ؟ [8] " مما ذكرناه عن أحوال اللغة العربية فيما توالى عليها من العصور و الأدوار في في أثناء نموها .. فقد تولدت في العصر الإسلامي ألفاظ وتراكيب [9] يقعدهم عن الاشتغال بالأدب خوفهم

---

(1) عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 187 .

(2) حسن حافظى علوي ، المرجع السابق ، ص 151 .

(3) حسن حافظى علوي ، المرجع نفسه ، ص 152 .

(4) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 23.

(5) ابن أبي حديد المدائني ، شرح نهج البلاغة ، (د ط) ، درا الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 1998م ، ص 173- 174.

(6) محمد القبلي ، المرجع السابق ، ص 14 .

(7) محمد القبلي ، المرجع نفسه ، ص 116 - 117 .

(8) سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 82 .

(9) جورج زيدان ، المرجع السابق ، ص 92.

خوفهم من الوقوع في خطأ لغوي أو بياني يؤاخذون عليه [1] نحو ما يقوله الإفرنج في لغاتهم ، لان شأننا في لغتنا غير شؤونهم في لغاتهم [2] أما اللغة العربية ، فلا بد من المحافظة على سلامتها و الاهتمام باستبقائها على بلاغتها و فصاحتها .. و أما استيفاء الكلام في تاريخ اللغة العربية و ألفاظها و تراكيبها [3] وإذا فشلنا فشلنا في تعريب العلوم وإنشاء مصطلحات جديدة تناسب الارتقاء العلمي في كل المجالات [4]

أولا : المغرب الأدنى : لم تشهد افريقيّة سوى فترات قليلة مضطربة مثل فترة القرن و نصف قرن ، التي تفصل بين غزو بني هلال وقد أحصى المؤرخ ابن خلدون عددا كبيرا من الرؤساء الذين أنشأوا إمارات عابرة في باجة مثلا و طبرية الكاف و الأريس و زغوان وغيرها من المدن الداخلية واستولى الأعراب على جميع المناطق المنخفضة في البلاد ، ولم يحتفظ بنو زيري بشقّ الأنفس إلا بشريط ساحلي ضيّق ، يمتد من سوسة إلى صفاقس بدخول الغاية ، أما أبناء عمومتهم من بني حمّاد ، فإنهم لم يتمكّنوا من الاحتفاظ بمنطقة قسنطينة إلا بنقل عاصمتهم من القلعة إلى المدينة الجديدة بجاية ، ثم تميّز النصف الأول من القرن الثاني عشر بالتدخّل المزعج لقوة أجنبية عن الإسلام ، اعني جند النرمان الذين تمكّنوا ، بعد الاستيلاء على جربة ، من إقصاء آخر أولاد بني زيري و احتلال المراكز البحرية من سوسة إلى طرابلس ، ففي هذه الحالة من الفوضى حصلت الغزوة الموحّدية في افريقيّة ، بدون أن توفر لها ما كانت تصبو إليه من استقرار و هدوء ، وقد قام بهذه الغزوة الخليفة عبد المؤمن بن علي بنفسه ، صحبة ابنه أبي محمد عبد الله ، خلال حملتين عسكريّتين تفصل بينهما سبع سنوات ، حيث تمّت الحملة الأولى في سنة (547هـ/1152م) و أفضت إلى إلحاق دولة بني حماد بالدولة الموحّدية ، وحصلت الثانية في سنة (554هـ/ 1159م) والت إلى امتداد الهيمنة الموحّدية .. و لبلوغ هذه النتائج كان من اللازم التغلّب على ثلاثة عناصر مقاومة ، وهي أصحاب المراكز العمرانية : المسلمون ، من جهة و النرمان و الأعراب ، من جهة أخرى [5] و قد تجلى تأثيرهم اللغوي في نشر لغة التخاطب بين القبائل المغربية ، وقد كان احتكاكهم الدائم لبعض فروع قبيلة زناتة بالصحراء و غيرها [6] عاملا فعالا على تعريبها ، وبذلك تحولت الهجرة الهلالية الانتقامية في نظر بعض المؤرخين إلى رسالة رسالة ثقافية لغوية وأبناء المغرب الأوسط [7] قال الشاعر :

---

(1) جورج زيدان ، المرجع السابق ، ص 93.

(2) جورج زيدان ، المرجع نفسه ، ص 93.

(3) جورج زيدان ، المرجع نفسه ، ص 94.

(4) على احمد مدكور ، المرجع السابق ، ص 57.

(5) روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج 1، ص 32 .

(6) عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 175.

(7) عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 175.

يا سرت لا سرّت بك الأنفس لسان مدحى بيكم أخرس[1]

ثانيا : المغرب الأوسط : كان المغرب الأوسط هو أكثر المناطق تأثرا [2] لا يقل أثر ودور بنو هلال ، في العمليات العسكرية ، سواء داخل المغرب الإسلامي أو في الأندلس ، عن دورهم في الحياة السياسية ، فمشاركتهم في الجهاد بالأندلس سجلها التاريخ في عدة ادوار منذ عهد المرابطين و الموحدين من بعد ، فكانوا دائما يلبون نداء الواجب [3] و على الرغم من أن عدد العرب الرحل بعد غزوة بني هلال لم يتجاوز (2 - 3 %) من سكان المغرب فان تمركزه في المنطقتين الأكثر أهمية من ناحية المعاش وهما إفريقيا و المغرب الأوسط قد أتاح له أن يؤثروا تأثيرا كبيرا على افريقية الشمالية الاقتصادية و الاجتماعية ولم يضعف التطور السريع للعلاقات الإقطاعية في صفوف القبائل الهلالية التي حلت محل نظام الديمقراطية الحربية من أهمية السلب و النهب بل ضاعفها [4] و العبرة هنا أن العرب و البربر تجاوروا جدا و اختلطوا و تصاهروا ، و سادت اللغة العربية [5] وهكذا استطاعت الأسرة البربرية أن تحكم المغرب العربي و الأندلس .. وانتشرت آداب اللغة العربية انتشارا واسعا بين القبائل البربرية ، ولم يخطر ببال احد ملوك و أمراء هذه الدولة أن يؤسس دولته على أساس بربري مغاير للعروبة ، بل مارسوا المسؤولية حتى في أسوا صلاتهم بملوك الطوائف الأندلسية ، من منطلق عربي إسلامي بعيدا عن كل تفكير عرقي ، وهذا دليل يضاف إلى الأدلة السابقة على عروبة البربر [6] و كدليل على أن عرب بني هلال لم يأتوا للمغرب ليؤسسوا مملكة و إنما جاءوا للاستيطان مثلما جاء قبلهم و قبل الفتح الإسلامي القبائل الحميرة و السبئية و العمالقة الكنعانيون ليؤسس قبائل صنهاجة البربرية و الذي يؤكد ذلك هو أن المغرب حكمته بعد غزوة الهلالية عدة دول صنهاجية و غيرها ، فاستمر بنو زيري يحتفظون بالمهدية و ما حولها ، واستمر بنو حماد في بجاية ، واستقل حمو بن و مليل البرغواطي الذي تحالف مع الهلاليين من زغبة و رياح و عدي و الاثبج في سفاقس ، واستقل بنو خرسان بتونس سنة (458هـ / 1066م) و استقل موسى بن يحي بقابس ، و استقل حاكم قفصة الزيري أيضا بها ، وتحالف مع بعض عشائر بني هلال [7]

---

[1] أبي عبيد البكري ، المصدر السابق ، ص 6.

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 346 .

[3] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 182.

[4] عبد الحميد بوسماحة ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 318 - 317.

[5] ابن الأحمر ، المصدر السابق ، ص 40 .

[6] عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 301.

[7] عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 274.

ثالثا : المغرب الأقصى : كان مجئ قبائل العرب الهلالية إلى المغرب الأقصى ، وإقامتهم بالمنطقة واختلاطهم بالسكان ذا آثار متعددة ، إذا قاموا بنشاط ملحوظ في مجالات المجتمع المختلفة إدارية كانت أم عسكرية أم اقتصادية أم اجتماعية [1] و يعتبر المغرب من الناحية العنصرية و الثقافية البلد الأقل تعريبا لأنه لم يتعرض إلا بطريق غير مباشر ، عن طريق التيار الذي تنقله إليه افريقية أو التيار المعاكس الذي يأتي إليه من أسبانيا ، و لقد أثرت فيه الحضارة الأندلسية تأثيرا عميقا و بقيت حضارته ، لقد ازدهر فن المدن المغربية بالأموال الاسبانية – المغربية أيام الموحدين [2] و كان المغرب الأقصى قد أخذ في التعريب منذ دخول جماهيره الإسلام ، وأسسّت دولة الأدارسة في فاس (172هـ/ 789م) وكانت دولة عربية إسلامية ، فعملت – بقوة – على تعريب المغرب الأقصى ، وعنيت بفتح الكتاتيب في المدن و تحفيظ الناشئة بها القران الكريم و أنشأت في المساجد حلقات المفسرين و المحدثين و الفقهاء ومن يعلمون الناس العربية ، وبذلك رسخت العروبة ورسخ الإسلام في المغرب الأقصى ، و تحدث الهجرة الاعرابية الكبرى في منتصف القرن الخامس الهجري غير أن عشائر قليلة منها تسربت إلى المغرب الأقصى ، ويدور الزمن ، ويدخل المرابطون المغرب الأقصى و يطهرونه من الروافض ومن نحلة برغواطة الضالة و اخذ الأندلسيون في عهد تلك الدولة يندمجون في سكان المغرب الأقصى و كان لذلك أثره في تعريبهم إذا كانت الأندلس عربية خالصة ، و ينقل عبد المؤمن إلى المغرب الأقصى ألفا من قبائل الاعراب : من قبائل الاثبج وزغبة ورياح و قرة ، امتزجوا بسكانه ، و في سنة (558هـ/1163م) استصرخ أعراب بجاية ..للجهاد في الأندلس و لبّاه كثيرون ، و لنفس الغاية دعا ابنه يوسف قبيلة رياح فلباه حشد ضخم منهم ، ونقل ابنه يعقوب بقايا قبائل الاثبج و رياح و جشم إلى المغرب الأقصى : أنزل قبيلة رياح منطقتي الهبط في الشمال و أزغار في الغرب و أنزل قبيلة جشم منطقة تامسنة في الغرب و الاثبج في منطقتي دكالة و تادلة ، وانساح كثيرون من هؤلاء الإعراب في ديار المغرب الأقصى ، وبذلك تعرب الأقصى نهائيا [3] إن هذا التعليل القائل بأصالة كلمة سجيل في اللغة العربية يدفع إلى الاعتقاد الاعتقاد في أن الشق الأول من كلمة سجلماسة عربيا فيكون بذلك وليد فترة الفتوحات الإسلامية لشمال أفريقيا [4] تربط المغرب بالأندلس علاقات وطيدة ومنذ أقدم العصور ، ترتبت عنها عدة أحداث ، وشكلت

---

[1] حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص 317.

[2] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 347 ، أيضا : إيمان بنت دخيل الله العصيمي ، بداية القرن الثالث الهجري و حتى سقوط غرناطة (201-897هـ/817-1492م) ، رسالة مقدمة لنيل الماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة ام القرى ، السعودية ،(1430هـ/2009م)، ص199.

[3] شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 9- 10 .

[4] حسن حافظى علوي ، المرجع السابق ، ص 86-87 .

وشكلت في الأساس تاريخا مشتركا بين العدوتين ، جاءت إلى المغرب جالية أندلسية [1] أما في المغرب فقد استمر نفس الوقع على نفس الوثيرة ، وذلك بإسقاط الموحدين للحواضر المغربية ، وجدة ، أجرسيف ، فاس ، مكناسة، سلا ، ومراكش سنة (541هـ/1146م) ، و القضاء على آخر أمير مرابطي أبي إسحاق إبراهيم بن تاشفين ، وسقوط تلمسان ثم عبور الموحدين إلى اشبيلية .

بعد ذلك اتجه اهتمام الموحدين إلى القضاء على الثوار المريدين في غرب الأندلس ، بالتحالف معهم وإدخالهم في طاعتهم مرة ، وبحربهم مرة أخرى ، وكذلك إلى القضاء على المنتزين بالأندلس ، وفي حوالي سنة (546هـ/1151م)كان القسم الغربي من الأندلس كله قد صار تابعا للموحدين ، ثم تسلم الموحدون مدينة قرطبة نتيجة لمفاوضات مع حاكمها الأمير يحي ابن غانية المرابطي ، وبعد سبعة أعوام من صمود والي غرناطة ميمون بن بدر اللمتوني المرابطي ، وبعد أن امتد نفوذ الموحدين إلى معظم قواعد الأندلس الغربية والوسطى ، أضطر إلى تسليم المدينة للموحدين ، في شخص السيد أبي السعيد الموحدي والى سبتة والجزيرة الخضراء (551هـ/1156م) و هكذا أسدل الستار على عصر المرابطين في المغرب وشبه جزيرة الأندلس ، وان استمر في الجزائر الشرقية (البليار) مع بني غانية ، وبذلك انتهت فترة الانتقال ، ليدخل المغرب مرحلة جديدة [2] عرف المغرب و الأندلس خلال فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين تزامن ثلاثة أشكال للسلطة السياسية العليا للبلاد ، وقد صارع كل شكل منها الآخرين ، خلال هذه الفترة وشكّل هذا الصراع مظهرا من مظاهر الانتقال التي عرفها المغرب و الأندلس [3]

يكثر الشعراء منذ عصر الدولة الادريسية و يتكاثرون كثرة مفرطة في عصر دولة المرابطين و ما تلاها من عصور ، و عرضت أعلامهم المهمين في كل تلك العصور وما كان بها من دول ، وتحدثت عن شعراء الموشحات و تلمذة شعراء المغرب الأقصى لشعراء الأندلس [4] إن دولة الأدارسة هي أول دولة علوية سنية ، و أول من نقل الحضارة الإسلامية إلى المغرب و بذلك أصبحت العاصمة فاس مصدر إشعاع ثقافي داخل الدولة و خارجها و بفضلها انتشر الإسلام و اللغة العربية في كل أرجاء المغرب الأقصى و الأوسط و الأدنى، و غرب إفريقيا و الأندلس و كانت دولة الأدارسة على المذهب المالكي و كل رجالها أهل سنة و جماعة [5]

---

[1] عبد المجيد القدوري ، الموريسكيّون في المغرب ، (د ط) ، مطبعة المعارف الجديدة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط – المملكة المغربية ، (1421هـ/2000م) ، ص 81 ، أيضا : خينيس بيريث دي ايتا ، الحرب ضد المورسكيين ، ج2 ، ط ، القاهرة ، 2009 م ، ص44.

[2] مصطفى بن سباع ، السلطة بين التسنن و"التشيع "والتصوف مابين عصري المرابطين والموحدين ،ط ،مطابع الشويخ ، تطوان، 1999م ، ص 12.

[3] مصطفى بن سباع ، المرجع السابق ، ص 13.

[4] شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 9- 10 .

[5] حسين مؤنس ، تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن السادس إلى القرن 19 الميلاديين ، ط ، دار العصر الحديث للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1992 م ، ص 372 .

و تمكن بفضل فصاحة لسانه وبلاغته من التأثير في البربر خاصة بعد أن عرفوا قرابته من الرسول (ص) فاجتمعت القبائل حوله و أطاعته و أسلمت على يده طوعا و كرها [1] فبذلك كان لدولة الأدارسة أثر كبير في التعريب وخاصة بعد انتصار مذهب السنة و الجماعة وفقا لمذهب "مالك بن أنس" الذي كان له أثر كبير في توجيه النواحي الثقافية و الاجتماعية [2].

قامت دولة المرابطين على أساس دعوة دينية إصلاحية ، اعتمدت على مبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، موظفة المذهب المالكي ، وعاملة على التمكين له في السودان و المغرب و الأندلس ، ضدا على بقايا العبادات الوثنية في السودان والمغرب ، وبقايا النفوذ الخارجي البورغواطي ، خاصة في المغرب الأقصى ، وبقايا التأثير الشيعي هناك أيضا وفي كل الغرب الإسلامي ، وقد شكل الصنهاجيون ، عصب الدعوة والدولة المرابطية ، خاصة منهم قبائل جدالة و لمتونة و مسوفة ، التي كانت مضاربها تمتد على القسم الشمالي الغربي من الصحراء الكبرى ، وقد استفادت هذه القبائل ماديا من سيطرتها على طرق القوافل التجارية ، التي كانت تمر عبر أراضيها بما استخلصته من رسوم على تجارة المرور ، كما شاركت في التجارة بين الشمال وجنوب الصحراء ، حين سيطرت على مناجم الملح ، وبادلته مع المغرب الأقصى شمال الصحراء بالمنتوجات الفلاحية ، و مع السودان جنوبها بالتبر ، وهكذا أصبحت هذه القبائل حلقة وصل تجارية بين السودان و المغرب [3]

ادخل الأندلسيون إلى المغرب في هذه الفترة فن التوشيح ، إذ توافد عليه عديد من الوشاحين ، ومن هؤلاء أبو بكر بن زهر الحفيد ، كما ادخلوا إليه الزجل الأندلسي حتى أصبحت مقروءة بالمغرب ، ومن الزجالين الأندلسيين به نذكر سهل بن مالك الغرناطي ، وهناك صنف ثالث من الشعر الغير المعرب كان لجالية الأندلس بالمغرب دور في نشره به ن يقول ابن خلدون في هذا الصدد : "..ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فن آخر من الشعر في اعاريض مزدوجة كالموشح نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضا .. فاستحسنه أهل فاس وولعوا به و نظموا على طريقته .. و نشير في الأخير أن الموسيقى الأندلسية تسربت في هذا العصر إلى المغرب أيضا انطلاقا من العصر المرابطي [4] هكذا اندفع المرابطون بقيادة أبي بكر بن عمر ومن هؤلاء ابن باجة رائد هذه الموسيقى ، اذ استقر بالمغرب عشرين سنة كوزير لمخدومه يحي بن تاشفين ، ومن الموسيقيين الوافدين من الأندلس كذلك في ، يساعده يوسف بن تاشفين ، نحو جنوب المغرب ، فسيطروا عليه ابتداء

---

[1] ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج1، ص 210 .

[2] سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، تاريخ دولة الأغالبة و الرستميين و بني مدرار و الأدارسة حتى قيام الفاطميين ، ج2 ، (د ط) ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1979 م ، ص 510.

[3] مصطفى بن سباع ، المرجع السابق ، ص 14 .

[4] محمد رزوق ، المرجع السابق ، ص 38 .

من سنة (448هـ/ 1056م) حين سقطت سجلماسة في أيديهم وقضوا على مغراوة الزناتيين ، بعد ذلك هاجموا البورغواطيين في السهول الأطلسية ، وخلال الصراع معهم ، سقط داعية الحركة المرابطية عبد الله بن ياسين قتيلا ، واستمر الصراع إلى أن تمكن المرابطون من إخضاع بورغواطة ، ثم أسقطوا باقي الحواضر المغربية ، بعد ذلك انتقلوا إلى المغرب الأوسط الذي سيطروا عليه إلى حدود إمارة بني حماد أصحاب القلعة ، وذلك سنة (473هـ/1080م) وفي الأخير انتقلوا إلى الأندلس ، حيث أحرزوا هناك نصر الزلاقة الشهير عام (479هـ/1086م) وعملوا بعد ذلك على إسقاط ملوك الطوائف وضم الأندلس ، وهكذا استطاع المرابطون أن يوحدوا ، لأول مرة المغرب الأقصى بامتداده الصحراوي و السنغال و النيجر وغرب المغرب الأوسط و الأندلس إلى سرقسطة شمالا [1].

انتشر التعليم في بلاد المغرب خاصة بين البربر ليتمكنوا من القراءة و تأدية الصلاة و فهم تعاليم الدين الإسلامي و تكون حياتهم اليومية منسجمة مع تعاليمه، حيث كان التعليم في المغرب الأقصى يتم في المساجد و الكتاتيب و حتى المكتبات [2]

المبحث الثاني : أثار الحركة : لعل أبرز أثر للهلاليين في المغرب الإسلامي هو تعريبهم لهذه المنطقة ، عملية التعريب هذه التي دوخت المتتبعين ، لاسيما مؤرخي المدرسة الاستعمارية الفرنسية ، الذين لم يجدوا تفسير للسرعة التي تمت بها عملية التعريب في المغرب الإسلامي ، فها هو فيكتور بيكي victor piQuet يقول : في أواخر القرن الرابع عشر تعربت القبائل المغربية مثل هوارة و لواتة و كتامة و صنهاجة ، فبالرغم من المضار و المساوئ العديدة التي أحدثها دخول الهلاليون أول الأمر إلى المغرب ، إلا انه يعود لهم الفضل في تعريب البلاد وتخفيف حدة اللهجات المحلية في القرى المغربية التي لم تصل إليها قبل إشعاعات الحضارة العربية ، فالعرب الأولون (الفاتحون) الذين دخلوا المغرب ، لم يستطيعوا تعريب البلاد ، فظلت بربرية اللغة كما يقول شارل اندريا جوليان ، وصدق حسن أحمد محمود إذ يقول : لكن الهجرات العربية التي تركت أثرا واضحا في حياة المغرب ، هي هجرات الهلاليين و أحلافهم ، هذه الهجرات التي كان لها الفضل في نشر الدم العربي و اللسان العربي في المغرب [3]

لم يتوقف نشاط بنو هلال ، عند حلولهم إلى أرض المغرب الإسلامي ، على تقويض صرح الدول التي كانت قائمة آنذاك (الدولة الصنهاجية بافريقية و الدولة الحمادية) بل امتد نشاطهم السياسي في كل أرجاء افريقية و المغرب بأجمعه بعد ذلك ، وكانت لهم كلمتهم في تحديد معالم سياسية المغرب الإسلامي

---

[1] مصطفى بن سباع ، المرجع السابق ، ص 16.

[2] عبد الرحمن عثمان حجازي ، المذهب التربوي عند ابن سحنون ، (د ط) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (1406هـ/1986م) ، ص 40.

[3] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 196.

لاحقا ، فكانوا عنصرا فعالا مساهما في قيام الدول المغاربية ، وفي سقوطها كذلك [1] ولقد كان من نتائج سلوك هؤلاء الاعراب أن انطبعت البيئة المغربية في هذا العصر بطابع الحياة البدوية بجميع أشكالها وضروبها المختلفة نظرا لما اتصفوا به من كثرة التنقل و عدم الاستقرار ، فكانوا بطبيعتهم البدوية يحتلون بقعة من الأرض لخصبها ووفرة مياهها [2] دليلا على الارتباط المتين القائم في نفوسهم بين الإسلام و اللغة العربية بصفتها لغة القران الكريم [3].

أولا: الآثار الاقتصادية : و أما تأثيرهم في الحياة الاقتصادية فقد كان تأثيرا متزنا ، فأخذ الهلاليون عن المغاربة أساليب الزراعة و التجارة التي مهروا فيها فيما بعد [4]

و جئت لأرض الزاب تذرف أدمعي لتذكار أطلال الربوع الطواسم
وشبكت عشري فوق رأسي فلم أجد بها مخبرا غير الربى و المعالم [5]

ثانيا : الآثار الاجتماعية : لقد كان زحف بني هلال على افريقية و المغرب الأوسط ذا تأثير على الحياة الاجتماعية و الثقافية أيضا ، أما تأثيره الاجتماعي فيبدو في دخول عناصر جديدة بدوية في هيكل المجتمع المغربي ، وكانت لهذه العناصر خصائصها العقلية و الخلقية من حب الشجاعة و الحرب و الكرم و الأدب ، و كره النظام و الحكومة المركزية و الضرائب و أساليب الحضارة المزيفة و غيرها ، و لا شك أنهم بمخالطتهم للقبائل البربرية قد أثروا فيها و تأثروا بها في المدن و القرى [6] ولعل بساطة الحياة الاجتماعية التي تميز بها سكان المغرب و التي تشبه إلى حد كبير بساطة عيش بنو هلال ، التي سهلت من ذوبان المغاربة في العرب ، وجعلت منهم مجتمعا واحدا يتقاسم البيئة المغربية [7] الإسلام لم يأت لتغيير الجانب الاجتماعي فقط ولكن أتى ليغير الجانب الروحي خاصة للإنسانية [8] لقد ترك بنو هلال اثر اجتماعي بالغ في المغرب

---

(1) عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 177.

(2) محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 30 – 31.

(3) إسماعيل العثماني ، المرجع السابق ، ص 189.

(4) عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 175.

(5) أبي زكرياء يحي بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تحقيق : بوزيان الدراجي ، ج2 ، (د ط) ، دار الأمل للدراسات ، 2007 م ، ص 81.

(6) عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 174-175.

(7) عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 189.

(8) MIMouni , I'Islam Ag r sse Edition , : E n l , 1990, p . 63

الإسلامي [1] إن الصلة بين الهلاليين و الطبيعة في بلاد الغرب لم تنشا من مجرد تحولهم إلى غزاة بل كانت نتاجا لعوامل اجتماعية [2]

أما العامل الاجتماعي فهو من أهم العوامل في حياة اللغات ، فانتقال مجموعة بشرية معينة من مكان لآخر واختلاط المجموعة الوافدة مع السكان الأصليين كفيل بخلق علاقات لغوية جديدة ، ومن المعروف أن هجرة القبائل العربية عقب الفتح الإسلامي وفي القرون التالية للشام والعراق ومصر والمغرب كانت من أهم العوامل في انتشار اللغة العربية ، وبذلك لم تعد اللغة العربية لغة شمال الجزيرة العربية فحسب بل أصبحت بمضي الوقت لغة الحديث والعلم والأدب في الدول الإسلامية الكبرى [3] لعل الحروف العربية أجمل ، وقد حلّت في التمدن الإسلامي محلّ التصوير و النقش من الفنون الجميلة ، فزيّنوا بها أبنيتهم ورياشهم و أنيتهم و أسلحتهم وأعلامهم ، و من زار الحمراء في اسبانيا رأى من الزخارف الكتابية على جدرانها ما يروعه و يغترق بصره ، لان الحروف العربية تتألف من كلّ الأشكال [4]

وقد قال النبي (ص) :" انّ من البيان لسحرا " [5] أما بالنسبة للمغرب فان الامتزاج البشري الذي حدث حدث به كان أقل مما جرى في الأندلس ، ثم إن الجاليات العربية التي استقرت به كانت قليلة ، مما جعل الاحتكاك الفعلي بين العنصرين البربري و العربي ذا مفعول بطيء و جعل المغاربة برغم دخولهم في الإسلام يظلون في حالة انطواء بالقياس إلى جيرانهم من أهل الأندلس ، وهكذا فالاختلاف بين البيئتين يمكن بالأساس في كون طابع البداوة كان هو الغالب بالمغرب في حين كان نصيب الأندلس من الحضارات أقوى ، غير أننا لا ننسى مع ذلك إن الامتزاج الحضاري و السياسي بين البيئتين قد تم بالفعل في ميادين متعددة على مر العصور ، فمن الناحية الحضارية لا ننسى أن الجالية البربرية المستقرة في الأندلس كان لها دورها في الحياة الاجتماعي ، كما أن الانصهار بين المجتمعين وقع بالفعل ، فحضور المغرب بالأندلس كان واضحا لفترات عديدة و جاهد المغرب جنبا إلى جنب مع أخيه الأندلسي [6] أما العرب الذين استقروا بشمال إفريقيا.. نظرا للقرب الجغرافي لهذا البلد من موطن العرب الذي انطلقت من الفتوحات [7]

---

[1] عبد الحميد خالدي ، المرجع نفسه ، ص 188.

[2] عبد الحميد بوسماحة ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 318 - 317.

[3] مريم عبد الحسين التميمي ، المرجع السابق ، ص 8.

[4] خليل السكاكيني ، المرجع السابق ، ص 46 .

[5] الخفاجي ، المصدر السابق ، ص 37 .

[6] محمد رزوق ، المرجع السابق ، ص 27.

[7] محمد بودهان ، في الهوية الأمازيغية للمغرب ، ط ، 2013 م ، ص 27.

ثالثا : الآثار الدينية : نجد معلومة في غاية الأهمية عن فتح العرب للمغرب عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة ، بدءا من عهد الفاتح عقبة بن نافع الفهري و خليفته أبي المهاجر دينار ، فحسان بن النعمان وجهوده في نشر الإسلام ، وقصة صراعه و حروبه مع زعيمة الاوراس الكاهنة ، التي انتهى مصيرها بالقتل ، ودخول المغرب الأوسط في الإسلام .. لواء الإسلام والدفاع عنه ونشره في بقية المناطق : ويواصل ابن عبد الكريم حديثه عن أخبار الفتح أيام موسى بن نصير ، الذي استكمل عملية الفتح الإسلامي و هكذا ، وعلى الرغم من قلة المادة الخبرية التي نجدها بكتب الفتوح ، فهي ترصد كل ما يتعلق بالخراج و العطاء من الناحية التشريعية ، واتخاذ القرارات بشأنها ، حيث يحدثنا البلاذري في كتابه (فتوح البلدان) في عنوان مستقل عن (أحكام الأراضي الخراج) ، ويذكر هذا الأمر أصول تشريع الخراج ، وأقوال الفقهاء فيه [1] بنشر الإسلام [2]

حقيقة اجتماعية أثبتها التاريخ حيث رأينا شعوبا كانت تتوفر على لغة قديمة ففقدتها أو كادت بفعل التأثير الأجنبي المقصود أو غير المقصود ، أما البربر فكانوا يتحدثون بلهجة بل بلهجات مختلفة متميزة عن لغة العرب ..حوت كثيرا من الألفاظ العربية ، كما اشتملت على كثير من أدوات النحو و المخارج الحروفية التي نجدها في اللغة العربية ، وهكذا نجد أسماء كثيرة في ميادين مختلفة في حياة الأسرة أو في مرافق أخرى تكتسي طابعا حيويا ، نجدها مستعملة عند العرب و عند البربر بنفس المعنى : فالموت و الحياة ، والبيت و الدم و الباب و الساقية و غيرها من الألفاظ الكثيرة التي لا يمكن حصرها هنا يستعملها العرب كما يستعملها البربر على حد سواء أو بشيء من التحريف ناتج عن عوامل بيئية محضة أو حركات هجرية ، أهم من هذا الشلحيين ينطقون بحرف الضاد كما ينطق به العرب أنفسهم رغم انفراد اللغة العربية [3] هناك ظواهر أخرى مشتركة لا يمكن أن نقف عندها هناك لتعددها و حاجة الباحث فيها إلى تحليلها بإظهار مصادرها و العلاقات التي تربطها بغيرها من الألفاظ و أدوات النحو التي تنطوي عليها اللغة العربية [4] ويستدل كذلك على عروبة البربر [5]

---

[1] صالح بن قربة و آخرون ، المرجع السابق ، ص 14 - 15 .

[2] محمد بودهان ، المرجع السابق ، ص 3.

[3] محمد بن احمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 28- 29 .

[4] محمد بن احمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 29 .

[5] الأستاذ المختار السوسي كما يدل نسبه هو من أصل سوس ، قبائل بربرية تسكن منطقة من المناطق المغربية النائية ، اديب مغربي مشهور وفقيه لغوي كرس حياته على دراسة و تدريس اللغة العربية كما اهتم خصوصا بتاريخ إقليم سوس و علمائه و أدبائه و مشاهير رجاله و لقد أبرز في هذا البحث وجوه الشبه بين اللغة العربية و الشلحية وسرد أسماء كثيرة و عبارات متعددة تحدث عن أصلها و تطورها وما لحقها من تحريف ثم أرجعها إلى مصدرها الأصلي و هو اللغة العربية ومما يزيد البحث قيمة أن الأستاذ المذكور خرج بنتيجة أخرى و هي إن الشلحية في سوس و غيرها من قبائل البربر تستعمل كلمات قديمة سبقت

و لقد أدى دخول بنو هلال لبلاد المغرب الإسلامي ، أن انقسمت بلاد المغرب إلى طوائف على نحو ما حدث في الأندلس ، عقب سقوط الخلافة الأموية بقرطبة ، فقد استولى بنو هلال على المناطق الممتدة في الداخل من قابس إلى الغرب ، وظل بنو زيري يحتفظون بالمهدية و ما يليها و استقر بنو حماد في بجاية [1] و أما العلوم اللسانية فكان مبعثها أيضا دينيا ، فأهم سبب لوضحه النحو المحافظة على القران من أن يلحن الناس فيه ، وأهم باعث لجمع اللغة معرفة لغة القران [2] و فضلا عن كونها لغة القران الكريم ، وتتمتع بذلك بنوع من القداسة ، كسبت اللغة العربية بعدا جديدا في استعمال الموريسكيين لها ..كانوا يشعرون بالحرج وربما بالذل بسبب استعمالهم للغة الاسبانية بدلا عن العربية [3]

سمح هذا الوضع الاجتماعي المتميز للجالية الأندلسية ببجاية لجماعة علماء الأندلس أن تقدم إسهاما فعليا ، وان تكون لها مشاركة ايجابية في تطوير القافلة العربية الإسلامية ببلاد المغرب ، مما ساعد على تأصّل التراث الأندلسي و أبقى الطرق و الأساليب العلمية الأندلسية حية ، ومكّن من المحافظة على المكتبة العربية الأندلسية بما احتوته من تصانيف في مختلف العلوم النقلية والعقلية سواء ما يتصل منها بأمور الفقه أم فنون الأدب والمعارف الرياضية و الطبية ، ولعل أهم إسهام للمدرسة الأندلسية البجائية في تطوير الثقافة العربية الإسلامية ببجاية خاصة و المغرب الأوسط عامة يتمثل في تجديد طريقة الدراسة و تطويرهم أساليب تلقي المعلومات ، فتجاوزوا الطريقة المغربية التقليدية المعتمدة أساسا على تحفيظ القران ورواية الحديث و الاطلاع على مبادئ علوم الشرع و اللغة و التي ذكرها ابن خلدون بقوله : " مذهبهم في الولدان الاقتصاد على تعليم القران " إلى أساليب متطورة لا تقتصر فقط على الحفظ و إنما تولي أهمية خاصة للبحث و التفكير و إلقاء الأسئلة و المحاورة و المذاكرة بهدف إفهام الطالب و ترسيخ المعلومات في ذهنه حتى يكون من المحصلين ، ومما يؤكد الأخذ بهذه الطريقة التي تميل إلى التحليل و الاستنتاج ما كان يقوم به بعض أعلام بجاية الأندلسيين ، فقد ذكر أن أبا محمد عبد الحق الاشبيلي و أبا عبد الله محمد بن عمر القرشي و أبا على المسيلي الأندلسي كانوا يتناظرون في مباحث العلم والفقه بإحدى الحوانيت بطرف حومة المقدسي ببجاية ، ويواظبون على ذلك حتى عرف ذلك الحانوت بمدينة العلم [4]

الفتح الإسلامي ، الشيء الذي يثبت في نظره مصدرا واحدا لها و هو اللغة العربية كما يثبت وجود العرب قبل الفتح الإسلامي بقرون ، انظر: محمد بن احمد ابن شقرون ، المرجع نفسه ، ص 29 -21.

(1) عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 178.

(2) أحمد أمين ، المرجع السابق ، ص 362 - 363 .

(3) إسماعيل العثماني ، المرجع السابق ، ص 191.

(4) ناصر الدين مولود سعيدوني ، الأندلس : قرون من التقلبات و العطاءات ، المرجع السابق ، ص 84.

رابعا : الآثار الثقافية : كان من الآثار الثقافية ، التي رعاها رجال الدعوة ، و الفتح إن غدت القيروان مرجلا يغلي بالدراسات ، والنقاش المذهبي فتنوعت حلقات مساجد القيروان ، ما بين وأصلية ، وخارجية ، وسنية ، وشيعية ، و تعايشت فيها مذاهب العراقيين ، والشافعية ، و المالكية ، والاوزاعية ، و الظاهرية ، حتى كتب الظفر نهائيا ، على يد أسد بن الفرات ، ثم على يد سحنون للمذهب المالكي ، وللتيارات المدنية ، و محيت المذاهب الأخرى خاصة منها مذهب أبي حنيفة النعمان [1] أثر بني هلال على الناحية العلمية يتمثل في تعريب المنطقة ، و ترسيخ العربية فيها ، حيث قامت العربية بدور حاسم في بلاد المغرب الأوسط أثناء الدولة الحمادية ، على اثر هجرة بني هلال و بني سليم إلى افريقية ، واستقرار قبائلهم القوية العتيدة في مختلف سهولها و هضابها ، ذلك أن العربية قبل الحملة كانت لغة الطبقة الحاكمة ، أما اللهجة المغربية فكانت لغة العامة ، حيث كان العرب في البلاد أقلية ، لا يستطعون أن يطبعوا البلاد بطابع عربي قوي [2] فان هذه الفترة التي عرفت نشاطا كشفيا هادفا ، أعقبه فتح ثقافي دائم ، بعد حروب صعبة ، تبادل فيها الحيان النصر ، والهزيمة و عرفت صراعا سياسيا ، ومذهبيا ! استفاد منه الحيان أيضا على خلاف في القدر و المقدار ، هي مفخرة العرب و المسلمين ، لأنها وضعت أثناءها أسس استيطان العرب ، وقواعد تعريب المغرب ، وصهر سكانه ، في بوتقة المجموعة العربية الإسلامية ، وفي أثنائها ، عبدت الطرق لكي تنتشر مظاهر الحضارة الإسلامية ، ومنها علم المدينة ، ومذهب إمامها ، مالك بن انس ، فأصبحت جزيرة المغرب و الأندلس من أعز البقاع الإسلامية جانبا ، و أكثرها نفرا و امنع القلاع المالكية ، و أكثرها حفاظا على المثل الإسلامية ، ودفاعا عن حمى الدين و العربية [3] فالنوازل التي وردت في الموضوع بالنسبة لهذه الفترة كثيرة ، و هي تؤكد وقوع حوادث من النوع الذي يشير إليه مؤلفنا : فهنالك السب و هناك القدح في النسب الشريف وهنالك التنصر على اثر سب النبي أيضا ، والملاحظ أن هذه النوازل قد بدأت ضئيلة تدخل في حكم الناذر في منتصف القرن الثامن ، ثم أخذ عددها يتزايد في القرن التاسع ، و الملاحظ أيضا أن الأحداث التي تعكسها هذه النوازل قد وقعت في مختلف عواصم المغرب كله ولم تقع بفاس و حدها ، ومعنى هذا ولا شك أن مشكل علاقات الأشراف بغيرهم من فئات المجتمع كان مطروحا في سائر أقطار الشمال الإفريقي ، ومع ذلك فان المفروض مبدئيا أن المشكل لم يكن قائما بنفس الأسلوب في مختلف العواصم و إنما كان أشد حدة بفاس منه بتلمسان و القيروان [4] وبغض النظر عن المناقشات التي دارت و لا تزال مستمرة

---

[1] موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 134.

[2] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 194.

[3] موسى لقبال ، المرجع نفسه ، ص 175.

[4] محمد القبلي ، المرجع السابق ، ص 116 .

حول نتائج قدوم الهلاليين و السليميين إلى المنطقة ، فان مما لا شك فيه أن العملية في حد ذاتها كانت عملية انتقامية بالدرجة الأولى [1] اللغة العربيّة هي إحدى اللّغات السّاميّة و قد تباينت أراء العلماء في تعيين منشأ هذه اللّغات و ما قد يكون لها من الصّلة باللغة الساميّة الأصليّة .. و يرون أن صفات الساميّين العنصريّة ، ومنها الإيمان الشديد و التعصّب و التصور ، و تدلّ على أصل صحراويّ يجعلونه بلاد العرب [2]

تبتدئ العلاقات بين العدوتين في العصر الإسلامي مع الفتح على يد طارق و جنده من المغاربة ، وتستمر إلى غاية سقوط غرناطة ورجوع الأندلسيين إلى العدوة المغربية ، ولن نوغل في تتبع هذه العلاقات و تطورها في مختلف الميادين ، وإنما نقتصر على إشارات تهم الصلات السياسية و الحضارية [3] فكانت هجرة بني هلال وبني سليم الحملة الثانية بعد الفتوحات الإسلامية ، هذا فيما يتعلق بالفكر والثقافة ، والحملة الثالثة فيما يتعلق بالعرق و الأصل ، بداية بالفينيقيين ، ولذلك تغيرت الوضعية العربية في البلاد و تعزز أمرها باستقرار تلك القبائل العتيدة ، فأخذت عندئذ الأخلاق العربية تنتشر و اللغة تعم [4] ولما كان دور بنو هلال فعالا في تعريب المغرب ، فان قضية تعريب المغرب الإسلامي العربي أضحت مرادفة لبني هلال ، فما من مؤرخ يتكلم عن بني هلال ، إلا ويشيد بدورهم في تعريب المغرب :

- فها هو أحمد توفيق المدني يقول : " وعلى كل ، فهجرة بني هلال و بني سليم هي التي طبعت البلاد الجزائرية بالطابع العربي أبديا ، وركزت فيها اللغة العربية على أساس متين " .
- و ها هو عثمان سعدي يقول في هذا المجال كانت ايجابية لأنها ساهمت بحسم في تعريب ".
- و يقول الشيخ البشير الإبراهيمي : " إن بني هلال خربوا ، لكنهم عرّبوا ...".
- وها هو قول موسى لقبال ، يجمل كل ما قلناه ، في قوله :" تغريبية بني هلال التي طبعت المغرب بطابعه الأبدي الخالد ، طابع العروبة و الإسلام ، فانضم المغرب العربي الإسلامي ليكوّن العالم الممتد من المحيط إلى الخليج ".

لقد استطاع الطابع العربي أن يغلب على الثقافة المغربية منذ حلول بني هلال بالمغرب الإسلامي ، فقد ساعد على ذلك أن الثقافة العربية ..نتيجة الأثر الحضاري الهلالي ، و كونت الملامح الأساسية للشخصية الثقافية

[1] محمد القبلي ، المرجع نفسه ، ص 16-17 .

[2] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 48 - 49.

[3] محمد رزوق ، المرجع السابق ، ص 28.

[4] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 194.

المغربية [1] حافظت العربية على ما يبدوا على المحتوى الفونيمي للسامية الأولى بلا تغير ويجرى ذلك على الحركات أيضا ، إلى أي مدى يصدق ذلك على العربية القديمة أيضا أمر يصعب الخوض فيه ، لان معارفنا عن نظام التصويت النطق فيها يرتكز أساسا على نقل متأخر نسبيا للأسماء إلى اليونانية و العربية الشمالية مثلا [2] ولكن كان من الصعب على الحضر المستعربين أن يتحملوا مسؤولية قرارات تتعلق بالصحة اللغوية ، بل في حقيقة الأمر كان الاستخدام اللغوي المغاير من قبل تلك المجتمعات الحضرية هو الذي سبب القلق على مستقبل العربية عند من يرون أنفسهم ورثة الحضارة البدوية من العرب الاصلاء ، وحتى لو لم نكن نصدق ما قاله المؤرخون المسلمون كابن خلدون من أن الفساد اللغوي هو الذي أدى إلى قيام النحو العربي ، فلا يمكن أن ننكر أنه في الحقب الأولى من الفتح كانت هناك حاجة ماسة لمن يتخصصون في اللغة العربية و تعليمها [3] وأن الدور الذي لعبه بني هلال و بني سليم هو خلق هذا الامتزاج العربي المغاربي ، فأصبح مجتمع متجانس و مندمج في إطار العروبة و الإسلام منذ قرون ، حيث كان للوجود الهلالي ووجود بني سليم .. مساهمة فاعلة في تعريب و تعميق الفكر الإسلامي ، وساهم الهلاليون و بني سليم على مرّ التاريخ .. بالدفاع و الذود على إقليم المغرب الأوسط ، فكانوا السند و الذراع الأيمن للدولة الحمادية في حروبها و مقاومتها للنورمنديين و المسيحيين الغربيين الغزاة ، وفي العهد المرابطي ، لعب الهلاليون و بني سليم دورا في ترسيخ المذهب المالكي ، وكانوا مع ثورة الفقهاء المتنورين ، لا الفقهاء الزنادقة ، أما في العهد الموحدي ، فقد ساهم الهلاليون وبني سليم في بناء الوحدة السياسية .. وتميز دور بني هلال بعد نهاية الدولة الموحدية [4] إن أهم المناطق الناطقة بالبربرية في هي : الاوراس ، جرجر (القبائل) قورارة ، الهقار ، ميزاب ، وكذا بعض الجزر المنتشرة هنا وهناك في باقي الوطن هذا و تضّم الاوراس و القبائل ووادي ميزاب جلّ السكان الناطقين بالبربرية ، و هذه الشساعة الجغرافية يوازيها تنوّع لغوي مدهش قد يؤدي – حسب سالم شاكر – إلى انتقاء التفاهم بين الناطقين ، أهم اللهجات البربرية : القبائلية (منطقة القبائل) الشاوية (الاوراس) الميزابية (وادي ميزاب) والترقية (توارق الهقار) [5] .

لقد انتشرت العربية بفضلها انتشارا لم يسبق للمغرب أن عرفه من قبل و عمت حركة التعريب كثيرا من القرى و البوادي حتى أصبحت اللغة العربية هي اللغة السائدة في البلاد و هي اللغة الرسمية للدولة خلافا

[1] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 199 ، أيضا : عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 272.

[2] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 31 .

[3] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 80.

[4] عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص 234- 235 .

[5] خولة طالب الابراهيمي ، المرجع السابق ، ص 25.

لما كان عليه الأمر زمن الموحدين أو العصر الذي سبقه ، وهكذا عربت قبائل كثيرة لم تكن تعرف سوى البربرية بل هناك من القبائل من عربت نهائيا وفقدت "بربريتها " حتى أصبح يشك في أمرها و يستبعد أن تكون بربرية في بدايتها [1]

يتفق فريق ممن كتبوا في قضية التعريب أن ازدهار الحضارة الإسلامية ، واتساع نطاقها وتنوع أفاقها كان من العوامل التي أدت إلى التعريب ، فهذه الحضارة لم تترك ميدانا من الميادين ذات الخبرة الإنسانية لم تسهم فيه بسهم وافر ، سواء الدراسات النظرية و العملية و الأطعمة و الاشربة و العقاقير و الأسلحة و الفنون و الصناعات و النشاط التجاري و البحري .. ويعنينا في هذا المقام أن اللغة العربية كانت أداة تلك الحضارة العظيمة [2] و هكذا ننتهي بأن تفوق الحضارة الإسلامية قد أدى إلى انتشار اللغة العربية في كل ربوع العالم بدليل انتشار كثير من الكلمات العربية في كل اللغات ولكنه لم يؤد إلى التعريب [3] و إلى جانب ذلك يجدر بنا أن لا نغفل حركة التعريب التي انتشرت في هذا العصر أكثر من غيره ..وبفضل استقرارها في بعض الأماكن عمت المغرب موجة من الاستعراب بحيث وقع اندماج كثير من القبائل البربرية التي أصبحت بحكم هذا الاحتكاك لا تعرف سوى اللغة العربية ، بل أصبحنا نلاحظ ظاهرة عكسية تجلت في مقاومة كل من شأنه أن يمس بسلامة اللغة العربية أو يحرفها أو يخرج بها عن إطارها الأصلي ، فكان ذلك رد فعل لهذا النقص ، يكدون ويجتهدون عاملين على تخليص اللغة مما أصابها من تحريف و دخيل ، وفي هذا الصدد تحدثت بعض المصادر التاريخية عن محاولات قام بها بعض المغاربة حفاظا على سلامة اللغة و إبعاد عنها كل شبهة و شائبة ، من ذلك ما ألفه في هذا الموضوع ابن هاشم اللخمي السبتي المتوفي سنة (575هـ/1179م) و مؤلفه الذي يهمنا في هذا الميدان هو "المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان " وقد ألفه تحقيقا لهذا الغرض الذي أشرنا إليه ، أي لمحاربة اللحن الذي لاحظه على ألسنة بعض العامة ، ولقد كان لهذا العالم مؤلفات أخرى قيمة تدل على باعه الطويل في علوم اللغة ، منها :"شرح الفصيح لثعلب وكتاب الفصول والجمل في شرح أبيات الجمل و في إصلاح ما وقع في أبيات سيبويه و شرحها للأعلام من الوهم و الخلل ".. مما يدل على استعراب القوم استعرابا كليا [4] و قد كان من نتائج التوسع الإسلامي في العالم القديم انتشار اللغة العربية [5] يضاف إلى التعريب الجنسي أيضا التعريب اللغوي نتيجة للاختلاط والمعايشة

---

[1] محمد بن احمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 32.

[2] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 158.

[3] محمد عادل عبد العزيز ، المرجع نفسه ، ص 159.

[4] محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 206 .

[5] موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 136 .

اليومية ومن ثم تعلّم البربر سكان البلاد الأصليين لغة الوافدين وهي اللغة العربية وانتشرت [1] و قامت أول جامعات أوربا في " سان رتو " بصقلية، على مثل جامعات المسلمين في القرن التاسع ميلادي بما فيها جامعة قرطبة [2] و الذي يخرج به الدارس للمعرّب عند العرب هو مدى استيعابهم للغتهم ، وإحصائهم المستفيض [3] لقد أعطى المسلمون لهذا المجتمع أعظم المثل ، وليس غريبا أن يتغنى كثير من كتاب الغرب أنفسهم بالمثل العربية ، التي ضربها المسلمون للشعوب الأوربية المسيحية ، يقول غوستاف لوبون في هذا الأمر :" .. واتصفت أخلاق العرب في إسبانيا بالفروسية المثالية، إلى جانب تسامحهم العظيم، فكانوا يرحمون الضعفاء، ويرفقون بالمغلوبين ويقفون عند شروطهم ، ويحترمون عهودهم إلى غير ذلك من الصفات التي اقتبستها الأمم النصرانية من العرب .. الفصاحة ، القوة و المهارة في ركوب الخيل والقدرة على استعمال السيف والرمح و النشاب" [4] ويقول مصطفى الرافعي: " لقد هذبت طبائع الأمراء الأقطاعيين الخشنة الغلظة في القرون الوسطى بفضل علاقاتهم التجارية بالعرب وتقليدهم لهم، وقد تعلم أشرافنا وفرساننا رقة العواطف ولين الطبائع وحسن الأخلاق من العرب " [5] فقد انتشر هذا الدين وانتصر في بلاد المغرب في القرن الثامن و اكتسب الفتح العربي دواما وتواصلا ميزاه عن الغزو البونيقي أو الغزو الروماني الذين سبقاه ، وبدأت تقوم شيئا فشيئا حضارة جديدة لغتها العربية و منطلقها الدين في افريقية وخاصة في عاصمتها القيروان التي عرفت ازدهارا ماديا و ثقافيا بعيد المدى [6]

قد ساعد ارتباط كثيرين من العرب و البربر بعلاقات المصاهرة مع أهل البلاد ، على شد أزر الحركة الإسلامية و تقويتها ، ونتيجة لهذا التصاهر ظهر جيل من المولدين الذين نشأوا على الإسلام ، وكان من أثر كثرة أبناء هذا الجيل من المولدين أن انتشرت اللغة الرومانية بين الأندلسيين وهي اللاتينية الحديثة و يسميها المؤرخون العرب " العجمية أو اللطينية " وعن طريق هؤلاء المولدين تداخلت العربية و الرومانية ، والى جانب المولدين ، كان هناك عدد كبير من أهل البلاد احتفظ بديانته من مسيحية و يهودية ، لكنه تعلم العربية و أخذ بأسلوب العرب .. كان دور المستعربين وهم عنصر فعال في الحياة الأندلسية من العوامل الهامة في نقل

[1] حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص 321 .

[2] ستانودكي ، المسلمون في تاريخ الحضارة ، ترجمة : محمد فتحي عثمان ، ط ، المطبوعات الجامعية، الجزائر ، (1406هـ/1986م) ، ص 104-106.

[3] سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 90 .

[4] G.Le Bon : La Civilisation Des Arabes, P248-286

[5] مصطفى الرافعي ، حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة ، (د ط) دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1978 م ، ص250.

[6] محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص 41.

الحضارة العربية إلى اسبانيا المسيحية لان المستعربين بحكم معرفتهم للغتين العربية و اللاتينية [1] ، كانوا أداة اتصال بين شطري اسبانيا وهم منذ الفتح لم ينقطعوا عن الهجرة إلى الأراضي المسيحية ، إلى جانب هؤلاء طائفة اليهود الذين كانوا عونا للعرب في حركة الفتح [2]

كانت مرحلة الفتوحات الإسلامية التي تلت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة بمثابة بداية التغيير الشامل في تاريخ اللغة العربية ، ففي غضون حقب قليلة جدا انتشر متكلموا العربية في منطقة جغرافية واسعة و فرضوا على سكان البلاد المفتوحة ، وبالرغم من أن متكلمي العربية كانوا موجودين في مصر و سورية قبل الفتوحات ، إلا أن لغتهم لم تكن قط لغة رفيعة خارج شبه الجزيرة العربية ، وبناء على ذلك لم يكن هناك دافع عند أي غير عربي أن يتعلم العربية [3] كان مدى الفتح العربي لاسبانيا و لا يزال ، كما نعلم ، موضوع جدل تاريخي ملأ صفحات كثيرة ، ذلك انه بالنسبة إلى تيار عام من التقليديين ، تندرج فيه أسماءِ معروفة مجال تاريخ العصر الوسيط الاسباني ، مثل رامون منندث بيدال ، وكلوديو سانشيز ألبورنوز ، وبالنسبة إلى هذا التيار لم يكن لضم الجزء الأكبر من شبه الجزيرة إلى الإمبراطورية الإسلامية (دار الإسلام) ، في الفترة الأولى على الأقل ، سوى نتائج محدودة في ما يخص الحياة الاجتماعية و الثقافية لسكانها ، فالفاتحون حسب هذا المنظور ، بعدد يبلغ بضعة آلاف من العرب ، وعدد لا يزيد عنه كثيرا من البربر القادمين من المغرب ، لم يقوموا إلا بدور الفاتح الذي لم يترك أثرا عميقا في النسق الحياتي ، ولا اندماجا في المجال الفكري .. وبناء على ذلك يظهر اعتناق الإسلام و تعريب اللسان كحدثين سطحيين لم يمسا سوى " البنية العليا " لاسبانيا المسلمة ، بحيث بقيت البنيات الأساسية محلية [4] لم أتطرق في الفقرات السابقة إلا لاستيطان الأول للبربر في اسبانيا ، الذي وقع بعد الفتح مباشرة في القرن الثامن ، وسوف نرى عناصر مغربية أخرى تبعت الموجة الأولى و قدمت لاستيطان الأندلس بعد قيام الخلافة ثم بعد زوالها أيام الحكمين المرابطي و الموحّدي ، ولكن الذين تكلمنا عنهم ستكون عنهم أهمية كبيرة في ما يخص التركيبة البشرية لسكان الأندلس فهم على الرغم من احتفاظهم بالسمات المميزة مدة طويلة ، وعلى الخصوص ما يتعلق منها بالتنظيم القبلي و العشائري ، قد تعرّبوا بسرعة على ما يظهر من حيث اللسان ، وقد رأينا أن النسب قد ذاب داخل العنصر العربي لزعمهم أنهم يرجعون إلى أصول مشرقية ، لذا أرى أنهم كوّنوا بصفة عامة عنصرا مهما من عناصر الاستشراق

---

[1] منى حسن محمود ، المرجع السابق ، ص 238- 239 .

[2] منى حسن محمود ، المرجع نفسه ، ص 238- 239 .

[3] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 101 .

[4] سلمى الخضراء الجيوسي ، المرجع السابق ، ص 961 .

، وسوف نجد من جهة أخرى بصفة مكررة في ما سوف يلي من هذا العرض مراجع خاصة بالعنصر اليهودي ، الذي يجب ألا ينسى في لوحة الخليط السكّاني في الأندلس [1]

ترك لليهود حريّة تعليم أبنائهم علوم التّوراة و الكتابة بالعبرية ، فضلا عن العلوم الأخرى مثل الحساب و الرّياضيّات التي دروسها على يد شيوخ مسلمين ، و يرى منتغمري وات انّ يهود اسبانيا خاصّة مدينين للفكر العربيّ بصورة مباشرة ، فجلس عديد منهم أقدام أساتذة يتكلمون بالعربيّة ، و ألّفوا كتبهم بها كابن ميمون الذي درس في مدارس قرطبة ، ومن شيوخه تلميذ من تلاميذ ابن باجة ، وأظهر بعض اليهود نجابة اعترف بها معلّموهم العرب [2] إن النثر أشد التصاق بالأرض من الشعر ، وقد تجلت هذه الحقيقة[3]

اللغة العربية هي النظام الرمزي الصوتي الذي اتفق عليه العرب ، ويستخدمه أبناء الأمة العربية منذ القدم في التفكير و التعبير و الاتصال و التفاهم ، وعنها يقول ابن خلدون في مقدمته :" اعلم أن اللغة العربية في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني فلا بد أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعل و هو اللسان ، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم ، وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات و أوضحها " فاللغة العربية وسيلة الإنسان العربي للتفكير .. وهي طريقنا إلى الحضارة رغم أنف المكابرين من المستشرقين ومن نهجوا ، وبواسطتها تنتقل خبرات الأجيال من جيل إلى جيل ، وبذلك يمهد الطريق للجميع للانطلاق نحو التقدم و الرقى ومن هنا تتأكد الأهمية العظمى للغة العربية [4] بل حازتها من منطلقات عديدة أهمها ما يلي :

1- عراقتها و قدمها : فاللغة العربية لغة عريقة ، وجذورها ضاربة في القدم حتى بعض الباحثين يذهب بنا إلى بعيد جدا كما فعل الأستاذ نذير حمدان في كتابه " اللغة العربية " حيث قال في الصفحة الثانية و العشرين ما نصه : " اللغة العربية لغة قديمة ، بل سحيقة في القدم ، وهي تضرب بوجودها الزمني الأرضي الأول إلى وجود أول إنسان ، فاللغة التي كان يتكلم بها أول إنسان ، وهو أبو البشر (ادم) عليه السلام ، كانت اللغة العربية ، ذلك أن لغته كانت لغة أهل الجنة و لغة أهل الجنة اللغة العربية ، كما ورد في الحديث الشريف :" أحبوا العرب لثلاث : لأني عربي ، والقران عربي ، وكلام أهل الجنة عربي "

---

[1] سلمى الخضراء الجيوسي ، المرجع السابق ، ص 970 .

[2] نافزة ناصر الشّرباتي ، المرجع السابق ، ص 97 .

[3] أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ط 1 ، منشورات دار الآداب، بيروت، 1966م ، ص 52-53.

[4] محمد صالح الشنطي و آخرون ، المرجع السابق ، ص 13 .

2 – شرفها و قداستها : فلغتنا العربية لها مكانة شريفة مقدسة في نفوس المسلمين في كل بقاع الأرض ، و قد استمدت شرفها و قداستها من كونها لغة القران الكريم ، دستور الأمة الإسلامية و نبراسها ، **قال الله تعالى : { كتاب فصلت آياته قرانا عربيا لقوم يعقلون }** [1]

التعريب بالمغرب هو إحلال اللغة العربية في التعليم محلّ اللغة الأجنبية و توسيع اللغة العربية بإدخال مصطلحات جديدة وإلزام الإدارة بعدم استعمال لغة غير اللغة العربية و السعي إلى أن تكون لغة التخاطب هي العربية وحدها و الدعاية لها ومقاومته كل الذين يناهضون لغتهم للتفاهم فيما بينهم بلغة أجنبية [2] ، صفوة القول أن التعريب هو جعل العربية أداة صالحة للتعبير .. وهذه المقومات التي تشكّل مفهوم " التعريب " [3] لها صبغة دينية من مكانتها باعتبارها لغة العباد و الوحي ، و يسرى هذا بصفة خاصة للغاية على العربية ، التي لازمها منذ بدء انتشارها الثقافي مزية كونها لغة الكتاب الموحي الذي أرسله الله ، و هو القران الكريم ، ففي القران الكريم نفسه ذكر انه كتاب أنزل إلى جانب كتب الوحي القديمة بلسان عربي مبين ، واكسب مكانة العربية المستشهد بها في هذا الذكر العرب الذين أسلموا ، وعيهم بذاتهم المميز الثقافي المرتبط باللغة على نحو خاص ، وفي ذلك لا يجوز بداهة أن نغفل أن العربية فيما مضى كانت معدة إعدادا طيبا لمهمتها الجديدة [4] كما أن اللغة العربية له الحديث النبوي الشريف حيث قال رسول الله (ص) في معرض ذكره لنعم الله عليه : " .. و أوتيت جوامع الكلم ، و اختصر لي الكلام اختصارا "

3– عالميتها : حيث استمدت لغتنا العربية صفة العالمية من عالمية الإسلام ..فيحتاج كل مسلم منهم إلى اللغة العربية ليقرأ القران ، ويؤدي الفرائض كالصلاة و الحج على خير وجه ، ولذلك ينظر كثير منهم من المسلمين إلى اللغة العربية نظرة تقديس ، بل و يعتبرون تعلمها وسيلة للتقرب إلى الله عز وجلّ ونقول بكل طمأنينة : أن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي لها صفة القدسة [5] يقول أبو منصور الثعالبي في كتابه بل في مقدمة كتابه (فقه اللغة و سر العربية) : " من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدا (ص) ومن أحب الرسول العربي أحب العرب أحب العربية ، ومن أحب العربية عنى بها و ثابر عليها ، وصرف همته إليها ، ومن هداه الله للإسلام ، وشرح صدره للإيمان ، واتاه حسن سريرة فيه ، اعتقد أن محمدا (ص) خير الرسل ، والعرب خير الأمم ، والعربية خير اللغات و الألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة

---

[1] سورة فصلت ، الآية : 03 .

[2] خولة طالب الإبراهيمي ، المرجع السابق ، ص 186.

[3] خولة طالب الإبراهيمي ، المرجع نفسه ، ص 186.

[4] أبي البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد الأنباري ، المصدر السابق ، ص 14 .

[5] محمد صالح الشنطي و آخرون ، المرجع السابق ، ص 14 .

العلم و مفتاح التفقه في الدين [1] و قد كان في الصحابة رضي الله تعالى عنهم – و هم البلغاء و الفصحاء – من النظر في الشريفة ما لا خفاء به ، و ما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو إحداث لفظة لم تتقدمهم [2] علاوة على ذلك كله أدت إعادة تقديم اللغة العربية في السياق اللغوي كلغة رسمية إلى سؤال آخر عن ماهية دور العربية في التعليم [3] و سبب إصلاح المعاش و المعاد و لو لم يكن في الإحاطة بها و بخصائصها ، و الوقوف على مجاريها و مصارفها ، و التبحر في جلائلها ، إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القران ، و زيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان لكفى بها فضلا يحسن أثره و يطيب في الدارين ثمره " [4] لقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى هذا الأمر مبينا أبرز أسبابه حيث قال عن اللغة العربية :" إنما هي ملكة في ألسنتهم (أي في السنة العرب) يأخذها الآخر عن الأول كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا جاء الإسلام ، وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول ، وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة اللسانية ، ففسدت بما ألقى إليها مما يغايرها لجنوحها إليه ، وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ، ويطول العهد بها ، فينغلق القران و الحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجاريها ومجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة " ، نعم كان العرب قديما يتحدثون اللغة العربية بالسليقة ، دون حاجة إلى معلم أو كتاب و إنما يتوارثونها ، منذ نشأت في أحضان الجزيرة العربية خالصة تلك الملكة لأبنائها نقية سليمة [5] و يذهب ي . فوك في دراسته المتميزة للغة العربية المذهب نفسه فيقول : " لا توجد توجد في تاريخ اللغة العربية حدث أثّر فيها مثلما أثر فيها دين الإسلام في هذه الفترة ، وكان ذلك قبل 1300 سنة حين كان محمد (ص) يتلو القران على المؤمنين ب " لسان عربي مبين " و يسعى إلى إقامة علاقة بين الدين الجديد و لغته ، ستكون لها آثار جمة على مستقبل هذه اللغة " [6] و اشتد اختلاط العرب بالعجم ، وتزاوجوا و تصاهروا ، واندمج بعضهم في بعض ، وبطول الامتزاج تسرب الضعف إلى سليقة العربي ، ونتج عن هذا الضعف في سليقة العربي أن فشى اللحن في لغة العرب.. ولقد كان شيوع الخطأ في الإعراب أول اختلاط طرأ على لغة الضاد ، وهذا ما أكد عليه أبو الطيب اللغوي في كتابه مراتب النحويين ، بقوله :" اعلم أن أول ما اختل من كلام العرب ، وأحوج إلى التعلم الإعراب لان اللحن ظهر

[1] محمد صالح الشنطي و آخرون ، المرجع نفسه ، ص 14 .
[2] أحمد بن فارس ، المصدر السابق ، ص 6 – 7 .
[3] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 210.
[4] محمد صالح الشنطي و آخرون ، المرجع نفسه ، ص 14 .
[5] محمد صالح الشنطي و آخرون ، المرجع نفسه ، ص 16 .
[6] خولة طالب الابراهيمي ، المرجع السابق ، ص 16.

في كلام الموالى و المتعربين من عهد النبي (ص) فقد روى أن رجلا لحن بحضرته (ص) فقال " أرشدوا أخاكم فقد ضل " وتوالت مظاهر الخطأ في الإعراب ، وانتشر الضعف في أوصال اللغة العربية بتوالي اختلاط العرب بالعجم ، روى ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء الجزء الأول قائلا : " مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم يسيئون الرمي ، فقرّعهم ، فقالوا :" إنا قوم (متعلمين) بالنصب ، فأعرض عنهم مغضبا وقال " والله لخطؤكم " [1] لم تتأثر اللغة العربية بصلاتها باللغات الأخرى فحسب و الشاهد على ذلك أساسا اقتراضها مفردات كثيرة من اليونانية و اللاتينية و السريانية و الفارسية بل شهدت كذلك انبثاق تنوّعات لغوية جديدة يمكن عدّها بحقّ منبع اللهجات العربية [2] في لسانكم أشدّ من خطئكم في رميكم " وروى ابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار) كتاب العلم و البيان ، والإعراب و اللحن الجزء الثاني " سمع أعرابي مؤذنا يقول : أشهد أن محمدا رسول الله " بصب " رسول " فقال " ويحك ؟ يفعل ماذا ؟ "..

وهنا أهابت النخوة العربية ، والعصبية اللغوية بالعلماء في الصدر الأول الإسلامي أن يصدوا هذا السيل الجارف الذي كاد يكتسح اللغة العربية بما قذف فيها من لحن تسربت عدواه إلى تلاوة القران الكريم ، والسنة النبوية الشريفة بما هدوا إليه [3] فمن الطبيعي أن يكون لسانهم أشرف الألسنة و أفضلها ، قال الإمام الشافعي : (وأولى الناس بالفضل في اللسان ، من لسانه لسان النبي ، وهو من قريش من إسماعيل عليه السلام لذلك عدّ العلماء أصل الفصاحة اسماعيل ، وان لغته درست من بعده ، ثم كانت في القران الكريم ، و البلاغة النبوية ، وإسماعيل بن إبراهيم أول من نطق بالعربية وقد ألهمه الله العربية إلهاما ، ثم نزل القران الكريم) بلسان قريش ورسول الله (ص) لأفصح العرب ، وهو من قريش [4] ظلت اللغة العربية طيلة العصر الذهبي للإسلام لغة رفيعة تستخدم في كل المجالات الدينية و الثقافية و الإدارية و العلمية ، ولم يوجد ما يهدد هذا الموقع الفريد في العصور الإسلامية المبكرة ، وامن العرب أنه لا يوجد بديل للغة العربية في العالم ، يفسر هذا التوجه اختفاء كل لغات الحضارة الأخرى في الإمبراطورية الإسلامية كالقبطية و اليونانية و السريانية ، وكذلك لم يبد النحويون العرب أي اهتمام بدراسة أي لغة أخرى و تحليلها إلا فيما ندر ، وبنفس الطريقة ، لم يجد متكلموا اللغات الأخرى ما يفخرون به في لغاتهم و فضلوا أن يتكلموا بالعربية و يكتبوا بها ، وفي القرون الأولى بعد الهجرة ظن الفرس أن لغتهم دونية بالمقارنة بالعربية [5] إن

[1] محمد صالح الشنطي و آخرون ، المرجع السابق ، ص 16 .

[2] خولة طالب الابراهيمي ، المرجع نفسه ، ص 17- 18 .

[3] محمد صالح الشنطي و آخرون ، المرجع نفسه ، ص 17.

[4] محمد كريم الكوّاز ، المرجع السابق ، ص 97.

[5] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 97.

المنهج المتبع في علم اللغة العربية المنضبط بالاستقراء و التحري و التتبع لمجاري كلام العرب من أفواه الأعراب الخلّص ، ومن القران الكريم و كلام الرسول (ص) و التابعين أصفياء اللغة [1]كان الدافع وراء كل جهود توالت و تضافرت هو علاج ظاهرة الضعف اللغوي التي استشرت أنذالك [2] هذا الذي عرفناه من حياة اللغة العربية صحيحة فصحى منذ ذلك الزمن السحيق أمر انفردت به اللغة العربية لم يكن سواها من اللغات التي نعرف [3] ونعود إلى الكلام في اللغة ، قالوا : مما اختصت به لغة العرب من الحروف وليس هو في غيرها حرف الضاد ، و يقال آخرون ، حرف الضاد و الضاد ، ولذلك قال أبو الطيب المتنبي :

و بهم فخر كل من نطق الضاد

يريد بهم فخر جميع العرب [4] وهذا شاعر يقول :

فبادر إلى حفظ اللغات مسارعا فكل لسان في الحقيقة إنسان [5]

لا يعجبنك من قؤول خطبة حتى يكون مع الكلام أصيلا [6]

إن هذا التنوع اللغوي الذي حباه الله واصطفاه لمخاطبة المؤمنين هو الذي سيصبح معيار المجتمع العربي الإسلامي : ونقصد به العربية الفصحى ، كما دوّنها و قعّدها اللغويون و النحاة و البلاغيون ما بين القرن الأول و الرابع الهجريين ، وستشهد هذه اللغة استمرارية منقطعة النظير عبر التاريخ و العالم بوصفها لغة القران ، إن هذه اللغة التي عبرت الأزمنة قد وصلت إلينا نحن الناطقين بها في نهاية هذا القرن وهي على هذا النحو من الاستقرار الذي لا مثيل له ، وها هو ذا الكاتب د : عمر فروخ يشدّد على الصلة المتينة القائمة بين اللغة العربية و القران و التي بفضلها حافظت العربية على صفائها و سلامتها الجليين ، وهي ميزة فريدة في العالم و خاصة باللغة العربية [7] كذا التأثير الهلالي ووجود نواة صلبة لتنوّعات قديمة جدا ترتقي إلى تاريخ وصول القبائل العربية الأولى والتأثير الأندلسي بعد طرد العرب المسلمين من اسبانيا في القرن الخامس عشر و المنشأ اللغوي البربري [8].

---

[1] سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 18.

[2] محمد صالح الشنطي و آخرون ، المرجع السابق ، ص 17 - 18 ، أيضا : سالم علوي ، المرجع نفسه ، ص 17.

[3] خولة طالب الإبراهيمي ، المرجع السابق ، ص 16.

[4] الخفاجي ، المصدر السابق ، ص 56.

[5] محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 13.

[6] ابن الفوطى الشيباني (ت723هـ/ 1323) ، معجم الألقاب ، تحقيق: محمّد الكاظم ، المجلد الثالث ، ط ، مؤسسة الطباعة للنشر ، طهران ، (1416هـ / 1995م) ، ص 569.

[7] خولة طالب الابراهيمي ، المرجع السابق ، ص 16.

[8] خولة طالب الابراهيمي ، المرجع نفسه ، ص 18 .

يعتبر تأثير اللغة العربية ملموسا جدا من الناحية اللغوية في مجال المعجم حيث تكثر الكلمات العربية المقترضة [1] لم ينزلوا من اللغة العربية منزلة أهلها ، بل كانوا منها مكان الغرباء عنها ، عرفوا الشيء الكثير من ألفاظها و تراكيبها و أحكامها ، ولكنهم لم يحسنوا استعماله و استثماره [2] من المعروف أن تحول المغرب كله إلى الإسلام ، لم يتم إلا في القرن (الرابع الهجري / العاشر الميلادي) ، إذ ظلت بعض المناطق والمدن تحتفظ بأعداد كبيرة من التجمعات المسيحية و اليهودية ، كما كانت لا تزال توجد أعداد قليلة من التجمعات البربرية ف المناطق الجبلية المتطرفة على عقائدها البربرية القديمة ، وكان هؤلاء جميعا يعيشون في عزلة عن المجتمع المغربي ، وساعدهم على ذلك و بصفة خاصة اليهود في السوس الأقصى و الأدنى و الطبيعة الجغرافية ، حيث أن جبال أطلس كانت تحيط بسهولة تلك المنطقة مما جعلهم يعيشون في مناطق معزولة و محمية طبيعيا [3] إن اللغة العربية التي تمدها هذه الروافد المتدفقة بالمترادفات [4] فانّ علم اللغة العربية من أشرف العلوم ، ومعرفته من خير الأمور ، وذلك لانّ الله اختار العرب على العالمين ، وفضّل لغتهم على سائر اللغات ، فأرسل أفضل أنبيائه بأفصح قوم ،وأنزل كتابه العزيز بتلك اللغة .. الاّ بمعرفة اللغة العربية و دراستها ، لذا كان تعلّمها من الأمور المطلوبة ، و السنن المحبوبة .. أنّ تعلّم اللغات أفضل من التفرّغ و التخلي للعبادة [5] يجب أن تخدم قبل أن تستخدم و خدمتها في الترغيب يفتح أبواب التشجيع كاستعمالها [6] إن الذين يحاولون أن يوقفوا زحف اللغة العربية عن تبوّئها مكانتها العالمية لخاطئون في تصورهم هذا [7] و و قد خلت اللغة العربية من حروف توجد في غيرها من اللغات [8]

ألّف العرب و المسلمون في التربية والتعليم كتبا جليلة و متنوعة منذ عهد مبكر ، واهتموا بدراسة الأطفال و أحوالهم ، وطرائق تعليمهم و أنجعها في ذلك ، ولم يكن شأن المغاربة أقل من شأن المشارقة في هذا الموضوع الهام [9] اللهجات البربرية الحالية امتداد للتنوعات اللغوية القديمة التي عرفها المغرب ، أو

---

(1) كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 264 .

(2) خليل السكاكيني ، المرجع السابق ، ص70.

(3) سحر السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 17- 18.

(4) سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 109.

(5) أبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ/ 839 م) ، الغريب المصنّف ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، القسم الأول ، (د ط) ، (د س ط) ، ص مقدمة المحقق ، أيضا : أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، ط ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، (1405هـ/ 1985م) ، ص 64.

(6) سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 109.

(7) سالم علوي ، المرجع نفسه ، ص 110.

(8) الخفاجي ، المصدر السابق ، ص 56.

(9) محمد أسعد طلس ، المرجع السابق ، ص 159.

بالأحرى في الرقعة الناطقة بالبربرية التي تمتّد من مصر إلى المغرب الأقصى [1] وهذا لان الاستعمار الفرنسي منذ البداية كان يشك في كيانها [2] " عن طريق محاربة اللغة العربية التي هي سلاح القومية ، و عمليات التمثيل الرامية إلى ذوبان الشخصية " [3]

التعريب ، من " عرّب يعرّب تعريبا : لقد درج العرب منذ خروجهم من الجزيرة العربيّة في القرن الأوّل للهجرة على نعت الشعوب التي دخلت للإسلام ب " الشعوب المعرّبة أو تحديدا ب " المستعربة " وهذا في مقابل الشعوب العاربة أي ذات الأصل العربي القحّ " ، يمكننا إذن اعتبار سكّان المغرب شعوبا معرّبة أو مستعربة ..من جهة أخرى ساهم العديد من رجال العلم و الآداب ذوي الأصل غير العربي في إنتاج المعنى والمعرفة باللغة العربية مباشرة ، مثرين بذلك الحضارة العربية بإسهاماتهم المتنوّعة [4]

لقد دشّن الفتح العربي رقعة جديدة كل الجدّة على الصّعيد اللغوي ، فبعد أن تمّت المراقبة العسكرية و دخل جلّ البرابرة في الإسلام ، أمست العربية لغة الدين و الثقافة و الحياة العامة في الوقت نفسه ، و لا شّك في أن دخول البربر الإسلام سريعا نسبيّا يعدّ أحد العوامل التي مكّنت العربية من الانتشار... في ظرف أربعة قرون ، كان تطوّر و تنامي التعريب [5] حقا إن هذا الحقل اللساني " هو الرباط الذي تتجلى فيه علاقة علاقة الهيمنة ، وهذا الحقل اللساني يتمثل في التعارض ما بين اللغة المهيمنة .. واتساع حقل السلطة كله من قبل لغة واحدة (اللغة المهيمنة) [6] في جميع الاستعمالات الرسمية نتيجة استهجان العربية حتى من قبل مستعمليها :" إن الأمر الذي كان من شأنه استصغار العربية و احتقارها إنما هو العلاقة بين الوقائع ، ومنطقها الجديد [7]

إن انتشار التعليم و التأثير الدائم لوسائل الإعلام ، و التواصل و الأسفار و اختلاط الشعوب و التقدم المادي و الثقافي و المبادلات بوجه عام قد أدّت إلى ميلاد لهجة موسومة برغبة الناطقين في التخلّص من مميّزاتهم الجهوية الخاصة بلهجاتهم الخاصة بهم [8] و قد تمثل مسعاها أساسا في إعادة الاعتبار للغة العربية العربية و بعثها بإصلاح طرق تدريسها وتعلّمها ، بالعودة إلى منابع الثقافة العربية الإسلامية ، باستحداث

---

[1] خولة طالب الابراهيمي ، المرجع السابق ، ص 25.

[2] شايف عكاشة ، نظرية الأدب ، ج1 ، القسم2 ، (د ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1987 م ، ص52.

[3] شايف عكاشة ، مدخل إلى عالم الرواية الجزائرية ، (د ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1990 م ، ص104.

[4] خولة طالب الإبراهيمي ، المرجع السابق ، ص 184- 185 .

[5] خولة طالب الإبراهيمي ، المرجع نفسه ، ص 54.

[6] خولة طالب الابراهيمي ، المرجع نفسه ، ص 56.

[7] خولة طالب الابراهيمي ، المرجع السابق ، ص 58.

[8] خولة طالب الابراهيمي ، المرجع نفسه ، ص 63.

التدريس " الحرّ" الذي تعهّدوا بتسييره بغية إعطاء العربية الوسائل الخليفة بإدخاله ثانية في النسيج الاجتماعي القائم ، باختصار من أجل تعريب [1] بالنسبة لمجال اللغة العربية [2] هي الميزة البارزة أو القيمة المركزية التي تسمح بتحديد الهوية الثقافية لأعضاء زمرة بعينها ، إن تضافر و تشابك عدد من الخصائص الثقافية و اللغوية التي لا حظناه طوال البحث [3] للموروث العربي الإسلامي و ينتمون إلى ما أسميناه ب " ثقافة القاعدة " و هذه الثقافة القاعدية قد أدمجت في ثناياها الإسهامين البربري و العربي ، هذا و تنمّ بعض السلوكات الاجتماعية و الثقافية و حتى السياسية للسكان الناطقين بالعربية (المستعربة) عن بقاء متميز للمنشأ الاجتماعي و الثقافي البربري ، من جهة أخرى ، لا يمكننا أن ننفي كون الناطقين بالبربرية ، حتى وان كانوا أميين ، فقد تأثروا دوما و تشبّعوا بالقيم العربية الإسلامية ، منذ دخولهم الإسلام [4] إن الطريقة الفضلى لاكتساب اللغة عند ابن خلدون و كثير غيره هي ان تؤخذ سماعا بمعايشة أهلها الناطقين بها ، لذلك فان وسيلة النهوض بالعربية المعاصرة هو توظيفها في الحياة توظيفا سليما بسعي المدرسين عامة و مدرسي اللغة العربية خاصة و أن يلتزموا الفصيحة ما أمكنهم كي يوفروا للطلبة جوا مناسبا للاقتداء بهم و محاكاتهم ، وهذا من شأنه أن يمدهم بثروة لغوية إضافية في الألفاظ و التراكيب ، و أن يشجعهم على استخدام العربية من دون الخوف من الخطأ أو الحرج مما يعطيهم القدرة على التحدث بطلاقة لنقل أفكارهم و مشاعرهم بسهولة ويسر .

يكاد يجمع الباحثون على أن التعبير أهم فروع اللغة العربية و غايتها فهو وسيلة الإفهام ، و أحد جانبي عملية المفاهيم ، يساعد الفرد على الاتصال و التواصل مع الآخرين ، فيؤدي إلى تقوية الروابط الفكرية و الاجتماعية على صعيد الإفراد و المجتمعات القريبة و البعيدة ، و التعبير الجيد يساعد الفرد على تحقيق ذاته و شخصيته ، فالفرد الذي يستطيع نقل فكرة ما إلى الآخرين بفصاحة و سهولة من خلال عبارة دقيقة موجزة ينال رضا الجميع ، فتزداد ثقته بنفسه و قدراته [5] هكذا يبقى المغرب بلدا عربيا وبهوية عربية و حم عربي ، ودون أن يطرح كلّ ذلك السؤال التالي :

كيف أصبح المغرب بلدا عربيا ؟ لماذا هذا السؤال ؟

---

[1] خولة طالب الابراهيمي ، المرجع نفسه ، ص 58.

[2] خولة طالب الابراهيمي ، المرجع نفسه ، ص 105.

[3] خولة طالب الابراهيمي ، المرجع نفسه ، ص 72.

[4] خولة طالب الابراهيمي ، المرجع نفسه ، ص 73.

[5] عبد الرحمان عبد علي الهاشمي – فائزة محمد فخري العزاوي ، المرجع السابق ، ص 245.

لان الجميع ، بمن فيهم المقتنعون " بعروبة " المغرب ، يعرفون ويعترفون أن المغرب لم يكن بلدا عربيا في الأصل ، بل كان بلدا أمازيغيا ، بشعب أمازيغي و لغة أمازيغية و هوية أمازيغية و حكم أمازيغي ، و هذا يعني أنه أصبح بلدا عربيا في مرحلة معينة تاريخية من تاريخه ما دام أنه كان قبل ذلك بلدا أمازيغيا ، إذن متى أصبح المغرب بلدا " عربيا " ؟ وكيف تم ذلك ؟ [1] نعرف كذلك أن الهويات الأصيلة لهذه البلدان كانت ، قبل الفتح الإسلامي [2] و نعرف كذلك أن هذه البلدان فقدت هوياتها الأصيلة هذه ، وبصفة دائمة ونهائية ، ومنذ أن غزاها العرب أثناء الفتوحات الإسلامية ، لتصبح بلادا عربية و بهوية عربية واحدة ، لا فرق بينها وبين الأراضي العربية الأصيلة على مستوى الهوية و الانتماء [3] فعلى المستوى الشعبي ، الجميع مقتنع أن الدارجة المغربية لغة " عربية " جاء بها العرب " الفاتحون " الذين استوطنوا المغرب ، حتى أن الناس يسمونها " العربية " وليس الدارجة [4] لغة الشعب هي اللسان العربي بصيغه و تلويناته ، حوالي 95 في المائة ناطق باللسان العربي بتنوعاته [5] وبالفعل ، فبالرجوع إلى ما كتبه المؤرخون العرب أنفسهم عن المغرب ، سنلاحظ أنهم لم يكونوا يعتبرونه بلد عربي الهوية في أية مرحلة من تاريخه .. بل كانوا يسمونه " بلاد البربر " ، إحالة على هوية السكان ، أو " بلاد افريقية " إحالة كذلك على هوية الأرض الإفريقية ، البعيدة جدا عن الأراضي العربية التي تقع في قارة أخرى هي القارة الأسيوية ، وقد كان ابن خلدون صريحا وواضحا حول هذه المسألة ، وبشكل دقيق يرفع كل لبس وشك حول الهوية الامازيغية للمغرب ، عندما كتب في مقدمته :" عنايتنا في الأكثر إنما هي بالمغرب الذي هو وطن البربر وبالأوطان التي للعرب من المشرق " ، و حتى لفظ " المغرب " كان العرب يقصدون به مكان غروب الشمس التي تغرب ، بالنسبة لهم في المشرق ، جهة شمال إفريقيا حيث يقع المغرب ، ولهذا كانوا يميزون بين المغرب الأقصى و الأوسط و الأدنى [6] نستعمل كلمة مغرب في هذا الكتاب للتعبير عن المنطقة الممتدة من برقة إلى حدود السنغال ، إذا أضفنا إليها الأندلس قلنا المغرب الإسلامي ، إذا أردنا ما يسميه المشارقة مراكش ، ترجمة عن كلمة إفرنجية ، قلنا المغرب الأقصى [7] هذا ما

---

(1) محمد بودهان ، المرجع السابق ، ص 36.

(2) محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 36.

(3) محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 36.

(4) محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 102.

(5) عبد القادر الفاسي الفهري ، التعدد اللساني والتحرر أولا ، جريدة المساء ، ليومي 30 أفريل – فاتح ماي ، 2012م ، انظر أيضا : محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 102- 103 ، انظر كذلك :http:// he spr e ss . Com /W rit er s /55023 . html

(6) محمد بودهان ، المرجع السابق ، ص 43.

(7) عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ط 5 ، نشر المركز الثقافي العربي ، 1996م ، ص 32.

يؤكد أن " عروبة " المغرب شئ حديث ومستحدث ، وليست واقعا تاريخيا معروفا و متأصلا [1] و النتيجة أن من يعادي العروبة و التعريب (تعميم ونشر العروبة) بالمغرب ينظر إليه على انه يعادي الإسلام و لغته العربية ، وهذا الاستعمال السياسوي للإسلام للدفاع عن العروبة العرقية للدولة بالمغرب ، هو ما يجعل المطالب الأمازيغية تتهم بالعداء للإسلام وللغة العربية لأنها ترفض عروبة المغرب وسياسة التعريب ، وفي المقابل ، يعتبر من يدافع عن العروبة و التعريب بالمغرب مدافعا عن الإسلام و لغة القران ، فالعروبة بالمغرب لا تتمسك بالإسلام في ذاته و لذاته كدين ، بل تتمسك به لأنها تستعمله ..لهذا فان ثوابت الدولة العروبية بالمغرب تقوم على العروبة و الإسلام كغاية و الإسلام كوسيلة لتحقيق هذه الغاية ، عندما نحلل هذه العلاقة بين الإسلام و العروبة ، كعلاقة بين وسيلة وغاية ، نصل إلى النتائج المفارقة التالية[2]:

1 – أن العروبة العرقية التي يتهم أصحابها ، المستفيدون منها ، من يعارضها و يرفضها بأنه يعارض الإسلام و يرفضه ، هي في حقيقتها ممارسة لا إسلامية لأنها سلوك جاهلي يقوم على العصبية العرقية و النعرات العنصرية و القبلية التي جاء الإسلام لمحاربتها ، ليجعل الناس سواسية في ما بينهم لا فرق بينهم إلا بالتقوى و الإيمان [3]

2 – العروبة العرقية بالمغرب ، حتى توسّع نفوذها و تعزز وجودها وتزيد من تأثيرها ، لجأت إلى تعريب الشعب الأمازيغي ، أي تحويله إلى شعب " عربي " فصلته عن هويته الأمازيغية و فرضت عليه الهوية العربية ، وهذا التعريب – أي تحويل الأمازيغي غير العربي إلى إنسان عربي – يمثل ، على المستوى الديني ، تحديا للخالق الذي اقتضت إرادته أن يخلق سكان تامازغا (شمال إفريقيا) أمازيغيين وبلسان أمازيغي و هوية أمازيغية و محيط أمازيغي و حياة عامة أمازيغية [4]

3- العروبة العرقية عدو لدود لليهودية العرقية [5]والتعريب بالمغرب : وجهان لسياسة عنصرية واحدة [6]

4- العروبة العرقية بالمغرب تستمد الدعم و السند..وهذا الارتباط للعروبة العرقية ، بالمغرب[7]لا علاقة له إذن باللغة العربية و تنميتها ورد الاعتبار لها ، كما يدل على ذلك شعار دعاة التعريب

---

[1] محمد بودهان ، المرجع السابق ، ص 43.

[2] محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 67- 68.

[3] محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 67- 68.

[4] محمد بودهان ، المرجع السابق ، ص 67- 68.

[5] محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 67- 68.

[6] محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 67- 68.

[7] محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 68.

:" تعريب الإنسان و المحيط والحياة العامة " و هو شعار يحضر فيه العرق (تعريب الإنسان وليس تعريب اللسان) وتغيب منه اللغة العربية غيابا تاما ، فالعربية هنا ، مثل الإسلام ، ليست غاية ، بل مجرد وسيلة لتبرير التعريب العربي خدمة للعروبة العرقية و السياسية و الهوياتية ، وهنا يجب التذكير – مرة أخرى – أننا شعب أمازيغي مسلم ، نتمسك باللغة العربية و نحبها ونقبل على تعلمها و دراستها لغة ، لكن نرفضها كعروبة عرقية تفرض علينا لتستبدل هويتنا الامازيغية بالهوية العربية ، النتيجة المستخلصة من هذه التوضيحات و التحليلات هي ان العروبة العرقية بالمغرب ، مع ما يتفرع عنها من تعريب عرقي وطمس للهوية الامازيغية .

الخلاصة التي نريد الوصول إليها ،من خلال هذا التحليل للعروبة العرقية بالمغرب ، هي أن الدولة المغربية ، حتى تكون دولة إسلامية مسلمة ، عليها أن تلغي عنصر العروبة من ثوابتها لأنها تتعارض مع الإسلام الحق نظرا لما يحتوي عليه مضمون هذه العروبة ،من جاهلية و شرك و عنصرية ، كما شرحنا ذلك سابقا ، وتعويض بالامازيغية كواحد من ثوابتها ،بحيث تصبح هذه الثوابت هي الامازيغية و الإسلام ،بدل العروبة و الإسلام [1] وتناقض كذلك الحركة الإسلامية بالمغرب مبادئ الإسلام التي تدعي أنها تغار عليه و تدافع عنه ، وذلك عندما تؤيد و تتبنى سياسة التعريب الاستيعابية ،و العنصرية التطهيرية (التطهير اللغوي) .. فهل تعريب الشعوب و تحويل هوياتها الأصلية إلى هويات عربية ، كما فعلت دولة الاستقلال بالمغرب ، مطلب إسلامي ؟ هل جاء الإسلام لتعريب الشعوب أم لتعريفها بعقيدة التوحيد الإسلامية ؟ إذا كانت إرادة الله قد قررت أن يكون الشعب الذي يسكن شمال إفريقيا شعبا أمازيغيا ، ومحيطه أمازيغيا ، فلماذا تعريب هذا الشعب و هذا المحيط ؟ أليس في هذا العمل تحديا للإرادة الإلهية ؟ و القران ، الذي لا تكلّ الحركة الإسلامية بالمغرب من التكرار المملول أنها تريد تطبيق أوامره و أحكامه ، يقول :" ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم " ولم يقل " تعريب ألسنتكم " فهذه الحركة الإسلامية بالمغرب ، كان ينبغي عليها ، حتى تكون منسجمة مع شعاراتها الإسلامية التي ترفعها و تدافع عنها ، ان تعارض بشدة سياسة التعريب و تحاربها لا أن تؤيدها و تتبناها و تدافع عنها ، تناقض صارخ مع الإسلام نفسه ، مقدمة ذلك ، مرة أخرى ، خدمة مجانية لخصومها القوميين [2] طبعا أتباع الحركة الإسلامية بالمغرب يقولون أن دفاعهم عن التعريب هو دفاع عن اللغة العربية التي هي لغة القران ، ولا علاقة له بتحويل هوية الشعوب إلى هوية عربية ، وهكذا يقعون ، مرة أخرى ، في شرك القوميين ذوي النزعة العرقية ، ويصبحون مدافعين عن سياسة التطهير اللغوي ،و الهوياتي

---

(1) محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 69.

(2) محمد بودهان ، المرجع السابق ، ص 74.

و الثقافي كغاية ، مستعملين ذريعة اللغة العربية كوسيلة فقط ، فهل تعليم اللغة العربية يعني تعريب الإنسان و المجتمع و الدولة و المحيط ؟ فلو كانت غاية التعريب هي تعليم اللغة العربية ،لبقي المغرب أمازيغيا في هويته مع تعليم العربية ، كلغة ، لأبنائه الأمازيغيين ، فشتان بين التعريب الذي هو سياسة تطهير لغوية و هوياتية و ثقافية ، وبين تعليم العربية كلغة وليس كهوية ، نعم لتعليم اللغة العربية و تدريسها ، ولكن لا للتعريب تعريب الإنسان و المجتمع و الدولة و المحيط والهوية ، فلو كان الذي يهم الإسلاميين هو اللغة العربية حقا ، لدافعوا بصراحة ووضوح عن تعليمها و تدريسها ، ولحاربوا ، بصراحة ووضوح كذلك ، سياسة التعريب العنصرية و اللاإسلامية [1]

العربية الفصحى كانت ، إبان " الفتح " المغرب خلال القرن الأول الهجري ، لا تزال ، حسب الكثير من القرائن ، هي اللغة الأم لدى العرب ، إذ كانت هي لغة التخاطب الشفوي و التواصل اليومي ، وهي التي جاء بها هؤلاء العرب إلى بلاد الامازيغ بشمال إفريقيا ، كما لا يمكن القول بأن هذه اللغة حملها إلى المغرب ، ليس الفاتحون الأوائل ، بل المهاجرون الذين جاؤوا بعدهم ، لا يمكن ذلك هذه الدارجة لم تكن معروفة ، كما سبقت الإشارة ، في أية منطقة من بلدان المشرق العربي ، فكيف ينقل هؤلاء المهاجرون إلى شمال إفريقيا ما يفتقدونه ولا يملونه ؟ إذن الدارجة المغربية هي لغة أمازيغية ذات هوية أمازيغية ،بحكم تشكلها التاريخي الأول بالبلاد الامازيغية [2] التنوع الثقافي و اللغوي و العرقي ، وحتى الديني ، أمر واقع و حاصل بالمغرب ، ولا يمكن إنكاره أو إلغاؤه ، وبالتالي يجب الاعتراف به [3]غالبا ما يتهم المعادون للامازيغية المدافعين عنها الرافضين لسياسة التعريب بأنهم برفضهم للتعريب ، يعادون الإسلام الذي جاء به القران الذي نزل بلسان عربي ، لكن لنحلل مفهوم " التعريب " كما يريده ويفهمه دعاته ، ويمارسه المخططون له كسياسة للدولة ، يطبقها أصحاب القرار السياسي بالمغرب ، حتى نرى هل له حقا علاقة بالإسلام ؟ وإذا وجدت مثل هذه العلاقة ، فبأي معنى وبأي مضمون ؟

التعريب ، كما هو ممارس بالمغرب ،يعني إضفاء الطابع العربي على كل شيء ، إنسانا و أرضا و دولة و شعبا و هوية ومحيطا ولسانا و ثقافة و أسماء و تاريخا ..واستنادا إلى المنطق الديني ، الذي يزعم دعاة التعريب أنهم ينطلقون منه للدفاع سياسة التعريب ، فان الله قرر أن يخلق كل شعب بلغة خاصة به و هوية تميزه عن باقي الشعوب الأخرى ، وهكذا اقتضت إرادته أن يكون سكان شمال إفريقيا امازيغيين ، ولغتهم امازيغية ، وهويتهم امازيغية ومحيطهم أمازيغيا ، ولو أراد تعالى أن يكونوا عربا ولغتهم عربية و هويتهم عربية و محيطهم

---

[1] محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 75.

[2] محمد بودهان ، المرجع السابق ، ص 116.

[3] محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 121.

عربيا لحصل ما أراده و قرره [1] هذا ما يتعلق بعلاقة سياسية التعريب، بالإسلام المفترى عليه في هذه السياسة [2] لنحلل الآن علاقة هذه السياسة باللغة العربية التي يزعم دعاة التعريب أنهم يدافعون عنها من خلال نهجهم لهذه السياسة [3]هذه الحركة تعادي اللغة العربية ،و ترفضها لأنها تعادي التعريب و ترفضه ، فحسب هذا المنطق الابتزازي المار ، ما قلت ، بما أن التعريب يرمي إلى رد الاعتبار للغة العربية ، كما يدعون ويزعمون ، فان رفضه يعني رفض اللغة العربية ، ورفض اللغة العربية يعني رفض القران الذي نزل بها ، وهو رفض للإسلام كما سبق شرح ذلك ، فضلا عما يتضمنه ذلك من رفض " عنصري " للعرب الناطقين بهذه اللغة العربية ، وإذا عرفنا مدى حب المغاربة للغة القران وعمق إيمانهم بالإسلام ، سندرك فعالية و خطورة الابتزاز الذي يمارسه دعاة التعريب على المدافعين عن الامازيغية و المطالبين بإنصافها ورد الاعتبار لها : إما أن يقبل الامازيغيون سياسة التعريب ويكفّوا عن رفضها و معارضتها ، وإلا فإنهم معادون للغة العربية التي نزل بها القران الذي جاء برسالة الإسلام ، لكن عندما نحلل مضمون التعريب كسياسة تمارسها الدولة ..سنكشف ا ناول علاقة لهذه السياسة التعريبية بتعليم اللغة العربية المفترى عليها ، ورد الاعتبار لها و الرفع من مكانتها كما يتذرع بذلك دعاة التعريب [4] أنصار سياسة التعريب يبررون هذه السياسة بقولهم أنها ترمي إلى الدفاع عن اللغة العربية [5] وتوحيد الألسن في لسان واحد هو اللسان العربي القرشي [6] إذن واضح أن تعريب المغرب لا يمكن أن يكون نتيجة لانتشار اللغة العربية عن طريق تعميم تدريسها و تعلمها ، و إلا لكان هذا التعريب جزئيا و محصورا في الحدود الضيقة لانتشار اللغة العربية [7] إذن ، هو أن مصدر تعريب المغرب لا يمكن أن يكون هو انتشار اللغة العربية كما يزعم التعريب ، فما مصدر تعريب المغرب إذن و تحوله من بلد أمازيغي إلى بلد عربي ؟

مصدر ذلك وسببه طبعا هو سياسة التعريب ، لكن – وهذا هو الأهم – التعريب الذي لا علاقة له باللغة العربية التي يختفي وراءها دعاة التعريب ، لان هذا التعريب ليست له أية علاقة بتعليم اللغة العربية كلغة ،بل هو سياسة استعابية ترمي ، ليس إلى نشر العربية كلغة ، بل إلى نشر العروبة كهوية وانتماء ، ومحاربة

---

[1] محمد بودهان ، المرجع السابق ، ص 199.
[2] محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 200.
[3] محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 200.
[4] محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 116، أيضا : فاطمة الهاشمي بكوش ، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي ، ط ، ايتراك ، مصر الجديدة ، القاهرة ، 2004م ، ص 2.
[5] محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 202.
[6] محمد بودهان ، المرجع السابق ، ص 202.
[7] محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 225.

الهوية وانتماء ، ومحاربة الهوية الامازيغية، لتحل محلها الهوية العربية ، ويصبح المغرب بلدا عربيا ولو ان غالبية سكانه لا يعرفون اللغة العربة لارتفاع نسبة الأمية بينهم ،كما سبقت الإشارة ، فتعليم العربية كلغة ، ليس هو الغاية من التعريب كما يزعم المدافعون عنه ، بل هو مجرد وسيلة و ذريعة للتعريب ، ليس اللغوي ، بل للتعريب العرقي و السياسي و الهوياتي و الإيديولوجي للمغرب ليتحول إلى بلد عربي تحكمه دولة عربية ذات سلطة عربية ، فلو أن التعريب يخدم اللغة العربية – وليس الهوية العربية – و يحميها حقا ، لكانت كل الدول العربية ، الحقيقة ، أي الموجود بالمشرق العربي ، تتبنى سياسة للتعريب ، وهذا دليل على أن هذه السياسة تخدم ، ليس اللغة العربية كما يزعم دعاة التعريب بالمغرب ، بل تخدم الهوية العربية [1] ثم إذا كانت غاية التعريب هي حماية اللغة العربية ، فكيف نفسر تغيير أسماء الإعلام الجغرافية لإفراغها من مضمونها و دلالتها الامازيغية دون أن يكون لذلك آية علاقة بتعليم العربية أو خدمتها و حمايتها ؟ فأين هي خدمة اللغة العربية في تحويل الاسم الأصلي الأمازيغي [2] لقد دخلت اللغة العربية إلى المغرب منذ " الفتح " العربي ، إلا أن استعمالها ظل ، إلى حدود [3] إن اللغة انعكاس للحضارة ، ومن المهم أن يتعلم المرء كيفية فهم الحضارة الجديدة [4] ولكنّ اللغة عندنا جعلت الزمن تاريخيّا ، والفضاء جغرافيّا [5] والاهم في كل هذا ، إن اللغة العربية ، مهما كانت درجة انتشارها [6]كان ينظر إليها كلغة و يتعامل معها على هذا الأساس، وليس كهوية كهوية يتعلمها المغربي لأنه يشعر بالانتماء إلى العروبة [7]

و منا بأرض المغرب جند تعلقوا إلى بربر حتى أتوا أرض بربر [8]

انتشرت العربية في شمال إفريقيا على مراحل متسعة زمنيا ، وقد انتشرت العربية أولا من قلعة القيروان التي اتسعت لتصبح أكبر مدينة في شمال إفريقيا ، و فيها انتشرت العربية كلغة تواصل، وإن كان السكان الرحل احتفظوا بلغتهم المازيغية حتى القرن (5هـ / 11م) ، عندما دخلت قبائل بني هلال وبني سليم المغرب

(1) محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 202.

(2) محمد بودهان ، المرجع السابق، ص 202.

(3) محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 216.

(4) أحمد مصطفى أبو الخير ، علم اللغة التطبيقي ، (د ط) ، دار الأصدقاء ، المنصورة ، (1427هـ/2006م) ، ص 12 .

(5) سلامة موسى ، البلاغة العصرية و اللغة العربية ، (د ط) ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، مصر ، 2012م ، ص 18 .

(6) tecumseh fitch , the evolution of the language faculty : clarification and implication , harvard of institute of technology cambridge , 2005 ,p182 .

(7) محمد بودهان ، المرجع نفسه ، ص 216.

(8) أبو يعلى الزواوي ، تاريخ الزواوة ، ط ، منشورات وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2005م ، ص 33 .

الكبير [(1)] قد كتب السلف من رجال الأمة العربية كتبا كثيرة في المساءل الاعتقادية و العلمية و تواريخ أسهبوا فيها الكلام على الحوادث التاريخية وما لأهلها من العوائد و الأخلاق ولم يقتد بهم الخلف في ذلك مع أنهم جديرون بنشر فضائل العرب و الشريعة الغراء لتمام درايتهم باللغة العربية [(2)] بل سكنوا الأمر إلى غير أهله و هم الفرنج الذين ظنوا معرفتهم أساليب اللغة العربية فأضاعوا فضائل العرب وأخذوا يركبون متن العمياء و يخيطون خيط العشواء [(3)] فالفتح الإسلامي – الذي نشر الإسلام و العربية [(4)] لأن التاريخ اللغوي اللغوي لا يعرف لغة تظاهرت عليها الخصومات و العداوات تأتيها من كل مكان : من الشرق ومن الغرب ، ومن الداخل و الخارج كما عرف ذلك للعربية [(5)] نظرا للتعريب وأسلمة الامازريغ ، صار أهل الجزائر عربي اللسان [(6)] لأن اللغة العربية – في عصور الاحتجاج –كانت تنتشر بين الناس – العرب وغير العرب – بشكل تلقائي ، ودون عناء من أصحابها الأصليين ، لأنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بما تحمله من كنوز الإسلام ، كالقران الكريم و الحديث الشريف[(7)] كان (ص) بالمحلّ الاقصى في فصاحة اللسان ، وجزالة القول ، وصحة وصحة المعاني ، وقلة التكلّف ، مخصوصا ببدائع الحكم ، و علّم ألسنة العرب ، يخاطب كلّ أمة بلسانها ، قال له أصحابه : ما رأينا أفصح منك ! قال : ما يمنعني و أنزل القران بلساني ؟ [(8)]

أيا طالب العلم لا تهملن وعذ بالمبرد أو ثعلب

تجد عند هذين علم الورى فلا تك كالجمل الأجرب

علوم الخلائق مقرونة بهذين في الشرق و المغرب [(9)]

---

(1) عبد القادر القاسي الفهري ، يسأل عن واقع اللغة العربية في المغرب ، اللغة العربية إلى أين ؟ ، ج1 ، (د ط) ، (د س ط) ، المغرب ، انظر: الانترنيت نعتمد هنا إحصائيات Internet World Stats. ، أيضا : Ba afzal ul ulama , Histoiry of arabic literature ,3 semester , university of calicut , school of distance education ,2011 , p 37 .

(2) Marisa verna – joelle gardes tamin , entre linguistiQue et littérature , peter lang, paris _ sorbonne, p 11.

(3) سيديو ، خلاصة تاريخ العرب ، ترجمة : علي باشا مبارك ، ط ، (1309هـ/ 1891 م) ، ص 3.

(4) محمد أرزقي فراد ، المرجع السابق ، ص 25.

(5) فتحي جمعة ، اللغة الباسلة ،ط 5 ، دار النصر للتوزيع و النشر ،2000م ،ص 2.

(6) محمد باي بلعالم ، إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلاّن في جنوب الجزائر (د ط) ، (1433هـ/ 1912م) ، ادرار – الجزائر ، ص 11 – 12 ، أيضا : محمد بودهان ، في الهوية الامازيغية للمغرب ، ط ، 2011م، ص16.

(7) فوزي يوسف الهابط ، العقبات التي تحد من انتشار العربية السليمة واستثمارها ،كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، المنوفية ، ص1.

(8) محمود محمد الطناحي ، من أسرار اللغة في الكتاب و السنة ، ط ، دار الفتح للدراسات و النشر ، (1428هـ/2008م) ، مكة المكرمة ، ص9 – 10 ، أيضا : حفني ناصف ، حياة اللغة العربية ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط ، 1423هـ/2002م ، مصر ، ص7- 8- 9 .

(9) أبي العباس احمد بن يحي ثعلب (200- 291هـ/ 815- 904م) ، مجالس الثعلب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، ص 15.

الدعوة الإسلامية و إنسانيتها تجعل من الضروري الاهتمام بتعليم و تعلم اللغة العربية للناطقين بها و الناطقين بغيرها من العرب و المسلمين [1] و لانتشار الإسلام و اللغة العربية و العنصر السامي ، يجب أن نطرح ثلاث مشاكل ، كلا انفراد و بوضوح ، و هي : نشر الإسلام ، و تعريب البلدان المفتوحة ، و تأثير العنصر السامي فيها ، فانتشار الإسلام ، معناه اعتناق سكان البلدان المفتوحة للدين الجديد ، وقد ساعد على انتشار الإسلام ..و أما التعريب ، فيجب أن نفهمه بمعناه اللغوي فقط ، و أما الدم و العرق العربي ، فهو لا يكاد يكون ملحوظا فيه [2] فقد انتشرت هذه الحضارة في المكان الأول عن طريق اللغة العربية التي هي لغة القران ، ولغة الحكومة ، و لغة المكاتب ، و لغة التبادل التجاري بين البلدان المتباعدة ، و لغة الحضارة الأدبية و العلمية [3] و إذا كان الأمر هكذا ، فيمكننا أن نقول أن الحضارة العربية الإسلامية ، قد عرفت نشاطا من هذا القبيل فتداخلت العلوم في عدد من الميادين و تواشجت [4] ليس في هذه الخطوط و الإشارات كثير من الفائدة من الناحية التاريخية ، و لكنها ذات قيمة من الناحية اللغوية ، أنها العربية الشمالية الحقيقية ، أو إنها على وجه التحديد ، لهجات دارجة تكلم بها أهلها إلى جانب اللغة التي كان النبطيون و غيرهم من العرب يتكلمون بها [5] والذين نقلت عنهم اللغة العربية، و بهم اقتدى، و عنهم أخذ اللسان العربي[6] لقد غيّر بنو هلال التكوين البشري لأفريقية و المغرب الأوسط ثم المغرب الأقصى فيما بعد ، فأصبحت العروبة أغلب عليهم من البربرية ، ولقد أباد أولئك الهلاليون قبائل كثيرة ، ودفعوا قبائل أخرى إلى الهرب أمامها نحو المغرب ، فخلت بلاد الجريد و قسطنطينة و الزاب في افريقية من أهلها الأولين و نزلتها بطون الهلالية و تكاثرت فيها ، وشيئا فشيئا ثاب إليها أهلها من البربر أو من بقى منهم و اختلط الشعبان اختلاطا تاما ، فأصبح المغرب من أكبر بلاد العروبة و أعمقها إسلاما وهكذا نرى كيف كانت عوامل كثيرة تعمل على تعريب المغرب و إدماجه في الكتلة العربية ، فبعد جهود العرب الأول و صراعهم مع البربر و تحويلهم أفريقية إلى بلاد عربية الحضارة و اللسان داخلة في عالم السنة و الجماعة [7] فكيف أن مصير اللغة العربية ..والى أي مدى وصل التعريب فيها [8] على الرغم من هذا الامتزاج الغريب ، استطاعت اللغة العربية

---

(1) على احمد مدكور ، المرجع السابق ، ص 45.

(2) موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص 17 .

(3) موريس لومبار ، المرجع نفسه ، ص 18 .

(4) منذر عياشي ، اللسانيات و الدّلالة ، مركز الإنماء الحضاري ، ط 2 ، سوريا ، 2007م ، ص 12.

(5) اغناطيوس غويدي ، المرجع السابق ، ص 17- 18 .

(6) أحمد مختار عبد الحميد عمر ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 51.

(7) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 178 .

(8) عبد الرحمان الحاج صالح ، قضايا التعريب في دول المغرب العربي: الجزائر نموذجا ، مجلة اللسان العربي ، العدد 66، دمشق ، 2009م ، ص 274.

أن تشق لها طريقا واسعا وان تقوى على المجموعات الأخرى [1] و يعلل ابن خلدون هذه الملكة باعتماد الأندلسيين على حفظ الأصول :" لان أهل اللسان العجمي إنما هم طارئون عليهم وليست عجمتهم أصلا للغة في اللغة "[2]

لقد جمع كبار المترجمين العلماء بين مضمون العلم و حلّة اللغة ، فأحسنوا الجمع ، وان التعريب ، أي إضفاء الطابع العربي ، هو خير وسيلة للتبيّين و التبيين و الإبداع الفكري ، إذ يسمح بالاستيعاب و الغوص في المعنى ، إذا كان حسب الأصول ، ومن اللازم ، لبلوغ هذا الأرب ، التشبّع باللغة العربية و إعطاؤها حقها بالعودة إلى التراث و حفظ ما يتيسّر منه و التطبّع باللغة القحّة لكي تجري بطلاقة على اللسان و القلم ، ومن ذلك الاستمرار في سنّة حميدة متّبعة ، هي تحفيظ القران الكريم للنشء و عدم الحيد عنها ، وان التعريب لا يعني الانزواء و الانطواء ، هكذا [3] و لا يعتبر هذا النوع من البحث مفيدا في استقصاء تاريخ اللغة العربية [4] تعتبر هذه العلوم من مكملات الثقافة الدينية و الأدبية ، وهي أساس ضروري لكل باحث وعالم ، ، بل هي المواد التي تدرس في السنوات الأولى من التعليم ، فكانت تولي عناية و أهمية بالغتين ، فيها يستقيم اللسان وبها تفهم مسائل الدين و تتضح الآيات و الأحاديث ، لذا وجدنا كثيرا من الفقهاء و المحدثين إلى جانب اهتماماتهم الدينية يؤلفون كتبا في النحو و اللغة ، ولهم فيها آراء و اجتهادات ، وكذلك الأمر مع الأدباء و الكتاب ، غير أن ما يلفت النظر في عصر الموحدين ، هو ظهور أعلام كبار في النحو لهم اجتهادات وآراء جديدة في هذا الميدان كان لها أثرها الظاهر في علماء النحو فيما بعد ، فأراء ابن مضاء القرطبي (592هـ/ 1196م) لا تزال تشغل الدرسين المتخصصين حتى الآن كما برزا في أواخر العصر أقطابا عظماء لهم مكانتهم المرموقة في مراتب النحويين في المشرق و المغرب و لهم مؤلفات قيمة في هذا المجال [5] مما يدل على فضل هذه اللغة العربية أيضا ، وتقدمها على جميع اللغات ، أن أربابها و أصحابها هم العرب الذين لا أمة من الأمم تنازعهم فضائلهم ، ولا تباريهم في مناقبهم ومحاسنهم ، وان كانوا تواضعوا على هذه اللغة فلم يكن تنتج أذهانهم الصقيلة ، وخواطرهم العجيبة ، إلا شيئا خليقا بالشرف وأمرا جديرا بالتقدم ، وان كانت توفيقا من الله تعالى لهم ، ومنة منّ بها عليهم ، فلم يكن بدلهم من العناية بشأنهم ، والتشييد

---

[1] يوسف عيد ، النشاط المعجمي في الأندلس ، ط ، دار الجيل ، بيروت ، (د س ط) ، ص 31.

[2] يوسف عيد ، المرجع السابق ، ص 32.

[3] محمد الديداوي ، المرجع السابق ، ص 20 .

[4] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 259.

[5] محمد مجيد السعيد ، الشعر في عهد المرابطين و الموحدين بالأندلس ، ط3 ، (1429هـ/2008 م) ، دار الراية ، عمان – الأردن ، (د س ط) ، ص 74.

من ذكرهم .. وأخذت في تفضيل العرب على الأمم ، وهو يحتاج إلى جزء مميّز، وكتاب مفرد [1] قال الشيخ يحي في رسالته المسماة بارتقاء السيادة أن العرب المأخوذ عنهم اللسان العربي الموثوق بعربيتهم [2] ازدهرت حركة التأليف الأدبي في العصريين بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الآداب الأندلسية ، وبلغ نضجها وتنوعها إن تناولت مختلف ميادين النثر الفني ، فعالجوا النقد الأدبي وفن الترجمة و السير و المقامات و النثر الديواني و الرسائل الاخوانية و التاريخ و الجغرافية و الرحلات ، وليس هنا مقام تبيان خصائص تلك المؤلفات فنيا ، و دراسة مميزاتها و سماتها ، ومدى تأثرها بالآداب الشرقية و مقدار الأصالة و التجديد فيها [3] إذ يمكن بوجه عام أن توجد في مجالات موضوعية معينة ، الدين أو الخطب ، نصوص بنظر إليها على أنها صعبة ، سواء أأنشئت في الوقت الحاضر أو قبل قرون ، ويصدق مثل ذلك على تلك القصائد العربية [4] منذ وصول الجيوش العربية الفاتحة المتعاقبة ، والتي كانت لها اليد الطولى في تعريب المغرب و أسلمته في الآن نفسه ، لقد تمّ هذا التعريب ببطء عبر فترة طويلة امتدت من أيام عقبة بن نافع في القرن السابع إلى غاية وصول القبائل الهلالية [5] امتزجت تلك العناصر المتباينة ، وسارعوا إلى تعلم اللغة و التكلم بها تقربا من الفاتح ، واستدرارا للرزق ، و تفقها في الدين ، فكثر اللحن و سرت عداوة إلى البادية و قد كان قاصرا على الحاضرة ، وبقي داء العجمة يستفحل بين العامة و الصناع بالرغم من محاربة الأئمة وأولي الأمر لهذا الوباء بتدوين علوم اللسان و تقبيح العامية ومقت المتكلمين بها ، حتى نشأ في كل لغة عامية .. و قد اتسعت دائرة اللغة بما اقتضاه تمدن الدولة [6] و عرفت بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) تحولات مهمة ساهمت في تشكيلها الهجرة الهلالية و الجفاف مما أدى إلى انتقال مركز ثقل الحياة المغربية إلى المناطق الساحلية [7]

عملية تعريب شمال إفريقيا عملية خاصة جدا لأنها حدثت في موجتين ، وكان الفارق الزمني بين الموجتين قرونا : أثناء الفتح العربي الأول احتلت الجيوش العربية المدن القليلة التي تركها السكان في ترحالهم في القرنين الرابع و الخامس الميلادي ، ولكن مراكز نشر الثقافة و اللغة العربيتين كان مدينة جديدة ، وهي مدينة القيروان التي سرعان ما أصبحت أهم مدينة في شمال إفريقيا ، ففي القيروان كما كانت الحال في المدن العربية

---

(1) الخفاجي ، المصدر السابق ، ص 52.

(2) جرمانوس فرحات ، المرجع السابق ، ص 11.

(3) محمد مجيد السعيد ، المرجع السابق ، ص 75.

(4) فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 143 .

(5) خولة طالب الابراهيمي ، الجزائريون و المسألة اللغوية ، عناصر من أجل مقاربة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري ، المرجع السابق ، ص 14 .

(6) أحمد حسن الزيات ، المرجع السابق ، ص 154.

(7) علاوة عمارة ، التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الإسلامي الوسيط ، المرجع السابق ، ص 233.

الأخرى أصبحت العربية لغة التواصل ، ذلك بالرغم من أن هناك بعض الإشارات إلى انه في القرن الثاني عشر الميلادي كان هناك متكلمون للهجات البربرية ما يزالون موجودين ، وظل معظم سكان الريف و القبائل البدوية يتكلمون البربرية حتى الفتح الثاني في القرن الحادي عشر عندما دخلت قبائل بنو سليم و بنو هلال المغرب ، جاءت تلكما القبيلتان من سوريا و شمال الجزيرة العربية في الأساس ، ودخلت معها قبيلة أخرى و هي قبيلة معقل التي تنتمي لأصل عربي جنوبي ، هاجرت تلك القبائل لمصر في بداية الأمر ولكن الخلفاء الفاطميين رحلوها إلى المغرب..وقد أبدع العرب البدو عنصرا عسكريا مهما أينما حلوا ، فلم يكونوا هم أنفسهم مهتمين بالمسائل السياسية ، ولكن الجو السياسي في شمال إفريقيا بصراعاته الكثيرة مكنهم من تغيير تحالفاتهم طول الوقت [1]

كانت اللغة العربية في أغراض بسيطة تناسب الحياة البدوية من وصف المشاهدات وإثارة المنازعات والحل والترحال والحث على إدراك الثأر ثم إنها تطورت بتطور الحالة الاجتماعية واستعملت في أغراض متنوعة استدعاها الانغماس في الترف والإمعان في الحضارة من وصف القصور وما فيها من النفائس والرياش والقيان والبساتين ذوات الأفنان، وما فيها من الأزهار والثمار إلى غير ذلك مما يتناسب مع أساليب نظام الملك والتطور الفكري والاجتماعي [2] و إذا عدنا إلى ماضي اللغة العربية نجده غنيا ومنتجا [3] هكذا عربت قبائل قبائل كثيرة لم تكن تعرف سوى البربرية بل هناك من القبائل من عربت نهائيا و فقدت " بربريتها " حتى أصبح يشك في أمرها و يستبعد إن تكون بربرية في بدايتها ، ولقد ساعد على هذه الحركة و تنشيطها [4] و لقد عرفت هذه العلوم في الشرق نوعا من الرقي و الازدهار بعد حركة الترجمة النشيطة التي قامت بها عناصر مختلفة [5] إن شئنا من مستويات التعريب و الأسلمة التي خضعت لها المنطقة و التي لعبت فيها التمدين دورا دورا كبيرا ، التمدين الإسلامي في بلاد المغرب بعيد الحياة و الانطلاق المناطق كانت قد انزوت منذ مدة طويلة " إن الريح تنفث طابع الشرق على هذا التدفق المدني الذي ينشر المدن بعيدا اتجاه الغرب باستمرار مثل القيروان و تيارت و فاس [6] و قال سهل بن هارون الكاتب : العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والبيان ترجمان العلم ، وأولى من هذا بالحجة قول النبي صلى الله عليه وسلم للعباس وقد سأله فيم الجمال

---

[1] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 105 .

[2] مريم عبد الحسين التميمي ، المرجع السابق ، ص 5 .

[3] صالح بلعيد ، اللغة العربية العالمية ، (د ط) ، دار هومة ، الجزائر ، 2003م ، ص 17.

[4] محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 32 .

[5] محمد بن أحمد ابن شقرون ، المرجع نفسه ، ص 211 .

[6] عبد العزيز السابق ، المرجع السابق ، ص 71.

فقال :" في اللسان "[1] يرتبط نشوء النحو العربي ارتباطا وثيقا بالوعي بتجاوز صياغتين للعربية ، العربية الكلاسيكية (الفصحى) و العربية الدارجة ، وتشير الحكاية بالإضافة إلى ذلك إلى أن المرء يعد السمة الأساسية للغة الدارجة هي غياب نظام الحالات الإعرابية الخاص بالاسم ، و يعزى فقد نظام الحالات الإعرابية إلى تأثير غير العرب (الأعاجم) ، الذين انظموا إلى المجتمع العربي بعد انتصار الإسلام [2] إنتاج اجتماعي لملكة اللسان [3] إذا حاولنا البحث عن مصطلح اللسان في النص القرآني نجده متنوعا.. إذا تتبعنا مفهوم اللسان في الآيات المذكورة سابقا نجد أنه عند الإمام النسقي في تفسيره هو علانية لغة قريش، ومن ثمة فإن اللسان على حد اعتقاده يساوي اللغة ، ويرى الزمخشري في كشافه أن مفهوم لفظة اللسان الواردة في سورة النحل إنما هي على معنى اللغة ، الأمر الذي جعل منه يفسر قوله تعالى: (بلسان قومه) أي بلغة قوم هو قرئ بلسن قومه اللسن اللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة [4] هذا فضلا عما ألف في ما وقع من الأشباه الأشباه و النظائر في القران الكريم ويظل كل ذلك غيضا يسيرا من فيض [5] فقد ربط بين تلك البنية و الأوضاع التاريخية التي ظهرت فيا وتطورت داخلها [6] ولا شك أن كتاب تمام حسن " اللغة العربية مبناها و معناها " يقف وحديا في مجال تطبيق النظرية اللغوية [7] .

و التراث مصطلح متداول في الكتب يأخذ دلالات وأبعاد وتصورات [8] ظل التراث يتناقل شفهيا في المراحل الأولى من الثقافة وعليه فهو يمثل الحياة العقلية الأولى لبيئة معينة وهو جزء من المورث الثقافي لأدبائنا وفنانينا، وجزء من الموروث الحضاري لأمتنا [9] كل مادة في التراث الإنساني سواء كان تراث شعبي أو أو مواقف تاريخية أو إنساني من دون أن يفرق بين أدب الأنا أو أدب الآخر إلا أن أصالة الأديب أوضح ما تكون في تحليل نفسية الشخصيات التاريخية واختيار البواعث التي تدرس تصرفاتها في ضوء المنطق العام للفترة

---

(1) الخفاجي ، المصدر السابق ، ص 61.

(2) فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 219 .

(3) منذر عياشي ، المرجع السابق ، ص 98 .

(4) حنيفي بناصر و مختار لزعر ، اللسانيات منطلقاتها النظرية و تعميقاتها المنهجية ، (د ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية بن عكنون ، الجزائر، 2009 م ، ص 35 - 36 .

(5) ابن قتيبة الدينوري ،كتاب الألفاظ المغربة بالألقاب المعربة ، تحقيق: عبد الله صديق ، ط ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، (1432هـ/2011م) ، ص 50، انظر: عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات و اللغة العربية نماذج تركيبية ، ط ، بيروت ، 1986م ، ص 360.

(6) صبيحة أحمد علقم ، تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية ، ط ، دار فارس للنشر والتوزيع ، 2006 م ، ص 26 .

(7) تمام حسن ، المرجع السابق ، ص 10.

(8) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، (د ط) ، مؤسسة الحلبي للنشر و التوزيع ، القاهرة ، (د س ط) ، ص 196.

(9) فاروق خورشيد ، الموروث الشعبي ، ط ، دار الشرق ، القاهرة ، 1992 م ، ص 35.

التاريخية الواحدة [1] فالألفاظ كما يقول "باسكل" "ذات الترتيب المختلف لها معان مختلفة، والمعاني ذات الترتيب المختلف لها تأثيرات مختلفة " [2] إلا أنه " لا يمكن أن يكون أمرا صارما ، فالألفاظ لها معان وعلاقات بالأشياء والسياق اللغوي هو الخبرة الإنسانية برمتها، ولذلك فمن المستحيل فصل دراسة الأسلوب عن محتوى العمل" [3]فأية دراسة أسلوبية ينبغي أن تقوم على الفرض الحاسم للفصل بين المحتوى والشكل، لأن العمل الأدبي وحدة واحدة، فلا انفصال للمعنى عن الأسلوب[4] فالواضح من هذا كله أن الشكل والمضمون كتلة متلاحمة تلاحما شديدا في الدراسات الأسلوبية [5] فأما ما نحن بصدده من ذكر اللغة العربية العربية فلا خفاء بميزاتها على سائر اللغات و فضلها ، أما السعة فالأمر فيها واضح ، ومن تتبع جميع اللغات لم يجد فيها – على ما سمعته – لغة تضاهي اللغة العربية في كثرة الأسماء للمسمى الواحد [6] العلاقة العلاقة بينهما عند القدماء و المحدثين : إن العلاقة بين اللغة و اللهجة لم تكن و واضحة عند علماء العربية القدماء ، و لذلك نجد ابن جني [7] يخلط بينهما و يعد اللهجات العربية لغات مختلفة ، و كلها حجة " [8]

---

[1] محمد لخضر زبايدية ، من أعلام النقد العربي الحديث ، ط ، دار الفكر المعاصر، باتنة – الجزائر، 2003 م ، ص 346.

[2] Monroe C Beardsley : Style and good style, in contemporary Essays on style, Historic linguistics and criticism, edition by Glen A. love and Michel payns, USA, 1969, P 04.

[3] R A Sayce : style in french prose, A methode of analysis, oxford university press, 1958, P 06.

[4] Louis T Milic : théories of style and their implications for the teaching of composition in contemporary essays en style, P 17.

[5] H G Widdowson : stylistics and the teaching of literature, Longman group limited, London 1979,P03.

[6] الخفاجي ، المصدر السابق ، ص 49.

[7] قد عرض لهذا الرأي من علماء المسلمين ، العلاّمة ابن جني في كتابه " الخصائص " ، فقال :" وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها ، إنما هو الأصوات المسموعات ،كدوي الريح ، وحنين الرعد وخرير الماء .. ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد " ، انظر : رمضان عبد التواب ، بحوث ومقالات في اللغة ، دار الرفاعي ، ط ، مطبعة المدني ، القاهرة ، (1403هـ/ 1982م) ، ص 17.

[8] عبد الله بن عبد الرحمان بن سعد العياف ، المرجع السابق ، ص 5 .

وكان ابن جني [1] رجل جدا أهل أصدق في فعله وقوله فلم يعرف عنه اللهو والشراب والمجون، وكان عن اللسان والقلم يتجنب البذيء من الألفاظ ولم يكن همه رضا الملوك ومنادمتهم كأدباء عصره [2] البيان و التبيين للجاحظ وهو أبو عبيدة عمرو بن محبوب الكناني ، المتوفي سنة (256هـ / 870م) والجاحظ ذلك "المعتزلي الكبير يعد بحق مؤسس علم البلاغة العربية ، فهو أول أديب عربي توسع في دراسة هذا العلم و أعطاه الكثير من نشاطه الأدبي والفكري" [3] وقد بلغ أبو الفتح في علوم العربية مكانة سامية أثبتها له المتقدمون والمتأخرون على سواء تدل على ما بلغه ابن جني من سمو المكانة وعلو المنزلة في علوم العربية ومن يطلع على نصوص الذي ترجموا له بتأكد من هذه المرتبة السامية التي لم ينلها أحد سواه، يقول الثعالبي: " هو القطب في لسان العرب وإليه انتهت الرياسة في الأدب" [4] ورد في كتاب العين للفراهيدي : (السَّرْدُ : اسم جامع للدروع ونحوها على عمل الحلق، وسمي سردا لأنه يسرد فيثقب طرفا كل حلقة بمسمار [5]

و في معجم المحيط للفيروز آبادي: (في مادة " س ر د " درع مسرودة ومسرودة بالتشديد فقيل سردها نسجها وهو تداخل الحلق بعضها في بعض وقيل السرد الثقب والمسرودة المثقوبة وفلان يسرد الحديث إذا كان جيد السياق له وسرد الصوم تابعة وقولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرد أي متتابعة وهي ذو القعدة، ذو الحجة ومحرم وواحد فرد وهو رجب) [6] و استخدم إلى جانب ذلك أيضا الخط الآرامي ، ويجب على المرء أن يضع نصب عينيه أن هذا النقش لا يسبق فترة ازدهار الشعر العربي القديم – الأجزاء التي وصلت إلينا منه على أية حال – و أخيرا القران الكريم بقرنين إلى ثلاثة قرون ، حين يريد المرء أن يحكم على أهميته للتاريخ

---

[1] عثمان بن جني : بكسر الجيم وتشديد النون وسكون الياء معرب كنى- الأديب الموصلي، أبو الفتح ، أنظر : ابن جني ، الخصائص، ت: عبد الحميد هنداوي ، ط2، ج 1 ، دار الكتب العملية، بيروت - لبنان ، 2003م ، ص 6 ، أيضا : محمد محمود غالي ، أئمة النّحاة في التاريخ ، ط ، دار الشروق ، (1396هـ/1976م) ، ص 42 – 43 .

[2] الشربيني شريدة ، مقدمة الخصائص ، (د ط) ، دار الحديث ، القاهرة ، 2008م ، ص 9 .

[3] عبد العزيز عتيق ، تاريخ البلاغة العربي ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت - لبنان ، (د س ط) ، ص 15.

[4] الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك ، يتيمة الدهر، ط1، دار الكتب العملية ، بيروت ، 1983 م ، ص 137.

[5] عبد الحميد هنداوي ، كتاب العين مرتب على حروف المعجم ، ط1، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2003م ، ص 235 ، انظر : علي القاسمي ، المرجع السابق ، ص 6 - 7 - 8 .

[6] الطاهر أحمد الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير أساس البلاغة ، ج1 ، ط3 ، دار الفكر، (د س ط) ، ص 547.

اللغوي العربي حكما صحيحا [1] قال ابن منظور "رثى فلان فلانا يرثيه ومرثية : إذا بكاه بعد موته، قال فإن مدحه بعد موته قيل رثاه يرثيه [2]

تلك هي أن علوم البلاغة العربية ، أو إن شئنا قلنا : مقاييس الجمال البلاغي ، أو بعبارة ثالثة صورة التعبير الأدبي [3] بفضل الترجمة والتعريب المتناغم مع حال النقد الأدبي العربي [4] و مع أن عرب الجاهلية لم يكونوا يكونوا أهل كتابة ، فان الكتابة عندهم لم تكن نادرة كما يتخيّل بعضهم ، لقد كان العرب يكتبون بينهم العقود و المواثيق ، ويكتبون الرسائل في بعض الأحوال [5]

في القرن السابع قطعت بلاد البربر صلاتها بالغرب وارتبطت بالمشرق ارتباطا وثيقا لا محيد عنه ، ويبدو أن ذلك قد حصل دون صراع داخلي ودون أزمة ضمير ، وكان أسيادها الجدد – أي العرب – قد استطاعوا فيما بعد الكفّ عن ممارسة سلطانهم على نحو غير مباشر ، بيد أنهم وسموه بميسم لا يمحى ، لقد عرّبوا البلاد وكان هذا التعريب من القوة بحيث أمسى المغرب اليوم في جلّه مقاطعة نائية تابعة للعروبة ، ما أقصده بالعروبة ها هنا هو :

- أولا وقبل كل شيء تبني العربية لغة تخاطب و حضارة .
- اعتماد العربية و حدها للإفصاح عن المشاعر و الأفكار.

- الصدور عن حضارة تتولى اللغة العربية الإبانة عنها و اعتبار الإنتاج الأدبي و العلمي بمثابة مجيد و النظر إلى عيوبه بوصفها نماذج مثلى يجب أن تحتذى .

- الاصداع بالانتساب إلى النموذج الذي اعتمد هذه اللغة في المشافهة و التحرير و استشعار ما ينطوي عليه و التقولب على شاكلته في الحياة الاجتماعية و السياسية و العقلانية والعاطفية

- هو أساسا الارتباط الحميمي بين وضع لغوي و مجموعة من الأذواق الجمالية و الطموحات العاطفية و العادات الفكرية

- هو العلاقة القائمة بين التعريب و الأسلمة (حتى وان كان الأمران لا يتماهيان ولا يقترنان دائما

---

[1] فولفديتريش فيشر ، المرجع السابق ، ص 27.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج2 ، (د ط)، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، (د س ط) ، ص 12 ،كذلك : علي القاسمي ، المرجع نفسه ، ص 8 .

[3] مصطفى الصاوي الجويني ، البلاغة العربية تأصيل و تجديد ، (د ط) ، مطبعة شركة آلات و لوازم المكاتب ، الإسكندرية ، (د س ط)، ص 5.

[4] حميد الحميداني ، بنية النص السردي ، (د ط) ، (د س ط) ، ص 150-151.

[5] عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 38، أيضا: فتحي عبد الفتاح الدجني ، أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ، ط ، 1974م ،ص 14.

وهكذا إذن عاشت الجزائر أي المغرب الأوسط في ذلكم الزمان على غرار أية منطقة ناطقة بالعربية التطور اللغوي نفسه) على الأقل فيما يتعلق باللغة ، بما أن هذه اللغة على أيامنا هذه وان بدت متجانسة جدا إلا أنها تشهد شأنها في ذلك كشأن اللغات الطبيعية الأخرى تباينا واضحا يستمد جذوره من الماضي السحيق [1]أنها جسد واحد لا تحده الحدود الجغرافية ولا الجنسية، فأبناؤنا في المشرق إلى الغرب [2]

ما أحسن حفظ اللسان لو   حفظ حفظ هذا لسانه ما هلك [3]

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى   إن البلاد موكل بالمنطق [4]

وكما هو متوقع عرّبت في البداية وبشكل حاسم بلدان الهلال الخصيب ، وكذلك المناطق التي كانت تتحدث فيما مضى العربية الجنوبية ، على انه يمكن هنا أيضا أن هذه العمليات تظل بالنسبة لنا مندثرة بالظلام ، ونستطيع على الأكثر من مؤشرات غير مباشرة مثل انتقال لغة الديونة و الإدارة من اليونانية أو الفارسية الوسطى (البهلوية) إلى العربية في بداية القرن الثامن الميلادي ، الانتهاء إلى أنه أيضا في العالم الذي حييت فيه الإدارة قد تحققت درجة معينة من التعريب .

يرى جماعة من المحققين أن اللغة العربيّة اقرب من أخواتها إلى الأصل الساميّ [5] لذلك "إن جذور الأدب الإغريقي وكذلك أساطيره وفنونه تمتد إلى أعماق الربة الشرقية [6] إن التعريب بناء يقوم في الأساس الأساس على استخدام اللغة العربية بإتقان و براعة ، في كل مجال ولذا ينبغي العناية بتعليم اللغة العربية وفق الطرائق التعليمية و التربوية الناجعة [7] اللغة هي الأساس الذي تقوم عليه الدراسات [8] من ناحية محتواها محتواها العاطفي ، أي التعبير عن وقائع الإحساس عبر اللغة، وفعل اللغة في الإحساس [9] الأصوات اللغوية اللغوية من حيث هي عناصر وظيفية أي أن علم الأصوات الوظيفي ينظر في أصوات اللغة من جهة الوظائف التي يقوم بها في جهاز التواصل اللساني، وتندرج تحته قضايا صوتية هامة مثل " الفونيم " و المقطع

---

[1] عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 38.

[2] عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث (1930- 1974)، (د ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981م ، ص 165.

[3] شهاب الدين محمد بن أحمد الابشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، (د ط) ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، (د س ط) ، ص 145.

[4] شهاب الدين محمد بن أحمد الابشيهي ، المصدر السابق ، ص 145.

[5] أبي عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (708- 761 هـ / 1308- 1389 م) ، المصدر السابق ، ص 115.

[6] أحمد عثمان ، الشعر الإغريقي ، (د ط) ، دار المعرفة ، 1981 م ، ص 309.

[7] سام عمار – شحادة الخوري ، التعريب في الوطن العربي واقعه و مستقبله ، مطبعة المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم ، تونس ، 1996م ، ص 95.

[8] معمر حجيج ، إستراتيجية الدرس الأسلوبي ، (د ط) ، درا الهدي للطباعة والنشر و التوزيع ، عين مليلة ، 2007م ، ص 77.

[9] سلميان العطار ، الأسلوبية علم وتاريخ ، مجلة فصول ، المجلد الأول ، (د ط) ، العدد2 ، 1982م ، ص 133- 135 .

الصوتي والتنغيم [1] من أشهر أنواع الأدب النثري وتقدم الروايات قصص شائعة تساعد القارئ في معظمها معظمها على التفكير في القضايا الأخلاقية والاجتماعية [2] " الأدب التعبيري عن الحياة أداته اللغة " [3] أراد التعبير عنه وهي لغة "متينة تتحاشى المبتذل وتبتعد عن الحواشي ولا تتسامح في المحافظة على القواعد اللغوية إلا نادرا " [4] رجل ، بليغ وبلغ: حسن الكلام، فصيحة، يبلغ ببلاغة لسانه ، كنة ما في قلبه ، والجمع بلغاء ، أما محمد مرتضى الحسيني الزبيدي في كتابه تاج العروس من جواهر القاموس[5] وقال أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين : البلاغة من تولهم: بلغت الغاية، إذ انتهت إليها وبلغت ما غيري، ومبلغ الشيء منتهاه.

و المبالغة في الشيء : الانتهاء إلى غايته، فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهى المعنى [6] ضم النقاد المحدثون علوم البلاغة ومصطلحاتها تحت اسم الصورة أو الأسلوب أو النقد أو الأدب [7] ويرى بعضهم إن الإدغام هو كلام العرب الذي لا يحسنون غيره [8] البلاغة في الاصطلاح تكون وصفا للكلام والمتكلم، فبلاغة الكلام ، هي مطابقتها لمقتضى الحال [9] فالبلاغة هي أن تجعل لكل مقام مقال، فتجوز حيث يحس الإيجاز وتطنب حيث يجعل الإطناب وتؤكد في موضوع التوكيد وتؤخر إذا رأيت ذلك أنسب لقولك [10] يؤرخ لرجال البلاغة تأريخا تخطيطيا مصطفى الجويني ، متحدثا عن البلاغة في سجل التاريخ ، مشيرا إلى ما ضاع وما بقي اسمه [11].

---

[1] نور الهدى لوشن ، مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، (د ط) ، المكتبة الجامعية الأزريطة ، الإسكندرية ، 2000 م ، ص 123.

[2] موقع انترنيت : www.bram.jent.com

[3] عز الدين إسماعيل ، الأدب و فنونه دراسة و نقد ، ط8 ، دار الفكر العربي ، (د س ط) ، ص 30 .

[4] محمد مصايف ، دراسات في النقد والأدب ، (د ط) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1998م ، ص 65.

[5] مرتضى الحسني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، (د س ط) ، الكويت ، (د س ط) ، (مج و) مادة " بلغ " .

[6] أبو هلال العسكر، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق على محمد اليحاوي و محمد أبو الفضل، عيسى الباقي الجلي، ط ، (1371ه/ 1952م).

[7] محمد بركان أبو علي ، فصول في البلاغة ، (د ط) ، درا الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، (د س ط) ، ص 193.

[8] رضوان منيسي عبد الله ، الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديثة ، (د ط)، دار الطباعة ونشر الدعوة الإسلامية ، القاهرة ، 2006م، ص41.

[9] الربيعي محمد علي عبد الخالق ، البلاغة العربية و مائها و غايتها في النصوص البياني ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، سوتير – إسكندرية ، (د س ط) ، ص 03.

[10] محمد عبد المنعم الخفاجي ، عبد العزيز في البلاغة العربية بين التقليد و التجديد ، (د ط) ، دار الجيل ، بيروت ، (د س ط) ، ص 53.

[11] مصطفى الصاوي الجويني ، المرجع السابق ، ص 207.

لا يفطنون لعيب جارهم وهم لحفظ جواره فطن [1]

وسأل معاوية بن أبي سفيان صحار العبدي : ما البلاغة ؟ قال: " أن تجيب فلا تبطئ، وتصيب فلا تخطئ"، وقال الفضل قلت لأعرابي ما البلاغة ؟ قال:"الإيجاز وفي غير عجز والاطنان في غير خطل".

وقال الجاحظ: قال بعضهم، وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوناه، لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه، ولفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسق من معناه إلى قلبك [2] وقيل لجعفر لجعفر بن يحي بن خالد: ما البلاغة؟ قال : "التقرب من المعنى البعيد ، والدلالة بالقليل على الكثير" [3] بمعنى بمعنى أن يأتي الكلام ملائما لموضوعه ولحال المخاطبين به [4] ومنهم أيضا شهادة المستشرق "كلميت هوارث" يقول: ".. وقوة تعبيره لا يمكن بيانها لأنه لا يمكن ترجمتها إلى لغتنا التي إذا فعلنا اضطررنا إلى تحليل، التعبير إلى المعاني التي قصد إليها" [5] و من أروع ما قاله الإمام علي نفسه في طلب العلم وذكر فضائله قوله: «تعلم العلم فإنه إن كنت غنيا زادك وإن كنت فقيرا صانك ، ثروة العلمي تنجي وتبقي، وثروة المال تهلك وتفني ثروة العاقل في علمه، وثروة الجاهل في ماله»[6] و هكذا وصلت اللغة العربية مزوّدة بمحاسن لغات عديدة و حضارات كثيرة [7] ويرى الإمام علي رضي الله عنه " إن البلاغة إيضاح المت بأسهل ما يكون من العبارات " [8] و أمثال سائرة وأشهرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم من سار على دربه من الصحابة والتابعين ونخص بالذكر منهم علي وما أتاه الله سبحانه وتعالى من حسن اللسن وقوة البلاغة [9]حيث يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتي ببابه"[10]

كان الإسلام فتحا ثقافيا ، وقبل أن يصل العرب البلاد و يحكموها كان هذا الفتح الثقافي فتحا عربيا هيأ المسلمين الصنهاجيين ، ومهد لهم تمهيدا ليكونوا – أو يعودوا – عربا ، يحرصون على انتمائهم العربي

---

[1] شدى فكار ، في حوار حول الحاضر بالماضي عبر الأندلس ، ط 2 ، المغرب – الرباط ، 1992م ، ص 142.

[2] عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة ، ط ، دار الشروق ، (1402هـ/ 1982م) ، ص 93.

[3] أحمد بن عبد ربه الأندلسي ، المصدر السابق ، ج1، ص 237- 238.

[4] الربيعي محمد علي عبد الخالق ، المرجع السابق ، ص03.

[5] سلام الصالح الصديق البيان ، من علوم القرآن ، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكباب ، الجزائر ، (د س ط) ، ص 17.

[6] محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، (د ط) ، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ، (1924 هـ / 2004 م) ، ص 671.

[7] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 51.

[8] عبد القادر حسين ، فن البلاغة ، ط 2 ، دار الكتب ، بيروت ، (1405 هـ / 1984م) ، ص 15.

[9] عز الدين بن الأثير الجوزي ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ط4 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د س ط) ، ص95 .

[10] عز الدين بن الأثير الجوزي ، المصدر السابق ، ص 95.

كما يحرصون على عقيدتهم الإسلامية ، فأكملوا ما كان الصنهاجيون[1] بدأوه من تعريب المجتمع وانطلق في في البلاد تياران قويان يتبادلان التأثير يسند كل منهما الآخر : تيار التعلم ، وله في الزوايا قوة ومدد ، وتيار .. لقد سبق العرب إلى افريقية وبلاد المغرب وحكموها أكثر مما حكمها الأقدمون [2]

رافقت نشر الإسلام عملية تعريب المغرب ، فقد كان بلا هوية ثقافية و لا لغة مكتوبة ، فلما دخل الإسلام تلك البلاد كان لابد للبربر من تعلم اللغة العربية لقراءة القران ، **قال تعالى : { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }** [3] إن اللغة العربية من أهم مقومات أمتنا العربية ، وعنوان هويتها القومية وجوهر وجوهر ثقافتها ، وسمة حضارتها الإنسانية ، ومن طبيعة الأمور أن تكون اللغة القومية ، اللغة الأم ، أداة التفكير و التعبير في مختلف مجالات الحياة ، لغة التعليم و التعلّم ، ولغة نشاطات الإنسان المختلفة الثقافية والاجتماعية بيد أن ظروفا معينة جعلت اللغة الأجنبية تحلّ محّل اللغة العربية فتستخدم كليا و جزئيا في بعض مجالات التعليم [4] فهم تفسيره و تعلم الحديث بالإضافة إلى إقامة الصلاة ، هذه الناحية الدينية أسهمت مساهمة فعالة في نشر اللغة العربية و صبغت البلاد بالصبغة العربية وبعد فتح الأندلس اندفعت القبائل إلى الاستيطان فيه ، كان المغرب الممر الوحيد الذي تجتازه هذه القبائل المهاجرة وقد تركت هذه العمليات من الهجرة بصماتها الثقافية و الحضارية حيث حلت ، فاستفاد المغرب منها قدر الإمكان ، ورغم ذلك لم يتم تعريب البلاد ثقافة و لغة لان هذه المحاولات اقتضتها ظروف الفتح و عملية انتقال القبائل العربية ، ولم تكن هادفة إلى تعريب المغرب ، ومع ذلك كانت محاولات مشجعة غرست في نفوس السكان بذور الثقافة العربية إذ شعروا أنهم بحاجة إلى لغة العالمية للمساهمة في نهضتها خاصة بعدما ساهموا بوجودها السياسي والعسكري في فتح الأندلس[5] و بواسطة هؤلاء الفقهاء انتقلت التيارات الثقافية من المشرق إلى المغرب فانتشر علم

---

[1] صنهاجة : تعود أصولها إلى أصول عربية ما أورده صاحب الحلل الموشية : إنما تبربرت ألسنتهم لمجاورتهم البربر ومكوثهم معهم ولمصاهرتهم إياهم ، ومما يزيد من تأكيد نسبتهم إلى حمير قول ابن سعيد ، ويذكرون أن أصلهم من عرب عرب اليمن و العروبية بينهم ظاهرة ، انظر: ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا : تحقيق : إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط2 ، الجزائر ، (د س ط) ، ص124.

[2] الخليل النحوي ، المرجع السابق ، ص 40.

[3] سورة الزخرف ، الآية : ص 03 .

[4] سام عمار – شحادة الخوري ، المرجع السابق ، ص 114.

[5] سعدون عبّاس نصر الله ، المرجع السابق ، ص 131- 132 .

المدينة ، ومذهب المدنيين ، و طرق الاجتهاد ، وحياة الزهد ، والتقشف ، وبفضل عدم انقطاع سيل الهجرة إلى المغرب ، هجرة الرجال ، و تنقل أرباب المذاهب ، و الأفكار ، تعلم السكان مباديء الدين ، و العربية ، و حفظا القران ، و بنوا المساجد فأكثروا ، فكانت في هذه الفترة ، دور عبادة ، و مراكز علمية ، ومنتديات اجتماعية و سياسية [1] و قد حدثنا التاريخ عن أمثلة كثيرة للصراع اللغوي ، مثال ذلك : حينما فتح العرب جهات متعددة اللغات استطاعت اللغة العربية آخر الأمر أن تصرع تلك اللغات في مهدها [2] و لعل ما جاء في القرآن الكريم من اشتقاقات اللغة لا يحمل إلا معنى الكلام الباطل المنحرف عن جدة الحق والصواب .. تكلم و من هذا كاف [3] وهذا فيما يخص تعريف اللسان واللغة في الحولية المعجمية العربية [4] لمصطلح اللسان معاني في الحوالية المعجمية والمدونات اللسانية وسنقتصر شرح ذلك على ما يلي: "اللسان في الأصل (المعنى الحسي) جارحة الكلام وآلته فهو العضو اللحمي المعروف في الغم" [5]يعد الشعر الجاهلي من من أقدم الأشعار التي حفلت بالتجربة المكانية متجاهلة في الوقوف على الطلل [6] وورد تعريفه في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مختار الصحاح للإمام عبد القادر الرازي حيث يعرفه ابن فارس في معجمه : " اللام السن والنون أصل صحيح، واحد يدل على طول لطيف غير بائن في عضو أو غيره من ذلك اللسان المعروف ، وهو مذكر والجمع ألسن فإذا كثر فهي ألسنة ويقال لسنته أخذته لسانك قال طرفة بن العبد :

وإذا تلسنني ألسنها فإنني لست بموهون غمرو [7]

تلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل وهو اللسان [8]استعمل مصطلح علم اللسان في كتابه إحصاء العلوم ، وأراد به تلك الدراسة العلمية لظاهرة اللسان البشري كما يستخدم في نصوص أخرى مخصصا للسان العربي كرفع الفاعل ونصب المفعول به،

---

(1) موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 132 – 133.

(2) محمد سالم محيسن ، المقتبس من اللهجات العربية و القرآنية ، (دط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1986م ، ص 9 .

(3) ابن جني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 08.

(4) أحمد شامية ، في اللغة ، ط1 ، دار البلاغ ، الجزائر ، 2003 م ، ص 10.

(5) أحمد شامية ، المرجع السابق ، ص 10.

(6) فتيحة كحلوش ، بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري ، ط1 ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت – لبنان ، 2008 م ، ص 66.

(7) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، (د ط) ، جدار الفكر، بيروت ، (د س ط) ، ص 246 - 247.

(8) عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 700.

وبذلك فهو ميز بين الدراسة العلمية للسان البشري بعينها من جهة معنى خاص يضاف فيه مصطلح اللسان إلى لغة معينة من جهة أخرى ، ويتميز الفارابي باستخدامه هذا بالرؤية العلمية الثاقبة التي استطاع أن يمس به مبدءا هاما من مبادئ علم اللسان الحديث وهو مبدأ الدراسة العلمية والوصفية التي تهدف إلى أن تستوعب جميع اللغات البحث [1] و بذلك فهذا التعريف اعتبره الباحث الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح بأنه يصلح لمفهوم اللسان لا اللغة، لما يتضمنه من حقائق تخص الدراسات اللسانية [2] و نص الإمام عبد القادر الرازي على أن جذر الكلام "اللام والسين والنون" اللسان جارح الكلام.. واللسن بفتحتين الفصاحة وقد السن من باب طرب، فهو لسن ألسن وفلان لسان القوم إذا كان المتكلم عنهم واللسان لسان الميزان ولسنه أخذ بلسانه [3]وليس صحيحا أن العربية عاجزة عن الاتّساع للعلوم ، فقد كانت لغة العلم ، وبفضل أوزانها و إمكاناتها ، فإنها أطوع و أبين ، شريطة التنطّس فيها و الاطلاع على كنوزها و استغلالها و الحرص على التعريف و التبيين فيها ، وان هذين المسارين ، أي التعريب و الانفتاح أساسيان لان المعطيات مختلفة تماما عما كانت عليه أيام ازدهار الترجمة ، التي كانت الوسيلة الفريدة لنقل العلوم .. والمقصود بالتعريب في هذا المضمار ، اطّلاع العلماء و الخبراء العرب متعدّدي اللغات على المعلومات في مصادرها الأجنبية ونقلها بالكتابة عنها في العربية بعد أن يستخلصوا زبدتها [4] و لما قدم الأدارسة إلى المغرب وجدوا أن الطريق ممهدة ممهدة أمامهم لإكمال عملية التعريب فتابعوا الطريق ، فبعد أن رسخت الدولة أقدامها و أضحى لها كيانها المستقل وفدت عليها القبائل العربية من الشرق و الغرب على حد سواء للإقامة فيها ، ويذكر المؤرخون أن أغلب هؤلاء التابعين بقوا في القيروان عاكفين على أداء مهمتهم السامية حتى توفاهم الله ، وتمكن بعضهم من بناء مساجد كانت تقام فيها حلقات التدريس و الإفتاء ، ومجالس القضاء – و أهمها مسجد الزيتونة الذي ينسب لإسماعيل ابن المهاجر ، ومسجد الحبلى – ومسجد ابن أبي مسيرة ، ومسجد محمد بن خيرون بالقيروان ، ولم يكن هؤلاء العلماء ، بمعزل عن الحياة السياسية ، فقد اتضح دورهم السياسي أثناء قيام الفتنة

---

[1] الطيب دبة ، مبادئ اللسانيات البنيوية ، دراسة تحليلية ابستيمولوجية ، (د ط) ، دار القصبة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2001 م ، ص 17.

[2] بالملياني بن عمر ، ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث ، (د ط) ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون – الجزائر، 2006 م ، ص 12-13.

[3] عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، (د ط) ، دار الحديث ، القاهرة ، 2003 م ، ص 283.

[4] محمد الديداوي ، مفاهيم الترجمة ، المنظور التعريبي لنقل المعرفة ، ط ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، 2007م ، ص 161.

الخارجية في افريقية [1] ونستطيع بعد أن ناقشنا حركة انتشار الإسلام في افريقية أن نشير إلى أن المراكز الثقافية في هذه الفترة المبكرة ، تمثلت في الكتاتيب ، وكانت في البدر خياما ، ثم أصبحت ، بعد حركة الاستقرار .. وأول إشارة إلى الكتاتيب في افريقية ، ترجع إلى نهاية القرن الأول الهجري ذكرها الدباغ في ترجمة سفيان بن وهب الخولاني ، برواية غياب بن أبي شبيب [2] ، كان الوافدون على مستوى ثقافي و حضاري أضفوا على الدولة الطابع العربي الصرف لغة و ثقافة و علوما فكان منهم الوزراء و الكتاب و القضاة ، وهذا ما شجع المغاربة على محاكاة أرباب الدولة فانكبوا على التزود من الثقافة العربية ليساهموا في حضارة الدولة التي قامت بينهم و على أكتافهم وليكون لهم دور في إدارة شؤونها ، وقد شجع الأئمة هذه الظاهرة بجلوسهم للبربر و التحدث إليهم باللغة العربة و إقامة المدارس في المساجد التي أسسوها ، فكانت منائر للعلم و العبادة [3] و أخذت الحركة العلمية تنمو سريعا بفضل الكتاتيب و المساجد و ما بها من حلقات الشيوخ حيث تلقى محاضرات في مختلف العلوم الشرعية و اللغوية ، وزاد الحركة سرعة في النمو تأسيس المدارس و الزوايا و إنشاء المكتبات فيهما و في المساجد ، وكانت ترعى الحركة العلمية الدول التي نشأت في الجزائر ، الدول الاباضية في تاهرت و دولة بني حماد في بجاية و قلعتها و دولة بني زيان أو بني عبد الواد في تلمسان ، وكان من العوامل القوية في نشاط الحركة العلمية بالجزائر نزوح الأندلسيين إليها بالآلاف في القرن السابع الهجري و الحادي عشر و عرضت علماءها الإعلام في علوم الرياضية و الفلكية و في الفلسفة و علم المنطق ، وبالمثل في علوم اللغة و النحو و العروض و البلاغة و في علو من القراءات و التفسير و الحديث و الفقه و الكلام و التاريخ [4] وكانت اللاتينية منشرة في الساحل الشمالي للجزائر قبل الإسلام ، وكان الشعب الجزائري يتكلم البربرية لغة أبائه و قومه ، و أخذت العربية تقهر اللغتين في ألسنة البربر ، لأنها لغة دينهم الحنيف ، وبدون ريب تعربت المدن الكبيرة منذ القرن الثاني للهجرة ، وخاصة المدن الشمالية ، أما في الداخل و الجبال فيظل يغلب على الناس التخاطب بالبربرية في حياتهم اليومية ، و أتمت الزحفة الأعرابية في منتصف القرن الخامس الهجري

---

[1] سعدون عبّاس نصر الله ، المرجع السابق ، ص 131- 132 .

[2] موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 133.

[3] سعدون عبّاس نصر الله ، المرجع السابق ، ص 131- 132 .

[4] شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 7 .

تعرب الجزائر ، والمظنون أن لغة الاعراب الفصيحة أخذت تفسد في القرن السابع و اخذ ينشأ شعر شعبي على نحو ما نعرف في قصة الهلالية ، غير أن الشعر الفصيح ظل هو المسيطر ، وله الكلمة العليا ، و قد أخذ يكثر شعراؤه ، و ذكرت أعلامهم في الدول و العصور المختلفة ، ثم أخذت أفصّل عن شعراء المديح و أهمهم على مر الزمن و الدول ن و ترجمت لعبد الكريم النهشلي و عبد الله بن محمد التنوخي (قاضي ميلة) و ابن خميس ومحمد بن يوسف القيسى التلمساني و الشهاب بن الخلوف و محمد القوجيلي ، وعرضت شعراء الفخر ، ومن أعلامه أبو حمو موسى الثاني و بالمثل شعراء الهجاء ، و من كبار الهجائين بكر بن حماد التاهرتي و سعيد المنداسي [1] ، كما عرضت أصحاب الشعر التعليمي ومن أفذاذهم عبد الرحمان الاخضري ناظم السلم المرونق في علم المنطق ، و تحدثت عن شعر الغزل على مر العصور و ترجمت لأهم أعلامه : محمد بن أحمد الاريسي و ابن علي ، و عرضت شعراء وصف الطبيعة مع الترجمة لإبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي التلمساني و تحليل ملحمته في الصيد [2]، و تناولت شعراء الرثاء على مر الزمن وترجمت لعلّمه : محمد بن علي بن حماد القلعي ، و عرضت شعر الزهد و التصوف و ترجمت لعلمين هما أبو العيش بن عبد الرحيم الخزرجي و التازي ، و تحدثت عن شعراء المدائح النبوية على مر التاريخ الجزائري ، و ترجمت لمحمد بن عبد الله العطار ، و له ديوان في المديح النبوي الشريف ، وتحدثت عن الخطب و الوصايا في عهد الدولة الرستمية و في بجاية و تلمسان مع الإلمام بكتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك ، وهو وصية كبيرة قدمها أبو حمو موسى الثاني لابنه : أبي تاشفين ، وعرضت الرسائل الديوانية في عهد الدولة الاباضية و الدولة الحمادية [3] فان فكرة نقاء اللغة العربية من كل شائبة ظلت الفكرة الأساسية عند بعض العلماء المسلمين ، و كذلك رفض العلماء المسلمون وظلوا يرفضون حتى الآن كل المحاولات الغربية للبحث عن أصول أجنبية في لغة القران [4] من قابل كتب الصرف و النحو في اللّغة العربية – على كثرتها بين قديمة وحديثة- بمثلها في اللّغات الإفرنجية يجد هناك فروقا كثيرة ، أهمها أن الإفرنج قد طبقوا أحكام لغاتهم و قواعدها على ما وصلوا

(1) شوقي ضيف ، الدول و الإمارات الجزائر – المغرب الأقصى – موريتانيا – السودان ، ط ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995م ، ص 7 .

(2) شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 7.

(3) شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 7 .

(4) كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 84 .

اله من الحقائق في علم اللّغة أو فلسفتها ، و هو العلم الذي يبحث عن تاريخ الألفاظ و تنوعها و دلالتها مع ما طرأ عليها من التغير كما قال المرحوم جرجي زيدان في كتابه " فلسفة اللّغة " ، بحيث صارت أحكام لغاتهم و قواعدها لا صناعة فقط كما هي عندنا بل علما أيضا [1] قال ابن خلدون :" و أهل صناعة العربية بالأندلس و معلّموها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة و تعليمها من سواهم لقيامهم فيها شواهد العرب و أمثالهم ، والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم ، فيسبق إلى المبتدئ كثير من الملكة أثناء التعلم فتنقطع النفس لها و تستعد إلى تحصيلها و قبولها " ، وقد كان هذا أسلوب أهل الشرق أيضا لعهد الدولة الأمويّة و العباسية كما قال ابن خلدون في موضع آخر ، فالذين يتفقهون في كلام العرب في هذا الدور أحسنوا الملكة ، والذين أحسنوا الصّناعة ، والذين عنوا بالأمرين أحسنوا الملكة و الصناعة معا و في الدور الثاني اقتصروا على القوانين و جرّدوا كتبهم من أشعار العرب وكلامهم ، وهو أسلوب أهل المغرب و افريقية و غيرهم ، قال ابن خلدون :" أمّا من سواهم – أي سوى أهل الأندلس – من أهل المغرب و افريقية و غيرهم فأحرقوا صناعة العربية مجرى العلوم بحثا ، وقطعوا النظر عن التفقه في تراكيب كلام العرب – إلا أن أعربوا شاهدا أو رجحوا مذهبا من جهة الاقتضاء الذهني لا من جهة اللسان و تراكيبه – فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة المنطق العقلية أو الجدل ، وبعدت عن مناحي اللسان و ملكته ، وما ذلك إلا لعدولهم عن البحث في شواهد اللّسان و تراكيبه ، وتمييز أساليبه ، وغفلتهم عن المران في ذلك للمتعلم ، فهو أحسن ما تفيده الملكة في اللسان" .. فتعلقنا بالصّناعة و أهملنا الملكة [2] أثرت في هذه البلاد تأثيرات ذات نتائج خطيرة جعلت التاريخ البشري في كل الجهات يتجه اتجاها جديدا [3] وقد عرف المغرب بصفة عامة العديد

(1) خليل السكاكيني ، المرجع السابق ، ص 23 .

(2) خليل السكاكيني ، المرجع السابق ، ص 56 - 57 .

(3) إسرائيل ولفنسوف ، المرجع السابق ، ص 162 ، أيضا : عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، ج1 ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص173 ، كذلك : عبد الحميد حاجيات ، دور بني عامر في تاريخ الغرب الجزائري أيام الدولة الزيانية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة تلمسان ، 2002م ، ص157.

من الهجرات الأندلسية [1] ومن أجل ذلك امتازت اللغة العربية لغة تلك القبائل عن اللغات السامية الأخرى بزيادة عدد قليل [2]

انحدر من قبيلة هلال — التي هي القبيلة الثانية — إحدى عشرة عمارة : أولاها بنو عامر القاطنون بين تلمسان ووهران الذين يعمرون سهول كرط كلها إلى جبال بني راشد ، وينتشرون نحو ليبيا إلى صحراء تكوراين ، و يسمون حاليا المليانّيين أو شرفاء مليانة ، وينقسمون إلى خمسة بطون يمكن أن يصل عددهم إلى ستة آلاف فارس من أحسن الفرسان و خمسين ألف راجل ، وهم أثرياء مسيطرون على برابرة الحقول [3] و على ما ورد عن العرب في صور الألفاظ و التراكيب ، وما كانوا معنيين بذلك لان اللغة العربية لغة الدين ، ولغة الفاتحين ، وإنما كانوا معنيين بها من حيث هي لغة لها أصول [4] أن الجبال الثلاثة الكبرى الناطقة بالبربرية اليوم ، كانت تمثّل آنذاك أيضا الهيكل الأساسي لاستعمال اللغة البربريّة في افريقية ، فمنذ عهد بعيد تعرّب لغويا معظم سكان منطقة القبائل الصغرى من قدماء كتامة ، وذلك منذ مساهمتهم في الحياة السياسية الإسلامية ، بمناصرتهم للمهدي الفاطمي ، كما تعرّب أيضا ، ولكن منذ عهد قريب ، تحت تأثير الهلاليّين ، حسبما أشار إلى ذلك ابن خلدون ، الوهاصة ، سكان منطقة عنّابة و هوّارة المقيمون في منطقة التلّ الأعلى التونسي التي ليس لدينا حولها معلومات كافية بالنسبة إلى تلك الفترة ، بدأت حركة التعريب على نطاق واسع عن طريق وجود بني هذيل ، ومن المؤكّد أن البلاد التونسية الحالية ، باستثناء أقصى الجنوب ، قد تعرّبت في أواخر العصر الوسيط بصورة تكاد تكون تامّة [5] و أنه من الممكن تاريخيا اعتبار سكانها الذين همّ أقدم و أشدّ المتأثرين بالمدد العربي ، أكثر سكّان شمال افريقية "تعرّبا" ، إذا أخذنا بالاعتبار الاستثناءات المشار إليها أعلاه ، فل أنّ تراجع اللهجات البربرية أمام اللغة العربية ، الواضح منذ بداية الفتح الإسلامي ، والمتفاقم في افريقية مابين القرن الحادي عشر و الثالث عشر ، قد تواصل بانتظام فيما بعد ، حسب النّسق البطيء الذي أماطت عنه اللثام التحقيقات الجارية اليوم ؟ ، وهل لم يحصل أحيانا تقدم في الاتجاه المعاكس ، بالنسبة للبربرية على حساب العربية ، في الحالة التي لوحظت مثلا في بداية قرننا هذا ؟ حيث وجدت بعض

---

[1] مؤلف مجهول ، نبذة في أخبار ملوك بني نصر ، تحقيق : ألفريد البستاني ، ط ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، 2002م ، ص46.

[2] العرب قد وفقوا إلى الإبداع في وصف الصحراء وحيواناتها النموذجية ، كالجمل الذي اتصلت حياتهم به اتصالا وثيقا ..ويبدو أن هذه اللغة الغنائية ، أو الشعرية ، التي نجد مثيلها عند كثير من الشعوب البدائية ، لم تسد في نجد و الحجاز فقط ، بل امتدت سيادتها إلى قلب البلاد العراقية أيضا ، ثم انها صارت أم العربية الفصحى التي جعلها الإسلام لغة عالمية في الشرق الأدنى ، وعلى طول الساحل الجنوبي من البحر المتوسط بكامله , انظر : كارل بروكلمان ، المرجع السابق ، ص 30 .

[3] مارمول كربخال ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 103 ، عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 269.

[4] طه أحمد إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 73.

[5] روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 362- 363 .

المجموعات الصغيرة الناطقة بالبربرية ، نفسها محصورة في منطقة ناطقة بالبربرية ، وفي الحالة التي عرفها التاريخ ، حيث أجلت بعض المجموعات الناطقة بالبربرية بدورها ، بعض القبائل ذات الأصل "العربي" المزعوم أو الحقيقي ؟ ولا شيء يثبت مثلا أن مجال استعمال اللغة العربية في منطقة أوراس [1] و أسباب معاناة اللغة العربية من تفشي ظاهرة الضعف اللغوي في استخدامها على ألسنة [2] لقد مرت اللغة العربية بمراحل كثيرة كانت في بعضها متوحدة و في بعضها اعتراها الانقسام إلى لهجات ، ودراسة اللهجات أمر مهم للحفاظ على الفصحى و معرفة خط سيرها ، وقد درست اللغة العربية و لهجاتها على يد علماء العربية و غيرهم في القديم و الحديث ، ولعلماء العربية القدامى آثار كثيرة في هذه الدراسة [3] و للعربية عبقريتها الخاصة التي تذلل بها الكلم ، وتطوعها للصياغة العربية ، والمعرّب لا يختص بزمان دون زمان ، ولا بمكان دون مكان آخر .. و أنجزت قرارات كثيرة في شأن التعريب و الاشتقاق [4] أن الكلمة في اللغة العربية تأخذ فسحة أصغر من الفسحة التي تأخذها الكلمة الإفرنجية [5] ممّا قررناه في هذا الباب أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب ، حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه ة ينتزل بذلك منزلة من نشأ بينهم و خالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم ، هذا رأي ابن خلدون ، وبذلك تكون الأساليب ثلاثة : الأسلوب الأندلسي ، والأسلوب المغرب ، والأسلوب الخلدوني ، وغرضنا في هذا المقال الدعوة إلى الأسلوب الخلدوني [6]

من أمور ايجابية كالإسراع بتعريب البوادي و الأرياف و الاهتمام بالتجارة الداخلية وربما بعض التحسين مستوى عيش سكان البوادي و الأرياف أو قسم منهم وذلك بانقطاع استثمار المدن وأعيانهم لهم ، ولا ننس أن كل ما كتب من شهادات في هذا الشأن إنما هو من وضع أفراد ينطقون بلسان حال تلك الطائفة الاجتماعية نعني أعيان المدن فلا غرابة في أن يتهموا البدو الهلاليين بارتكاب كل الكبائر وان يصوروا انتصارهم داخل بلاد افريقية و كأنه يوم القيامة قد حل [7] فجميع اللهجات المحليّة – عندنا في شمال افريقية افريقية مثلا : كالعامية و البربريّة بما فيها القبائليّة ، و الشاوية ، و الميزابيّة ، و الشلحيّة ، و التوارقيّة ، كلها

[1] روبار برنشفيك ، المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 363 .

[2] عبد الرحمان عبد علي الهاشمي – فائزة محمد فخري العزاوي ، دراسات في مناهج اللغة العربية و طرائق تدريسها ، ط ، الوراق للنشر و التوزيع ، عمان ، 2007 م ، ص 131 .

[3] عبد الغفار حامد هلال ، المرجع السابق ، ص 17.

[4] سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 86 .

[5] خليل السكاكيني ، المرجع السابق ، ص 43 .

[6] خليل السكاكيني ، المرجع نفسه ، ص 58.

[7] محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص 51 .

ليست لغة ثقافة بالنّسبة إلى سكّان شمال افريقية ، لأنها قير قابلة للقراءة و الكتابة ، زيادة على عدم توحيد ألفاظها و أساليبها ، وما قيل في العامية و البربريّة بجميع لهجاتها يقال في جميع اللغات الافرنجيّة بالنسبة إلى الأمة العربيّة [1]

ثقافيا :

أولا : سيرة بني هلال وبنو سليم في الأدب الشعبي المغاربي : لقد أثرت الهجرة الهلالية في مختلف مناحي الحياة ، وترك الصدام الدموي صداه في الأدب الشعبي و الروايات ، والمؤكد ان الهلاليين لم يدخلوا إلى الجزائر ومعهم العوذ المطافيل فحسب ، دخلوا بأجسامهم بلاد المغارب مجردين من كل شيء ، ولكن طبيعة الهجرة التي شملت حتى الحيوان ما كانت لتستقر في المغرب دون أن تترك آثارها ..وكانت هذه نتيجة من نتائج التعريب الاجتماعي و الثقافي[2] تبدو التغريبة من أول وهلة على أنها حكاية طويلة يدور موضوعها الكاشف حول رحلة الهلاليين التي انطلقت أحداثها من نجد وبلغت نهايتها في تونس ، إلا انه إذا تمعنا في بنيتها نجد أنها تتألف من جزأين يتمثل الأول في حكاية الصراع بين الهلاليين و الملوك قبل الاستقرار و يتعلق الجزء الثاني في الحكاية بالصراع بين الهلاليين أنفسه بعد الاستقرار في الغرب ، وترتبط الحكايتان فيما بينهما ارتباطا عضويا ، و تضم التغريبة ستة و عشرين قصة و تبدو هذه القصص و كأنها مستقلة عن بعضها البعض إلا أنها ذات علاقة وثيقة بمجموعها [3].

كيف تكونت الملكة لدى العربي القديم ، وكيف فسدت ؟

أنّ العرب ، شيّد الله تعالى بمآثرهم الجليلة أركان الأدب ، كان لهم طرق و مسالك في إيجاز الكلام و اختصاره ، فانّهم – لحدّة أذهانهم و جودة أفهامهم [4] .

روي عن الرسول العربي محمد بن عبد الله الناطق بأفصح لغة عدنان و المبعوث بأوضح بيان ، انه قال : تعلم العربية فإنها تزيد في المروءة ، و عن عبد الملك بن مروان قوله : الإعراب جمال للفصيح ، و اللحن هجنة على الشريف ، و لا يصدق البعض بأن يكون مع اللحن رزق ، فقد ذكروا أن أعرابيا دخل السوق فسمعهم يلحنون ، فقال : سبحان الله ، يلحنون و يربحون .

---

[1] محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المرجع السابق ، ص 13.

[2] بوخالفه عزّي ، تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية ، مذكرة دكتوراه دولة ، جامعة الجزائر ،(2002- 2003م)، ص 12.

[3] عبد الحميد بوسماحة ، رحلة بني هلال إلى الغرب و خصائصها التّاريخية ، الاجتماعية ، و الاقتصادية ، مكونات البنية الفنية ، ج2 ، (د ط) ، دار السبيل ، الجزائر ، 2008م ، ص 4.

[4] محمود شكري الالوسيّ ، كتاب النّحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده ، تحقيق: محمد بهجة الأثري ، (د ط)، (1408هـ/ 1988م) ، ص 8 .

إن المسترشد بأقوال الفصاحة و البلاغة هذه ،وهم قادة الأمة و أسوتها الحسنة يلمس عظم مكانة اللغة العربية و ضرورة تعلمها و إتقانها ، لان إذا صح لأمة أن تتخلى عن الحياة أمكن القول حينئذ انه بوسعها التخلي عن لغتها ، ومن يمتلك ناصية لغته القومية فانه يمتلك وجودا لا يستحوذ عليه احد ،فهي الرمز الاستقلال الفكري و الثقافي و الحضاري للأمة [1] يقول ابن خلدون :" فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية وجود فيه يسمع كلام أهل جيله ، وأساليبهم في مخاطباتهم ، وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم .. فيلقنها كذلك ، ثم لا يزال سماعه لذلك يتجدد في كل لحظة ، ومن كل متكلم ، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ، ويكون كأحدهم ، وهكذا تصيّرت الألسن و اللغات من جيل إلى جيل "، إذن ، فالملكة اللسانية التي كان يتمتع بها العرب قديما لم تكن جبلة و طبعا ، وإنما حصلت لمن حصلت له نتيجة للعرف و العادة ، والمعايشة المستمرة للنطق الفصيح في بيئة الفرد اللغوية ، فالملكة الصحيحة تتكون بتكرار الاستماع إلى اللغة الفصيحة ، وممارستها كلاما و قراءة و كتابة .

كيف فسدت "الملكة " ؟

يقول ابن خلدون :" فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم ، وسبب فسادهم أن الناشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت العرب ، فيعبر بها عن مقصوده .. ويسمع كيفيات العرب أيضا ، فاختلط عليه الأمر ، واخذ من هذه و هذه ، فاستحدث ملكة (ثانية) وكانت ناقصة عن الأولى ، وهذا هو معني فساد اللسان العربي ، ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية و أصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم " ولذلك كان أهل صناعة العربية يحتجون بها ، لكن فساد اللسان العربي استمر في عصر ابن خلدون ، وازداد فسادا واضطرابا "[2] المراد باللسانين – اللسان و القلم ، فان العرب تقول أحدّ اللسانين ، والمقصود هنا إصلاح الأخطاء التي تفاقم أمرها في هذا الزمان حتى أصبحت مألوفة عند أكثر الخاصة بلة العوام ، فشوهت وجه اللسان العربي المبين ، ورونقت صفو زلاله المعين ، مما يسوء كلّ طالب علم ، يحرص على حفظ لغة القران ، وصيانتها من الإفساد و التشويه ، والعبارات الجافية التي تشين جمالها ، وتذهب ببهائها [3] يرسم لنا سيبويه مشروعا للتعريب الكلام الأعجمي ، وكيفية التعامل معه بالزيادة والنقصان ، والتبديل و التغيير ، وكأنه شيء عاد ومتعارف عليه وسار على هذا النهج العلماء العرب من بعده ، فألف الخفاجي كتابه : " شفاء الغليل فيما في كلام

[1] عبد الرحمان عبد علي الهاشمي – فائزة محمد فخري العزاوي ، المرجع السابق ، ص 83 .

[2] علي أحمد مدكور ، المرجع السابق ، ص 342 .

[3] محمد تقي الدين الهلالي ، المرجع السابق ، ص 9 .

العرب من الدخيل " ، وألف الجواليقي " المعرّب من الكلام الأعجمي " ..فاعتمده العلماء العرب كمرجعية لكلام المعرب [1]

إن الأفارقة القدماء الذين يسمون شلوحا أو برابرة ، ولو أنهم مشتتون عبر إفريقيا كلها ، فإنهم مع ذلك يكتبون و يتكلمون كلهم لغة واحدة تسمى لغة أبي مالك مخترع النحو العربي ؟ و لا يمنعهم من التكلم أيضا بلغة البلاد التي تختلف كثيرا عن غيرها من اللغات و لو أنها تحتوي على بعض الكلمات العربية التي أدخلت فيها بواسطة هؤلاء الشعوب الذين جاؤوا إلى إفريقيا في مختلف العصور .. و إنها فسدت بتعاقب العهود منذ انتقالها إلى إفريقيا حيث كانت مضطرة إلى التعامل مع أمم أجنبية ، لكن المفردات العربية التي رسخت فيها لدليل كاف على أصلهم ، واللغة التي يتكلمون بها حاليا مكونة من العربية و العبرية ، واللاتينية ، واليونانية ، والإفريقية القديمة التي كانوا يستعملونها لدى مجيئهم إلى البلاد ، لأنه لا أحد يخالف في وجود لغة طبيعية خاصة بإفريقيا مختلفة عن لغة العرب ، وتحمل اللغة التي يتكلمون بها الآن ثلاثة أسماء تكاد تدل على نفس الشيء ، مع أن البرابرة الأقحاح يختلفون في النطق و في مدلول كثير من الكلمات ، فأقربهم جورا للعرب و أكثرهم اتصالا بهم يمزجون كلامهم بالعديد من كلمات لغة أبي مالك (العربية) التي هي أشرف اللغات ، ويمزج الإعراب كلامهم كذلك بعدد كبير من الكلمات الإفريقية ، ويتكلم أهل غمارة و هوارة الذين يعيشون في جبال الأطلس الصغير لغة عربية فاسدة ، وكذلك جميع سكان مدن بلاد البربر المقيمين بين الأطلس الكبير والبحر ،لكن سكان مراكش وجميع أقاليم هذه المملكة ، سواء منهم النوميديون و الجيتول المقيمون بجهة الغرب ، يتكلمون اللغة الإفريقية الصافية المسماة الشلحة و تامازيغت ، وهما اسمان قديمان جدا ، أما سائر الأفارقة البرابرة القاطنين في الجهة الشرقية المتاخمة لمملكة تونس و طرابلس الغرب إلى صحاري برقة ، فإنهم يتلكمون جميعا لغة عربية فاسدة [2] ، وكذلك الذين يعيشون بين جبال الأطلس الكبير والبحر ، سواء كانت لهم منازل قارة أم لا ، بالإضافة إلى زواوة ولو أن لغتهم الرئيسية هي الزناتية ، بحيث أن الذين يتكلمون اللغة العربية الفصحى بإفريقيا قليلون ، لكنهم جميعا يستعملون في كتابتهم الأصلية لغة أبي مالك التي تقرأ و تكتب عادة في كل بلاد البربر و نوميديا و ليبيا ، وهاتان اللغتان مختلطتان عند السود ، لان الأقاليم القريبة من السنغال و البلدان الأخرى العربية الإسلامية فيها عدد كبير من الكلمات العربية والإفريقية [3] ومن لا يعرف القران لا يمكن أن يعرف اللغة العربية معرفة تمكنه من ناصيتها ، سواء أكان مسلما أم غير مسلم ، فان الأدباء من نصارى العرب يحرصون كل

---

(1) سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 86 .

(2) مارمول كربخال ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 115.

(3) مارمول كربخال ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 115- 116 .

الحرص على قراءة القران لا ليدينوا بالإسلام ، بل ليتمكنوا من الفصاحة إذا تكلموا أو كتبوا باللغة العربية ، ومن الفهم الصحيح إذا قرأوا ما كتب بها ، وبعضهم لم يكتف بقراءة القران ، بل حفظه عن ظهر قلب [1] على حدّ قول الشاعر :

و لست بنحوي يلوك لسانه ولكن سليقي أقول فأعرب [2]

ناقشنا في الفصول السابقة كلا من تطور العربية كلغة كتابة أدبية و ظهور اللهجات العامية ،و ولكن السؤال الذي يبقى علينا الآن أن نتعامل معه هو ما العلاقة التي تجمع بين النمطين اللغويين في مجالات الكتابة الأدبية و غير الأدبية في القرون الأولى للفتح الإسلامي [3] إن اللغة العربية ليست أداة للتعبير فحسب ، بل هي وسيلة التفكير و الفكر نفسه في حالة الفعل [4] لان اللغة تحيا باستخدامها في التأليف و الترجمة و تعتني بما تشمل عليه الكتب المؤلفة بالعربية و المترجمة إليها من مفردات و مفاهيم جديدة [5]

لم يكن للعربية أن تهاجمها أو تتمكن فيها ، فالبربريّة ، ولو أنها انهزمت أمامها ، لم تجد خيرا من أن تحتفظ بالرّمق الباقي منها ، في ذلك البعض من الحصون و المعاقل ، وهناك حقيقة ، في شعف جبال الأطلس ، كان متربّعها و مقيلها ، حيث بقيت تتنازع البقاء ، فأنا تجد من يأخذ بضبعها من متعصبة المغاربة و متحمسيهم ، أو ممّن لا ناقة ولا جمل في هذا الأمر ، وإنما همّة بذر الشقاق و الخلاف بين العنصرين المتمازجين و الجنسين المتحدين ، فتنهض وتسوي ، وان تبقى مهملة منبوذة ، لا يؤبه لها ولا يحفل بها ، وذلك غالب أمرها [6] إلى جانب ما كانت تعانيه بلاد أفريقية الزيرية من مشاكل البربر و العرب الهلالية [7] قد رأينا أن بني هلال كانوا على الجيش الزيري في معركة حيدران ، فحاول المعز بعد ذلك أن يصطلح معهم ، فزوج ثلاثا من بناته بأمرائهم و خضع من جديد للخليفة الفاطمي ولكن مع ذلك تغيرت حالة المملكة الزيرية يوما بعد يوم وبعد ثلاث سنين من حروب مستمرة اضطر المعز إلى مغادرة القيروان و السير إلى المهدية ، ففتح بنو هلال القيروان (449هـ / 1057م) وغنموا غنائم كثيرة فلجأ عدد كبير من القرويين إلى قلعة بني حماد [8] رغم ما توحي به الروايات المتأخرة نسبيا لابن الأثير و ابن عذارى و النويري

---

[1] محمد تقي الدين الهلالي ، المرجع السابق ، ص 38 .

[2] خليل السكاكيني ، المرجع السابق ، ص 60 .

[3] كيس فرستيغ ، المرجع السابق ، ص 129.

[4] سام عمار – شحادة الخوري ، المرجع السابق ، ص 94 .

[5] سام عمار – شحادة الخوري ، المرجع نفسه ، ص 52.

[6] عبد الله كنّون ، المرجع السابق ، ج1، ص 44 .

[7] سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 471 .

[8] رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 54، انظر: محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2010م ، ص10.

و ابن خلدون مابين القرن (7-9/ 13-15م) ومن يأتي من بعدهم ، من أن الأمر لم يتطلب من العرب الهلالية إلا معركة واحدة لهزيمة المعز و القضاء على القوة الزيرية في القيروان ، فان طبيعة حرب الهلالية ، مثلما كانت أيام العرب القديمة ، لم تكن تعرف المعارك الحاسمة أو الفاصلة ، وهو الأمر الذي تقضي به طبيعة الأشياء ، من حيث أصول حرب الكر و الفر وإذا كانت أحداث الصراع بين الهلالية و المعز قد وضعت دفعة واحدة تحت عنوان انتصار العرب على المعز أو هزيمة العرب للمعز بن باديس ، كما عند ابن عذارى و النويري ، وضمن أحداث سنة واحدة ، هي سنة (443هـ/1050م) فان رواية ابن الأثير التي تضعها تحت عنوان دخول العرب إلى افريقية سنة (442هـ/1050 م) تسلسل الأحداث في عدد من المعارك التي وقعت بين المعز و الهلالية [1] و الحقيقة انه كان لتميم موقف متميز عن موقف والده المعز من العرب الهلالية ، فبينما ظهر المعز غير مبال بهم محتقرا لشأنهم ، قبل الفشل في استخدام السياسة ازاهم .. فهو عندما عرف أن أقوى التحالفات بين القبائل الهلالية المتصارعة فيما بينها من اجل الهيمنة ، هو حلف عدي و رياح ، عمل على أن يضعفهما جميعا عن طريق التفرقة و بث الخلاف بينها ، وساعد تميما على ذلك تمكنه من العربية ، وإحسانه لصناعة الشعر ، الأمر الذي جعله لا يظهر بمظهر الدخيل فيما ينشب بين الجماعتين من نزاع ، بل بمظهر صاحب المصلحة الأصيل الذي يحرص على التقاليد العربية العريقة ، وان كان طرفا ثالثا ، فهو يثير العداء في نفوس الرياحيين ، وهي القبيلة الأقوى ، لتأخذ بثأر قتيلها من بني عدي ، ورفض التسوية السلمية المهينة التي اتفق عليها ، وكانت وسيلته التي لا تقوم عند العرب هي الشعر ، وفعلا نجحت أبيات الشعر في قيام الحرب بين الطرفين ، وانتهى الأمر بهزيمة بني عدي ، وإخراجهم من افريقية وان كان ذلك في وقت متأخر سنة (491هـ/1098م) [2] وهكذا يستمر سيناريو الاضطراب في افريقية و المغرب الأوسط سائر بنفس الإيقاع البطيء ، ما بين غارات ثأرية [3]

حكم بنو حماد المغرب الأوسط من سنة (408- 547هـ / 1018- 1152م) وأثناء هذه الفترة تعاقب على العرش الحمادي تسعة أمراء [4] عند وصول بني هلال إلى المغرب الأوسط لم يقع قتال شديد بين الحماديين لان بلقين بن محمد صاحب القلعة ترك لهم الأرياف و أدخلهم في صفوف جيشه ، وما ساعد بني حماد في سلوك هذه السياسة هو أن وقع صراع عنيف بين زناتة المغرب الأوسط و بني هلال ، ولكن مع ذلك كانت العلاقات الحمادية – الهلالية معقدة ، في بعض الأحيان نرى بني هلال في صفوف

[1] سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع نفسه ، ج3 ، ص 427 .

[2] سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 443 - 444 .

[3] سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع نفسه ، ج3 ، ص 462 .

[4] رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 116.

الجيش الحمادي مثلا أثناء غزو المغرب الأقصى الذي قاده بلكين بن محمد و هجوم الناصر بن علناس على افريقية ثم نراهم في أيام نفس الأمير يتحالفون مع زناتة و يحاربون بني حماد ، وابتداء من عصر العزيز عظم أمر بني هلال في المغرب الأوسط ، فهجموا على قلعة بني حماد في أيام العزيز و شاركوا بني حماد في الحكم المدن في عهد يحي ، هكذا لما فتح عبد المؤمن الجزائر وجد بها شيوخا من الاثبج و من جشم كما وجد جيشه بقلعة بني حماد الجيش الحمادي تحت قيادة الأمير جوشن بن العزيز و شيخ من قبيلة الاثبج ، إذن أصبح بنو هلال في أيام الأمير الحمادي الأخير حلفاء بني حماد ، لذلك ليس عجيبا إن رأينا يحي بن العزيز يكاتبهم بعد فتح بجاية من قبل الموحدين ليطلب مساعدتهم [1] كون بجاية قاعدة المغرب الأوسط ، وذلك منذ أن أصبحت عاصمة لدولة الحماديين ، بعد أن اختطها الناصر بن علناس الحمادي مكان خرائب صالداي القديمة عام (453هـ/ 1063م) و انتقل إليها خلفه المنصور الحمادي مع دواوين الدولة الحمادية من قلعة بني حماد عام (461هـ/ 1068م) ، فبنيت بها عدة قصور منها قصر اللؤلؤ وقصر النجم وقصر أميمون ، واستقر بها رجال الدولة و العلماء و قصدها التجار و طلبة العلم على عهده ، و عهد خلفائه من ملوك بني حماد وهم باديس و العزيز و يحيي ، فتوسع عمران بجاية حتى بلغ الجهات العليا المحاذية لجبل قوراية و اصبح عدد منازلها يقدر بأربعة و عشرين ألف منزل تتوزع على واحد و عشرين حيا ينتشر بها اثنان و سبعون مسجدا [2] أما بنو هلال فواصلوا سيرهم نحو المغرب الأوسط ، فذكر ابن خلدون في هذا الصدد أن بني حماد ، عندما زحف بنو هلال إلى المغرب الأوسط دافعوا " عن حوزته و أوعزوه إلى زناتة بمدافعتهم أيضا " ولكن لا يعطينا صاحب" كتاب العبر " أي تفصيل عن الحرب التي شبت بين بني حماد و الهلاليين بينما يفيدنا بمعلومات عديدة عن الحرب التي وقعت بين بني هلال و زناتة ، فكانت هذه الحروب شديدة لان زناتة المغرب الأوسط خافوا أن يقع لهم مثلما وقع لإخوانهم بافريقية الذين كانوا طردوا من أراضيهم بعد الزحف الهلالي ، فنظموا صفوفهم لمحاربة بني هلال ...فاستقر بنو هلال في الزاب حيث وقع اتفاق بينهم و بين بني حماد ، فحافظ الحماديون على المدن و تركوا الأرياف لبني هلال [3] و إزاء ضغط الهلالية المستمر على بلاد الناصر بن علناس ، بعد أن ملكوا الضواحي ، وقعدوا للولاة بالمراصد ، وأخذوا منهم الإتاوات ، اضطر الناس إلى هجر سكنى القلعة ، واختط بالساحل مدينة بجاية ، واعدها لنزله ، وجعلها قاعدة لملكه ، وهي التي عرفت أول الأمر باسم الناصرية ، ثم باسم المنصورية نسبة إلى ابنه المنصور ، هذا ولو أن الرواية

---

[1] رشيد بورويبة ، المرجع نفسه ، ص 119- 120 .

[2] ناصر الدين مولود سعيدوني ، التجربة الأندلسية بالجزائر : مدرسة بجاية الأندلسية و مكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط (6-7هـ/ 12-13م) ، الأندلس: قرون من التقلبات و العطاءات ، (د ط) ، الرياض ، (1417هـ / 1996م) ، ص 82 .

[3] رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 54 – 55 .

المحلية تقدم سببا مختلفا لبناء بجاية ، و ان كان بمناسبة الوساطة في الصلح بين تميم بن المعز و بين الناصر بن علناس ، عندما وجد مستشاروهما أن المصلحة تقض بذلك حفاظا على الدولتين الصنهاجيتين مما يتهددهما من خطر الهلالية الخارجي ، الأمر الذي لا يحتمل مزيدا من التهديد الداخلي من قبل الزيريين أنفسهم [1]

إن المؤرخين المستشرقين اعتمدوا على رواية ابن خلدون و أهملوا رواية ابن الأثير و ذكروا أن سبب تأسيس مدينة بجاية هو خوف الناصر من بني هلال [2] وفي الفصل الثاني و الأربعين يقول ابن خلدون في مقدمته :" ...وهذه الملكة إنما تحصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم ، ومثاله : لو فرضنا صبيا من صبيانهم نشأ وربى في جيلهم ، فانه يتعلم لغتهم .." [3]

إن العرب نطقت على سجيّتها و طباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها علله ، وان لم ينقل ذلك عنها ، واعتلت أنا بما عندي أنه علة لما عللته فان أكن أصبت العلة فهو الذي التمست ، وان تكن هنالك علة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم [4] لو لم تكن اللغة العربية لغة مدنية و عمران ، ولو لم تكن لغة متّسعة الأفاق غنية بالمفردات و التراكيب ، لما استطاع أسلافهم أن ينقلوا إليها علوم اليونان و آداب فارس و الهند ، و لألزمتهم الحاجة إلى تلك العلوم تعليم تلك اللغات ، و لو فعلوا لأصبحوا عربا بعقول فارسية و أدمغة يونانية ، و لو وقع ذلك لتغيّر مجرى التاريخ الإسلامي برمّته [5]

يا من ينادي طالبا أن يقصدا	ما للندا يصلح نحو احمد

فاقصد أبا العباس بيت عرف	فذاك ذو تصرف في الصرف [6]

اعتنى الموحدون بالعلوم اللسانية خاصة ابن تومرت الذي اهتم باللغة العربية لكونهم درسوها في المشرق [7] فعلى ضوئه سار خليفته عبد المؤمن الذي نشأ ابنه تنشئة دينية و لغوية فأضحى من علماء اللغة و من المتبحرين في علم النحو ، و الناس على دين ملوكهم ، وليس أدل على عناية الموحدين بعلوم اللغة و

---

(1) سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 457 .

(2) رشيد بورويبة ، المرجع نفسه ، ص 68 .

(3) محمد صالح الشنطي و آخرون ، المرجع السابق ، ص 80 .

(4) الزجاجي ، الإيضاح في علل النحو ، تحقيق : مازن المبارك ، (د ط) ، دار العروبة ، مصر ، (د س ط) ، ص 65 – 66 ، أيضا : سالم علوي ، المرجع السابق ، ص 19.

(5) عبد الرزاق قسوم ، اللغة العربية في عهد الاستعمار ، ط ، مؤسسة عالم الأفكار ، 2007م ، ص20 .

(6) محمد المختار ولد أباه ، تاريخ النحو العربي في المشرق و المغرب ، ط 2 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2008م ، ص387 .

(7) عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي ، ط1 ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، (1368 هـ / 1948م) ، ص 100.

النحو خاصة ، من أن أساطين النحاة بالمغرب و الأندلس قد ظهروا في عهدهم ، ففي الأندلس ظهر عمر الشلوبين مؤلف كتاب التوطئة في النحو و علي بن خروف شارح كتاب سيبويه ، ومحمد بن مالك صاحب الألفية المشهورة في النحو و الصرف و صاحب لامية الأفعال و كان على رأس نحاة المغرب في هذه الفترة : أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي المراكشي مؤلف الجزولية ، التي أطلق عليها النحاة عدة أسماء : فسميت القانون ، وسميت الاعتماد ، و سميت المقدمة ، وهي كتيب موجز و لكنه مشتمل على كثير من مسائل النحو و التي هي أقرب إلى الألغاز من الرموز منها إلى القواعد النحوية الواضحة و قد وضع ابن مالك صاحب الألفية شرحا للجزولية قال في مطلعه :" أن كتاب القانون في النحو وان كان صغير الحجم ، لكنه كثير العلم ، مستعص على الفهم ، مشتمل على أبواب الأدب منطو على سر كلام العرب ، متضمن للنكبات الغريبة التي خلا عنها أكثر شروح النحو و يقول ابن خلكان واصفا الجزولية :" إن الجزولي قد أتى فيها بالعجب العجاب و هي غاية الإيجاز مع الاشتمال على شيء كثير من النحو " وقد وضع للجزولية عدة شروح منها شرح كبير للجزولي نفسه و شرح كبير لابن عصفور ، وقد أكمله ابن الشلوبين ، ومن نحاة المغرب لأيضا : ابن خلف البكري السلوي الذي شرح المفصل و شرح الجزولية ، وابن داود الشاذلي المراكشي ، وأبو القاسم عبد الرحمان بن محمد المصمودي ، و أبو عبد الله محمد بن يحي العبدري الفاسي المعروف بالصولى [1] و انتشرت اللغة العربية بدولة الموحدين باعتبارها لغة البلاد الرسمية في المكاتبات والمعاملات وشئون الدولة وكان لمجيء العلماء إلى المدن دور كبير في انتشار اللغة العربية وازدهارها، و كان أيضا لقدوم القبائل الهلالية إلى المغرب الإسلامي أثر كبير في دعم اللغة العربية وانتشارها لتمسك هذه القبائل البدوية باللسان العربي [2] قال امرؤ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه   فليس على شيء سواه بخزّان [3]

لكن ما إن دخلت دولة الزيريين في المهدية و دولة بني حماد في صراع حتى تغيرت صورة الأوضاع ، فقد حاصر في سنة (530هـ / 1136م) صاحب بجاية يحي بن عبد العزيز بالله المهدية برا و بحرا مما دفع الحسن بن علي صاحب المهدية إلى أن يستنجد بروجار النورماندي فأمده هذا بعشرين سفينة ، و استنجد بعشائر بني هلال فأنجدوه برا فاضطر يحي إلى رفع الحصار عن المهدية و العودة إلى بجاية ، ومنذ هذا التاريخ تطلع ملك صقلية إلى السيطرة على شواطئ افريقية تحقيقا للحلم الصليبي ، فبدأ بالسيطرة على المدن التي

---

(1) عبد الله علي علام ، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، (دط) ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007م ، ص 316- 317 .
(2) مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ،ج2 ، (د ط) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (د س ط) ، ص 274.

(3) أبي محمّد بن الحسن بن دريد (ت 361هـ / 972م) ،كتاب جمهرة اللغة ، المصدر السابق ، ج1، ص 596.

تمردت على الحسن بن علي صاحب المهدية ، فاحتل جزيرة جربة سنة (531هـ / 1137م) و في سنة (536هـ / 1141م) قام جرجي الأنطاكي بالإغارة على مرسى المهدية بخمس و عشرين سفينة من نوع الغراب ، و استولى على السفن الراسية بالميناء ، و في سنة (537هـ / 1142م) أغار أسطول صقلية على طرابلس ، لكن النورمان فشلوا في السيطرة عليها ، و في سنة (538هـ / 1139م) هاجم أسطول صقلية مدينة سفاقس و سيطرة عليها و أتبعها إلى دولة النورمان ، و في نفس السنة سيطرة على عنابة و جيجل ، و في سنة (539هـ / 1140م) استولى على برشك ، في (540هـ / 1141م) على مدينة قرقنة فقتلوا بها الرجال و سبوا النساء [1]

إن أشهر أديب و شاعر برز في العهد الصنهاجي من المغرب الأوسط و أعني به الحسن بن رشيق المسيلي ، ولد بمدينة المسيلة سنة (385هـ/ 995م) وتوفي سنة (463هـ / 1070م) ملأ الدنيا في عهده أدبا و شعرا و نقدا ، وله عدة مؤلفات أشهرها العمدة الذي عرض فيه مسألة الشعر و صنعته و محاسنها و عيوبها و هو مطبوع في جزءين بالقاهرة ، قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، وعدة رسائل : الشذوذ في اللغة ، نموذج الزمان في شعراء القيروان ميزان العمل في تاريخ الدول ، تاريخ القيروان ، روضة الموشية في شعراء المهدية ، نجح الطالب ، و غيرها من العديد من الرسائل و المؤلفات التي قدرت بثلاثين مؤلفا ، و هو شاعر له شعر يملأ ديوانا ، لكنه لم يجمع له و يقول الدكتور عبد الرحمان باغي بأنه جمع له 741 بيتا من عدة مراجع .. ولابن الرشيق شعر عذب جميل يصف بعض الأهوال التي مرت على القيروان فيقول :

يستصرخون فلا يغاث صريخهم حتى إذا سئموا من الارنان

خرجوا حفاة عائذين بربهم من خوفهم و مصائب الألوان[2]

و يمدح ابن باديس فيؤكد أصل قبيلة صنهاجة البربرية الحميري و القحطاني ، و يقر عروبة البربر و أصلهم اليماني :

ياابن الأعزة من أكادير حمير و سلالة الأملاك من قحطان [3]

و من أشهر الكتاب و الشعراء الأديب النحوي التاهرتي و هو أبو الحسن بن علي بن طريف من أهل تيهرت رحل إلى الأندلس و أخذ عن الكثير من علمائها،ثم عاد إلى المغرب و درس النحو ، توفي سنة (501 هـ / 1107م) و ابن محشوة و هو أبو الفضل محمد بن علي بن ظاهر القيسي

(1) عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 276- 277.

(2) عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 280- 281 .

(3) عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 281 .

الأديب الكاتب الذي نشأ في بجاية وأخذ عن أبي القاسم القالمي و كتب ليوسف بن عبد المؤمن،ثم لآبيه يعقوب، توفي سنة (598هـ / 1202م) [1] والشاعر ابن فكون القسنطيني الذي وصف مدينة الناصرية (بجاية) قائلا:

دع العراق و بغداد و شامها فالناصرية ما إن مثلها بلد

بر و بحر و مرج للعيون به مسارح بان عنها الهم و النكد [2].

ومن اللغويين المغاربة : محمد بن أحمد بن هاشم اللغمي السبتي المتوفي سنة (570هـ/ 1174م) صاحب كتاب الفصول و الجمل في اللغة ثم كتاب لحن العامة ثم شرح كتاب الفصيح لثعلب ، ومن ألفوا في العروض أبو ذر مصعب بن مسعود الخشني ، ثم الحسن ابن أحمد بن يحي بن عبد الله الانصاري الذي درس القراءات و الحديث و برع في النحو و العروض و توفي في مالقا سنة (585هـ/ 1189م) ومن الأندلسيين[3] أيضا : محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف الذي درس على أقطاب عصر ، فكان على جانب عظيم في علم اللغة و البلاغة و توفي بمرسية سنة (586هـ/ 1190م) و عبد الله بن يحي بن عبد الله الحضرمي النحوي المتوفي ببلنسية سنة (578هـ/ 1182م) و جبة بن يحي بن خلف الاشبيلي ، كان إماما في علوم اللغة و البلاغة و قد طال عمره حتى قام بالتدريس لأبناء الخليفة يعقوب بن المنصور وممن شهدوا موقعة الارك الشهيرة توفي سنة (591هـ / 1195م) [4]

قرر المستنصر بالله الفاطمي الانتقام من الدولة الصنهاجية فقام بتشجيع قبائل بني هلال التي نزلت بصعيد مصر على التوجه إلى المغرب للاستقرار به ، و في نيته إثارة مشاكل للدولة الصنهاجية بواسطة هذه القبائل البدوية الكثيرة العدد الصلبة المراس [5] ثم انطلق الهلاليون في زحفهم الجارف فاستولوا على باجة و قابس و تونس و عنابة و قسنطينة ، و هكذا حقق الفاطميون هدفهم و انتقموا من المعز الزيري التي تقلصت إمارته إلى شريط ضيق على الساحل حول المهدية و سفاقص و قابس و جزيرة جربة ، و مات المعز حزينا سنة (454هـ/1062م) ودفن في رباط المستير [6]

و بدون ريب كان لهجرة الاعراب البدو من بني هلال واكتساحهم للزاب بابلهم و خيلهم ورجلهم في القرن الخامس الهجري أثر غير قليل في إفساد الزاب ، وحدثت الطامة في القرن السادس الهجري إذ أخذوا

---

(1) عبد الحميد حاجيات ، تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط ، مجلة الحضارة الإسلامية ، (د ط) ، العدد الأول ، 1993م، ص 37 .

(2) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 27 .

(3) عبد الله علي علام ، المرجع السابق ، ص 317 – 318 .

(4) عبد الله علي علام ، المرجع نفسه ، ص 317 – 318.

(5) عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 270 .

(6) عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 271 ، انظر أيضا : الخليل النحوي ، المرجع السابق ، 18- 19.

يتقدمون إلى الأطلس التلي و جبال البابور و امتدوا شرقا حتى سهول (بونة / عنابة) و أصبح بنو حماد و بجاية في حاجة إلى من ينقذهم عبد المؤمن خليفة الموحدين في مراكش ، وكان يعرف خطورة الهلاليين على البلاد ، فأدار معهم معركة حاسمة بالقرب من سطيف جنوبي بجاية و مزقهم تمزيقا و طارد فلولهم حتى تبسة جنوبي باغاية ، وتعد هذه المعركة نهاية المعارك الكبرى للهلاليين في الجزائر ، وأخذوا بعدها يتأقلمون و يتغرّبون أو يصبحون جزءا من الشعب المغربي .. من التراتيب المخزنية في إدارة الحكم ، وظلت قائمة إلى نهاية الدولة الحفصية ، وتظل الجزائر هادئة في عهده و عهد ابنه يوسف الذي خلفه سنة (558هـ/1162 م) وتوفي يوسف و يخلفه ابنه يعقوب سنة (580هـ/ 1184م) و في عهده ثار عليه بنو غانيّة ولاة المرابطين في جزيرة ميورقة ، ونزل منهم على و أخوه في الجزائر و الإقليم التونسي يحاولان أن يقيما فيهما دولة لمقاومة دولة الموحدين بالمغرب الأقصى و يعدا جيشا لحربهم ، و أحدث قلاقل كثيرة في الساحل الجزائري بين بجاية و مليانة و كذلك في الساحل التونسي ، فخرج إليه يعقوب بجيش جرار سنة (583هـ/ 1187م) وظل طوال مسيرته إليه في بلدان الجزائر و تونس يبني المساجد كما يبني المستشفيات ، وعلى بن غانية يفر أمامه إلى ا نلقى مصرعه ، و عاد يعقوب إلى عاصمته ، وخلف على شعبه على الموحدين أخوه يحي وظل يستعين بالعصابات الهلالية ، ومرة ينتصر و مرة ينهزم حتى توفي [1]و نمضي إلى منتصف القرن الخامس الهجري و تحدث الهجرة الأعرابية الكبرى لبني هلال و بني سليم إلى ديار المغرب ، ويقال أنهم كانوا نحو نصف مليون من الأعراب ، ويقال بل كانوا مليونا أو يزيدون ، ولم يكونوا طلاب حكم وملك ، ولذلك لم يقيموا لهم دولة في المغرب ، إنما كانوا طلاب مواطن يقيمون فيها [2]، وكأنما وجدوا في كل ذلك ما يغنيهم عن الانسياح في المغرب الأقصى واكتساحه ، ولا يمضي على الطوفان الهلاليين وبني سليم نحو قرن حتى يستنجد أهل طرابلس وافريقية التونسية بعبد المؤمن بن علي سلطان الموحدين لاستيلاء النورمانديين بأساطيلهم على سواحل طرابلس وجزيرة جربة و ميناء المهدية و غيرها من موانئ افريقية التونسية و رأى واجبا عليه أن ينقذ تلك البلدان و خرج بجيش ضخم إليهم واخذ يستولي به على مدن الجزائر ، وعلم و هو ببجاية إن القبائل الهلالية [3] ، و هي الاثبج و زغبة ورياح وقرة تتجمع مع صنهاجة لحربه ، وأرسل إليها جيشا نازلها ثلاثة أيام وانتصر عليها في اليوم الرابع وفر الاعراب تاركين وراءهم الأهل والمال ، فأمر بنقل النساء و الأولاد إلى مراكش و العناية بهم ، ولما أتم رحلته واسترد طرابلس والمهدية وغيرها من موانئ افريقية التونسية و عاد إلى عاصمته مراكش أمر أن يكتب إلى سادة بني هلال أن نساءهم و أولادهم في الحفظ و الصيانة ن فوفدوا عليه و

[1] شوقي الضيف ، المرجع السابق ، ص 39- 40 .
[2] شوقي الضيف ، المرجع نفسه ، ص 301 .
[3] شوقي الضيف ، المرجع نفسه ، ص 301 .

أكرمهم وردّ عليهم نساءهم وأولادهم و أسبغ عليهم أموالا وافرة ، ونقل منهم إلى المغرب الأقصى ألفا من كل قبيلة بأسرهم ، ولما عزم على زيارة الأندلس سنة (558هـ/1163م) دعا عرب بجاية إلى العبور معه للأندلس للجهاد برسالة تلتهب حماسة ختمها بأبيات من نظمه استهلها بقوله :

أقيموا إلى العلياء هوج الرّواحل وقودوا إلى الهيجاء جرد الصّواهل [1]

و في سنة (546هـ/ 1151م) قاد عبد المؤمن جيشا جرار لاخضاع المغرب الأوسط بهدف القضاء على مملكة يحي بن عبد العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس الحمادي في بجاية ، فقد جاء مدينة الجزائر و دخلها غرة ، فاستقبله أميرها الحسن بن علي بن يحي بن تميم بحفاوة و ترحاب ، بل وانظم بجنده إلى جيش عبد المؤمن الذي اتجه نحو بجاية التي قرر أميرها يحي بن عبد العزيز مواجهة جيش الموحدين فأمر أخاه سبع بلقاء جيش عبد المؤمن ، ولكن جيش بني حماد لم يصمد أمام جحافل عبد المؤمن ، فانهزم في أول لقاء ، ودخل عبد المؤمن بجاية منتصرا [2] كان عبد المؤمن ، وهو في طريق عودته إلى مراكش قد بلغته أنباء تمرد قبائل عرب الاثبج و رياح وزغبة الهلالية في نواحي سطيف ، على ابنه عبد الله ، فأرسل إلى ابنه جيشا قويا تمكن به من القضاء على ثورة بني هلال و إخضاعهم ثم كسبهم إلى صف الموحدين بتعيين بعض رؤسائهم حكاما على بعض المناطق ، واستطاع عبد المؤمن أن يجند من عرب بني هلال في جيوشه المحاربة في الأندلس و ذلك عام (555هـ/ 1160م) .

خرج عبد المؤمن سنة (553هـ/ 1158م) ، على رأس جيش ضخم من عاصمته بعد أن ترك عليها أبا حفص بن يحي وزحف إلى تونس ففتحها ثم تقدم نحو المهدية التي كان يحتلها النورمنديون و ضرب عليها حصارا دام سبعة أشهر ثم دخلها بعد أن فر منها النورمان عبر البحر إلى صقلية ، و دخلها منتصرا سنة (555هـ/ 1160م) و بعد أن دانت له المهدية أرسل جيشا تحت قيادة ابنه عبد الله لمحاصرة قابس التي كان يحكمها بنو كامل من رياح ، كما تقدم هذا الجيش إلى قفصة و احتلها من بني الورد ، كما احتل طبرقة ، و مدينة الاربس .. وهكذا استطاع هذا القائد العظيم السيطرة على المغرب كله ، و أصبحت دولة الموحدين تمتد من طرابلس شرقا و حتى السوس الأقصى غربا لأول مرة في تاريخ المغرب العربي منذ أن افتتحها العرب ، وشاع الأمل بين الأندلسيين، عبر عنه الشاعر الأندلسي أبو الحسن عبيد الله الباجي فقال :

تلألأ من نور الخلافة بارق أضاءت به الآفاق و الليل غاسق [3]

---

[1] شوقي الضيف ، المرجع السابق ، ص 301 .

[2] عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 308 .

[3] عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 309 .

ثم عاد عبد المؤمن إلى حاضرته مراكش مارا ببجاية و تلمسان وتاجرا و أقام بمراكش بقية سنة (555هـ/ 1160م) ، وبلغه أن ابن هنشك و ابن مردنيش و مدار الأقرع قد هاجموا اشبيلية مع حشود كبيرة من النصارى ، وان ابنه أبا يعقوب قد خرج اليهم فهزموه ، وقرر عبد المؤمن التوجه للأندلس و جاز جبل الفتح وسار إلى غرناطة ، فهرب ابن مردنيش إلى حدرة و ابن هنشك إلى شقورة و دخل الموحدون غرناطة ، ثم عاد عبد المؤمن إلى سلا حيث مرض وتوفي سنة (558هـ/ 1163م) ، ودفن في تنملل بجوار قبر المهدي [1].

اندلعت ثورة بني غانية من مسوفة و هي من بقايا المرابطين ، فقد بقيت هذه الأسرة تحكم جزر البليار (ميورقة و منورقة ويابسة) ، واستمر أبو إبراهيم إسحاق الموحدي مسيطرا على هذه الجزر ، جاعلا من إمارته ملجأ لبقايا المرابطين في الأندلس[2] ، و خلفه ابنه علي فأعد أسطولا عام (579هـ/ 1183م) ، توجه به إلى مدينة بجاية استجابة لطلب بعض و جهائها المناهضين للموحدين و عندما وصل المغرب الأوسط تعاونت معه أيضا قبائل بني هلال وبني سليم و المماليك الغز و على رأسهم قراقوش ، وكان مملوكا لتقي الدين ابن أخ صلاح الدين الأيوبي ، وكانوا يعملون لحسابهم وضد الدولة الموحدية ودعا علي بن إسحاق بعد استيلائه على بجاية للخليفة العباسي ، وانضمام مماليك مصر إلى علي بن إسحاق من بني غانية المناهضين للموحدين بالمغربين الأدنى و الأوسط [3]

وبعد أن سيطر علي بن إسحاق على بجاية من البحر توجه إلى قلعة بني حماد و استولى عليها ، ثم بسط نفوذه على سائر أنحاء المغربين الأدنى و الأوسط ، فاحتل قفصة وتوزر ، ومدينة الجزائر وقسنطينة ، و مليانة ، لكنّ الموحدين أرسلوا جيشا بقيادة أحمد الصقلي تمكن من استرداد معظم المدن التي احتلها يحي بن غانية وطارد فلول جيشه إلى الصحراء ، ثم عاود الموحدون الكرة على ابن غانية و الممالك ، فخرج لهم المنصور من مراكش عام (582هـ/ 1186م) و خلفه أخوه يحي الذي أقام إمارة في بسكرة [4] و في سنة (585هـ / 1189م) قام أبو يوسف يعقوب المنصور على رأس جيش ضخم بعبور الزقاق إلى الأندلس ، و توجه مباشرة إلى شنترين و أشبونة بهدف الانتقام لأبيه ، وانطلق الجيش الموحدي يحرق المزارع ، ويدمر القرى ، وينهب الضياع ، وقتل الكثير من جنود النصارى ، ثم عاد لحاضرته ، فاستغل ذلك الملك البرتغال دون بيدور ابن الفونسو هنريكي وأعد جيشا كبيرا ضمنه المتطوعين الصليبيين الذين أرسلوا من هولندا و انجلترا ،

---

[1] عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 310 .

[2] عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 311-312 .

[3] عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 311-312 .

[4] عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 312- 313.

وعسكروا قبالة أشبونة فنزل الأقرع على شلب من البحر ، وحاصرها بدرو من البر و تمكن من دخولها ، كما استولى البرتغاليون على باجة و بايرة في غرب الأندلس سنة (587هـ / 1191م) ، وقرر أبو يوسف العبور للأندلس لمحاربة القشتاليين ، بعد أن تنكروا للمعاهدة المبرمة معهم ، فأمر سنة (589هـ/ 1193م) بأن يبنى حصن على نهر الوادي الكبير قرب اشبيلية يتخذه منطلقا للجهاد وسماه حصن الفرج .

و قد بلغ الفونسو الثامن ملك قشتالة أنباء اضطرابات حدثت في المغرب الأدنى على يد ثوار تحت قيادة بني غانية ضد السلطة الموحدية ، فاستغل ذلك وقام بالإغارة على المدن الإسلامية بالأندلس ، وكان أبو يوسف يعد جيشا للتوجه للمغرب الأدنى فقرر العدول عن ذلك [1] و اللغة العربية هي التي سهّلت لهذه الأمم المختلفة أسباب العلم و المدنية ومهّدت لها الطرائق المؤدية إليها حتى أخذت كل أمة حظها منها ، و اللغة العربية هي التي أفضلت على علماء الإسلام بكنوزها و دقائقها و أسرارها ، و أمدّهم بتلك الثروة الهائلة من المصطلحات العلمية و الفنية التي تعجز أية لغة من لغات العالم عن إحضارها بدون استعانة و استعارة ، فبحثوا في كل علم و بحثوا في كل فن و ملأوا الدنيا مؤلفات و دواوين [2] و قد كانت هذه اللغة في القرون الوسطى يوم كان العالم كله يتخبط في ظلمات الجهل هي اللغة الوحيدة التي احتضنت العلم و آوته و نصرته [3] وكما فعل من قبل ، المرابطون و الرستميون و غيرهم من الدول العربية الإسلامية التي أسستها أسر بربرية ، فان الموحدين لم يفكروا لحظة في تأسيس دولة بربرية ، وإنما أسسوا دولة مسلمة عربية بكل ما يحمله هذا الوصف من أبعاد ، وحتى في أحلك الظروف التي مرت بهم والمتمثلة على الخصوص ، في تآمر قبائل بني هلال بالمغرب الأدنى و الأوسط على دولتهم ، فان الموحدين لم يهتز ، ولو ليوم واحد ، إيمانهم بإسلامهم و بعروبتهم [4] وما إن قامت دولة الموحّدين حتى تزعّم المهديّ بن تومرت الحركة الأدبية في المغرب العربيّ وهو الذي شبّ على طلب العلم وجدّ في تحصيله ، إلا أنّ العلماء اجتمعوا على مناهضته ، فلما يئس من إصلاحهم ومجيء الخير على أيديهم وجّه همّه إلى طبقة العامّة من الشعب وأخذ يدعوهم إلى الرّشد ، ويعلمهم أمور الدّين و يسعى في تأديبهم ، ولكنّه لم ير نتيجة مسعاه ولم يفرح بالانتصار على خصومه إذ عاجلته المنيّة وهو شابّ في مقتبل العمر ، فخلفه رفيقه عبد المؤمن بن علي الكوميّ الذي أحاط الأمة بسياج الحكمة و التدبير ، وحقّق أملها في النهوض بمواصلة السّعي و العمل ، وسرعان ما دانت له البلاد بعد أن قوّض دعائم الدّولة المرابطيّة ، وهكذا انتقل الحكم إلى الدولة الموحّدية وقامت معها حركة

---

(1) عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص312 - 313 .

(2) عبد الرزاق قسوم ، المرجع السابق ، ص 24.

(3) عبد الرزاق قسوم ، المرجع نفسه ، ص 22 .

(4) عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص 320 .

تجديد وإنشاء وتعظيم في جميع مرافق الدولة و مصالح الأمة [1] ترك الموحدون أثار عربية إسلامية أكثر مما تركته آية دولة سبقتهم ، خلفوا وراءها مدرسة خاصة بهم في فن العمارة و التلوين و الزخرفة ، عكست النضج الذي وصلت إليه الفنون الإسلامية العربية في هذه المرحلة المتأخرة من تاريخ ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ، و العكس ذلك في المساجد العديدة التي بناها الموحدون منها : جامع الموحدين برباط تازي ، وجامع تينملل و جامع الكتيبة و جامع القصبة بمراكش وجامع حسان بالرباط ، وجامع الأندلس بفاس ، وجامع القصبة الكبير باشبيلية التي لازالت صومعته حتى الآن قائمة باسمها باللغة الاسبانية لاخيرالدا [2] ورفعوا لواء الأمن و الحريّة في البلاد ، ولم يقتصر عمل الموحّدين على تشجيع العلوم الدينيّة فحسب ، بل تعدّاها إلى العلوم الأدبيّة و اللغويّة و العلوم الحكميّة التي انتشرت انتشارا عظيما لم تبلغه في أيّ عصر آخر ، حتى عدّ هذا العصر عصرها الذهبي في المغرب ، وقد عنيت الدولة الموحّديّة أيضا بعلوم الكيمياء و التنجيم [3].

فلما أقام الإسلام بهذا الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد و ضرب بجرانه فيه أقامت معه العربية لا تريم و لا تبرح ، مادام الإسلام مقيما لا يتزحزح ، ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس ، وتنساغ في الألسنة و اللهوات ، ولا تنساب بين الشفاه و الأفواه ، يزيدها طيبا و عذوبة ان القران بها يتلى ، وان الصلوات بها تبدأ و تختم [4] و أهم ما قام به الموحدون و قفهم لسيطرة الفقهاء المتزمتين على الحكم الذي طبع عهد المرابطين و فتحهم لباب الاجتهاد وازدهرت الحركة الأدبية ازدهارا كبيرا ، و عرفت اللغة العربية أزهى فترات انتشارها في عهد الموحدين ، و لاقى رجال الأدب رعاية كبيرة من طرف الخلفاء الموحدين الذين عينوا منهم الوزراء و العمال و الموظفين السامين للدولة ومن العلماء و الأدباء بالمغرب الأوسط في العصر المرابطي و الموحدي :

- التاهرتي : توفي سنة (501هـ/1108م) هو الحسن بن علي ، أديب نحوي سافر للأندلس
- ابن محرز الوهراني : توفي سنة (501هـ/ 1108م) أديب ، رحل إلى صقلية ثم الشام ، وهو صاحب كتابي : المنامات ، وجليس كل ظريف [5]

---

[1] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 995.

[2] عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص321، انظر : محمد المنوني ، حضارة الموحدين ،ط، دار دوبقال للنشر ، المغرب، 1989م، ص19 - 130.

[3] حنا الفاخوري ، المرجع السابق ، ص 995.

[4] عبد الرزاق قسوم ، المرجع السابق ، ص 35 - 36.

[5] عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص322-323.

- ابن الفقون القسنطيني : توفي سنة(602هـ/ 1205م) رحل إلى مراكش ، ومدح الخليفة الموحدي ، وفي سكنه بها يقول :

فها أنا قد اتخذت الغرب دارا و ادعى اليوم بالمراكشي

يقاسمني الهوى شرقا و غربا فيا للمشرقي المغربي

فلي قلب بأرض الشرق عان و جسم حل بالغرب القصي

- ابن عبد المعطي الزواوي : توفي سنة (628 هـ/ 1231م) من قبيلة افراوسن بزواوة ، قال عنه ابن خلكان :" كان احد أئمة عصره مبرزا في علوم عصره شاعرا محسنا كثير الحفظ " رحل للمشرق و أقام و درّس بدمشق فولاّه الملك مصالح الجامع وبدعوة من ملك مصر الملك الصالح توجه إلى القاهرة حيث درّس بالأزهر الآداب العربية و قرر الملك له مرتبا و ألف كتابه: (الدرة الألفية في علم العربية) نظم فيه النحو العربي في ألف بيت سابقا بذلك ألفية ابن مالك ومطلع المؤلف :

يقول راجي ربه الغفور يحي بن معطي بن عبد النور و طبعت ألفية ابن معطي بمصر ، كما له كتاب الفصول ، وكتاب العقود و القوانين في النحو ، وغيرها من عديد المؤلفات [1] وهو بربري من بلاد زواوة أي بلاد القبائل و هو يؤكد أن الأمازيغ خدموا العربية و تعاملوا معها كلغتهم [2] .

- أبو القاسم البجائي عبد الرحمان بن يوسف : توفي سنة (577هـ/ 1181م) هو صوفي ألف كتابا في التصوف عنوانه قطب العارفين طالبا للعلم ، له موهبة في تصنيف جودة الأحجار الكريمة ، وله كتاب : أزهار الأفكار في جواهر الأحجار ، وكتاب الشفا في الطب المسند عن المصطفى ، وكتاب الدرة الفائقة في محاسن الأفرقة وقد برز جزائريون في العهد المرابطي الموحدي في علوم الشريعة و أصول الدين و القضاء منهم : ابن أبي عرجان التلمساني ، ابن أبي قنون التلمساني ، أبو محمد الاشيري ، الورجلاني ، أبو موسى بن عمران ، أبو الصيقل ، أبو عبد الله بن مروان ، أبو محمد بن الدباغ ، أبو عبد الله التجيبي ، أبو عبد الله الأصولي ، أبو العباس المعافري وبسقوط الموحدين انتهى عهد الدول الكبرى التي تبسط نفوذها [3]

بسقوط مراكش (541هـ/1147م)، نصب الموحدون أنفسهم حكاما على مصير بلاد البربر ، ولم يكن قد انتهى بعد تاريخ المرابطين ، بفضل هؤلاء الحكام الجدد ، ستحقق البلاد مرحلة قاطعة نحو التحرر من الوصاية المشرقية ، لقد خصص يوسف بن تاشفين المرابطي لنفسه لقب أمير

---

[1] عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص322-323.

[2] عثمان سعدي ، المرجع نفسه، ص322-323.

[3] عثمان سعدي ، المرجع نفسه ، ص322-323.

المسلمين " الخليفة المزيف " ، أما عبد المؤمن الموحدي فسوف يحمل لقب أمير المؤمنين ، إن عهد الموحدين ، و بصورة أدق ، فترة المائة و العشرين علم ، التي تبدأ مع قدوم عبد المؤمن سنة (526هـ/1132م)حتى كارثة العقاب سنة (609هـ/1212م)، تضع المغرب الإسلامي في قمة جميع المجالات ، رغم التهديد و التخريب الذي قام به بنو غانية في البلاد ، لقد مد الموحدون النفوذ العسكري أبعد من الحدود التي توقف عندها المرابطون ، وبذلك فتحوا جميع بلاد البربر ، فجميع الأراضي بين المحيط الأطلسي و خليج قابس ، احتلتها يد واحدة ، وهذا ما لم يحدث من قبل ، حتى أيام مجد الاحتلال الروماني ، وكانت البيعة واحدة ، من شعوب هذه البلاد التي تفيض على الأندلس ، إلى السلطة الروحية و الدنيوية الموحدية ، كما أن الإيرادات التي تحققها هذه البلاد تؤول إلى بيت مال (خزينة) واحد حيث مركز هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف في المغرب الأقصى ، هذه الإمبراطورية التي أسسها ابن تومرت ، هذا البربري من الأطلس المغربي ، بالدعوة ، وبفضل عزيمة لا تعرف الكلل ، فقد قام باعلان الدعوة ، وفرضها بعد ذلك برابرة من أمثاله ، وللمرة الأولى كان المغرب بسبيل القيام بدور تاريخي كبير [1] كما سبق ولاحظنا أن السلطة الفاطمية ، نشأت هي أيضا عند البربر الجبليين ، ولكنهم لم يكونوا إلا أداة لطموح رجل مشرقي ، ولم تلبث الحركة أن خرجت من المغرب إلى المشرق ، أما حركة الموحدين ، فقد أثارها رجل مغربي و احتفظ بالمغرب مركزا له ، ويثبت طابعها المحلي ليس فقط شخصية مؤسسها ، بل في الآمال التي يبلورها و يحققها انتظار الرجل المناسب الذي حقق من ثلاث قرون مضت ، نجاح بي برغواطة ، وحميم بني غمارة ، أن هاتين البدعتين في القرن التاسع ، تسبق حركة الموحدين في القرن الثاني عشر ، لم تكن هذه البدع ، إلا حلقات في سلسلة التاريخ الإقليمي ، الذي بقي دويه محدودا في الزمان و المكان أما حركة الموحدين سيكون لها امتداد واسع و دائم [2] ولكن بتركيز على الدور التاريخي للصحراء المؤرخ البلجيكي جاك تيري الذي تخصص في دراسة الصحراء الليبية في تاريخ بلاد المغرب الوسيط ، وبرفضه لربط الوجود الهلالي بانحطاط حضارة المغرب الإسلامي ، مرجعا ذلك بالأساس المصرع المدمر بين حركة بني غانية الميورقي و الموحدين في نهاية القرن (السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) [3]

إن العربية في الجزائر جاءت مع الفتح الإسلامي الذي هو راحة من الهم الناصب ، و رحمة من العذاب الواصب ، و انصاب للبربر من الجور الروماني البغيض ، و اللغة البربرية إذا تنازلت عن

---

[1] جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص288-289.

[2] جورج مارسيه ، المرجع نفسه ، ص 289.

[3] علاوة عمارة ، المرجع السابق ، ص 10- 11.

موضعها من ألسنة ذويها للعربية ، فلأنها لسان العلم ، و اله المصلحة و أن كل ما يزعمه المبطلون بعد ذلك فضول .. و أن القبائل مسلمون ، كتابهم القران يقرأونه بالعربية ، ولا يرضون بدينهم و لا بلغته بديلا ، و لكن الظالمين لا يعقلون و خير اللغات ما كانت لسانا مبيّنا للمدنية تسهّل على الناس سبيلها و تمهّد لهم مقيلها ، فاللغة من الحضارة جزء لا كالأجزاء ، كاللسان من البدن عضو لا كالأعضاء [1] قامت اللغة العربية ببيانها على أكمل وجه ، وكانت الأمة المدخرة لتشييد هذه الحضارة التي نسمّيها بحق الحضارة الإسلامية هي الأمة العربية [2]

صاحب نمو الحركة الفكرية بالبلاد ، انتشار للغة العربية إذ أنها لغة المكاتبات و اللغة الرسمية للبلاد في معاملاتها وشئونها ، وزاد من انتشارها ، أفواج العلماء القادمين من خارج البلاد ، والذين اثروا الحياة الفكرية بدروسهم و مؤلفاتهم ، وكانت ثقافة ولاة الأمر تقوم على الثقافة الإسلامية ووسيلتهم في ذلك اللغة العربية ، كما أن المناهج الدراسية التي وضعها ولاة الأمر في المؤسسات التعليمية والتي كانت تتخذ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قاعدة ومنهاجا كانت تدرس باللغة العربية ، مما وسع من انتشار اللغة العربية لغة القران و الدين ، يضاف إلى ذلك عامل هناك شهدته البلاد في عهد الموحدين و هو مجيء العرب الهلالية إلى المغرب الأقصى واستيطانهم بعض المناطق من البلاد ، تحقيقا لرغبة خلفاء الموحدين واحتفاظ هؤلاء البدو باللسان وما فيه من مفردات وتراكيب وبلاغة في الأساليب ، و إذا أضفنا إلى ذلك التشابه في حياة هؤلاء الاعراب وسكان البلاد من البربر ، لأدركنا مدى الاختلاط و التقارب الذي حدث بين هؤلاء الاعراب [3] وسكان البلاد مما نتج عنه انتشار للغة العربية كلغة للتخاطب و التعامل فيما بينهم وقد أشار ابن سعيد إلى وجود مجموعة من قبائل البربر التي تتحدث العربية حول مدينة فاس و هم بنو يوسف و قبالا و بهلول وزواوة وفحاصة و صناية وهنا يجدر الإشارة إلى ظاهرة استخدام لغة البربر في بعض نواحي الحياة خلال الفترة الأولى لحكم الموحدين وكان لذلك عدة مظاهر و أسباب ، أما المظاهر فهي معرفة ابن تومرت لهذه اللغة و استخدامها في لشرع كما أنه كان يلقن أصحابه دعوته باللغة العربية [4] وكان ابن تومرت – مؤسس هذه الطائفة – يجند أنصاره من مصمودة الذين يسكنون هذه المرتفعات فكون قوة قتالية لا تقل عما كان عليه المرابطون في الماضي ، وقام ابن تومرت بتولية عبد المؤمن قائدا حربيا ستؤول إليه مقاليد

---

[1] عبد الرزاق قسوم ، المرجع السابق ، ص 8.

[2] عبد الرزاق قسوم ، المرجع نفسه ، ص 8.

[3] حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص 487 – 488 .

[4] حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص 487 – 488 .

الأمور بعد ذلك في سنة (523هـ/1130م) ويصبح هذا البربري بدون منازع واحدا من اكبر الأسماء في ماضي الشمال الإفريقي و أقوى خليفة إذ فتح بلاد البربر بأكملها [1] إن المنصفين منهم ليعترفون للغة العربية بهذا الفضل على العلم و المدنية و يوفونها حقّها من التمجيد والاحترام ، ويعترفون لعلماء الإسلام بأنهم أساتذة في هذه العلوم ، عنهم أخذوها و عن لغتهم ترجموها و أنهم يحمدون للدهر أن هيّأ لهم مجاورة المسلمين بالأندلس و صقلية و شمال أفريقيا [2] يتميز اللسان البشري في منظور اللسانيين الوظيفيين عن غيره من الوسائل التبليغية الأخرى بكونه مزدوج التقطيع [3] و إن استعمال لغة أصلية واحدة ضروري .. وان استعمال اللغة العربية يساعد في تكوين القوى البشرية و النشر العلمي [4] و قد تفاعلت اللغة العربية عبر مختلف عصورها مع لغات أخرى و احتكت بها بطرق متنوعة و لكنها تمكنت من صيانة خصائصها الاعرابية و صيغ عددها و دلالات زمنها و أحكام اشتقاقاتها [5] و تعليمها و تعلمها لأنها منهج التفكير [6]

إن اللغة العربية فكر قبل كل شيء [7] اعتنى العرب باللغة العربية منذ فجر الإسلام وكان الباعث الأول على هذا الاهتمام الذي يعد منقطع النظير هو الحفاظ على القران الكريم من اللحن والتحريف ، على الرغم من صفاء سليقتهم العربية بعد أن انتشر الإسلام [8]و يرجع الفضل في تأثر اللغة العبرية باللغة العربية إلى شدة احتكاكها من الناحية الثقافية بالمؤلفات اللغوية و النحوية العربية التي نقلها علماء اليهود إلى العبرية خاصة أثناء و جودهم بالأندلس [9] و رغم مواجهة السكان الأصليين الأولى للعرب الفاتحين ، التي لم تصمد طويلا اعتنق البربر الإسلام جماعيا ، وعن إيمان و اقتناع ، لأنه جاء متمما لمعتقداتهم الإيديولوجية ، وموحدا لصفوفهم ، لأنهم كانوا في اشد الحاجة كما يبدو لاعتناق عقيدة دينية سمحة تشعرهم بالأمن و الطمأنينة العرفية ، و اندمج العرب في المجموعة البربرية بسهولة ، وكانوا أمة جديدة ، قوية الهمة ، مهابة الجانب متراصة الصفوف ، دينها الإسلام و لغتها العربية الفصحى لغة القران الكريم ، التي اتخذوها اللغة

---

(1) جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 267.

(2) عبد الرزاق قسوم ، المرجع السابق ، ص 20 – 21 .

(3) سليم بابا عمر ، مدخل لمنهجية التحليل البنيوي لسان ، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية ، (د ط) ، العدد 3 ، الجزائر ، 2000م ، ص 44 .

(4) سعيد كناي ، تعريب العلوم ودوره في التنمية في الوطن العربي ، المرجع السابق ، ص 67.

(5) التجيني بن عيسى ، تأثير اللغة العربية في اللغة العبرية ، المرجع السابق ، ص 131.

(6) كان ابن خلدون الوحيد الذي عرض لموضوع التعليم في اسبانيا في فصول من "مقدمة تاريخه "، انظر : خوليان ريبيرا ، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية و تأثيراتها الغربية ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1994م ، ص 8 .

(7) عبد الرحمان عبد علي الهاشمي – فائزة محمد فخري العزاوي ، المرجع السابق ، ص 131.

(8) عبد الرحمان بن إبراهيم الفوزان ، دروس في النظام الصوتي للغة العربية ، (د ط) ، (1428هـ/ 2006م) ، ص 3.

(9) التجيني بن عيسى ، تأثير اللغة العربية في اللغة العبرية ، المرجع السابق ، ص 131.

الأولى لهم ، وأعطى هذا التجانس – البربر عربي – صورتها الثقافية العربية الإسلامية الأصيلة ، و التي على أساسها بنت حضارتها المتميزة بطابعها الأصيل [1] اللغة العربية لغة جسيمة قويمة لأمة كريمة عظيمة ، وقد حافظت على قوامها ونظامها وكلامها بقرانها العزيز و تراثها الأدبي .. وكان نصيب العربية كبيرا من العناية و الاهتمام تجلى في تلك المكتبة اللغوية التي ابتدعتها الحضارة العربية الإسلامية عبر قرون متطاولة حتى تبوأت مكانا عليا في الدراسات اللغوية ..لقد بدأ الانحراف اللغوي نادرا و سار الزمن فانتشر انتشار الوباء فهذا القلقشندي يقول : "إن اللحن قد فشا في الناس و الألسنة قد تغيرت حتى صار التكلم بالإعراب عيبا و النطق بالكلام الفصيح عيا وكان المجتمع يقابل تيار اللحن بالرفض و الاستهجان على امتداد القرون ، و قد رافق ذلك أعمال لغوية حاسمة لإنقاذ اللغة من مخاطر اللحن ، فقام رجال خلدهم تاريخ العربية بسياحة شاقة جمعوا فيها أفصح الكلام و أنقاه فكانت حصيلة ذلك عشرات من المصنفات اللغوية العاملة على تنقية العربية من كل شائبة أو تحريف [2] و قد تميزت اللغة العربية بمميزات منها الترادف و الاشتقاق و الإيجاز و الإبانة و القدرة على استيعاب الأفكار[3]

تنتشر اللغة العربية و يتسع مجال استعمالها بمدى ما تتصف به من سهولة و بساطة ومسايرتها للواقع و التطور ... هكذا كان حال اللغة العربية، لم تكن اللغة التي يتكلم بها أكثر السكان ولم تكن مؤهلة للانتشار إلا بفضل القران الكريم الذي كرمها وجعل لدى البشر حافزا قويا لتعلمها واتساع نطاق استعمالها [4].

هي الدنيا تقول بملء فيها   حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم منّي ابتسام   فقولي مضحك والفعل مبكي [5]

و في القرن (الرابع الهجري / العاشر الميلادي) حدثت هجرة زناتية واسعة النطاق من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى تحت ضغط الفاطميين نكاية فيهم لتحالفهم مع أموي الأندلس [6] بينما أفصح اسقراؤنا

[1] أحمد بكار ، تعليم و تعلم اللغة العربية على ضوء النظريات اللسانية الحديثة و البحوث التربوية المعاصرة ، المرجع السابق ، ص 137.

[2] عبد الرحمان عبد علي الهاشمي – فائزة محمد فخري العزاوي المرجع السابق ، ص 84.

[3] عبد الرحمان عبد علي الهاشمي – فائزة محمد فخري العزاوي المرجع نفسه ، ص 106 - 107 .

[4] حسن قادي ، دور وسائل الإعلام في تعميم اللغة العربية في الجزائر ، مجلة العلوم الإنسانية محمد خيضر ، بسكرة ، العدد 5 ، ص 48.

[5] ابن هشام الانصاري ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، (د ط) ، دار الطلائع ، القاهرة ، 2004م ، ص 126 .

[6] ابن حيان الأندلسي ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، ط ، صيدا ، بيروت ، 2006م ، ص22.

لأهم الدراسات المنجزة حول تاريخ مدن المغرب الأوسط خلال فترة العصرين الوسيط [1] و قد تواصل هذا النهج المعتمد على إرسال العلماء المغرب لتثبيت الإسلام وتعميقه ونشر اللغة العربية [2] فشملت مواطنهم المنطقة الممتدة من مدينة تيهرت إلى فاس ثم شرعوا في التسلل صوب الساحل عبر ممر تازا وشكلوا في كل من سلا و تادلا و أغمات و فاس مواطن لهم [3] و اللغة عامل مهم في حياة الأمة وفي توارث خصائصها و استمرار حضارتها [4] فهي صورة وجود الأمّة بأفكارها ومعانيها و حقائق نفوسها ، وجودا متميّزا قائما بخصائصه ، فهي قوميّة الفكر ، تتّحد بها الأمّة في صورة التفكير و أساليب أخذ المعنى من المادة و الدقة في تركيب اللغة دليل على دقة الملكات في أهلها [5] و عمقها هو عمق الروح و دليل الحس على ميل الأمة إلى التفكير و البحث في الأسباب و العلل وكثرة مشتقّاتها برهان على نزعة الحرية و طموحها ، فان روح الاستعباد ضيّق لا يتّسع و دأبه لزوم الكلمة و الكلمات القليلة [6]

---

[1] صالح بعيزيق ، بجاية في العهد الحفصي : دراسة اقتصادية و اجتماعية ، منشورات كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، تونس ، 2006م ،ص18.

[2] عبد الله بن بيه ، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، جامعة ام القرى ، 1418هـ/1997م)، ص 10.

[3] عيسى بن الذيب ، المغرب و الأندلس في عصر المرابطين (480،540هـ/ 1056،1145م) ، دراسة اجتماعية واقتصادية ، رسالة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة الجزائر ، (1429،1430هـ/2008،2009م) ، ص 15.

[4] عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 35 .

[5] مصطفى الصادق الرافعي ، وحي القلم ، ج3 ، (د ط) ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، (د س ط) ، ص 28 – 29 .

[6] مصطفى الصادق الرافعي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 28 – 29 .

الخاتمة

الخاتمــة :

غلبت على بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي المعتقدات البدائية ، مثل عبادة النار والنجوم والكواكب وعبادة الأصنام والأوثان والاعتقاد الكبير في السحر ، وعلى الرغم من وجود المسيحية واليهودية إلا أن انتشارهما كان محدوداً وعانت المسيحية خاصة ضعفاً شديداً لدى معتنقيها إبان هذه الفترة ومن ثم كانت بلاد المغرب مهيئة لانتشار الإسلام بها لاسيما وأن الإسلام امتاز بالبساطة والوضوح والتناسب مع عقلية البربر السكان الأصليين للبلاد .

انتشرت اللغة العربية في المغرب الإسلامي مع الفاتحين المسلمين إبان مرحلة الفتح ، وعلى الرغم من طول هذه المرحلة والصعوبات العديدة التي واجهت العرب خلالها إلا أن اللغة العربية حققت انتشاراً ملحوظاً إبان هذه المرحلة فقد اعتنق الإسلام الكثير من القبائل وشارك البربر في الجيش الإسلامي الفاتح وشاركوا في بناء مدينة القيروان وسكنوها مع العرب وأفادوا من الصحابة والتابعين الذين قطنوها , وكان مسلمو البربر هم عصب الجيش الفاتح للأندلس بقيادة القائد المغرب الأصل طارق بن زياد ، ونتيجة لظروف عملية الفتح فقد تفاوت الإسلام في انتشاره ما بين منطقة لأخرى إبان هذه المرحلة بينما كان انتشاراً فاعلاً في المغرب الأدنى وولاية إفريقية بسبب اتصال الدعوة في هذه المناطق واستقرار العرب الباكر فيها كان انتشاراً سطحياً بين الكثير من قبائل المغربين الأوسط و الأقصى وإن لم تعدم هذه المناطق قبائل رسخ الإسلام لديها بفضل اشتراكهم في الجيش ووقف المعلمين الأوائل من الفقهاء العشرة عليهم ليفقهوهم في الدين واللغة العربية كما كان الغرض نفسه في بلاد الأندلس .

وازداد انتشار اللسان العربي في المغرب إبان عصر الولاة خاصة مع الحملة المنظمة التي نظمها إسماعيل بن عبيد الله والى عمر بن عبد العزيز على المغرب(100 /101هـ – 720/719 م) والتي أسفرت عن اعتناق الكثير من القبائل للإسلام ، وأسهم في هذا النجاح للدعوة الدور الكبير الذي قام به التابعون والدعاة وكذلك تدفق العرب على البلاد وسكناهما المدن واختلاطهم بالسكان الأصليين للمغرب والتجارة ورحلة الحج و التزاوج بين العرب والبربر وخروج أبناء القبائل لطلب العلم في الشرق وما تبع ذلك من نتائج كان العنصر الحاسم في نشر الإسلام بين جماهير البربر إبان هذه المرحلة هو الدور المميز لأصحاب الفرق على اختلافها فقد انبث هؤلاء بين القبائل ينشرون الإسلام ويفقهون البربر فيه على مذاهبهم .

و أسهمت كذلك الدول المستقلة التي قامت في المغرب في نشر الإسلام وتفقيه البربر فيه على نحو جيد فقد ترتب على قيام هذه الدول حاله من الاستقرار في المناطق التي قامت فيها ، وأُقيمت المدن الإسلامية

في نواحيها وازدهرت الحياة الدينية واختلط العرب والمسلمون بالبربر في مناحي الاختلاط المختلفة وترتب على ذلك تفقه البربر في الدين ولم ينته القرن الثاني إلا وقد انتشر الإسلام بين غالبية سكان المغرب.

لقد عرف المغرب الإسلامي انتشار اللسان العربي في البداية ، قبل انتشاره في بلاد الأندلس مع سير الفتوحات الإسلامية ، فالمعروف أن بلاد المغرب أو شمال إفريقيا بدأ احتكاك المسلمين فيها قبل بدايات الاستطلاعات الأولى للفاتحين ، و استحالة إمكانية فهم و تفهم القضايا المتعلقة منها في العلوم الشريعة الإسلامية ،بدون اللغة العربية لغير العرب ، فنحن أمازيغ عربنا الإسلام ، و نجد بأن اللغة العربية أرقى وسائل التواصل الحضاري امتداد من بلاد العرب، فقد خرجت من موطنها الأول في القرن (1هـ/ 7م) وانتشرت في الأمصار مع الفتح الإسلامي .

فبظهور اللغة العربية في بلاد المغرب الإسلامي ، تمت عملية التعريب الحقيقية لسكانه عن طريق الزحف بني هلال و بني سليم و بذر النواة اللسان العربي في هذا مصر الجديد ، ما عنيته أن اللغة العربية ليست لغة أجنبية ضد لغة محلية بربرية أو فينيقية ، فليست عنصرية بل رد القوم للغتهم الأم التي انحرفوا عنها فليس وأدا للسانهم بل تقويما ما عنيته لغة عامية تحدرت من لغة فصيحة و أي تقليص للفصيحة خسارة للدين لأن العرب خاصة هم حملة الرسالة (قبل غيرهم) وصلتهم و نسبهم العربي و نبوغهم بها تحتاج اللغة العربية أن تحيا بهم فإن تصورنا للتعريب بالمغرب الإسلامي ليس قاصرا على تطويع اللغة لاستيعاب منجزات العصر الإسلامي فقط و انّما هو تنمية التفكير العربي الشرعي و تعميم نشره و رفع مستواه لدى كل الأمصار و ذلك بجعل إنتاجا فكريا و علميا يخرج بلغة القران و الناس جميعا فتغرس في النفوس أصالة الحجة والبيان و الأصالة للدين الحنيف.

إن ما يستشف و يتضح لنا جيدا من دراسة موضوع انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي من الفتح إلى استقرار بني هلال بين القرنين (1- 6 هـ / 7- 12م) من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية ، الدين الإسلامي و معجزته القران الكريم ، فالمسلمون مطالبون بالتعبد بآيات القران الكريم في صلاتهم ، ولقد ذكر المستشرق بروكلمان أنه بفضل القران الكريم بلغت العربية مدى لا تكاد تعرفه أية لغة أخرى من لغات الدنيا ، و لقد ساعدت سماحة المجتمع الإسلامي ، الذي قرر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم أنّ كلّ من يتكلم العربية فهو عربي ، في نشر العربية ، و من الأمور الأخرى التي ساعدت على نشر اللغة العربية ،هجرات القبائل الهلالية و السليمية إلى مختلف الأمصار و الأقطار المفتوحة ، و الإقبال على الزواج من غير العربيات ، كما أن الفتوح الإسلامية حملت معها العربية ، لأنها لغة الفاتحين المنتصرين ، كما أعز الإسلام اللغة العربية ، فكان انتشاره إيذاناً بانتشارها

لغة خطاب بين الناس ، و بقيام حضارة عربية إسلامية عريضة ، و منذ ذلك الحين لم تنقطع العربية عن الاستعمال لغة الحديث و لغة الأدب و التأليف ، فقاومت تقلبات الزمان طوال ما يزيد عن ألف و أربعمائة سنة ، عاشت بعد سقوط بغداد في أيدي المغول عام 1258م ، وعندما قضى الإسبان على إمارة غرناطة عام 1492م لم تضمحل العربية لا في المغرب و لا في المشرق .

فالقرار الرسمي الذي جعل من اللغة العربية اللغة الر سمية للدولة الإسلامية، اتخذه الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان الذي حكم في دمشق ما بين (65 هـ / 685م) و (85هـ / 705م) عندا تولى هذا الخليفة النشيط و الحازم إذ كانت هناك خلافات حادة حول مشروعية الحكم الأموي وتعريب الدواوين باللغة العربية و لذا كانت اللغة العربية لغة قوة و إيجاز و دقة و محافظة، و الصفة الأخيرة بوجه خاص أسهمت في حماية اللغة نفسها و اللغات الأخرى ، إذ حدّت من آثار الزمان و المكان ، بعد ما تقدَّم ، أن الإسلام انتشر مبكرًا بين القبائل البربرية ، وأن الفتح الإسلامي نجح في نشر عقيدته السهلة الواضحة بين هذه القبائل ، و مع تحمس البربر للدين الجديد و إقبالهم عليه ، تطور مجتمعهم ، و تغيرت عاداته و تقاليده ، و تمتعوا بجميع الحقوق التي تمتع بها المسلمون ، و يضاف إلى ذلك انتشار اللغة العربية الواسع بين هذه القبائل ، لرغبة البربر في تعلمها لفهم الدين و قواعده الصحيحة ، بجانب إنشاء العديد من المساجد ، و ما كان لها من دور في الثقافة الإسلامية العربية ، إذ كانت هذه المساجد إلى جوار دورها كمكان للعبادة ،ومركزًا للإشعاع الحضاري الإسلامي ، وأيضًا مساهمة البربر في الجيش الإسلامي والفتوحات ، و إنشاء عاصمة إسلامية بالمغرب تحمل الطابع الإسلامي العربي ، و تكون حاضرة من حواضر نشر الإسلام و هي " القيروان ".

إن اللغة العربية من حيث هي لغة سامية ، تشترك بالطبع في خصائص اللغات السامية لصلة القربى الوثيقة بينهما و بين تلك اللغات ، كما أن الأمر الذي أصدره عبد الملك بن مروان بتعريب الدواوين في الأمصار، أدى إلى انتشار اللغة العربية بسرعة فائقة و الالتزام بها ، و مما لا ريب فيه إن تشابه الظروف الجغرافية الطبيعية كان له أثار لا تنكر في انتشار اللغة العربية ، التي انتشرت انتشارا كبيرا في ما بين القرنين الثاني و الثالث للهجرة إلى غاية القرن السادس للهجرة بين الأمصار المشرقية و المغربية .

لقد بقيت القيروان (50 ، 55هـ/670 ، 675م) حوالى4 قرون، عاصمة الإسلام الأولى لإفريقيا و الأندلس و مركزا حربيا للجيوش الإسلامية، و نقطة ارتكاز رئيسية لانتشار اللغة العربية و بداية تاريخ الحضارة العربية الإسلامية و ظلت على مر العصور منبعا و مصدر إسهام و منارة مشعة أنجبت العديد من المبدعين و المفكرين في الفقه و علوم اللغة و الآداب و الشعر و الطب و غيرها من العلوم ،

فالقيروان كلمة فارسية دخلت إلى العربية ، و تعنى مكان السلاح و محط الجيش أو إستراحة القافلة ، فقد جاد العرب المسلمون بها لنشر اللغة العربية إلى أنحاء الدنيا لخصوبتها و إنما تمكنت من استقطاب الشعوب و من التغلغل في القلوب لأنها الدعوة الربّانية الموافقة للفطرة الإنسانية و العقيدة التي تعطي لكل ذي حق حقه فتفطن الفاتحين العرب بعد حين ، فرتبوا الفقهاء و القراء يلقونهم العربية و يبصّرونهم بالدين و تمرسوا بتعاليمه السامية و الآداب العالية فهم الذين فتحوا الأندلس و سهلوا طريقها للعرب بظهور جيل جديد من الفقهاء اللغة وسط الاتجاهات المذهبية و الطائفية و الأعجمية و مازالوا بعد ذلك حاميتها و هم الذين اقتحموا مجاهل و أغوار إفريقيا و لا ننس هنا ما قلناه سابقا من جعل العربية لغة الدولة الرسمية في عهد حسان بأمر من الخليفة فتفتقت القرائح و الأذهان و بدأ يظهر الشعراء و الخطباء و الكتاب والنحويون و اللغويون في شتى الأمصار وصاحب انتشار الإسلام في المغرب إبان الفترة موضع الدراسة انتشار الثقافة العربية لكن انتشارها لم يواكب انتشار الإسلام في السرعة إذ أن الثقافة تحتاج فترة أطول على أي حال انتشرت الثقافة العربية فى بعض جوانبها خلال مرحلة الفتح بين البربر المخالطين للعرب سواء فى المدن أو عن طرق الجيش وغير ذلك من مناحي الاختلاط وأجاد الكثير من البربر اللغة العربية ووجد من يخطب بها ويقول الشعر الجيد ، وهناك من عُرِّب تعريباً تاماً خاصة السبي سواء الذي ظل في المغرب أو نقل للشرق و الذي عاد بعضه مرة أخرى للمغرب ليسهم فى نشر الثقافة العربية بين ذويه ، و لأن العرب تركزوا فى ولاية إفريقية فقد كان شان الثقافة العربية ولغتها بها أفضل من المغربين الأوسط والأقصى وعلى الرغم من انتشار اللغة العربية وشيء من ثقافتها بين الكثير من البربر إلا أن اللغة البربرية ظلت عالية الشأن بين غالبية سكان المغرب بوصفها لغة أهل البلد وقد احتفظ بها الكثير من البربر الذين أجادوا العربية وهذا أمر طبيعى لا يقلل من شأن اللغة العربية التي كان يمكن لها يوم بعد يوم بوصفها لغة القرآن ولغة العرب الفاتحين .

و تواصل انتشار الثقافة العربية في المغرب خلال عصر الولاة خاصة مع ازدياد المقبلين على الإسلام وتدفق العرب على البلاد وازدياد مخالتطهم للبربر وازدهار المدن الإسلامية ثقافياً مثل القيروان و وغيرها وكذلك الازدهار الثقافي الذي أسهم فيه أصحاب الفرق على اختلافهم واستمر انتشار الثقافة العربية ولغتها من خلال الدول المستقلة خاصة الدولة الأغلبية والدولة الإدريسية ودولة بني صالح في نكور وكذلك الدولة الرستمية و المدرارية وكان أقل هذه الدول إسهاماً في هذا المجال دولة براغواطة في تامسنا والتي اصطبغت بصبغة محلية بربرية ، و على الرغم من انتشار اللغة العربية بشكل ملحوظ إبان القرنيين

الأول والثاني للهجرة إلا أن هذا الانتشار كان فاعلاً ومؤثراً في المدن والمناطق التي اختلط فيها العرب والبربر بينما كان انتشاراً ضعيفاً في المناطق الصحراوية وبين القبائل البعيدة عن التجمعات العربية و يعد عهد الأغالبة هو عصر ازدهار الأدب العربي في المغرب ، فقد ظهر فيه عدد من الأدباء يمكن اعتبارهم على قلتهم ممثلين لمظاهر النهضة الأدبية ، و لعل أبرزهم عبد الملك بن مروان الذي أمر بإحلال العربية محل جميع اللغات الأخرى في أقاليم الدولة الأموية ، و لا شك أن لهذا كله أثره الفعال في انتشار العربية بين السكان و اهتمامهم بالأدب و الثقافة العربية بوجه عام و من الواضح أن مسائل الدين و علومه كانت أسبق في الانتشار و الازدهار و لكن انتشر معها أيضا القرآن و الحديث فأدى انتشارهما شيئا فشيئا إلى ترسيخ اللغة العربية و الأدب العربي و ازدادا مع الأيام تمكنا و ارتقاء و بدأ البربر يجدون في دراسة اللغة و الأدب العربيين مرتعا خصيبا للتعبير عن خلجات نفوسهم و للتأليف في الفقه و الحديث أول الأمر ، و تطور كل ذلك مع توالي السنين وظهور أجيال جديدة نشأت نشأة عربية محضة و تلقت تعليما عربيا كاملا ، **قال الله تعالى** : { **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** } (سورة الشعراء – 195) .

و قد لعبت القيروان أكبر دور لنقل الثقافة و العلم من الفكر الديني إلى فكر الإسلام ، و قد و فد كثير الفقهاء الفاتحين إلى مدارس القيروان ، بالأخص العشرة الأوائل حملة العلم وزودوا بالعلوم المختلفة و ترجمت الكتب و الأبحاث من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية و بالتالي أصبحت القيروان عربية لحما و دما و مصدر المعرفة العلم لأبناء افريقية من العرب و البربر و المولدين و رغم الفتن فقد انصهروا في بوتقة اللسان العربي أضحت الكتب المترجمة تمثل مراكز الإشعاع في المغرب الإسلامي هذه الدعوة للألسنة العجم و البربر و من تبعهم من ذوي السلطان الأكبر الخيّرة لم تقتحم البلدان و تفتح الأمصار باسم القوة ، كما يدّعي أعداء الإسلام بل لأنها روحية تحمل المشاعر و دعوة لقيم الفضيلة و التراحم و لغة الغار و الوحي ، و أعلى درجات البيان و هي لم تتغلغل في الضمائر وتسيطر على القلوب عن طريق القهر و الإكراه أو التجارة، لأجل المال و الدنيا كما يروج لذلك الخصوم ،من المبشرين الغربيين و المستشرقين الحاقدين ،و إنّ تغلغلها كان نتيجة لتسامح الإسلام و تعاليه عن الانتقام والتباغض و لإقراره مبادئ العدل والمساواة والحرية ولانتصاره للمظلوم على الظالم ،و ذلك هو سرّ انتصار هذه الدعوة التي رفع رايتها ، و قاتل في سبيلها رجال و هبوا أنفسهم لبارئهم لكي يبلغوا رسالته للعالمين و حب الجهاد والشهادة لله لإعلاء لغة الدين و الدنيا **قال الله تعالى** : { **وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ** }(سورة الرعد – 38) .

فأهمية القيروان أساسيا هو تغيير مجرى تاريخ الحوض الغربي من البحر المتوسط ،و تحويل إفريقية و المغرب من أرض مسيحية، لغتها اللاتينية إلى أرض لغتها العربية و دينها الإسلام ، فقد وجد عقبة بيئة المغرب توائم المشرق فبنى بها الجامع بمدينة القيروان فأصبحت مدينة الجامع .

الملاحق

الملحق الأول

خريطة فتوح عقبة بن نافع بالمغرب[1]



الملحق الثاني

الخط المغربي[2]

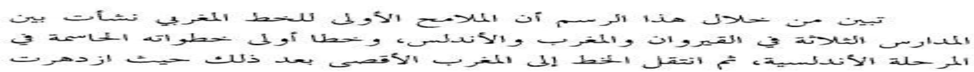
الخط النبطي
↓
الخط الحجازي
↓

الخط الكوفي + الحجازي ← الخط القيرواني + (العراقي) ← الخط الافريقي

الخط الكوفي + الحجازي ← الخط المغربي / الخط الكوفي (العراقي)

الخط المغربي الأندلسي + (الدمشقي)
↓
الخط الأندلسي
↓
الأندلسي + الفاسي
↓
الخط المغربي – الخط الجزائري – الخط التونسي – الخط السوداني

الخط المغربي ← الكوفي المغربي – الثلث المغربي – المبسوط – الجوهر – المسند/الزمامي


تبين من خلال هذا الرسم أن الملامح الأولى للخط المغربي نشأت بين المدارس الثلاثة في القيروان والمغرب والأندلس، وخطا أولى خطواته الحاسمة في المرحلة الأندلسية، ثم انتقل الخط إلى المغرب الأقصى بعد ذلك حيث ازدهرت

34

– [1] عمر أبا – محمّد المغراوي ، المرجع السابق ، ص 26.

– [2] عمر أبا – محمّد المغراوي ، المرجع نفسه ، ص 34.

الملحق الثالث

أهم مراكز انتشار القبائل العربية بالمغرب الأوسط [3]



الملحق الرابع

قبائل بني هلال و بني سليم [4]



(3) - Source: www. Al Arab Image . net .

(4) - Source: www. Al Arab Image . net .

الملحق الخامس

أهم القبائل العربية في المغرب الأوسط[5]

الملحق السادس

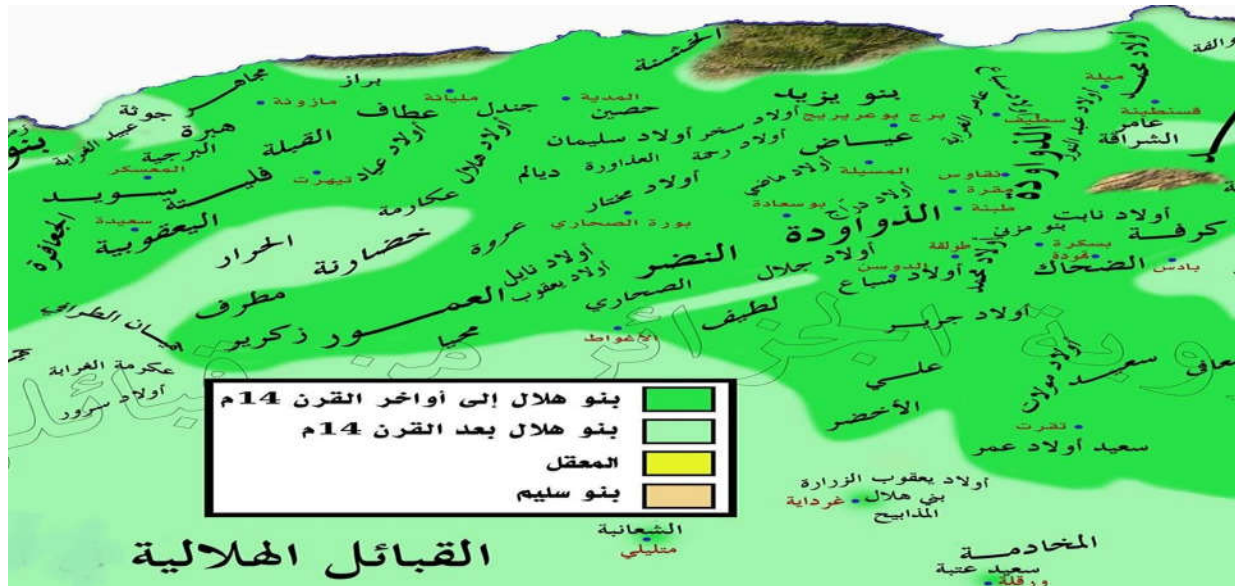
توزيع القبائل العربية في المغرب الأوسط[6]

[5] - Source: www. Al Arab Image . net .

[6] - Source: www. Al Arab Image . net .

الملحق السابع :

القبائل الهلالية [7]



الملحق الثامن

توزيع القبائل العربية ببلاد المغرب[8]



– [7] محمّد أسعد طلس ، المرج ع السابق ، المجلد الأول ، ج 1 ، ص 119 – 120 .

– [8] Source: www. Al Arab Image . net .

البيبليوغرافيا

أولا : المصادر العربية :

- القران الكريم برواية حفص .
- إبن الفوطى الشيباني (ت723هـ/ 1323) ، معجم الألقاب ، تحقيق: محمّد الكاظم ، المجلد الثالث ، ط ، مؤسسة الطباعة للنشر ، طهران ، (1416هـ / 1995م) .
- إبن حبان البستي ، روضة العقلاء و نزهة الفضلاء ، (د ط) ، (د س ط) .
- إبن سعيد ، كتاب الجغرافيا : تحقيق : إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط2 ، الجزائر ، (د س ط) .
- إبن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج2 ، بيروت ، 1927م .
- إبن قتيبة الدينوري ،كتاب الألفاظ المغربة بالألقاب المعربة ، تحقيق: عبد الله صديق ، ط ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، (1432هـ/2011م) .
- إبن قتيبة (213- 276هـ) ، عيون الأخبار ، تحقيق : منذر محمد سعيد أبو شعر، ج1 ، ط ، المكتب الإسلامي ، (1429هـ/2008م) .
- إبن جني ، الخصائص ، ت: عبد الحميد هنداوي ، ط2، ج 1 ، دار الكتب العملية ، بيروت – لبنان ، 2003م .
- إبن جني ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، ج1، ط2، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1952 م .
- إبن قتيبة الدينوري ،كتاب الألفاظ المغربة بالألقاب المعربة ، تحقيق: عبد الله صديق ، ط ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، (1432هـ/2011م) .
- إبن فارس اللغوي (ت 395هـ/ 1005م) ، كتاب الفرق ، تحقيق : رمضان عبد التواب ، ط ، دار الرفاعي ، مصر ، (1402هـ/1982م) .
- إبن خرذا ذبة ، المسالك والممالك ، تحقيق : د يخويه ،ط2 ، طبع ليدن ، مطبعة بريل ، 1967م .
- إبن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، (دط) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1968م .
- إبن خلدون ، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا و شرقا ، عرض و تعليق: محمد بن تاويت الطنجي، (دط) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1951م.
- ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة ، تحقيق : حامد أحمد طاهر ، ط1 ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، 2004 م .

- إبن أحمر ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تحقيق : هاني سلامة ، ط ، مكتبة الثقافة الدينية ، (1421هـ / 2001م) .
- إبن سلام أبو عبيدة القاسم (ت 224هـ/838م) ، كتاب النسب ، تحقيق : مريم محمد خير الدرع ، (د ط) ، بيروت ، دار الفكر ، (1410هـ/1989م) .
- إبن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : محمد هارون ، ط5، دار المعارف ، مصر .
- إبن زيدان ، تحقق : علي عمر ، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس ، ج1، ط ، الرباط ، 1929م .
- إبن عقيل ، حاشية الخضري ، تحقيق : بركان فرحان المصطفى ، المجلد 1، (د ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د س ط).
- إبن مالك ، متن الألفية ، (د ط) ، باب الوادي ، الجزائر ، 2000 م .
- قدامى ابن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق : عبد المنعم خفاجي ، (د ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د س ط) .
- إبن الأثير عز الدين ، الكامل في التاريخ ، ج4، ط2 ، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1967م .
- إبن منظور ، لسان العرب ، المجلد 1 ، ط 4 ، دار صادر، بيروت ، 2005 م .
- إبن الحداد الأندلسي (480هـ/ 1087م) ، ديوان ، تحقيق : يوسف علي طويل ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (1410هـ/ 1990م) .
- إبن عذاري ، بيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج1، (د ط) ، دار الثقافة ، بيروت ، 1948م .
- ابن أبي حديد المدائني ، شرح نهج البلاغة ، (د ط) ، درا الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1998م .
- إبن أبي أصبعة ، عيون الأنباء من طبقات الأطباء ، ت : نزار رضا ، (دط)، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1965م .
- إبن يعيش ، الشرح المفصل ، ج1، (د ط) ، عالم الكتب ، بيروت ، (د س ط) .
- إبن رشيق القيرواني ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان ، ج2 ، (د ط) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (د س ط) .
- أبو حيان التوحيدي و مسكويه ، الهوامل و الشوامل ، (د ط) ، القاهرة ، 1951 م .

- أبو هلال العسكر، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق على محمد اليحاوي و محمد أبو الفضل، عيسى الباقي الحلبي، ط ، (1371هـ/ 1952م).
- أبو محمد الرّشاطي (ت 543هـ/ 1147م)، ابن الخرّاط الاشبيلي (ت 581هـ/ 1187م) ، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار ، تحقيق : ايميليو مولينا و خاثينتو بوسك بيلا ، (د ط) ، المجلس الأعلى للأبحاث – معهد التعاون مع العالم العربي ، مدريد ، (1492هـ / 1992 م) .
- أبو الفداء ، تقويم البلدان ، (د ط) ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1840م .
- أبو مروان عبد الملك ابن أبي العلاء بن زهر الإيادي الإشبيلي ، الطب العربي في الأندلس ، منشورات ، ثالة ، الجزائر ، 2007م .
- أبو العباس المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ج3 ، (دط)، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2002 م .
- أبو القاسم الزياني (1147، 1249هـ/ 1734 ،1833م) ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا و بحرا ، تحقيق : عبد الكريم الفيلالي ، (د ط) ، دار النشر للمعرفة ، الرباط ، (1412هـ /1991م) .
- أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق ، تاريخ افريقية و المغرب ، تحقيق : عبد الله العلي الزيدان
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224 - 310هـ / 839 - 922م) ، تاريخ الطّبريّ تاريخ الرسل و الملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ج4 ، (د ط) ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1970م .
- أبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ/ 839 م) ، الغريب المصنّف ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، القسم الأول ، (د ط) ، (د س ط) .
- أبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276هـ / 889م) ، أدب الكاتب ، تحقيق : محمّد الدّالي، ط2 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت ، (1405هـ/ 1980م) .
- أبي زيد سعيد بن اوس بن ثابت الأنصاري ، كتاب النوادر في اللّغة ، (د ط) ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، (د س ط) .
- أبي زكرياء يحي بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تحقيق : بوزيان الدراجي ، ج2 ، (د ط) ، دار الأمل للدراسات ، 2007 م .
- أبي الحسن مسلم بن الحجاج ، صحيح ، ط ، دار إبراهيم ، المجلد 9 - 17-18 ، 2003م.

- أبي العباس أحمد القلقشندي (756-861هـ / 1345- 1445 م) ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، (1400هـ / 1980 م) .
- أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد ابن احمد ابن مريم ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، (د ط) ، الجزائر ، (1326هـ/ 1908م) .
- أبي عثمان عمر و بن بحر الجاحظ (150-255هـ / 767- 869م) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، البيان والتبيين ، الجزء الأول، ط7، مطبعة المدني، القاهرة ،(1418هـ/1998م)
- أبي عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (708- 761 هـ / 1308- 1389م) ، شرح قطر النّدى و بلّ الصّدى ، تحقيق : محمد خير طعمة حلبي ، (د ط) ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، (د س ط) .
- أبي عبد الله بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، (1408هـ/ 1988م) .
- أبي البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (دط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (1418هـ / 1998م) .
- أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت 356هـ/ 967م) ، البارع في اللغة ، تحقيق : هاشم الطعان ، ط ، دار الحضارة العربية ، بيروت ، 1975م .
- أبي حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مجلد 5، (د ط) ، دار المعرفة ، بيروت ، (د س ط).
- أبي محمّد بن الحسن بن دريد (ت 361هـ / 972م) ، كتاب جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، ج1 ، ط1 ، دار العلم للملايين ، 1987م .
- أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعوديّ (ت 346هـ/ 957م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج2 ، ط1 ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، (1425هـ/2005م).
- أبي حيان التوحيدي ، أخلاق الوزرين ، تحقيق : محمد ابن تاويت الطنجي ، (دط) ، المجمع العلمي ، دمشق ، 1965 م .
- أبي عبيد البكري (ت 487هـ/ 1094م) ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب (جزء من كتاب المسالك و الممالك) ، (د ط) ، مكتبة المثنى ، بغداد ، (د س ط) .

- أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي ، كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقية وزهادهم و نساكهم وسير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم ، تحقيق : بشير البكوش ، ج 1 ، ط 2 ، الطباعة دار صادر– دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، (1403هـ/ 1983م) .
- أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب (200- 291هـ/ 815- 904م) ، مجالس الثعلب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر .
- القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ج1، (د ط) ، تحقيق : أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1967م .
- الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك ، (دط) ، دار العروبة، مصر ، (د س ط)
- الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية و المغرب ، تحقيق : محمد زينهم محمد عزب ، ط ، دار الفرجاني ، القاهرة ، (1414هـ / 1994م) .
- الدرجيني ، طبقات مشائخ بالمغرب ، تحقيق إبراهيم طلاي ، ج1 ، (د ط) ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، (د س ط) .
- المسعودي ، مروج الذهب ، ترجمة : محي الدين عبد الحميد ، ج1 ، (د ط) ، المكتبة الإسلامية ، بيروت ، (د س ط) .
- الزجاجي ، الجمل ، (دط) ، وزارة المعارف الجزائرية ، 1957م .
- الخفاجي (ت 466هـ/ 1044 م) ، سرّ الفصاحة ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (1402م/1982م) .

الصاحب بن عباد ، معجم المحيط في اللغة ، ج 1 ، (د ط) ، (د س ط) .
- الأصمعي ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : ش . تورّي ، (دط) ، دار الكتاب الجديد ، بيروت – لبنان ، (1400هـ/1980م) .
- البغدادي ، تراجم الأدباء ، تحقيق : مزاحم علي عشيش البعاج ، ج1،ط،(1426هـ/2006م) .
- الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج2 ، (دط) ، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، (د س ط) .
- الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ج1 ، (د ط) ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1967 م .

- الونشريسي ، النوازل جوانب من حضارة المغرب الإسلامي، تحقيق : كمال أبو مصطفى ، (د ط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1997م .
- المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، تحقيق : أحمد آمين ، و عبد السلام هارون ، ط1، دار الجبل ، بيروت ،1991م .
- الحازمي أبو بكر بن أبي عثمان الهمذاني (ت 584هـ/1188م) ، عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب ، تحقيق : عبد الله كنون ، ط ، القاهرة ، دار الأفاق العربية ، (1422هـ/2002م) .
- الزهري ،كتاب الجغرافيا ، تحقيق : محمد حاج صادق ، القاهرة ، (د س ط) .
- الجوهري ، الصحاح ، تحقيق : إميل بديع يعقوب – محمد نبيل الطريفي ، ج1، ط1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، (د س ط) ، مادة خطب.
- الخطيب التبريزي ، ديوان أبي تمام ، تحقيق : محمد عبده عزّام ، المجلد الأول ، ط 5 ، مطابع دار المعارف ، القاهرة ، 1987م .
- السيوطي جلال الدين ، الأخبار المروية في سبب وضع العربية ، تحقيق : عبد الحكيم الأنيس ، ط ، دبي ،2011م .
- السيوطي جلال الدين ، الاقتراح في علم أصول النحو، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د س ط) ، 2006 م .
- السيوطي جلال الدين عبد الرحمان (ت 911هـ / 1505 م) ، شرح عقود الجمان في علم المعاني و البيان و بهامشه : "حلية اللب المصون على الجوهر المكنون " للشيخ أحمد الدمنهوري ، (د ط) ، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع ، (د س ط) .
- السيوطي ، الإكليل في استنباط التنزيل ، ط2 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1985 م .
- السيوطي ، لباب النقول في أسباب النزول ، ط4 ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، 1986 م .
- الاستربادي ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج1 ، (د ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د س ط) .
- البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (دط) ، القاهرة ، 1967 م .
- النباهي المالقي الأندلسي ، تأريخ قضاة الأندلس كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط5 ، (1403هـ/1983م) .

- الإدريسي بن عبد الله ، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، تحقيق : محمد حاج صادق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983م .
- أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب ، (د ط) ، (د س ط).
- أحمد بن عبد الوهاب المعروف بالنويري ، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (27هـ ، 719هـ/647م ، 1319م) من كتاب نهاية الإرب في فنون الأدب ، تحقيق : مصطفى أبو ضيف أحمد ، ج 22 ، (د ط) ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، 1984م .
- أحمد بن محمد المقري التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب ، ج 1، ط ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، م طبعة السعادة ، مصر ، (949هـ/ 1542م) .
- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق : المهدي البوعبدلي ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، ط ، الجزائر ، 2013م .
- انس الفقير و عز الحقير ، تحقيق : اودلف فور و محمد الفاسي ، (د ط) ، المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ، 1965م .
- جازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، تحقيق : الحبيب بن خوجة ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1986 م .
- جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي (874/813) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، ج 1 ، (د ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ، (د س ط) .
- خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج3 ، ط15، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، 2006م .
- سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ج 1 ، (د ط) ، دار العلم ، القاهرة ، 1966م .
- شهاب الدين محمد بن أحمد الابشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، (د ط) ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، (د س ط) .
- شمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط2 ، مطبعة بريل ، دار صادر ، بيروت ، 1906 م .
- شمس الدين ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، ج3 ، ط ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة ، مصر ، 1948م .
- صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، تحقيق : حياة بوعلوان ، ط ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1985 م .

- عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق ، زينهم محمد عزب ،(د ط) ، دار الالفرجاني للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1994م .
- عبد الرحمان بن عبد الحكم ، فتوح أفريقية و الأندلس ، (د ط) ، دار الكتاب اللبناني ، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع ، بيروت ، 1964م .
- عبد الرحمان بن حسن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم و الأخبار ، تحقيق : عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ، ج 1 ، طبعة البولاق ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1997م .
- عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي ، ط1 ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، (1368 هـ / 1948م) .
- عز الدين بن الأثير الجوزي ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ط4 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د س ط) .
- علي الجزنائي ، جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس ، تحقيق : عبد الوهاب ابن منصور ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، (1411هـ/ 1991م) .
- علي بن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس ، (دط) ، دار المنصور ، 1972م .
- لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي ، ط ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، (1410 هـ/ 1990م) .
- محمود شكري الالوسيّ ، كتاب النّحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده ، تحقيق: محمد بهجة الأثري ، (د ط)، (1408هـ/ 1988م) .
- مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار – عبد القادر زمامة ، ط ، دار الرشاد الحديثة ، (1399هـ /1979م) .
- حمد أمين البغدادي السويدي ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، (دط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د س ط) .
- محمد التونجي ، المعجم المفصل في الأدب ،ج 2 ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1999 م .
- محمّد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عبّاس ، ط 2 ، مطبعة هيدلبرغ ، بيروت ، 1975م .

- محمد لسان الدين بن الخطيب ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ط1 ، مطبعة التقدم الإسلامية ، تونس ، (د س ط) .
- مرتضى الحسني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، (د س ط) ، الكويت ، (د س ط) ، (مج و) مادة " بلغ " .
- مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز أبادي الشيرازي الشافعي ، قاموس المحيط ، ج2 ، ط3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، 1999م .
- مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، المجلد 1 ، (د ط) ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، (د س ط) .
- مؤلف مجهول ، نبذة في أخبار ملوك بني نصر ، تحقيق : ألفريد البستاني ، ط ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، 2002م .
- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، المجلد الأول ، (د ط) ، مكتبة خياط ، بيروت .

ثانيا : المراجع العربية الحديثة :

- أحمد توفيق المدني ، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، (دط) ، المطبعة العربية ، الجزائر ، (د س ط) .
- أحمد توفيق المدني ، قرطاجنة في أربعة عصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1986م .
- أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، (د ط) ، (د س ط) .
- أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي و الأندلسي ، (دط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976م ، ص 257.
- أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والأندلسي ، (دط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1972م .
- أحمد عثمان ، العربيّة في اللغات العالميّة ، أرامكو ، مركز الملك عبد العزيز ، (دط) ، السعودية ، (د س ط) .
- أحمد مصطفى أبو الخير ، علم اللغة التطبيقي ، (دط) ، دار الأصدقاء ، المنصورة ، (1427هـ/2006م) .
- أحمد مختار عبد الحميد عمر ، البحث اللغوي عند العرب ، ج 1 ، ط 8 ، 2003م .

- أحمد بن فارس ، الصاحبيّ في فقه اللغة و سنن العرب في كلامنا ، (دط) ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ، (1328هـ/ 1910م) .
- أحمد الاسكندري – مصطفى عناني ، الوسيط في الأدب العربي و تاريخه ، ط16 ، دار المعارف ، مصر ، (1335هـ/ 1916م) .
- أحمد علي الناصري ، دور مصر التاريخي بين شبه الجزيرة العربية و إفريقيا في عصور ما قبل الإسلام ، (دط) ، دار النهضة العربية ، مطبعة جامعة القاهرة ، 1990م .
- أحمد عثمان ، الشعر الإغريقي ، (دط) ، دار المعرفة ، 1981 م .
- أحمد الزاهد ، الغزو العربي لشمال إفريقيا بين نبالة النص ودناءة الممارسة ، (د ط) ، تامغناست ، (د س ط) .
- أحمد الكنوني ، المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح إلى ابن عطية ، ج 1 ، (دط) ، مكتبة المعارف ، المغرب – الرباط ، 1981 م .
- أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ط7، دار المعارف، مصر، 1979م .
- أحمد أمين ، النقد الأدبي ، ج 1 – 2 ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1963 م.
- أحمد مختار عمر ، تاريخ اللغة العربية في مصر ، المكتبة العربية ، (دط) ، القاهرة ، (1390هـ/1970م) .
- احمد المنصوري ، كباء العنبر من عظماء زيان و أطلس البربر ، مطبعة الكرامة ، ط ، الرباط ، (1425هـ/2004م) .
- أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ، ج1، ط ، (1416هـ/1995م) .
- أحمد شامية ، في اللغة ، ط1 ، دار البلاغ ، الجزائر ، 2003 م .
- أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، ط ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، (1405هـ/ 1985م) .
- أحمد اليوري ، في الرواية العربية، التكون والاشتغال ، ط1 ، شركة النشر المدارس ، الدار البيضاء ، 2000 م .
- أحمد مختار عمر ، اللغة و اللون ، ط2 ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1997م .
- أحمد الشايب ، الغزل في تاريخ الأدب العربي ، (د ط) ، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة – تونس ، (د س ط) .

- أحمد الزاهد ، الغزو العربي لشمال إفريقيا بين نبالة النص و دناءة الممارسة ، (د ط) ، تامغناست ، (د س ط) .
- أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ، ط6، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، (1420هـ/2000م) .
- أحمد زكي ، الترقيم وعلاماته في اللغة العربية ، (د ط) ، مؤسسة هنداوي للتعلم و الثقافة ، مصر ، 2012م .
- أحمد حسني ، المكون الدلالي في اللسان العربي ، (د ط) , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر ، 1993 م .
- أحمد بن عبد الله الباتلي ، أهمية اللغة العربية و مناقشة دعوى صعوبة النحو، ط، مطبعة السفير ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، (1412هـ/1991م) .
- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج1 ، ط7 ، مذرمة الطبع و النشر ، القاهرة ، (1351 هـ/ 1933م) .
- إسماعيل العربي ، دولة الأدارسة ، ملوك تلمسان و فاس و قرطبة ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983م .
- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري 16-20م ، ج 1 ، (دط) ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، (د س ط) .
- أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ط 1 ، منشورات دار الآداب، بيروت، 1966م .
- أبو المرتجي،سيميائية النص الأدبي ، ط1، إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء ، المغرب ، 1987 م .
- أبو السعود سلامة أبو السعود – رمضان خميس القسطاوي ، الأدب العربي في مختلف العصور ، (د ط) ، العلم و الإيمان ، 2007م .
- أبو يعلى الزواوي ، تاريخ الزواوة ، ط ، منشورات وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2005م .
- إسرائيل ولفنسوف ، تاريخ اللغات السامية ، ط1، مطبعة الاعتماد ، مصر ، (1348هـ / 1929م) .
- إبراهيم حركات، المغرب عبر التّاريخ ،ج1،دار الرشاد الحديثة ،دار البيضاء, (2000/1420م) .

- إبراهيم شمس الدّين ، مجموع أيّام العرب في الجاهلية و الإسلام ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (1422هـ / 2002م) .
- إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ،ج1، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ،2000م .
- إبراهيم علي طرخان ، المسلمون في أوربا في العصور الوسطى ، (د ط) ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، 1966 م .
- إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ط2 ، 1952م .
- إبراهيم رماني ، الغموض في الشعر العربي الحديث ، (دط) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية بن عكنون ، الجزائر ، (د س ط) .
- إبراهيم السّمرائي، العربية تاريخ و تطور،ط ، مكتبة المعارف، بيروت ،(1413هـ/ 1993م) .
- ابراهيم السّامرائي ، من سعة العربيّة ، ط ، دار الجيل ، بيروت ، (1414هـ/ 1994م) .
- إبراهيم بيضون ، الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ،(د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1986م .
- إبراهيم القادري بوتشيش ، إسهامات في التاريخ الاقتصادي – الاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط ، المغرب ، 1998م .
- اغناطيوس غويدي ، ترجمة : إبراهيم السامرائي ، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام ، ط ، دار الحداثة للطباعة والنشر و التوزيع ، لبنان ، 1986م .
- اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، القسم 1 ، (دط) ، القاهرة ، 1963م .
- إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ط 4 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983م .
- إحسان عباس ، فن الشعر ، ط3 ، دار الثقافة ، بيروت ، (د س ط) .
- أنخل جانثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة : حسين مؤنس ، ط ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1986 م.
- إسماعيل بن إبراهيم بن أمير المؤمنين ، تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط من خلال مخطوط (تاريخ الأندلس) ، تحقيق : أنور محمود زناتي ، (دط) ، عين شمس ، (د س ط) .
- الياس بلكا – محمد حراز ، اشكالية الهوية و التعدد اللغوي في المغرب العربي المغرب نموذجا ، ط ، مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية ، ابوظبي ، 2014م .

- التهامي نقرة – عبد الحليم عويس ، ،أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، دار الصحوة ، القاهرة .
- العربي دحو ، الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الأمارات الأغلبية و الرستمية و الأدارسة (30هـ/230م) ، (د ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، (د س ط) .
- العربي عقون ، الامازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول و الهوية ، ط ، التونخي للطباعة ، الرباط ، 2010 م .
- الشربيني شريدة ، مقدمة الخصائص ، (د ط) ، دار الحديث ، القاهرة ، 2008م .
- الربيعي محمد علي عبد الخالق ، البلاغة العربية و مائها و غايتها في النصوص البياني ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، سوتير – إسكندرية ، (د س ط) .
- الطاهر أحمد الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير أساس البلاغة ، ج1 ، ط3 ، دار الفكر، (د س ط) .
- الباقلاني ، إعجاز القرآن ، (د ط) ، دار المعارف ، مصر ، (د س ط) .
- الهادي روجي ادريس ، دّولة الصّنهاجيّة تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن (4هـ /10م) إلى القرن (6هـ / 12م) ، ترجمة : حمّادي السّاحلي ، ج1 ، ط ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، 1992م .
- السيّد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية دراسات في تاريخ العرب ، (د ط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، (د س ط) .
- السيد عبد العزيز سالم ، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، (دط) ، مؤسسات شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1985م .
- الصّديق بن العربي ، كتاب المغرب ، ط 3 ، دار الغرب الإسلامي ، (1404هـ/1984م) .
- الطيب دبة ، مبادئ اللسانيات البنيوية ، دراسة تحليلية ابستيمولوجية ، (دط) ، دار القصبة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2001 م .
- الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك ، يتيمة الدهر، ط1، دار الكتب العملية ، بيروت ، 1983 م .
- التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسان ، (دط) ، دار الوعي للنشر والتوزيع ، الروبية – الجزائر ، 2006 م .
- الخليل النحوي ، بلاد شنقيط (عرض للحياة العلمية و الإشعاع الثقافي و الجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة) ، (دط) ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة ، تونس ،1987م .

- الحسين بن محمّد شوّاط ، القاضي عياض عالم المغرب ، ط ، دارالقلم ، دمشق ، (1419هـ/1999م).
- الحسين أسكان ، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1- 9 هـ/7 – 15 م)، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 2004م.
- الفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة : عبد الرحمان بدوي ، (د ط) ، دار الغرب الإسلامي ، (د س ط) .
- الملح مازن ، النحو العربي ، ط 1، درا الحضارة ، بيروت ، 1965 م .
- الحسين بن محمد شوّاط ، القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث (486-544هـ /1093-1149م) ، ط ، دار القلم ، دمشق ، (1419/هـ/1999م) .
- الحبيب الجناحي، المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، (د ط) ، مطابع السياسة، عالم المعرفة ، الكويت ، 2005م .
- إنريك أندرسون إمبرت ، مناهج النقد الأدبي ، ترجمة : الطاهر أحمد مكي ، (دط) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1991 م .
- أ ، ف . غوتييه ، ماضي شمال أفريقيا ، (د ط) ، تاوالت الثقافية ، 2010م .
- أ ، ليفي بروفنسال ، نخب تأريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى ، (د ط) ، مطبوعات لاروز ، باريس ، 1948م .
- اتحاد المغرب العربي الوحدة التاريخية والجغرافية ، (دط) ، الامارت العربية المتحدة ، 2001م.
- بالملياني بن عمر ، ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث ، (د ط) ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون – الجزائر، 2006 م .
- بشير خلدون ، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي ، (د ط) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 م .
- بشرى موسى صالح ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، (د ط) ، دار التوزيع للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، (د س ط) .
- بسام العسلي ، فنّ الحرب الإسلامي ، المجلد 2 ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، (1408هـ/1988م) .

- بوزياني الدراجي ، دولة الخوارج و العلويين في بلاد المغرب و الأندلس (سلسلة العصبية القبلية) ، ج2 ، ط ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2002 م .
- بوزريان الدراجي ، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية ، مؤسسة بوزيان للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013م .
- بوزياني الدراجي ، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها ، ج 1، (د ط) ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007م .
- بيرنيت تشارلز ، حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في اسبانيا ، ترجمة : عمران أبو حجلة ، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ، (ط2) ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999 م .
- بن حمّاد الجوهري ، (د ط) ، دار الحيث ، القاهرة ، (1430 هـ/ 2009م) .

بوشوشة بن جمعة ،الرواية العربية الجزائرية أسئلة الكتابة و السيرورة ، ط، دار سحر، 1988م .
- بالمر ، علم الدلالة ، تحقيق : إبراهيم السيد ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية – مصر ، 1995 م .
- بكر بن عبد الله أبو زيد ، خصائص جزيرة العرب ، ط 3 ، مطابع أضواء البيان ، الرياض ، (1421هـ / 2000م) .
- بيار جيرو ، علم الدلالة ، تحقيق : منذر عياشي ، ط8 ، طلاس – دمشق ، (د س ط) .
- بوقريقة يوسف، أبحاث في دين الامازيغ ، ط ، مطبعة النجاح الجديدة ، 2012م .
- توأمة عبد الجبار ، زمن الفعل في اللغة العربية قرأته وجهاته ، (د ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية , بن عكنون – الجزائر , 1994م .
- توفيق سلطان اليوزبكي، الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوربا ، المجلد 5 ، العدد 20 ، ثقافاتنا للدراسات والبحوث ، (1431هـ/2010م) .
- توفيق برو ، تاريخ العرب القديم (تاريخ العرب قبل الإسلام) ، (د ط) ، دار الوعي ، (1433هـ/ 2012 م) .
- تقي الدّين النباهي ، الدّول الإسلامية ، ط ، دار الأمّة ، بيروت ، (1372هـ/1953م) .
- تمام حسان ، اللّغة العربية معناها و مبناها ، (د ط) ، دار الثقافة ، دار البيضاء – المغرب ، 1994م .

- جمال طه ، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي (عصر المرابطين و الموحدين) ، دار الوفاء ، ط1، إسكندرية ، 2004م .
- جرجي زيدان ، اللغة العربيّة كائن حي ، ط 2 ، دار الجيل ، لبنان ، 1988م .
- جودت الركابي ، في الأدب الأندلسي ، ط 3 ، دار المعارف ، مصر ، 1970م .
- جودت عبد الكريم يوسف ، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، (د ط) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م .
- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج1، (د ط) ، (د س ط) .
- جرمانوس فرحات ، بحث المطالب في علم العربيّة ، ط 2 ، معجم و دراسة في النحو العربي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، 1995م .
- جرمان عياش ، دراسات في تاريخ المغرب ، (د ط) ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، ط ، الدار البيضاء ، (1406هـ/1986م) .
- جورج مارسيه ، بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، (د ط) ، مطبعة الانتصار ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، الطباعة الأوفست ، الإسكندرية ، 1999م .
- جاسم بن محمد القاسمي ، تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس ، (د ط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1999م .
- جابر عصفور ، زمن الرواية ، ط ، دار الهدى للثقافة و النشر ، دمشق – سوريا ، 1999م .
- جميل حمداوي ، الديانة عند الامازيغيين ، (د ط) ، (د س ط) .
- جاسم الفاس ، في الأدب الإسلامي المعنى و الوظيفة ، (د ط) ، دار ناشري للنشر الالكتروني ، العراق ، 2014م .
- جرجي شاهين عطيه،سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، ط4 ، دار ريحاني، بيروت، (دس ط).
- جمعية تأليف الكتب العربية ، أدب المملى ، ط ، مطبعة أبي الهول ، دار الكتب العربية ، (1329هـ/1911م) .
- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني و الثقافي و الاجتماعي ، ج 4 ، ط 15 ، دار الجيل – دار النهضة المصرية ، (1416هـ/ 1996م) .
- حفيظة تازورتي ، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري ، (د ط) ، دار القصبة للنشر ، الجزائر، 2003 م .

- حسن أحمد محمود ، منى حسن محمود ، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة ، ط ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1999 م.
- حازم علي كمال الدين ، دراسة في قواعد النحو العربي في ضوء علم اللغة الحديث ، (دط) ، 1996م .
- حسن حسين زيتون ، مهارات التدريس ، رؤية في تنفيذ التدريس، ط ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2001 م .
- حسن شحاتة زينب النجار ، معجم المصطلحات التربوية و النفسية ، ط ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة – مصر ، 2003م .
- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السّياسي و الدّيني و الثقافي و الاجتماعي – الدولة العربية في الشرق و مصر و المغرب و الأندلس (131- 132هـ/ 622-749م) ، ج 1 ، ط14، دار الجيل ، بيروت ، (1416هـ/ 1996م) .
- حسن جاد حسن ، محمد عبد المنعم خفاجة ، الأدب العربي في الأندلس ، ط ، المطبعة المحمدية ، الأزهر ، (د س ط) .
- حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ط ، دار الجيل ، بيروت ، 1986م .
- حسين مؤنس ، تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن السادس إلى القرن 19 الميلاديين ، ط ، دار العصر الحديث للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1992 م .
- حسين مؤنس ، الحضارة دراسة في أصول و عوامل قيامها و تطورها ، ط2 ، الكويت ، 1978م .
- حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، (د ط) ، دار الرشاد ، 2004م .
- حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، ط ، للطباعة تين واه – سنغافورة ، مصر، 1987م .
- حسن ظاظا ، اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة ،ط2 ، بيروت ، (1990/1410م) .
- حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، (دط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د س ط) .
- حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس عصر المرابطين و الموحّدين ، ط ، كلية دار العلوم ، القاهرة ، 1980م .
- حسن جاد حسن ، محمد عبد المنعم خفاجة ، الأدب العربي في الأندلس ، ط ، المطبعة المحمدية ، الأزهر ، (د س ط) .

- حسن قربي ، المجتمع الريفي في الاندلس في عصر بني أمية (138-422هـ/756-1031م) ، المجلس الاعلى للثقافة ، المطابع الاميرية ، القاهرة ، 2012م .
- حسن الوراكلي ، ياقوتة الأندلس دراسات في التراث الأندلسي ، (د ط) ، الطباعة مؤسسة جواد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1994م.
- حسن حافظى علوي ، سجلماسة و إقليمها في القرن (الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) ، (د ط) ، مطبعة فضالة ، المملكة المغربية ، (1418هـ / 1997م) .
- حسن إبراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي السياسي و الديني و الاجتماعي ، العصر العباسي الثاني في الشرق و مصر و المغرب و الأندلس (232 هـ - 474هـ/847م - 1055م) ، ج4 ، ط13 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، (1411هـ/1991م) .
- حسان أبو رحاب ، الغزل عند العرب ، ط1 ، (1424هـ / 2008م) .
- حنيفي بناصر و مختار لزعر ، اللسانيات منطلقاتها النظرية و تعميقاتها المنهجية ، (د ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية بن عكنون ، الجزائر، 2009 م .
- حمادة محمد ماهر ، المكتبات في الإسلام ، نشأتها و تطورها ومصادرها ، ط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (1417هـ/1996م) .
- حميد الحميداني ، بنية النص السردي ، (د ط) ، (د س ط) .
- حامد محمّد الخليفة ، يوسف بن تاشفين (400 - 500 هـ/1009- 1106م)، مكتبة الصحابة ، القاهرة ، (1435هـ/2004م) .
- حفني ناصف، حياة اللغة العربية ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط ، مصر ، (1423هـ/2002م) .
- خليل السكاكيني ، مطالعات في اللغة و الأدب ، (د ط) ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، 2014م .
- خينيس بيريث دي ايتا ، الحرب ضد الموريسكيين ، ج2 ، ط ، القاهرة ، 2009 م .
- خولة طالب الإبراهيمي ، الجزائريون و المسألة اللغوية ، عناصر من أجل مقاربة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري ، ترجمة : محمد يحياتن ، (د ط) ، دار الحكمة ،2007م .
- خليل إبراهيم السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس ، ط ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ليبيا ، 2000م .

- خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، ط2 ، دار القصبة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2006 م .
- خوليان ريبيرا ، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية و تأثيراتها الغربية ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1994م .
- ديفيد جستس ، محاسن العربيّة في المرآة الغربية أو دلالة الشكل في العربيّة في ضوء اللّغات الأوروبية ،مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية ، الرياض،(1424هـ/2003م).
- رجب عبد الجواد إبراهيم ، أسس علم الصرف ، تصريف الأفعال والأسماء ، (د ط) ، دار الآفاق العربية ، (د س ط) .
- رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، (دط) ، الطباعة الشعبية ، الجزائر ، 2007م .
- روبار برنشفيك ، تاريخ افريقيّة في العهد الحفصيّ من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م ، ج 1 ، ط ، مطابع الشروق ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، 1988م .
- رضوان منيسي عبد الله ، الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديثة ، (د ط)، دار الطباعة ونشر الدعوة الإسلامية ، القاهرة ، 2006م .
- رمضان عبد التواب ، بحوث ومقالات في اللغة ، دار الرفاعي ، ط ، مطبعة المدني ، القاهرة ، (1403هـ/ 1982م) .
- راضي دغفوس، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط ، ط ، دار الغرب الإسلامي ، مطبعة الصراط ، بيروت – لبنان ، (1425هـ/ 2005 م) .
- ر , هـ , روبينز ، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب) ، (د ط) ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1997م.
- روجرلي تورنو،حركة الموحّدين في المغرب ،ط2 ، الدار البيضاء ، (1419هـ/1998م)
- زكي النّقاش ، العلاقات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية بين العرب و الإفرنج خلال الحروب الصليبية ، (دط) ، دار الكتاب اللبناني ، (1365هـ/1946م) .
- زينب الخضيري ، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ،دار الثقافة، القاهرة ،(1409هـ/1989م) .
- زين الخوسيكي ، معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم ، ط ، مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح، بيروت– لبنان ، 1996م .

- سعيد الأفغاني ، نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي ، ط2 ، دار الفكر ، بيروت ، (1389هـ/1969م) .
- سحر السيد عبد العزيز سالم ، المغرب في العصر الإسلامي ، (د ط) ، مطبعة الإشعاع ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 1993م .
- سحر السيد عبد العزيز سالم ، الغرب الإسلامي و الغرب المسيحي خلال القرون الوسطى ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، (د ط) ، مؤسسة كونراد أديناور ، الرباط ، 1995م .
- سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي (الفاطميون ، بنو زيري ، الصنهاجيون ، إلى قيام المرابطين) ، ج3 ، (د ط) ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1990م .
- سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي، تاريخ دولة الأغالبة و الرستميين و بني مدرار و الأدارسة حتى قيام الفاطميين ،ج2 ، (دط) ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1979 م .
- سعد الغامدي ، ينابيع اللغة الاولى ، ط ، أبو ظبي ، (1430هـ / 2009م) .
- سعد ناصر الدين ، العدد و قواعد اللغة العربية ، منتديات التربية و التعليم ، (د ط) ، المنتدى العربي الموحد ، دار العربي الموحد ، بيروت ، 2001 م .
- سعد بوفلاقة ، دراسات في الأدب الجاهلي" النشأة والتطور والفنون والخصائص "، (دط) ، منشورات بابي مختار ، عنابة ، 2006 م .
- سيديو ، خلاصة تاريخ العرب ، ترجمة: علي باشا مبارك ، ط ، (1309هـ/ 1891 م) .
- سلمى الخضراء الجيوسي ، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ج 2 ، ط ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ، 1998م .
- سراج الدين محمد ، الغزل في الشعر العربي ،دار الراتب الجامعية ، بيروت– لبنان ، (د س ط) .
- سعدون عبّاس نصر الله ، دولة الأدارسة في المغرب ، العصر الذهبي (176- 788هـ/ 663-835م) ، ط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (1408هـ/ 1987م) .
- ستدري سالم أبوسيف ، الرواية العربية وإشكالية التصنيف، ط1، دار النشر، الأردن، 2008 م .
- سليمان فياض ، الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية ، (د ط) , دار المريخ للنشر و التوزيع , الرياض ، 1990م .
- سمير المرزوقي ، جميل شاكر ، مدخل إلى نظرية القصة ، (د ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، الدار التونسية للنشر ، (د س ط) .

- سالم علوي ، شجاعة اللغة العربية (أبحاث و دروس في فقه اللغة) ، (د ط) ، دار الأفاق ، (د س ط) .
- ستانودكي ، المسلمون في تاريخ الحضارة ، ترجمة : محمد فتحي عثمان ، ط ، المطبوعات الجامعية، الجزائر ، (1406هـ/1986م) .
- سلميان العطار ، الأسلوبية علم وتاريخ ، مجلة فصول ، المجلد الأول ، (د ط) ، العدد2 ، 1982م .
- سلامة موسى ، البلاغة العصرية و اللغة العربية ، (د ط) ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، مصر ، 2012م .
- سام عمار – شحادة الخوري ، التعريب في الوطن العربي واقعه و مستقبله ، مطبعة المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم ، تونس ، 1996م .
- سلام الصالح الصديق البيان ، من علوم القرآن ، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكباب ، الجزائر ، (د س ط) .
- سهى فتحي نعجة ، اشكاليّة التّعريب في ضوء الامكانيّة التوليديّة للعربيّة ، (دط) ، (د س ط) .
- سعيد الأفغاني ، نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي ، ط2 ، دار الفكر ، بيروت ، (1389هـ/1969م) .
- سلامة موسى ، البلاغة العصريّة و اللغة العربية ، ط ، دار و مطابع المستقبل ، الإسكندرية ، 1945م .
- سرجيو سبيني ، التربية اللغوية للطفل ، ترجمة : فوزي عيسى و عبد الفتاح حسن، (د ط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1991م .
- شدى فكار ، في حوار حول الحاضر بالماضي عبر الأندلس، ط2 ، المغرب– الرباط ، 1992م .
- شوقي ضيف ، البلاغة تطوّر و تاريخ ، ط9 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995م .
- شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس ، الجزائر ، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م) ، (د ط) ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، 2011 م .
- شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، ط24 ، دار المعرفة ، 2003م .
- شايف عكاشة ، نظرية الأدب ، ج1 ، القسم2 ، (دط) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1987 م .

- شايف عكاشة ، مدخل إلى عالم الرواية الجزائرية ، (دط) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1990 م .
- شوقي ضيف ، الدول و الإمارات الجزائر – المغرب الأقصى – موريتانيا – السودان ، ط ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995م .
- شفيع السيد ، البحث البلاغي عند العرب تأصيل و تقييم ، (دط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (1408هـ/ 1987م) .
- شكيب ارسلان ، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ،ج1،ط ، مطبعة الرحمانية ، مصر ، (1355هـ/ 1936م) .
- شكيب ارسلان ، تاريخ غزوات العرب في فرنسا و سويسرا و ايطاليا و جزائر البحر المتوسط ، (د ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د س ط) .
- صالح إبراهيم ، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف ، ط ، دار البيضاء - المغرب ، 2003م .
- صالح مصطفى مفتاح ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، ط ، ، الشركة العامة للنشر و التوزيع و الإعلان ، 1978م .
- صالح معيوف مفتاح ، جبل نفوسة و علاقته بالدولة الرستمية (2-3هـ/8-9م) ، (دط) ، 2006م.
- صالح بن قربة و آخرون ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ، (د ط) ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007 م .
- صالح بلعيد ، اللغة العربية العالمية ، (دط) ، دار هومة ، الجزائر ، 2003م .
- صالح بعيزيق ، بجاية في العهد الحفصي : دراسة اقتصادية و اجتماعية ، منشورات كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، تونس ، 2006م .
- صلاح الدين الهادي ، اتجاهات الشعر في العصر الأموي ، ط ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (1407هـ/ 1986م) .
- صبيحة أحمد علفم ، تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية ، ط ، دار فارس للنشر والتوزيع ، 2006 م .

- طارق محمد السويدان ، الأندلس التاريخ المصور ، ط ، مطابع المجموعة الدولية ، الكويت ، (126هـ/ 2005م) .
- طه علي حسن الدليمي وآخرون ، طرق تدريس اللغة العربية ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة ، 2005 م .
- طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، مكة المكرمة ، (1425هـ /2004م) .
- طه حسين ، في الشعر الجاهلي ، (د ط) ، مكتبة دار الندوة الالكترونية ، القاهرة ، 1926م .
- فاروق خورشيد ، الموروث الشعبي ، ط ، دار الشرق ، القاهرة ، 1992 م .
- طاهر الجزائري ، الكافي في اللغة ، (دط) ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، جمهورية مصر العربية ، 2012م .
- عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ط2 ، مؤسسة نويهض الثقافية ،بيروت – لبنان (1400هـ/ 1980م) .
- عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، (د ط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د س ط) .
- عبد العزيز حافظ دنيا ، موسى بن نصير حياته وعصره ، دارالقومية للطباعة والنشر ، (دط) ، (د س ط) .
- عبد علي حسين صالح ، النحو العربي منهج في التعلم الذاتي ، (د ط) ، دار الفكر ، عمان – الأردن ، (1430هـ / 2009م) .
- عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، ج1، ط ، الرباط ، 1968م .
- عبد الحميد خالدي ، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر ، (د ط) ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2003م.
- عبد الجليل الطاهر ، المجتمع الليبي دراسات اجتماعية و أنتروبولوجية ، (دط) ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، 1969م .
- عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ط 5 ، نشر المركز الثقافي العربي ، 1996م .
- عبد الله أنيس الطباع ، القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامية الدانية ، ط ، دار بن زيدون ، بيروت ، 1986م.

- عبد القادر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ط ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، (1421 هـ / 2000م) .
- عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات و اللغة العربية نماذج تركيبية ، ط، بيروت ، 1986م.
- عبد القادر محمد مايو ، معالم اللغة العربية ، (د ط) ، درا العلم العربي ، 2000م .
- عبد الله كنّون ، النّبوغ المغربي في الأدب العربي ، ج1 ، ط2 ، طنجة ، 1960م .
- عبد الفتاح عباده ، انتشار الخط العربي في العالم المشرقي و العالم العربي (د ط) ، مطبعة هندية بالموسيتكي ، مصر ، 1915م .
- عبد الكريم بن محمد الفكون القسنطيني ، فتح المولى في شرح شواهد الشريف ابن يعلى ، ط ، دار الخليل القاسمي، الجزائر ، 2007م .
- عبّاس علي السّوسوة ، فقه اللغة و الثقافة العربية ، دار غريب ، القاهرة ، 2009م .
- عبد الواحد حسن الشيخ ، الأسس الفنية للكتابة العربية والإنشاء ، (د ط) ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية ، مصر، 2000 م .
- عبد القادر محداد ، زاد المسافر و غرّة محيا الأدب السافر لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي ، (دط) ، بيروت ، (1358هـ/1939م) .
- عبد المجيد النعنعي ، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس (التاريخ السياسي) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د س ط) .
- عبد الواحد ذنون طه ، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس ، ط ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1988م .
- عبد الواحد ذنون طه ، الفتح و الاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا و الأندلس ، ط، بيروت – لبنان ، دار المدار الإسلامي ، 2004م .
- علي محمد راضي ، الأندلس...و الناصر ، (دط) ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1967 م .
- على احمد مدكور ، تدريس فنون اللغة العربية ، ط2 ، دار الشواف ، مطبعة الفنية ، 1991م .
- علي فهمي خشيم ، البرهان على عروبة اللغة المصرية القديمة ، مجمع اللغة العربية ، ط ، مركز الحضارة العربية للإعلام و النشر و الدراسات ، القاهرة ، 2007م .
- علي حسين الشطشاط ، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة ، (د ط) ، دار قباء للطبع والنشر ، القاهرة ، 2001 م .

- علي حسني الخربوطلي ، أبو عبد الله الشيعي ، المطبعة الفنية الحديثة ، (دط) ، (د س ط) .
- علي محمد الصلابي ، دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، (د ط)،دار المعرفة ، بيروت ،(1430هـ/2009م) .
- علي شلق ، الزمان في اللغة العربية و الفكر ، ط ، دار الإعلال ، بيروت ، 2006م .
- علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني هجري ، ط ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، 1989 م .
- علي غريب الشناوي ، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي ، (د ط) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2003 م .
- عبد العليم إبراهيم ، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ، ط5 ، دار المعارف ، مصر ، 1981م .
- عبد العزيز شهبي ، تاريخ المغرب الإسلامي ، ط ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، (1434هـ / 2013م) .
- عبد العزيز عتيق ، في النقد الأدبي، ط 2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1972م .
- عبد العزيز عتيق ، تاريخ البلاغة العربي ، (دط) ، دار النهضة العربية ، بيروت- لبنان ، (د س ط).
- عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، (دط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د س ط) .
- عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، (د ط)، مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ، 2008م .
- عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، (د ط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، (د س ط).
- عبد العزيز بن عبد الله ، مظاهر الحضارة المغربية ، ج2 ، (دط) ، الدار البيضاء ، 1962م .
- عبد العزيز الدوري – غيداء خزنة كاتبي ، الفتح و الأرض في الأندلس ، (د ط) ، جامعة الأردن ، (د س ط).
- عبد العزيز سالم ، التاريخ و المؤرخون العرب ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، (د س ط) .
- عبد العزيز غوردو ، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب (جدلية التمدين و السلطة) ، دار ناشري للنشر الالكتروني ، ط 2 ، وحدة المملكة المغربية ، (1432هـ/ 2011م) .
- عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، ج1 ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر .

- عبد الحميد حاجيات ، دور بني عامر في تاريخ الغرب الجزائري أيام الدولة الزيانية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة تلمسان ، 2002م .
- عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، ط 2 ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، (1411هـ/1991م) .
- عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط2 ، دار الصحوة ، القاهرة ، (1411هـ/ 1991م) .
- عبد الرحمان أيوب ، اللغة بين الفرد و المجتمع ، ط1 ، (د ط) ، (د س ط) .
- عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية ، نشأة و تطوّر ، ط2 ، مكتبة وهبة ، (1414 هـ/ 1993م) .
- عبد القادر حسين ، فن البلاغة ، ط 2 ، دار الكتب ، بيروت ، (1405 هـ / 1984م) .
- عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة ، ط ، دار الشروق ، (1402هـ/ 1982م) .
- عبد الوهاب عزام ، الصلات بين العرب و الفرس و آدابهما في الجاهلية والإسلام ، القاهرة ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، 2012م .
- عبد الحق المريني ،الجيش المغربي عبر التاريخ ، ط5، دار المعرفة للنشر ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1997.
- عبد الفتاح رجب حمد بولبيض ، تاريخ برقة الإسلامي ، ط ، دار الكتب الوطنية بنغازي ، ليبيا ، 2009م.
- عبد الحميد حسين حمّودة ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي و حتى قيام الدّولة الفاطمية ، ط ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، (1428هـ/2007م) .
- عبد الكريم الفيلالي ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ج1 ، ط ، شركة تاس للطباعة ، القاهرة ، 2006م .
- عبد الحميد حاجيات ، تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط ، مجلة الحضارة الإسلامية ، (د ط) ، العدد الأول ، 1993م .
- عبد الأحد السبتي ، حليمة فرحات ،المدينة في العصر الوسيط ،ط،المركز الثقافي العربي،1994م .
- عبد الهادي التازي ، جامع القرويين (المسجد و الجامعة بمدينة فاس) ، المجلد 1 ، (د ط) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1973م .

- عمر أبو النّصر ، تغريبة بني هلال ورحلتهم إلى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة ،ط، بيروت – لبنان ،1981م .
- عبد المنعم خفاجي – عبد العزيز شرف ، معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي ، ط 2 ، الدار المصرية اللبنانية ، (1412هـ/1992م) .
- عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي ، مطابع الشروق ، ط1 ، بيروت – لبنان ، (1410هـ / 1990م) .
- عز الدين إسماعيل ، الأدب و فنونه دراسة و نقد ، ط8 ، دار الفكر العربي ، (د س ط) .
- عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث (1930- 1974) ، (د ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981م .
- عبد الغفار حامد هلال ،كلية اللغة العربية بالقاهرة و ثمانون عاما في خدمة اللغة العربية و حمايتها ، (د ط) ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، 2012 م .
- عبد الكريم خليفة ، تيسير العربيّة بين القديم والحديث ، ط ، عمان ، (1407هـ/1986م) .
- عبد الكريم الفيلالي ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ج1 ، ط ، القاهرة ، 2006 م.
- عبده الراجحي ، التطبيق النحوي ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، قناة السويس – مصر , 1998 م .
- عباس محمود العقاد ، أثر العرب في الحضارة الأوربية ، دار نهضة ، مصر، 2002 م .
- عبد الله محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش ، (دط) ، دار الثقافة ، القاهرة ، (1411هـ/1991م) .
- عمار ساسي ، اللسان العربي و قضايا العصر (رؤية علمية في الفهم – المنهج – الخصائص – التعليم – التحليل) ، (د ط) ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2007م .
- عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، (د ط) ، دار الحديث ، القاهرة ، 2003 م .
- عبد القادر المغربي ، عثرات اللسان في اللغة ، (د ط) ، (1369هـ/1949م) .
- عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي ، (د ط) ، مكتبة الشباب ، 1978 م .
- عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة ، نظم التحكم و قواعد البنيات ، ط ، دار الصفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 2002 م .

- عبد القادر هني ، دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي ، ط6 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995م .
- عبد الحميد بوسماحة ، رحلة بني هلال إلى الغرب و خصائصها التّاريخية ، الاجتماعية ، و الاقتصادية ، مكونات البنية الفنية ، ج2 ، (د ط) ، دار السبيل ، الجزائر ، 2008م .
- عبد القادر جغلول ، مقدّمات في تاريخ المغرب العربي القديم و الوسيط ، ترجمة : فضيلة الحكيم ، ط ، دار الحداثة ، بيروت – لبنان ، 1982م .
- عزا لدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب، ط4، مكتبة غريب بالفجالة ، القاهرة ، (د س ط) .
- عبد الرحمان بن عطية ، تاريخ العربية لسان العالمين ، دار هومة ، الجزائر ،2007م .
- عبد الرحمان عبد علي الهاشمي – فائزة محمد فخري العزاوي ، دراسات في مناهج اللغة العربية و طرائق تدريسها ، ط ، الوراق للنشر و التوزيع ، عمان ، 2007 م .
- عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث و دراسات في علوم اللسان ، (د ط) ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2012م .
- عبد الرحمن عثمان حجازي ، المذهب التربوي عند ابن سحنون ، (دط) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (1406هـ/1986م) .
- عبد الرحمان بن إبراهيم الفوزان ، دروس في النظام الصوتي للغة العربية ، (د ط) ، (1428هـ/ 2006م) .
- عبد الرحمان أحمد البوريني ، اللغة العربية أصل اللغات كلها ، ط ، دار الحسن ، الأردن ، (1419هـ/1998م) .
- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج2 ، (د ط) ، دار الأمة ، الجزائر ، 2009م .
- عبد القادر زبادية ، دراسات عن افريقيا جنوب الصحراء في ماثر ومؤلفات العرب و المسلمين ، (دط) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (د س ط) .
- عبد المجيد النجار، في حركة المهدي بن تومرت ، ط2 ، (1415هـ/1995م) .
- عبد القادر بوحسون ، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس خلال العهد الزياني (633 – 962هـ/1235- 1554م) ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر، (1428-1429هـ/ 2007- 2008م) .

- عبد الرزاق قسوم ، اللغة العربية في عهد الاستعمار ، ط ، مؤسسة عالم الأفكار ، 2007م .
- عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، ط 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م .
- عبد الله علي علام ، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، (د ط) ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007م .
- عبد القادر محمد مايو ، معالم اللغة العربية ، (د ط) ، درا العلم العربي ، 2000م .
- عبد المجيد القدوري ، الموريسكيّون في المغرب ، (د ط) ، مطبعة المعارف الجديدة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط – المملكة المغربية ، (1421هـ/2000م) .
- عثمان كعاك ، البربر ، (دط) ، تامغناست ، جبل المنار ، (1375هـ / 1955م) .
- عثمان سعدي ، الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى 1954 و من خلاله تاريخ المغرب العربي حتى الخلافة العثمانية ، (د ط) ، دار الأمة ، الجزائر ، 2012م .
- عفت الشرقاوي ، دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي ، (د ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان ، (د س ط) .
- عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ج 1 ، ط4 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1981م .
- عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط ، دار ريحانة ، الجزائر ، 2002م .
- عواطف محمد يوسف نواب ، الرحلات المغربية و الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنيين السابع و الثامن الهجريين ، (د ط) ، الرياض ، (1417هـ/1996م) .
- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، تاريخ المغرب و الأندلس ، المطبعة التجارية الحديثة ، القاهرة ، 1990م .
- غوستان لوبون ، حضارة العرب ، تحقيق : عادل زعيتر ، ط3 ، دار التراث العربي ، 1979م .
- غانم قدوري الحمد ، أبحاث العربية الفصحى ، دار عمار ، ط ، عمان ، (1426هـ/2005م) .
- فتحي جمعة ، اللغة الباسلة ، ط 5 ، دار النصر للتوزيع و النشر ، 2000 م .
- فتحي عبد الفتاح الدجني ، أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ، (د ط)،ط،1974م .
- فدوى طوقان – جبل إبراهيم ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، (د ط) ، نشر بدعم وزارة الثقافة ، (د س ط) .

- فراس السليتي ، فنون اللغة (المفهوم – الأهمية – المعوقات – البرامج التعليمية) ، ط ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2005 م .
- فوزي يوسف الهابط ، العقبات التي تحد من انتشار العربية السليمة واستثمارها ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، المنوفية ، (د ط) ، (د س ط).
- فوزي عيسى ، الرسائل الأدبية في النثر الأندلسي ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1998 م .
- فاطمة الهاشمي بكوش ، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي ، ط ، ايتراك ، مصر الجديدة ، القاهرة ، 2004م .
- فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي ، التفسير الفقهي في القيروان حتى القرن الخامس الهجري ، ط ، الرياض ، (1415هـ / 1997م) .
- فتيحة كحلوش ، بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري ، ط1 ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت – لبنان ، 2008 م .
- فخري محمد صالح ، اللغة العربية أداء و نطقا و أملاء و كتابة ، (دط) ، مطابع الوفاء ، المنصورة ، 1986م .
- فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي في علوم القران و الحديث ، المجلد 1 ، ج1 ، (د ط) ، المملكة العربية السعودية ، (1411هـ/1991م) .
- فاضل صالح السامرائي ، الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري ، مطبعة الارشاد ، دار النذير ، بغداد ، (1390هـ/1971م) .
- فتحي زغروت ، الجيوش الإسلامية و حركة التغيير في دولتيّ المرابطين و الموحدين (المغرب و الأندلس) ، ط ، دار التوزيع و النشر الإسلامية ، مصر، (1426هـ/2005م) .
- فولفديتريش فيشر ، دراسات في العربية أصولها – مراحلها التّاريخية – بنيتها – لهجاتها – علاقاتها بأخواتها الساميات ، تحقيق : سعيد حسن بحيري ، ط ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، (1426هـ / 2005م) .
- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ط5 , دار العلم للملايين ، بيروت ، 1973م.
- كريم زكي حسام الدين ، العربيّة تطوّر و تاريخ دراسة تاريخية لنشأة العربية و الخط وانتشارهما ، (د ط) ، (د س ط) .

- كمال السيد أبو مصطفى ، دراسات أندلسية في التاريخ و الحضارة ، (د ط) ، مركز الإسكندرية للكتاب ، 1997م .
- كمال السيد مصطفى ، جوانب من حياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي ، (د ط) ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، 1996م.
- كولان .ج . س ، الأندلس ، ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، تحقيق : إبراهيم خورشيد و آخرون ، ط ، دار الكتاب اللبناني ، ، دار الكتاب المصري ، بيروت- لبنان ، 1980م .
- كيس فرستيغ ، اللغة العربية تاريخها و مستوياتها و تأثيرها ، ترجمة : محمد الشرقاوي ، ط ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2003م .
- لويس جان كالفي ، حرب اللغات و السياسات اللغوية ، ترجمة : حسن حمزة ، ط ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2008 م .
- لويس شيخو ، تاريخ الآداب العربية ، (د ط) ، (د س ط) .
- لخضر سيفر ، التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي ، ج1، (د ط) ، الأمل للدراسات ، الجزائر ، 2007م .
- منى حسن محمود ، المسلمون في الأندلس و علاقتهم بالفرنجة (92 - 206 هـ/714- 815 م) ، (د ط) ، مطابع الدجوى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1986م.
- محمدي عبد المنعم محمد حسين ، التاريخ السّياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1999م .
- محمد عبد الله ابن الثمين ، اللّحن اللغوي و أثاره في الفقه و اللّغة ، ط ، دائر الشؤون الإسلامية ، دبي ، (1429هـ/2008م) .
- محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية ، ط1، دار الفكر العربي، 1995م .
- محمد عبد الوهاب خلاف ، قرطبة الإسلامية في القرن (الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري) ، ط ، مطبعة أوميقا ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984م .
- محمد علي قطب ، مذابح و جرائم محاكمة التفتيش في الأندلس ، (د ط) ، (د س ط) .
- محمد سعيد الدغلي ، الحياة الاجتماعية في الأندلس و أثرها في الأدب العربي و في الأدب الأندلسي ، ط ، (04 14هـ / 1984م) .

- محمد كرد علي ، غابر الأندلس و حاضرها ، (دط) ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، جمهورية مصر العربية ، 2012م .
- محمد رزوق ، الأندلسيون و هجراتهم إلى المغرب خلال القرنين (16-17) ، ط3 ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء بالمغرب ، 1998م .
- محمد باي بلعالم ، إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلاّن في جنوب الجزائر ، (د ط) ، ادرار – الجزائر ، (1433هـ/ 1912م) .
- محمد خرسان وآخرون ، تاريخ الحضارة الإنسانية ، ط ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، الأردن ، 1999م .
- محمد حسين الفرح ، عروبة البربر تاريخ ودلائل انتقال البربر من اليمن إلى بلاد المغرب و الجذور العربية اليمنية لقبائل البربر ، (د ط) ، دار الكتب صنعاء ، الجمهورية اليمنية ، (1431هـ/ 2010م) .
- محمد عادل عبد العزيز ، التفسير العلمي لحركة الفتوح الإسلامية والتعريب ، (د ط) ، دار غريب ، القاهرة ، 2006م .
- محمد سالم محيسن ، المقتبس من اللهجات العربية و القرآنية ، (د ط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1986م .
- محمد إسماعيل ، الأغالبة سياستهم الخارجية (184- 296هـ/ 800- 909م) ، ط3 ، دار روتابرينت ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، 2000 م .
- محمد علي قطب ، أبطال الفتح الإسلامي ، ط ، دار الدعوة ، (1427هـ/ 2006م) .
- محمد سالم صالح ، أصول النحو دراسة في فكر الأنبار، ط1 ، دار السلام القاهرة ، 2006م .
- محمد عيد ، أصول النحو العربي ، ط1 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1989م .
- محمّد الأمين محمّد – محمّد علي الرحماني ، المفيد في تاريخ المغرب ، (د ط) ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، (د س ط) .
- محمد أرزقي فراد ، الأمازيغية آراء .. و أمثال تيبازة نموذجا ، (دط) ، مطبعة دار هومة ، الجزائر ، 2004م .
- محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس ، ط 3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993م .

- محمد الولي ، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان ، 1990 م .
- محمد أبو ربيع ، في تاريخ الأدب العربي القديم ، دار الفكر ، (د ط) ، الأردن ، 1990م .
- محمد شفيق ، ثلاثة وثلاثين من تاريخ الامازيغيين ، (دط) ، الرباط ، (1409هـ /1988م).
- محمد عبد الله عنّان ، دولة الإسلام في الأندلس الخلافة الأمويّة و الدولة العامرية ، العصر الأول – القسم الثاني ، ط4 ، مطبعة المدني ، (1417هـ/1997م).
- محمد عبد المنعم الخفاجي ، عبد العزيز في البلاغة العربية بين التقليد و التجديد ، (د ط) ، دار الجيل ، بيروت ، (د س ط) .
- محمد صالح الشنطي و آخرون ، ظاهرة الضعف اللغوي ، ط ، دار الأندلس ، المملكة العربية السعودية ، (1414هـ/ 1994م) .
- محمد بن تاويت ، محمد صادق عفيفي ، الأدب المغربي ، ط ، مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبنانية للطباعة و النشر ، بيروت ، 1960م .
- محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ، (د ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010م .
- محمد عبد الرحمن فرحبا ، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ، ط ، دار الجبل، بيروت ، (1419هـ/1998م) .
- محمد كامل حسين ، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، ج2 ، (د ط) ، ليبيا ، (دس ط) .
- محمد ناصر صوّان ، أوراق قديمة من كرّاس الجزائر ، مذكرات معلم فلسطيني (1962- 1968م) ، ط ، دار النمير ، مكتبة الإسكندرية ، دمشق ، 1998م .
- محمد محمود غالي ، أئمة النّحاة في التاريخ ، ط ، دار الشروق ، (1396هـ/1976م) .
- محمد سليمان الطيب ، موسوعة القبائل العربية ، المجلد 2 ، ج2 ، ط2 ، دار الفكر العربي ، (1417هـ / 1996م) .
- محمّد أبو الفضل إبراهيم – علي محمّد البجاوي ، أيام العرب في الإسلام ، (د ط) ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، (1408هـ/ 1988م) .
- محمد مرتاض ، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي نشأته و تطوره (دراسة و تطبيق) ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، 2000 م .

- محمد عبد الخالق عضيمة ، أبو العباس المبرد و أثره في علوم العربية ، ط ، الرياض ، (1405هـ/ 1984م) .
- محمد رجب البيوسي، الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير ، السعودية ، (1400هـ/1980م) .
- محمد الشكعة ، المغرب و الأندلس آفاق و إسلامية حضارة إنسانية و مباحث أدبية ، (د ط) ، دار اللبناني ، بيروت ، (د س ط) .
- محمد الديداوي ، مفاهيم الترجمة ، المنظور التعريبي لنقل المعرفة ، ط ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، 2007م .
- محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ، ط3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993م .
- محمد مصايف ، دراسات في النقد والأدب ، (د ط) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1998م .
- محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، (د ط) ، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ، (1924 هـ / 2004 م) .
- محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين في شمال افريقية و مصر و بلاد الشام (297-567هـ/910-1171م)، ط 2 ، دار النفائس ، بيروت – لبنان ، (1428هـ/2007م).
- محمد القبلي ، مراجعات حول المجتمع و الثقافة بالمغرب الوسيط ، ط ، دار توبقال ، دار البيضاء – المغرب ، 1974م .
- محمد القبلي ، حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط (د ط)، المغرب ، 1998م .
- محمد المختار ولد أباه ، تاريخ النحو العربي في المشرق و المغرب ، ط 2 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2008م .
- محمد عيسى الحريري ، الدولة الرستميّة بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس (160- 696هـ / 775- 1287م) ، ط3 ، دار القلم ، الكويت ، (1408هـ/ 1987م) .
- محمد بن عبد الكريم الجزائري ، لغة كل أمة روح ثقافتها ، (د ط) ، دار الشهاب للطباعة و النشر ، الجزائر ، 1989م .
- محمد المنوني ، حضارة الموحدين ، ط ، دار دوبقال للنشر ، المغرب ، 1989م .

- محمد خير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى احتلال الفرنسي (دراسات في تاريخ شمال افريقية الحديث) ، مكتبة دار الشرق ، ط 2 ، سوريا – بيروت ، 1979م .
- محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، ط ، دار الكتاب الجديدة ، بيروت – لبنان ، 2004م .
- محمد رضوان ، الداية في الأدب الأندلسي ، ط ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 2000م .
- محمد الفاسي ، التعريف بالمغرب (مقدمة لتاريخ الأدب العربي بالمغرب الأقصى) ، (د ط) ، جامعة الدول العربية ، قسم الدراسات الأدبية و اللغوية ، 1961م .
- محمد الديداوي ، إشكالية وضع المصطلح المتخصص وتوحيده و توصيله و تفهيمه و حوسبته ، (د ط) ، مكتب الأمم المتحدة في جنيف ، (د س ط).
- محمد بن أحمد ابن شقرون ، مظاهر الثّقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني ، (د ط) ، دار الثقافة ، دار البيضاء – المغرب ، (1406هـ/1985م) .
- محمد مجيد السعيد ، الشعر في عهد المرابطين و الموحدين بالأندلس ، ط3 ، (1429هـ/2008م) ، دار الراية ، عمان – الأردن ، (د س ط) .
- محمّد النّيفر ، عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب ، ج1 ، ط ، دار الغرب الإسلامي ، (د س ط) .
- محمد بودهان ، في الهوية الأمازيغية للمغرب ، ط ، 2013 م.
- محمد كريم الكوّاز ، الفصاحة في العربية المفاهيم و الأصول ، ط ، الانتشار العربي ، بيروت – لبنان ، 2006م .
- محمد زكريا عناني ، ابن مجبر الأندلسي ، ط ، دار الثقافة ، بيروت– لبنان ، 2000م .
- محمّد سهيل طقّوش ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار النفائس ، ط ، لبنان ، 2009م .
- محمود عرفه محمود ، العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم، ط ، مطابع دار روتابرينت ، القاهرة ، 1995م .
- محمود محمد الطناحي ، من أسرار اللغة في الكتاب و السنة ، ط ، دار الفتح للدراسات و النشر ، مكة المكرمة ، (1428هـ/2008م).
- محمود إسماعيل عبد الرازق ، الخوارج في بلاد حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، ط2 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1985م .

- محمود أحمد نحلة ، أصول النحو العربي ، (دط) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 2004 م .
- محمود سعد ، مباحث البيان عند الأصوليين و البلاغيين ، (د ط) ، منشأة المعارف للنشر ،الإسكندرية ، 1989 م .
- محمود سلميان ياقوت ، النحو العربي ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1994م .
- محمود المقداد ، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا ، (دط) ، الكويت ، (1410هـ/1990م) .
- محمود شلبي ، حياة طارق بن زياد (فاتح الأندلس) ، ط ، دار الجبل ، بيروت ، 1992م .
- محمود شيت خطاب ، عقبة بن نافع الفهري ، ط5 ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت – لبنان ، (1397هـ / 1977 م) .
- مراد الرماح ، أعلام و معالم ، (دط) ، مطابع الموحدة ،1997م .
- منذر عيّاشي ، قضايا لسانية و حضارية ، دمشق ، ط ، 1991 م .
- مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ،ج2 ، (د ط) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (د س ط) .
- منى حسن محمود ، المسلمون في الأندلس و علاقتهم بالفرجة ، (د ط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1986م .
- معمر حجيج ، إستراتيجية الدرس الأسلوبي ، (د ط) ، درا الهدي للطباعة والنشر و التوزيع ، عين مليلة ، 2007م .
- موريس لومبار ، الإسلام في مجده الأول من القرن (2 / 8م) إلى القرن (5هـ / 11م) ، ترجمة : إسماعيل العربي ، ط3 ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، المغرب ، (1411هـ/1990م) .
- منذر عياشي ، اللسانيات و الدّلالة ، مركز الإنماء الحضاري ، ط 2 ، سوريا ، 2007م .
- مونكومري وات ، البدو ، ترجمة : عبد الحميد يونس وآخرون ، ط ، دائرة المعارف الإسلامية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1981 م .
- مهى محمود إبراهيم العتوم ، تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث (دراسة مقارنة في النظرية والمنهج) ، (د ط) ، مكتبة الجامعة الأردنية ، 2004 م .
- مها محمد فوزي معاذ , الانثروبولوجيا اللغوية , دار المعرفة الجامعية , (1430هـ/2009م).
- مصطفى الرافعي ، حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة ، (د ط) دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1978 م .

- مصطفى الصاوي الجويني ، البلاغة العربية تأصيل و تجديد ، (د ط) ، مطبعة شركة آلات و لوازم المكاتب ، الإسكندرية ، (د س ط).
- مصطفى أعشى ، أحاديث هيروودت عن الليبيين (الأمازيغ) ، (د ط) ، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ، 2008م .
- مصطفى غطيس ، المغرب و الأندلس دراسات وترجمات ، ط، المغرب ،2010 م.
- مصطفى الغلاييني ، جامع الدّروس العربيّة ، ج1 ، ط 28 ، دار النموذجية ، المطبعة العصرية ، صيدا – بيروت ، (1414هـ/1993م) .
- مصطفى عربوش ، من تاريخ منطقة إقليم تادلة و بني ملال ، ط ،مكتبة الطالب ، الدار البيضاء ، (1409هـ/1989م) .
- مصطفى بن سباع ، السلطة بين التسنن و"التشيع "والتصوف مابين عصري المرابطين والموحدين ، ط ، مطابع الشويخ ، تطوان ، 1999م .
- مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج 3 ، (د ط) ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، 1974م (د س ط).
- مصطفى الصادق الرافعي ، وحي القلم ، ج3 ، (د ط) ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، (د س ط) .
- مارمول كربخال ، إفريقيا ، ج1 ، (د ط) ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1984م.
- من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط4 ، القاهرة ، 1972 م .
- موسى لقبال ، المغرب الإسلامي ، ط2 ، الجزائر ، 1981م .
- نبيل احمد بلاسي ، الاتجاه العربي و الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر ، دار الكتب ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990م .
- نجم الدين الهنتاتي ، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، تونس ، 2004م.
- نجوى عثمان ، مساجد القيروان ، مطبعة دار عكرمة ، ط ، سوريا ، 2000م .
- نصر سلمان ، من أعلام المذهب المالكي ، ط ، دار ابن حزم ، (1432هـ/2011م) .
- نهاد الموسى ، اللغة العربية وأبناؤها ، (د ط) ، دار المسيرة ، الأردن ، (د س ط) .

- نهلة شهاب احمد ، الأندلس بوابة التواصل الحضاري العربي الإسلامي – الأوربي ، (د ط) ، (د س ط) .
- نور الهدى لوشن ، مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، (د ط) ، المكتبة الجامعية الأزريطة ، الإسكندرية ، 2000 م .
- ناصر الدين مولود سعيدوني ، التجربة الأندلسية بالجزائر : مدرسة بجاية الأندلسية و مكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط (6-7هـ/ 12-13م) ، الأندلس: قرون من التقلبات و العطاءات ، (د ط) ، الرياض ، (1417هـ / 1996م)
- هـ.ج . ولز ، معالم تاريخ الإنسانية ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، المجلد الأول ، (د ط) ، القاهرة ، 1967م .
- هشام جعيط ، تأسيس الغرب الإسلامي (1-2/7- 8م) ، ط2 ، دار الطليعة ، بيروت ، 2008م .
- هدسون ، علم اللغة الاجتماعي ، ط2 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1990م .
- لخضر عبدلي ، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان ، ديوان المطبوعات الجهوية ، وهران ، 2007م .
- هاشم العلوي القاسمي ، مجتمع المغرب الأقصى، ج1، (دط) ، المغرب ، (1415هـ/1995م) .
- وليم مارسيه ، أصول النثر الأدبي العربي ، مجلة التراث العربي ، (د ط) ، العدد39 ، السنة العاشرة ، 1990م .
- يمنى العيد ، في القول الشعري ، (د ط) ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، 1987 م .
- يوسف أحمد الشيراوي ، الاتصالات و المواصلات في الحضارة الإسلامية ، ط ، لندن – قبرص ، 1992م .
- يسرى عبد الرزاق الجوهري ، شمال افريقية ، دراسة في الجغرافية التاريخية ، دار الجامعات المصرية ، مطبعة خميس عثمان ، (د ط) ، إسكندرية ، (د س ط) .
- يوسف حسن نوفل ، الصورة الشعرية والرمز اللوني ، (دط) ، دار المعارف، القاهرة ، 1995 م .
- يحي شامي ، موسوعة أروع ما قبل في الشعر العربي ،ط، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1999م .

- يمنى رضوان ، التعريب اللغوي في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى إصدار قانون تحريم التخاطب أو التعامل باللغة العربية (92-910هـ /710-1566 م) ، كلية الآداب الفيوم ، (دط) ، (د س ط) .
- يوسف عيد ، النشاط المعجمي في الأندلس ، ط ، دار الجيل ، بيروت ، (د س ط).
- يوسف بن أحمد حوالة ، الحياة العلمية في افريقية "المغرب الأدنى"منذ إتمام الفتح و حتى منتصف القرن الخامس الهجري (90هـ- 450هـ/ 709- 1058م) ،ج 1، ط ، مكة المكرمة ،(1421هـ/2000م) .
- يوسف شحدة الكحلوت ، الأخلاق الاسلاميّة في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف ، (د ط) ، (1431هـ/ 2010م) .
- **المراجع باللغة الأجنبية :**

- Juan.vernet , ce que la culture .doit aux arabes d'Espagne, Sind bade , paris , 2 eme , edi-1974 **.**
- G.le.bon , la civilisation des arabes .
- Heider Bammate te .visages de I 'islam **.**
- Toufie Fahd **.** la divination arabe .
- Murad wilfried hoemann **.** journal dun musulman allemand **.**
- Moncef chelli **.**la paraole arab.

tecumseh fitch , the evolution of the language faculty : clarification and implication , harvard of institute of technology cambridge , 2005 .

- Ba afzal ul ulama , Histoiry of arabic literature ,3 semester , university of calicut , school of distance education ,2011 .
- Marisa verna – joelle gardes tamin , entre linguistiQue et littérature , peter lang, paris _ sorbonne.
- B P Skinnes, pour une science du comportement: le behaviorisme, delachaux, Niestle, Paris 1979,

1990 ., l n E : , Edition sse r Ag I'Islam , MIMouni –

- Monroe C Beardsley : Style and good style, in contemporary Essays on style, Historic linguistics and criticism, edition by Glen A. love and Michel payns, USA, 1969, P 04.

- R A Sayce : style in french prose, A methode of analysis, oxford university press, 1958, P 06.
- Louis T Milic : théories of style and their implications for the teaching of composition in contemporary essays en style, P 17.
- H G Widdowson : stylistics and the teaching of literature, Longman group limited, London 1979,P03.

- **ثالثا – المعاجم :**

- ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، (د ط) ، جدار الفكر، بيروت ، (د س ط) .
- إبراهيم مذكور، المعجم الوجيز ، (دط) ، جمع اللغة العربية ، جمهورية مصر العربية ، 1990م .
- إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، مجلد 1 ، ط 1 ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ، اسطنبول – تركيا ، 1972 م .
- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، (دط) ، مؤسسة الحلي للنشر و التوزيع ، القاهرة ، (د س ط).
- شوقي حمادة ، معجم عجائب اللغة ، دار صادر ، بيروت ،2000م .
- عبد الحميد هنداوي ، كتاب العين مرتب على حروف المعجم ، ط1 ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م .
- علي القاسمي ، المعجم والقاموس ، مجلة اللسان ، (د ط) ، (د س ط) .
- مصطفى عبد الكريم الخطيب ، معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية ، ط ، مكتبة الرسالة للطبع ، بيروت ، (1416هـ/1996م) .
- ناجي الأسمر ، المعجم المفصل في علم الصرف ، (د ط) ، دار المكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1997م .

رابعا – الموسوعات :

1 – **الموسوعات العربية :**

- صلاح طهبوب ، موسوعة العصر الأموي ، دار لأسامة ، عمان ، 2009م .
- مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية ،ج12، طبع في لبنان ، بيروت- لبنان ، 1998م .
- محمد شقيق غربال ، الموسوعة العربية المسيرة ، المجلد1 ، (دط) ، دار الجيل، مصر ، 1995م .
- مقلد الغنيمي ، موسوعة المغرب العربي ، ج1 ، (دط) ، القاهرة ، (1414هـ/1994 م) .

- محمد سليمان الطيب ، موسوعة القبائل العربية ، المجلد 1 ، ج1 ، ط 2 ، دار الفكر العربي ، (1418هـ / 1997م) .
- يحي شامي ، موسوعة شعراء العرب ، ج2 ، ط ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1999م .

2- الموسوعات الأجنبية :

303 - Enyclopedie de 1islam, Paris, Tome 1, 1960 .

خامسا – الرسائل الجامعية :

- إيمان بنت دخيل الله العصيمي ، بداية القرن الثالث الهجري و حتى سقوط غرناطة (201-897هـ/817-1492م) ، رسالة مقدمة لنيل الماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة أم القرى ، السعودية ،(1430هـ/2009م) .
- إبراهيم علي العكش ، التربية و التعليم في الأندلس ، رسالة ماجستير ، الأردن ، (1402هـ/ 1982م) .
- إبراهيم الحاج يوسف ، دور مجامع اللغة العربية في التعريب ، رسالة ماجستير ، ط ، طرابلس ، 1999م .
- بوخالفه عزّي ، تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية ، مذكرة دكتوراه دولة ، جامعة الجزائر ، (2002- 2003م) .
- حورية قطار وأخريات ، أثر القرآن الكريم في نشأة النحو العربي وتطوره ، مذكرة لنيل شهادة ليسانس ، المكز الجامعي ، المدية ، 2002م .
- سامية مقري ، التعليم عند الاباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة (296- 409 هـ/ 909 - 1018م) ، مذكرة شهادة الماجستير ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، (1426- 1427هـ / 2005- 2006م) .
- سليمان مصطفى ، دور عبد المؤمن بن علي الكومي بنشر دعوة ابن تومرت واقامة دولة الموحدين في المغرب الاسلامي"المغرب و الأندلس " (510هـ- 558هـ / 1116- 1163م) ، رسالة دكتوراه ،كلية الدراسات العليا ، جامعة الاردن ، 1993م .
- شهبي عبد العزيز ، مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ ، جامعة الجزائر ، دكتوراه الحلقة الثالثة ، 1984 م .

- صالح ادريس محمد ، تاريخ الدعوة الاسلامية في الأندلس ، (دط) ، رسالة ماجستير من جامعة محمد بن سعود ، السعودية ، (1414هـ /1993م) .
- عيسى بن الذيب ، المغرب و الأندلس في عصر المرابطين (480، 540هـ/ 1056، 1145م) ، دراسة اجتماعية واقتصادية ، رسالة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة الجزائر ، (1429، 1430هـ/2008، 2009م) .
- عبد الله بن بيه ، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، جامعة أم القرى ، 1418هـ/1997م) .
- علي محمد علي غريب ، شعر ابن فضل الله العمري (ت 749هـ/ 1348م) ، جمع وتوثيق ودراسة ، (دط) ، رسالة ماجستير في اللغة العربية ، جامعة الخليل ، (1429هـ/ 2008م).
- عبد الله بن عبد الرحمان بن سعد العياف ، اللهجات العربيّة في كتاب سيبويه دراسة نحوية تحليلية ، رسالة الدكتوراه ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، (1423هـ/ 2002م) .
- عز الدين عمر احمد موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي(12/6م) ، رسالة الدكتوراه في التاريخ بالجامعة الأميركية في بيروت ، لبنان ، 1975م .
- عبد المجيد النجّار ، المهدي بن تومرت (524هـ / 1129م) حياته و آراؤه و ثورته الفكرية و الاجتماعية و أثره بالمغرب ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر ، (1403هـ/ 1983م).
- فهد بن سليمان السعيد ، الدعوة الإسلامية في شمال إفريقيا خلال القرنين الأول و الثاني ، مذكرة الماجستير ، (د ط) ،كلية الدعوة و الإعلام ، السعودية ، (د س ط) .
- فوزرية محمد عبد الحميد نوح ، البحرية الإسلامية في بلاد المغرب في عهد الاغالبة (184-692هـ/ 800- 908م) ، مذكرة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، قسم الدراسات العليا التاريخية و الحضارية ، جامعة أم القرى ، مكة الملك
- رمة ، (1404- 1405هـ/ 1984- 1985م) .
- مزدور سمية ، المجاعات و الأوبئة في المغرب الأوسط (588- 927هـ / 1192- 1520 م) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، (1429- 1430 هـ/ 2008- 2009م) .

- موسى رحماني ، الأوراس في العصر الوسيط لفتح إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (27-362هـ/637-972م) ، مذكرة ماجستير ، جامعة منتوري بقسنطينة ، 2007م .
- مصطفى عويضة ، أبو منصور الجواليقي وجهوده في اللغة (465-540هـ/ 1073- 1145م) ، رسالة ماجستير في اللغة العربية بجامعة عين شمس ، ط ، دار طوباس ، القاهرة ، 1994م .
- ناصر بن محمد بن عبد الله الأحمد ، حركة الجهاد و الفتح الإسلامي في عهد الدولة الأموية و أثرهما الدعوة إلى الله تعالى وانتشار الإسلام ، أطروحة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية ، (دط) ، معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية ، لبنان – بيروت ، (1429هـ/2008م) .
- نافزة ناصر الشّرباتي ، اليهود و أثرهم في الأدب العربي في الأندلس ، رسالة ماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا بجامعة الخليل ، (د ط) ، 2007م.
- هيفاء يونس موسى الشريف ، شواهد رؤية في لسان العرب دراسة دلالية ، (د ط) ، رسالة ماجستير في اللغة العربية بجامعة الخليل ، (1430هـ/2009م) .

– سادسا – المقالات:

- ادريان كيلر ، المفهوم الخاطئ للمستعرب كمسيحي معرب من شبه الجزيرة الأيبيرية في القرون الوسطى ، ترجمة : أيوب بوخاتم ، الملتقى الدولي محمد بن شنب و الاستشراق ، مديرية الثقافة ، شيكو للطباعة والنشر ، المدية ، 2015م .
- حورية توفيق مجاهد ، تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا (الأبعاد والوسائل)، مجلة قراءات افريقية ، العدد السادس، المنتدى الإسلامي، المملكة العربية السعودية – الرياض ،(1432هـ/2010م).
- حسن قادي ، دور وسائل الإعلام في تعميم اللغة العربية في الجزائر ، العدد 5 ، مجلة العلوم الإنسانية محمد خيضر ، بسكرة .
- سليم بابا عمر ، مدخل لمنهجية التحليل البنيوي لسان ، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية ، (د ط) ، العدد3 ، الجزائر ، 2000م .
- صدوق نور الدين ، في النص تفسير النص – الفكر العربي المعاصر ، مركز الاتحاد القومي، العدد 76 - 77، بيروت ، 1990م .
- عبد القادر الفاسي الفهري ، التعدد اللساني والتحرر أولا ، جريدة المساء ، ليومي 30 أفريل – فاتح ماي ، 2012م .

- عبد الرحمان الحاج صالح ، قضايا التعريب في دول المغرب العربي : الجزائر نموذجا ، مجلة اللسان العربي ، العدد 66 ، دمشق ، 2009م .
- عمر أبا – محمّد المغراوي ، الخطّ المغربيّ تاريخ وواقع و أفاق ، (د ط) ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة ، مركز ودود للمخطوطات ، (د س ط) .
- عبد الله كنون ، يوسف بن تاشفين ، مجلة الثقافة المغربية ، ج8 ، (د ط) ، المديرية العامة للثقافة ، الرباط – المغرب ، (د س ط) .
- علال الفاسي و آخرون ، الإمام إدريس مؤسس الدولة المغربيّة ، مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، الرباط ، العدد 31 ، شركة بابل للطباعة و النشر والتوزيع ، (د س ط).
- علاوة عمارة ، عرض كتاب : نريمان عبد الكريم أحمد ، مجتمع افريقية في عصر الولاة ، (د ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،2000م ، سلسلة تاريخ المصريين ، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ، العدد الرابع ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، (1425هـ/ 2004م) .
- علاوة عمارة ، مغرب أوسطيات دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط، ط،الجزائر، 2013م .
- علاوة عمارة ، النشاط التجاري للساحل الشرقي للجزائر (2-6 هـ /8-12م) ، مجلة المعالم ، العدد التاسع ، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية ، (دط) ، قالمة ، (د س ط) .
- علاوة عمارة ، ابن شدّاد الصنهاجي جامع اخبار المغرب الوسيط، مجلة التاريخ العربي ، العدد الحادي و العشرون ، (1422هـ/2002م) .
- علاوة عمارة ، انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط ، مجلة أفاق الثقافة والتراث ، العدد 56 ، الجزائر ، (1427هـ/2007م) .
- علاوة عمارة ، الهجرة الهلالية و أثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب ، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ، العدد العاشر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، (1430هـ/2009م) .
- ك . لوبي ألنسوو أسير دي الموس ، لسانيات الخطاب (حوار مع باتريك شارودو) ، ترجمة : محمد يحياتن ، مجلة اللغة العربية الفصلية ، (د ط) ، العدد 2 ،المجلس الأعلى للغة ، الجزائر ، 1999م .

- مريم عبد الحسين التميمي ، أثر اللغة العربية في اللغات الحية الانجليزية و الاسبانية مثالا ، (د ط) ، المؤتمر العلمي الأول لكلية التربية الأساسية ، جامعة الكوفة ، 2010م .
- محند أو أدير مشنان ، المدارس الفقية المالكية قراءة النشأة و الخصائص ، الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا و تدريسا بحوث الملتقى الوطني بأدرار ، دار الحكمة ، (د ط) ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، الجزائر ، (1431هـ / 2010 م) .
- موسى ربابعة ، موت المؤلف وآفات التأويل ، ج 58 ، م 15، (دط) ، مجلة علامات ، جدة ، 2005 م .
- محمد بركات – حمدي أبو علي ، البلاغة العربية ، ط ، دار البشير ، عمان – الأردن ، 1992م.
- مازن الوعر ، علم اللسان كدراسة علمية للسان البشر ، مجلة سلسلة المعرفة ، (د ط) ، العدد 159 ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، الكويت ، 1978 م .
- محمد أحمد بلولة ، الهجرات و القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى و أثرها في نشر الإسلام و الحضارة ، مجلة الدراسات الدعوية ، العدد 9 ، (د ط) ، 2005م .
- **المواقع الالكترونية :**
- الانترنيت نعتمد هنا إحصائيات Internet World Stats
- و يكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، 2010/ 12/19 ، مادة المغرب الاسلامي .
- و يكيبيديا ، الموسوعة الحرة 19 /12/ 2010م ، مادة اللغة العربية .
- www . Al- mostafa . com
- www . Arabe imag . com
- www . Al- Arab . net
- www. al uacah . net
- www.agadir.ownO.com
- www. warek.com
- *www.bram.jent.com*
- www.meghaiernews.com
- httpwww.shamela.ws
- Http:// www.achamel. Info/ lyccеehs/ cours .php?id=303&id
- http:// he spr e ss . Com /W rit er s /55023 . html

الأعلام

الأماكن

الجماعات و الشعوب و القبائل

البلدان

الفرق و المذاهب و الأديان

الموضوعات

فهرس الأعلام

(أ)

فهرس الأماكن و البلدان

فهرس الفرق و الشعوب و القبائل

فهرس المحتويات :